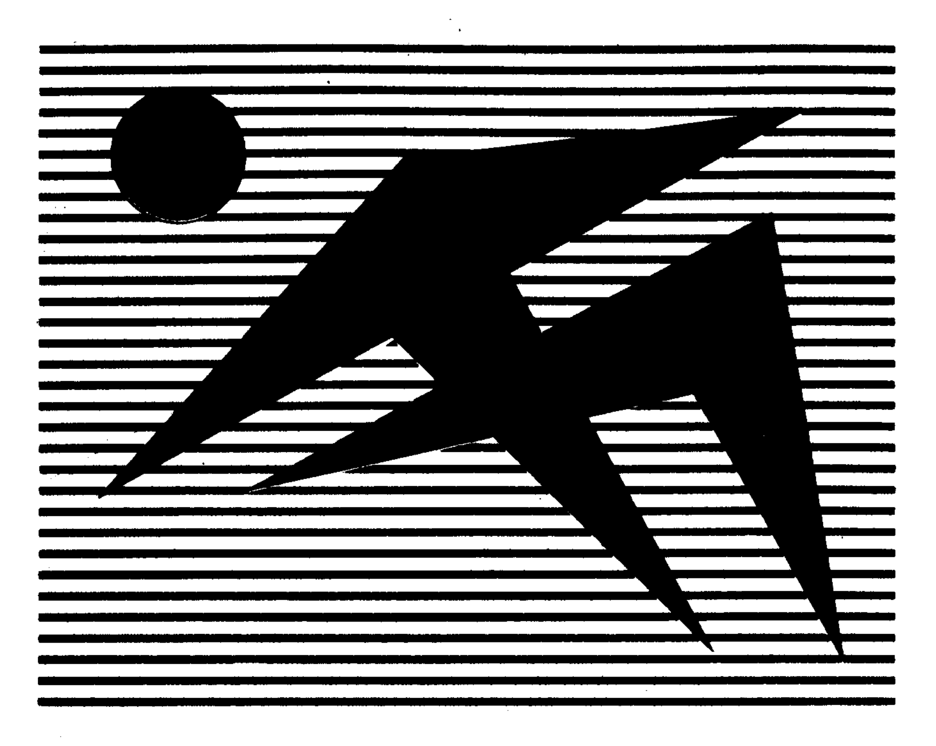
أبو بكر القادري





الجزء الثاني



أبو بكر القادري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية

من سنة 1941 ـ إلى سنة 1945

الجزء الثاني



الطبعة الأولى 1418 ـ 1997

أعــــتزاز



تفضل صاحب الجلالة

الملك الحسن الثاني

فأهدى نسخة من كتابه

"ذاكرة ملك" إلى الأستاذ المجاهد

أبوبكر القادري، ضمنها كلمة

سامية بخط يده عن "مذكراتي في

الحركة الوطنية" وصاحبها، نثبتها فيما يلي:

الى المجاهد المحترم ورفيقنا والدنا المنعم في الكفاح السيد
ابوبكر القادري. وبهذه المناسبة نهنئه على مذكراته
التي قرأنا البعض منها بلطف وإمعان لما احتوت عليه
من موضوعية ومسايرة دقيقة لتلك الحقبة من الكفاح
الوطني المقدس. شكراً له وجزاه الله عن عمله وحكمته
والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

الرباط 15 ابريل 1993

[توقيع]



بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة

لما تهيّأت لكتابة الجزء الثاني من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، كانت نصب عيني صورة واضحة القسمات للمنهج الذي سأتبعه، وكانت الموضوعات التي سأتناولها، والذكريات التي سأرويها، والأحداث التي سأسجلها، راسخة في ذهني. ولكني ما أن شرعت في الكتابة، وبدأت في إعداد مواد هذا الكتاب، حتى شعرت بالحاجة الشديدة إلى استدراك بعض المسائل والأحداث والذكريات التي فاتني تسجيلها في الجزء الأول، فوجدتني تحت دافع الرغبة في استكمال جوانب المرحلة التي استوفاها الجزء الأول، مسوقاً إلى الخروج من الإطار العام الذي وضعته لهذا الجزء، بين الحين والآخر، والعودة إلى المرحلة الأولى، وهي مرحلة الثلاثينيات، ثم استئناف الكتابة عن مرحلة الأربعينيات.

ولهذا سيجد القارىء أن هذا الجزء لا يختص بمذكراتي في الحركة الوطنية المغربية في الأربعينيات فحسب، ولكنه يضمّ، فيما يضمّه من مواد وموضوعات وذكريات، صوراً وجوانب من المرحلة التي تسبقها، اقتضتها طبيعة كتابة المذكرات التي تختلف عن كتابة التاريخ الممنهج وفق أسلوب منضبط بقواعد علمية يصطلح عليها العاملون في هذا الحقل المعرفي. ولقد سبق لي أن قلت في الجزء الأول إن هذا الذي أكتبه وأخرجه للناس، ليس تاريخا عاماً وشاملاً وجامعاً مانعاً، ولكنه مذكرات رجل شرّفه الله بالمشاركة مع إخوانه في العمل من أجل تحرير الوطن واستقلاله والدفاع عن مقدساته ومقوّماته.

وهكذا، فقد اضطررت في هذا الجزء، إلى العودة في بعض التأني والتركيز، إلى فترة الحرب العالمية الثانية لأستوفي جوانب من الحركة الوطنية وعلاقاتها واتصالاتها بالقدر الذي يزيل اللبس ويزيد في إيضاح الصورة. كذلك وجدتني مضطراً ــ بحكم ضرورة السياق العام لهذه المذكرات ــ إلى العودة إلى رواية ما أمكنني معرفته من التحركات التي قام بها أخي المرحوم سعيد حجي واتصاله بصديقه القديم المرحوم اشماعو، وعملهما معاً في إطارٍ حدَّدتُ معالمه بالوضوح الكامل في هذا الجزء.

وشملت مراجعاتي لفترة الثلاثينيات واستدراكاتي لأحداثها، الحديث باستفاضة عن بعض الجهود المتميزة لجلالة المغفور له محمد الخامس الذي ناضل مع شعبه ببسالة ورباطة جأش، والذي كان قائداً للحركة الوطنية المغربية. وإني وإن كنت تحدثت عن جلالة الملك محمد الخامس في الجزء الأول، وأفردت له كتاباً خاصاً نشرته في سنة 1996، فقد عدت في هذا الجزء إلى الكتابة عن هذا الملك العظيم والمجاهد الشهم النبيل بما هو أهلٌ له من الوفاء لمبادئه والإخلاص لرسالته والمحبة والتقدير لشخصه رحمه الله برحمته الواسعة. ولقد لاحظت أثناء حديثي عن هذا الملك المجاهد أن مبايعته بالملك، جاءت متزامنة وكأنها متكاملة مع تكوين الجماعات الأولى للحركة الوطنية التي برزت بها جماعات من الشباب الوطني في فاس والرباط وسلا وتطوان، ولربما في غيرها من المدن المغربية.

وكذلك كان شأني مع بعض الكتابات التي تناولت الحركة الوطنية المغربية في فترة الثلاثينيات، والتي غفل أصحابها عن تسجيل الأحداث المرتبطة بهذه المرحلة وتوثيقها بما كان يلزم من الدقة والأمانة والنزاهة والإنصاف. وسيجد القارىء أنني تعاملت في هذا الجزء مع تلك الكتابات بموضوعية كاملة، وبالحرص على استيفاء عناصر الرواية التاريخية النزيهة، إحقاقاً للحق، وأداءً للأمانة. و لم أشأ أن أذهب بعيداً في الردّ على تلك الكتابات ومناقشة أصحابها في كل ما تضمنته مؤلفاتهم، وإنما كان قصدي الوقوف عند القضايا والروايات التي لها صلةٌ بموضوعات هذا الجزء، أو لها علاقة مباشرة ببعض المناضلين الذين أُبخس حقُّهم ونَالَهُم الضيم.

وأراني حريصاً كلَّ الحرص، وأنا أقدّم هذا الجزء من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، على أن أؤكد أنني لم أُعْنَ بتسجيل كل الوقائع والأحداث، ولكني عنيت بصفة خاصة، بالكتابة عن هذه الوقائع والأحداث من زاوية علاقتي بها، أو علاقة إخواني بها. وبذلك أستطيع أن أقول مطمئناً إنني سجلت شهادتي على مرحلة هامة من تاريخ المغرب، وأسأل الله تعالى أن يمدّ لي في العمر، لأستوفي مرحلة أخرى حقَّها جهد استطاعتي بمشيئته تعالى.

إنّ هذا الجزء يغطي فترة الأربعينيات إلى سنة 1945، أي بعد خروجنا من السّجن الذي دخلناه في يناير سنة 1944 على إثر تقديم حزب الاستقلال لوثيقة المطالبة بالاستقلال إلى جلالة الملك، وإلى سلطات الحماية، وإلى ممثلي الحلفاء في الرباط. وعلى ذكر السجن، فإنني في هذا الجزء أطلقت لنفسي العنان للحديث عن حياة السجن وبعض ذكرياته التي عشتُها مع إخواني. وجاء هذا الحديث عن السجن موسعاً وشاملاً

لذكرياتٍ تذكرتها، فيها المهم، وغير المهم. ولكنها بالرغم عن ذلك، جزء من تاريخ الحركة الوطنية المغربية. إن تسجيلي لذكريات السّجن، هو تسجيلٌ لمرحلة دقيقة من المراحل التي قطعتها الحركة الوطنية المغربية في عهد الحماية، وفيها تصوير للحالة النفسية التي يعيشها السجناء في بعض الأحيان. ولقد رأيت أن مذكراتي لن تكتمل ما لم أسجلها ولو باقتضاب.

إنني التزمتُ في هذا الجزء، كما التزمت في الجزء الأول، بأن أكون شاهداً على المراحل التي قطعتها الحركة الوطنية، من موقعي الشخصي، داخل هذه الحركة، ومن خلال معرفتي وإلمامي واطلاعي ومشاركتي، مؤملاً أن تكون مذكراتي نافعة للأجيال المقبلة، وللأجيال الصاعدة أيضاً بحول الله.

وأجدني وأنا أقدّم لهذا الجزء، في حاجة إلى الإشارة باقتضاب شديد، إلى أني كتبت تراجم مختصرة، أو ما يشبه تراجم، للشخصيات الموقعة على وثيقة المطالبة بالاستقلال، من خلال معرفتي الشخصية بها، ووفاء بالواجب الذي استشعرت بأني مطوّق به. وسيقرأ القارىء في هذا الجزء تعريفات للموقعين على الوثيقة التاريخية. ويظهر أنه لأول مرة يكتب أحد الموقعين على عريضة 11 يناير سنة 1944، عن إخوانه ببعض التفصيل والتركيز والإفادة. وإني لأحمد الله تعالى أن وفقني إلى ذلك. وأحمده كثيراً على ما أنعم به عليّ من فضل كتابة هذه المذكرات، وعلى ما يسّره لي من أسباب التفرغ لها، والانكباب عليها، والانتهاء منها إلى حيث انتهيت. والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أبو بكر القادري
سلا في 19 من ذي القعدة 1417هـ
الموافق 28 من مارس 1997م



تمهيد

لماذا يسجّل الإنسان مذكراته ؟ هل هي نزعة أنانية فردية ؟ هل يريد صاحب المذكرات، أن يخلد بها نفسه، كصانع كبير أو صغير من صناع التاريخ ؟ قد يكون ذلك عند البعض، ولكن الكاتب للمذكرات، يجب أن لا تطغى عليه هذه النزعة الأنانية الفردية، بل يجب أن يهدف وهو يسجل الأحداث التي عاشها، إلى أن تستفيد من وقائعها، وأحداثها، وتطوراتها، ودوافعها، وخلفياتها، وما نتج عنها، أن تستفيد من جميع ذلك الأجيالُ الآتية، فتتبصر تلك الأجيال، ولا تقع في أخطاء، تضيع لها كثيرا من الوقت وتؤخر سيرها إلى الأمام، دون الحصول على ما تنشده من تقدم، وما تبتغيه من تحقيق للأماني.

ومن هنا، فإن في كتابة المذكرات، لعبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ومن هنا فإن على مسجل مذكراته، أن يكتبها بنزاهة فكرية — ما أمكنه ذلك — ولو لم تحقق له مذكراته، ما تتطلبه نفسه التوّاقة إلى المجد من مكانة، قد تكون غير حقيقية، وهكذا تكون مذكراته صادقة، وغير غاشة أو خادعة، فتستفيد منها الأجيال، ولا تعرض البعض من هذه الأجيال للأخطاء.

والواقع أن الكاتب عندما يأخذ القلم، فيسجل حدثاً من الأحداث التي عاشها، أو يصدر حكماً في قضية من القضايا، أو يؤيد موقفاً من المواقف التي اتخذها بنفسه أو اتخذه غيره، أو ينتقد ذلك الرأي أو ذاك، لا ينبغي له أن يعتقد أن الحقيقة عنده وحده، فقد تغيب عنه أشياء يكشفها التاريخ فيما بعد، وقد يكون اطلع على جزء من الحقيقة، ولكنه لم يطلع عليها كلها (علمت شيئا وغابت عنك أشياء).

وقد يظن كاتب المذكرات أنه يستطيع أن يصوغ الحدث، كما تريده نفسه الأمارة، ولكن الأمْرَ يكون بعكس ذلك، وأن الواجب عليه أن لايغطي الحقائق التي يعلم، لأنها تتعارض مع ميوله الشخصية، ونزعاته الفردية، لأن في تلك التغطية، غشاً لمن يأتي بعده، وتلبيساً عليه، وقضاء على الثقة التي يجب أن تكون بين الكاتب والقارىء، وبالأحرى إفساداً للغاية التي يجب أن تسجل من أجلها المذكرات، وهي أخذ العبرة، والإستفادة من تجارب السابقين. وإذا كان الكثير من الحقائق، وعلى الأخص ما يتعلق

منها بالأشخاص، لا يستطيع الإنسان أحياناً، أن يسجلها كاملة كما هي في الواقع، لاعتبارات متعددة، منها أن النقد الصريح ــ ولو كان صحيحاً في حد ذاته ــ قد يجلب من المضار، ما تتضاءل معه الفوائد والعبر، فإن السكوت أو الإغفال يكون أسلم وأفيد، بشرط الالتزام بعدم الإتيان بعكس الواقع، وتسجيله كواقع، فيكون التسجيل غشاً، وفقداناً للأمانة. ولايظنن ظان أن الحقيقة ستبقى مغطاة إلى الأبد، فإن كثيرا من وقائع التاريخ غطاها كاتبوها أو شوّهوها أو زيّفوها أو أظهروها على غير حقيقتها. فجاءت الأيام لتكشفها كما هي دون زيادة أو نقصان. والمعيار الحق الصحيح، هو الالتزام بالصدق. وعدم السير مع هوى النفس. والله سبحانه من وراء القصد.

* * *

انغماري في الحركة الوطنية

لقد ذكرت في مقدمة الجزء الأول من **مذكراتي في الحركة الوطنية**، أنني انغمرت في العمل الوطني، وأنا في السادسة عشرة من عمري، ولا أحتاج أن أؤكد هنا وأنا عازم ــ إن شاء ربّي ــ أن أواصل ما يمكنني تسجيله، لا أحتاج أن أؤكد أنني لم أكن مؤهلاً، ولا عندي من التكوين، ومن التجربة، ومن التطلع، ما يمكنني أن أعدَّ نفسي أكثر من شاب أنار الله بصيرته في الوقت المناسب، فقذف في قلبه حباً لوطنه وكراهية الاستعمار، بجميع أشكاله وألوانه، وقاده إلى تقرير مصيره، بإرادة وعزيمة، وصبر وقوة يقين، نرجو الله الثبات.

كانت الطريق واضحة أمامي، فكل ما أبتغيه هو عزة بلادي وعقيدتي، والدفاع عن وطني، والحفاظ على شخصيتي الوطنية، ووحدتي الاسلامية العربية، وهويتي المغربية الأصيلة.

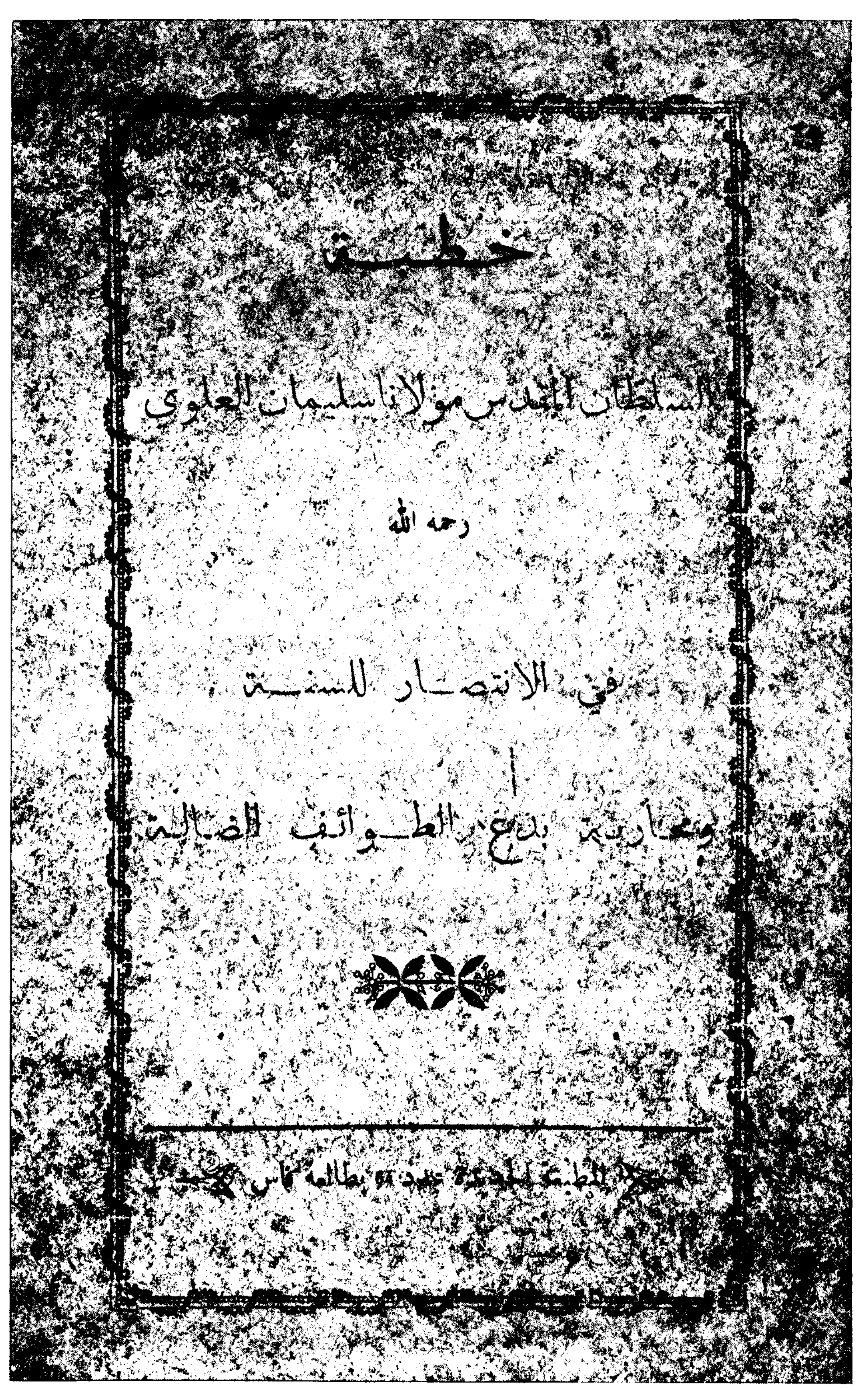
لم تكن لدي ــ إذ ذاك ــ أفكار متباينة، ولا آراء متشعبة، ولا مذهبيات أو إديولوجيات متعارضة، فالمغرب بلد مسلم، ويجب أن يبقى مسلماً، والمغرب عاش طوال القرون حراً مستقلا، فيجب أن يعمل لاسترجاع حريته بكل الوسائل التي يمكنه أن يستعملها، والمغرب عاش موحداً لا فرق بين عربه وبربره، فيجب أن يبقى موحداً، لاعنصرية ولا تخاصم بين حواضره وبواديه، والمغرب شيء، وفرنسا شيء آخر، فلا إدماج، ولا فقدانا للذاتية، كيفما كان الافتقار إلى ما عند الأوربيين من تقدم في الميدان الحضاري العصري.

1 ــ الصراع بين الفكر السلفي والفكر الطرقي

كان الشباب في مطلع الثلاثينيات، مقسماً إلى قسمين اثنين : الشباب الذي يمكن أن أعبر عنه بالتقليدي ــ وكنت من جملته ــ وهو الذي كان يدرس دروساً عربية محضة، مَسْجِدية وغير مسجدية، والشباب العصري، وهو الذي انخرط في سلك المدارس التي أسّسها الفرنسيون، وجعلوا لها برامج خاصة، وأغلب دروسها تلقى بالفرنسية، وتخرج من هذه المدارس، أفراد معدودون، تخطوا الدروس الابتدائية والتحقوا بالتعليم الثانوي، ومنهم وهم قليلون جدا، درسوا في معهد الدروس التي كانوا يسمّونها العليا، ولا يعطونها إسم التعليم الجامعي.

صارت بعض الأفكار تروج، كالفكر السلفي الذي تزعمه أولا الشيخ بوشعيب الدكالي والفقيه ابن العربي، ولكن بجانب هذا الفكر، كان الانتساب للطرق الصوفية، لايزال قائم الذات، فطائفة العلماء والأدباء في أغلبيتهم منتمون لإحدى الطرق الصوفية، كالدرقاوية، والتيجانية، والكتانية، والقادرية، وغيرها، وطوائف الحرفيين في أغلبيتهم منتمون إلى العيساوية والحمدوشية والغازية، وغيرها، والمواسم والليالي تقام كل سنة بمناسبة ذكرى المولد النبوي، وأيام أسبوع العيد النبوي، مضبوط فيها المواسم بتاريخها المحدد، والليالي التي تقام بهذه المناسبة تكون حافلة بالذكر، والمدح، والرقص، وكل منتم إلى طريقة من الطرق، لابد أن يشارك في إحياء الليلة المذكورة، إن لم يكن يحضر كل يوم جمعة إلى الزاوية، ليقرأ الوظيفة أو حزب الشيخ، أو سبحان الدائم لدى الطائفة العيساوية مثلا، وبالإضافة إلى ذلك فهناك بمناسبة المواسم، يعمد العيساويون إلى أكل لحوم الغنم النيئة، والحمدوشيون إلى شذخ رؤوسهم بقطع الحديد، والغازيون إلى الاكتواء بسفافيد النار، إلى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن الغريب العجيب، أن العلماء والمشايخ، يعتبرون كلَّ هذا من الجائز، أو من الأمور التي لايجب النهي عنها ــ لست أدري ــ بل إن بعضهم كان يقيم حفلات في بيته، وبطلب منه، يكون فيها الضرب بالطبول والمزامير، ويكون الرقص المرتفع، والمنخفض، حسب الضربات على الطبول بأنواعها، وأشكالها، ويكون في الأخير لدى بعض الطوائف، ما كانوا يسمونه بلعب اللبؤة والسبع، والجمهور الحاضر ــ وقد يكون فيه اختلاط الرجال والنساء ــ يتفرج ويلهو ويضحك.



خطبة

السلطان المقدس مولانا سليمان العلوي

رحمه الله

في الانتصار للسنة

ومحاربة بدع الطوائف الضالة

المطبعة الجديدة [illegible] بطالعة فاس

ومن أعجب ما كنا نراه، أن الأطفال يصيبهم الرعب من بعض ما يرون، وأن آخرين يتعرضون لمتاعب، إذا ما كانوا لابسين ألبسة سوداء، من طرف أولئك (المتحيرين) الراقصين.

أسجل هذا كمثال على أن الطبقة الواعية، لم تكن ترى في أغلبيتها الساحقة، وهي التي تمثل أرقى طبقات المجتمع المغربي، غضاضة في دوام وبقاء تلك العادات المخالفة لجوهر الدين الحق، وتعاليمه السامية، رغم أنه سبق في تاريخنا استنكار علني لها، وخصوصاً في عهد الملكين الصالحين سيدي محمد بن عبد الله، والمولى سليمان. فلما ظهرت الأفكار السلفية، تلقاها أولئك العلماء المشايخ بالاستنكار، واعتبروا الداعين لها من المبتدعين، الذين يتحدون أهل الله، مع أن أهل الله الحقيقيين، براء من كل البدع المنكرة، معتقدين أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وابتدأ الصراع بين الشيوخ المذكورين، وبين بعض العلماء القليلين، والشبان السلفيين، ووقف بعض العلماء محايدين، لايؤيدون طائفة على الأخرى، لقد قوى تحرك الشباب السلفي، وقويت حجته، ضد أولئك الطرقيين العابثين، خصوصا عندما اتضح للعيان، أن الاستعمار الفرنسي يقف موقف المؤيد والمناصر، والمشجع، والمستعمل لبعض المشايخ الطرقيين، كعبد الحي الكتاني وأضرابه، فصارو يفتضحون الواحد تلو الآخر، وصار الكثيرون ينفضُّون من حولهم، رغم تحركاتهم المتسمة بنشر العلم، والفضيلة، ظاهريا.

هذا الصراع بين الطائفتين المذكورتين، جعل أتباع تلك الطرق من طبقات الأوساط الشعبية، وبعض الشباب المتدين، يقفون موقف الحيارى، فهم في عمق نفوسهم متدينون، يريدون أن يربوا أنفسهم على الفضيلة، والأخلاق الفاضلة، التي هي جوهر دعوة الصوفيين السنيين، ولكنهم لا يريدون أن يصنفوا في طبقات الخائنين، والتابعين للخائنين، فما هو السبيل إلى ذلك ؟ لقد كان ضمن الشباب السلفي المتشدد ضد الطرقيين والطرق، شباب وقفوا الموقف الوسط، فهم لا يقبلون البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنهم لايرفضون الروح الصوفية الحقيقية الاسلامية، الملتزمة بأصول الدين وحقيقته، ولذلك فلا داعي لمحاربة الطرق الصوفية ككل، بل لابد من التمييز والتفريق، بين هذه وتلك، للسبب المذكور أولا، ولسبب ثاني جوهري وأساسي، فالشعب المغربي مثل بقية شعوب العالم الاسلامي، يمكن أن نقول أنه منظم اجتماعيا، على أساس تلك الطرق، فهي تقوم مقام الأحزاب في العصر الحديث، والحكمة تقتضي

من الشباب الوطني — وهو يخوض — معركة التغيير، أن يستغل تلك التنظيمات، ويعمل على تنظيمها، وتنقية أفكار أفرادها، من الخرافات والبدع، ويزرع فيها المبادىء الوطنية السليمة، التي تجعلها تنضم طائعة لا مكرهة، للشباب الوطني الذي يعمل لمكافحة الاستعمار. وهكذا لا تنفر من الوطنيين، ولاتنساق مع معارضيهم، من الخونة والمتعاونين، فتصبح قوة فعالة مع الأيام، في المعترك الوطني الناشد للتغيير، والتطوير، والكفاح ضد اليأس والاستسلام، ومسالمة الاستعمار، وزاد في قوة حجة هؤلاء الشباب الوطني المتزن، وغير المتطرف، ماعلمه هنا وهناك من خلال مطالعاته، مثل ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في كتابه : (حاضر العالم الاسلامي) عن الدور الهام الذي قامت به الطرق الصوفية في إفريقيا وغيرها، من الحفاظ على الوجود الاسلامي في تلك الديار، أمام الغزو التبشيري الصليبي، الذي حط بكلكله، وتعاونه مع القوى الاستعمارية ومساندته لها، وهي تغزو البلاد الافريقية، فالطرق الصوفية — رغم ما علينا عليها من مؤاخذات — قامت بدور هام، ويظهر أنها لازالت تقوم به إلى الآن — حفاظا وذودا عن الوجود الاسلامي في إفريقيا والأقطار الواقعة تحت النفوذ الشيوعي، وبقائها في حظيرة الشعوب المنتمية للإسلام، والمتشبثة به، رغم تشبثها بكثير من البدع الذي ما أنزل الله بها من سلطان، ووجود نخبة من شبابها المثقف في هذا العصر، وانتماؤه لها، مبشر بأن المستقبل كفيل بإصلاح ما أفسده الدهر، والقضاء على البدع المنكرة، واتباع الطريق السلفي الصوفي السليم، الذي يبقى إفريقيا الخضراء، إفريقيا المسلمة المعتزة بالإسلام، والمتضامنة مع إخوانها في أنحاء العالم الإسلامي، في السراء والضراء.

2 — الشباب العصري

مقابل الفكر السلفي المتطرف بعض الشيء، والمتزن بعض الشيء، كانت توجد طائفة أخرى من الشباب الذي كان يدعى بالشباب العصري، هؤلاء الشبان تلقوا تعليمهم بالمدارس التي أسستها الحماية الفرنسية، وأغلبيتها الساحقة مدارس ابتدائية باستثناء مدرستين ثانويتين، هما مدرسة مولاي يوسف (كوليج مولاي يوسف) بالرباط، ومدرسة مولاي إدريس (كوليج مولاي إدريس) بفاس بالإضافة إلى (كوليج آزرو) الذي أسس بعد ذلك، هاته المدارس المذكورة كانت تلقن تلاميذها باللغة الفرنسية، وكان التعليم بالعربية ضئيلا بالنسبة للفرنسية، وكان المتخرج منها بالشهادة الابتدائية — فأحرى ما كان يسمى بالبروفي أو الدبلوم — وهؤلاء أقل من القليل — يستحق وظيفة في إدارة البريد، أو ساعي إدارة البريد، وهي وظيفة تجلب للحاصل عليها أجرة

شهرية تخرجه من الفقر الذي كانت تتخبط فيه الكثرة الكثيرة من أبناء الشعب، وهذه الوظيفة الحقيرة لا يحصل عليها إلا القليلون، وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما قررت الانخراط في سلك تلاميذ المدرسة الابتدائية المذكورة، بعد حوادث الظهير البربري، خاطبني أحد المحبين لأسرتنا قائلا : لقد فعلت حسنا عندما انخرطت في سلك مدرسة أبناء الأعيان، فلعل الله يهيء لك الأسباب، وتحصل على وظيفة مناسبة، (أي مثل موظف البريد ولا شك) وخاطبني أخي الأكبر رحمه الله قائلا ما معناه : لقد كان قرارك في محله، فلعلك بعد فترة وجيزة، تحصل على وظيفة مناسبة، مثل ما حصل عليها ابن خالك، وكان ابن خالي هذا، عين محررا بجريدة السعادة»، التي كانت تصدرها إدارة الحماية الفرنسية، أسجل هذا لأصور كيف كان تفكير مختلف الطبقات، فيما يتعلق بالحصول على وظيفة مهما كانت تافهة، لم يكن يحصل على الشهادة الابتدائية إلاّ القليلون، وأقل منهم الذين يحصلون على شهادة البروفي، وأذكر أن ثلاثة أفراد حصلوا على «البروفي بمدينة سلا» وصاروا يلقّنون دروسا لمدة سنة واحدة في «البيداغوجيا» ليصبحوا معلمين رسميين، صار الكثيرون يتحدثون عنهم، وكأنهم حصلوا على الدكتورة، أو ما يعادلها. كل هذا الذي أتحدث عنه، يتعلق بموطن الرأس، مدينة «سلا» التي نشأت فيها، وتربيت بين أحضانها، أما على المستوى الوطني، فلم يلتحق بالتعليم الثانوي إلا القليلون جدا، ولم يتمم دراسته ويلتحق بمعهد الدروس العليا إلا أفراد معدودون على الأصابع، وكان منهم من مدينة «سلا» المرحوم عبد اللطيف الصبيحي وأخوه الحاج بوبكر ومحمد وجعفر الناصريان، ومن الرباط المرحوم محمد اليزيدي وعمر الباشا والحاج أحمد بركاش والحاج أحمد بلافريج، ومن فاس العباس بن جلون وأخوه عبد القادر، والحاج أحمد بناني والمرحوم محمد الفاسي والحاج عمر بن عبد الجليل، ومحمد بن الحسن الوزاني وقليل غيرهم، ومن جملة ما كانت قررته سياسة «ليوطي» تقريب بعض هؤلاء إليه، وتخصيصهم ببعض الرعاية، فمن جملة ما فعل، أنه أمر بتنظيم رحلة لهم إلى فرنسا، ليطلعوا على ما للأم الحنون من مؤسسات ومتاحف، وعمران، وحضارة، وتقدم، حتى يرجعوا إلى بلدهم، وهم مفتونون بحب فرنسا، والتعلق بها، وبحضارتها وتقدمها.

وأعود لأقول، إن الكثيرين من هؤلاء الذين استهوتهم قشور الحضارة الفرنسية، كانوا يدعون بالشبان العصريين، وأصبحوا ـــ الا من رحم الله منهم ـــ يتغنون بأمجاد فرنسا ـــ بل أصبح بعضهم، يعتبر نفسه من أخصاء «ليوطي»، ومن أبنائه وحواريه، وزاغت ببعضهم السبيل، فصاروا يحتقرون من عداهم من الشباب، ويكرون على المتدينين منهم خاصة، فالقيم الدينية لم يبق لها أي اعتبار، وأسجل هنا أنني وأنا في ميعة الشباب ـــ



الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي

وقد نشأت في أحضان أسرة متدينة، والحمد لله ــ كنت أسمع عن هؤلاء الشيء الكثير من الحذلقة، والطيش، والميوعة، فأنفر منهم، ولا أريد أن أخالطهم، وأذكر أنني كنت أسمع عن بعض كبرائهم من الابتعاد عن حقيقة الدين، والتجاهر بالالحاد، ما ينفرني منه، حتى إذا جاءت أحداث الظهير البربري، وتزعم عبد اللطيف الصبيحي مقاومة السياسة البربرية، تغيرت نظرتي إليه، وصرت أعتبره مثل غيري من الشباب «الزعيم» الأوحد، وصارت تزول عن ذهني بعض التصورات عنه خصوصا عندما رأيته لأول مرة في المسجد، ولربما لآخر مرة، لأنه نفي إثر ذلك، وأبعد إلى مناطق متعددة.

مساهمة الشباب العصري في مقاومة الظهير البربري

لقد اعتمد عبد اللطيف الصبيحي في مقاومته للظهير البربري إذ ذاك، على هؤلاء الشبان الذين كان كوّن منهم جوقا تمثيلياً، فنفخ فيهم من روحه، وصار يدعوهم لاستنكار المخطط الفرنسي التي أتى به ظهير 16 ماي 1930 وتأثر كثيرون من الشباب غيرهم بأفكار المقاومة، فانضموا إلى المقاومة السياسية مع عبد اللطيف، وصار الجميع يلتقي على كلمة سواء، في المسجد لقراءة اسم الله اللطيف، ويلتقي في المنازل والدور، لترتيب شؤون المقاومة، والاستمرار فيها، ومضت أيام وأسابيع، وقراءة اللطيف سائرة في نهجها، والفرنسيون يضربون الأخماس في الأسداس لتوقيفها، والقضاء عليها، مستعملين الترغيب والترهيب في آن واحد، فهم يخوّفون الآباء والأولياء، ليوقفوا أبناءهم عن المقاومة، وهم ينفون أن يكون الظهير البربري يرمي إلى تنصير المسلمين وتقسيمهم، وأن الدعاية التي يقوم بها هؤلاء الشبان دعاية كاذبة، وهكذا صارت تضعف المقاومة شيئا فشيئا، وصار الشبان المتحمسون، تقل مقاومتهم، ويتسللون الواحد تلو الآخر، حتى إذا مضت شهور لم يثبت في الطريق إلا القليلون، وهؤلاء هم الذين كانوا مع إخوانهم الذين درسوا بالعربية النواة الحقيقية الطيبة للحركة الوطنية في مدينة «سلا» ومثلهم في غيرها من المدن كالرباط وفاس ومراكش والدار البيضاء وغيرها، فهم الذين حملوا المشعل لتغيير الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وهم الذين وضعوا اللبنات الأولى لإصلاح المجتمع المغربي، وإخراجه من غفلته، والأخذ بأسباب النهوض به، وهكذا بدأت الانطلاقة الوطنية السياسية الأولى تأخذ طريقها ابتداء من حركة مقاومة الظهير البربري.

الهدف الأساسي هو مكافحة الاستعمار

لم تكن لدينا أفكار معينة، مضبوطة، للإصلاح الاجتماعي، والسياسي والثقافي، أوائل حركتنا الوطنية، وإنما كانت أفكارا عامة، تتجلى في مكافحة الاستعمار ومناهضته، ورفض المخطط الذي أتى به، فيما يتعلق بالأعراف البربرية، بما فيه محاربة الإسلام، والقوانين الإسلامية، ومحاربة اللغة العربية، وتجلت أيضا في المطالبة بإصلاح التعليم في القرويين، وروافدها، في بعض المدن المغربية.



تمثل هذه الصورة الجوق السلوي الذي مثل رواية الرشيد والبرامكة

ويظهر في الصورة في الصف الأول : عبد الكريم الصابونجي ـــ محمد الزمزمي الجعيري ـــ العربي معنينو ـــ عمر بن علي الدكالي ـــ عمر بن عبد الله عواد ـــ عبد الرحمان عواد ـــ عبد الكريم حجي ـــ المهدي زنيبر. وفي الصف الثاني :

محمد اشماعو حاملا شمعة. وفي صفه من الذين تعرفت عليهم : محمد المريني ـــ عمر زنيبر ـــ محمد حصار ـــ قاسم حصار ـــ عبد الله بو علو.

أما الصف العلوي فتعرفت على محمد القادري و عبد القادر بوزيد.

إيديولوجية الفكر الوطني

كان عبد اللطيف الصبيحي وزمرته، ينظرون أولا إلى القضية البربرية نظرة وطنية سياسية محضة، بمعناها الوطني السياسي، المتجلى في ضرورة احتفاظ المغرب بسيادته السياسية، ورفض كل تبعية، أو اندماج، أو تسلط للضغط على السياسة التي يمثلها السلطان، أو مشاركته فيها، وكان بعض الشبان، ومنهم جماعتنا، يضيفون إلى ذلك، رفضهم المطلق، التدخل في الشؤون الدينية، من طرف الفرنسيين، مثل تدخلهم في القضاء الشرعي، وإقرارهم لأعراف جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان، وتشجيع المبشرين المسيحيين، وانتشارهم في بعض المناطق البربرية، وبنائهم الكنائس في بعض المواقع البربرية، ولقد انتصر هذا الرأي الأخير، على الرأي الأول، وبه استطاعت، الحركة الوطنية، أن تستقطب جميع طبقات الشعب المغربي، ليناصرها في المستقبل، ويكون مؤيدا لها، وبه استطاعت أن تستقطب رجالات العالم الاسلامي، في كل من مصر، وسوريا، والعراق وأندونيسيا، وفلسطين وغيرها من الأقطار، التي استطاعت الحركة الوطنية برجالها القلائل، أن تبلغها وتطلب مناصرتها، والتي كان للأمير، شكيب أرسلان رحمه الله، ومحب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح الدور الأول والأساسي، في إعانة



محبّ الدّين الخطيب
منشىء جريدة الفتح، الذي كان له شرف العمل
على تأسيس جمعية الشبان المسلمين



الرائد الاسلامي الكبير الأمير شكيب أرسلان
باللباس الوطني المغربي كان له تأثير على الحركة
الوطنية المغربية

الحركة الوطنية، حتى بلغت ما تريده منها، إنني لا أنكر الدور الذي قام به بعض الأحرار الفرنسيين لمناصرتنا في القضية البربرية، والذين كتبوا وأيدوا سواء في مجلة «مغرب»، أو غيرها، ولكن الدور الفعال في إحباط تلك السياسة، كان لمقاومة المغرب في الداخل، ومناصرة العالم الاسلامي في الخارج، وخصوصا في مصر وأعلامها الأعلام، من شيوخ الأزهر، وفي طليعتهم الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار، وبعض الصحفيين المرموقين أمثال محب الدين الخطيب صاحب جريدة «الفتح» ولست أستحضر الآن وقد مضت على أحداث الظهير البربري أزيد من ستين سنة، ماذا كان موقف الأحزاب المصرية، ومنها حزب الوفد وعلى رأسه مصطفى النحاس باشا، وحزب الأحرار الدستوريين، الذي كان من أقطابه الكاتب الكبير محمد حسين هيكل من مناصرة حركتنا الوطنية.

تأثر الحركة الوطنية المغربية بالفكر الوطني في الشرق العربي والأقطار الأسيوية

في بداية عملنا الوطني، صرنا نتفاعل وننجذب إلى الحركات الوطنية في العالمين العربي، والاسلامي، وبعض البلدان الأسيوية والأوربية ونتتبع أخبارها وأحداثها، ونقرأ ما يكتب عنها، وعن شخصياتها، أمثال الزعيم الشاب مصطفى كامل المصري، الذي كنا نقرأ خطبه الحماسية بكل اهتمام، ومثل الزعيم سعد زغلول باشا الذي تتبعنا جميع مراحل حياته تقريبا، وكنا ونحن شباب، نتغنى بالنشيد المصري الذي يشيد بكفاح سعد، والذي جاء فيه :

رسول السلـــم إلى مصرا	أنثر في الطرق لنا زهـرا
ودع في الشرق لنــا خبرا	وهَـــنِّ العـــالم بالـــبشرى

إلى أن يقول :

الموت يلـــذ لنـــا مـــادام	لنــــا في الحق تآخينـــــا
حب الأوطان مـــن الإيمان	وروح الله تناجينــــــــــا
الحق لنـــا ويــــد المولى	تجري مــن فـــوق أيادينــا
إن لم يجمعنـا الإستقـــلال	ففــي الفـــردوس تلاقينـــا
ولينزل غضَبُ الشعب على من	يـــــتصدى للوطنيـــــــة
ولتحيـــى مصر بالاستقـــلال	ولتحيــــى فيها الحريـــــة
ولْيَحْيَ سعـد ومـن معــه	ولْتَحْــيَ ضحايــا الحريـــة
	إلى آخر النشيد

كما كنا نتغنى بالنشيد الوطني السوري

أنت سوريـــا بــــلادي	أنت عنـــوان الفخامـــــة

ونشيد الدكتور شهبندر حول السجن :

يـــا ظـــلام السجـــن خيم	إننــــا نهوى الظلامــــــا

ليس بعد الليل إلا فجر مجد يتسامى
أيها الحراس رفقا واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء منعه كان حراما
إيه يادار الفخار ومقام المخلصينا
قد هبطناك شبابا لا يهابون المنونا
وتعاهدنا جميعا حين أقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوما واتخذنا الصدق دينا
يارنين القيد زدني نغمة تشجي فؤادي
إن في صوتك معنى للأسى والاضطهاد
فاشهدن يانجم أني ذو وفاء ووداد
لست والله بناس ما تقاسيه بلادي

ومثل النشيد العربي المشهور :

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان

وحتى النشيد الوطني الفرنسي الذي وضع على نغماته الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي نشيداً وطنياً حماسيا كنا نتغنى به، وهاهو مطلعه :

أوطاننا وهي الأماني أرواحنا لها ثمنْ
وإنما أحيا المعالي من مات في حب الوطن
إلى آخره

لقد كنا متجاوبين مع إخواننا الوطنيين المكافحين في البلاد العربية : مصر، سوريا، لبنان، فلسطين، العراق، ومناصرين المناصرة اللامشروطة للثورة التصحيحية التي قام بها الملك عبد العزيز آل سعود في البلاد الحجازية، وكان بعضنا يتجه في تفكيره، اتجاه حزب الوفد المصري، فيناصره المناصرة الدائمة في تحركاته أيام النحاس باشا رحمه الله، وكان منّا مَنْ يؤيد فكرياً وسياسياً حزب الأحرار الدستوريين بمصر أيضا، والذي كان يرأسه محمد محمود باشا، ثم محمد حسين باشا هيكل، مدير جريدة «السياسة الأسبوعية»، وهذه الأخيرة كان لها دور هام في التثقيف السياسي، والعلمي، والأدبي، فكانت من أمهات الصحف التي تغذي الأفكار، وتنمي المعلومات، يشبه الدور الذي قامت به مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات بعد ذلك، ويكتب فيها

فطاحل الأدباء والباحثين، وكانت أسبوعية ويباع العدد الكثير منها في مختلف المدن المغربية الناهضة، ومثل مجلة «الهلال» الشهرية، ومجلة المقتطف، وجريدة «الأهرام» وجريدة «كوكب الشرق» وغيرها من الجرائد والمجلات السياسية والأدبية، إضافة إلى المجلات الاسلامية على اختلاف أشكالها وألوانها أمثال : «المنار» و «نور الاسلام» و«الهداية الاسلامية» و«الاسلام» و «هدى الاسلام» «والهداية» التي كانت تصدر بالعراق، ومجلة «العرفان» التي كانت تصدر بصيدا في بلبنان، ومجلة «الزهراء» و«الفتح» اللتين كان يصدرهما محبّ الدين الخطيب، والتي شارك في الكتابة فيها الحاج أحمد بلافريج وغيره، وجريدة «الشورى» التي كان يصدرها بالقاهرة الكاتب الصحافي الفلسطيني المجاهد محمد علي الطاهر، وجريدة «العرب» التي كان يصدرها عجاج نويهض، ويراسلها المرحوم سعيد حجي باستمرار، عندما كان بالشرق العربي يدرس، وكنا نزوده بالمعلومات والأخبار عما يقع من أحداث إلى غير ذلك من المجلات والجرائد، التي لا أستطيع أن أستحضرها جميعها، وأنا أسجل التجاوب الذي كان بيننا وبين إخواننا في البلدان العربية. وهنا يجب أن أؤكد على أننا وإن كنا متجاوبين وطنيا، وسياسيا، مع الأحزاب الوطنية المصرية، والسورية، مثل الوفد، والكتلة الوطنية في سوريا، فإننا لم نكن متفقين معها تمام الاتفاق فيما يتعلق بالجذور الأولى، التي نشأت عنها حركتها، وحركتنا الوطنية، فلقد نشأت حركة إخواننا غير مقيدة بالتوجه الاسلامي، بل كانت بعض أفكارهم علمانية محضة، لا علاقة لها بالتوجه الديني، بينما كنا ملتزمين الالتزام الكامل، بالتوجّه الاسلامي، والحضارة الاسلامية، في بداية حركتنا، وبقينا، وسنبقى إن شاء الله، ملتزمين بهذا الاتجاه في بناء نهضتنا، والدفع ببلادنا إلى التقدم والرقي. **أما اهتماماتنا بالقضية** الفلسطينية، فلقد ابتدأ عمليا من سنة **1929**، وبقي وسيبقى إن شاء الله، إلى أن تتحرر فلسطين جميعها، من قبضة الغاصبين، وبعيدا عن البلاد العربية كنا نتتبع باهتمام كبير حركة المقاومة في الهند، والدور الخطير الذي قام به «غاندي»، في مكافحة الاستعمار الانجليزي، والكفاح الذي كانت تقوم به الجماعة الاسلامية هناك، وعلى رأسها محمد علي وشوكت علي، قبل محمد على جناح، ولياقت علي خان، في مناصرة القضايا العربية، وفي طليعتها قضية فلسطين، التي أبلى فيها المسلمون الهنود البلاء الحسن، وكانت حركتنا على اتصال بعد ذلك، مع حزب «ماشومي» في أندونيسيا، الذي تأسس بزعامة الدكتور محمد ناصر رحمه الله، والذي ساندنا في معركة الاستقلال، كما كنا متتبعين للتطورات التي وقعت في تركيا بعد قيام «أتاتورك» بانقلاباته السياسية والاجتماعية، وما قام به «أمان الله خان» في أفغانستان،

وإن كنا لم نسايرهما في اتجاهاتهما العلمانية، إلى غير ذلك من التجاوبات مع الحركات التحررية في العالم، التي وإن كنا لانساندها في اتجاهاتها الاجتماعية ككل، ولكن بالرغم من ذلك كنا نتجاوب معها في النضال ضد الاستعباد والاستعمار، ومناصرتها للطبقات المستضعفة، أسجل هذا لأعطي صورة ولو كانت مصغرة بعض الشيء عن انطلاقاتنا الفكرية فيما يتعلق بالتحرر والوقوف صفا واحدا أمام السيطرة الاستعمارية، وتوجيه شعبنا في طريق الكفاح المتعددة الجبهات، ومقاومة اليأس، والتواكل، والاستسلام، والرضى بالواقع المشين، سواء في المجال السياسي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، ويحسن بي أن أشير هنا إلى أن بداية انطلاقتنا الوطنية السياسية الحديثة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، كانت متقاربة جدا، مع العهد الذي قطعه الشعب الهندي على نفسه، بزعامة المها تما غاندي، فلقد أصدر غاندي وأتباعه وثيقة بتاريخ 26 يناير 1930 أسماها بوثيقة الاستقلال، وسمَّى اليوم الذي صدرت فيه، بيوم الاستقلال، وهذا نص الوثيقة الاستقلالية الهندية، أثبتها للتاريخ، لتؤكد أن حركتنا الوطنية منذ نشأت، وهي تتبع الأحداث التحررية في العالم، وتنشد وترمي إلى التحرير والاستقلال، تقول الوثيقة :

(إننا نؤمن بأن من حق الشعب الهندي، شأنه شأن أي شعب آخر، أن يحظى بالحرية، وأن يتمتع بثمرات كدحه، وأن يحصل على ضروريات الحياة، بحيث يكون للجميع مجالات متكافئة للعمل.

إننا نؤمن كذلك بأن من حق الشعب، إذا عمدت أية حكومة إلى حرمانه من هذه الحقوق، وإلى اضطهاده، أن يزيلها من الوجود.

إن الحكومة البريطانية، لم تحرم فقط الشعب الهندي من حريته، إنها خربت الهند، اقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا، وروحيا، ولذا فإننا نعتقد بأن على الهند أن تقطع القيد البريطاني، وأن تحصل على الاستقلال التام.

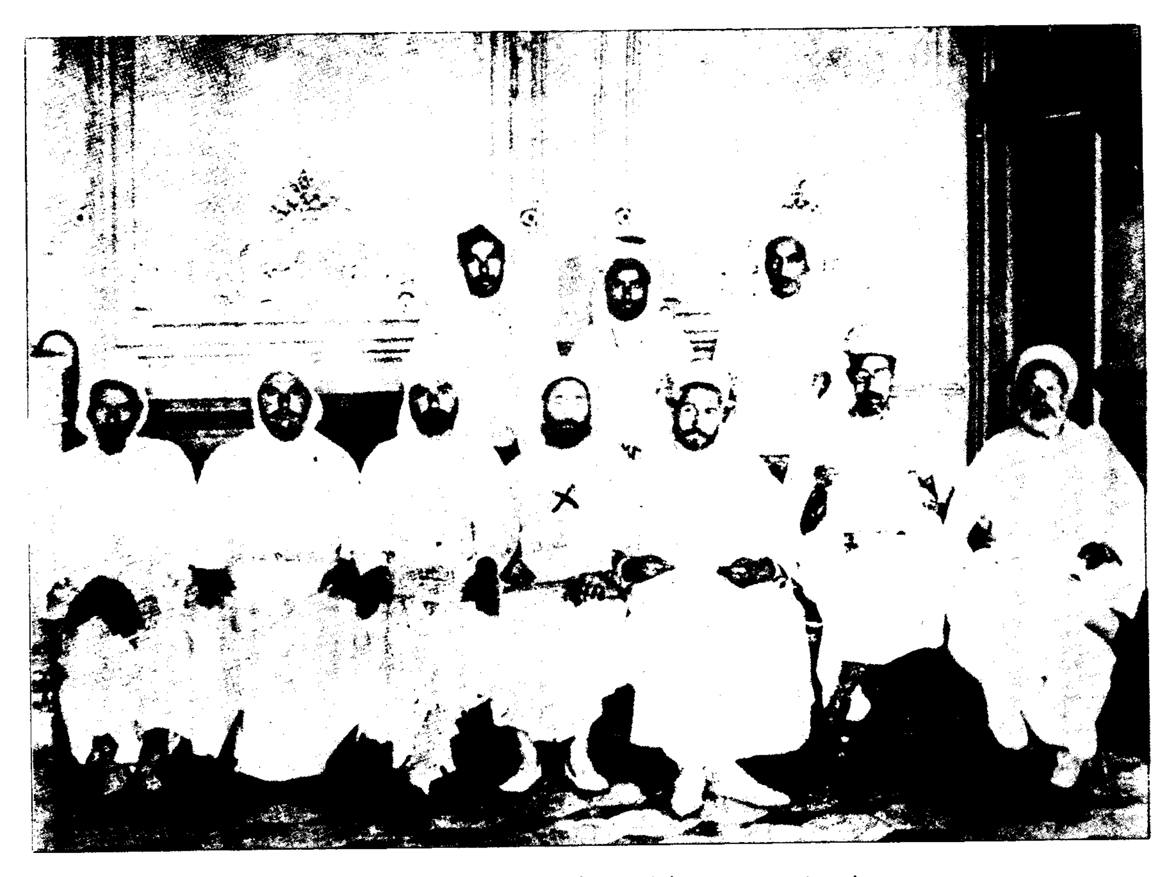
إننا نعتبر بمثابة جريمة ضد الانسان والإله، الخضوع مزيدا من الوقت، لحكم سبب لبلادنا كارثة اقتصادية وسياسية وثقافية وروحية، ولكننا ندرك في الوقت ذاته، أن العنف ليس الأكثر فعالية لاكتساب حريتنا، ولذلك فإننا سنعد أنفسنا، لوقف كل ما نستطيعه من تعاون طوعي، مع الحكومة البريطانية، وسنستعد للعصيان المدني، الذي ينطوي على الامتناع عن دفع الضرائب) (انتهى نص الوثيقة).

في أجواء مرور مائة سنة
على الاستعمار الفرنسي للجزائر

في نطاق تتبعنا للأحداث الهادفة إلى التحرير، أشير أيضا إلى أننا ونحن نغلي هيجانا، وغضبا، ضد المخططات الاستعمارية، المتجلية في ظهير 16 مايو 1930 علمنا بأن الاستعمار الفرنسي في الجزائر الشقيقة، قرر إقامة احتفالات كبيرة، تدوم ستة شهور، بمناسبة مرور قرن على احتلالهم للقطر الشقيق، (1830 — 1930) دعا إليها حسب تعبير الشيخ البشير الإبراهيمي : (الدنيا كلها) وأنفق على هذه الاحتفالات مآت الملايين من الفرنكات، وشارك فيها رئيس الجمهورية الفرنسية بنفسه، وكانت في الواقع احتفالات استفزازية للشعب الجزائري، وإثارة غضبه على الاستعمار مرة جديدة، والعزم على رفض مخططاته وبرامجه، ومقاطعته لتلك الاحتفالات، وفضح ما يبيته للجزائر من تمسيح وإخراج من حظيرة الاسلام، حيث تكاثر عدد الرهبان المسيحيين، الذين أتوا للمشاركة في الاحتفالات، أو ربما للاستيطان الدائم، وهذا الاستفزاز الفظيع، هو الذي دفع الغيورين من العلماء الجزائرين السلفيين، إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في الخامس من شهر مايو 1931 والتي ترأسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ثم بعد وفاته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ويذكر الإبراهيمي هذا، (إنه لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى، لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا) لقد كان هم جمعية العلماء الأول، الحفاظ على عروبة الجزائر، وإسلامها، وصيانتها من الأخطار المحدقة بها، ولقد جعلت الجمعية شعارا لها مايلي : (الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا) وسارت في نشاطها التربوي والتعليمي، مؤسسة للمدارس، مكونة للأجيال، محيية للغة العربية، مقاومة للنشاط التبشيري المسيحي محاربة للشعوذة والمشعوذين من الخرافيين.

سياسة التجنيس بالجزائر

من جملة نشاطات جمعية العلماء في الجزائر الهامة التي كنا نتتبعها وباهتمام كبير، مقاومتها لسياسة التجنيس، التي فرضتها فرنسا على الجزائريين، وصارت تطبقها، لدرجة



مجلس إدارة جمعية العلماء الجزائريين في عامها الثاني
ويرى في الوسط المصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس

أنها قسمت الجزائريين إلى قسمين (مثل ماكانت ستطبقه في المغرب) قسم : يسمى المسلم الجزائري الفرنسوي (أي المتجنس) والمسلم الجزائري دون ذكر الفرنسي، وان الأول تطبق عليه نصوص القوانين والتشريعات الفرنسية، بما فيها قوانين الأحوال الشخصية، وان الثاني يبقى في وضعه كما كان دون حقوق مطلقا، وهكذا صارت تتقوى الدعوة إلى التجنيس، وصار الكثيرون يتطلعون إليه، لضمان حقوقهم، الأمر الذي دعا جمعية العلماء إلى القيام بحملة واسعة ضد التجنيس، معتبرة أن المتجنسين خارجون على الاسلام، مؤكدة على لسان مفتيها إذ ذاك الشيخ العربي التبسي ان التجنس كفر وارتداد : كما أكد ذلك أيضا الشيخ عبد الحميد بن باديس في الفتوى التي أصدرها باسم جمعية العلماء، والتي جاء فيها : (التجنس، بجنسية غير إسلامية، يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما واحدا من أحكام الاسلام، عد مرتدا عن الاسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس ــ بحكم القانون الفرنسي ــ يجري تجنسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الاسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد عليه، ما بقي له نسل في الدنيا، خارجا عن شريعة الاسلام، بسبب جنايته، إلى آخر ما جاء في الفتوى التي نشرت في جريدة البصائر في يناير 1938.

لقد كان للموقف الذي وقفته جمعية العلماء ضد التجنيس والمتجنسين، أثر بالغ في الأوساط الجزائرية، والأوساط الاستعمارية، فتخوف الكثيرون من التجنيس، وابتعدوا عن المتجنسين، وزاد الأمر خطورة عندما أكد العلماء أن المتجنسين لايجوز دفنهم في مقابر المسلمين، وتخوف الفرنسيون من ردود الفعل القوية من طرف الشعب الجزائري، وكان النجاح حليف مقاومة جمعية العلماء لحركة التجنيس.

مقاومة حركة التجنيس في تونس

وفي موضوع حركة التجنيس، أشير إلى أن الفرنسيين، حاولوا تطبيقها في تونس، ولكن التونسيين قاوموها مقاومة شديدة، وقامت الصحافة الوطنية بالتشهير بها ورفضها، بل ان الشعب التونسي قرر من عنديته، مقاطعة المتجنسين، وعدم التزاوج معهم، ومنعهم من الدخول إلى المساجد، ومن الدفن في مقابر المسلمين.

أهداف السياسة الفرنسية
في المغرب العربي

لقد كانت السياسة الاستعمارية ترمي إلى طمس معالم الذاتية المغربية، العربية، الاسلامية، في المغرب العربي، فابتدأت تجربتها في الجزائر، بسياسة التفريق بين العرب والبربر، ثم سياسة التجنيس، ثم اتبعتها بسياسة التنصير والتجنيس في تونس، عندما قررت نصب تمثال للكار دينال لافيجري، آخذاً الصليب بيده اليمنى، والإنجيل في يده اليسرى، وبفتح الباب أمام التونسيين، ليتجنسوا بالجنسية الفرنسية، فكان رد الفعل قويا ضد هذه السياسة الاستعمارية، وقامت المظاهرات، والاحتجاجات، والاعتقالات، والرفض المطلق، لهذه السياسة، ثم جاء دور المغرب عندما قررت السلطات الاستعمارية اتخاذ سياسة التفريق والادماج، والتنصير في المغرب، بإصدارها للظهير البربري 1930 الذي قاومه المغاربة مقاومة قوية، أدت في الأخير إلى بطلان العمل به بطلانا نهائيا.

فالسياسة التي سلكها الاستعمار الفرنسي، في أقطار المغرب العربي، والتي كانت ترمي إلى القضاء على الشخصية المغربية، والذاتية العربية الاسلامية، وخلق مناخ فرنسي، يكون تابعا لفرنسا، ومندمجا فيها، هذه السياسة أتت والحمد لله بعكس ما كانت ترمي إليه، إذ قوت عزيمة شعوب المغرب العربي، على التمسك بمغربيتها، وعربيتها، وإسلامها، ووحدتها، وزادت في تقوية الروابط المتينة التي تربطها ببعضها، وجعلت الحركة الوطنية الاسلامية، في أقطار المغرب العربي، تتفاعل وتتجاوب مع بعضها، فكان الاتصال قويا بين كتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني من جهة، وبين جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب الجزائري في الجزائر والحزب الحر الدستوري في تونس من جهة أخرى، كان التجاوب قويا، والتضامن كبيرا في معركة المصير. وتجلى هذا التجاوب في كثير من المناسبات، ومع مرور السنين والأعوام، طوال أعوام الكفاح الوطني، ضد الاستعمار الفرنسي، ابتداء من الثلاثينيات إلى الخمسينيات والستينيات التي تحررت فيه الشعوب الثلاثة من نير الاستعمار الأجنبي البغيض.

ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الافريقي

وبهذه المناسبة أشير إلى الميثاق الهام الذي دعا إلى وضعه أثناء اشتداد الأزمة بيننا وبين الفرنسيين في الخمسينيات فضيلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عندما كان بباريس أوائل سنة 1952 والذي نشرته جريدة البصائر في العدد 185 والذي جاء فيه :

«وبما أن الحالة في إفريقيا الشمالية، أصبحت على جانب كبير من الخطورة، تتطلب من الحركات الوطنية تبصرا ويقظة، وتفرض عليها تقوية وحدتها، ومضاعفة عملها، وبما أن هذه الحركات مصممة على إنهاء النظام الاستعماري وتمتيع بلادها بأنظمة مبنية على السيادة، والديموقراطية، تحرر شعوبها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وتضمن لجميع السكان دون تمييز حقوقهم وحرياتهم.

وبما أن إفريقيا الشمالية، تلعب دورا سياسيا في الظروف الدولية الحاضرة، وبما أن شعوب إفريقيا، مهتمة قبل كل شيء، بتحريرهم القومي، ولذا فإنهم يعتبرون أنفسهم أصدقاء، ومشاركين لكل من يعترف بحقهم في الحرية.

«وبما أن تونس والجزائر والمغرب، موحدة بروابط روحية، وتاريخية، وجغرافية، وثقافية، ولها أماني قومية واحدة، ومصالح عليا مشتركة، وبما أن النظام الاستعماري المفروض على شعوب الشمال الإفريقي، واحد في أهدافه ووسائله. رغم الفوارق القانونية الشكلية، إذ الغاية التي يرمي إليها، هي تحطيم كيان هذه الشعوب، وتأييد سيطرة الاستعمار واستغلاله.

فلمواجهة هذه الحالة، أصبح لازما على جميع الأحزاب والمنظمات الوطنية، بشمال إفريقيا، أن تؤلف جبهة مشتركة لمقاومة قوات الاستعمار.

«لهذا كله، فإن الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال إفريقيا، المجتمعة بباريس يوم 2 فيفري 1952 م المعبرة أصدق تعبير عن رأي شعوب الشمال الافريقي، قد قررت عقد الميثاق الآتي :

(نص الميثاق)

أولا : تتعهد الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال إفريقيا :

أ) بمتابعة الكفاح ومضاعفته، في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار. والوصول بأقطارها ــ في دائرة ميثاق الأمم المتحدة ــ إلى نظام دولي ديموقراطي متمتع بسيادته.

ب) بتنسيق عملها، لتحقيق هذه الأهداف، داخل إفريقيا الشمالية وفي الميدان الفرنسي والدولي.

ج) بالبحث دوريا في حالة الشمال الإفريقي على ضوء الحوادث في الداخل والخارج.

ثانيا : لجنة الاتحاد والعمل

تقرير تأليف لجنة اتحاد وعمل للشمال الإفريقي، وإنشاء كل هيأة أخرى لازمة لتنفيذ هذا الميثاق.

الجزائر : حزب البيان الجزائري ــ حزب انتصار الحريات الديموقراطية

تونس : الحزب الحر الدستوري الجديد ــ الحزب الدستوري التونسي.

المغرب : حزب الاصلاح المغربي ــ حزب الوحدة المغربية ــ حزب الشورى والاستقلال ــ حزب الاستقلال

دعا إلى هذا الميثاق وسعى فيه وشهد به :

محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولقد أسند الرئيس الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الشيخ محمد خير الدين والشيخ العباس، ومعهما وفد من أحزاب شمال إفريقيا، للقيام بتسليم هذه الوثيقة إلى السيد تريفيلي، الكاتب العام لجمعية الأمم، فسلمها بالنيابة عنهم، الشيخ محمد خير الدين، كما ذهب وفد لتسليم نص الميثاق، إلى الزعيم مصالي الحاج الذي كان إذذاك في إقامة جبرية، في منطقة تبعد عن باريس بحوالي خمسين كيلومتراً، فزار الوفد الزعيم مصالي وسلمه نص الميثاق فوافق عليه بدوره.

تعرّفي على الزعيم مصالي الحاج

وبالمناسبة أود أن أسجل هنا، أول تعرف لي على الزعيم مصالي الحاج رحمه الله، فلقد كانت جريدة «الوداد» الخطية التي كان يصدرها الصديق المرحوم سعيد حجي نشرت بتاريخ 26 رجب 1347 هـ الموافق 8 يناير سنة 1329، خبرا نقلته عن جريدة



الزعيم الجزائري مصالي الحاج

(الإقدام)، التي كانت تصدر بباريس، والتي كانت تصدرها جمعية (نجم الشمال الافريقي)، التي كان يترأسها الزعيم مصالي رحمه الله، وجاء في هذا الخبر ما يلي :

ان جمعية نجم الشمال الافريقي، باعتبارها للحالة الخاصة، بكل من البلدان الثلاثة المتركب منها شمال إفريقيا، من حيث موقعها الجغرافي، وتاريخها وظروفها الاقتصادية، والسياسية، ونظامها الدستوري، قد سنت لكل من الأقطار : تونس، والجزائر والمغرب، برنامجا يحتوي على المطالب الخاصة به، ولكنها تطالب للجميع بالاستقلال التام، إن استقلال أحد الأقطار الثلاثة، لايتحقق، إلا بقدر ما تكون الحركة التحريرية في معاضدة من طرف القطرين الآخرين، وكل من هذه الأقطار المذكورة، فائدته في تحرير القطرين

الباقيين، فواجب الجميع إذا، هو مساعدة كل واحد من شعوب الشمال الإفريقي التحريرية، إلى أن تقرن بالنجاح التام، فبفضل جهود تلك الشعوب، وإيجاد ارتباط ودي وخالص، وعلائق أخوة حقيقية، ومساعدة أدبية ومادية واقعية متبادلة بينها، تنجح مقاومتها في سبيل استقلال المغرب والجزائر وتونس).

وبعدما عددت مطالب تونس ومطالب الجزائر، ذكرت مطالب المغرب فقالت :

مطالب الشعب المغربي

1) إخلاء المغرب العاجل من جيوش الاحتلال الفرنسية والاسبانية وإبطال نظام الحماية.

2) إبطال العمل بالنظام القاضي بأن تكون طنجة بين الدول (لعله يريد منطقة دولية) والاستقلال التام للقطر المغربي.

3) الحريات السياسية والاجتماعية (حرية الصحافة والقول والاجتماع والاعتصاب والحق النقابي).

4) تأسيس مدارس للتعليم العصري باللسان العربي ومجانا.

5) القوانين الاجتماعية لحماية العملة.

6) إسعاف الفلاحين الصغار بقروض بدون فائدة.

7) تسليم الأراضي التي استولى عليها المعمرون والشركات الرأسمالية للفلاحين.

8) الشؤون العامة التي تقع تحت تصرف الشركات الأجنبية، ترجع ملكا من حقوق الحكومة المغربية.

ولقد عقبت الجريدة المذكورة (الوداد) على هذا المشروع بما يلي :

(الوداد) نرفع صوتنا مع هذه الجمعية، التي لاشك أنها سيقع لها تأثير عظيم. ونقترح على الجمعية الودادية، أن تمد يد الاعانة إليها، وتنشر على صفحات (الاقدام) بعض المقالات، (ليحي الاستقلال).

هذا ما نشرته جريدة الوداد الخطية نقلا عن جريدة «الإقدام» ولست أدري لحد كتابة هذا، هل كان ضمن جمعية نجم الشمال الافريقي إذ ذاك، بعض الأفراد المغاربة

ومن هم ؟ لم يحدثني إخواني الذين كانوا يدرسون إذ ذاك في باريس عن هذا الموضوع، وبالرغم عن ذلك، فإن فكرة الاستقلال، كانت تراود بعض العاملين المخلصين في المغرب العربي إذ ذاك، وكانوا يفكرون في المطالب التي لابد من تحقيقها، ليسير المغرب في طريق النهضة الحقيقية، والتمتع بالحريات العامة الأساسية، وإعطاء الحقوق الكاملة للطبقة العاملة، بمن فيها الفلاحون الصغار، وإرجاع الأراضي التي اغتصبها المعمرون الفرنسيون للفلاحين، الذين اغتصبت منهم.

بعد كتابة ما تقدم، وقفت على رسالة كانت وصلت إلى المرحوم الشاعر عبد الرحمان حجي من جمعية نجم الشمال الافريقي سنة 1927 جاء فيها مايلي : الموقر المحترم الشريف سيدي عبد الرحمان حجي، دام محروساً. مواطننا الكريم، قد منَّ علينا الإله الكريم، فتسلمنا عنوانكم من أحد الأفاضل المراكشيين، الذي أطلعنا على إحساساتكم نحو شعبكم المظلوم، وحبكم المتفاني لوطنكم المغتصب، فكاتبناكم بقصد ربط العلائق بيننا :

وبعد أن توضح الرسالة الدواعي الوطنية، لتأسيس الجمعية. تختم بهذه العبارات.

وأملنا وطيد، أن تقوم جمعيتنا، بالواجب الذي أخذته على عاتقها وأن تتمكن من توحيد قوات أبناء الشمال الافريقي الحية، حتى لاتتكرر أمام أعيننا، جناية الريف التي رأينا بمناسبتها مسلمي المغرب والجزائر وتونس يقاتلون إخوانهم الريفيين الذين لاجرم لهم، إلا الذود عن حريتهم المهددة، والدفاع عن بلادهم التي رام الاستعماريون اغتصابها.

وفي الختام، نرجوكم أيها المواطن الكريم أن تطلعونا على فكرتكم في الموضوع الذي نحن بصدده، ونطلب منكم أن تتفضلوا بقبول فائق احترامنا.

الامضاء :
الجيلاني شابيلة
الكاتب العام لجمعية نجم الشمال الافريقي

لقد وقفت على هذه الرسالة في الكلمة التقديمية التي قدم بها الأستاذ المرحوم محمد زنيبر ديوان الشاعر المرحوم عبد الرحمان حجي (ص : 41) ولعله عثر عليها ضمن أوراق الشاعر المذكور. ولست أدري ماذا كان جواب عبد الرحمان حجي للرسالة التي وصلته من جمعية نجم الشمال الافريقي ؟ وهل كان له ارتباط بها بعد وصول الرسالة ومراسلات معها أم لم يتم أي ارتباط معها، فإن الأستاذ زنيبر لم يتعرض لهذا

الموضوع واكتفى بأن استدل بالرسالة على أن عبد الرحمان حجي كانت له سمعة في الخارج كشخصية وطنية يتقرب إليها، ويريد التعاون معها العاملون في الميدان الوطني إذ ذاك، ومنهم أعضاء جمعية نجم الشمال الافريقي بباريس التي ترأسها المرحوم مصالي الحاج.

جمعية سرية في سلا

وما دمت تحدثت عن جريدة (الوداد) الخطية (لا التي كان يصدرها السيد محمد اشماعو في الثلاثينيّات). فلأبين أن هذه الجريدة الخطية، كانت تصدرها جمعية سرية بمدينة سلا، أواخر العشرينيات، وكان هدف هذه الجمعية كما جاء في جريدتها : (عبارة عن جماعة من الشباب المغربي، أخذ على نفسه الاستقامة الدينية والأدبية، وتخلق بالدين الاسلامي، وحفظ كيانه الوطني، وعمل لنصرة الحق، ونشر الدين والفضيلة والعلم، ووقف حياته لخدمة بلاده، أسست هذه الجمعية بإلهام من الله وتوفيق، وإن شئت فقل، بداع وطني وغيره، وهي تجري نحو مقاصدها الصالحة بكل نشاط، وترمي إلى أشواط بعيدة، ولما تصل إليها، وفي يقيني أنها تصل إليها في قريب، بفضل ثبات أعضائها، وتضحيتهم الصادقة، أسست هذه الجمعية، لتصرف همتها إلى خدمة الوطن المفدي، ونقده من وهدته : مبدؤها الوداديين سائر الطبقات، والأجناس، والأديان، الوداد مبدؤنا، الوداد شعورنا، الوداد مقصودنا، نحن لا نحقد على أي فريق، حتى ولا على فرنسا، ولا يجب أن نحقد، يجب أن نعمل لمصلحة ديننا ووطننا، دون أن نعادي أي جنس، مقصدنا الأسمى أن تكون الأمة المغربية تتمتع بكل قوتها الطبيعية، فنريد أن تكون جمعيتنا الودادية، أم سياسة المغرب، لها فروع في أنحاء المغرب أجمع، لها في الدوائر السياسية أكبر نقطة، ولا إخال هذا صعبا، بل هو عندي أيسر مما يتوهم بكثير، إذا نحن تابعنا خطة الوداد المحضة، يجب أن تعمل الجمعية لمستقبلها جسورا فولاذية، تتوصل بها إلى غايتها القصوى، وذلك أن تتشبث بما زهد فيه الشبان الطائشون، وترد ثورتهم الطائشة بكل لطافة ولباقة، يجب أن تكون لها يد عاملة في إدارة كثير من الطوائف، وأصحاب الطرق، فهذا الأمر الوحيد الذي لاغنى عنه، والذي عندي الشيء الوحيد الذي لايمكن للجمعية أن تقضي مهمتها بدونه).

ويظهر لي أن هذا المشروع لجمعية الوداد، حرره شخص واحد، ويلاحظ أن مطامحه واسعة، ولربما كانت صعبة التحقيق، بالنسبة للظروف التي كانت لدى التفكير في

تأسيسها، ومع ذلك فإن المشروع يبرهن على أنه كان يوجد شباب في مقتبل العمر، يطمحون إلى التغيير في الأوضاع، ويفكرون جيدا فيما يجب عليهم القيام به لتسيير بلادهم في طريق التقدم والرقي والتحرير، كما أن تفكير صاحب المشروع بالخصوص، ويغلب على ظني أنني أعرفه — وإن كنت لا حجة لي على ذلك — برهن في مستقبل حياته على ابتعاده عن الفكر السلفي، واتباعه المنهج الطرقي، وان كان الذين كانوا معه لم يسايروه في نفس المنهج، حسب تعرفي على البعض منهم، وإن كنت لست من المنخرطين في جمعيتهم الودادية المذكورة.

إن هذه الجمعية الودادية، كانت لها بعض النشاطات الأدبية، والسياسية المحدودة، ولقد ساهم بعض أعضائها مساهمة طيبة في أحداث الظهير البربري، ظهير 16 ماي 1930، وقاومت السياسة التي خطط لها الفرنسيون، لإحداث شقة خلاف بين المغاربة أي بين من كانوا يسمونهم بالبرابرة، وبين من يسمونهم باليعربيين، مع أن الشعب المغربي شعب موحد، لا فرق بين عربه وبرابرته، لا في الدين ولا في الأصل الأصيل، ولا في المطامح المشروعة، فالاسلام وحدهم، والمصاهرة مزجت بينهم، ورغم اختلاف اللغات واللهجات في بعض المناطق، فإن روح الوحدة الحقيقية التي صهرها الاسلام، وآمنت بها الدول المتعاقبة في تاريخ المغرب، منذ اعتناقه الاسلام، سواء كانت عربية كالدولة الإدريسية والسعدية والعلوية، أو كانت بربرية، كدولة المرابطين والموحدين والمرينيين، وتلك هي المزية الكبرى التي طبعت التاريخ المغربي، ففكرة الانعزالية، والتقسيم، والعنصرية، والانتماء الجنسي، لم تكن موجودة أثناء بدء انتشار الوعي الوطني السليم، رغم ماكان يبذله رجال الاستعمار الفرنسي من جهود، لخلق شقة خلافات في الرأي والتوجه بين الشباب المغربي المتعلم، ورغم أنهم لدى وضعهم للبرامج التعليمية لأبناء المغرب، أرادوا أن يفرقوا بين التعليم الذي يلقن لسكان المدن، وسكان البوادي، وخصوصا في المناطق التي كانوا يدعونها بالمناطق البربرية، كمنطقة آزرو، التي شيدوا فيها مدرسة ثانوية لأبناء البربر، ومنعوا فيها تعليم اللغة العربية، واقتصروا على التعليم بالفرنسية، مع الإلزام بالتحدث بالأمازيغية، وكل هذا كان المقصود منه، خلق تيار جديد في الشباب المغربي، يعادي اللغة العربية، لغة القرآن والدين، والحضارة المغربية الأصيلة، والثقافة الاسلامية التي كانت دائما، وخلال القرون موضع اعتزاز، وتكريم، وفخر، من طرف إخواننا الأمازيغيين، سكان المناطق البربرية على اختلاف لهجاتها، ولقد جاءت أحداث قضية الظهير البربري، لتؤكد أن الوطنية المغربية، والشعب المغربي عموما، ملتحم مع بعضه بعضا، لافرق بين سكان المناطق البربرية، وبين سكان المدن

والقرى العربية، وأن القرآن الكريم، كتاب الله المنزل باللغة العربية، أكد هذا الالتحام وقواه، ولم يترك للمستعمرين أي باب ينفذون منه، لتطبيق سياستهم الجهنمية التي مبناها : (فرق تسد).

وفي هذه الأفكار والتوجهات، تربى الشباب الوطني، وفي ظلال هذه التوجهات الفكرية، نشأت الحركة الوطنية المغربية، إسلامية المنبت، موحدة الاتجاه، معتزة بالأصالة، متشبثة بالقيم الحضارية التي أتى بها الاسلام، والتي وجد فيها المغاربة الأصلاء، ما كانوا يطمحون إليه من عزة، وكرامة، وسعادة، وهناء، وفي ضوء المبادىء الاسلامية، وعلى أساس التمسك بها، قامت الدول المغربية المتعاقبة، منذ الأدارسة إلى العلويين، لم يخالج أية دولة من تلك الدول، أية أفكار عنصرية لتقوم عليها، أو انقسام في صفوف الشعب المغربي المتشبث بأصوله الحضارية العريقة التي غذاها الاسلام وقواها ونماها.

وبسبب ما ذكرناه وألححنا عليه بالتوضيح، خسرت السياسة الاستعمارية الفرنسية صفقتها، وأدركت وأدرك دهاقنتها، أنهم أمام شعب متشبث بمغربيته وحضارته وإسلامه ووحدته، وأن مخططات الاستعمار باءت بالخسران، وسوف لا تقوم لها قائمة بعد الآن. وأن ما تقوم بإحيائه بعض الدوائر الأجنبية في هذه الظروف من محاولة لتشتيت للرأي الوطني والفكر المغربي والتوجه الاسلامي الوحدوي، سيلاقى نفس ما لاقاه المخطط الاستعماري التفريقي قبل عام 1930 وبعد ذلك، من مقاومة من كل المغاربة سواء منهم سكان المناطق التي تتكلم بالأمازيغية أو التي تتخاطب بالدارجة العربية في بقية المناطق الأخرى، لأنّ الشعب المغربي في كل المناطق المغربية متشبث بالعروة الوثقى التي جاء بها الإسلام والتي قاومت كل الأفكار العنصرية والقبليَّة والتفريقية والتي أكدت أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، لافرق بين عربها وعجمها ولا بين بربرها ومستعربها، فليس من الاسلام الدعوة إلى عصبية كيف كان نوعها، فالمغاربة مسلمون ملتحمون مع بعضهم بعضاً وأخوتهم ثابتة دائماً وأبداً رغم كيد المستعمرين.

فاجعة الحركة الوطنية في موت فقيد الصحافة الوطنية سعيد حجي

تحدثت في الصفحات السابقة عن جمعية الوداد الوطنية، وعن الأهداف التي تكونت من أجلها أواخر العشرينات، ولقد كان أحد مؤسسيها اللامعين، الشاب الوطني اللامع، المرحوم سعيد حجي، الذي بكر نبوغه، وتنوعت مواهبه، وتعددت أعماله ومشاريعه،



صورة المرحوم السعيد حجي

فكان من الشباب الوطني الملتزم لقضية بلاده ووطنه، وكان من الصحفيين الذين أعطوا للصحافة الوطنية في بداية نهضتها، مركزها الفكري النهضوي، ودعوتها الوطنية السليمة، ورسالتها في البعث الفكري والاصلاحي، والسياسي، والوطني، وأبرز بنشاطاته المتعددة، سواء في الميدان السياسي، أو الثقافي أو الاجتماعي، أن الشاب المغربي إذا ما فتح أمامه المجال، وتهيأت له الأسباب، وزالت من أمامه العراقيل والمثبطات، يستطيع أن يؤدي رسالته الكاملة، لخدمة بلاده، والنهوض بها في مختلف المجالات.

نبـوغ مبـكـر

لقد وهب الشاب سعيد حجي حياته كلها لبلاده، كاتبا مقتدرا، وباحثا اجتماعيا صادقا، ومحللا سياسيا بارعا، وصحافيا مومنا بقمية الرسالة الصحافية في تطوير المجتمعات، والنهوض بها، لتسير في طريق التقدم والرقي، كان عضوا من أعضاء كتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني الأساسيين، وكان فكره الناضج، رغم صغر سنه، ونشاطه في مختلف مجالات الحياة، مدعاة التقدير والإعجاب، شارك مشاركة جادة في تحضير وتهييء مطالب الشعب المغربي، المقدمة إلى الدوائر المسؤولة في دجنبر 1934، وساهم في إعداد المطالب المستعجلة المقدمة إلى المسؤولين سنة 1936، ووهب نفسه للصحافة الثقافية والسياسية، فأصدر جريدة «المغرب» اليومية التي تعتبر بحق أول جريدة يومية وطنية حرة بالمغرب، والتي بقيت تصدر منذ بدء صدورها سنة 1937 إلى مارس سنة 1942 حيث توقفت إثر وفاته رحمه الله. ثم عاودت الصدور إلى حادي عشر يناير 1944 تحت إدارة أخيه الأستاذ عبد الكريم حجي ورئاسة تحرير صديقه الأستاذ قاسم الزهيري، وكان آخر عدد صدر منها إذ ذاك مبشرا ببزوغ عهد الحرية والاستقلال،


عبد الكريم حجي


قاسم الزهيري

حيث كان العنوان الرئيسي في ذلك العدد كما يلي : (المغرب ملكا وحكومة وشعبا يطالب بالاستقلال) هذا الرجل العصامي المقتدر، وهذا الشاب الوطني الديناميكي المتميز، الذي كان بجانب جماعتنا الوطنية، يتقد حماسة ووطنية ونشاطا، افتقدناه ونحن في أشد الحاجة إليه، وفي ظروف كنا نتحفز فيها، لاغتنام أية فرصة تتهيأ لنا، لنرمي وراء ظهرنا عار الحماية الأجنبية، ونعمل جادين لاسترجاع استقلالنا المفقود، وحريتنا المغصوبة.

كانت الظروف ظروف الحرب العالمية الثانية، وكان سعيد خلالها يتحرك بمهارة في المجال السياسي، لعله يظفر لبلاده ببعض الحقوق التي يتطلع إليها، وشاء الله تعالى أن يصاب بمرض عضال، لم يمهله إلا بعض الأسابيع، فأدركته المنية التي تدرك كل حي، والتحقت روحه بخالقها الذي لايخيب من سعى إلى الخير، وعمل لصالح البلاد والعباد.

لقد توفي سعيد حجي ليلة الثلاثاء رابع عشر صفر الخير عام واحد وستين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق لثاني مارس سنة اثنين وأربعين وتسعمائة وألف فتركت وفاته فراغا لايملأ، وحسرة في القلوب لاتنسى، فرحمه الله رحمة واسعة، وجازاه الجزاء الأوفى على ماقدم من الصالحات ﴿وإنا لله وإنا إليه راجعون﴾[1].

أول من استفدت من معلوماته وتجاربه

يظهر أنني لا أتجنى على الحقيقة، إذا ما اعترفت، بأن أول شخصية استفدت من معلوماتها وتجاربها الوطنية والسياسية، هي شخصية المرحوم سعيد حجي، الذي توثقت الصلات بيني وبينه ابتداء من سنة 1929، ودامت إلى أن لقي ربه عام 1942، وكان يعجبني فيه، فكره النزيه المتفتح، ومعرفته الدقيقة بالأشخاص، ووزنهم بميزان العدل والإنصاف، سواء من الناحية الفكرية، أو الوطنية، أو تعاملهم مع الغير، كيفما كان ذلك الغير، سواء من الأصدقاء والأقرباء أو الأصحاب، أو حتى من الوالدين والإخوة والأصهار، وطالما حدثني عن فلان، واستغرابه من طريقة تعامله مع والدته، وكثيرا ما انتقد بعض الأشخاص الذين كانوا في نظره، ينقلون الأخبار دون تثبت، فينشأ عن

(1) لقد أصدرت كتاباً في جزءين عن السعيد حجي : حياته ونشاطه الوطني والثقافي، وبعض إنتاجه الفكري.

ذلك تغيير في الصدور، وبغض في القلوب، وكان ينتقد انتقادا مرا بعض الاخوة الذين ينصتون لما يصلهم من أخبار، قد تكون كاذبة، فيتأثرون بها، وتسير معاملتهم مع غيرهم من الأصدقاء، وفقا لما استمعوا إليه من أخبار كاذبة، ورغما من أن ممارسته للواجبات الدينية لم تكن مضبوطة، فإن التعامل معه رحمه الله كان في منتهى الصدق والصراحة والأخوة وعدم التجريح، كان لونا من الرجال القليلين، رغم أن الذين لم يتعرفوا عليه التعرف الحقيقي، لم يدركوا حقيقته، بل فيهم من كان لا يطمئن إليه كثيرا من الاطمئنان.

لقد لعب السعيد أدواراً كثيرة في المجالين : الوطني والسياسي، سواء أثناء وجوده داخل المغرب، أو لدى وجوده في الشرق العربي، سواء في سوريا أو فلسطين أو مصر، وكان نشاطه الوطني لا يشغله عن نشاطه الثقافي، إذ كان يكتب في المواضيع الثقافية مثل ما يكتب في المواضيع السياسية، وكان نشاطه الصحفي مضرب الأمثال، ولعله كان يعتبر نفسه خلق للصحافة، سواء منها الثقافية أو السياسية. وإن مراجعة لما كتبه وحرره من افتتاحيات في جريدته (المغرب) ومقالاته وأبحاثه في الملحق الثقافي للمغرب، وفي مجلة المغرب التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة، تعطي الباحث الخبر اليقين. لقد كانت له نظرات سياسية خاصة في كثير من القضايا، وكانت تحركاته السياسية متعددة الأشكال، ولذلك فإن الكثيرين من الذين لم يسبروا أغواره، لم يدركوا حقيقته، ولم يقدروه حق قدره، وهذا ما دعاني للكتابة عنه، للتعريف به قدر الامكان، مؤملا إن فسح الله في الأجل، أن أتعرض في كتابات آتية لجوانب أخرى من شخصيته رحمه الله وأجزل له الثواب.

صلاتي بإخواني قامت على الصفاء والصدق

وبالمناسبة أشير إلى أنني أثناء فترة الثلاثينيات وما بعدها، تعرفت على الكثيرين من الاخوة والرفقاء، واستفدت من الاتصال بهم، ويمكنني أن أدعي أنني استطعت والحمد لله، أن أتعرف على شخصياتهم، وأسبر أغوارهم في مختلف المجالات الفكرية والسياسية والوطنية والدينية والأخلاقية والمزاجية، وفي ظروف السراء والضراء.

ولقد كنت بمعونة من الله، أتعامل معهم، بكامل الصدق، والاخوة، والوفاء، معطيا كل واحد ما يستحقه من تقدير، وأستطيع أن أقول : إنني أثناء تعاملي، وتعاوني معهم، لم يخامر نفسي ــ والحمد لله ــ أي غدر، أو حسد، أو غيرة من أي منهم، وإنما كانت معاملة بالحسنى، فإذا تلاقى تفكيري معهم، أو بعضهم، سرنا يدا في يد، وإذا كان هناك اختلاف في وجهة النظر، سرت مع تفكيري وما أومن به، دون أن يخطر ببالي أن أمس أي واحد بسوء، لا بالقول ولا بالفعل، وقد أصرح أمام الشخص، أو في غيبة منه، أنني لا أتفق معه في بعض الأعمال أو التصرفات أو التوجهات، ولكن دون طعن أو قدح أو أي إضرار. والمسيرة الوطنية، مسيرة طويلة ولقائي مع إخواني في الوطنية، سواء في سلا أو في غيرها من المدن، كان دائما متصلا، وعلاقتي حتى مع الذين كانوا مختلفين معي في الرأي والتوجه، كانت دائما علاقة طيبة، ولا أقول حميمة، لقد أخذت عهدا على نفسي، أن لا ألمز أحدا كيفما كان تعامله، وكيفما كانت طبيعته، وكيفما كان مزاجه، وأعترف بأن جماعتنا الوطنية الأولى في سلا، لم يكن أفرادها المهمين، ذوي طبيعة واحدة، أو مزاج واحد، أو حتى تفكير واحد، وثقافة واحدة، ولكني بالرغم عن ذلك كانت معاشرتي معهم، وتعاوني وإياهم، في منتهى ما يكون من الانضباط والاحترام، وكنت أتحمل بعض المتاعب، في تقريب الأفكار المتناقضة، الناتجة عن بعض التصورات الخاطئة، أو الأمزجة المختلفة، فلقد كنا أحيانا أثناء بعض اجتماعاتنا، تتناطح الأفكار، وتهيج العواطف، وتنتفخ الأوداج، ويصدر من الألسنة بعض الهجر من الكلام، ويكاد بعض الاخوة يصلون إلى القطيعة، ولكن توفيق الله، والصبر على المكاره، والتجاوز عن بعض الأخطاء، والتسامح الكبير، والعمل المضني على تقريب الأفكار، جعلنا والحمد لله نتغلب على الصعاب ونحتفظ في الأخير بما يتطلبه الواجب،

من ضرورة الحفاظ على التعاون والوحدة، ولولا أنني لأود أن أثيرَ بعض الحزازات، لأتيت ببعض الأمثلة، وذكرت بعض الأشخاص والأحداث ولكن ذكرى لما ذكرت، إنما كان لأؤكد على حقيقة أساسية، أريد أن يستفيد منهما من ينصب نفسه، ويوفقه الله للعمل الوطني، فيوطد نفسه على التحمل، والصبر، والأناة، وعدم إساءة الظن بإخوانه، العاملين معه في الحقل الوطني، حتى يمكنه أن يؤدي رسالته الوطنية، ويقوم بواجبه خير قيام.

أثناء عملي الوطني خلال الثلاثينيات وبعدها، تعرفت على الكثيرين من الوطنيين — كما ذكرت — في مختلف الجهات، ومختلف المواقع، والبعض منهم كنت أسمع عنه، الكثير قبل أن أتعرف عليه، ويجب أن أعترف أن البعض منهم زادوا مقاما عندي، عندما تعرفت عليهم عن قرب، والبعض الآخر، وجدته دون ماكنت أسمع عنه، كما أعترف أن اطلاعي ومعرفتي ببعض الجوانب في هؤلاء أو أولئك، لم تحصل دفعة واحدة، ولا في العام الواحد، بل ولا في العقد الواحد، وإنما هي الظروف والتقلبات، كانت تكشف لي بعض الجوانب التي لم أكن أتصورها، سواء أكانت إيجابية أو سلبية، ولكن هذا كله، لم يؤثر مطلقا على تعاملي مع الجميع، كل واحد في موقعه، الذي هيأته له الأقدار، وسواء كانت نظرتي إلى الشخص، تزيدني به ارتباطا، إذا ما اكتشفت فيه بعض الخصال الطيبة التي لم أكن تعرفت عليها، فإني إذا ما اكتشفت خصالا سلبية، أكتفي بمعرفتها، لتجعل معاملتي مع ذلك الشخص، في دائرة ما يحقق الأهداف المثلى، دون أن أذهب بعيدا في مختلف أنواع التعامل، أو حتى في تكثير الاتصال، فتبقى العلاقة الانسانية الطبيعية في محلها، دون إخلال بالواجب في التعامل الضروري.

لقد تعاملت مع إخواني الذين سبقوني في العمل الوطني، بكامل التقدير والتبجيل، وأشهد أنني كنت أنظر إلى السابقين الأولين نظرة التلميذ إلى أساتذته، وفي اتصالاتي واجتماعاتي معهم في المراحل الأولى، كنت أستحيي حتى أن أناقشهم، أو أبدي أي رأي مخالف لرأيهم، معتقدا أنهم أوسع مني ثقافة، وأكثر تجربة، وأعلم بمجريات الأحداث، وخصوصا في القضايا السياسية العويصة، ولكن هذا لم يبق دائما، فما أن خبرت الحياة مثل ما خبروها، وما أن تتبعت الأحداث مثل ما اتَّبعوها، حتى صرت أدلي بدلوي بين الدِّلاء، وأعبر عن رأيي ضمن الآراء، وأدافع عما أراه الصواب كامل الدفاع، دون أن أطعن في أحد، ودون أن أتخلى عما أراه الحق الواجب الاتباع في أخذ القرار، وأسجل هنا أنني لدى اقتناعي برأي من الآراء، لم يكن يدفعني التحزب الأعمى، فالحق أولى بالاتباع من أي رأي، مهما كان مصدره، وأسجل أيضا أن نظرتي

لأي شخص مهما كانت مكانته عندي، لا تجعلني أنقاد لرأيه تقليدا دون تمحيص، إلا إذا كانت معرفتي بالموضوع الذي يناقش، معرفة غير كاملة، وكنت أعتقد أنه أعلم مني بالموضوع، فهناك أثق بتفكيره، وأؤيده فيما يدافع عنه، وهنا يجب أن أشير إلى أن جماعتنا الوطنية السرية، (الطائفة أو الزاوية) كان يجمعنا فيها عهد وميثاق، أدينا عليهما اليمين أمام المصحف الكريم، ومن أجل هذا فإن علاقتنا مع بعضنا أصبحت من القوة والثقة، ما جعلنا نثق ببعضنا الثقة التي كادت أن تكون عمياء، فلا يتصور أي أحد منا، أن يتعامل مع أخيه بغير الصدق، ولا يتصور أن يكذب الرائد أهله، مهما كانت الظروف والملابسات، كانت الثقة المتبادلة بيننا، تجعلنا نؤمن على ما يقرره البعض منا، ولو في غيبة عن البعض الآخر، فلا يتصور أي واحد منا، أن إخوانه اتخذوا قرارا في موضوع من المواضيع، دون داع مصلحي لذلك، ولا دون غاية شريفة، والقرارات التي تتخذها جماعتنا السرية، تبقى دائما سرية، ولايمكن أن يطلع عليها أي كان، وهذه السرية أفادتنا كثيرا في نشاطنا الوطني، وأفادتنا أكثر عندما ارتبطنا الارتباط الوثيق بجلالة الملك المرحوم محمد الخامس نور الله ضريحه، فلم يستطع الأعداء أن يتعرفوا — رغم ما بذلوا — على حقيقة تعاوننا معه، ونحن نحضر وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولم يستطيعوا أن يدركوا المراحل التي قطعناها معه، بعد المطالبة بالاستقلال وأثناء فترة الأربعينيات، وبداية الخمسينات إلى أن تحقق الاستقلال، لقد فهمنا جيدا الحكمة التي تقول : (إستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) ولو افتضح سر ارتباطنا، وعلاقتنا، وتعاوننا، مع محمد الخامس، لسار التاريخ في غير المسار الذي سار فيه، ومن الفضائل أو الغرائب التي يشار إليها في موضوع أسرار الطائفة، أن الذين انفصلوا عن كتلة العمل الوطني، وهم من الطائفة، لم يبح أي أحد منهم بأي سر من أسرارها، ولم يعلم أي واحد من الناس خبراً عنها، لا عن طريقهم، ولا عن طريق غيرهم، ولربما كان البعض من هؤلاء المنفصلين، يعتقد أنه بعد الانفصال، انحلت الجماعة التي كانت تسمى بالطائفة، ولكن المعجزة أن الطائفة بقيت موجودة، ولربما أدت رسالتها السرية خلال سنة 1944، مالم تؤده أية جماعة وطنية أخرى، قبل الاستقلال أو بعد الاستقلال.

لقد كان الفرنسيون يشعرون أن هناك تجاوبا كبيرا بينا وبين محمد الخامس، ولكن سبيل الوصول إلى إدراك الحقيقة عن اتصالنا به، وكيف كان ؟ بقي غائبا عنهم، رغم جواسيسهم المتعددين، من الفرنسيين، والأهالي، ورغم عيونهم المبثوتة داخل القصر الملكي وخارجه، لقد كانت عين الله ترعى هذا الاتصال، لتتحقق بواسطته المعجزة، معجزة تلاحم العرش والشعب، لطرد المستعمر الغاشم، وتحقيق استقلال المغرب، في فترة لاتزيد عن تقديم طلب الاستقلال، إلا بأحد عشر عاما.

الاتصال والتجاوب والتلاحم
مع جلالة الملك محمد الخامس

كان الاتصال والتجاوب والتلاحم، والارتباط بين جماعتنا، وشخص محمد الخامس رحمه الله، ارتباطا ربانيا، لم تخطه يد إنسانية، ولم تحكم اتصاله قوة بشرية، ولم توثق عراه مصالح مادية، ولكن الأقدار الربانية، هي التي حكمت كل ذلك، فإذا كانت الأقدار الربانية، والحكم الإلهية، والتدابير السماوية، هي التي أتت بمحمد الخامس، ليجلس على منصة العرش المغربي، وهو شاب صغير لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، ليقود سفينة الاستقلال إلى شاطىء النجاة، في الوقت الذي كان الاستعمار يريد منه أن يثبت أقدام هذا الاستعمار، ويركز أركانه، فإن الأقدار الربانية نفسها، هي التي جعلته سقى الله ضريحه، يعمل يده في يد «طائفة» من أفراد رعيته المخلصين، ليسير وإياهم جنبا إلى جنب، لتطهير البلاد من رجس الاستعمار، وللسير بها في طرق العزة والكرامة، ولتقديم أكثر مايمكن من التضحيات، في سبيل عزة المغرب وكرامته وتحريره من قبضة الغاصبين.

ان التدبير الإلهي، والتوفيق الرباني، هما اللذان ساقا المغرب في طرق الكفاح، والنضال، والجهاد، تحت قيادة ملك مخلص، أقوى ما يكون الإخلاص، وحكيم أكثر ما تكون الحكمة، ومؤمن أشد مايكون الإيمان، جعل يده في يد شعبه الوفي الصادق، بزعامة جماعة صادقة، وطائفة مخلصة، أعطت العهد، فوفت به، وأقسمت اليمين فبرت منه، وقدمت الولاء فما تخلت عنه، وبقيادة الملك المخلص، والطائفة الصادقة الولاء والوفاء، تحققت المعجزة، وأتى نصر الله الذي وعد به المؤمنين ﴿ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز﴾.

محمد الخامس الملك المجاهد

ليس من الوفاء، وليس من الاعتراف بالجميل، أن يتحدث الوطني عن ذكرياته في الحركة الوطنية ولا يتحدث عن الملك الصالح المجاهد سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، وليس من الوفاء أيضا أن يتحدث الوطني عن ذكرياته دون أن يتحدث عن

البدايات الأولى لنضال محمد الخامس ومواقفه فهذا الملك الذي هيأته الأقدار، ليكون ملكا للمغرب، ورائدا خرِّيتاً، في ظرف كانت الحركة الوطنية المغربية في بداية نشأتها، وكان الوعي الوطني في مستهل تكوينه، وكان الشباب الوطني في المرحلة الأولى من مراحل التحفز والنهوض لأداء الواجب المفروض عليه، هذا الملك الصالح المصلح، يجب أن نذكره في كل حين، ونعترف له بالجميل في كل الظروف. والواقع أن ولادة محمد الخامس عام 1909 بالذات كانت بشارة خير رغم أن هذا العام والأعوام التي قبله، والثلاثة أعوام التي بعده كانت تنذر بمصير مشؤوم لمستقبل المغرب، حيث كانت السلطات الاستعمارية فرنسية وإسبانية تتحفزان للانقضاض على المغرب، واحتلاله والقضاء على حريته واستقلاله، ولكن الأقدار الالهية، كانت تدبر وتقدر، وتريد أن يزداد في السنة المذكورة المنقذ والمحرر، ومضت ثمانية عشرة من السنين، يبلغ فيها الشاب، سن البلوغ الشرعي، والتكليف الديني ليلتحق والده المولى يوسف بالرفيق الأعلى، وليعلن عن مبايعته ملكا للمغرب.

كان المفروض أن يتولى الملك بعد وفاة السلطان مولاي يوسف، ولده الأكبر مولاي إدريس، ولكن الأقدار التي كانت تهيىء المنقذ الذي سيكون على يديه تحرير المغرب من الاستعمار، قررت أن يكون هذا المنقذ، هو الولد الثالث للمولى يوسف سيدي محمد الذي كان يدعي بدار المخزن سيدي حمادة، والذي لم يتجاوز سنه إذ ذاك السابعة عشرة إلا قليلا، ولذلك قرر متولو الأمر، أن يجعلوا الصدر الأعظم الحاج محمد المقري وصيا عليه. وهكذا بويع سيدي محمد الخامس يوم الثامن عشر من شهر نوفمبر عام 1927، فانتشر (البراحة) في أحياء المدن المغربية، ينادون حسب التقاليد التي كان معمولا بها : (أعباد الله، المسلمين، ما تسمعون إلا الخير، عزانا واحد في سيدنا السلطان مولاي يوسف يرحمه الله، والبركة في ولده، سيدنا محمد نصره الله) كان سيدي محمد شابا ذكيا، وكان يتعاطى دروسه على أساتذة أكفاء، منهم الفقيه السيد محمّد معمري الزواوي الجزائري الذي سيصبح رئيس الديوان السلطاني ثم مديرا للتشريعات الملكية، ومنهم الفقيه السيد محمد أقصبى.

أول ماسمعت إسم السلطان محمد بن يوسف

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما بويع السلطان الشاب محمد بن يوسف بالملك، وأذكر أني كنت طريح الفراش نتيجة وعكة صحية كانت ألمت بي، وأن إخواني



محمد الخامس عند توليته الملك عام 1927

كانوا يتحدثون أمامي عن تولية هذا الشاب خلافة والده، بمنتهى الأمل والاستبشار، ورغما من أن المنتظر كان هو تولية الولد الأكبر للملك، فإن مبايعة سيدي محمد نالت الرضى والقبول والاطمئنان. يقول المؤرخ الانجليزي روم لاندو في كتابه : (تاريخ المغرب في القرن العشرين) ص 250 : (لم يكن سيدي محمد، بوضعه من صغار أبناء السلطان، يأمل أن يصل إلى العرش، ولم تكن تربيته الأولى موجهة نحو الملكية، ولما كان ذا طبيعة تمعن في التفكير، وتحب العزالة، وكان من أولئك الذين يؤثرون الصمت على الكلام، مع حرص شديد، على الواجبات الدينية، فقد بدا للفرنسيين، أنه اختيار مثالي، كخليفة لأبيه، وكانت جميع المظاهر، تدل على أنه بعيد أن يختط في السياسة طريقا خاصة به، وكانت تربيته تربية دقيقة في بلاط شديد النظام، هو بلاط مولاي يوسف، إلى أن يقول (وعلى كل حال، فقد درج في أول الأمر، على أن يظل وراء الستار، وأن لا يخالف المقيم العام، وأن لا يظهر في المناسبات العامة، إلا إذا تطلب الواجب منه ذلك، وأن يفيد من وقته متعلما ملاحظا، متربصا، وقد اهتم بواجباته اهتماما دقيقا، فكان يقرأ بنفسه عادة كل وثيقة توضع أمامه، باحثا محتوياتها مع وزرائه) انتهى ما كتبه «روم لاندو». وبمجرد مانصب سيدي محمد بن يوسف على عرش أسلافه الميامين ألقى خطابا ينم عن الروح الطيبة التي كان يحملها قلبه الكبير، رغم صغر سنه، والطموحات التي كان يطمح إليها بالنسبة لشعبه، ولقد جاء في هذا الخطاب ما يلي :

شذرات من الخطاب الأول للسلطان محمد بن يوسف

«إن الشعب المغربي، ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة، بأكثر ما يمكن من السرعة».

كلام كبير، ونطق خطير، والتزام صادق، التزم به محمد بن يوسف لدى الساعات الأولى من مبايعته وجلوسه على عرش أسلافه المقدسين، لقد أكد أن الشعب المغربي ينتظر منه مجهودا كبيرا مستمرا لتحقيق سعادته المادية وتطوره الفكري والحضاري معا، وحرصه الشديد على الحفاظ على العقيدة التي لاتتعارض أبدا مع التقدم الحضاري.

لقد كان هذا الخطاب رغم إيجازه يوضح معالم الطريق التي سيسلكها هذا الملك الشاب للنهوض بشعبه التواق إلى التقدم في كل الميادين الحضارية مع الحفاظ على عقيدته الإسلامية.

ثلاثة أوصاف عظيمة في شخصية محمد الخامس

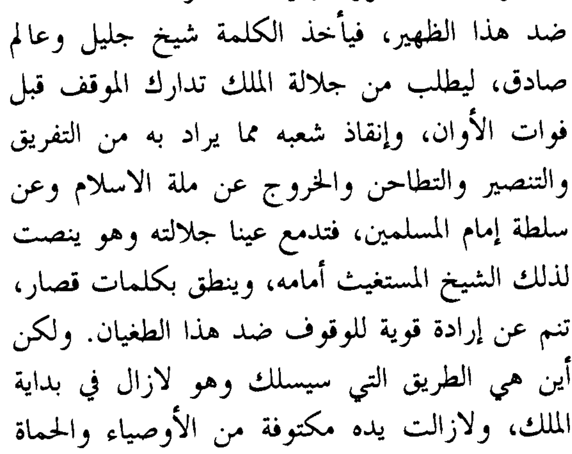
إن التمعن فيما كتبه «روم لاندو» وهو المؤرخ الأجنبي الذي لايمكن أن يتهم بإعطاء أوصاف تدفع إليها عاطفة المحبة المجردة، أو مطلق الحكم دون اقتناع، فلقد وصفه بأنه (ذو طبيعة تمعن في التفكير وتحب العزلة، ومن الذين يؤثرون الصمت على الكلام، مع حرص شديد على الواجبات الدينية) ثلاثة أوصاف، أدركها، روم لاندو» في محمد الخامس : 1) التفكير العميق 2) الصمت الكثير 3) الحرص على الواجبات الدينية، وإني أؤكد، وقد خبرت محمد الخامس، وتعمقت بتفكيري في شخصيته، واتصلت به وحدي ومع غيري، أن هذه الأوصاف التي وصفه بها «روم لاندو» ليس فيها زيف ولا تزيُّد، فلقد كان ذا تفكير عميق، وهذا التفكير هو الذي ساعده على أن لا يزيغ ولا يخطىء فيما كان سيواجهه من أحداث عظام، وكان يتأنَّى كثيرا فيما يتخذ من قرارات، لقد وجد نفسه بعد مبايعته، أنه تحمل أمانة كبرى، وتقلد مسؤولية ثقيلة تنوء بحملها الجِبال، ولا يتحملها إلا ذوو الإرادات القوية، والإيمان الصادق، وأنه محاط بمشاكل كبرى تحيط به من كل جانب، فالاستعمار الأجنبي بقوته وغطرسته، شادّ الخناق على بلاده، والمحيطون به من وزراء وموظفين، ليس لهم من الأمر شيء، ووحدة بلاده قد مزَّقها الاستعمار إلى سبع مناطق، بعضها تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وبعضها واقع تحت نفوذ الاستعمار الاسباني، وبعضها وضعت تحت نظام دولي، وبعضها اغتصبت اغتصابا وضم إلى الأقطار الأجنبية، سواء منها الفرنسية أو الإسبانية. إرث ثقيل تحمله، فهل يستطيع أن يحل هذه المشاكل الاستعمارية الكبرى. وهو لازال في ميعة شبابه.

لم تمض على مبايعته ثلاث سنوات، حتى صار يفكر ويطيل التفكير، ولايزيده التفكير إلا هما وألما وعزما لِما ينتظره من متاعب وأعمال لصالح شعبه، وهو في متاعبه وتفكيره للبحث عن الطريق التي ستنقذ بلاده من هذه الورطة التي أوقعها فيها الاستعمار الأجنبي البغيض، إذ يستصدر الفرنسيون باسمه ظهيرا أطلق عليه الظهير البربري، هذا الظهير الذي حررته لجنة فرنسية مختصة، ووضحت أهدافه حيث قالت كما جاء في محضر جلساتها الذي اطلعنا عليه بعد ذلك : (لا ضير في تحطيم وحدة النظام القضائي بالمنطقة الفرنسية، وحيث أن المقصود هو تقوية العنصر البربري، نظرا لعامل التوازن الذي قد تدعو الحاجة إليه، فمما لاشك فيه، أن هناك فائدة مؤكدة لكسر المرآة) ومن أهدافه كذلك ما شرحه أحد موظفي الاقامة العامة (موريس لوجلي) عندما

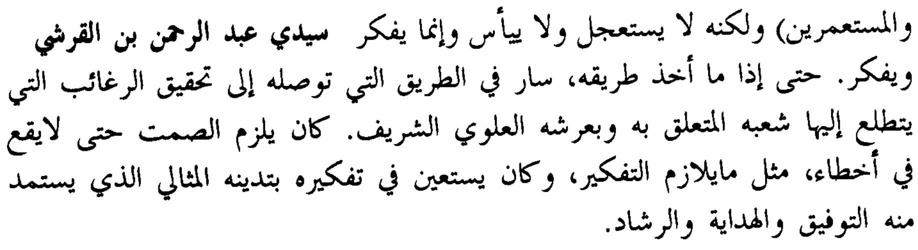
قال : (يجب أن نحذف تعليم الدين الاسلامي واللغة العربية من مدارس البربر، وأن نكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية، يجب أن نعلم البربر كل شيء ماعدا الاسلام) ولقد كتب عن أسرار هذا الظهير أيضا أحد الأساتذة الفرنسيين المستعمرين (جودفر وادومنيين) فقال : (من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة، لها لغة واحدة، وأنظمة واحدة، لابد أن نستعمل في حقها الشعار القديم (فرق تسد) إن وجود العنصر البربري مفيد لإحداث التوازن مع العنصر العربي، ويمكننا أن نستعمله ضد المخزن نفسه).

وكتبت عنه جريدة «الطان» الفرنسية بتاريخ 27 ماي 1930 فقالت : إنه عمل عظيم، جدير أن تهنأ عليه فرنسا، ثم قالت : «الآن تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الاسلامية، وزادت فقالت : فالظهير البربري أتم للسلطة الفرنسية طرد الشريعة الاسلامية، وبه تم طرد السلطة المخزنية، وهذا هو أساس السياسة البربرية».

أقول بعد صدور ظهير 16 مايو 1930 قصدت الوفود دار المخزن رافعة أصواتها ضد هذا الظهير، فيأخذ الكلمة شيخ جليل وعالم صادق، ليطلب من جلالة الملك تدارك الموقف قبل فوات الأوان، وإنقاذ شعبه مما يراد به من التفريق والتنصير والتطاحن والخروج عن ملة الاسلام وعن سلطة إمام المسلمين، فتدمع عينا جلالته وهو ينصت لذلك الشيخ المستغيث أمامه، وينطق بكلمات قصار، تنم عن إرادة قوية للوقوف ضد هذا الطغيان. ولكن أين هي الطريق التي سيسلك وهو لازال في بداية الملك، ولازالت يده مكتوفة من الأوصياء والحماة والمستعمرين) ولكنه لا يستعجل ولا ييأس وإنما يفكر ويفكر. حتى إذا ما أخذ طريقه، سار في الطريق التي توصله إلى تحقيق الرغائب التي يتطلع إليها شعبه المتعلق به وبعرشه العلوي الشريف. كان يلزم الصمت حتى لايقع في أخطاء، مثل مايلازم التفكير، وكان يستعين في تفكيره بتدينه المثالي الذي يستمد منه التوفيق والهداية والرشاد.



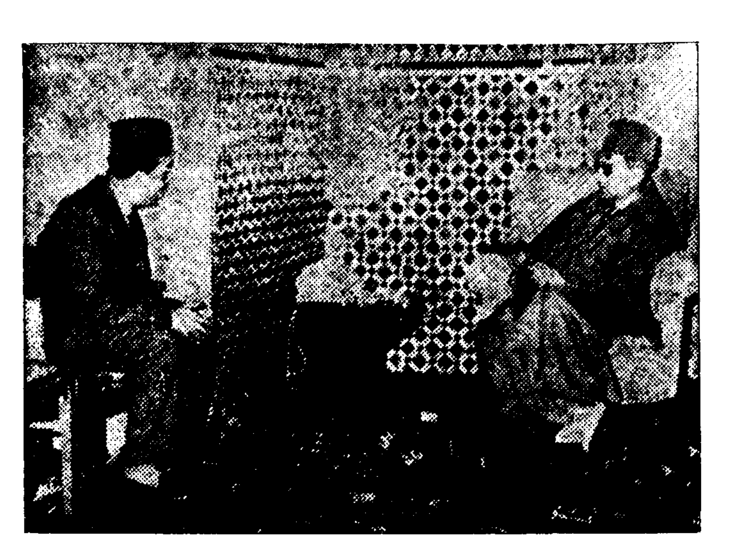
سيدي عبد الرحمن بن القرشي



التفكير والصمت والتعلق بالرب العظيم، هاته الصفات الثلاث، هي التي جعلته يسير في طريقه لتحقيق أهدافه وأهداف شعبه في الحرية والانعتاق، ومقاومة الخصم المستعمر، بعزيمة المومن الواثق من ربه، العالم أن العاقبة ستكون له إذا ما بقي دائما مسلحا باليقين، والسير في الطريق المستقيم الذي يؤدي بمعونة الله إلى النجاة.

اللقاء الأول مع محمد الخامس

لقد تعرفت على الملك محمد الخامس لأول مرة وأنا في سن التاسعة عشرة من عُمري وهو في الخامسة والعشرين من عمره، فأدركت في الوهلة الأولى، ما هو عليه من قوة يقين، واستشعرت فيه قوة التفكير، وحب الانصات قبل الكلام، وكانت تظهر على ملامحه الثقة بالله، وزرته عدة مرات، سواء منفردا وحدي، أو مع غيري من بعض الإخوة الصادقين، فزاد اقتناعي بأنه ليس من نوع المندفعين المتهورين الذين لاينظرون إلا إلى مواقع اقدامهم الذين يحسبون كثيرا من الحساب، ولا ينظرون إلى العواقب قبل أن يأخذوا أي قرار، إنك عندما تزوره يريد أن يسمع منك، وينصت إليك، ولا يتكلم إلا قليلا جدا، إلا إذا دعت المصلحة إلى الكلام، كما وجدت عنده حسا دينيا عميقا جدا، يرجع إليه في أوقات الشدة، وفي أوقات الرخاء، ومن هذا الحس الديني كان — بعد التفكير — يأتيه الإلهام الذي قلما أخطأ فيه رحمه الله، فهو كان في نظري ملك ملهم، وهذا الإلهام هو الذي كان يسوقه إلى الخير، وإلى عمل الصالحات، وإلى الاندفاع عندما يدعو الواجب إلى الاندفاع، وإلى التريث، عندما كانت المصلحة تفرض عليه أن يتريث.



استقبال جلالة محمد الخامس
لأبي بكر القادري سنة 1959

عندما تحمل مسؤولية الملك، كانت بلاده تئن من وطأة هزيمة أصابتها في الصميم، هي هزيمة البطل ابن عبد الكريم في حربه ضد المستعمرين الفرنسيين والإسبانيين، ولاشك أن هذه كانت لها انعكاسات على تفكيره، فصار يفكر مثل ماكان يفكر الشباب الوطني في طريق الإنقاذ، وشاء الله، وشاءت عنايته سبحانه أن تكون الهزة التي وقعت في الريف، والهزيمة التي حلت بالمجاهدين، مدعاة لبعث سياسي جديد، في وقت أعلن فيه عن مبايعة ملك شاب مخلص جديد. هي عناية الله، قارنت بين هذا وذاك، فإذا ما وضعت زمرة من الشباب الوطني بذوراً صالحة للحركة الوطنية بعد حرب الريف مباشرة، فقد قضت إرادته كذلك أن يتولى أمر المغرب في نفس الوقت ملك رائد شاب، سيعرف كيف يقود سفينة النجاة بالبلاد إلى أن يوصلها إلى التحرير والاستقلال.

تطلعات مبكرة إلى البناء والتحرير

لست على علم بتفكيره في الفترة التي قضاها في المُلْك قبل سنة 1930، وهي السنة التي استقبل فيها وفد فاس برئاسة الفقيه ابن القرشي، والحالة النفسية التي كان عليها وهو يستمع إلى ذلك الشيخ الجليل، يستحثه على تدارك الموقف، قبل أن ينجح المستعمرون في تطبيق مخططاتهم، وإن كنت أحس من ذات نفسي ومن خلال الخطاب الأول الذي ألقاه لدى مبايعته ملكا على العرش المغربي، أنه كبقية الشباب الحي المتوثب، كانت نفسه يتصارع فيها الوازع الوطني الديني المتوثب مع ماكان يحيط به من عوامل التثبيط والخنوع والاستسلام. وأنه كان يبحث عن الطريق الناجع الذي يسهل عليه أداء واجب مسؤولياته دون فشل، ولاشك أنه بدأ يسترق السمع بأن هناك في بلاده شبابا يغلي ويتوثب، ويريد العمل للإنقاذ، ولاشك أنه وجد نفسه تتطلع ليمد يده إلى هؤلاء الشباب، ليتعاون معهم على العمل لصالح بلاده، ولست أشك أنه كان يتحدث بما يروج بخاطره لبعض معاونيه الذين كان يطمئن لإخلاصهم ووفائهم وصدقهم، وإن كانوا غير متصلين ولا متعارفين مع هؤلاء الشباب، ولكنهم يسمعون عنهم كما يسمع.

كنت أعرف واحداً من هؤلاء الأعوان بدار المخزن القريبين من محمد الخامس، كان اسمه «ولد المعلم» وتولى بعد فترة باشوية السويرة. كان هذا يتحدث عن محمد الخامس الشاب بمنتهى التقدير والاعجاب، ويحكي عن روحه الطيبة ما يشفي الألباب، وكان آخرون يتحدثون عن تطلعاته وذكائه وطيبوبة نفسه ومحبته لشعبه، ما يلفت إليه الأنظار، وماجعلنا نحن الشباب الوطني، نتطلع إلى الاتصال به، والتعرف إليه عن قرب ومَدِّه

بكل معونة نستطيع القيام بها، ليسير في تحقيق ما تطمح إليه نفسه الكريمة، ووطنيته الصادقة.

وجاءت سنة 1933، وكنا قد أسسنا جمعية شبابية إسلامية قرآنية، أسميناها جمعية المحافظة على القرآن الكريم، كانت تدعو إلى الرجوع إلى القرآن، باعتباره الدستور الأول للمسلمين، والمنقذ الأساسي من التفرق والتشتت اللذين كانا يعوقان المسلمين عن النهوض من الكبوة التي وقعوا فيها، أصبح القرآن الكريم إمامنا، به نهتدي، وبآياته التي نتلوها مجتمعين في المساجد نسترشد، واستمع محمد الخامس لما أصبحنا نلتقي حوله كل يوم، وهو كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصار يغتنم بعض الفرص المتاحة له، ليزور المسجد الأعظم بسلا متنكرا، ليستمع بدوره إلى آيات الله تتلى، وليزيد يقينا بأن فتيانا وشبابا من رعيته يجتمعون حول الكتاب المنزل من السماء لابد أن مقصدهم شريف، ولاشك أن الله سبحانه سيشرح صدورهم للحق والخير، والسير في الصراط المستقيم.

ولما بلغ ابنه وولى عهده وفلذة كبده مولاي الحسن سن الخامسة، قرر أن يدخله الكتاب القرآني بدار المخزن الشريف، فأقام حفلا دينيا قرآنيا داخل القصر الملكي، وكنا نحن شباب جمعية المحافظة على القرآن الكريم، من أوائل المستدعين والمشاركين في هذا المحفل القرآني، فلاحظنا ونحن نتلو كتاب الله أمام ملكنا، وأمام ولي عهده الصغير إذ ذاك، مقدار انشراح صدره، وسروره بدخول فلذة كبده إلى الكتاب القرآني، والتفاف الشباب الوطني القرآني حوله، وكأنهم جميعا يتعاهدون أمام كتاب الله على العمل لنصرة الوطن وعزته، تحت راية القرآن الكريم، وفي ظل العرش العلوي الشريف.

أول زيارة للشباب الوطني السلوي لجلالة محمد الخامس لتهنئته بالعيد

وجاءت مناسبة عيد المولد النبوي الشريف، لنتفق نحن جماعة من الشباب الوطني القرآني مع بعضنا، ونتخطى المراسم التي وضع الاستعمار، ونقرر الذهاب إلى القصر الملكي لنقدم لسيدنا المنصور بالله عبارات التبريك والتهنئة بالعيد، والالتزام بأن نعمل جاهدين لخدمة المغرب، في ظل ورعاية وتوجيهات صاحب الجلالة الجالس على العرش، سيدي محمد الخامس، واغتنمت هذه الفرصة، فقمت وألقيت خطابا ارتجاليا قصيرا أمامه، جددت فيه بعد التهنئة بالعيد، تعلقنا نحن الشباب الوطني بالعرش العلوي،



أعضاء مكتب جمعية المحافظة على القرآن الكريم

الجالسون من اليمين : قاسم الزهيري ــ أبو بكر القادري ــ محمد البقالي
الواقفون : عثمان الأحرش ــ عبد العزيز عواد ــ أبو بكر السماحي ــ محمد عواد.

والجالس عليه سيدي محمد الخامس، والتزامنا بالعمل معه. وتحت قيادته لعزة المغرب وتحريره، وإحلاله المقام الذي يستحقه، وشعرنا مرة أخرى بالتجاوب الحاصل بيننا وبينه، تجاوباً روحانيا صادقا مخلصاً، تجلى على أسارير وجهه المشرق الوضاء، وأكده بكلمات مضيئة، نطق بها لسانه، عبر فيها عن رضاه ودعائه لصالحنا نحن جماعة شبابية من أفراد رعيته.

زيارة جلالته لفاس عام 1934 ومانتج عنها

وفي ماي سنة 1934 قرر قدس الله سره أن يقوم بزيارة لمدينة العلم والعرفان فاس، فاستقبله إخواننا الوطنيون الشباب بما يستحقه من التكريم والتعظيم، والهتاف بطول حياته وحياة بلاده، فكان يوم زيارته يوما مشهوداً في تاريخ مدينة فاس تجلى فيه، تجاوب العرش والشعب، تجاوبا لم يسبق له نظير، حيث كان استقباله عديم النظير خرجت فيه مدينة فاس بكاملها لاستقباله بالهتافات والأناشيد التي كانت تشق عنان السماء، وأدرك الفرنسيون المستعمرون مغزى هذا التجاوب، فأوحى لهم شيطانهم أن يعملوا على إفساده، وأعلنوا في جرائدهم أن السلطان غضب على أهل فاس وعلى الشباب الوطني بالخصوص، لقيامه بمظاهرات صاخبة، كان الهتاف فيها يشق جوانب الطرقات المؤدية إلى ضريح المولى إدريس، وأنه من أجل ذلك قرر أن يرجع إلى الرباط تعبيرا عن سخطه وعدم رضاه.

وكانت الحقيقة التي دعت فعلاً محمَّداً الخامس إلى الرجوع إلى الرباط، أن الادارة الإستعمارية مانعت المنع الكلي زيارته للقرويين (الجامعة الإسلامية الكبرى) وأداءه صلاة الجمعة فيها، ولما أصرت على المنع، خوفا من أن يستقبل بمثل ما استقبل به من هتاف وتهليل وتكبير، كان هو مصرا على أداء الصلاة في القرويين، طبق التقاليد الجاري بها العمل في المغرب، منذ الملوك السابقين وكانت الإدارة مصرة على المنع فقرر رحمه الله الخروج من فاس، والرجوع إلى الرباط تعبيرا عن احتجاجه على هذا التصرف غير اللائق من طرف السلطات الفرنسية. ولربما كانت هذه هي المواجهة الأولى بينه وبين الإقامة العامة الفرنسية، وهو إذ ذاك لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، ولما رأى أن الإدارة الاستعمارية أعطت لمغادرته فاسا تأويلا لايعبر عن الحقيقة بنشرها للبلاغ الذي وقعه الصدر الأعظم، تحداها عمليا، فأمر الصدر الأعظم الحاج محمد المقري نفسه، أن

يستدعي ولأول مرة ممثلي الحركة الوطنية من الشباب الذين استقبلوه بفاس، ليؤكد لهم باسمه، فرحه باستقبالهم إياه، ذلك الاستقبال الحافل والمعبر، ورضاه الكامل عن الشباب الوطني المتحفز والمتوثب والصادق في وطنيته وإخلاصه لملكه.

وفي هذا الاستقبال الذي خصصت به مدينة فاس وشبابها جلالة الملك كان الجميع يتغنى بالنشيد الوطني الذي نظمه شاعر الشباب علال الفاسي رحمه الله، والذي كان مطلعه :

يامليك المغرب — يا ابن عدنان الأبي — نحن جند للفدى — نحمي هذا المُلك، عرش مجد خالد — ماجد عن ماجد — قد بناه الأولون — في شموخ الفلك، نحن لا نبغي به، معدلاً عن حزبه — إننا من حبه — كلنا في ظله — دائما نفديه.

وعلمنا بعد ذلك أن الإدارة الاستعمارية كانت عازمة على إلقاء القبض على رؤساء الحركة الوطنية، وان المعتمد بالإقامة العامة، توجه إلى فاس، وقابل جلالة الملك، وكان مع المعتمد القائد العسكري للمدينة، فطلبا من جلالته الموافقة على اعتقال زعماء الحركة الذين نظموا الشغب (في زعمهم). كما طلبا منه العدول عن أداء صلاة الجمعة بجامع القرويين كما كان مقررا، ولكنه رفض كل ما طلباه منه، وغادر فاسا احتجاجا على تصرفات الإدارة، لا على الوطنيين.

حصار يدعو إلى الاحتفال بعيد العرش

وفي سنة 1933، كتب أحد الشباب الوطني السلوي هو المرحوم محمد حصار مقالا في مجلة «المغرب» يدعو فيه إلى جعل يوم 18 نوفمبر من كل سنة عيداً وطنيا، باعتبار أنه اليوم الذي بويع فيه جلالة الملك الشاب محمد الخامس ملكا للمغرب، وتجاوب الشباب الوطني مع هذا الاقتراح، وتقرر أن يعمل على الاحتفالات في مختلف المدن المغربية، وفي الخارج إن أمكن، وهكذا وقعت احتفالات شعبية شبابية في سلا والرباط وفاس ومراكش وباريس وغيرها، ووجهت البرقيات المتوالية إلى جلالة الملك تُهنِّئُهُ بجلوسه على عرش أسلافه المقدسين، وتدعو له بطول العمر والتوفيق في قيادة شعبه إلى ما يستحقه من مجد ورفعة، فما كان منه رحمه الله إلا أن يقرر أن يجيب عن كل البرقيات التي وصلت من مختلف أفراد وجماعات رعاياه في الداخل، والخارج شاكرا وداعيا.

جلالة محمد الخامس يردّ على برقيتي

وإن أنس فلا أنسى يوم 20 نوفمبر من تلك السنة (1933) وأنا منهمك في إعطاء درسي لتلامذتي بالزاوية القادرية، إذ حضر إلى الزاوية مخزني من مخازنية باشا سلا، يدعوني باستعجال لزيارة الباشا المذكور، فما كان مني إلا أن ألبي في الحين، منتظرا وبعض الظن إثم ــ عقابا أو توبيخا من سلطات الحماية على ما قمنا به أنا وإخواني، من احتفالات، كانت في منتهى الروعة بمناسبة ذكري جلوس ملكنا على عرش أسلافه، ولكنني فوجئت عندما وصلت لباب منزل الباشا، أن طلب مني أن أصعد إلى القبة العليا في المنزل، لأجد الباشا جالسا مستبشرا غير منقبض، وقريبا منه جلس أحد أعوانه، وأمامه صينية الشاي حسب تقاليدنا المغربية، وما أن قدم لي كأسا من الشاي والحلويات، حتى بادرني الباشا بقوله : (لقد تلقيت أمرا من جلالة الملك بواسطة الصدر الأعظم، أو بواسطة رئيس التشريعات (نسيت) أن أبلغك وأصدقاءك شكر سيدنا المنصور بالله ورضاه، على ما قمتم به أمس الأمس من احتفالات ومظاهر الأفراح، بمناسبة ذكرى جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، فسيدنا يدعو لكم ويرضى عنكم أو كما قال.

لقد استشعرنا أننا ربحنا المعركة ضد الفرنسيين، وأن الحوائل التي كان يضعها الاستعمار ضدنا، حتى لايقع تجاوب بيننا وبين ملكنا الشاب قد حطمت، وأننا سنسير بحول الله ومعونته وتوفيقه، يداً في يد مع ملكنا، نبني مجد المغرب، ونعمل لتحريره من قبضة المستعمر البغيض.

وضاق الاستعماريون بهذا التلاحم، وتضايقوا من هذا التجاوب الذي بدت طلائعه تبرز وتطل، فقرروا أن يوقفوا سير القافلة في الطريق، فأصدروا قرارا بمنح بعض الجرائد التي كانت تصدر على قلتها، وكانت الأولى تصدر بفاس، هي جريدة «عمل الشعب» باللغة الفرنسية، والثانية هي مجلة «مغرب» بالفرنسية أيضا، وكانت تصدر بباريس، وكانت الثالثة هي جريدة «الحياة» الأسبوعية، والرابعة هي مجلة «السلام» وكانتا تصدران بتطوان، فلم يبق لنا متنفس نتنفس به، ولا صوت نعبر به، وفكرنا وفكرنا، فقررنا أن نبرز بالبرنامج الوطني الذي كنا قررنا المطالبة به والمسمى بمطالب الشعب المغربي، نوضح فيه مطالبنا الأساسية، وتصوراتنا لبناء مغرب جديد، ينعم فيه شعبنا بما يستحقه من حرية وانعتاق من ربقة الأجنبي، وتطبق فيه الإصلاحات الأساسية الضرورية في مختلف جوانب الحياة الانسانية.

مطالب الشعب المغربي

هذه المطالب حضرتها
الكتلة العاملة الوطنية
فى المغرب الأقصى باستشارة
كل من يهمهم الأمر من سائر
الأوساط

وقد قدمها باسم الشعب
المغربي مزوداً بثقته وفده
الأمين الى حضرة صاحب
الجلالة مولانا الملك سيدى
محمد بن يوسف أيده الله ونصره

١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م

دفتر مطالب الشعب المغربي وقد طبع في عام 1934 بمطبعة الإخوان المسلمين في القاهرة

وهكذا صارت تهيأ مطالب الشعب المغربي، أو برنامج الإصلاحات المغربية التي قدمت إلى جلالة الملك، وإلى السلطات الفرنسية في دجنبر 1934.

العشرة الذين تقدموا بمطالب الشعب المغربي

لقد كنت والحمد لله من جملة العشرة الذين تقدموا بمطالب الشعب المغربي لجلالة الملك المعظم وللسلطات الفرنسية، في الاقامة العامة بالرباط، وفي باريز لوزارة الشؤون الخارجية وهكذا قدمت أنا والمرحومون : الفقيه محمد غازي والشهيد عبد العزيز بن إدريس وسيدي ح أحمد الشرقاوي الرباطي، مطالب الشعب إلى جلالة محمد الخامس بواسطة الصدر الأعظم الحاج محمد المقري الذي استقبلنا بالدار البيضاء حيث ان جلالته كان إذ ذاك بالدار البيضاء وذلك يوم فاتح دجنبر سنة 1934، كما قدمها للمقيم العام الفرنسي المرحومون : علال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد الديوري من القنيطرة وقدمها لوزارة الخارجية الفرنسية المرحومان : محمد بن الحسن الوزاني وح عمر بن عبد الجليل أما المرحوم الشيخ محمد المكي الناصري الذي كان ضمن العشرة المسؤولين فكان سافر إلى تطوان، ولذلك لم يكن ضمن أحد هذه الوفود.

برقية من جلالة محمد الخامس
إلى الوطنيين في السجن

شاء الله أن يصاب جلالة محمد الخامس بوعكة صحية في سنة 1938، اضطر معها إلى الدخول إلى إحدى مصحات الرباط للعلاج، فتواردت عليه البرقيات من جميع الجهات تدعو له بالشفاء، وكان من جملتها برقية بعثها إخواننا الوطنيون المعتقلون بعين علي ومومن بناحية سطات، فلم يلبث رحمه الله وقد وصلته برقية الوطنيين إلا أن يأمر الصدر الأعظم بإجابة الموقعين عليها في برقية خاصة جاء فيها : إلى المعتقلين الوطنيين بسجن علي أو من، الذين أولهم الهاشمي الفلالي وآخرهم محمد بن الجيلاني


محمد بن الجيلاني بناني

بناني ثم شكرهم ودعا لهم، وكانت هذه الالتفاتة الفريدة من نوعها من جلالة محمد الخامس، مدعاة للفخر والاعتزاز، والتأكيد بأنه مع أبناء شعبه في السراء والضراء،

يفرحه ما يفرحهم، ويحزنه ما يحزنهم، وهكذا أعطى المثال للملوك الصادقين والزعماء المخلصين، بأن المركز التشريفي مهما كانت مرتبته، فإنه لا ينسى الروابط المبدئية، والعلاقات الجهادية، مهما كانت الظروف والأحوال.



الرئيس علال الفاسي باللباس الوطني في أول انطلاق الحركة الوطنية

وعندما منع الفرنسيون إلقاء الدروس التي كان يقوم بها المرحوم علال الفاسي بجامعة، القرويين في السيرة النبوية وقرروا اعتقاله سافر إلى فرنسا قبل أن تمتد إليه أيديهم، وشارك في مؤتمر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين الذي انعقد بباريس بعد منع انعقاده بالرباط، ثم بعد قضائه فترة عدة أسابيع بفرنسا، أذن له بالرجوع إلى المغرب، فاستقبله جلالة الملك محمد الخامس استقبالا خاصا، تحدث عنه الزعيم علال في كتابه : (**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**) فقال : (أراد جلالته أن يعبر بذلك عن تكذيبه لما كان يروجه الفرنسيون من ثورة الوطنيين عليه، وقد لمست في شخصية سيدي محمد بن يوسف الملك العظيم الذي ظهرت آثار عظمته بعد، في هذا الكفاح المستميت الذي لم يزل حفظه الله يوليه لمصلحة الأمة واستقلال البلاد، برباطة جأش، وثبات قلب، واطمئنان نفس، ونبل روح، ولما شرحت لجلالته الغاية من حركتنا، صرح لي بأنه راضٍ كل الرضى عن كل مامن شأنه أن يساعد على تقدم البلاد وازدهارها، وقال لي : (إن ما ضاع من حقوقنا، نشأ عن عدم معرفة من مضى من المسؤولين بالأساليب التي يجب أن تتبع، ومنذ الآن لن يضيع للبلاد حق، بل سأعمل على استرجاع كل ما ضاع).

كان جلالة محمد الخامس متجاوباً معنا تجاوباً كاملاً شاملاً

من خلال هذا العرض المختصر، ندرك أن جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، عاش فترة الثلاثينات، وهي الفترة التي كانت تتبلور فيها الحركة الوطنية في شكلها السياسي، وتضع مخططاتها وبرامجها للنهوض بالمغرب، كان هو أيضا، يفكر جيدا في تخطي العقبات والعراقيل التي يضعها الاستعمار في طريق نهضة الشعب المغرب، وتحقيق أمانيه في استرجاع كل ما ضاع له، كما كان يتتبع وباهتمام كبير، تطور الحركة الوطنية، ويتعرف إلى بعض رجالها، ويغتنم كل فرصة ممكنة لإظهار عطفه عليها، وتجاوبه معها، وتجلى هذا بوضوح في سنة 1933 وسنة 1934 وفي سنة 1937، وحتى في أوقات المحنة والسجن والإبعاد.

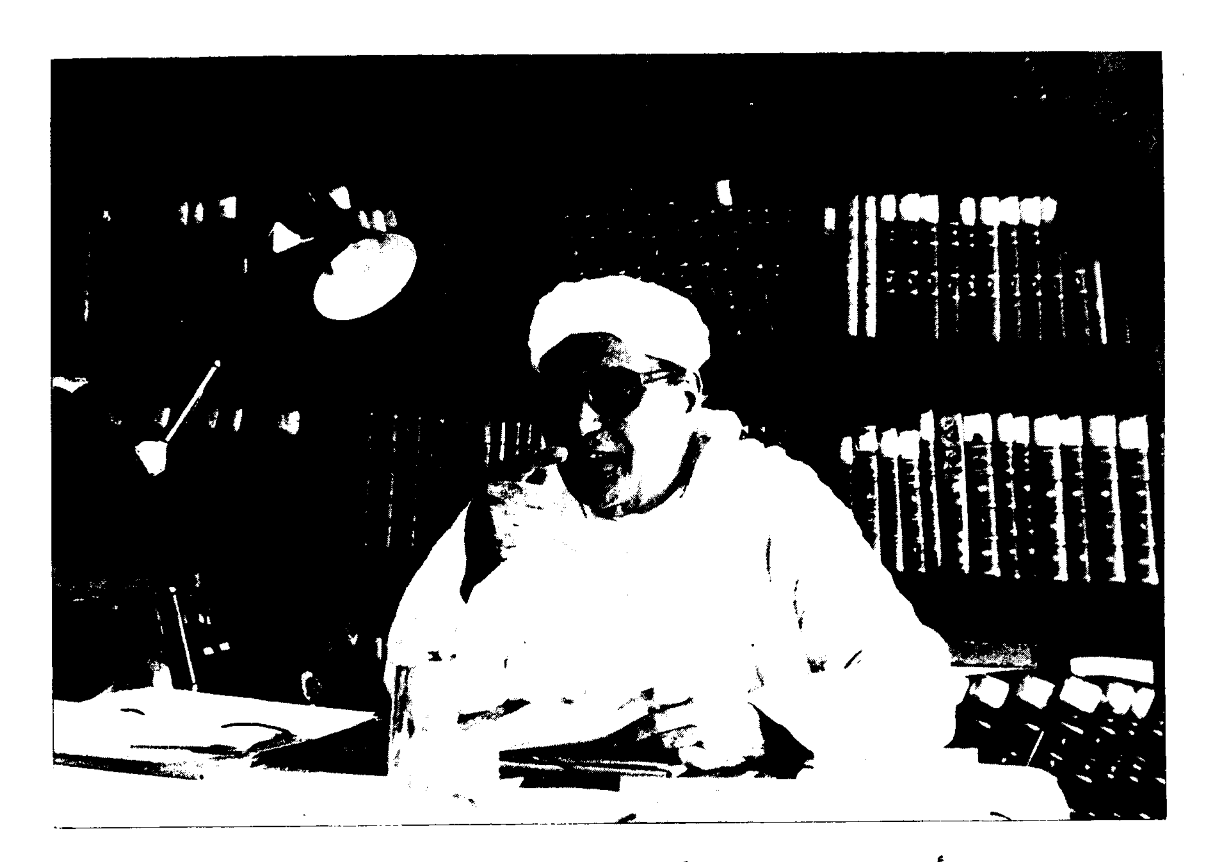
لقد كانت الحركة الوطنية محظوظة بتجاوب الملك الشعبي معها، وكنا نشعر بالفخر والعزة والاطمئنان، ونحن نتغنى ونهتف باسم محمد الخامس وولي عهده أمير الأطلس وهو اللقب الذي أطلقناه عليه في صغره، وكنا نشعر أن حركتنا الوطنية تزيد قوة ومكانة لتحقيق أهدافها، بتفاعل وتجاوب ملك البلاد معها.

وتجاوب محمد الخامس مع حركتنا الوطنية، لم يكن في الاتجاه السياسي العام فحسب، ولكنه كان في ضرورة القيام بإصلاحات اجتماعية، تؤهل شعبنا للتقدم والنهوض عمليا، وفي طليعتها قضية التعليم، فإذا كنا في كتلة العمل الوطني ثم في الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال، أعطينا اهتماما كبيرا لقضية التعليم والتربية، سواء بتأسيس المدارس الحرة، أو برعاية التلاميذ والطلبة في مختلف الأسلاك التعليمية، أو بتكوين وتوجيه البعثات إلى الخارج، فإن محمدا الخامس رحمه الله، كان يرعى كل الرعاية مدارسنا، ويحميها من تدخلات الإدارة وأعوانها، وفي الأربعينات اتجه هو بدوره لتأسيس المدارس في بعض المدن المختلفة، مثل فاس والرباط وسلا والدار البيضاء، وغيرها، كما اتجه بنفسه لتوجيه البعثات على نفقته الخاصة لفرنسا واهتم الاهتمام الأكيد بمحاربة الأمية، ونشر التعليم بين مختلف الطبقات الشعبية. وأعطى عناية خاصة لجامعة القرويين بفاس وملحقاتها في مختلف المدن المغربية، ولقد كانت زيارته لفاس وتفقده للقرويين، وخطبه التوجيهية فيها، من أروع ما قام به في حركته النضالية في مجال التعليم والتربية.

زيارة جلالة الملك محمد الخامس إلى القرويين

ومن الزيارات العديدة التي قام بها محمد الخامس لجامعة القرويين، الزيارة التي قام بها في شهر جمادى الأولى عام **1360** الموافق لشهر جوان **1941**، حيث طاف أرجاء القرويين، وأنصت إلى علمائها في حلقات دروسهم المختلفة، فاستمع إلى درس الفقيه العالم السيد محمد العلمي في علم التوقيت، والتنجيم وإلى درس العلامة سيدي الجواد الصقلي في مختصر خليل وإلى درس العلامة السيد العباس بناني في علم الأصول، وكان جلالته ــ كما تحدثت عن ذلك صحيفة «المغرب» اليومية ــ يهتم كل الاهتمام بما يلقيه الأستاذ، ويتابع طريقة إلقاء الدرس، ويستفسر عن المواد المدروسة إلى غير ذلك من الملاحظات التي كان يتابعها بكامل الاهتمام، ولقد استدعى جلالته رحمه الله العلماء للحضور في الدار العالية، ليراجع ويتباحث معهم حول النظام العلمي الجاري به العمل، وضرورة مراجعته وإصلاح ما يجب إصلاحه فيه، وألقي في هذا الاجتماع خطابا جاء فيه :

(الحمد لله، أول ما وفقنا إليه الله سبحانه، بعد صعودنا على عرش أسلافنا المقدسين، اهتمامنا بإحياء تمكين ديننا الزكي الطاهر، لما علمنا أن العلم هو الوسيلة العظمى، لإدراك ذلك المقصد الأسمى، تعلمون مابذلناه من الجهود، وما مهدنا من العقبات في سبيل نشر العلم، وتسهيل طرقه، علمنا ماالجامع القرويين من سالف المجد، في حفظ مهجة العلم الاسلامي، وما تخرج منه من الفحول الذين كانوا تيجان فخر، بمفرق الدهر، في طيّ عهود التاريخ المغربي، فما علمنا وسيلة ترد شبابه وعمارة دروسه، وازدهار العلم به، إلا اتخذناها، كانت رواتب العلماء ضئيلة فزدنا فيها ماتعلمون، وكانت الدروس مبعثرة، يقرأ كل ما يشاء، وكيف يشاء، فجمعناها منظمة بنظام، لم نزل منذ أعوام، نسمع أحسن الثناء عليه من كل الجهات، وغاية الامتنان بوجوده، كانت المدارس مشرفة على الخراب، فأصلحت وأنيرت، كان خريج القرويين لا مستقبل له، فقيدنا جل الوظائف على المتخرجين منه بنجاح في الامتحان، هذا كله، وعنايتنا به مستمرة جلية في كل حين، نأمر المجلس الأعلى للعلوم الاسلامية بأعتابنا الشريفة، بالاجتماع كلما تدعو الضرورة لذلك، إما لزيادة الإصلاح، أو لسد خلل يظهر، أو رتْق فتق يتعين أن يجْبر، منتظرين من كل واحد أن يبذل النفس والنفيس، في النصحية لله ولرسوله ودينه وأمته) إلى آخر الخطاب الملكي الكريم المبرهن على عظيم اهتمام هذا الملك المخلص بالتعليم عموما، وبجامعة القرويين بالخصوص، لتبقى كما كانت في ماضيها منارة يستضيء



الأستاذ محمد الفاسي في مكتبه بمركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية
لليونسكو والإيسيسكو والأليكسو بالرباط سنة 1994

بضوئها المتعلمون الذين يقصدونها من كل الأنحاء المغربية والافريقية، ليؤدوا رسالتهم في نشر العلوم، وبعث الأفكار، والنهوض بالأمة، وتهذيب أخلاق الشعب، ورفع راية الإصلاح، والدفاع عن حوزة الدين الحنيف، والاهتداء بهدي سيد المرسلين، وفي هذا الخطاب رحمه الله دعا إلى نبذ الخلاف والشقاق، الذي يعتبر أصل كل الفساد، وحذّر كل التحذير، أن يكون العلماء من العائقين للإصلاح المنشود، حتى لا يسجل عليهم التاريخ ذلك، ويقضى على رسالة القرويين في مجال العلم والعرفان ونشر تعاليم الإسلام.

وما أن مضت مدة بضعة شهور، حتى أدخل على برامج التعليم ومناهجه عدة إصلاحات، وعين فيها بالإضافة إلى مجلسها العلمي مديرا مقتدرا، عرف بحنكته ومقدرته وإخلاصه كيف يعمل على التعاون مع العلماء، حتى تسير جامعة القرويين في التطور المنشود، محافظة على التراث العلمي الأصيل بمختلف أنواعه وفروعه، وملقحة ببعض العلوم العصرية التي لابد منها لتكميل الثقافة، والسير في الركب العلمي الحديث، ويجب أن أسجل هنا أن الاصلاحات التي كان جلالة الملك المنعم يأمر بإدخالها على النظام التعليمي بالقرويين كانت متجاوبة ومستجيبة لرغبات طلبة جامعتها، فلقد كانت جريدة المغرب اليومية نشرت في أحد أعدادها الصادر بتاريخ 28 يونيه 1941 وهو التاريخ الذي زار فيه ملك البلاد جامعة القرويين. ملخص مذكرة رفعها وفد من طلبة القرويين متركب من السادة : العربي العلوي والطاهر غلاب وعبد السلام بن عبد الجليل وعبد الهادي السقاط، وتتعلق هذه المذكرة بالإصلاحات التي يجب إدخالها على النظام التعليمي بالقرويين، وهي تتلاقى كل التلاقي مع ماكان يطمح إليه جلالة الملك المنعم من إصلاحات، ولقد علقت الجريدة المذكورة على مطالب الطلبة في الإصلاح والتي عبروا عنها في مذكرتهم فقالت : (إن هذه المذكرة مما تفخر به جامعة القرويين أن تكون صادرة عن طلبتها) ثم قالت الجريدة المذكورة (لقد أراد طلبة القرويين أن تساير كليتهم الحياة، وتأخذ بنصيبها من الرقي العلمي، والتقدم الثقافي، وتتطور في أسلوبها الدراسي، ومناهجها التعليمي، بما يضمن لأبنائنا النجاح، ويهيئهم لأن يكون منهم علماء بما تنطوى عليه كلمة (عالم) من معنى، يفيدون ويستفيدون، ويكون لهم أثر في الوجود، بما يقدمونه من إنتاج فكري صالح، في مختلف العلوم).

جلالة الملك محمد الخامس
يرعَى النهضة التعليمية

لقد كان محمد الخامس يعي كل الوعي، ويدرك كل الإدراك، أن التعليم هو الطريق الصحيح للنهوض، والخطوة الأولى للتقدم، وإن المعركة التي سيخوضها مع الاستعمار، تتطلب منه أن يفكر في المستقبل الذي ستصبح فيه بلاده مستقلة، وفي حاجة أكيدة إلى الأطر التي تسيرها، وفي هذا المجال أيضا كان يلتقي الإلتقاء الفكري الثابت مع أبنائه رجال الحركة الوطنية، الذين كان نشاطهم الأول والأساس، هو نشر التعليم، وتأسيس المدارس، وتوجيه البعثات، ومساعدة الطلبة وتكوينهم التكوين الوطني السليم، معتزين بما قام به الأسلاف في نشر المعرفة، والنضال في سبيل المبادىء المثلى في الحياة، وبالأخص مبادىء الحرية والديموقراطية والارتباط الوثيق بالعقيدة الاسلامية التي تعتبر الضمان الوحيد للحفاظ على الذاتية المغربية والهوية الإسلامية، والفكر الموحد المستقيم.

ومن المعلوم أن الحفاظ على كل ماذكرنا، يقتضي الاهتمام الجدي بالبرامج التي يجب أن يسير عليه التعليم في المغرب، حتى لاتبقى جامدة ولا غير هادفة، ويجب أن أثبت هنا نص حديث كان أجراه جلالة محمد الخامس مع المؤرخ «روم لاندو» حول مستقبل التعليم بالمغرب فلقد قال رحمه الله : (إن الأطفال المغاربة، يجب أن يتلقوا في السنوات الأولى، أي سنوات النمو، تربية عربية إسلامية، تعين لهم مقاييسهم الأدبية والخلقية، فإذا ما ثبتت هذه في نفوسهم، أصبح باستطاعتهم أن يفيدوا من مبادىء التربية الغربية، وأن يقبسوا العلم والتقنية التي لا يستغني عنها في حياة المجتمع الحديث)[1] ومن هذا الحديث القصير مع روم لاندو، ندرك التوجه الحقيقي لمحمد الخامس فيما يتلعق بالتعليم، فهو يريده تعليما إسلاميا في عمقه العقائدي والأخلاقي، حضاريا وعلميا، يضمن للشعب التقدم في مجالي المعرفة والتقنية. وهنا لابد أن نرجع إلى خطابه الأول الذي ألقاه ساعة جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، حيث قال :

(1) انظر كتاب **(المغرب)** لروم لاندو.

«ان الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة، بأكثر ما يمكن من السرعة) فنرى أن التوجه الأساسي لدى محمد الخامس لدى توليه العرش، هو نفس التوجه الذي أكده في حديثه مع (روم لاتور) وإن كان الأول عاما، والأخير خاص بالتعليم.

جلالة الملك محمد الخامس يشجّع تعليم البنات

وقضيتان أخريان لابد أن أشير إليهما، ولو إشارة عابرة، وهما يتعلقان أيضا بمجال التعليم، وموقف محمد الخامس فيه. أما الأولى فتتعلق بتعليم البنات، فدور محمد الخامس رحمه الله فيه دور حاسم ونهائي، فهو قد أدرك أن الأمة لاتطير وتعلو بجناح واحد، ولكن لابد لها من جناحين لتحلق بهما في الأجواء. وهكذا أعطى الأهمية الكبيرة لتعليم الفتيات، ودعا إليه قولا وعملا، بتعليم بناته الأميرات، والدفع بكبيراتهن الأميرة عائشة، لتصبح داعية ومتزعمة لتعليم الفتيات، وإلقائها الخطب في كل المناسبات، وبالأخص لدى تدشين المدارس الحرة التي كان ينشئها الوطنيون المخلصون في مختلف جهات المغرب، وألفت النظر هنا إلى أن يوم زيارتها حفظها الله لمدينة سلا أوائل سنة **1947**، وتدشينها للمعهد التي كنت أنشأته لتعليم البنات بباب احساين، والذي أطلق عليه جلالة محمد الخامس (معهد الأميرة عائشة العلوية، لتعليم الفتاة السلوية) كان يوم عيد، اهتزت له أركان المدينة بحذافيرها، وألقيت فيه كلمات وأناشيد وخطب، لازالت أصداؤها ترن في آذان من شاركوا في الحفل الذي أقيم بهذه المناسبة، وكان في طليعة الخطباء الأميرة عائشة نفسها، التي ألقت خطابين اثنين : أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الفرنسية.

ولقد جاء في خطاب سموها مايلي :

(ربما كان الميدان الاجتماعي أهم الميادين التي انتصرت فيها الشجاعة المولوية على جحافل الخمول والتقاعس والتشبث بأذيال ساقط العادات، ومتلاشي الخرافات، فلقد أوحى أرباب الأغراض السيئة، والبيانات الفاسدة إلى طبقات الأمة المغربية، أن المرأة خلقت لتكون فريسة للجهل، ومطية للأوهام، فظلت زمنا طويلا تعيش في عالم ضيق



صورة الأميرة للا عائشة رائدة تعليم البنات

الأرجاء، بعيدة عن العرفان، جاهلة لكل ما تتوقف عليه حياة الانسان، تفصلها في بعض الأحيان عن قرينها أو ابنها، حواجز جمة من الأفكار والعادات، حتى كأن بين عصرها أحقابا وقرونا، وبين فكرها وفكره، سهولا وحزونا، ألف المغاربة تلك الحال، وظنوها كافية لصيانة المرأة، وحفظها من الهوان، فما فتؤوا يحيطونها بسياج الجهالة، ويطفؤون دونها أنوار الثقافة، حتى عمي بصرها وبصيرتها، وكان يستحيل إنقاذها، لولا أن من الله عليها بشجاعة ملكنا المفدى، وسيدنا المرتجى، الذي أعلن أن الجهل لايمكن أن يكون صائنا للمرأة، ولا ملجأ للفضيلة، بل العلم، العلم وحده هو منبع الكرامة ومصدر الأخلاق الفاضلة، وحمي الفتاة الظاهر، بل هو حياة الأمة، والسبيل الوحيد لانقاذها وتنويرها ورقيها) إلى آخر الخطاب البليغ، الجامع المانع، الذي ألقته الأميرة عائشة، والذي كان ينصت إليه باهتمام العلماء والمثقفون والمصلحون الذين كان في طليعتهم العالم المصلح الكبير سيدي محمد بن العربي العلوي، والزعيم الكبير سيدي علال الفاسي[2] ولقد كنت ألقيت أمام الأميرة الجليلة خطاباً طويلاً جاء فيه :

(لقد رأى جلالة الملك ورأيه الموفق، أن علة العلل، وأعصى الأدواء التي أصابت هذه الأمة، فأسقطتها صرعى تئن، ولاتجد من يحنّ عليها، وتستنجد ولا من يواسيها ويأخذ بيدها، هو داء الجهل الفتاك، فأشهر عليه حربا طاحنة ستكون معركتها فاصلة في تاريخ هذه البلاد، فصار يؤسس المدارس، ويوجّه البعثات، ويصلح البرامج، وينادي ويلح في النداء، أي شعبي العظيم، إن رمت طريق النجاح، فاقتد بي، واهتد بهديي، وأنا الضمين لما ترجوه وتطمح إليه من آمال وأمان إلى أن أقول : وسوف لا يمضي زمن قليل، حتى نرى فيه الفتاة المغربية، تشارك بقسطها في نهضة البلاد، وتقوم بواجبها نحو هذا الوطن البئيس، وتعيد إلي الأذهان، تلك الصورة الرائعة التي كانت عليها المرأة المسلمة في التاريخ البعيد، ستعيد بنت اليوم إلى الأذهان، أن المرأة المسلمة لم تكن ترضى بالدون، وتحشر وسط الأمتعة البيتية، كأنها ليست شيئا يذكر، وكأن ليس لها إحساس وشعور، وسيرى أنها كانت تشارك بقسطها في الحياة العامة، فكانت منها الأستاذة المفتية، والشاعرة الأديبة، والمربية والخطيبة الفصيحة، والشجاعة الباسلة) إلى آخر الخطاب[3].

لقد كان محمد الخامس يحرص كل الحرص على اغتنام كل الفرص الممكنة له أو

---

(2) انظر نص الخطاب في كتابي (**قصة النهضة**).

(3) انظر نص الخطاب في كتابي (**قصة النهضة**).

لولي عهده مولاي الحسن أو لكريمته الأميرة عائشة، ليؤكد على ضرورة الاهتمام بالتعليم والتكوين والتثقيف للبنات والبنين والحفاظ على لغة البلاد، لغة القرآن الكريم، باعتبارها اللغة المشخصة لذاتينا العربية الاسلامية وإحدى دعائم وحدتنا، ويكفي كمثال على ذلك أن آتى بفقرات من الخطاب الذي ألقاه ولي العهد لدى زيارة جلالة محمد الخامس لطنجة عام 1947 : في معهد مولاي المهدي بطنجة فلقد قال : (إن العالم العربي وطننا، وان اللغة العربية لغتنا وإحدى ركائز شخصيتنا، وان العرب أشقاؤنا، ونحن معتزون فخورون بوطننا، وسنَذود عن لغتنا، ونسعى لتوثيق عرى الروابط التي توحدنا مع أشقائنا).

عطف مولوي خاص شجعني على المضيّ في الطريق

ويتعيَّن عليَّ بهذه المناسبة أن أشيد بالعطف المولوي الكريم الذي خصَّني به فقيد العروبة والإسلام، جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، وأنا أخوض معركة نشر التعليم وتكوين الأجيال من مختلف الطبقات، فبعد خروجي من السجن أواخر سنة 1945، قررت عدم الاكتفاء بالمدرسة التي كنت أسيرها وأديرها وتأسيس فرع لها بحيّ السوق الكبير، زنقة سيدي بوغابة وكان يوجد بذلك الحي روض كبير، داع للسقوط، يسمى بروض المالقي، فقررت كراءه من مالكيه، وكان يشرف على تسييره المرحوم السيد العربي ملين الرباطي، وكان رحمه الله له اتصال بجلالة محمد الخامس، فرجوت من جلالة الملك أن يامره بمساعدتي على كراء الروض المذكور، وأن أقوم بإصلاحه وبناء ما تهدم منه، فلم يسعه رحمه الله إلا أن يلبي طلبتي، ويحقق رغبتي، وهكذا لمَّا أدخلت الإصلاحات الضرورية على الروض المذكور، رجوت من سيدنا المنصور بالله أن يوجه وليَّ عهده المحبوب سمو الأمير مولاي الحسن لرئاسة حفلة التدشين فلبى رحمه الله رغبتي، وكان يوم التدشين يوما خالدا في تاريخ النهضة العلمية، ألقى فيه سمو ولي العهد خطابا هاما كله توجيه ونصح وترغيب، ودعوة إلى نشر العلم.

وعلقت جريدة السعادة على هذا الحدث الأول من نوعه بمدينة سلا بما يلي : «لقد كان يوم الثلاثاء الأخير 4 رجب 1365 4 يونيه 1946 يوما مشهودا بمدينة سلا إذ كان هذا اليوم يوم مدرسة النهضة. كانت هذه المدرسة مركزا لازدهار التعليم، ونشر الثقافة، إلا أنها كانت في مقرها القديم غير مشبعة من حيث مركزها لنهم الجماهير

الغفيرة من التلاميذ الذين كانوا متعطشين للانخراط في سلك أقسامها العامرة، إلى أن يقول : وقد اشرأبت الأعناق، وتدافعت الناس، لما نهض سمو الأمير رعاه الله، وألقى ذلك الخطاب البديع الرائع في الحض على العلم، والاشادة بمزاياه، وكانت كل فقراتِه تقابل بعواصف تصفيق الاستحسان والاعجاب والإكبار كما علقت جريدة «التقدم» على زيارة سمو العهد وتدشينه لفرع النهضة وإلقائه الخطاب الذي وصفته بالرائع، ثم قالت : (والمدرسة الجديدة عبارة عن روض جميل، فسيح الأرجاء، تتوفر فيه كل الوسائل الصحية، ويشتمل الآن على ستة أقسام، نصفها بالطابق الأعلى وقد دخلها إلى حد الآن 300 تلميذ، ولازالت الطلبات ترد عليها بكثرة).

إن كثرة الاقبال – والحمد لله – على مدرسة النهضة، جعلني أفكر التفكير الجدي، في بناء مركز تعليمي كبير يسع الأقسام الابتدائية والثانوية، وكنت أكاتب منذ سنة 1943 وزارة الأحباس، في شأن منحي قطعة أرضية من السانية المحبسة على زاوية شيخنا وجدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فعاودت الكتابة في الموضوع المرات العديدة، وأخيرا قررت أن ألتمس من جلالة الملك تخصيص ساعة من وقته الثمين لاستقبالي في قصره العامر. فلم يلبث رحمه الله إلاَّ أن يلبي طلبي، فقابلني بابتسامته المشرقة ورضاه الكامل، فلما شرحت له موضوع عزمي على بناء مركز جديد كبير للنهضة، أعطى أوامره المطاعة بتنفيذ رغبتي، وعندما حصلت على القطعة الأرضية المذكورة، وتهيَّأ مخطط بنائها، رجوت من جلالته أن يضع حجرها الأساسي سمو ولي العهد المحبوب مولانا الحسن، فلبى رغبتي وكان يوم التدشين ووضع الحجر، يوما مشهودا خالدا في تاريخ سلا، تحدثت عنه بتفصيل في كتابي (قصة النهضة) ولقد ألقى سموه خطابا بليغا على عادته ومما جاء فيه :

لقد وجد ملك المغرب سدد الله خطاه، من بين رعاياه، وفي كل ناحية من نواحي المملكة رجالا عاملين مخلصين، أقسموا علي أن يوالوا الجهود، ويتابعوا العمل، لكي يكونوا جديرين بثقة ملكنا المفدى، ومن بين هؤلاء هذا الرجل النشيط، الذي تعددت خدماته لمغربنا العزيز، فبعدما قضى سنين عدة في تثقيف البنين والبنات، أنشأ في السنة الماضية معهدا جليلا، يحمل إسم الأميرة للا عائشة صانها الله، ولقد أحرزت هذه المدرسة النجاح الكامل، ولكن مديرها الحازم، أبى إلا أن يضيف مشروعا آخر إلى أعماله المحمودة، وها نحن اليوم تلبية للطلب الذي قدمه باسم لجنة المدرسة، باشا مدينتكم العاملة، نجتمع لنحتفل بوضع الحجر الأساسي لهذه المدرسة الجديدة التي ستشيد على بقعة حبسية، أنعم بها سيدنا جزاه الله أحسن الجزاء، كما أنعم لها بصلة

ملكية كريمة)[4].

ولما علم جلالته نوَّر الله ضريحه بعزم مدير المدرسة على الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على تأسيسها أمر مدير ديوانه إذ ذاك المرحوم السيد عبد الرحمان أنكاي أن يوجه إليه الخطاب الآتي :

من مدير الديوان الملكي إلى حضرة المحترم السيد أبو بكر القادري مدير مدرسة النهضة بسلا.

سلام تام بوجود مولانا المنصور بالله، وبعد، فلقد بلغ إلي علم سيدنا نصره الله، نبأ الاحتفال الذي تنوون إقامته نهار غد، بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيس مدرسة النهضة الحرة بسلا،

وجلالته أعزه الله، على علم بالجهود التي بذلتها هذه المدرسة تحت إدارتكم، في سبيل نشر العلم، وتنوير عقول الناشئين به، وقد أبهجه حفظه الله، أن تكون تلك الجهود، تكللت في هذه السنة، بنجاح مشرف، إذ استطاعت المدرسة المذكورة أن ترشح تلاميذها لشهادة البكالوريا، وبهذه المناسبة أمرني جلالته أن أبلغكم تقديره للجهود التي بذلتها المدرسة خلال السنوات الخمس والعشرين المذكورة تحت إدارتكم، وأن أبلغكم الجوائز التي جادت بها مكارمه، إلى الناجحين من تلاميذها في شهادة الباكالوريا، جريا على عادته المألوفة، في تشجيع الطلبة، وترغيبهم في الاستزادة من العلم، وتقبلوا حضرة المدير عبارات ودي الخالص، وتقديري الفائق، والسلام في 14 ذي الحجة 1377 الموافق 2 يوليوز 1958
مدير الديوان الملكي : عبد الرحمان أنجاي

والواقع أن جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس، كان يعطي لقضية التعليم عناية خاصة، واهتماما كبيرا، بل كان يعتبره القضية الأولى بعد المعركة التحريرية التي كان يخوضها ضد الاستعمار، والتي لاقى فيها من المحن والأهوال والمتاعب الشيء الكثير، انتهى إلى نفيه عن بلاده من طرف السلطات الاستعمارية مدة سنتين كاملتين تقريبا، ثار خلالهما الشعب المغربي ثورته المشهورة كانت نتيجتها رجوع الملك من منفاه، وتحقيق استقلال المغرب، كما سنتحدث عنه بتفصيل إن شاء الله، ولكنا بالرغم عن ذلك سنشير ونحن نتحدث عن شخصية محمد الخامس الوطني المجاهد الوطني المجاهد

(4) انظر نص الخطاب الكامل مع وصف الحفل في (**قصة النهضة**) ابتداء من صفحة 131.

الصامد إلى بعض المواقف الوطنية والسياسية التي وقفها ضد الاستعمار والجمود وذلك في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات وفي ظروف كانت كلمته فيها حاسمة حازمة وموفقة إلى حد بعيد، ومبرهنة على أنه رحمه الله كان يفكر في المستقبل، التفكير العميق ويخوض معركته مع الاستعماريين بتبصر وحنكة دون اندفاع وتهور مثل ماكان يقع للكثيرين من السياسيين.

موقف جلالة الملك المنعم سيدي محمد بن يوسف من الطوائف الضالة

وفي ميدان آخر من الإصلاح الاجتماعي وهو اهتمامه بمحاربة البدع الملتصقة بالدين كان رحمه الله ملتزماً كل الالتزام بمحاربة البدع الضالة والطوائف المنحرفة، وتجلى ذلك عندما تلقى رسالة من علماء القرويين عندما وقفوا وقفتهم المخلصة بتاريخ 17 محرم عام 1352 هجرية فرفعوا عريضة موقعة من جهابذتهم مشفوعة بخطبة كان وجهها جلالة الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله إلى رعيته تدعو إلى الالتزام بالسنة ومحاربة البدعة راغبين من جلالته أن يعطي أوامرهُ إلى المسؤولين في مملكته يمنعوا المنع الكامل تحركات الطوائف الضالة ونشاطاتها ليطهر المجتمع الاسلامي من المنكرات التي تقع بمناسبة الموسم، فما وسعه رضي الله عنه إلا أن يعطي أوامره بمنع تلك المواسم ومحاربة الفآت الضالة المبتدعة من أي تحرك لها، وتعاط لمنكراتها.

وأثبت هنا فقرات من خطبة سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله قال :

واعلموا أن الله بفضله أوضحَ لكم طرق السنة لتسلكُوها، وصرّح بذم اللّهو والشهوات لتملكوها، وكلّفكُم لينظر عملكم، فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه، واعرفوا فضله عليكم وعُوه، واتركوا عنكم بِدَع المواسم التي أنتم بها متلبّسون، والبدَع التي يزينها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعاً، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعاً، فيما هو حرام كتاباً وسنَّة وإجماعاً، وتسمَّوا فقرا، وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقرا، (قل هل ننبئكم بالأَخسَرينَ أَعْمالاً الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحيَاةِ الدُّنيا وهُم يحسِبُون أَنَّهُمْ يُحسنون صُنْعاً)، وكل ذلك بدعة شنيعة، وفَعْلَةٌ فظيعة، وسُبَّة وضيعة، وسُنَّةٌ مُخالِفة لأحكام الشَّريعة، وتلبيسٌ وضَلال، وتدْليسٌ شيطاني وخَبَال، زيَّنه الشيطان لأَوْلِيَائه، فوقتوا له أوقاتاً، وأنفقوا في سبيل الطاغُوت في ذلك دراهمَ وأقواتاً، وتصدَّى له أهلُ البِدَع من عيساوة وجلالة وغيرهم من ذوي البدع والضلالة، والحماقة

والجَلالة، وصاروا يترقبون السَّاعات، وتتزاحَم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات، وكل ذلك حرام ممنوع، والإنفاق فيه، إنفاق غير مشروع، فأنشدكم الله عبَاد الله هل فعلَ رسول الله ﷺ لعمِّه سيِّد الشهداء موسماً ؟ وهل فعَل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيِّد الارسال ﷺ وعلى جميع الصحابة والآل موسماً ؟ وهل تصدَّى لذلك أحد من التابعين رضي الله عنهم أجمعين ؟ إلى آخر الخطبة الهامة[5]

مواقف سياسية مشرفة لجلالته قدس الله روحه

لقد قضى جلالة الملك فترة الثلاثينيات في الدرس والتفكير والاستعداد للمواجهة، فاكتفى أولا بالاهتمام بالإصلاحات الاجتماعية، مثل التعليم وغيره، حتى إذا أعلنت الحرب العالمية الثانية، صار يتجه بتفكيره إلى الاستفادة منها عندما تحين الفرصة، ولما انهزمت فرنسا 1940 لم يندفع و لم يتشف فيها، و لم ينظر إلى مواقع أقدامه، بل نظر إلى المستقبل وإلى المصلحة العليا لبلاده، وهكذا عندما زاره المعتمد بالإقامة العامة الفرنسية «موريز» وعينه تسيل دموعا ليخبره بنبأ هزيمة بلاده أمام ألمانيا، خاطبه قائلا : (إننا أصدقاء فرنسا، كنا أصدقاءها في أيام قوتها وازدهارها، ونحن اليوم لازلنا أصدقاءها في محنتها ومصيبتها، فليس من طبع المسلم، وليس من طبع المغربي، أن يخون عهد الصداقة، فلتكن الحكومة الفرنسية مرتاحة البال، فيما يخص المغرب) موقف في منتهى الشمم يقفه محمد الخامس أمام ممثل فرنسا بالمغرب، ودرس يعطيه محمد الخامس لممثل فرنسا، أن المغرب لايخون العهد، ولا يطعن من الخلف، ولحظة من لحظات التوفيق وقفها محمد الخامس وهو ينظر إلى ممثل فرنسا يبكي أمامه، ويرى رغم ما قاسته وما كانت تقاسيه بلاده في تلك الظروف بالذات من طرف الجنرال نوغيس المقيم العام الفرنسي، يرى أن مصلحة المغرب ليست مع ألمانيا النازية الطاغية العنصرية، ولكنها مع الحرية ومع المدافعين عن الحرية، وإن كانوا في تصرفاتهم مع البلدان الخاضعة لهم بالقوة، لا يطبقون ما يدعون أنهم يدافعون عنه، فالقضية في نظره ليست قضية انتقام من الخصم العنيد المحتل لبلاده

(5) لقد حرص رجال الحركة الوطنية إذ ذاك على طبع هذه الخطبة بالمطبعة الجديدة بفاس ووزعوها على مختلف طبقات الشعب، تبليغاً للدعوة وقياماً بالواجب، وتجاوباً مع محمد الخامس الذي أمر بمنع تجوّل الطوائف الضالة التي لم تلتزم تعاليم الشريعة الاسلامية في تصرفاتها وطرق تعبدها.

والارتماء في أحضان قوة ظالمة طاغية، صارت تحتل الشعوب بطغيانها وجبروتها وتنوع أسلحتها، ولكنها قضية مبادىء وحقوق وأخلاق.

لاشك أن ممثل فرنسا وهو يستمع إلى كلمات محمد الخامس في تلك اللحظات، كان يؤنب نفسه، ويستعرض مظالم الفرنسيين في المغرب، ولربما كان يتخوف أن يسمع من ملك المغرب الكلمات الموجعة المتشفية والمؤنبة، ويريده أن يخفف من غلوائها، ولكنه سمع ما أذهله وحيره، فلم يسعه إلا أن ينحني أمام جلالة الملك بخشوع وخضوع محاولا أن يقبل يديه الكريمتين شاكرا ومثنيا ومعترفا بالجميل. لم يكن محمد الخامس وهو يتخذ موقف مساندة فرنسا الحرة في حربها ضد ألمانيا النازية، متملقا ولا خائفا، ولكنه كان يقيس ويقرر المواقف السياسية بميزان الحكمة والتبصر والارتباط بالأخلاق الاسلامية المثلى التي تدعو إلى مناصرة الحق والمبادىء الاسلامية في الحياة.

موقف محمد الخامس من نزول القوات الأمريكية في الدار البيضاء

تطورت ظروف الحرب، وجاءت سنة 1942 لتقرر القوات الأمريكية النزول بشواطىء إفريقيا الشمالية ومنها الشواطىء المغربية، فيقوم الجنرال نوغيس مقيم فرنسا العام بصفته قائد الجيش الفرنسي الأعلى بالمغرب بمقاومة النزول الأمريكي بالشواطىء المغربية، ويصرح الأميرال «دار لان» رئيس حكومة فيشي والجنرال نوكيس بدوره قائلين : (ان المقاومة ستستمر، وان جلالة السلطان والإدارة الفرنسية سينتقلان إلى مدينة فاس حتى يتسنى للجيش الفرنسي ومعه الجنود المغاربة مواصلة الحرب ضد الأمريكيين، ويطلب نوكيس من جلالة الملك الانتقال إلى فاس، ولكنه يرفض الرفض القاطع ما طلبه منه نوكيس قائلا له : (إننا لسنا في حرب مع أمريكا، ولا أسمح لقوات بلادي أن تريق دماءها في مقاومة النزول الأمريكي، ان الجيش الفرنسي يستطيع أن يخوض الماء ويقاتل خارج بلادنا، إن المغرب أعلن الحرب معكم ضد ألمانيا النازية، وهو لم يغير موقفه) وهكذا بقي المغرب بزعامة محمد الخاس حافظا لعهده، متمسكا بمبادئه المدافعة عن الحرية، رغم استسلام «بيتان» وسير «نوكيس» في ركابه.

حماية اليهود المغاربة

ولما انساق الجنرال بيتان مع ألمانيا في الضغط على اليهود، وإصدار القوانين ضدهم، والتي تسمى بقوانين نور مبرغ، أراد الجنرال نوكيس تطبيقها على اليهود المغاربة، وحاول إقناع جلالة الملك ليوافقه، ولكنه رفض ذلك وأذاع تصريحاً جاء فيه :

(إن اليهود المغاربة، من رعاياي، ويجب عليّ أن أحميهم من أي اعتداء) فبقي رحمه الله حامياً لهم، واقفاً معهم طوال مدة الحرب، فلم يمسهم أذى، ولم يصبهم أي مكروه، الأمر الذي جعل اليهود في جميع أنحاء العالم يعترفون له بالجميل، ويذكرونه في المحافل بالتبجيل، وإن كانوا لم يقفوا المواقف التي ترضيه ضد الصهيونية وخزاياها في فلسطين،

ولم يستنكروا مذابحها واعتداءاتها، ابتداء من دير ياسين في الأربعينيات، واستمراراً للإعتداء في قنا وغيرها في التسعينيات.

مؤتمر آنفا

وجاءت سنة **1943** لينعقد مؤتمر آنفا بالدار البيضاء، ويشارك فيه محمد الخامس مع الرئيس روزفيلت والرئيس تشرشل وشخصيات أخرى في طليعتها ولي العهد المغربي الأمير المولى الحسن الذي تحدث في كتابه «التحدي» عن هذا الاجتماع فقال :

(لم يترك الحديث الذي دار خلال مأدبة العشاء في آنفا، سوى أثر غامض على ذاكرتي، لقد تناول بالخصوص مسألة الوضع العسكري في أوربا وإفريقيا والمحيط الهادي إلى أن يقول : وبعد إبداء ملاحظات عامة توبع الحديث في شكل حوار بين الرئيس (روزفيلت) وبين أبي، وكان السيد المعمري يترجم أقوال المتحدثين على التو، صرح الرئيس الأمريكي أن النظام الاستعماري قد انقضى عهده بالفعل، وسيعاد التنظيم السياسي والاقتصادي للمجتمعات الغربية، بل سيشجع هذا الاستقلال بمنح مساعدة اقتصادية مناسبة)

لاشك أن حديث جلالة الملك مع الرئيس روزفيلت كان صريحا جدا، ولاشك أنه وضع قضية استقلال المغرب وتحريره في مقدمة ما أثاره من موضوعات، ويقول روم لاندو في كتابه : تاريخ المغرب (وقد اتضح لكل واحد أن السلطان والرئيس كانا مسرورين في ذلك الوقت، وقد تضمنت الملاحظات التي أبدها الرئيس، أن المغرب يجب أن لايسمح للأجانب أن يمتصوا ثروته، وأنه يجب أن يطور إمكانياته الاقتصادية لمنفعته الخاصة، وأن حكومة ذات سيادة، يجب أن يكون لها إشراف كبير على موارد الثورة في بلادها، وعلى العموم، فقد كان عشاء لطيفا تمتع فيه كل واحد ـــ باستثناء شخص واحد[1] ـــ بما فيه في من مباهج إلى أقصى حد، وكان السلطان أكثر الجميع سرورا (لقد طفح وجهه بشرا، وقال : (مستقبل جديد لبلادي) وهكذا كان محمد الخامس لاينتظر من لقائه مع روزفيلت، بمثابة أمل عظيم، وإحساس فكري صحيح، بالنسبة للملك).

---

(1) لعل ذلك الشخص هو الجنرال نوكيس.

حول أطماع إسبانيا في الاستيلاء
على طنجة واحتلالها أثناء الحرب

أثناء الحرب العظمى، وبعد انهزام فرنسا أمام ألمانيا، احتلت طائفة من الجيش الإسباني مدينة طنجة وطرد المندوب المخزن منها، فلما علم جلالة محمد الخامس بما وقع، احتج كامل الاحتجاج ضد هذا الاعتداء، وأمر المقيم العام الفرنسي إذ ذاك، وكان مسؤولا إذ ذاك كوزير لخارجية المغرب.

ولقد جاء في الرسالة التي كتبها جلالة الملك مايلي : إن الواجبات التي تقلدناها يوم صعودنا على عرش الملك المغربي، وتعهدنا بتدبير شؤون رعيتنا، والمدافعة عن حقوقنا تلزمنا أن نحتج أقوى الاحتجاج على هذه التقارير (قرار ضم طنجة إلى الحماية الاسبانية) الصادرة من جهة إسبانية وحدها من غير موافقتنا، وفي كامل المخالفة لقواعد حقوق الدولة، محافظين على كل ما لعرشنا السلطاني من الحقوق والامتيازات المتعلقة بالنظام الأساسي لمنطقة طنجة)[2].

في اجتماع المجلس الوزاري إثر
تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

بعدما تقدم حزب الاستقلال بوثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 لجلالة الملك انعقد مجلس وزاري تحت رئاسته، شارك فيه علية القوم من علماء وقواد كبار وشرفاء، ولقد تحدث فيه جلالته بكل ثقة وقوة يقين، موضحا عقم سياسة الحماية وفشلها، وعدم وفائها بالتزاماتها، ومبديا ارتياحه لمطلب الاستقلال فاقترح الحاضرون تشكيل لجنة مؤلفة من وزيرين ورئيس التشريفات الملكية للاتصال باللجنة التنفيذية للحزب والتباحث معها في الطرق التي ينبغي أن تسير عليها الأمور بعد تقديم الوثيقة لإقناع السلطات الفرنسية بضرورة تحقيق مطلب الاستقلال وكان خطاب جلالته أثناء هذا الاجتماع ينم عن روحه الفياضة بحبه لبلاده وضرورة العمل على تحريرها.

وإثر رفض السلطات الفرنسية لمطلب الاستقلال – كما سياتي توضيحه – زار المقيم

---

(2) سنتحدث عن موضوع احتلال طنجة من طرف إسبانيا في الصفحات المقبلة.

العام «بيّو» جلالته بالقصر الملكي، وبعد حديث معه، وجه إليه هذا السؤال : هل أنت مع فرنسا أو ضدها ؟ فاستغرب جلالته من هذا السؤال الأخرق، وأجابه : لست ضد فرنسا وأنتم تعلمون ذلك، لكنني مع حرية شعبي، واستقلال بلادي.

الجنرال دوكول يريد من محمد الخامس أن لايتعجل الأحداث

لدى مقابلة الجنرال دوكول لمحمد الخامس سنة 1945 نصحه أن لايتعجل الأحداث فأجابه على الفور، كما ورد في مذكرات دوكول : (إن الحماية لم يقبلها عمي مولاي عبد الحفيظ ووالدي مولاي يوسف، ولا أقبلها أنا اليوم إلا كمرحلة انتقالية ما بين المغرب القديم، ودولة حرة عصرية، وإخال الوقت قد جاء لإنجاز مرحلة جديدة نحو هذه الغاية، وهذا ما ينتظره شعبي.

تصريح لجلالة محمد الخامس أمام رجال السلك الديبلوماسي في طنجة

لدى زيارة جلالة الملك لطنجة سنة 1947 صرح بما يلي : «إن المغرب حريص أن يكون له في المستقبل علاقة ودية، مع كل الأقطار التي دافعت عن الحرية، والتي تواصل الدفاع عنها، ويرغب المغرب بكل قواه، الحصول على كل حقوقه، إن ما نسعى إليه منذ اعتلائنا العرش، وهو إتاحة الفرصة لرعايانا، كي يتمتعوا بالحقوق الديموقراطية، ولنا أمل وطيد في بلوغ كل ما نطمح إليه»

محمد الخامس في فرنسا بدعوة من دوكول

بعد انهزام قوة المحور في فرنسا، دعا الجنرال دوكول محمد الخامس ليحضر الاستعراض العسكري الضخم الذي نظم يوم 18 يونيو 1945 فوشح دوكول صدر محمد الخامس بوسام صليب التحرير، ورافقه في بعض جولاته، واتصل بالجيوش المغربية التي شاركت في الحرب ضد المحور، وقد اغتنم محمد الخامس مقامه بفرنسا، فطلب من الجنرال دوكول إعطاء، أوامره لاطلاق سراح الزعماء المنفيين الوطنيين : بطل

الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي وزعيم التحرير علال الفاسي المنفي في الكابون والأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلافريج المنفي في كورسيكا وزعيم الحركة القومية محمد بن الحسن الوزاني المنفي في قرية «ايتزار» قرب فاس، فقبل وأمر بإطلاق سراح الثلاثة الأخيرين، أما الزعيم ابن عبد الكريم فقد قرر نقله من منفاه في جزيرة «رينيون» إلى فرنسا.

حوار مع الجنرال جوان

عندما عين الجنرال جوان مقيما عاما لفرنسا بالمغرب في مايو 1947، جاء بلباسه العسكري للسلام على محمد الخامس وكأنه أراد أن يخيفه، ولكن جلالته بقي على طبيعته، غير ملتفت إلى التهديد الخفى من طرف الجنرال، ثم خاطبه قائلا :[3] لقد التزمنا ببرنامج مزدوج : تطوير المغرب في المجال الاقتصادي، لنتيح لشعبنا أن يحسن أحوال معيشته، ويستغل خيرات بلاده، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الشعب المغربي يتوق في المجال السياسي إلى التطور، والشعوب في الوقت الحاضر تطمح إلى التقدم، فيجب أن نؤمن للشعب المغربي، مطامحه المشروعة، فرد الجنرال قائلا : إني أنوي دراسة المطامح المشروعة، بروح من التفهم الكبير، لكن هناك مطامح غير مشروعة. فأجاب محمد الخامس : الرجل العاقل، ليس له إلا مطامح مشروعة، فعقب جوان : ان لي كامل الثقة في حكمة الشعب المغربي، وحكمة عاهله ذي الفكر النير، فرد محمد الخامس : إننا لعلى يقين بأن الحكومة الفرنسية، بفضل المهمة التي أسندتها لكم، ستساعدنا على بلوغ ما نطمح إليه).

(3) انظر كتاب محمد الخامس للأستاذ قاسم الزهيري.

لجنة الحركة المغربية الموقتة

لقد أشرت في الجزء الأول من مذكراتي الوطنية، إلى أنني بعد خروجي من السجن في 27 أكتوبر 1938 صرت أتصل بإخواني الوطنيين الذين لم يلق عليهم القبض، أو الذين سجنوا وتم إطلاق سراحهم قبل هذا التاريخ، وكان من جملة الذين اتصلت بهم المرحوم سعيد حجي، الذي وجدت أن كثيرا من الوطنيين في الرباط وفاس خاصة، ينتقدون مواقفه خلال محنة الوطنيين شر انتقاد، ويتهمه بعضهم بأنه كان يعمل على تأسيس حزب جديد، هدفه التعاون مع الإقامة العامة، إلى غير ذلك من الاتهامات، وذكرت في مذكراتي كذلك أننا اجتمعنا مع السعيد، وأعطانا معلومات دقيقة عن الاتصالات التي كان يقوم بها، مع الادارة الفرنسية، والأهداف التي كان يسعى إليها، كما ذكرت أنه أطلعنا على وثائق، وتقارير، ومحاضر جلسات، حول النشاط والتحركات التي كان يقوم بها، مع شخصيتين آخرين هما : محمد اشماعو وأحمد بن غبريط.



محمد اشماعو

ونظرا لأني لم أستوف الموضوع حقه، كما وصفت لي من طرف السعيد، وكما قرأته مسجلا في محاضر جلسات، موقع عليها من طرف المذكورين الثلاثة، وهم : السعيد حجي، وأحمد بن غبريط، ومحمد بن بوبكر شماعو، وحتى لا أغمط أحدا حقه، وحتى أسجل الحقيقة التاريخية كما وقفت عليها، دون إبداء رأي شخصي إلا بعد إثباتها، ثم أعقب إن شاء الله عليها، وفق منظوري ورأيي، دون تجن على أحد، ودون انصياع لأي هوى.

لقد اطلعت على ماجاء في المحاضر التي أطلعني عليها، ومكنني منها فترة زمانية المرحوم سعيد حجي، ولقد قرأت في صفحتها الأولى التي لم تكن موقعة من الثلاثة المذكورين العنوان التالي : (وثيقة لجنة الحركة المغربية الموقتة) وجاء في هذه الوثيقة التي يظهر أن الثلاثة لم يتفقوا على صيغتها، لأن فيها كثيرا من التغييرات ـــ جاء فيها ما يلي :

حيث أن الحالة السياسية بالمغرب مرتبكة، وحيث أنه قد يطول أمد حلول استقرارها على حالة مرضية، وحيث أن مجال الاصلاح في المغرب بقي عاطلا، ولم توجد فيه مركزية مسؤولة كما يجب، تستطيع أن تدير الإصلاح اللازم، تقرر تأسيس لجنة مؤقتة للعمل المباشر للإصلاح، تتحمل المسؤولية في الموقف، إلى حين حصول تسوية في الموقف السياسي بين الحكومة وبين المعتقلين، تكون عندها الصلاحية اللازمة، لإتيان جميع المشاريع والأعمال، متخذة أساليب مخصوصة تقررها بإجماع أعضائها، ولايطلع على أسرارها، إلا الذين ترى الجماعة بإجماع أعضائها لهم صلاحية، كما لايصوغ تكليف أحد من قبلها، إلا بإجماع أعضائها، ثم تقول الوثيقة : لا تكون للجنة صبغة تمثيلية لا سياسية، ولا شعبية، إلا إذا صادقت الحكومة على برنامج يكفل رضى المبعدين، أو جلهم، على حسب ما تراه اللجنة، وتعتقد قبوله من طرف المبعدين، ثم تعجل في تنفيذه، ثم تقول الوثيقة : فيما إذا لم تتوصل اللجنة إلى حل يكفل عودة المبعدين أو جلهم، وفيما إذا استمرت الحالة من الناحية السياسية كما هي، يمتد أمد قيام هذه اللجنة لمدة سنتين، وبعدها يحق لأعضائها أن يعتبروا أنفسهم أحرارا من التزاماتها وتعهداتها، ثم حيثيات أخرى تنظيمية.

برنامج وطني موقت في زمن الحرب

يبلغ عدد محاضر الجلسات الموقع عليها من طرف الأشخاص الثلاثة الذين كونوا (لجنة الحركة المغربية الموقتة) أربعة عشر محضراً، ويوضح المحضر الأول الغرض من تكوين هذه اللجنة، وهو فتحُ عهدٍ تعاونيٍّ مع الادارة على أساس وضع برنامج محدد لإيجاد الجوّ الصالح له، والخطة الضرورية لنجاحه، وهذا البرنامج يشتمل النقط التالية كما جاء في مقترحات السعيد حجي، وهي :

أولا : في مجال التعليم :

1) توجيه بعثتين للتعليم، واحدة إلى الشرق العربي، والأخرى إلى فرنسا.
2) إصلاحات في برامج التعليم
3) مساعدة المدارس الحرة
4) الاهتمام بجامعة القرويين وتطويرها

ثانيا : في مجال الصناعة والفلاحة :

1) خلق هيآت تعاونية صناعية، تعطي لها بعض الصلاحيات، وتساعد على تطوير الصناعة، وتصدير المنتوجات الصناعية.

2) توزيع الأراضي على الفلاحين، وتنظيم الملكية العقارية، وإعطاء قروض للفلاحين، والتسوية بين القمح الصلب، والقمح الطري.

ثالثا : في ميدان الإصلاح الاجتماعي :

1) السماح بتأسيس جمعيات ثقافية، وتهذيبية، ورياضية، وخيرية

2) السماح بإصدار الصحف، وعدم مراقبتها — ولضمان تحقيق ذلك يجب :

1 — رفع المراقبة على الصحف

2 — العمل على إطلاق سراح المعتقلين بكيفية تدريجية

3 — تحسين معاملة المعتقلين

4 — يقع الإتفاق على هذا البرنامج مع الحكومة، وبعد المصادقة عليه تقع المخابرة مع المعتقلين، لأخذ موافقتهم أيضا، ولاحظ السعيد في آخر المحضر مايلي : عدم تورط الوطنيين مع الحكومة، بمظالمها السياسية، خوفا من أن يضطروا بسبب ذلك، إلى الاحتجاج الذي يؤدي إلى الاختلال بالعهد التعاوني، لذلك فيجب على الحكومة أن تقلع عنهما.

وبعد تحديد الأهداف التي يعمل لها العهد التعاوني، حسب ما جاء في المحضر الأول، يتعرض المحضر الثاني، إلى توزيع المهام، والاتصالات، والمفاوضات، فتعهد السعيد حجي بالاتصال بالحزب الوطني لأخذ موافقته على البرنامج المذكور، وتكلف محمد شماعو، بالاتصال بالحركة القومية، أما أحمد برغبريط فتعهد بمفاوضة الحكومة، أما في الجلسة الثالثة، فلقد صار يبرز بعض الاختلاف في رأي الثلاثة، المكونين للوثيقة، في شأن برنامج العمل، حيث أن اشماعو، اعترض على موافقة المبعدين على البرنامج، قائلا : من الضروري أن نقيم عملنا الاصلاحي المنتظر، على أسس عملية، وعلى اليقين والاطمئنان، لا التردد، ومسألة الاتفاق مع المبعدين (أي المسجونين والمنفيين) ليست من هذا القبيل، وأرى قبل كل شيء، أن نعمل على نجاح برنامجنا، حسب تيقننا من نجاحه، وحسب اجتهادنا الخاص، إلى آخر ما جاء في كلامه الذي شرح فيه تصوراته الخاصة، فلاحظ عليه كل من السعيد، وابن غبريط، منتقدين أفكاره وتصوراته، رافضين لها، وانفضت الجلسة

دون اتخاذ أي قرار، وتوالت المناقشة في الجلسة الرابعة، في موضوع الاتصال بالمبعدين، وضرورتها في نظر السعيد، وابن غبريط، ورفضها من قبل اشماعو، ملمحا إلى أن الاتصال بالمبعدين يفسد الخطط الجديدة من الأساس، بينما يرى السعيد، أن اعتراض اشماعو على الاتصال بالمبعدين، يعتبر متناقضا مع الخطة والبرنامج، اللذين وقع الاتفاق عليهما أول مرة.

توبعت المناقشة في موضوع برنامج العمل، والخطة السياسية، في جلسة الثلاثة، الخامسة، ويلاحظ في تدخل اشماعو أمران :

1) أن لجنة الحركة المغربية الموقتة لها طابع خصوصي، هو طابع الصحافة، وتحركاتها تكون باسم الصحافة، ويقترح في الأخير أن تطالب اللجنة بتأسيس لجنة تهتم بإصلاح الحالة، وتكون هذه اللجنة ذات صلة بالمقيم العام.

2) ثم يبرز من كلامه إسم شخصية، يتراءى لي أنها كانت ذات اتصال وثيق باشماعو، هي شخصية «سردون» ولذلك فإنه يقترح أن يكون على رأس هذه اللجنة المقترحة منه مسيو سردون) أما السعيد حجي، فيعود في تدخله إلى قضية المبعدين، فيلاحظ أنه نظرا لأن الاتصال بهم، ربما تعوقه بعض الظروف، ولذلك فإنه يقترح أن يقع الاتصال (ببلافريج) في فرنسا، أو سويسرا، لعرض المقترحات عليه والاتفاق معه، ونظرا لأن الاتصال ببلافريج فيه فائدة مزدوجة، سواء من ناحية الادارة، التي ترى فيه خصمها المشوش عليها في الخارج، أو من ناحية المبعدين، الذين يرفع صوتهم في الخارج، فالإدارة إذا ما وقع الاتفاق معه، ستسكت صوتا مشوشا عليها، والمبعدون سيطمئنون، إذا ما وافق على البرنامج، وبعد مناقشة الموضوعين المقترحين من اشماعو، والسعيد، وقع الاتفاق على الاتصال بالمقيم، باسم لجنة الصحافة بواسطة (سردون) ثم مباشرة مسألة الاتصال (ببلافريج)، على أساس البرنامج المسطر، ثم جاء التهييء لسفر السعيد إلى سويسرا، قصد الاتصال ببلافريج، ويظهر أن «سردون» تحمس لهذه الفكرة، ولذلك فإنه تكفل بتهييء جواز السفر للسعيد، في أقرب وقت ممكن، حتى يمكنه أن يشرح لبلافريج، الوضع السياسي الجديد، والاقتراحات التي تقترحها اللجنة، لإنشاء عهد تعاوني، على أساس البرنامج المقرر من طرف اللجنة الثلاثية، فإذا ما وافق «بلافريج» على البرنامج، فإن اللجنة الثلاثية تتقدم به إلى المقيم العام، بعد أن تطلب مقابلته، ويشتم في محضر الجلسة السابعة أمران مهمان :

الأول : أن اتصال (سردون) مع اللجنة، يقع في غيبة عن رجال إدارة الاستعلامات.

الثاني : وأن إعطاء الأسرار لبلافريج، لاينبغي أن تكون إلا بمقدار ما يعتقد أنه يقبله. وجاء في آخر محضر الجلسة المذكورة : (وفي حالة عدم توافق السعيد مع بلافريج يجب العدول عن مقابلة المقيم بتاتا).

لم يتمكن السعيد من الحصول على جواز السفر، إلاَّ بعد مجهودات مضنية، ومناقشات، كادت تؤدي إلى العدول عن سفره لمقابلة بلافريج، ويلاحظ أن إسم «سردون» ظهر بارزا أثناء هذه الخطوات، وأن بعض الاجتماعات صارت تقع معه، وأثيرت في الجلسة التاسعة قضية رفع المراقبة على الصحف، كما أثيرت قضية زيارة الوزير «دوتيسان» للمغرب (فأبدى السعيد تخوفات من قدومه، حيث أن عشرات الصحفيين، سيغتنمون الفرصة، لينوهوا بأعمال الأمن والاطمئنان، الأمر الذي سيجعل الاداريين، تشتد شوكتهم، وهذا ما يجعل مساعينا في حكم العدم)[1] ويقول المحضر : ان «سردون» احتار في الجواب عن هذه التخوفات.

ومن خلال قراءة محضر الجلسة العاشرة، تتضح معالم جديدة، وهي أن «سردون» على اتصال وثيق بالمقيم العام، وأن الاداريين الآخرين، أي رجال الاستعلامات لا علم لهم بما يجري، وأن المقيم العام نفسه (يلاقي الصعوبات الجمة من طرف إدارة الأمور الأهلية وتصور له المسائل على حالة مخيفة ومخالفة للواقع) وأن جميع المساعي تذهب سدى (إذا لم يقع بين المقيم، وبين العاملين اتفاق وتظافر، يجعلهما على اتصال تام، لمواجهة المشاكل، في خفاء عن أعين الرقباء المترصدين) ويشير المحضر، إلى أن السعيد تقابل مع المقيم العام، واستعرض معه الحالة السياسية العامة، والبرنامج التي تدارسته اللجنة، وبلغه خبره بواسطة «سردون» ويقول المحضر : (إن المقيم صرح للسعيد، بتقديره للوطنية المغربية، واحترامه لرجالها، إنما ذكر أن نشاط الوطنية المغربية السياسي، غير مناسب للظروف الخارجية، والداخلية، خصوصا لعدم تطور الشعب المغربي، التطور اللائق) ثم أكد أنه يوافق على زيارة السعيد لبلافريج، والسماح بإعطائه جواز السفر، وهكذا سافر السعيد إلى سويسرا لمقابلة «بلافريج»، ولكن الحظ لم يرافقه في هذا السفر، حيث انه وجد بلافريج داخل المستشفى مريضا، تجرى عليه عملية جراحية، وأن الأمير شكيب أرسلان، ملازم له في المستشفى، مهتم كل الاهتمام بتطور حالته الصحية، فاكتفى السعيد بمقابلة الأمير شكيب، واستغرق اجتماعه معه أربع ساعات، عرض عليه

---

(1) اطلعت على مشروع مذكرة كتبها السعيد بخط يده ترفع باسم الوطنيين إلى «دوطيسان» بمناسبة زيارته للمغرب، وصيغتها تعبر عن خطة الحزب العامة، ولم أعرف من قدمها.

فيها ما أتى من أجله[2]، راجيا منه أن يبلغه لبلافريج، بعد إبلاله من مرضه، ويقول محضر الجلسة العاشر، وما بعده : إن الأمير شكيب وافق على الخطة المعروضة عليه وحبذها، وأنه تقرر إشعار المقيم العام بنتيجة السفرة التي قام بها السعيد، ويظهر من خلال المناقشات التي جرت بين الأعضاء الثلاثة المكونين للجنة، أن الاتجاه كان منصبا حول تكوين لجنة للاتصال التي يترأسها «سردون» وحول إصدار الجرائد وقانون المراقبة المفروض عليهما، وعن ضرورة تبليغ ما يجري في طي الكتمان إلى بعض الشخصيات الوطنية التي يطمئن إليها (وفي هذا الموضوع الأخير تحفظ اشماعو كل التحفظ) فتقرر أن يحاط علما بالموقف السادة : أحمد بناني ومحمد الفاسي ثم محمد الدزيري ومسعود الشيكر وعبد الجليل القباج وعبد الله الركراكي، والمعطي أبا خاي، ويخبر السيد مَحمد الزغاري أيضا ولكن بشكل ربما أقل، والذي تكلف بالاتصال بهؤلاء هو السعيد، أما اشماعوا فلقد تقرر أن يسافر إلى فاس ومكناس ليتصل ببعض الشخصيات، ويطلعها على ما تقوم به اللجنة الثلاثية والخطوات التي خطتها.

لقد كانت المناقشات التي تدور بين الثلاثة المذكورين، تسجل في محاضر جلسات كما ذكرت، ويوقع عليها ثلاثتهم، ويأخذ كل واحد منهم نسخة موقعا عليها ثلاثتهم، وذلك ابتداء من 28 نونبر 1937، أي بعد شهر واحد من اعتقالنا، وسجننا، ونفى بعضنا، وفي طليعة المنفيين الزعيم علال الفاسي الذي نفى إلى أدغال إفريقيا (الكَابون) واستمر تسجيل الوقائع إلى 26 أفريل 1938 أي نحو خمسة شهور، ثم فتر التسجيل، رغم توالي الجلسات، ويظهر أن السبب يرجع إلى أن أفكار وتوجهات الثلاثة لم تكن متوافقة، ولذلك توقف التسجيل، ثم توقف العمل المشترك نهائيا.

ولعلَّ توقفَ عملِ الثلاثة المشترك، هو الذي جعل السعيد يسجل ولو باختصار ما وقعت المذاكرة فيه، بعد توقف التسجيل، والعمل، وهذا ما كتبه السعيد بخط يده، ووقع عليه الثلاثة، أنقله كما كتبه دون تغيير، كتب السعيد حجي ما يأتي بالحرف :

(ملخص ماراج منذ رجوع سعيد من ليزان إلى أواسط شهر جوي 1938).

(منذ رجع سعيد من ليزان، لم تنتظم محاضر الجلسات، مع كثرتها، وتنوع المسائل التي راجت أثناءها، وخطورتها، وبعد التذكر الطويل، استطعنا أن نجعل هذا الملخص لما راج، وأن نفرد لكل مسألة فقرة لتطوراتها، والحد الذي وقفت عنده.

---

(2) تعرض الأستاذ بوطالب في ذكرياته لهذه المقابلة وأتى باستنتاجات تتطلب كثيراً من المناقشة.

أولا : سراح بعض المعتقلين : عندما رجع سعيد من ليزان، دارت عدة مناقشات في تفهيم الجمهور حسن نوايا المقيم العام، لنبدأ في الخطة التعاونية، واقترح أن يصدر بمناسبة عيد المولد عفو عن سيدي مشيش العلمي، وأظهر «سردون» أن المقيم قد يساعد الآن على إطلاق عدد ممن لم تكن لهم يد في الاضطرابات، وبعد مناقشات عديدة، اعترض اشماعو أن ذلك سيهيج الناس، ولا يجعلهم يفهمون الموقف بوضوح، وقد مرت مناسبة العيد، دون أن يتخذ قرار حاسم في ذلك.

ثانيا : رسالة سعيد إلى المقيم : وبعد أن رجع سعيد، راجت فكرة الكتابة إلى المقيم، لتبليغه نتيجة الرحلة، وأن تتعرض الرسالة إلى فكرة الاتصال به في صورة مكتب يدرس المسائل المغربية مباشرة، ووضع سعيد مشروع الرسالة، وبعد أن درس عدة مرات، خلال عشرة أيام، وقع الاتفاق النهائي على صيغتها وترجمت، وأخذها سعيد إلى مكتب المقيم في 10 ماي 1938، وقد علم بعد ذلك أن الاهتمام بما كان مناسبا.

ثالثا : ظهير المراقبة على الصحف : واقترح سعيد أن يرسل سعيد واشماعو رسالة إلى المقيم العام يطلبان فيها عدم تجديد المراقبة على الصحافة، وأن يضع المقيم ثقته فيهما، وقبلت الفكرة، وكلف سعيد بوضع مشروع الرسالة ووضعه، وذهبنا إلى دار «سردون» لدرسه، واعترض اشماعو في الأخير على إرسال الرسالة لسببين، الأول : أنه متى علمت ذلك إدارة الأمور السياسية ستزداد حنقا علينا، وتضع العقبات في سبيل صحيفتنا. والثاني : أن الجمهور سيطالب منا لهجة قوية، مادمنا سنكون أحرارا، وذلك مما لايتوافق والموقف الحاضر، والخطة التعاونية التي نعمل بها، وبعد مناقشات حادة، توقف المشروع، واكتفى أن يلفت «سردون» نظر المقيم للقضية.

رابعا : سفر اشماعو الأول إلى فاس : وقد قصد اشماعو فاسا في 24 ماي وقضى به نحو ثلاثة أيام ورجع، وأخبرنا أن رحلته كانت مفيدة، وأنه اتصل بعدد وافر من الأفراد، وفهم أن الجو لازال قاتما بفاس، وأن الأفراد يئسوا من فكرة التفاهم مع الإداريين، على أنهم رحبوا بإصدار «الوداد» وأن دعاية واسعة النطاق ضد ملحق «المغرب» وضد سعيد، حيث أنه لم يسجن، وأن البعض يقول إنه تنازل عن السياسة، والبعض الآخر يقول : إنه يريد تأسيس حزب مستقل، وأن الحالة بمكناس تدعو إلى الارتياح، حيث إن العاملين منتصرون ويتفاهمون مع الإداريين.

خامسا : سفر اشماعو إلى فاس للمرة الثانية مع البقالي : وقد سافر اشماعو مع البقالي في 6 جوي إلى فاس واستمعوا لرأي الفاسيين في شأن لهجة «الوداد» وأظهروا

له استحسانهم، ووجد أن الناس أقل تشاؤما من السفرة الأولى، وأنهم تغيروا عن السفرة الأولى، وأن الوطنيين أصدروا منشورا بتوقيف اجتماعات يوم الاثنين الاحتجاجية بالقرويين، وأن اشماعو اجتمع ببعض الصناع، فوجدهم مرتاحين لموقف الادارة معهم، ومنهم من يغلط حركة الوطنيين في الماضي، أما في مكناس فالحالة أيضا لازالت تدعو إلى الارتياح.

سادسا : إصدار الوداد : كانت الإدارة منذ فبراير حاولت أن تطمع اشماعوا بإصدار «الوداد» وتقديم مساعدة مالية له، ودرست الفكرة بين الجماعة و لم يقرر فيها شيء نهائي، ولكن ظهر بعد ذلك أنها تريد تسيير الجريدة حسب هواها فلم تشأ نشر مقالة عن الفقيد القري، وهنا أصبحت فكرة الإعانة ملغية، سواء من جانبنا، أو جانب الإدارة، وقد صدرت فعلا، ووقع الاتفاق على أن المسائل المغربية المهمة التي تنشر في الوداد والمغرب تدرسها الجماعة، والمسائل المغربية الثانوية، يراقبها اشماعو وسعيد، وذلك لأن خلافا وقع بين الجماعة في شأن مقالة افتتاحية لاشماعو للعدد التاسع الذي صدر من «الوداد» فقد وصف حركتنا الماضية بضعف القيادة والمجازفة إلى غير ذلك، فاعترض على ذلك أحمد بن غبريط وسعيد، وبعد مناقشة، قرر البرنامج المتقدم.

سابعا : محاولة إصدار «المغرب» : وعندما جدد الظهير الخاص بالصحافة لستة أشهر أخرى، رأى سعيد لا مناص من إصدار جريدته اليومية، وأراد إسناد إدارتها للسيد محمد البقالي، لأن من الصعب عليه أن ينشر آراءه السياسية تحت المراقبة، خصوصا وأن حزبه، قد احتج على ذلك الظهير ــ فذكر اشماعو أن الادارة ليس من رأيها إصدار المغرب، وهي تنظر لصاحبها بنظر خاص، خصوصا قضية إسناد التحرير لآخر، مما يدل على عدم الرغبة في التعاون، وعدم الرغبة في تنفيذ ظهير المراقبة، وظلت المسألة عدة أيام في أخذ ورد، وأيد أحمد بن غبريط فكرة الإصدار، وأخيرا قرر، فلما صدر اعترضت الادارة المحلية بسلا، أن المدير مسؤول، ولابد من موافقة السلطة عند تغييره، ثم إن الناحية أبلغت سعيدا في آخر يوم لاصدارها سحب الاذن، سواء للجريدة اليومية أو الملحق، لأسباب واهية، وقد أبلغنا ذلك لمكتب المقيم بواسطة «سردون» فاهتم بالأمر، وأرسل يطلب سعيدا الذي وافق باختياره على تأخير إصدار المغرب اليومية إلى ما بعد الصيف.

ثامنا : الاتصال مع بلافريج : ومنذ رجع سعيد من ليزان، والمخابرة جارية، حيث إن «بلافريج» لم يفهم المقصود من الخطة الجديدة، حيث وصلت رسالة بذلك، ولقد أرسلنا إيضاحا طويلا للأمير شكيب ليدرسه مع «بلافريج، وتأخر جوابها مدة طويلة،

حتى كاد اليأس يتسرب إلينا، وذكر سعيد أنه رأى في جريدة سورية أن الأمير غادر جنيف إلى بلدان البلقان وألمانيا، وليس من البعيد أن تكون الرسالة التي وجهناها له لم تصل بعد، وظل موقف بلافريج وهو أساسي يدعو إلى اليأس والحيرة، وأخيرا بعد انتظار طويل، وصلت رسالة منه في أوائل جوي، يظهر أنها تأخرت بالبريد، لأسباب ربما تكون دسيسة من الإداريين ــ حاوية لموافقته لفكرتنا ــ فاستبشرنا بها خيرا، وأبلغنا مضمونها إلى «سردون» ليبلغها إلى المرجع الأعلى.

تاسعا : مقابلة اشماعو للمقيم : وفي يوم الاثنين 3 جوي أبلغ مترجم المقيم الكومندان سانيه، اشماعو، رغبته في مقابلته في اليوم التالي، وحدد الموعد، وهو الساعة الرابعة ونصف، وقد ذهب اشماعو فعلا، فأخذه المترجم المذكور إلى مكتب آخر، وقال له : إن المقيم يريد مقابلته، ولكنه الآن مشغول، فانتظر ريثما ينتهي، وحوالي الساعة السابعة، ذهب به المترجم إلى مكتب المقيم، وبعد التحية الواجبة، ذكر المقيم لاشماعو أنه يعرفه منذ سنوات، وأنه يعرف فيه الاخلاص والاستقامة، فأثنى اشماعو (بياضا) الأخيرة في مجلس الشورى، وحاول اشماعو أن يعرفه أنه يجب الاهتمام لتتميم أعماله، بإصلاح الحالة النفسية للمغاربة، مبينا ما يعترض أعماله من تصرفات الاداريين، المثيرة للعواطف، فأجابه إن بابه مفتوح، والاتصال معه دائما ممكن بلا واسطة، وحاول اشماعو أن يعود للموضوع، فاستفهمه المقيم عن علاقاته بمراقب سلا وخليفته، فأجابه اشماعو أنهما رجلان إداريان ينفذان ويبلغان، وطالت المذاكرة بينهما 35 دقيقة صرح خلالها المقيم أنه مستعد لقمع أي شخص يريد إفساد الجو.

عاشرا : مقابلة سعيد للمقيم : اتصل سعيد بالكومندار سانيه، وأبلغه أن إدارة «سلا» أعلمته أن الجريدة تكون أدبية محضة، فطلب منه أن يحضر لمكتبه، وعندما ذهب جرت بينهما مذاكرة، اجتمع سعيد على إثرها بالمقيم العام، قبل اجتماع اشماعوا به مباشرة، وجرت بينهما مذاكرة في غاية الأهمية، فقد مدح سعيد خطبة المقيم الأخيرة، وأثنى على روح التعاون المقيمية، وذكر للمقيم ان «بلافريج» وافق في الأخير على الفكرة التي ذهب سعيد من أجلها إلى «ليزان» وأعلن للمقيم أنه فكر وجماعته في إصدار المغرب اليومية، لتشرح أعمال الحكومة، وتبسط فكرة التعاون، فأجابه المقيم، انه يخشى أن تعطل خلال غيبته الصيفية، وانه يرجيء المسألة إلى رجوعه، فذكر سعيد، أننا نريد أن نوضح فكرة التعاون الحقيقي، ونزيد على ذلك بعض حجج، مثل تصريح في شأن فكرة التعاون والتخفيف على المنفيين، وبذلك يعود التفاؤل، ويمكن أن يتحسن الجو السياسي، خصوصا إذا وجدت صحافة من غير مراقبة، ريثما يرجع من عطلته الصيفية،

لمواصلة أعمال تحسن الجو السياسي بصورة ثابتة، فذكر المقيم أن أقل تصريح بتفاؤل، سيهيج الأفكار — فتقع اضطرابات أثناء غيبته، مما لايوده، وكذلك التخفيف عن المعتقلين، فأجابه السعيد، إن الأفكار مضطربة، وليس من البعيد أن تقع حوادث لايمكننا أن نصد الناس عنها، فأجابه المقيم : إن جميع المغاربة مرتاحون الآن، فلا اضطراب، ولا تهييج، بعد إلقاء القبض على الأفراد المسجونين والمنفيين، فأجابه سعيد نعم توجد طائفة من المغاربة هم مسرورون بذلك، وهم طبقة الباشوات، والقواد، وأمثالهما الذين يمتصون دم الشعب، ولا يريدون تطوره ولا رقيه، لأنه يسلبهم أرزاقهم، فأجاب المقيم : نعم، ولكن العمال والصناع أيضا مرتاحون، فلا من يلزمهم بالاضطراب، ولا من يطلب منهم الإعانات، فأجاب سعيد : نعم إن بعض كبار الصناع، وأمناء الحرف، انتفعوا من مساعدة الحكومة لهم، فهم يظهرون لها عطفهم، أما بقية الصناع، فلازالوا مخلصين لفكرة العاملين، وهم يظهرون لاخواننا كل ثبات، وأخيرا جرى الحديث بينهما، وفهم أن المقيم يريد تأخير كل شيء إلى ما بعد رجوعه، وتحدث المقيم لسعيد عن أخيه في نيويورك، وما يروج من صناعات مغربية هناك.

حادي عشر : درس الموقف : وبعد أن اجتمعنا ودرسنا ماراج بين المقيم واشماعو، وبينه وبين سعيد، تصور أحمد وسعيد أنَّ هناك إيعازا من إدارة الأمور السياسية، بأن اشماعو مختلف معنا في آرائنا، وأن المقيم استدعى اشماعو ليتصور ذلك بنفسه، وخالفهما اشماعو، وجرت مناقشة حادة وعرضت عدة وجوه النظر، وأخيرا وقع الاتفاق على أن ترسل الجماعة رسالة إلى المقيم تحبذ أعماله مع ضرورة إصلاح الجو السياسي، وبذلك يفهم المقيم، أن اشماعو متضامن مع الجماعة على ضرورة إصلاح الجو السياسي، وهو بالسير في طريق التفاهم مع المخلصين المعتقلين، وكلف سعيد بتحضير مشروع لتلك الرسالة. درست الرسالة ثلاث مرات، واختصرت، حتى أصبحت عبارة عن التنويه بأعمال المقيم المنجزة، خلال الستة أشهر الأخيرة، وإلفات نظره إلى أن تحسين الجو سيساعد على تفهيم الجمهور المغربي، مجهودات المقيم، ثم تعرضت الرسالة في الأخير، للمجهودات المبذولة في سبيل تفهيم العاملين برنامجنا والاتفاق مع بلافريج، ولكن اشماعو امتنع من إمضائها بحجتين : الأولى أن إدارة الأمور السياسية، إذا علمت بذلك ستضغط علينا وتزداد حنقا علينا، والثانية أن المقيم سيرى في ذلك سوء أدب، والثالثة، أن اشماعو لم يتفق في تشخيص معنى إصلاح الجو السياسي، إذ لا يوافق على تصريح أو عمل من المقيم من شأنه أن يعيد التفاؤل، ويرى أن إيجاد تفاؤل يكون من أعمالنا وبعد مناقشات عديدة واجتماعات طويلة، هيأ اشماعو مشروع رسالة، إجابة لرغبة أحمد

وسعيد، لإعلان تضامنه معهما أمام المقيم، غير أن رسالته لم تتعرض لضرورة تحسين الجو السياسي، بل تواعد المقيم على العمل من الآن لتفهيم نواياه للجمهور المغربي، فرفض أحمد وسعيد مشروع اشماعو، ثم ذهبنا لدار «سردون» وبعد جدال طويل، صرح اشماعو أنه يرى رأي المقيم، فأي تصريح بتفاؤل، يحدث هياجا لا يجعل الشعب يساق إلى ما يراد له من الاصلاحات كما يرى اشماعو، وافترقنا بعد ذلك على أن نهيىء هذا الملخص، وتُوقف الأعمال، ريثما تنتهي عطلة الصيف ويرجع المقيم من فرنسا، والسلام.

في يوم الجمعة خامس عشر جوي 1938 تم التوقيعات، سعيد حجي، محمد اشماعو، أحمد بن غبريط).

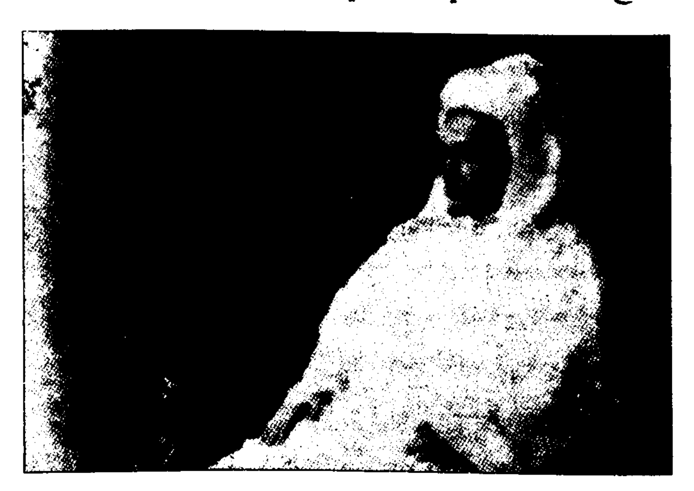
هذا ما أمكنني الاطلاع عليه من عمل اللجنة التي أسمت نفسها (لجنة الحركة المغربية المؤقتة) والتي تكونت إثر الأحداث الكبرى التي وقعت في أكتوبر 1937، والتي ملئت فيها السجون بالوطنيين الذين ذاقوا ألوانا من العذاب والآلام بسبب عجرفة الجنرال نوكيس المقيم الفرنسي العام، والمعين من طرف حكومة الواجهة الشعبية بفرنسا التي كان يرأسها «ليون بلوم».

لقد تكونت هذه اللجنة الثلاثية بعد هدوء الحالة بعض الشيء، وكان غرضها كما جاء في أول محضر لجلساتها : (فتح عهد تعاوني مع الإدارة على أساس وضع برنامج محدد) ويظهر من خلال الاطلاع على محاضر جلساتها، أن المقصود من تكوينها، هو إزالة التوتر الذي وقع بين الادارة والوطنيين، وفي طليعتهم المسجونون والمنفيون، والعمل على تلبية بعض المطالب التي يطالب بها الشعب في مختلف الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، حسب ما جاء في البرنامج الذي وضعته لنفسها، والذي يظهر أنه مستمد من المطالب المستعجلة التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني، ويلاحظ أن وجهة نظر الثلاثة الذين تكونت منهم اللجنة، كانت متباينة من أول وهلة، خصوصا فيما يتعلق بالمبعدين والاتفاق معهم، والعمل على إطلاق سراحهم، حيث أن اشماعو كان دائم الاعتراض في هذه النقطة بالذات، وفي الوقت الذي كان سعيد ومعه ابن غبريط، يريان ضرورة الاتفاق مع المبعدين، وعرض البرنامج عليهم، ولا أود أن أتعرض للدوافع الحقيقية التي جعلت اشماعو يعترض دائما على الاتصال بالمبعدين، فذاك موضوع يحتاج إلى التعرف على شخصية اشماعو وتطورات أفكاره ابتداء من أحداث الظهير البربري إلى أحداث 1937، ولكن تساؤلاتي وأنا أسجل بعض الأحداث التي عشتها، تتوجه إلى المرحوم سعيد حجي الذي ارتأى ان يعمل على حل الأزمة بتعاون مع اشماعو، الذي كان يعرف مواقفه معنا جميعا، وبالأخص سنة 1936 حيث أذاع منشورا مؤرخا

بـ 13 شتنبر 1936، وضّح فيه موقفه بغاية الوضوح، وبغاية التجني وإصدار الأحكام القاسية والظالمة ضدنا، وضد الوطنيين عموما، لسبب بسيط هو أن تحليلاتنا للأحداث في ذلك الوقت، كانت تختلف عن تحليلاته، ونظراتنا للوقائع كانت تختلف عن نظراته، وحيث صار يكشف عن آرائه الدفينة التي لم يوافقه عليها أي واحد من الجماعة، والتي دفعته إلى اتخاذ مواقف منفردة شاذة، صارت تتجلى بعد ذلك في مختلف الميادين، وحتى لا أسير مع قلمي في الرجوع إلى كثير من الأحداث التي أبانت بوضوح أن أفكار اشماعو مختلفة تمام الاختلاف مع أفكارنا، وان العمل معه غير مجد وغير مفيد.

أحداث سنة 1936

ولأحصر كلامي الآن في أحداث سنة 1936 التي تعرض لها منشور اشماعو الذي حدد فيه مواقفه معنا ومع الحكومة حسب تعبيره، والذي جاء إثر اعتقالي، واعتقال بعض الإخوان بعد ذلك كان من جملتهم : اشماعو نفسه، ففي شهر غشت من سنة 1936 فتحت فرعاً للمدرسة الحرة التي كنت أديرها، فلم تطق الإدارة الاستعمارية تحمل امتداد التعليم الحر، ولم تستسغ فتح مركز جديد لهذا التعليم، فاستدعاني باشا المدينة السيد الحاج محمد الصبيحي، وسألني عن المركز الجديد الذي فتحته، وكلفت



الباشا الفقيه محمد بن الطيب الصبيحي

الأخ محمد البقالي بالإشراف على تسييره، كيف صاغ لي أن أحوزه وأتصرف فيه، وأجعله فرعا لمدرستي ؟ ولما أجبته بأن صاحب المحل الذي له حق التصرف فيه، وفقا

لرسم شرعي هو الذي مكنني من مفتاح ذلك المحل، وأذن لي في التصرف فيه، والاستفادة منه، لتعليم أبناء المسلمين مبادىء دينهم ولغتهم، فأجابني بغلظة، أنه لايسمح لي بذلك، وطلب مني تمكينه من المفتاح ومن الرسم العدلي، الذي تحت يدي، ولما رفضت ذلك أمر بسجني وسجن الأخ محمد البقالي الذي أمره أن لايقوم بمهمته التعليمية داخل المحل المذكور، ولم يكتف بذلك فأعطى تعاليمه للإتيان بناظر المحل، وصاحبه الشرعي، حسب ما تحت يده من وثائق وهو المرحوم السيد محمد الصابونجي ولما حضر بين يديه أمره أن يتراجع عن إعطائه المحل المذكور، لتعليم أبناء المسلمين فيه. ولما رفض ذلك أمر بسجنه هو أيضا.

لقد قضينا بضعة أيام في سجن الرباط، نتيجة هذا التصرف الطائش من رجال السلطة، وقامت حركات احتجاجية للتضامن معنا، وقدمت عرائض استنكارية إلى رجال السلطة، كما قدمت عريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس، يلتمس منه فيها موقعوها أن يتدخل لإيقاف تعسفات رجال السلطة عند حدهم، ومنعهم من التعرض للتعليم الاسلامي بالعراقيل، والأشواك، والسجون، والاعتقال، لمن يعملون على نشره[3].

وبعد قضاء الأيام المعدودة في سجن الرباط، أطلق سراحنا، فاستقبلنا إخواننا الوطنيون بالهتاف والتصفيق قريبا من المحكمة، فما كان من الإدارة إلا أن أمرت بإلقاء القبض على ستة من الإخوة المستقبلين لنا هم : سعيد حجي، ومحمد القادري، وأبو بكر السماحي، وقاسم الزهيري، ومحمد اشماعو، والحاج أحمد معنينو، وآخر نسيت اسمه، ثم نقلوا بدورهم إلى سجن الرباط، حيث قضوا فيه بضعة أيام ثم سرحوا بعدها.

هذه هي الأحداث التي يتعرض لها منشور اشماعو الذي أثبته بنصه الكامل.

(3) تعرضت لكل هذا بتفصيل في كتابي (قصة النهضة) فليراجع.

يقول المنشور :

الحمد لله في 13 شتنبر 1936

موقف محمد اشماعو اليوم مع الحكومة، بعدما أعلن موقفه مع الوطنيين

..وفي يوم الثلاثاء 18 أوت 1936 سجن السيد أبو بكر القادري ومن معه في حادثة المدرسة بسلا، وكان الاعتداء فيها ظاهرا من طرف الحكومة، فرجا محمد اشماعو أن يكون في هذا الحادث الفجائي الظاهر الاعتداء، سببا لجعل حد لموقف الحكومة، وارتأى أن يكون ذلك على طريق التفهيم والحجة، فكتب رسالة إلى المقيم العام، وأصحبها بتقرير كتب عن الحالة كما جرت، وحاول أن يجعل ذلك سلما للمفاهمة، حتى توضع حدود للتعاليم المتخذة ضد الوطنيين، فيتمكنوا من أداء واجباتهم المشروعة في اطمئنان، ويلقون المساعدة الكافية لما يتطلبه موقف الأمة في هذه الظروف، فتوجد صحيفة، وجمعيات تعاونية وغيرها، وقد لاقى محمد اشماعو مع بعض رفقائه الأمرين في تفهيمهم مقصده، وأخيرا صودم مع بعضهم، وفي ذلك الأثناء، وقع عليه هو نفسه مع جماعة من الوطنيين عددهم ستة، الاعتداء بالسجن لمدة ستة أيام، ولم يكن قد أتى أي عمل، وكان يرجو من رفقائه أن يتخذوا موقفا في هذا الاعتداء صارما، لتعظم القضية، ويكون لها أثرها في دوائر الحكومة، حتى تسمع إلى صوته، الذي أراد أن يبنيه على حجج معقولة، يتضح بها الموقف، ويكون ذلك عملا حاسما، تنتهي معه تلك التعاليم التي وضعت بأسباب وظروف شرحها يطول، وإنما هي من جانب الوطنيين، أكثر من جانب الحكومة، وذلك يرجع إلى قلة المرانة الكافية التي يتطلبها قادة أمة مسؤولون عن مواقفها، وعن أعمالها أمام الجيل الآتي، ولكن إخوانه لم يفهموا مقصده، وحسبوا أن محمد اشماعو إنما يقصد الثورة والهيجان، ففكروا في هذه الناحية، وبالطبع انجلى لهم عدم الفائدة في ملء السجون، والاحتجاج على الأعمال التي هم لايدركون لها سببا، إلا طغيان الحكومة وظلمها، وقرروا عدم الاستمرار في خطة المقاومة، وبعدما خرج محمد اشماعو من سجنه، وجد أن ماكان يؤمله من تنمية قيمة الموقف أصبحت متلاشية، وانصرفت الجماعة إلى التسلية العادية من عبء التفكير في المآل، وأخذ محمد اشماعو يفكر في وسيلة يعزز بها رسالته إلى المقيم، ليتضح له الغاية من الموقف الذي

يريد أن يتخذه، عسى أن يخلص الموقف من التعاليم الزجرية، التي أتت على جميع أعمال الوطنيين، وأخذت تقترب من المشاريع البريئة، مثل التعليم الحر وغيره ممن يصعب التخلي عنه، والجماعة لاتفكر في جعل حد لهذه التعاليم، ولم يدركوا أن مواقفهم غير المفهومة، هي التي سببت لهم ذلك، وأثناء ذلك اشتغلت الجماعة بما كان مقرراً من إقامة حفلة تابينية للمرحوم محمد حصار، فجرت تصرفات من الحكومة صريحة في احتفاظها بموقفها الزجري، حتى لقد صرح رئيس الناحية بأن الظهائر الموجودة وضعت للفرنسيين فقط. وفي أثناء هذا الموقف أيضا، تقرر انعقاد المؤتمر السادس لطلبة شمال إفريقيا بالرباط، بدل فاس، وكان حسب الإشاعة الأولى أن هذا المؤتمر سيكون متنفسا من الحالة المشتدة، لكن التصرفات التي أظهرها قادة الوطنية، وشهدها محمد اشماعو، جعلته ييأس من تغيير الموقف، وجعلته يعتقد أن هذه الجماعة هي جماعة أطفال، لا يفكرون في شيء مما هو بجانبهم، ولا يحاولون تخلصا مما يحيق بهم، لا بطريق العنف والغضب، ولا بطريق اللين والمسالمة، وديدانهم أن يغضبوا الأسد، ويفرون من وجهه، فيصدم في غضبته ما يلاقي، ويهلك الحرث والنسل، وهكذا يتلاعبون بعشرة ملايين من المغاربة، وعلى حساب مباينتهم، يضحون بعصر من عصور هذه الأمة، وعلى ضوء هذه الحقيقة، ومقابلتها مع أعمالهم السالفة، وأحوالهم ومواقفهم، قرر محمد اشماعو أن الحكومة في المغرب أفاقت من غفوتها، في أول ظهور القضية البربرية، واعتبرت في ذلك الوقت، أن ماكانت قررته في شأن المغاربة هو غير صواب، وأن المغاربة لايزالون أحياء بمعنويتهم، فلا سبيل إلى إدماجهم في الشخصية الفرنسية، ووضعت لذلك حداً هو إرجاع ماكان على ماكان على ماكان، وإسقاط الفصل السادس من الظهير البربري المؤرخ في 16 ماي 1930 وقبل هذه المحاولة الخطرة، أطلقت العنان لما مدَّ المغاربةُ إليه أيديهم من الصحافة وغيرها. ومازالت تضيق عليه الخناق، حتى لم يبق له متنفس، ولما كان هذا الشباب عديم الخبرة، والمسؤولية، والمقدرة الإدارية، لم يستطع أن يعمل عملا حاسما، وبقي هكذا يستسلم ويتقهقر عن مركزه الذي أوجدته له الظروف، وأصبح عبئا ثقيلا على الأمة، وأدرك حروجة الموقف، فأخذ يحمل الشعب تبعة انعزاله عنه، ويرميه بانحطاط الأصل، وبرودة الدم، وهكذا إلى هذه الساعة، لم يفهم هؤلاء الشباب، حقيقة مركزهم في الهيأة الاجتماعية المغربية، وهكذا إلى هذه الساعة، لم يبرهنوا بصرخاتهم على مقدار ماحصلوا بتجاربهم من علامة الرجولة).

إن قراءة هذا المنشور الذي كتبه محمد اشماعو في سبتمبر 1936 يدل بوضوح مابعده من وضوح، على أن الرجل، سلك طريقا في حياته، يختلف كليا عن الطريق الذي أخذته الحركة الوطنية المغربية ككل، وأنه أصدر عليها أحكاما في منتهى الشدة والقساوة، وعدم الانضباط، ولا أريد أن أناقش ما جاء في منشوره من تناقضات، تكفي أن تجعل القارىء البعيد يحكم عليه بسببها، ولكني أثبتت هذا المنشور بنصه، كما وزعه صاحبه، لأدلل على أنه في تفكيره وأبعاده، لايمكن بحال من الأحوال أن يتلاقى مع التفكير الوطني السليم، فكيف صاغ مع هذا كله، أن يتعاون معه المرحوم السعيد حجي في تكوين ما أسموه بالحركة المغربية الموقتة، خصوصا وموقف السلطات الفرنسية، ومقيمها العام الجنرال نوكيس، من الحركة الوطنية ورجالها، كان في منتهى القساوة والشدة، والظلم، والعدوان، بالإضافة إلى الخروج على القرار الذي اتخذه حزبنا الوطني، في شأن التعامل مع الادارة الفرنسية، وأنه لايصوغ بأي حال من الأحوال، التعامل معها، إلا إذا غيرت من سلوكها مع الشعب المغربي، بتمتيعه بجميع الحقوق التي يطالب بها.

لقد كان ذكر لي المرحوم السعيد، أنه أراد باتصالاته مع الإدارة الفرنسية، ومع المقيم العام بالذات، قطع الطريق على المتلاعبين، والحاقدين، على رجال الحركة الوطنية، الذين يغتنمون كل فرصة، للكيد للحركة الوطنية ورجالها، وثانيا من أجل الاستفادة من الظروف لتحقيق المطالب، التي يطالب بها الوطنيون، وإطلاق سراح المعتقلين، وهذا ما تؤكده محاضر الجلسات، التي أتيت بملخص لها سالفا، ولكن هذا لايكفي لمد اليد، والتعاون، مع من نعرف أنه لايشاطرنا آراءنا، وأفكارنا، ومطالبنا، ومواقفنا، الأمر الذي أثبته الواقع، كما تشهد بذلك محاضر الجلسات الآنفة الذكر.

ان علاقتي الوطنية الأخوية الثابتة مع السعيد، لا تصرفني مطلقا، وأنا أسجل الأحداث، التي عشتها في الحركة الوطنية، لا تصرفني أن أقول الحقائق، ولو كانت مرة، ولو كانت في جانب صديق، أكن له كل التقدير، وأنفي عنه كل قصد غير شريف، فكتابة المذكرات شهادة، والشهادة يجب أن تكون في منتهى الصدق، والتجرد من كل الحساسيات ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم، أو الوالدين والأقربين﴾ صدق الله العظيم.

إن الاطلاع على نصوص محاضر الجلسات، التي أثبتها في هذه المذكرات تؤكد أن السعيد رغم ما لاحظت عليه كان وفيا لمبادئه، الوطنية التي التزم بها مع إخوانه، عاملا

على إطلاق سراح المعتقلين في كل الظروف، ساعيا جهده لإقناع المسؤولين في الادارة الفرنسية، بضرورة تلبية المطالب المستعجلة، الأمر الذي جعل أصدقاءه وفي طليعتهم بلافريج في الأخير، يوافقون على حل المشكل المعقد مع الإقامة العامة، على أساس تلبية المطالب، وفق البرنامج المحدد، وإطلاق سراح المعتقلين وكل هذا يدل على أنه كان صادق النية، وإن كان أخطأ الطريق.

لقد تبين بعد مرور ما يقرب من تسعة شهور، على عمل لجنة الحركة المغربية الموقتة، واتصالاتها بالادارة الفرنسية، أن تلك الادارة نفسها كانت مختلفة مع بعضها، فبينما كان «سردون» ومن معه، يعملون على إيجاد حل للمشكل المغربي الفرنسي في سرية تامة، عن إدارة الأمور الأهلية، كانت إدارة الأمور الأهلية تسير في الخط المعاكس، مستعينة على مايظهر، بمن يسيرون في ركبها من المغاربة، ويظهر أن المقيم العام «نوكيس» كان يتعامل مع الطرفين، ففي الوقت الذي كان يتشدد فيه التشدد المتطرف ضد الوطنيين، كان يريد أن يسكت المعارضة ضده في الخارج، والتي كان يمثلها بلافريج، بإظهار بعض الليونة في التعامل مع السعيد، والسماح له بزيارته في سويسرا، وعرض البرنامج المتفق عليه لحل المشكل، ولقد اتضح موقفه هذا لدى مقابلته لكل من اشماعو، والسعيد، كل على حدة. ويتراآى لي أن الجانب الذي يمثله «سردون» كان يطمح لأغراض شخصية، تثبت مركزه في الإدارة المغربية، بجانب المقيم «نوكيس» ضدا على إدارة الأمور الأهلية، التي كان على رأسها الجنرال «ميلي» والتي كانت بالمرصاد، لكل من يريد أن يسعى لأي حل، وفي ضوء هذا الجو السياسي المتذبذب، كان الوصول إلى حل للمشكل المغربي الفرنسي صعب المرتقى، ولكن السعيد بالرغم من ذلك، وبمساعدة من أحمد بن غبريط، بقي متابعا خطاه إلى أن وصل لتحقيق بعض ما يطمح إليه، خصوصا مايتعلق بإطلاق سراح المعتقلين، كما شرحت ذلك في الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية.

الجنرال نوكيس يعمل لسحق الحركة الوطنية

أثناء فترة سجننا بعد أحداث أكتوبر 1937، عمل «نوكيس»، على إطفاء شعلة الحركة الوطنية، ووضح مقاصده بتصريحاته المقيتة بفاس، عندما أكد، أنه سيسحق الحركة الوطنية التي يمثلها علال الفاسي، ولكن الروح الوطنية لايقضي عليها بتصريحات وطغيان مقيم عام، كيفما كانت عجرفته وطغيانه، لأنها منبثقة من ضمير شعب أبي، تواق إلى الحرية والتقدم، ولأنها تعبير عن أماني ذلك الشعب.

لقد كان فرع الحزب الوطني بفاس، نظم بعض اللجان السرية، للعمل الوطني، في حالة إقدام الادارة الفرنسية، على قمع رجال الحركة الوطنية، والرمي بهم في السجون والمعتقلات، وكانت إحدى هذه اللجان التي أسمت نفسها بلجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي، تصدر منشورات سرية، توزع في مختلف الجهات، والمناطق المغربية، في مختلف المناسبات، فهذا منشور رقم 44 أذيع بمناسبة إقدام الادارة الفرنسية، على الاتصال ببعض الشخصيات في فاس، للمذاكرة معهم في إيجاد حلول للمشكل المغربي، في غيبة عن رجال الحركة الوطنية، يقول المنشور :

إلى إخواننا المغاربة :

كنا نظن أن الشعب المغربي، سيرتاح إلى هذه المخابرة، التي تجري الآن بين الحكومة، وبعض الأشخاص في فاس، لكننا لاحظنا في الشعب عكس ماكنا نظن، وعلة ذلك أن الحكومة تتخابر الآن مع أشخاص ليس للشعب أي ثقة فيهم، فإذا شاءت الحكومة حقيقة ــ وذلك مانظن ــ أن ترجع المياه إلى مجاريها الأصلية، ليعود الاطمئنان إلى القلوب، ويسود الصفاء الجانبين، فلتتخابر مع من يضع الشعب كل ثقة فيهم، وإننا باسم الحزب الوطني، الهيأة الكبرى، واللسان المعبر عن آلام الأمة وآمالها، نحبذ المخابرة، ولنا رغبة كبرى فيها، ولكن على فائدة تتفق ومصالح الجانبين.

15 شعبان 1357

لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي



الجنرال نوكيس

وهذا منشور آخر رقم 48 يقول :

في هذا القرن العشرين، الذي هو عصر النور، والعدالة، والمساواة، نصبوا آلة الجلد في فاس، لتعذيب وإزهاق أرواح المغاربة الذين يطلبون حقوقهم الطبيعية، ظانين أنهم بهذه الوسيلة التي هي من وسائل الارهاب الوحشية، سيفتون في عضدنا، أو يردوننا عن مبدئنا، الذي نتفانى في سبيله قلبا وقالبا، فلتعتقد الحكومة أن هذه الارهاصات، لاتزيدنا إلا إيمانا بربنا، وثباتا على مبدئنا، وصبرا على كيد أعدائنا، لاعتقادنا أن النصر حليفنا، وأن الحق لابد أن ينتصر، والعاقبة للصابرين.

هذا وقد عذب الاخوان الذين أخبرنا في المنشور السابق، بإلقاء القبض عليهم تعذيبا كادت معه أن تزهق أرواحهم، ففي سبيل الله ما لقيتم أيها الاخوان، وصبرا جميلا، ولا تهنوا، ولا تحزنوا، فإن الله يمهل على الظالم حتى يأخذه، وهو معكم أينما كنتم، وحسبنا الله ونعم الوكيل

11 رمضان سنة 1357

لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي

وهذا منشور ثالث رقم 50 وزع بمناسبة عيد الفطر سنة 1357 يقول المنشور :

نداء إلى الشعب المغربي

يا شعب، إن في ديار زعمائك المبعدين، والمعتقلين، عويلا وبكاء، فهؤلاء صبيان كأفراخ القطا، تتفجج الأكباد لمنظرهم، وتنفطر القلوب رأفة وشفقة بهم، يبكون أباهم الحنون الذي يقيم الآن في قعر السجون، ظلمات بعضها فوق بعض، أو في أقصى الأرض طريدا من وطنه، بعيدا عن أهله، لا يعلم عن حالهم شيئا، وهذه امرأة لايزور جفنها الكرى، تبكي على زوجها، الذي تحمل له في أعماق نفسها حبا وإخلاصا، فارقها على كره، وبوعد بينه وبينها بالسجن والنفي، وهذا شيخ هرم، بلغ من العمر أكثره، وليس له من الدنيا إلا ولده الوحيد، الذي هو ريحانة حياته، وقرة عينه، وفلذة كبده، فرق بينه وبينه بالتشريد والابعاد.

ياشعب ! إن هذه العائلات، ليزيدها حلول هذا اليوم ألما فوق ألمها، وحزنا زيادة على ما في نفسها من حزن وأسى، إذ يبعث إليها هذا اليوم في طيه، ذكرى عزيزها، وهو يعيش الآن في أعماق السجون، وفي أقصى الأرض، غريبا وحيدا، لا أنيس ولا رفيق، فتثير هذه الذكرى في نفس هذه العائلات المنكوبات أكدارا، وتجدد لها

أحزانا، وكيف لهذه العائلات أن لاتتأثر، وكيف لها أن لاتحزن، وحولها صبيان زغب، يرددون اسم أبيهم، وعيونهم تسيل دموعا، وقلوبهم تبعث زفرات، ويسالون عنه كل رائح وغاد، ملتمسين منه أن يذهب بهم إلى والدهم.

أيها الشعب لايلبث من يرى هذا الموقف المحزن، أن يرسل عبرات حارة من مآقيه، ويشارك هذه العائلات، في آلامها وأحزانها، ياشعب ! هكذا يمر هذا اليوم في ديار إخواننا المجاهدين، وبمثل هذه الحالة المحزنة تقابله عائلتهم، ياشعب ! شارك عائلات زعمائك الأبرار في حزنهم بالإضراب عن الجديد من الثياب، وعن السينما، وعن المقاهي، وعن الاحتفالات، التي تقام عادة لهذا اليوم. ياشعب ! إن حزنك هذا اليوم، عنوان من عناوين تضامنك مع زعمائك المبعدين والمعتقلين.

صباح عيد الفطر 1357
لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني المغربي

هذه نماذج ثلاثة من نماذج المنشورات التي كانت توزع ونحن في غيابات السجون، وهي تؤكد أن الحركة لم تنطفىء، و لم يخمد أوارها، رغم مابذله الاستعماريون من مجهودات، وما أذاقوه للوطنيين من ألوان العذاب، فالقافلة بقيت تسير، ولو على مهل، والعاقبة كانت في الأخير للصامدين، الصابرين، الصادقين.

تحركاتنا في ظروف الحرب العالمية الثانية

تحدثت في الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية عن موقفنا نحن أعضاء الحزب الوطني، إزاء الحرب التي اشتعلت بين الحلفاء من جهة، وبين ألمانيا، وإيطاليا، ومن سار معهما، من جهة أخرى، وأننا أعلنا تصريحا نوضح فيه موقفنا الذي كان ضد النازية، ومع الحلفاء، ومن ضمنهم فرنسا التي كانت في بداية الحرب مع حلفائها، ثم بعد انهزامها، انضم «بيتان» إلى جانب المحور.

لقد كنا وضعنا برنامجا للعمل الوطني يفسح المجال أمامنا لنتحرك التحرك الواجب في تلك الظروف، وكان في طليعة ذلك البرنامج، إطلاق سراح المعتقلين من إخواننا، والسعي في تحقيق المطالب الأساسية، التي كنا نجاهد من أجلها، ومواجهة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها بلادنا أثناء فترات الحرب، من طرف النازية، التي بدأت تكتسح الأقطار قطرا قطرا. وعبرنا في تصريحنا، عن استعدادنا للتعاون مع فرنسا وحلفائها، لدرء الأخطار، والطغيان الديكتاتوري، الذي تمثله الحركة النازية العنصرية.

والواقع أن إدارة الاستعلامات ــ التي فوتنا عليها فرصة الانتقام من الوطنيين بتصريحنا، لم تكن مرتاحة ولا مستعدة لخلق جو من التعاون الصادق، بين الادارة الفرنسية، وبين الوطنيين، فبقيت تتلاعب وتكيد في الخفاء، وتريد أن تستفيد من الأحداث دون مقابل، الأمر الذي جعلنا نقف منها موقف الحذر والاحتياط، فلم نقم بنشاط لصالح التعاون المطلوب بيننا وبينها، وبقينا مقتصرين على مضمون التصريح، باستثناء سعينا الحثيث، لإطلاق سراح المعتقلين الذي تحقق في آجال مختلفة، ومتعاقبة.

وأمام هذا الموقف الذي لايمكن أن يوصف بالعداء ولا بالتأييد المجاني، صارت الإدارة الاستعمارية، تعمل على خلق جو من التعاون والتأييد من طرف بعض الموظفين الكبار، وبعض الأعيان المرموقين، وهكذا وضعت برنامجا متنوعا، استعملت فيه بعض الهيآت التجارية والعلمية، مثل الغرفة التجارية الرباطية السلاوية، ومثل المجلس العلمي بفاس، ومراكش، كما أسست لجانا، أسمتها لجان الإخاء الحربي المغربي الفرنسي، ونظمت

محاضرات كانت تلقى براديو المغرب إلى غير ذلك، وأود أن أثبت هنا أن بعض المحاضرين في الراديو، كانوا يتحايلون كل التحايل، حتى لاتستغل محاضراتهم من طرف الاستعماريين، في غير صالح وطنهم، وأن آخرين ظهروا بمظهرهم الحقيقي، في التزلف والارتماء في أحضان الاستعمار، وبالغ آخرون فصاروا يصفون فرنسا بصفات كلها حب وتقديس، لقد نشرت جريدة «السعادة» في عددها الصادر بتاريخ 23 رجب 1358 الموافق لـ 8 شتنبر 1939 كلمة تحت عنوان : (من ظواهر الإخاء والتعاون الفرنسي المغربي) وفد يمثل مدينة فاس، يقدم للجنرال حاكم المدينة، عواطف إخلاصه، ويعمل لشراء طيارة حربية تسمى «فاس» تهدي للحكومة) وقد تكلم باسم الوفد، العالم السيد العباس بناني فكان مما قال : (إن المجلس العلمي والعلماء المجتمعين في القرويين، تطوعوا إلى الله مبتهلين، أن يخزي الله الظالم، وينصر فرنسا، ومن واجبي أن أعترف أن هذا العمل صدر عن اختيار، ودون طلب رأي المراجع الرسمية، وقد قررنا أن نفتتح اكتتابا لشراء طيارة، نهديها إلى الحكومة، راغبين أن يطلق عليها إسم (فاس)) انتهى ماجاء في خطاب الفقيه بناني، ونشرت «السعادة» أيضا قائمة بأسماء بعض المكتتبين لشراء الطيارة المذكورة، وكان أول المتبرعين، الخليفة السلطاني مولاي المامون، الذي اكتتب بألفين وخمسمائة فرنك والسيد أحمد بوعياد الذي اكتتب بخمسة آلاف فرنك والسيد محمد السبتي وأخوه الحاج عمر والسيد محمد الغزاوي وأخوه والحاج إدريس بناني وابن عبد السلام لحلو إلى آخر القائمة.

أما أعضاء الغرفة التجارية الرباطية السلاوية، فلقد عقدوا اجتماعا حضره رئيس ناحية العدوتين، مسيو «كومينو» وألقى فيه الحاج بوبكر بن عبد الله عواد كلمة جاء فيها : نرى من واجب الاعتراف بالجميل، أن نبادر بالإعراب للدولة الفخيمة عن عظيم ولائنا، وقوى إخلاصنا، خصوصا في هذه الظروف الحاضرة التي تكتنفها أهواء المفسدين في الأرض، والمثيرين للحروب الطاحنة، والمسببين في إراقة الدماء البشرية، لبلوغ مطامعهم المقوضة للحضارة، والمخالفة للإنسانية ويسرنا أن نؤكد لسعادة المقيم العام، ممثل فرنسا الدولة الحامية، أننا لانبرح نتشبث بفرنسا، محافظين على محبتها، والإخلاص لها كيفما كانت الحالة، إلى آخر الخطاب.

كما صارت تكتب عرائض تضامنية، كرسالة من الشباب البيضاوي، ورسالة من علماء ابن يوسف، ولقد تحمس الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي بدوره للمساندة غير المشروطة، فاكتتب هو وهيأة موظفي الجريدة التي كان يصدرها باللغة الفرنسية (الصوت الوطني) لصالح لجنة الاخاء الحربي المغربي الفرنسي، و لم يكتف بذلك فسجل

نفسه في لائحة المجندين في المدرسة العسكرية بمكناس، وصار يدعو بعض الشبان للتجنيد، والالتحاق بتلك المدرسة.

أحاديث من راديو المغرب

أما الأحاديث التي ألقيت من راديو المغرب، فلقد كان أول متحدث، هو رئيس مجلس الاستيناف الشرعي، العلامة السيد محمد بن العربي العلوي، الذي ألقى محاضرة تحت عنوان (الوفاء بالعهد)، ولقد تحدث عن خلق الوفاء بالعهد في الإسلام، ثم قال في الأخير : أنت أيها المغربي، فلك بسلطانك المحبوب، وملكك المفدي، أعظم أبوة، فإنه من أوفى الناس عهدا، وأصدقهم وعدا، فاستمسك بغرزه، وقد علمت أن بينك وبين دولة المعارف والعلوم، وناصرة العدل والإنسانية، دولة فرنسا مواثق وعهودا، فلا تضيعها، وبينك وبين رجالها الأفاضل مصادقة ومودة، وحاشا أن تغفلها، فإن الحر من راعى وداد لحظة، ومعرفة ساعة، فلتجر على ذلك، رافعا رأسك بين الأمم.

وكانت المحاضرة الثانية لوزير الأحباس السيد محمد ملين وكان موضوعها : (الامام مالك بن أنس) وبعدما تحدث عن شخصية الإمام مالك ومذهبه، وما قام به ودرسه، ختم محاضرته بالدعاء لجلالة الملك، واصفا له بأنه فخر الملوك قائلا : أنِ اتخذ نصرة الدين ديناً، ورفع راية الاسلام رأيا، والسهر على راحة شعبه غاية، فإخلاص أمته كلها موقوف عليه، وطاعتها مقدمة بين يديه، وأملها متجه إليه، ترتضي ما ارتضاه، وتجعل اعتمادها عليه، وتدعو له بالتوفيق والتمكين، والعز والسؤدد، تعينه على ذلك دولة فخيمة صديقة، نُحبُّ لها ما نحب من النصر على الأعداء، والتأييد، وكل خير عاجل وآجل، عرفت كيف تحترم معتقداتنا ومميزاتنا، ومقيم عليم بالاسلام، خبير بأحوال المسلمين، يودهم ويودونه، وضع كفاءته، ومقدرته، في إرضاء السدة العالية، والأمة المغربية، مجادة الجنرال نوكيس جزاه الله عن إحسانه خيرا في البدء والختام.

أما المحاضرة الثالثة، فقد ألقاها رئيس المحكمة العليا، السيد الحاج العربي الناصري، وكان موضوعها : (الاعتراف بالجميل) ولقد أشاد في محاضرته بخلق الاعتراف بالجميل، ثم انتقل توا إلى الحديث عن فرنسا، وما أسدته للمغرب من جميل، وعن التطور الذي وقع بالمغرب بعد الحماية، والأطوار التي تقلب فيها التدخل السلمي في قبائلها، وسهولها، وجبالها، وأن هذا أحسن مثال يفتخر به في الموافقة التامة بين المخزن الشريف، والدولة الحامية، وتحدث بعد ذلك عن موقف المغرب مع فرنسا وقت الحرب العظمى الأولى

سنة 1914، وعن فقدان الأمن في المغرب إذذاك، وانتشاره بعد ذلك بفضل فرنسا، واندفع به الحديث إلى الحرب الريفية، فقال بالحرف حسبما ما نشرته جريدة السعادة : (إن المغرب اضطرم بها نارا، وكادت تقضي على النظام الجديد بشمال الايالة، ومن ذلك فإن المغاربة أظهروا أثناءها، إخلاصهم التام لفرنسا، والتفوا حولها، وقاتلوا معها جنبا لجنب، العدو المهاجم، ولم تنطل عليهم الحيل المصطنعة، ولم تؤثر فيهم الدعاية الأجنبية، بل برهنوا في هذا الموقف الحاسم، عن إخلاصهم وولائهم للحكومة الفرنسية) ثم استنتج من ذلك، أن الأمة المغربية أمة توفى بالعهد، ولذلك ساعدت فرنسا في هذين الموقفين، ويتعرض للحرب الجديدة، وعن موقف الملك والشعب منها، ثم يتحدث عن الأعمال التي قامت بها الحماية، فينوه بها التنويه الكامل، معتبرا أن الحماية قامت بواجبها في المحافظة على العقائد الدينية للمغرب، وعدم قيامها بتغيير الأوضاع الشرعية، والمشخصات القومية، والإصلاحات المتنوعة، في مختلف الميادين، وينتهي إلى أن ماقامت به الحماية، يوجب الاعتراف بالجميل.

وفي الخميس المقبل كان المحاضر هو السيد محمد معمري الزواوي الجزائري، نائب مدير التشريفات الملكية، وكان موضوع محاضرته : (الاتحاد بين المغرب وفرنسا من الحيثيات الدينية والتاريخية والسياسية والاقتصادية) أما من الناحية الدينية فيستدل بالآية الكريمة التي تقول : ﴿**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى**﴾ ويخص الفرنسيين، لأنهم كما يقول غير مستكبرين، ويأتي ببعض الأسماء الفرنسية كدليل على ماقال : 1) كريستياني 2) وبوفري في الطب 3) ريكار في الصنائع 4) وكيمي في الفلاحة وغيرهم. ومن الناحية التاريخية، يتحدث عن عهد الرشيد، والامبراطور شارل ماني، وماكان من علاقتهما، وما كان بين سلاطين آل عثمان، والملك فرانسوا الأول، وإرساليات المولى إسماعيل، إلى لويز الرابع عشر إلخ أما من الناحية السياسية، فلا بد من التكتل مع فرنسا، إذ لايمكن لدولة ما أن تعيش وحدها، وأما من الناحية الاقتصادية فلابد من التعاون في الفلاحة، والمواصلات، والمعاملات الاقتصادية، على العموم ثم يشيد بما تبذله فرنسا والمقيم العام من أياد بيضاء، وتعاون ومحبة.

وكانت المحاضرة الخامسة حول : (المعارف في المغرب) ألقاها الفقيه السيد محمد الحجوي، مندوب المعارف في الحكومة المغربية، فأكد أن فرنسا، اهتمت بنشر الثقافة ولم تهتم بالمسائل السياسية وحدها، فنشرت التعليم بين جميع طبقات الأمة الثلاث : عالية، ومتوسطة، وطبقة العمال، والفلاحين، ذاكرا أن الفرنسيين، ليسوا من المحتلين العتاة الشرهين، بل هم رجال يريدون أن يختلطوا بالأمم الضعيفة، ولو كانت من أصل

سامي، ومن غير دينهم، ولا يقفوا موقف العداء من الدين بالمرة، وتبقى كل أمة على مشخصاتها، ثم يتحدوا معها اتحادا ليس سطحيا ظاهريا، بل اتحادا متينا حقيقيا، قلبا وقالبا، مثلها مثل الاسلام، ومبدأها كمبدأ الاسلام، ثم تحدث عن أزمة المدارس وأزمة التلاميذ الذين كانوا لايرغبون في الالتحاق بها، وأنه كان يدعو في دروسه إلى ضرورة الالتحاق بها، وانه تحمل الصعاب والإذايات من أجل ذلك، حتى اقتنع الجميع بضرورة الالتحاق بالمدارس، التي عمل على تأسيسها في الحواضر والبوادي، وانتقل إلى الحديث عن إدخال التنظيم في القرويين سنة 1932 وعن جامع ابن يوسف بمراكش، وانتقل إلى الحديث عن تعليم البنات، فقال : إنه ضرورة من الضروريات، لأنهن شطر الأمة، وتعليمهن من واجبات الدين، تعليما يناسب وظيفتهن في المجتمع، ولا يخرق الحجاب ضمن دائرة الشريعة، وختم محاضرته مشيرا إلى ضرورة التعاون مع فرنسا، والوقوف معها، مثل ما فعله قادة العرب في الشرق والغرب، الذين وقفوا بجانب الحلفاء، مستدلا بما قاله عبد الله بن عباس وغيره، من حكماء العرب، لأن يسوسني رجل يناديني ياأخي، خير من أن يربيني رجل يناديني ياعبدي، ويعتبرني من جنس منحط.

لقد توالت المحاضرات وتتابعت في هذا الشكل، فكل واحد يختار الموضوع الذي يرتئيه، ويختم بضرورة التعاون مع فرنسا ومساعدتها، ولكن بعضهم يقتصد ما أمكنه الاقتصاد في المدح والثناء، والبعض الآخر يشتط به القلم، حتى يهرف بما لايعرف، ويتنكر أحيانا لكثير من الحقائق التاريخية، فيحرفها طبق مادعاه إليه هواه، لقد كان من المحاضرين وهم كثير : القاضي محمد بن إدريس العلوي، والسيد محمد فتحاً الناصري، وأخوه جعفر، والسيد أحمد بركاش، والمؤرخ عبد الرحمان بن زيدان، الذي تحدث عن محاسن الديموقراطيات، ومساوىء السيطرة والحكم الاجماعي المطلق، وعبد الحي الكتاني الذي تحدث بدوره عن (العالم بين الفلشفيكية الهدامة، والديموقراطية، ونظمها اللماعة البراقة، وأيهما أقرب إلى مبادىء الاسلام) ومن جملة المتحدثين، الفقيه السائح، الذي كان حديثه عن النازية، والديموقراطية، في نظر الفلسفة والتاريخ، أما الأستاذ عبد الرحمان الفاسي فقد كانت محاضرته الأولى حول : الأدب العربي المعاصر، والشيخ محمد عبده، وأما عبد الكبير الكتاني، فقد تحدث عن النثر الغني على عهد الدولة العلوية السعيدة، ومن جملة المحاضرين الأخيرين : عبد الحميد الحجوي، والفقيه العبادي، ومحمد عزيز الحبابي، ومحمد اشماعو صاحب الوداد والحاج أحمد بناني، الذي كان موضوع محاضرته حول : متى ينطلق لساننا ؟ والفقيه سكيرج، والقاضي إسماعيل العلوي، والسيد العربي السودي وغيرهم.

الشعر المغربي يواكب الأحداث

ولم يغب الشعر عن التعبير على التضامن مع فرنسا، فنظم الشاعر المطبوع السيد عبد الله القباج قصيدة جعل عنوانها : (محاسن فرنسا ومساوىء هتلر) جاء في مطلعها :

سلام كوجه قد كساه وسام   سلام كصدر قد علاه وسام

أما شاعر الحمراء السيد محمد بن إبراهيم فقد جادت قريحته بنشيد أسماه النشيد الوطني، وأذيع من إذاعة مراكش بتلحين خاص، وهذا نص النشيد أثبته كما نشرته جريدة «السعادة» :

إن هتلر الضحايا   صاح مابين البرايا   المزايا في الرزايا   هو ديني باعتقاد
وإذا أفنى العباد   بعضهم بعضا وبادوا   وكسا الكون فساد   فهو سؤلي والمراد
رام هذا الوحش شرا   بعباد الله طرا   ان مايبقيه قسرا   دونه خرط القتاد
ان بالمختل مسا   غره حلم فرنسا   إذ أبت تقتل نفسا   فدعته للرشاد
فطغى المغرور جهلا   وعن الرشد تولى   قل له من قد تخلى   عن طريق الخير باد
استمع ماعنك يتلى   ستذوق اليوم ذُللاً   إن سيف النصر سُلاً   ليس لليسف اعتماد
هل تراه لبت شعري   لفرنسا ليس يدري   قوتي بر وبحر   وصناديد شداد
ومناطيد تراها   حجبت سحب سماها   وتسامت في علاها   شهبا ذات طراد
كست الأرض جنود   طاق عنهن الصعيد   هي دار وحديد   لاقتراب وابتعاد
رام تدمير شعوب   رام احراق قلوب   رام إضرام حروب   رام تحريم الرقاد
كم فتى يبكي أباه   وأبا يبكي فتاه   وأخ يبكي أخاه   حاله تبكي الجماد
كم تكالى لن تنامى   ويتامى تترامى   بين أحضان أيامي   لابسات للسواد
ليس ينسى لفرنسا   فضلها صبحا وممسى   هذبت جسما ونفسا   وهي من ذا في ازدياد
هي منا وإلينا   ولها الفضل علينا   فلها ما بيدينا   من طريف وتلاد
إنما المغرب شعب   حفظه للعهد درب   وإذا ما ناب خطب   هب مشروع الفؤاد
شعبنا شعب أبي   شعبنا شعب سري   شعبنا شعب وفي   شعبنا شعب الجهاد
أيها القوم الأسود   في ثبات فلتزيدوا   بنفوس فلتجودوا   إنما المرء الجواد
وبإخلاص الولاء   فلتجيبوا للنداء   من أمير الأمراء   ملتجانا والعماد
ملك القطر المؤيد   تاج نصر عنه يعقد   هو مولانا محمد   هو سلطان البلاد
قد زكا فينا شعور   حيث نادانا الأمير   فتلسيروا فلتسيروا   حقق الله المراد

لقد انبرى الخطباء، والشعراء، والكتاب، والأدباء، في إلقاء خطبهم ومحاضراتهم، وأشعارهم في الاشادة بالوفاء بالعهد، أي الوفاء لفرنسا، في ظروف محنتها، والاشادة بأعمالها التمدينية، التي قالوا انها قامت بها في المغرب بعد فرض الحماية عليه.

وأود أن أؤكد مرة أخرى أن بعض هؤلاء المحاضرين، والكتاب، كانوا يتكلمون على مضض، ولربما لو أمكنهم أن يبعدوا أنفسهم عن الكلام والحديث في هذا الموضوع، لما اقتربوا منه، بينما آخرون، كانوا يعتبرون مساهمتهم في التنويه بفرنسا، وأعمالها دليلا على صدقهم في التعلق بها، والارتماء في أحضائها. وهناك صنف ثالث من بعض المثقفين، كانوا يعتبرون فرنسا، الدولة المثالية في الدعوة إلى مبادىء الحرية والمساواة، وأن مناصرتها والإشادة بها، شيء ضروري وأكيد، ولذلك نرى بعضهم يكتب مقالات تحت عنوان : لماذا أحب فرنسا ــ وعاشت فرنسا، إلى غير ذلك، ونرى البعض الآخر لايكتفي بالكتابة في التأييد، بل يسجل نفسه في لائحة المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، وحكى لي أن أحد هؤلاء بلغ به إندفاعه في التعلق بفرنسا أن قال : قبل أن تنهزم فرنسا : إنه أعد كأسا فيه سم، إذا انهزمت فرنسا سيتناوله حتى لايرى فرنسا منهزمة، ومن الغريب العجيب أن هذا الذي حكى عنه أنه قال هذا الكلام، تراجع عن قراره بعد انهزام فرنسا وانضمام «بيتان» إلى المحور، وصار يصرّح بأنه ضد الوجود الفرنسي، وينتظر اليوم الذي تطرد فيه فرنسا من المغرب.

لقد وقفنا نحن الجماعة المسؤولة في الحزب الوطني موقفا رزينا، لا اندفاع فيه ولا تهور، ولا تأييدا أعمى بأعمال فرنسا، سواء قبل انهزامها أو بعده، فلم نشتط في المدح والثناء، ولم نتبرع بالتأييد المطلق، وأذكر أن جريدة المغرب التي كان يصدرها المرحوم سعيد حجي، كانت ترد عليها بعض المقالات والكتابات في موضوع الاشاذة بالتعاون مع فرنسا، من بعض الشخصيات المثقفة والوطنية، كانت تجد فيها المدح والاطراء الغير اللازمين، فكانت ترفض نشرها، لأنها كانت تعتبر ذلك المدح مجانيا لا مقابل له لصالح المغرب، وتحت يدي مقالتان : حررهما إخوان من رجال الحركة إذ ذاك كان أطلعني عليهما في ذلك الحين المرحوم السعيد، فاتفقت معه على عدم نشرهما، لأنهما سيعتبران من باب العطاء المجاني، الذي لاتحصل حركتنا من ورائه على طائل، وكان عنوان أولهما : (وطنيتنا) وعنوان ثانيهما : (المصالح المشتركة، والدفاع المشترك).

موقف الملك محمد الخامس الصريح والواضح في مناصرة الحلفاء ضد النازية

عندما كان الكتاب والخطباء يكتبون ويلقون كلماتهم في الإذاعة، كانت فرنسا بجانب الحلفاء، مشهرة الحرب على ألمانيا، وحليفتها إيطاليا، سائرين في النهج الذي اختطه المغرب، عندما أعلن جلالة محمد الخامس، انضمامه لجانب الحلفاء، في الخطاب الذي ألقى بالمساجد الكبرى بالمغرب، والذي اختصر في تصريح سياسي قال فيه جلالته : (علينا نحن المغاربة، أن ننضم إلى القضية المشتركة، ونساند فرنسا مساندة غير مشروطة، ونمدها بكل ثرواتنا البشرية، والمادية، ونضحي معها بكل ما لدينا).

كان موقف محمد بن يوسف واضحا كل الوضوح، وكان يدرك بحسه السياسي الفطري، أن مصلحة المغرب العليا، تقتضي أن يكون المغرب بجانب فرنسا، التي أعلنت الحرب هي وبريطانيا على النازية، وعلى قائدها «هتلر»، وبذلك فإن المغرب بدوره، أعلن الحرب على ألمانيا، وقرر المشاركة فيها، بما لديه من ثروات بشرية، ومادية، ولكن هذا الموقف سيتبدل من المغرب وملكه، عندما تنهزم فرنسا أمام المحور، ويركع المريشال «بيتان» للقوة الألمانية.

لقد كان الفرنسيون أولا، متحمسين كل الحماس لمحاربة النازية، وكانوا يظنون أنهم استعدوا لها كل الاستعداد، واتخذوا من وسائل الدفاع ما يقيهم شر الهجمات الألمانية، ومن جملة ذلك بناؤهم خط (ماجينو الجبار) الذي كان يسميه المغاربة بعد ذلك (خط ماجيين له)، هذا الخط الذي لم تقصر فرنسا في الدعاية له، والمباهاة ببنائه، وإخراج شريط سينمائي له، كان يعرض في السينمات لابراز عظمته، واستدعوا جلالة الملك محمد الخامس لزيارته، فزاره جلالته يوم 12 يوليوز 1939، صحبة المقيم العام «نوكيس»، ولاحظ ما بذله الفرنسيون في بنائه، من مال وجهد، ولكن الحظ لم يكن معهم، ولا بجانبهم، فإذا كان تفكير الفرنسيين خمن إذ ذاك، أن الهجوم الألماني سيقع عليهم من الجهة التي بنوا فيها خط «ماجينو»، فإن التفكير الألماني في خطه الاكتساحي للبلدان والأقطار، أتى من جهة بلجيكا، ليحتل باريس بسهولة مطلقة، ويبقى خط «ماجينو»

شاهدا على أن المغترين مهما كان صنعهم، وتدبيرهم، واحتياطهم، فقد تكون الغلبة عليهم لا لهم، وذاك ما حصل لفرنسا، وهو ما حصل لإسرائيل عندما بنت خط (بارليف).

لقد أعلن الحلفاء الحرب على ألمانيا بعد تردد طويل، ولكن عندما رأوا أخيرا احتلالها لبولونيا، وبعدما رأوها تتلفت ذات اليمين وذات اليسار، ولا تلقي بالا للمعترضين والمحتجين، بل رأوا أن هتلير، ومعه موسوليني، مصممان على تحقيق أطماعهما، مهما كان الثمن، ومهما كانت التضحيات، ورأوا مع ذلك أن «هتلر» يلعب بجانب هجوماته المكتسحة للشعوب، دوره السياسي، حيث مد يده للاتحاد السوفيتي، وأمضى معه «بروتوكول» سري، وزعا بمقتضاه الأقطار التي سيمتد نفوذهما إليها، ومن جملتها «بولندا» و «فنلاندا» و«بلاد البلطيق» وفي نفس الوقت كان موسوليني يدبر لتحقيق مطامحه التوسعية في تونس، وكورسيكا، ومقاطعة السافوي، ومنطقة الساحل الأزرق في فرنسا، بالإضافة إلى ألبانيا المسلمة، التي انقض عليها، وطرد ملكها، أحمد زوغو، من بلاده، في 12 أبريل 1939.

لقد كانت الأحداث تتابع بسرعة كبيرة، وكانت الجرائد تتابعها باهتمام، خصوصا إثر اكتساح «النمسا» و«السوديت» و«مورافيا» و«بوهيميا»، لقد كنا نتابع الأحداث نحن بدورنا، بإشفاق وتخوف، على مصير الشعوب الضعيفة، وفي طليعتها بعض الشعوب الإسلامية، كألبانيا، التي احتلتها الجيوش الايطالية في شهر أبريل 1939، بعد مقاومة بطولية قام بها الملك أحمد زوغو، ورجاله الأحرار، ولقد علقت جريدة «المغرب» في افتتاحيتها التي كتبها محررها المرحوم سعيد حجي على اكتساح الجيوش الايطالية لألبانيا فقالت تحت عنوان : (النكبة الجديدة) (ألبانيا المسلمة تمحى من الخريطة الأوربية، لا لذنب اقترفته، أو لجناية ارتكبتها، ولكن لأطماع يسيغها الاستعمار، ومصالح ينشدها الطغاة، فإذا كان لكل اعتداء مبررات وهمية، ولكل استيلاء نتائج معلومة، تبدأ القصة في خوف الحكومة الغاصبة المزعوم، على رعاياها في البلاد المغصوبة، ويلي ذلك الخوف، الحملة الصحافية، ثم يتبع ذلك التهديد، ثم الانذار، لبسط النفوذ، ثم الاستيلاء، ثم استعراض للجنود الداخلة، تحت إشراف الطامع الأكبر.

وينتهي الاستعراض وقد انتهى كل شيء، فالبلاد المبلوعة أدمجت، ورايتها سقطت، وسيادتها أعدمت، ومصالحها استغلت، ولغتها أهينت، ولك أن تسأل بعد ذلك عن معاهدات المحبة، وكفالة الاستقلال، فتجاب : هي حبر على ورق، وتتذكر خطب الود، ومبادلات تلغرافات التهنئة والثقة، فتبتسم، إذ تعلم أنها مسوغات الابتلاع، لاأكثر ولا

أقل، لقد سبق لايطاليا أن احتلت «ألبانيا» ولكن ألبانيا الشجاعة، عرفت كيف تطردها من بلادها، فإذا كان الاستعمار يعتمد على بوارجه الضخمة المهلكة، وطياراته السريعة المحرقة، وجنوده الكثيرة المرهبة، فإن «ألبانيا» تعتمد على روحها التي لاتموت، بينما تتلاشى قوة البر والبحر والجو، في أمد ليس طويلا في تاريخ الشعوب، فالدول ــ كما قال «أحرار التشيك» كالأجسام تموت، والشعوب كالأرواح تبقى) انتهى المقال.

لقد اعتمدت سياسة المحور على خطة الهجوم الساحق، وعلى الهجمات الشرسة العنيفة، التي لاتبقى ولا تذر، وعلى المباغتات الاستراتيجية دون أي اعتبار، وهكذا احتلت كما ذكرنا، بولونيا وغيرها، واتبعتها ببلجيكا وهولاندا، وقصدت فرنسا متخطية خط «ماجينو» لتحتل «باريز» وتستسلم لها القوات الفرنسية، الواقعة تحت إمرة الماريشال «بيتان»، الذي كان يعتبر بطل معركة «فيردان» والذي كان يشخص أمجاد فرنسا وبطولاتها في المجال الحربي.

لقد استسلمت فرنسا بزعامة ماريشالها، لقوة «هتلير»، وأصبح الفرنسيون تحت نفوذ الألمان» وانتهى كل شيء في رمشة العين، وذلك في يونيو 1940 لقد نزل خبر استسلام «بيتان» للألمان، كالصاعقة على الفرنسيين في المغرب، وغير المغرب، فارتاع الكثيرون منهم، وصاروا يبحثون عن وسائل النجاة بأنفسهم، وأذكر أن بعض أعوان الجنرال «نوكيس» خارت قواهم، فصاروا يفكرون في إيجاد حلول للمشكل المغربي، الذي عقده «نوكيس» بجبروته وطغيانه، اللذين أظهرهما في أكتوبر 1937، باعتقالاته واضطهاده للوطنيين الأحرار، وإعلانه الحرب على كل من ينتمي إليهم. لم يكن المقيم العام «نوكيس» بالمغرب يوم الهزيمة، وإنما كان يقوم مقامه المعتمد بالاقامة العامة «موريزي» الذي ما وسعه وقد نزلت عليه الصاعقة، إلا أن يذهب إلى القصر الملكي، ليبلغ جلالة محمد الخامس نبأ الهزيمة، وهو يبكي، وليتلقى منه موقفه إثر هزيمة فرنسا الحامية، لاشك أنه كان إذ ذاك في حالة من الارتباك، والحزن، والألم، والذلة أيضا، ولربما كان يتوقع أن يقابله الملك بنوع من اللامبالاة أو التشفي، ولكن محمدا الخامس لم يكن من طينة المتشفين، أو الحاقدين، أو الذين ينظرون إلى مواقع أقدامهم في السياسة التي يسير عليها، ولكنه كان من الرجال المتأنين المتربصين، ذوي الأخلاق الممتازة، والنظر البعيد، والوفاء بالعهد المقطوع.

لقد أجابه جلالة الملك قائلا (إننا أصدقاء فرنسا، كنا أصدقاءها في أيام قوتها، ونحن مانزال أصدقاءها، وهي تواجه محنتها ومصيبتها، والمغاربة لايخونون عهود الصداقة، فلتكن فرنسا مطمئنة من جهة المغرب).

إن محمدا الخامس وهو يصرح بموقفه، وموقف المغرب، بعد انهزام فرنسا، كان يدرك أنه يتعامل مع فرنسا، الحرة المتشبثة بالحرية، والعدل، والمساواة، لا فرنسا المرتمية في أحضان النازية، وإذا كان «نوكيس» بعد رجوعه من فرنسا إلى المغرب، صار من أذيال «فيشي» ينهج سياسة «بيتان» فإن المغرب لايقبل ذلك بحال من الأحوال، وسيتجلى ذلك في التعامل الذي سيتعامل به محمد الخامس مع «نوكيس»، في التدابير التي يريد أن يتخذها، محتذيا حذو ماتطبقه السلطات النازية في تعاملها مع اليهود، وفرض قوانين استثنائية ضدهم، باعتبار أنهم من الجنس السامي، الذي يعتبر في نظر هتلير، من أحط الأجناس، لقد رفض محمد الخامس، تطبيق تلك القوانين على اليهود المغاربة، باعتبارهم من رعاياه، وواقعين تحت ذمته، فلا يصوغ أن يعاملوا غير المعاملة العادلة، التي يعامل بها جميع المغاربة، ولايطبق عليهم من القوانين إلا ما يطبق على مختلف المواطنين.

لقد كان محمد الخامس صارما في موقفه هذا، غير ملتفت لما طبقه (بيتان) نفسه في فرنسا، ضدا على اليهود الفرنسيين، وأكد رحمه الله بهذا الموقف، على أن المغرب غير فرنسا، وأن الحماية المفروضة عليه، لا تلزمه بالسير في ركاب من يسمون أنفسهم حماة، وان المقيم العام الفرنسي «نوكيس» خاطىء كل الخطأ، إذا ما أراد أن يطبق السياسة التي تطبق في فرنسا، فيما يتعلق بالمخططات النازية. ولعل محمدا الخامس رحمه الله، وهو يتخذ قراره الرافض للخضوع للمخططات الألمانية، كان يرمي أيضا لابراز شخصية المغرب، كشخصية مستقلة، وأن الحماية الفرنسية، لم تفقدها استقلاليتها في التعامل مع مواطنيها اليهود.

وموقف محمد الخامس هذا، لم ينسه اليهود المغاربة الذين بقوا معترفين له بالجميل في حياته، وبعد وفاته، وحتى الذين تنكروا لمغربيتهم، وتأثروا بالدعاية الصهيونية، فهاجروا إلى «إسرائيل»، بقوا محتفظين لمحمد الخامس بالذكر الجميل، بل كانوا يعلقون صورته في صدورهم في سلسلة ذهبية، ويعلنون في كل المناسبات ولاءهم لوارث سره جلالة الحسن الثاني نصره الله.

لم يتنكر محمد الخامس لفرنسا الحرة، ولم يخضع للنازية والبيتانية في تصرفاتهما وبقي يتعامل مع الأحداث، طبق ما تفرضه مصلحة المغرب، ولما نزلت القوات الأمريكية في الشواطىء المغربية سنة 1942، وأراد «نوكيس» مقاومتها امتثالا لأمر فيشي، لم يؤيده الملك محمد الخامس، ورفض الرفض القاطع تعريض المغرب للأخطار، ودخوله في حرب لاناقة له فيها ولا جمل. لقد أعلن المغرب حربه على النازية وأنصارها، فكيف

يصوغ له أن يتعامل معها، ويحارب في صفها لأن «بيتان» و «نوكيس» صارا في ركبها، ذاك مالم يسلمه منطق محمد الخامس، وذاك ما يتعارض مع مصلحة المغرب.

لقد كان الموقف دقيقا جدا في تلك الظروف، وكنا نتابع أحداثهما بإشفاق، ونلاحظ أن ربان سفينة المغرب (محمدا الخامس) يقودها بحكمة وتبصر وتوفيق من الله.

لم يكن اتصالنا به آنذاك وثيقا جدا، رغم شعورنا بأنه يتعاطف معنا، كما نتعاطف معه. وإثر نزول القوات الأمريكية بالشواطىء المغربية، ومحاولة نوكيس مقاومتها — اتباعا لتعاليم سلطات فيشي، بلغنا خبر طلب نوكيس من جلالته، أن ينقل عاصمة ملكه إلى فاس، من أجل إفراغ الجو لنوكيس «كي يتصرف التصرف المطلق في مقاومته للجيوش الأمريكية، فعقدت اللجنة التنفيذية لحزبنا الوطني اجتماعا مستعجلا، لدراسة الوضع، والموقف الذي يجب أن يتخذه المغرب، وقررت تكليف أخينا المرحوم الأستاذ محمد الفاسي، وكان إذ ذاك عينه جلالة محمد الخامس مديرا لجامعة القرويين — الاتصال بجلالة الملك محمد الخامس، والتأكيد عليه في ضرورة بقائه بالرباط، وأن يرفض طلب نوكيس الانتقال لفاس، لأن ذلك سيؤول التأويل المغرض من طرف خصوم المغرب.

وحتى أثبت هذه الحقيقة التاريخية كما وقعت، أنقل هنا ماكتبه المرحوم محمد الفاسي حول هذا الموضوع، في الكلمة التي ألقاها في الندوة الدولية حول محمد الخامس التي انعقدت بالرباط بتاريخ 16 — 20 نونبر 1987، قال الأستاذ محمد الفاسي : (وقبل أن ألتحق بمقر عملي الجديد (مدير للقرويين) وقع الحادث التاريخي العظيم، أي نزول القوات الأمريكية بالمغرب، ومن المعلوم أن حكومة الحماية الفرنسية، كانت تابعة لنظام (فيشي) الموالي للألمان، فطلب المقيم العام من الملك، أن يغادر الرباط إلى فاس، فلما بلغنا هذا الخبر، اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني، ورأينا في ذهاب الملك إلى فاس، ضربة قاسية على مستقبل المغرب، لأن ذلك سيعني أن المغرب ضد الحلفاء، فقال لي الإخوان (أعضاء اللجنة التفيذية) انه لايخرجنا من هذا المأزق إلا أنت، يجب أن تطلب مقابلة لصاحب الجلالة بصفتك مديرا لجامعة القرويين، وتشرح له خطورة هذا العمل، فذهبت توا إلى دار المخزن، وتلاقيت مع الصدر الأعظم الحاج محمد المقري بصفته رئيس المجلس الأعلى للقرويين، وقد كنت زرته من قبل، زيارة مجاملة عند تعييني مديرا لجامعة القرويين، وقلت له : أريد أن أطلب من صاحب الجلالة تعليماته حول التحاقي بفاس لصعوبة ذلك الآن، والاتصالات مقطوعة، فاستأذن لي صاحب الجلالة، ففعل، وأذن لي بالمثول بين يديه، وبعد السلام والتعبير عن الولاء الدائم، خاطبته قائلا :

يامولاي إن المسؤولين عن الحركة الوطنية، ومن جملتهم الفقيه محمد غازي ــ وكان صاحب الجلالة يعرفه، لأنه كان يرافق ركابه في تنقلاته عبر مدن المغرب، لتدشين المدارس التي كانت تؤسس، وذلك بصفته صحافيا يدير مجلة «الرسالة»

وقبل أن أحكي له ماطلبوه مني، قال لي : هل تعرفهم ؟ أجبته بنعم وأنا منهم، فقال لي كلمته المشهورة في الأوساط الوطنية : أنت المبروك، ثم زدت قائلا : إن الأمر يامولاي، يتعلق بمستقبل المغرب، وإن الحلفاء قد حققوا بالنزول بالمغرب، نصرا كبيرا على المعسكر الفاشيستي، وقد علمنا أن المقيم العام، طلب من جلالتكم التوجه إلى فاس، ومعنى هذا أن المغرب ضد الحلفاء، وأنه مع «فيشي» و«ألمانيا» فنلتمس من جلالتكم أن ترفضوا هذا المقترح، فتهللت بشرته الوضاءة، وقال : هذا مالن أفعله أبدا، وأنا مع شعبي في السراء والضراء، وأخذ يعبر بحماس عن عمق وطنيته، مما كنا نعرفه بالطبع، ولكن تلك التصريحات، كانت تنطلق منه بقوة، جعلتني أذهل وأكاد أطير فرحا، وكان أبرز ما سمعته منه، ابتهاجه بالاتصال بأبناء شعبه، الذين أخذوا على أنفسهم التضحية بكل غال، للعمل على تحرير المغرب، كما كانت تلك إرادته وتصميمه، وكان سبب ذلك الابتهاج أن سلطات الحماية، كانت ضاربة سياجا من حديد حول الملك، للحيلولة بينه وبين أبناء شعبه، فكان هذا الاتصال المباشر، بابا واسعا لتمتين العلاقات بين العرش والشعب، مما كان يصبو إليه من الالتحام التام، والعمل يدا واحدة لبلوغ الغاية المنشودة، التي أخذ جلالته العمل على تحقيقها منذ نعومة أظفاره، كما أمله منه شعبه الوفي، بمجرد اعتلائه عرش أسلافه الكرام، كما قدمنا في أول هذه الذكريات، فخرجت من حضرته، مفعم القلب بالأمل الأكيد في تحقيق الحرية لبلادنا العزيزة، وتوجهت في الحين إلى منزل الفقيه غازي، حيث كان الاخوان مجتمعين في انتظاري، فدخلت عليهم، وأنا كالمعتوه، وأخذت أفوه بكلمات مصطبغة بالذهول، من جراء الانفعال الذي تجلى بكيفية بارزة وسط إخواني، الذين كانوا كأنهم على الجمر، لاستماع جواب صاحب الجلالة، وأنا جالس على الأرض، أحاول استرجاع هدوئي، وهم يصيحون : قل ما قرر سيدنا، واستطعت الكلام المعقول، وأخبرتهم بقراره في عدم تلبية طلب المقيم العام، فطاروا فرحا وتيقنا في تلك الدقيقة، ان المغرب سينعتق من ظلام الاستعباد، مادام عاهل البلاد المفدى، يتزعم العمل من أجل الاستقلال[1]

---

(1) راجع ماكتبه محمد الفاسي في الموضوع في الكتاب الذي أصدرته جمعية (**رباط الفتح**) حول الندوة الدولية عن (**محمد الخامس الملك الرائد**) ص : 146 و147.

لقد كانت هجومات ألمانيا كاسحة، وكانت لها انتصارات متوالية في كثير من الأقطار، سواء في أوروبا أو إفريقيا، وكان موقف المقيم العام الفرنسي «نوكيس» في الواقع موقفا متذبذبا، فهو في الظاهر، مع سلطات «فيشي» يطبق تعاليمهما بالمساعدة القوية، من طرف إدارة الأمور الأهلية التي كان يترأسها الجنرال «ميلي»، وهو من جهة ثانية يعيش في اضطراب نفسي، ويخشى من أن تدور الكرة عليه، إذا ما تطورت الأحوال التطور المعاكس، وكان يتجلى هذا الاضطراب من خلال أعضاء ديوانه المقيمي الذين كانوا يتوقعون في تلك الظروف حدوث انقلاب، يعصف بهم، وبمقيمهم العام.

كيف نشأت فكرة المطالبة بالاستقلال

وأتذكر بهذه المناسبة أن المرحوم السعيد حجي، زارني في منزلي ذات يوم، وكان على اتصال بدائرة المقيم، ومن جملة الذين كان يتصل بهم القبطان «دوباتيستي» وكان هذا القبطان من أخصاء «نوكيس» وموطن سره، ويظهر أن السعيد أجرى معه حديثا مطولا حول الوضع في المغرب، فلاحظ أن الفرصة، قد تكون مواتية للقفز بالقضية المغربية، والمطالبة بالاستقلال، لقد تحادث معه السعيد في الموضوع، وطال الحديث بيني وبينه حول الاعداد لهذه المرحلة المتوقعة، إن صح توقعها، ولم يبق في ذهني الآن وأنا أكتب هذه المذكرات إلا أقل القليل من الأفكار التي خطرت لنا، ومايجب علينا القيام به، إذا ما أتاحت لنا الأقدار القيام بعمل لصالح بلادنا، كان بعض إخواننا — إذ ذاك — لازالوا في معتقلاتهم، ولذلك كنا نشعر بعبء ثقيل، ومسؤولية ضخمة، ملقاة على عاتقنا، ولكنا مع ذلك لم نركن إلى الاستسلام، بل أخذنا نفكر عمليا فيمن يمكنه أن يتحمل المسؤولية معنا، إذا مادعا الواجب الوطني لذلك، وهكذا أخذت القلم في يدي، وصرت أستعرض أنا والسعيد أسماء بعض الوطنيين المخلصين، الذين يمكن الاطمئنان إليهم والاعتماد عليهم إذا ماواتت ساعة العمل، فوضعنا إذذاك لائحة أولى، صممنا على الاتصال بالمسجلين فيها في الوقت المناسب، ولقد بقيت هذه اللائحة ضمن أوراقي المشتتة مدة طويلة، ولم أيأس من الحصول عليها الآن ضمن تلك الأوراق، وخلال هذه الفترة الزمانية القصيرة، كانت أحاديثنا ومناقشاتنا مع بعضنا لاتتعدى موضوع الاستفادة من هذه الحرب بكيفية من الكيفيات، وكانت فكرة الاستقلال غير غائبة عن ذهننا، وأذكر أنني والسعيد رحمه الله كنا نتمشى في الرباط ذات عشية، ونتبادل أطراف الحديث، فبادرني قائلا ونحن قريبون من جامع السنة، وهو قريب مما كان يسمى بالاقامة العامة : من يدري فلعله يأتي يوم من الأيام، تصبح هذه الادارات كلها في قبضة المغاربة، ولا يسيرها إلا المغاربة أو كما قال.

لم نكن والحق يقال، مهيئين لخوض المعركة مع الاستعمار إذ ذاك، ولم نكن مهيئين للقيام بدور فعال في تلك الظروف، فجرحنا لازال لم يندمل، بعدما عانيناه من السياسة الهوجاء البشعة، التي عاملنا بها نوكيس في سنة 1937، وبعض إخواننا لازالوا في

المعتقلات، والذين سرحوا مؤخرا لازالوا في طور النقاهة، إن صح التعبير — والأحكام الاستثنائية التي فرضتها ظروف الحرب آخذة بخناق الشعب، ولكنا مع ذلك كنا نفكر في الطريق التي تتيح لحركتنا الوطنية البقاء والاستمرار، لأداء الواجب المفروض في الوقت المناسب، لقد كانت السلطات الفرنسية أصدرت قرارا بحل حزبنا الوطني، ولذلك فإنها لاتعترف بشرعية وجودنا كهيأة سياسية معترف بها، وأذكر أننا لدى إعطائنا للتصريح الذي نعلن فيه استعدادنا للتعاون مع الفرنسيين وحلفائهم، لصالح القضية المشتركة في آخر غشت 1939، كان قابلنا بعد المقيم العام، مدير إدارة الشؤون الأهلية الجنرال «ميلي»، فلوح لنا بأنه يستقبلنا كأفراد، ولا يستقبلنا كهيأة وطنية سياسية، فناقشناه في الموضوع، وكان هذا آخر لقاء بيننا وبينه، ولقد كنا موجودين بالقوة، كما يقول المناطقة، ولكنا لسنا موجودين بالقانون.

لقد وضعنا خطة للعمل مزدوجة، فمن جهة، صرنا نتحرك علنيا في دائرة تحقيق بعض المطامح الوطنية الاجتماعية، كالتعليم، والمطالبة بالاصلاح الاجتماعي، والتأكيد على ضرورة تمتيع شعبنا بالحريات العامة، وما شاكل ذلك، وكانت جريدة «المغرب» هي الصوت الوحيد الذي نعبر منه عن أفكارنا، ولو كان تحت المراقبة الفرنسية الشديدة. ومن جهة أخرى، سرنا في تنظيم الخلايا السرية الوطنية، والاهتمام الزائد بالطلبة، وتوجيههم وتكوينهم، وإعدادهم لأداء واجبهم نحو بلادهم.

وكان من جملة الخلايا التي أسسناها (بسلا) خلية أسميناها جبهة النهوض، وخلية أخرى كان اسمها : (قبس عز) وخلية ثالثة اسمها (فتح)، وهذه الخلية الثالثة كان لها دور هام، في أداء الواجب الوطني أثناء التحضير للمطالبة بالاستقلال، وهي وغيرها من الخلايا، كانت كلها في دائرة الحزب الوطني، كما أننا صرنا نعمل على السيطرة المعنوية والتسييرية للجمعيات الأدبية، التي كانت تحتضنها الادارة الفرنسية عمليا، وتراقبها بواسطة مندوب فرنسي معين، من إدارة الأمور السياسية، وأعني بها : النادي الأدبي الإسلامي السلاوي، وجمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط، فصرنا نسيطر على مكاتبها الادارية، بواسطة الانتخابات التي كانت تجرى، وكانت تجرى بين تيارنا الوطني، والتيارات الأخرى التي كانت موجودة في الساحة، وكنا نتغلب فيها على منافسينا في الغالب، وفي هذه الخليات النشيطة، ومن خلال الأعمال التنظيمية، سيطرنا سيطرة يمكن أن تكون كلية، على تسيير النادي الأدبي الاسلامي السلوي، بانتخاب الكثيرين من أعضاء الحزب الوطني في مكتبه، وكان في طليعتهم الأخ المرحوم عبد الرحيم بوعبيد الذي انتخبناه خليفة للرئيس كما وقع انتخاب مكتب جمعية قدماء

تلامذة كوليج مولاي يوسف، وكانت أغلبية هذا المكتب حزبية، وفي طليعتها منصب الرئيس الذي فاز به الأخ المرحوم المهدي بن بركة، والذي فاز على منافسه إذ ذاك الأستاذ محمد ملين، أما جمعية قدماء تلامذة المولى إدريس بفاس، فقد ربطنا الاتصال معها في المجال السياسي، بعد رجوع الأخ المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل من منفاه سنة 1940، ثم أحكمنا الاتصال ببعض أعضائها، وفي طليعتهم المرحوم الأستاذ عبد الكريم بن جلون أولا ثم الأستاذ أحمد الحمياني، والمرحوم الأستاذ أحمد أباحنيني، والأستاذ أحمد ابن بوشتى، وهؤلاء المذكورون، كانوا المفتاح لجلب قدماء تلامذة مدرسة المولى إدريس إلى حظيرة الحزب الوطني، الذي سيسمى في سنة 1944 بحزب الاستقلال، والذين سيتحملون مسؤوليتهم معنا في معركة الاستقلال، ويوقعون هم ورئيسهم إذ ذاك، الأستاذ المرحوم السيد محمد الزغاري على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

لقد كان الجنرال (نوكيس)، يعتبر أن جمعية قدماء تلامذة مدرسة المولى إدريس من الجمعيات المعتدلة في برامجها الاصلاحية، والمتعاونة مع إدارته، ولكنه فوجىء هو وأنصاره وحواريوه، عام أربعة وأربعين وتسعمائة وألف، عندما تقدم إلى الإقامة العامة، حاملوا وثيقة المطالبة بالاستقلال وكان من جملتهم، بعض الأعضاء البارزين في تلك الجمعية كالأستاذ الزغاري رحمه الله، كما سنتحدث عنه فيما يأتي من ذكريات وتسجيل للأحداث التي عشتها بنفسي، وشاركت فيها مع إخواني وجهد استطاعتي.

الاهتمام بتكوين الطلبة
وإعدادهم لبناء المغرب

لقد كنا نفكر في المستقبل، ونريد أن نتهيأ له، ونهيىء مايمكننا من أطر صالحة لبناء مستقبل بلادنا، ولايمكننا ذلك إلا بالاهتمام بتكوين الطلبة، وتربيتهم، وتوجيههم، وإعدادهم للقيام بواجبهم، سواء منهم الملتحقون بالمدارس الرسمية، أو بالمدارس الحرة، أو بجامعة القرويين.

رسالة من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد

وأثبتت هنا رسالة خطية كتبها لي من فاس الأخ المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، وكان إذ ذاك يشغل منصب معلم بإحدى المدارس الابتدائية بفاس، وكنت كلفته بالاشراف على بعض طلبتنا السلاويين المسجلين في القرويين وتنظيمهم وتوجيههم، قال عبد الرحيم : في رسالة من فاس مؤرخة في ربيع الأول عام **1360** :

صديقي، إني أحمد هذه الفرصة التي أتاحت إلي أن أكتب إليك، وأعرب لك من جانب عن الود الذي صرت أشعر به نحوك الآن، ومن جانب آخر، عن الإحترام الذي لازلت أحتفظ به حيالك منذ كنت أحد تلاميذك.

أكتب لك لأول مرة، لكن لأحدثك حول موضوع لا يخلو من أهمية، ويتطلب مباشرة عاجلة. أنت تعلم ما لقيناه من صعوبة في إقناع طلبة القرويين حين حاول النادي الأدبي أن يؤسس بينهم رابطة ودية، ليتعارفوا ويتعاونوا وتنضج أفكارهم بتبادل الآراء والنظريات. إلى آخر الرسالة المثبتة بخط الكاتب في ملحقات الكتاب. ثم كتب رسالة ثانية مؤرخة بربيع الثاني **1360** جاء فيها :

صديقي العزيز، لاشك أنك متعطش لمعرفة ماراج خلال اجتماعنا الأول، وأي رأي يبدو لي الآن، وقد اجتمعت بهم. أول ما أبادر بإخبارك به، أني عند انتهاء الجلسة، خرجت مسرورا راضيا، وتبين لي أن من الإمكان تعليق أمل على نجاح هذه الرابطة.



الطلبة السلاويون بجامعة القرويين بفاس

ويظهر في الصورة جالسين : (1) عبد العظيم الكتاني (2) المرحوم الحسين الشرقاوي (3) محمد الخراف، كما يرى واقفين : (1) المرحوم محمد الناصري (2) أحمد بن عبد النبي (3) القرشي الناصري (4) المرحوم عبد السلام السفياني.

إن استمرت على هذا السير، فلشد ماكان ابتهاجي، لما رأيت بعضهم يتكلم بحرارة، ويتجلى من كلامه، وإن اعتراه أحيانا سذاجة بريئة، إخلاص ورغبة، ولشد ماكان سروري لما لاحظت أن البعض الآخر، رغم كونه لم يتكلم إلا قليلا، يظهر اهتماما ورغبة أيضا، ليست المبالغة في الكلام من طبعي، كما يمكن أن تظنه، فتيقن أني أصف لك حقيقة الواقع.

أخبرتك في رسالتي السابقة[1]، بأني أخذت أهيىء ما سيشتغل به طلبتنا، لما يعودون إلى دراستهم، وبالفعل، لما اجتمعت بهم أخيرا، عرضت عليهم بعض الاقتراحات، فصادفت الاقبال من جميع الأعضاء، لأريد أن أتكلم لك كثيرا عن هذا، مادام لم يظهر نتيجة، لذا أكتفي بالحديث عن شيء منه.

حاولت أن أجعل بقدر الامكان، لكل اجتماع فوائد ملموسة، يقطفها كل الأعضاء، حتى إذا عادوا إلى منازلهم، وألقوا على أنفسهم سؤالا عما جنوه من ثمرة، خلال هذا الاجتماع، يكون الجواب تلك الفائدة الملموسة، فقر عزمنا على درس أجهل شيء لدينا، فتكون لكل اجتماعاتنا مغزى، فوجدنا بملء الأسف، أن أجهل شيء لدينا، هو تاريخ بلادنا، فصمم الجميع، على تحقيق هذا الاقتراح، وقررنا في الحين، أن نبدأ بدرس عصر كله أهمية، وهو العصر الذي قبل مجيء الإدريسيين، ومما يدلك على رغبتهم في العمل، وشعورهم بهذا النقصان، ان هذا المشروع، دخل في طور التنفيذ، رغم قرب الامتحان، وتراكم العمل، كما لايخفاك.

وألفت نظرك هنا، أن كل فرد، متبوع بتهييء حديث حول هذا الموضوع، وأن هذه الأحاديث مسلسلة، بحيث يبني الثاني على حديث سابقه، إلى انتهاء العصر، ثم نستأنف درس العصر الذي يليه، ومما قررناه أيضا، أن نكتب رسالة للنادي الأدبي، نطلب منه بصفتنا تحت عطفه، أن يتوسط بيننا وإدارة المعارف، في أمر هو أداء نصف الثمن، في السفارات، (السفريات) وهذه ميزة يتمتع بها أبناء المدارس الحديثة، كما لايخفى، فما أظن أن النادي يرجع بالخيبة، وراء هذا السعي، وكم يكون ذلك مشجعا لهذه الرابطة المبتدئة، ولجميع الطلبة، إن أسفر النادي الأدبي على النجاح، وعلى كل حال، فهذه مهمة من مهماته، يجب أن يعطيها حقها من الوقت، ويستطيع بعض أفراد المجلس الاداري، بمهارتهم تارة، وحماسهم تارة أخرى، أن يمنحوا الطالب القروي، هذه الميزة، وإذ ذاك يمكننا أن نشهد، بأن النادي الأدبي الاسلامي السلوي، سعي وراء أمر

---

(1) راجع الرسالة المذكورة ضمن الوثائق.

صالح وحققه، لأني إلى حد الآن، أراهم يتبعون خطة سابقيهم، يعني كثرة الكلام، وقلة العمل.

سلام مني لجميع الاخوان خصوصا عبد الرحمان وقاسم[2] ولك من الصديقين، أحمد بن اليمني، ومحمد الصفار، سلامهما ووداهما.

وكانت علاقتي كذلك مع الأخ الأستاذ قاسم الزهيري علاقة وطيدة جدا، أنصحه جهدي، ليواصل دراسته الجامعية، ويهيء نفسه لخدمة بلاده التهيىء الكامل، ولقد كنت تلقيتُ منهُ رسالة مؤرخة بـ 28 نونبر عام **1940** جاء فيها بالحرف : لم أشك لحظة واحدة أني حطمت قصر آمالك، فحملتك على اليأس، وقضيت على إحدى الصفتين اللتين كنت فخورا بهما، ولم يخالجني ريب في كوني الوحيد الذي خيبت آمالك، وجعلتك تفكر في الانعزال، وما عداي فهو ظل زائل. أرهفت سمعي ليلة الأمس، للإنصات إلى تحليلك لنفسي... ولم أستطِع أن أقول كلمة واحدة، ولعل نظراتي كانت تنبئك بدخيلتي، ثق يا أخي أني موافقك على كل ما أقلقك، فإنك لم تقل إلا كلمة حق، حملك على مصارحتي بها، إخلاصك لأخوتنا، **ذلك الاخلاص الذي لم أستطع تقديره فيما مضى... وسأجتهد في توطيد المستقبل على دعائم جديدة، متينة، ثابتة، فهل من أمل في استرداد قلب عزيز، هشمته، ثم ضيعته ؟ أخوك الأبر (قاسم الزهيري) ويقول لي في رسالة أخرى طويلة ومؤرخة بعاشر أكتوبر 1946** : إنك يا أخي تحسن الظن كثيرا باستعداداتي، ولا أظن أن لي استعدادات خارقة للعادة، ولا ينبغي أن تعتبر هذا تواضعا مني، بل هو عين الحقيقة، لذلك تراني لأأتطلع لما هو فوق مرتبتي، بل كل ما أتمتع به، وأحمد الله عليه، هو طوية نقية، وحب خالص للصالح العام، وزهد تام في حب الظهور، وقلما ينجح صاحب هذه الخلال في الحياة، لذلك لا أرى لنفسي مقاما في المعترك الذي تندبني إليه... إلخ الرسالة.

رسالة من المرحوم عبد الرحمان زنيبر

وأثبت كذلك كلمة قصيرة وصلتني من المرحوم الدكتور عبد الرحمان زنيبر، الذي كان التحق بجامعة مونبيلي، لدارسة الطب ــ وكان أول طبيب من (سلا) نال الدكتورة، وجاء في هذه الكلمة : (**إلى صديقي العزيز أبي بكر القادري عنوانا لما أضمره له من ود وإخاء، واعتراف بجميل عنايته**) وكانت كلمته هذه مكتوبة على ظهر صورة

(2) عبد الرحمان بن عبد النبي وقاسم الزهيري.



يظهر في الصورة طلبة حزب الاستقلال في جامعة مونبلي بفرنسا :

من اليمين إلى اليسار : الدكتور المهدي بنعبود ــ الدكتور الديوري ــ الدكتور عبد الرحمان زنيبر ــ الأستاذ العربي حصار.

الواقفون من اليمين إلى اليسار : الدكتور عبد اللطيف بنجلون ــ الأستاذ أبو بكر بومهدي ــ الأستاذ مولاي احمد العلوي.

فتوغرافية، ظهر فيها مع الطلبة الذين يدرسون معه، وهم : الدكتور المهدي ابن عبود، الأستاذ العربي حصار، والدكتور الديوري، والدكتور المرحوم عبد اللطيف بن جلون، والمرحوم أبو بكر بومهدي، ومولاي أحمد العلوي، وطالب آخر، لم أتعرف عليه، وكانت هذه الصورة مع ماكتب في ظهرها مؤرخة بيوليوز عام 1942.

وفي نطاق اهتمامنا بالطلبة، كنت تلقيت رسالة من المرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي، هذا نصها : **يوم 3 أكتوبر 1940 : صديقي العزيز، تحية وسلاما، تلقيت من عدة أشخاص تهانئهم، بمناسبة نجاحي في امتحان البكلوريا، ولكن لاأكون مبالغا، إذا قلت إنك أحد الأشخاص القليلين الذين طربوا حقا لهذا النجاح، وكانوا يهتمون لي ولمستقبلي، فلقد لمست من بين أساطير رسالتك، الموجهة إلي أخيرا، روحا تطرب بحق، وهذه الروح حذرة من جهة أخرى، مثلها الأعلى، أن توجهني توجيها حسنا، تستفيد منه البلاد، لذا دع يا أبا بكر ــ عبد الرحمان يطبع على جبينك قبلة من أعماق قلبه، شكرا على إخلاصك، وليعبر لك هو أيضا من جديد، عن حبه المتواصل، وأخيرا يشكرك على هديتك، ويتمنى لك حياة سعيدة، وللبلاد تطورا و رقيا، والسلام.**

صديقك : عبد الرحمان بن عبد النبي

رسالة من المرحوم الحسين الشرقاوي

وجاء في رسالة تلقيتها من الأستاذ المرحوم الحسين الشرقاوي وكان من البعثة التي أخذتها بنفسي للقرويين، لإتمام دراسته سنة 1937 فكتب يقول : **أخي أبو بكر القادري، إن على المرء واجبات، هو مكلف بأدائها، لآخر نفس من أنفاسه، فلا يمكن أن يتخلى عن أدائها، أو التلهي عنها، وإن أعظم هذه الواجبات وأقدسها عندي هي (النصيحة) الممزوجة بالصراحة، المشعة إخلاصا، وأرى أن الله الذي كوّن الحياة، ووضع حجرة أساسها، قد طوقك، كما طوق إخوانا لك، من بني آدم، أن تقوم بتأدية بعض هذا الواجب المقدس، وتبليغه لمن أسند أمره إليك، أو كان على الهامش، وأراني يوم العرض البشري، وغير البشري، أؤدي واجبا هو أجل من السابق، وأشد خطرا، هو الإقرار بأنك قمت بهذا الواجب، وكنت خير أمين على تبليغه، وإيصاله إلى مضجعه الأخير.**

بكل سرور، وبكل ما تعرفه في، من طبيعة المخلص الوفي، وبكلمتي الشرفية، أقول لك، إنني أتقبل منك جميع النصائح والملاحظات، والانتقادات، ولاحاجة لتزكية

دعواي، مادمت تعلم كل صغيرة وكبيرة عني، فإياك أن لاتريني في رسالتك، ما يدد هذه السحب المتكاثفة، وأخيرا تقبل سلامي واحترامي، أخوك الحسين الشرقاوي.

وفي رسالة أخرى طويلة تلقيتها من نفس الكاتب، وهي مؤرخة بـ 25/ 1/ 1359هـ يقول فيها :

آه ياأخي، لو أنك التفت إلي قليلا، لرأيتني بئيسا حزينا
آه ياأخي، لو فكرت فيّ قليلا، لألفيتني مهيض الجناح ذليلا
آه ياأخي، لو أنك واسيتني قليلا، لطاوعتني الأقدار، ودنت لي ناصية الزمن
آه ياأخي، لو حزنت لي قليلا، لابتسمت لي للحياة، وأضاء النور جوانبي المظلمة
آه ياأخي، لو سكبت لي دمعا قليلا، لصهرت نفسي من الارجاس، وألقيت بأوساخ الوجود

آه ياأخي، لو أنك ثقت إلي قليلا، لوجدتني متيما بلقياك، إلى أن يقول : آه، ثم آه، ثم آه وأواه : لو كنت سمعت كل هذا وشعرت به، وأحسسته ولمسته، لكنت أدركت من حينك لا محالة، أنني مفتقر إليك، مفتقر إلى السماء التي ينزل منها الوحي على سجيته، مفتقر إلى البحر العذب، لأغتسل فيه من أدران الحياة الخبيثة، مفتقر إلى مصلح للحياة جديد، لآخذ عنه مبادىء الوداد، والعطف، والحنان، لآخذ عنه سبل السلام. فهاأنت ترى وتسمع، وتحس وتشعر وتلمس، فافعل ماشاءت لك سنن الحياة، واعمل على ما أرادته لك مشاريع الكون، وكن جميلا، تر الوجود جميلا
الحسين الشرقاوي، فاس 59/1/25 هـ

رسالة من المرحوم عبد الله التيال

وفي ختام رسالة للعالم المرحوم عبد الله التيال، وكان من البعثة الثانية التي أخذتها إلى القرويين قال : سيدي، وفاء بالاخوة الثابتة، المبينة على الأسس الدينية المتينة، فها هو ذا كتابي، يمثل شخصيتي، أمام عينيك الوقادتين، تمثيلا حقيقيا لا غبار عليه، ويخبرك بأنني أنا الذي أعترف بكمال فضلك، وجودك وكرمك، وأنا الذي إن أنس فلا أنسى طوال حياتي، المعروف الذي أسديته إلى هذا الابن العزيز، مما سيجازيك به الذي يعلم دخائل الأمور وخفاياها، بأضعاف مضاعفة، إنه تعالى جواد كريم، وحق حياتك أيها الأستاذ النبيل، وحق أياديك البيض ماخلوت بنفسي، إلا

وتذكرتك، فأستروح من ذكراك، ما أستروح يعقوب من قميص يوسف، ثم أستعرض أمام عيني، جدك، وهزلك، ومجونك ونكتك اللطيفة، إلى آخر الرسالة.

وفي رسالة من الدكتور المرحوم محمد زنيبر جاء ما يلي : ولتعلم أيضا الأخ العزيز، اننا نذكرك كثيرا مع إخواننا عبد الرحيم وعبد الرحمان وغيرهما، ونجد أن الساعات التي قضيناها معك، لا تزال بارزة في ذاكرتنا بين ملايين الساعات التي مرت في حياتنا، ولتعلم كذلك أن أكثر ما يعجبني فيك، هي صراحتك وإقدامك على قول الحقيقة من غير مصانعة، وهذا شأن الأخ النصوح الذي يدل الانسان على عيوبه، ويبين له مواطن الداء، وما أحوجنا إلى أخ كهذا. إلى آخر الرسالة التي تجدها في ملحق الكتاب بخطه.



ثلاثة من الطلبة الاستقلاليين مع المؤلف في باريس أواخر سنة 1954 وهم من اليمين إلى اليسار السادة : أحمد الشرقاوي ـــ المؤلف ـــ أحمد القادري ـــ محمد عواد

ظروف الحرب وتحدياتها

كانت ظروف الحرب جد قاسية علينا، لا من الناحية المادية، ولا من الناحية المعنوية، فالادارة الفرنسية، اغتنمتها فرصه لإحكام الضغط والارهاب، وسيف الأحكام العرفية، مصلة علينا، واتهام الأحرار، بأنهم يعطلون المجهود الحربي، خطة محكمة من طرف إدارة الأمور الأهلية، التي تتحين كل فرصة ممكنة، لتوجيه اتهامات إلى الوطنيين، حتى لايتحركون، ولا يقومون بأي عمل من شأنه أن يثبت أن هناك حركة وطنية قائمة الذات.

الموقف من لجنة الهدنة الألمانية

لقد أعلن المغرب موقفه من الحرب المعلنة، وأعلن تضامنه مع فرنسا، لمكافحة النازية، ولكن الأمر تغير بعد احتلال الألمانيين لفرنسا، وخضوع الماريشال «بيتان» للنظم النازية، وانقياد «نوكيس» المقيم الفرنسي العام بالمغرب لسلطة «فيشى» وفتح أبواب المغرب أمام الكيستايو الألماني، وماكان يسمى بلجنة الهدنة الألمانية التي قدمت إلى المغرب بإذن وموافقة من «بيتان» الذي كان اتفق مع الألمانيين، على أن تكون اتصالات لجنة الهدنة بصورة محدودة، حتى لا تفسد عليه وعلى أعوانه وأنصاره خطته في الإبقاء على الاستقرار في المغرب، وبقائه خاضعا لسلطته أي لسلطة، الألمانيين في الواقع.

لقد حاولت لجنة الهدنة الاتصال ببعض المغاربة، ولكن في حد محدود، وكان من جملة الذين وقع الاتصال بهم، أخونا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، الذي أدرك من أول وهلة أن السياسة الألمانية، لاترمي إلا لغوض واحد، هو انتصارهم في الحرب، وأن قضية تحرير الشعوب — ومنها المغرب — لايعيرونها أي اهتمام، وأن مجيء لجنة الهدنة الألمانية، إنما كان لمراقبة تطبيق شروط الاستسلام، ومنع الفرنسيين من أي تحرك عسكري من المغرب.

لقد كانت الدعاية الألمانية قائمة على ساق الجد، وكانت إذاعة برلين تقوم بدورها في إثارة الأحقاد على الحلفاء، والدعاية ضدهم، وكان أحد المذيعين العراقيين، المسمى

يونس بحري، ويكنى بالسائح العراقي، يجلجل بصوته الجهوري في إذاعة برلين مهاجما الحلفاء داعيا إلى مناصرة الألمان. وكان الكثيرون يتطلعون إلى سماع صوته، يسب السب الذريع الفرنسيين السائرين مع الحلفاء، وكانت تصدر ببرلين نشرة بالعربية تهاجم الحلفاء واليهود، وتحرض المسلمين عليهم

والواقع أن الكثيرين من المغاربة، كان يلذ لهم أن يستمعوا لراديو برلين، وهو يسب الاستعمار الفرنسي، ويهاجم اليهود وأنصارهم، والموالين لهم، من دول الحلفاء، ولكن هذا الإنصات، أو هذا الاعجاب بصوت المذيع يونس بحري الملقب بـ«السائح العراقي» لم يكن له أي تأثير لدى الأوساط الوطنية التي كانت عارفة حق المعرفة بما تهدف إليه هذه الدعاية، وكنا متأكدين من سوء نية النازية، ومدركين أخطارها من أول يوم. وحتى عندما رأينا بعض القادة العرب، كالحاج أمين الحسيني، ورشيد عالي الكيلاني، والدكتور تقي الدين الهلالي والأستاذ عبد الرحمان ياسين من تونس والسيد الحمامي من الجزائر والدكتور الوكيل من مصر طمعوا في أن السياسة الألمانية قد تعير بعض الاهتمام للقضايا العربية، وتعمل على حل مشاكلها، بما يفرضه الحق والصواب، فإننا كنا مقتنعين بأن ذلك خطأ، دفع إليه اليأس من سياسة الإنجليز الذين ساروا في التأييد غير المشروط للصهاينة وزدنا تأكيدا مما كنا نومن به، عندما وصلتنا رسالة من أخينا المرحوم الحاج أحمد بلافريج، الذي كان قام بزيارة استطلاعية لبرلين، لاستكشاف مايفكر فيه القادة الألمانيون بعد انتهاء الحرب، فتأكد له أنهم ليست لهم أية سياسية تحررية كما يدعون، وأن الواجب على الوطنيين أن يحذروا منهم، ولا يسيروا في ركابهم ولا يعتمدوا عليهم، ولقد علق المؤرخ الفرنسي (شارل آندري جوليان) في كتابه : (المغرب في مواجهة الاستعمار) على اتصال بلافريج بالألمانيين فقال : (إذا كان بلافريج قد ذهب إلى ألمانيا ليقف على حقيقة النوايا الألمانية من سلطات برلين، فإنه لم يقدم لهم قط أية خدمة، بل على عكس ذلك، لم يقع في الأخطاء التي وقع فيها الوطنيون الفرنسيون الذين تعاونوا معهم. وفيما يتعلق باتصالات الطريس مع الألمانيين قال : ان عبد الخالق الطريس كان يرمي في اتصاله بالألمان إلى إفهام الألمانيين أن المغرب جدير بعطفهم وذلك حتى يكسب جولة في معركته ضد سلطات الحماية الاسبانية في الشمال.

لقد بقيت سياستنا في الحزب الوطني، سائرة في النهج الذي خططناه لنفسنا في تصريح غشت 1939، وبقيت سياسة الملك المعظم سيدي محمد الخامس ثابتة في الخطة التي دعا إليها، ولذلك فإنه رحمه الله رفض الرفض القاطع كما ذكرنا، بأن يسير في

خطة المقيم العام الفرنسي، والتزم الحيطة كل الحيطة، فيما كان يعرضه عليه من اقتراحات، ويقدمه إليه من سن قوانين، لا تتلاءم مع الخطة التي سلكها المغرب، بقيادة ملكه المفدى، ويظهر أن الأخ المرحوم الحاج أحمد بلافريج الذي كان في فترة إعلان الحرب، يتنقل مابين طنجة وسويسرا، كان يقف موقف الحياد أولا، فلم يعلن موقفه لا مع الحلفاء ولا مع المحور، ودليلي على ذلك أن جريدة «المغرب» اليومية، كانت نشرت مقالا مترجما للأمير شكيب أرسلان ضد إيطاليا، فأثار نشر هذا المقال بعض ملاحظات من بلافريج، حيث كتب للسعيد حجي يستفهمه عن سبب نشر المقال مبتورا، كما أن الأمير شكيب بدوره كتب للسعيد في الموضوع، مؤكدا في رسالته أنه يعتبر الاستعمار شيئا واحدا، وان لديه ملاحظات على الفرنسيين أنفسهم، تستحق النشر، فأجابهما السعيد، بأنه لم يستطع نشر مقال الأمير شكيب بتمامه، نظرا للرقابة المفروضة على الجريدة، والواقع أن الفرنسيين كانوا يرغبون من الجميع، أن يسير في ركابهم، مهما كانت سياستهم، والواقع كذلك أننا وإن كنا اتخذنا موقفا واضحا أثناء إعلان الحرب، فإننا كنا — كما شرحت ذلك من قبل — لا نتطوع في تأييد أية سياسة لهم، بل كنا نقف موقف الحياد، حتى لا يستفيدوا منا، مع أننا لانستفيد منهم، ولقد سعي المرحوم عبد اللطيف الصبيحي، في جمع فئة من الشباب، مقترحا عليهم أن يحتجوا ضد إيطاليا واعتداآتها، ولكننا عارضناه، بأننا لانقبل أن نؤيد أي موقف تقفه فرنسا أو غيرها، دون أن تعيرنا سياستهم أي اهتمام، ولقد اقترح بعض الفرنسيين على عبد اللطيف، أن يعقد اجتماعا يحضره بعض الشخصيات المغربية والفرنسية، وتوجه منه برقيات استنكارية لاعتداءات إيطاليا، فعملنا على إفشال هذا الاجتماع، وإن كان موقفنا واضحا ضد اعتداآت إيطاليا على الشعوب المستضعفة، ومنها طرابلس، كتبنا فيه المقالات، وعارضناه، واحتججنا ضده، ولكننا مع ذلك، لم نكن نقبل أن نصبح مطية يستعملنا الاستعماريون عندما يريدون، ولا يلتفتون إلى مطالبنا، ولا يعطونا حتى حق الاعتراف بالوجود، لقد كنا نريد أن نثبت للفرنسيين، أن لنا شخصيتنا، وذاتيتنا، وسياستنا، وقراراتنا الذاتية المستوحاة من قناعتنا، وأننا لسنا مستعدين للسير في ركابهم كما يودون، وطبق ما يرغبون.

راديو برلين يذيع نبأ وفاة
الزعيم علال الفاسي

في نطاق السياسة التي كان يتبعها راديو «برلين»، لإثارة الأفكار، وتهييج العواطف أذاع ذات يوم، أن الزعيم علال الفاسي، التحق بالرفيق الأعلى، فارتاع جميع الوطنيين، واضطربوا لهذا النبأ المفجع، وتساءلنا مع بعضنا، عما يجب القيام به من عمل، إزاء هذه الكارثة إن صحت، لاقدر الله، ونظرا للعلاقة التي كانت بين السعيد، وبعض أعضاء ديوان المقيم العام، فلقد اتصل بهؤلاء مستفهما عن الخبر، وطالبا إجراء بحث عن حقيقته، وملحا أن يصدر عن الإقامة العامة بلاغ، يكذب ما أذاعه راديو برلين، إن كان الخبر في حد ذاته كاذبا، وبعد مدة أخبرته الإقامة العامة أنها استعلمت عن الخبر، فتأكد لها أن الاشاعة كاذبة، وأن الزعيم علال الفاسي، يتمتع بصحة جيدة، وهكذا اتفق رأينا جميعا، على أن نطمن الشعب على صحة الأخ علال، بل اتفقنا حتى على الصيغة التي نكذب بها الخبر الذي أذاعته إذاعة برلين، حول وفاة علال، لقد كنا نريد أن نضغط على الاقامة العامة لتذيع بلاغا، تطمن فيه الشعب المغربي، بأن الزعيم علال يتمتع بصحة جيدة، وأن ما أذاعه راديو برلين، باطل من أساسه، ولكن مناوئين لنا، اتصلوا بالاقامة العامة، وأقنعوها بأن إصدار بلاغ في الموضوع، يعطي مركز الزعامة لعلال، ويزيد في قوة تأثيره في الرأي العام المغربي، ولقد علمت بعد ذلك بكثير، أن إخواننا بفاس، ارتاعو للخبر الذي أذيع حول وفاة الزعيم علال، فكونوا وفدا ذهب إلى الإقامة العامة، لاستجلاء الخبر، ومعرفة الحقيقة، ولكن دوائر المقيم العام، لم تلقهم القبول الذي يستحقونه، ولم تنف الخبر، ولم تثبته، بل اكتفت بأن طلبت منهم أن يغادروا الرباط، وكفى، وهذا ما جعل أولئك الاخوان، ينتقدون بشدة، ما نشرته جريدة «المغرب» من نفي لخبر وفاة الزعيم علال، متهمين لها بأنها تطفىء الحماس الشعبي الذي وقع، عندما أذيع خبر وفاة الزعيم، والانتقاد الموجه إلى الادارة الفرنسية.

لقد أكد لي خبر الانتقاد الموجه إلى «المغرب»، بسبب نشرها تكذيبا لما أذاعه راديو برلين، حول وفاة الزعيم علال، والذي كنا اتفقنا عليه مع إخواننا في الرباط، وعلى رأسهم الفقيه غازي، أن العمل الوطني لايمكن أن يبقى مبعثرا، وأن مسؤولية تسيير الحزب، يجب أن تحدد، في انتظار أن يطلق سراح الإخوان، الذين كانوا لازالوا رهن الاعتقال، وهم : الحاج عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي، وعلال الفاسي، بالإضافة إلى بلافريج، الذي كنت تلقيت منه خطابا يؤكد فيه على ضرورة بعث الحركة، وتنظيم

صفوفها، لمواجهة المستقبل، وهكذا بعد ما وقع إطلاق سراح الحاج عمر بن عبد الجليل، سنة 1941 صارت تنتظم الأمور أكثر، ثم أتى سراح الأخ اليزيدي سنة 1942 لنزيد قوة، ثم بعد رجوع بلافريج من أوربا وطنجة سنة 1943، التأم الجمع، ولم يبق في المنفى من أعضاء حزبنا إلا الأخ الزعيم علال الفاسي، الذي لم يطلق سراحه إلا سنة 1946، وبالمناسبة أود أن أسجل هنا رسالة خطية وصلت للسعيد رحمه الله، من طرف المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، وذلك عندما وصل تلغراف من الأخ اليزيدي يخبره بإطلاق سراحه، والتي تدل على أن السعيد بقي مرتبطا بالجماعة إلى أن لقي ربه، وان عمله السياسي لصالح سراح المعتقلين بقى مستمرا، وتقول الرسالة :

الحمد لله وحده
الأخ الأعز سعيد،
تحية طيبة وأشواقا

وبعد، فقد وصلنا التلغراف طيه، وأخشى أن يقابل «بوشعيب» بنوع من الجفاء، بالإقامة العامة، فيقع ما نحذره، لذلك أرجو من أخوتك، أن تذهب للاقامة، وتبحث القبطان «دوباتيستى» والقبطان «أوليي» عن الشخص الذي سيقابل «بوشعيب»، فتحاول التأثير عليه مباشرة، أو بواسطة، ليلين العبارة، ولا يمس عاطفة أخينا، وإلى الملتقى يوم الجمعة، حيث آتى مع قطار المساء، والله يحفظك ويرعاك، أخوك : عمر[3].

وأنشر هنا صورة لرسالة الحاج عمر بخط يده وصورة التلغراف الذي وصله من محمد اليزيدي :

(3) كان الحاج عمر يخشى أن لا يقابل الزعيم اليزيدي بما يستحق من اعتبار من طرف رجال الاقامة العامة، فيرفض الحديث معهم أو يحتج على خطابهم له، إذا كان غير لائق، فتسوء العلاقة، ويفسد الجو.

Indications de service

Signification des principales indications de service taxées pouvant figurer en tête de l'adresse

D. = Urgent.	XPx. = Exprès payé.
PC. = Accusé de réception.	TMx. = Télégramme multiple.
RP. = Réponse payée.	GP. . . . . — Poste restante.
TC. = Télégramme collationné.	OUVERT = Remettre ouvert.
MP. = Remettre en mains propres.	

N°

Dans les télégrammes imprimés en caractères romains par l'appareil télégraphique, le premier nombre qui figure après le nom du lieu d'origine est un numéro d'ordre, le second indique le nombre de mots taxés, les autres désignent la date et l'heure de dépôt.

Dans le service intérieur et dans les relations avec certains pays étrangers, l'heure de dépôt est indiquée au moyen des chiffres de 0 à 24.

L'État n'est soumis à aucune responsabilité à raison du service de la correspondance privée par la voie télégraphique. (Dahir du 25 novembre 1924, art. 7).

ORIGINE	NUMÉRO	NOMBRE DE MOTS	DATE	HEURE DE DÉPOT	MENTIONS DE SERVICE
[illegible]	162	15	5	0900	t3

libéré samedi tard partirai mardi avion dois monter directement résidence

lyazidi

صورة البرقية التي وصلت إلى الحاج عمر بن عبد الجليل
من محمد اليزيدي يخبره فيها عن إطلاق سراحه

السياسة الألمانية إزاء المغرب

كما ذكرت من قبل، فإن الألمانيين رغم انتصارهم على فرنسا، واحتلالهم باريس، لم يظهر لهم وجود عملي في المغرب، وبقوا يتصرفون من وراء ستار السلطات الفرنسية، التي صارت خاضعة لهم، فكنا في الواقع محميين من دولة مغلوبة ومنهزمة، هي الدولة الفرنسية، وذلك قبل نزول القوات الأمريكية بالشواطىء المغربية، ورغما من أن لجنة ألمانية، تسمى بلجنة الهدنة، كانت توجد بالمغرب، ورغما من أن طابورا من الجستابو كان يوجد بالمغرب، ليتجسس على المغاربة، ويحاول إثارة أفكارهم ضد الحلفاء عموما، ولربما كان يرمي إلى إثارة بعض القلاقل، مستغلا الحقد الموجود على الاستعمار الفرنسي، رغما عن ذلك فإن السياسة الألمانية لم تتضح إزاء المغرب، لقد كنا عارفين بأطماع ألمانيا في بلادنا، أو بالأحرى في معادنها وثرواتها، قبل الحرب العالمية الأولى، وكنا عارفين بأن تلك الأطماع، لازالت قائمة الذات في المناطق الشمالية المغربية، الواقعة تحت النفوذ الاسباني، وأن ارتباط (فرانكو) بألمانيا النازية، ارتباط مصالح، وتعاون وثيق، ولذلك كان طموح ألمانيا أن تستفيد من هذه العلاقات المتميزة مع إسبانيا (فرانكو)، فيما يتعلق بالاستفادة من بعض الثروات المعدنية، الموجودة في الريف، كالنحاس وغيره، وجرى الحديث — كما نقل ذلك الأستاذ محمد الوزاني في مذكراته — حول اتفاق بين الحكومة الاسبانيا وألمانيا، التزمت بمقتضاه شركة المعادن الاسبانية في الريف، بتقديم بضعة آلاف من الأطنان من المعادن، خلال ثمانية أشهر، وذكر الوزاني أيضا نقلا عن جريدة «نيوزيكرونيل» اللندنية (أن شركة أنشئت تحت إسم «هيسما» ومقرها باشبيلية، مهمتها تحت رقابة الصناعة الألمانية، إمداد ألمانيا بالمنتوجات المعدنية، وقد منحها «فرانكو» إحتكار إصدار جميع معادن الريف) أتيت بهذا لأدلل على أن ألمانيا، كانت لها أطماع في المنتوجات المغربية المعدنية على الخصوص، للاستفادة منها في صناعتها الثقيلة، وإذا كانت ظروف الحرب المشتعلة، أخرت بروز هذه الأطماع، بالنسبة للمنطقة الجنوبية التي كانت تحت حماية فرنسا، فإن ذلك يرجع لأحد سببين : إما لأن ألمانيا، كانت اتفقت مع إيطاليا على أن منطقة شمال إفريقيا، تكون بعد انتهاء الحرب، من الممتلكات التابعة لها، وإما لأن ظروف الحرب منعتها، وهي لازالت لم تتحقق من انتصاراتها — أن تخلق مشاكل مع فرنسا قبل إبانها.

المغترون بالدعاية الألمانية

وليس من البعيد أن تكون السياسة الألمانية في ذلك الإبان، أي إبان الحرب، كانت تمهد لتفتح الأبواب أمامها، ببعض الدعايات التي كان يقوم بها «كوبيلز»، من أن بعض القادة المسلمين، ركنوا إليها، مؤملين أن ينالوا بعض حقوق شعوبهم، بالتعاون معها، كما وقع للحاج أمين الحسينين والأمير شكيب أرسلان، ورشيد كيلاني العراقي، وبعض المغاربة القليلين، الذين لم يكتفوا بجس نبض سياستها مع الدول الضعيفة، والمغلوبة على أمرها، بل مدوا يدهم لها، وأملوا منها، وعلى رأسهم السيد إبراهيم الوزاني الذي كان يوجد إذذاك بتطوان، والذي أسس فيه مكتبا أسماه «مكتب الدفاع الوطني» قام بدعاية واسعة النطاق ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية، لقد عرفت سيدي إبراهيم الوزاني أوائل الثلاثينات وطنيا صادقا، امتحن وهو شاب، أصعب امتحان من طرف السلطات الفرنسية، فما وهن وما وضعف، بل بقي ثابتا صابرا، وعند انفصال الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني عن كتلة العمل الوطني، كان من المؤيدين له، والمنفصلين مثله، والمتحمسين ضد كتلة العمل الوطني والحزب الوطني، ثم غابت عنا أخباره، إلى أن صرنا نسمع أخباره عندما فتح «مكتب الدفاع الوطني»، للدعاية ضد السلطات الفرنسية في المغرب، وكان يلقى التشجيع من السلطات الإسبانية والرضا منها، وأثناء الحرب، قام ببعض النشاطات، كان من جملتها تحريش بعض المغاربة، ودفعهم لبعض الأعمال التي كان يظن أنه يخدم بها بلاده، ولكنها كانت تأتي بعكس ماكان يهدف إليه، وكان من جملة الذين استعملهم شخص يسمى (ابن سعد) الذي اتهم شخصيات وطنية كبرى، بالتعاون مع المحور، مع أنها بريئة براءة الذئب من دم يعقوب، فألقى القبض على تلك الشخصيات، وامتحنت أعظم امتحان، بالسجن والتعذيب، والتنكيل، والوقوف أمام المحاكم العسكرية، ومن جملة الذين أوذوا في هذه المحاولة وعرضوا على المحكمة العسكرية بمكناس، بعد تعذيبهم العذاب الأليم : الاخوة : إبراهيم الكتاني، ورشيد الدرقاوي، وعبد الهادي الشرايبي، وغيرهم، ولولا لطف الله بهم، لكان الإعدام جزاءهم، مثل ما وقع لغيرهم، وحتى لا أكون تجنيت على إبراهيم الوزاني، ونسبت إليه ماقد يتبرأ منه لو كان حيا، آتي بما كتبه المرحوم عبد الهادي الشرايبي في مذكراته : (ثمن الحرية) عن ابن سعد، وإبراهيم الوزاني. وأشير هنا إلى أن الأستاذ الشرايبي هذا لقى من العذاب ألوانا وأشكالا، (تحدث عنها بتفصيل في مذكراته)، بسبب ماالتهم به ظلما وعدوانا، ونتيجة التهور والطيش اللذين أشرت إليهما، يقول الشرايبي ص (172)

من مذكراته : (وقد استدعاني القاضي (قاضي البحث العسكري) ذات يوم، ووجدتني أمام شخص غريب علي، ماعرفته في حياتي، في يوم من الأيام، زعم أنه يدعى (ابن سعد) وأنه ابن خالة (إبراهيم الوزاني) وسكرتير له، وادعى أنه هو الذي كان يتلقى رسائلي بحكم وظيفته، وأن رسائلي كانت تتضمن أخبارا مفصلة، عن تنقلات قوات الحلفاء، وادعى أنه تلقى مجموعة من هذه الرسائل، ثلاثة، أو أربعة، وزعم أنه يعرف تفاصيل ما احتوته كل واحدة منهما، وقد لذت بالانكار المطلق، لكل هذه الترهات، ونفيت أني أعرفه، وأني كتبت لرئيسه (إبراهيم الوزاني) وأني كنت أخبره بالأكاذيب والمفتريات التي لفقها، بالرغم من أني كنت أعرف إبراهيم الوزاني، هذا الذي كان معنا يوما من الأيام، عضوا في الحركة القومية، التي كنت أنتمي إليها، وظل يعمل فيها إلى أن تطورت الحركة، ودخل أعضاؤها إلى عالم السدود والقيود، واستطاع هو أن يفلت عبر الحدود، وانتقل إلى منطقة الشمال، التي كانت تحت الحماية الاسبانية، وانقطع إذ ذاك أي نوع من أنواع الاتصال بيننا وبينه، إلى أن جاء (ابن سعد) هذا في صيف سنة 1944، وادعى زورا، أنني كنت أجري الاتصال معه) وبعدما تحدث عن المقابلات التي جرت بينه وبين ابن سعد، أمام قاضي التحقيق قال : (وكان لايكاد يمر يوم، دون أن نسمع في الصباح الباكر، ونحن في غيابات السجن، ضحية أو ضحيتين، يجران أرجلهما المكبلة بالسلاسل والأغلال، من المحكوم عليهم بالإعدام، حيث يشفي الاستعمار غليله من هؤلاء الضحايا، الذين حوكموا، وكلهم أو أغلبهم، من أبناء المنطقة، الذين كان إبراهيم الوزاني، وأمثاله من أذناب الاستعمار، يزجون بهم في هذه المآزق، خدمة لأغراضهم وأطماعهم (ص 175) إنتهى ما كتبه الشرايبي.

ولقد لاحظت وأنا بالسجن بعض هؤلاء الاخوة المعذبين، وأرجلهم تقطر دما، من جراء كثرة التعذيب، لا لذنب ارتكبوه، ولا لعمل قاموا به، وإنما كان نتيجة للاندفاعات التي أتت من المتهورين، والتي كان ينقصها الحكمة والتفكير، ولله الأمر من قبل ومن بعد، أقول أن إبراهيم الوزاني رحمه الله، كان تأثر بالدعاية الألمانية، وأمل أن يأتي عن طريقها بعض الخير للمغرب، فكان من جملة ما فعله، أن وجه برقية إلى هتلير عقب خطاب ألقاه، وتعرض فيه للقضايا العربية، مظهرا الاهتمام بها، والدفاع عنها، ولقد جاء في برقية الوزاني إلى هتلير مايلي : (إننا نبلغكم الاعتراف العميق من الشعب المغربي، على دفاعكم عن القضايا العربية، أثناء خطابكم الحازم، ونلتمس من عطفكم، اعتبار المغرب تحت النفوذ الفرنسي من ضمن الدول المحتاجة إلى العدالة، لنفس الأسباب الواردة في خطابكم، إن حالة المغرب، لاتقل سوء عن حالة الشعوب الأخرى، بسبب

التدابير التعسفية المتخذة فيه من لدن فرنسا، المنافية لتعهدات الأوفاق الدولية، وخاصة معاهدة الحماية) وكانت هذه البرقية ممضاة بمكتب الدفاع الوطني المغربي في تطوان.

ونلاحظ مما جاء في هذه البرقية أن إبراهيم (الوزاني) كان يؤمل الخير في «هتلير»، مع أن مبادئه وإديولوجيته من خلال ما كتبه، وخططه، كانت تتنافى كليا مع مبادىء الحرية، والديموقراطية، والانعتاق، بل تتصادم حتى مع المبادىء الانسانية السامية، حيث كان يومن بالمبادىء العرقية، ويحتقر كل الاحتقار، الجنس السامي الذي يدخل فيه الجنس العربي.

وحتى لا أظلم التاريخ أشير إلى أن بعض إخواننا في الشمال، ظنوا في بعض تحليلاتهم آنذاك، أنه قد يمكن الاستفادة من الظروف، للاعتراف باستقلال المغرب، من طرف ألمانيا والمحور، فكان أن سافر الأستاذ عبد الخالق الطريس مرتين إلى ألمانيا، للاتصال بالمسؤولين الكبار، وعرض القضية المغربية عليهم، طلبا لمساعدتهم في تحقيق استقلال بلادهم، خصوصا وأن إسبانيا حليفة ألمانيا، كانت تظهر بعض الاعتدال فيما يتعلق بتحقيق بعض المطامح المغربية، وتفسح مجال الكلام، أمام إخواننا الوطنيين ليشيدوا بفكرة الاستقلال على صفحات جرائدهم، التي كانت تصدر إذذاك، وليقاوموا المقاومة الشديدة تصرف الادارة الفرنسية، في المنطقة الجنوبية، ولقد ذكر الأخ الأستاذ عبد الكريم غلاب في تاريخه للحركة الوطنية، أنه كان تلقى رسالة خاصة من المرحوم الأستاذ الطيب بنونة، يخبره فيها أنه كانت تكونت لجنة من خمسة أفراد، هم الأستاذ عبد الخالق الطريس، والأستاذ التهامي الوزاني، والفقيه السيد محمد طنانة، والحاج أحمد بلافريج، والطيب بنونة، وقررت الاتصال مع ألمانيا، قصد الاعتراف باستقلال المغرب، وبناء على ذلك القرار، سافر الطريس مرتين إلى ألمانيا، كما ذكرنا ووقع الاتصال باللجنة الألمانية في المنطقة الشمالية، لأخذ تصريح منها في الموضوع، ولكن ذلك لم ينتج إلا المراوغة، والكلام المعسول، وعدم الالتزام بأي شيء، ولاشك أن المسؤولين الألمانيين، لم يفكروا أبدا في إقلاق راحة أصدقائهم الاسبانيين بدورهم، بالاعتراف بحق المغرب في الاستقلال.

إسبانيا تحتل مدينة طنجة
واحتجاج محمد الخامس

تفكير الاسبان، لم يتجه أبدا اتجاه التحرر والانعتاق، بالنسبة للمغرب، بل العكس

من ذلك، كانت له أطماع في الاستيلاء على بعض المناطق المغربية، التي كانت تحت النفوذ الفرنسي والدولي.

ودليل ذلك ماقاموا به بعد انهزام فرنسا أمام القوات الألمانية، حيث اغتنموها فرصة فاحتلوا مدينة طنجة التي كانت تحت النفوذ الدولي، وطردوا المندوب المخزني منها، الأمر الذي دفع جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس، لكتابة احتجاج شديد اللهجة بواسطة المقيم العام الفرنسي الجنرال نوكيس كمكلف بوزارة الخارجية بالمغرب، ليرفعه إلى الحكومة الاسبانية، وأثبت هنا النص الكامل لاحتجاج جلالة الملك، والذي نشرته الصحافة المحلية إذذاك، ومنها «جريدة السعادة» التي كانت تصدرها الاقامة العامة :

الحمد لله وحده

سعادة المقيم العام للدولة الفرنسية بالمغرب، ووزير خارجية دولتنا الشريفة، الجنرال نوكيس. دامت سلامته. وبعد، فبمناسبة دخول إيطاليا في الحرب، أخبرت الدولة الاسبانية بطريق المخابرة السياسية الخارجية، بأنها تريد بصفتها غير محاربة، أن تتخذ بعض الاحتياطات في منطقة طنجة، للمحافظة على النظام، والأمن فيها، وفعلا اتخذت تلك الاحتياطات ونشرتها من غير أن يعترض عليها، مادامت منحصرة في دائرة الحيثيات المسببة لها، إلا أن الحكومة الاسبانية، ظهر لها أن تزيد في تلك الاحتياطات، إلى حد أوقفت فيه سير النظم المؤسسة بأوفاق دولية، مقررة بظهير شريف، ولم تقف عند ذلك الحد، بل أمرت مندوبنا هناك، أن يفرغ المندوبية المخزنية، قائلة : انها قررت حذفها من منطقة طنجة، التي صممت على إدخالها في منطقة نفوذها من إيالتنا الشريفة.

وان الواجبات التي تقلدناها يوم صعودنا على عرش الملك المغربي، وتعهدنا بتدبير شؤون رعيتنا، والمدافعة عن حقوقها، تلزمنا أن نحتج أقوى الاحتجاج، على هذه التقارير، الصادرة من جهة إسبانية وحدها، من غير موافقتنا، وفي كامل المخالفة، لقواعد حقوق الدول، متحافظين على كل ما لعرشنا السلطاني من الحقوق والامتيازات، المتعلقة بالنظام الأساسي لمنطقة طنجة، ولذلك نرجو من حكومة الدولة الفرنسية، أن تبلغ نص هذا الاحتجاج للدولة الاسبانية، والسلام.

ولقع وقع دفع هذا الاحتجاج لوزير خارجية إسبانيا بمدريد، بواسطة سفير فرنسا فيها.

ومن خلال هذه الرسالة الاحتجاجية، ندرك أن الملك المنعم سيدي محمد الخامس قرر رغم ظروف الحرب الحالكة، وتطبيق الأحكام العرفية من طرف السلطات الاستعمارية أن يعلن للملإ أنه الممثل الوحيد للسلطة الشرعية في المغرب، وانه لايسمح بأي اعتداء على التراب المغربي من أي دولة مهما كان شأنها وأنه يتتبع الأحداث بعين يقظة، مدركا مسؤوليته الكبرى في الدفاع عن بلاده، والوقوف ضد كل من يود أن يصيبها بمكروه، أو يعتدي على أي جزء من ترابها، رغم وجود القوة الفرنسية، وتذبذب السياسة الفرنسية، التي كانت خاضعة كل الخضوع للسلطة الفيشية البيتانية.

المغرب في ظل متاعب الحرب ومشاكلها

عانى المغرب والمغاربة من الحرب، كثيرا من المشاكل والمتاعب والمصائب، فزيادة على فقدان الحرية، والضغط على المواطنين، وتتبع تحركاتهم، آناء الليل وأطراف النهار، فلقد استولت الادارة الفرنسية على كل مقدرات المغرب ومنتوجاته، وجميع موارده، لتستفيد منها الجالية الفرنسية، واليهودية والمحظوظون من المغاربة، دون غيرهم من الطبقات الشعبية، لقد أصبحت مواد التجارة كلها دون استثناء، في قبضة الإدارة، ولا يستطيع أي مواطن، أن يشتري أي شيء، سواء من المواد الغذائية، أو الملبوسات، أو غيرها، إلا إذا كانت بيده بطاقات تدفعها الادارة، ليشتري بها ما يحتاج إليه من تلك المواد. لقد استغل الفرنسيون خطاب جلالة الملك المنعم في بداية الحرب، أسوأ استغلال، وتصوروا أنه عندما قال : (اننا نساند فرنسا مساندة غير مشروطة، ونمدها بكل ثرواتنا، البشرية، والمادية، ونضحي معها بكل مالدينا) أنهم مسموح لهم أن يجوّعوا شعب المغرب، ويُعَرُّوه، ويتصرفوا في مقدراته طبق مايريدون، ووفق ماتحتاج إليه جاليتهم أولا وبالذات، اما المغاربة المساكين، غير المحظوظين، مثل طبقات الأعيان، والموظفين. فلياكلوا التراب إن شاءوا، وهكذا كنا نرى بأعيننا جماعات متراصة، واقفة واحدا أمام الآخر. أمام الإدارات المختصة، تنتظر ما تحصل عليه من بطائق (أبوان)، لتشتري بها ما تتوقف عليه من مواد غذائية، أو ألبسة ضرورية لأهليها وأبنائها.

وبمناسبة ذكر (الأبوان)، وهي البطائق التي كان يشتري بها المواطنون، ما يحتاجون إليه من مواد غذائية وغيرها أثبت هنا قطعة شعرية بالملحون، (اللغة الدارجة المغربية) كانت مسجلة على أسطوانة، وتذاع على أمواج الأثير، وكان صاحبها هو الشاعر الموهوب : الحسين السلاوي، وتتعلق بقضية ومشكلة الأبوان :

قال الحسين السلاوي في أغنيته التي أثبتها مع قصائد أخرى في الموضوع صديقنا المؤرخ، السيد عبد الله الجراري في كتابه «شذرات تاريخية» :

نْسَا وَرْجَـــالْ مْتْسَابْقِيـــنْ   على البُونَـــاتْ كَامْلِيـــنْ

فَقْنَا بَكْرِي في الظْلاَمْ	نْهَارْ العِيدْ رَمْضَانْ
قْبَضْنَا السَّرْبِيسْ عْلَى الكَتَّانْ	واللَّه الْقْصِيرْ مَا يْبَانْ
وَايَنْ لَقْصِيرْ مَا يْبَانْ	طْوِيلْ ثَانِي عَاكر بغْ يْضِيع
قْنُوغْتُ عَضْ عض فقنفْتو	بَاشْ خللّو نويْتُو
الكَزَّارَا مْجَبَّدِينْ	مِن لْفُوقْ تَلْقَى هْبَرْتِين
مَنْ لْتَحْتْ غير عظَمْتِين	أَعْطِ لفْلاَنْ بن فْلاَن واعط لمقَدَّمْ بالتّمَامْ
نَاسْ لحومَ كَامْلِين	درَاوَشْ بحالي كَامْلِين
أَحْضِ رَاسَكْ لاَيْفُوزْ فِيك	القَوْمَانْ يَافْلاَنْ

وبالمناسبة كذلك أود أن أسجل هنا أن رجال الادارة الفرنسية، كانوا يعاملون التجار الوطنيين، معاملة فيها كثير من الظلم، والحيف، فإذا ما فرقوا بعض الأبوان على التجار، لشراء بعض الأثواب مثلا، ليبيعوها للمواطنين، فإن حظ الوطنيين يكون قليلا، وقليلا جدا، وحتى إذا ما واتهم الحظ، فتكرموا عليهم ببعض «الأبوان» فإنها لاتكون في المستوى اللائق، وقد ينالون بها مايشتم من رائحته الاحتقار والتشفي.

لقد كان أحد إخواننا الوطنيين الخلص، يتجر في الثياب، ولما جاءت الحرب الضروس، وقفت حركته التجارية بالمرة، لأن حظه من نيل الأبوان، كان حظا أقل من القليل، بعكس غيره من بعض التجار المجاورين له، ولما كثر احتجاجه، ومطالبته بأن يعامل مثل بقية زملائه التجار، أعطوه «بونا» يشتري به بعض السلع، ولما ذهب للدار البيضاء، ليشتريها، ظنا منه أنه سيربح فيها، فتح الصندوق الذي كان مقفلا، فإذا هو مملوء «بشاشيات اليهود» أي الطرابيش السوداء التي كان اليهود يجعلونها على رؤوسهم، وفي ذلك ما فيه من الاستهزاء والاحتقار، لهذا الوطني الذي لايقصده اليهود لشراء أية بضعة منه.

تجنيد المغاربة والرمي بهم في أتون الحرب

ومن جهة أخرى، فلقد قامت السلطات المذكورة بحملة واسعة النطاق لتجنيد كثير من الطبقات الشعبية، وإلحاقها بالجيش الفرنسي، لتشارك في حرب ضارية لاناقة لها فيها ولا جمل، حتى بلغ عدد المجندين المغاربة، أزيد من ثلاثمائة ألف نسمة، جابوا بهم

أنحاء الأرض كلها، في أروبا، وآسيا وإفريقيا، فكان المجندون المغاربة يوجدون في صحراء ليبيا مثلا، وفي كورسيكا، وفي ألمانيا، وفي صقلية، وفي إيطاليا، وفي سوريا، وفي لبنان، وفي الهند الصينية، لا ليتفرجوا ويتفسحوا، ولكن ليريقوا دماءهم الغالية، في سبيل حرية افتقدوها في بلادهم، ولم يتمتعوا بها، لا في ظروف الحرب، ولا في ظروف السلم، ومن الغريب العجيب، أن هذه التضحيات الجسيمة، التي كان يقدمها الشعب المغربي، معونة للدولة التي تحميه، لم تنل حظها من التقدير، والاعتراف بالجميل، سواء أثناء الحرب أو بعدها، رغم اعتراف الجنرال «دوكول»، بأن المغرب وملكه المنعم، وقفا في الحرب موقف المناصر المشارك الثابت، أمام القوات النازية، وأمام الذين شايعوها من الفرنسيين، المتعاونين، من أنصار «بيتان، حتى استحق جلالة الملك، أن ينال من يد «دوكول»، وسام التحرير، ويعتبر دون غيره، رفيق التحرير، ويدعوه إثر انتهاء الحرب للقيام برحلة إلى فرنسا في يونيو سنة 1945 ليشهد أمام الملإ، أن ملك المغرب محمدا الخامس، وفي كل الوفاء، بما التزم به، ساعة اندلاع الحرب العالمية الثانية.

هذا الموقف الذي وقفه الجنرال «دوكول» من ملك المغرب، واعترافه بما أسداه من معونة كبرى لفرنسا حتى تحررت، لم يمنعه أن يكون له موقف آخر، معاكس لمطامح الشعب المغربي في الحرية والانعتاق، والذي تجلى عندما تقدمنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، كما سنتحدث عنه في حينه إن شاء الله.

نزول القوات الأمريكية بالشواطىء المغربية

لم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية الحرب رسميا وعمليا، إلا بعدما رأت أن اكتساح القوات الألمانية لكثير من الأقطار، وتهديدها القوي للقضاء على الحلفاء، وأخيرا انضمام اليابان إليها، وإقامتهم قواعد حربية في وسط، وشمال، الفيتنام، ثم تسلّل الأسطول الياباني، إلى جزر «هاواي»، وهجوم طائراته على الأسطول الأمريكي، الذي كان راسيا في «بيرل هاربور»، وقتله لحوالي ثلاثة آلاف أمريكي، إلى آخر ماوقع بعد ذلك، إزاء كل هذا، قررت أمريكا الدخول إلى الحرب، بجانب حلفائها، وخصوصا انكلترا. لقد كانت الولايات المتحدة، تظهر الحياد والانعزال، وإن كانت ميالة إلى تأييد الحلفاء، تمدهم بالأسلحة والعتاد. ولكنها وقد رأت أن سياسة الانعزال، لاتجلب لها هي نفسها إلا الدمار، فقررت عندئذ الدخول إلى الحرب عمليا، وإقناع الرأي العام الأمريكي بهذا الدخول.

وبدخول أمريكا الحرب، صارت كفة الحلفاء تتقوى على ألمانيا، وصارت القوات الألمانية تتراجع شيئا فشيئا إلى الوراء.

كان دخول أمريكا الحرب أواخر سنة **1941** أي بعد مضي عامين وزيادة، على اشتعالها، وقبل ذلك بقليل حصل لقاء هام جدا بين الرئيس «روزفيلت» والوزير الأول البريطاني «تشرشل»، على متن السفينة الحربية «بوتوماك» التي كانت راسية في المياه الكندية، وفي هذا اللقاء، وضعت وثيقة ماسمي بالميثاق الأطلسي، ووقع الرئيسان عليها، وفي هذه الوثيقة، حددت المبادىء التي يجب أن يعمل الحلفاء على تطبيقها، لصالح الشعوب، بعد انتهاء الحرب، وانتصار الحلفاء، ولقد جاء في هذه الوثيقة المؤرخة بـ **14** غشت **1941** التي وقعها كل من الرئيس الأمريكي روزفيلت، ورئيس الوزارة البريطانية ونستون تشرشل مايلي :

«1) ان بلديهما لن يسعيا، لتوسع إقليمي أو سواه

2) انهما لايرغبان في رؤية تبديلات جغرافية، تتنافى مع الرغبات الحرة للدول المعينة.

3) يحترمان حق الشعوب كافة، في اختيار نظام الحكم الذي يريدون أن يعيشوا في ظله، ويتمنيان عودة الحقوق الأساسية، والحكومات المستقلة إلى أصحابها الذين انتزعت منهم بالقوة.

4) يسعيان لتأمين التجارة، والمواد الأولية اللازمة للازدهار الاقتصادي في كل الدول، كبيرة كانت أو صغيرة، منتصرة أو مغلوبة، دون التعرض لأي من الالتزامات القائمة.

5) يودان التعاون الواسع بين الأمم، على الصعيد الاقتصادي، مع التشديد على تأمين الأهداف التالية : شروط عمل أفضل، وازدهار اقتصادي، وضمان اجتماعي.

6) بعد القضاء التام على التعسف النازي، يتمنيان تحقيق سلم، يوفر لجميع الأمم أسباب عيشها بأمان، داخل حدودها، ويؤمن الضمانة لكل الشعوب، لتتمكن من العيش بحرية، دون خوف أو حاجة.

7) إن سلما كهذا، يتيح للجميع عبور البحار المحيطات دون عوائق.

8) يومنان بأن كل دول العالم، مدعوة لأسباب واقعية ونفسية، للإقلاع عن استعمال القوة، إذ لايمكن استمرار السلم في المستقبل، مع إصرار بعض الدول على اعتماد التسلح البري والبحري والجوي، والتهديد بالعدوان، ويعتقدان أن نزع سلاح أمم كهذه، أمر ضروري، بانتظار وضع نظام أمن واسع ودائم، وكذلك يساعدان في كل التدابير العملية الأخرى، ويشجعان عليها، من أجل رفع عبء التسلح عن الشعوب المسالمة».

أتيت بالنص الكامل لِـ «ميثاق الأطلسي»، لأشير إلى أننا في حزب الاستقلال، استفدنا منها، لدى تقديمنا لوثيقة 11 يناير 1944، للمطالبة باستقلال المغرب، وطالبنا في نفس الوثيقة بانضمام المغرب، للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر الصلح، كما وأننا أثناء محاكمتنا بالمحاكم التي كونتها الحماية الفرنسية، كنا نستند، وكذلك محامونا الذين يدافعون عنا، بالفقرة الواردة في ميثاق الأطلسي وهي الفقرة الثالثة، التي تعطينا كامل الحق في اختيار نظام الحكم الذي نريد أن نعيش في ظله، وهو حقنا في الاستقلال والحرية في ظل الملكية الدستورية. وأسجل بهذه المناسبة أنني

شخصيا لدى عرضي على محكمة الجنايات بالرباط، أثرت لدى تدخلي في الدفاع عن نفسي قضية الميثاق الأطلسي، وما جاءت به، وأن أحد المحامين الذي تولى الدفاع عني، إغتنمها فرصة ليتوسع في عرض نصوص الميثاق، ولعله كان المرحوم الأستاذ إدريس المحمدي.

لقد كان الرئيس «روزفيلت» دون شك هو المملي الأول لبنود الميثاق، وبالأخص ما يتعلق منها بحق الشعوب في تقرير مصيرها، لأن الأمريكيين لم تكن لهم إذ ذاك نزعة استعمارية مثل اليوم، مثل الانكليز والفرنسيين، ولأن المبادىء، التي دافع عنها «ويلسون» في الحرب العالمية الأولى، كان يعتنقها الرئيس روزفيلت على مايظهر.

لقد كنا نتتبع هذه الأحداث بكامل الاهتمام، وكانت جريدة «المغرب» اليومية تعلق على بعضها، حسبما يسمح به الرقيب الفرنسي، وبدا بصيص من الأمل يظهر عندما صارت ترجح كفة الحلفاء.

لم يكن الفرنسيون في المغرب وفي طليعتهم الجنرال «نوكيس» مرتاحين لهذا التطور، لأن نوكيس كان في سياسته المتبعة في المغرب، ذيلا تابعا منقادا لسياسة «فيشي» لا اقتناعا، وإيمانا بما يفعل، ولكن لأنه كان حريصا كل الحرص، على أن يحتفظ بمنصبه كمقيم عام بالمغرب، ويجب أن أشير هنا إلى أن «بيتان» وبعده «دوكول» و«جيرو»، كانوا مصرين على أن يبقى المغرب والشمال الافريقي جميعه، تابعا لفرنسا، بعد انتهاء الحرب، وكانت ألمانيا رغم هزيمتها للفرنسيين، لاتمانع في بقاء ارتباط المغرب بفرنسا، مادامت سيطرتها العليا عليها، ومادامت استراتيجيتها الحربية، لاتهدد من منطقة الشمال الإفريقي، خصوصا وإنها كانت اتفقت مع حليفتها إيطاليا، إذا ما انتصرت على الحلفاء، فإن منطقة المغرب العربي، لاتكون من نصيبها بعد التوزيع، وإنما ستكون من نصيب «إيطاليا» حليفتها، حسب الأطماع التي كانت عند موسوليني».

سنة التحول في الحرب العالمية الثانية

كانت سنة 1942 سنة تحول في الحرب الطاحنة، الدائرة في العالم، فرغما من أن النازيين وحلفاءهم سيطروا على أوربا، وشمال إفريقيا، وجنوب شرق آسيا، ورغما من الانتصارات التي كان يحققها «روميل» في كثير من المواقع، فإن الحلفاء صاروا يردّون الهجوم، ويسترجعون بعض المواقع، سواء بقيادة «مونتغمري»، الذي رد الألمانيين على

أعقابهم خاسرين في معركة «العلمين» أو بقيادة الجنرال «إيزنهاور»، الذي أخذ القيادة العليا، وقرر طرد الألمانيين من شمال إفريقيا، وتطويق قوات «رومل»، والإيطاليين، في المراكز التي كانوا يحتلونها، وهكذا وصلت القوات الأمريكية إلى المغرب، والجزائر، لتطرد النازيين والبيتانيين الفرنسيين، وتقضى القضاء المبرم على ماكان يسميه الألمانيون بالجبهة الإفريقية.

موقف نوكيس من نزول القوات الأمريكية بالمغرب

كان نزول القوات الأمريكية بشواطىء الدار البيضاء، وآسفي، والقنيطرة، مفاجئا لنوكيس، فقرر أن تقوم الجيوش التي تحت إمرته بمقاومتها، غير معط أي اعتبار لصاحب السلطة العليا بالبلاد، جلالة الملك محمد الخامس، الذي أظهر في ذلك الوقت من البراعة السياسية، والروح الوطنية الصادقة، ما اعترف به الأمريكيون أنفسهم، إنه رحمه الله لم يقبل أن تداس كرامة المغرب، ويقرر في شأنها ما يتنافى مع مصلحته، ومع وفائه للخطة التي قرر السير عليها، عندما أعلنت الحرب، وهكذا لم ينصع لما قرره «نوكيس»، من مقاومة الجيوش الأمريكية، فرفض كما ذكرنا من قبل، أن ينقل عاصمة ملكه إلى فاس، عندما طلب منه «نوكيس» ذلك، و لم يوافق على مقاومة الجيوش الأمريكية النازلة بالشواطىء، مؤكدا للمقيم العام الفرنسي، أن المغرب غير مستهدف لأخطار، ونزول الجيوش الأمريكية ليس نزول احتلال، ولا حرب ضده، بل ان هذا النزول يتماشى مع الخط الذي ارتضاه لنفسه، عندما أعلن الحرب هو نفسه ضد ألمانيا المعتدية على الشعوب، متضامنا مع القوات الحليفة التي أعلنت هي نفسها الحرب ضد ألمانيا، فنزول القوات الأمريكية بالشواطىء المغربية، يتماشى مع الموقف الذي وقفه لدى اشتعال الحرب، وكل موقف آخر، يعتبر تنكرا لما ارتضاه لنفسه، ثم خاطب المقيم العام الفرنسي قائلا : كما جاء في كتاب «التحدي» لجلالة الملك الحسن الثاني : (قال والدي للجنرال نوكيس يوم تاسع نونبر : ان الدم الفرنسي، ودم الجنود المغاربة، ودماء المدنيين تراق، وقد أعلن الرئيس «روزفيلت» والجنرال «ايزنهاور» أن القوات الحليفة أتت إلى المغرب كقوات صديقة، وأنت تعرف أكثر مني، أن هذه القوات لاتغلب، فعليك إذن، أن توقف القتال، أما بالنسبة لي كملك للأمة المغربية، فإن أول واجب علي، هو حقن الدماء.

كان موقف «نوكيس» غير متجاوب مع موقف جلالة الملك، المنافح الأول عن مصلحة المغرب، ولذلك كان مصرا على مقاومة نزول الجيوش الحليفة، منفذا للأوامر التي يتلقاها من الجنرال «دار لان»، الذي كان مقيما بالجزائر، والذي كان وافقه على المقاومة، ورفض الانذار الأمريكي، وهكذا دخلت الجيوش الواقعة تحت إمرة «نوكيس» في حرب مع الجيوش الأمريكية، الأمر الذي لم يرتضه الملك ولم يوافق عليه.

لم تدم المقاومة النوجيسية، إلا ثلاثة أيام : 8 و9 و10 نوفمبر، ثم توقفت بعد ذلك بأمر من الجنرال «دارلان» نفسه، واستسلمت للجنرال «إيزنهاور»، ولقد انتهى الأمر بعزل الجنرال «نوكيس» من منصبه كمقيم عام، ثم فراره إلى البرتغال، حيث بقي لاجئا فيها، حتى انتهت الحرب، وسقطت مكانته لدى الأمريكيين، الذين أصبحت لهم الكلمة العليا، ولقد جاء في تقرير وضعه «روبرت مورفي» كبير المستشارين المدنيين للرئيس «روزفيلت» في شمال إفريقيا، أشار فيه إلى الشخصيات الفرنسية الموجودة بالمغرب لدى نزول الجيوش الأمريكية فقال : حسبما ورد في كتاب «روم لاندو» ص 262 : (نوغيس جنرال مقيم عام في المغرب، لايرجى منه كبير نفع، وينتظر معه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، أن يسير بحسب الأوامر التي تصدر من «فيشي» كما أن الجنرال «إيزنهاور» نفسه، في كتابه «حرب صليبية في أوربا» وصف نوغيس بما يلي : (لا يعتمد عليه، بل هو شر من ذلك، انه قبيح الصيت).

اتصال أمريكي مغربي بعد نزول القوات الأمريكية

كما قلت سابقاً فإن جلالة الملك محمد الخامس، رفض الرفض القاطع، مقاومة الجيوش الأمريكية، النازلة بالشواطىء، لأنه كان يعتبرها جيوشا حليفة، وليست جيوشا معتدية، وهذا الموقف الذي وقفه جلالة الملك أخذه الأمريكيون بعين الاعتبار، وأكد لهم من جهة، أن جلالة الملك حليف وفيٌّ لقضايا التحرير، ومقاومة العبودية والظلم، ومن جهة ثانية، أنه يقدر مسؤوليته حق قدرها، ويحرص على أن تبقى للمغرب مكانته، وحريته في اتخاذ القرار الذي تفرضه مصلحته هو، لا مصلحة مستغليه من الفرنسيين، ومن المعلوم ــ وهذا مهم ــ أن أميريكا لم يسبق لها أن اعترفت بنظام الحماية المفروض على المغرب، ولذلك رأى سَاسَتُها أن يغتنموا هذه الفرصة، ليتصلوا بجلالة الملك، دون واسطة السلطات الفرنسية، وهكذا قرر الرئيس «روزفيلت»، أن يبعث برسالة إلى جلالة

الملك، نوه فيها بالعلاقات التي تربط بين الشعبين خلال التاريخ، وبالموقف الذي وقفه جلالته، بانضمام المغرب إلى صف الحلفاء. ولقد جاء في رسالة الرئيس روزفيلت إلى جلالة محمد الخامس حسب ماجاء في ذكريات ومشاهدات الأستاذ عبد الهادي بوطالب مايلي : أن الرئيس روزفيلت يتذكر العلاقات الودية التاريخية، التي قامت بين المغرب وبلاده، منذ قرنين، ولا ينسى ما ربط رئيسي الدولتين : السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والجنرال «واشنطون» مؤسس الدولة الأمريكية، من مودة واحترام، حتى إن السلطان أهدى لرئيس الولايات المتحدة، دارا مغربية بطنجة، ظلت منذ ذلك الوقت مقر البعثة الأمريكية.

إن الرئيس روزفيلت، قبل بارتياح، ما أعرب عنه السلطان الحالي للمغرب (محمد بن يوسف) من حرصه على قيام تعاون وثيق، بين الشعبين، المغربي والأمريكي، وأنه مبتهج بانضمام المغرب إلى صف الحلفاء، وختم الرئيس الأمريكي خطابه، بأن مجيء قوات الولايات المتحدة الأمريكية إلى المغرب، هو تطهير الشمال الافريقي من النازية، وإنقاذه من سيطرة المحور، الذي يريد التحكم فيه سياسيا واقتصاديا، ثم أضاف : ومن دواعي الغبطة، أن نوحد جهودنا، ونتضامن للقضاء نهائيا على العدو المشترك، وأن النصر الذي سيحصل عليه الحلفاء، سيكون فاتحة عهد جديد، من السلام، والرفاهية للمغرب والمغاربة).

لقد حمل هذه الرسالة إلى جلالة الملك محمد الخامس (الجنرال كييس) (KEYES)، وكان الذي سيحملها إليه هو الجنرال (باطن) (GEORGES PATON)، ولكن وعكة صحية طرأت عليه، فأناب عنه «كييس».

إنها رسالة واضحة المبنى، والمعنى، من الرئيس روزفيلت، لاتعبر عن مطلق شكر، لموقف المغرب في الحرب المشتعلة، ولكنها تؤكد أن للمغرب كيانه الخاص به، ووجوده الحضاري، والسياسي، والدولي، خلال القرون، وأن مواقفه الثابتة الصامدة، تستحق الإشادة من أكبر دولة عالمية إذ ذاك، كان دخولها ومشاركتها في الحرب، هو الذي غير رجحان كفة النازية، وجعل الحلفاء ينتصرون على القوات المعادية المخربة، والعنصرية، والدائسة لحرمات الشعوب، كما وأنها (أي الرسالة) تعبر عن روح مرسلها : الرئيس روزفيلت، الذي شاءت الأقدار، أن لايعيش فترة طويلة، حتى يتحقق ماكانت تطمح إليها الشعوب المستضعفة، ومنها شعب المغرب.

ونلاحظ أن رسالة الرئيس «روزفيلت» إلى محمد الخامس، لم تصل إليه عن طريق

عادية، بل قدمت إليه يوم السبت 23 نونبر 1942 بطريق رسمي، حين وقع استقبال رسمي بالقصر الملكي للجنرال الأمريكي «كييس» خليفة القائد الأعلى للقوات الأمريكية بالمغرب، استقبل فيه الجنرال المذكور بما تستقبل به الشخصيات الكبرى، وأديت له مراسيم التحية، من طرف لفيف من الحرس الملكي، وكان على رأس المستقبلين مدير التشريفات الملكية السيد محمد معمري الزواوي الذي أدى له بدوره التحية، ثم قدمه إلى جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، ولاشك أن هذا الاستقبال الرسمي، لم يرض المقيم العام «نوكيس» ولكنه صار يشعر أن جلالة الملك، اتخذ قراره النهائي في شأن هذا الاستقبال، وأنه لاراد لما يقرره رحمه الله.

لقد تغيرت الأوضاع السياسية بالمغرب، بعد نزول القوات الأمريكية، و لم يبق النفوذ المطلق للقوات الفرنسية، الخاضعة لسيطرة بيتان، ويمكننا أن نقول : إن المغاربة الأحرار، وفي طليعتهم جلالة محمد الخامس، تنفسوا الصعداء، وأملوا أن يصبح تغيير الأوضاع حقيقة واقعية، وأكد هذا الأمل اللقاء التاريخي، الذي وقع بين جلالة الملك محمد الخامس، والرئيس روزفيلت، والرئيس تشرشل، والمسمى بلقاء «آنفا» في الدار البيضاء.

لقاء «آنفا» التاريخي

بعدما صارت كفة الحلفاء ترجح، صارت الاجتماعات تتوالى، لتقرير مصير الحرب، وتوحيد الأفكار، وتمتين علاقات المنتصرين، ووضع ستراتيجية موحدة، عسكرية، وسياسية، لضمان الانتصار وتثبيت مواقع الحلفاء، وهكذا انعقد مؤتمر في الدار البيضاء، مابين 14 و24 يناير 1943، حضره بالخصوص الرئيس الأمريكي روزفيلت، ورئيس الوزراء البريطاني، ونستون تشرشل، ومساعدوهما وأعوانهما من الضباط الكبار والمدنيين المسؤولين.

لم يستطع أي أحد أن يعلم أي شيء عن انعقاد هذا المؤتمر الذي دام عشرة أيام، باستثناء منظميه، لأنه كان في منتهى السرية والكتمان، وكان المفروض أن يحضره أيضا الرئيس السوفيتي «ستالين»، والرئيس الصيني تشان كاي تشيك»، ولكنهما اعتذرا عن الحضور، نظرا للظروف الحربية التي كانت تلزمهما بالبقاء ببلديهما، للإشراف بنفسهما على العمليات العسكرية التي كانت تجرى.

لقد رأى الرئيس «روزفيلت»، أن يكرم محمد الخامس، الذي وقف الموقف الصامد

ضد النازية، ولم يوافق على مخططات «بيتان» المستسلم للنازية، والمقاوم لقوات الحلفاء، رأى «روزفيلت» أن يستدعي محمدا الخامس لحفلة عشاء، أقامها على شرفه في دار السعادة، بحي آنفا بالدار البيضاء، حضرها بالإضافة إليه، الرئيس نستون تشرشل، وسمو ولي العهد المولى الحسن، وبعض الشخصيات الأمريكية، والسيد معمري الزواوي رئيس التشريفات الملكية، والجنرال نوكيس وغيرهم.

ولقد تحدث عن هذا اللقاء، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في كتابه (التحدي) فقال : في 22 يناير 1943 دعانا الرئيس «إيزنهاور»، إلى مأدبة عشاء أقامها على شرف والدي، وكان العشاء، في حي آنفا، بالقرب من الدار البيضاء، وفي نفس المكان الذي كان قد سبق للرئيس روزفيلت، أن صرح فيه قبل بضعة أيام، أن الحرب ستستمر ــ وأذكر هنا ما قاله حرفيا ــ إلى أن تستسلم قوات المحور، بلاقيد ولا شرط، إلى أن يقول : إن الكلمات التي ترددت أثناء العشاء في آنفا، لم تخلف في ذهني، إلا أثرا يكاد يكون مبهما، فقد دار الحديث بالخصوص عن الحالة العسكرية في أوربا وإفريقيا والمحيط الهادي، وكان من الطبيعي أن يجلس أبي على يمين مضيفه، وقد حضر العشاء، رئيس الحكومة البريطانية، ونستون تشرشل، كما حضره الجنرال نوكيس، وباطن، وروبرت مورفي، الممثل العام للرئيس الأمريكي في إفريقيا الشمالية، وهاري هوبكنز، والكولونيل إيليوت روزفيلت، والقبطان د..مالك ري الملحق البحري في البيت الأبيض، والصدر الأعظم، الحاج محمد المقري، ورئيس المراسم السيد محمد المعمري، وأنا ولما كنت في الرابعة عشرة من عمري، لم أتصور كيف فتحت عيني، وأرهفت سمعي، وأنا في محضر هؤلاء الرجال المرموقين، وعندما كنا نترك مائدة العشاء، استأذن البعض في الانصراف، وكان من بينهم الجنرال نوكيس، فأذن لهم، بينما تمسك بنا الرئيس الأمريكي، ورجانا أن نبقى، وهكذا وجدنا أنفسنا مجتمعين : ف.د.روزفيلت، وونستون ترشل، وروبرت مورفي، والدي، وأنا.

وبعد حديث دار عن الحالة العامة، أخذت المحادثة تشكل حوارا، بين الرئيس، ووالدي، وكان السيد المعمري، يترجم للآخر ما يقوله الأول، وفي الواقع أكد الرئيس الأمريكي، أن النظام الاستعماري، قد عفا عليه الزمن، وبالتالي أصبح محكوما عليه بالزوال في رأيه، ولكن، تشرشل، أكد في البداية على ضرورة التدقيق في وجهة النظر هذه، وقال بعدها : انه بعد الغزو الفرنسي للجزائر، قامت بريطانيا، خلال نصف قرن، بوظيفة الحارس لسلامة الامبراطورية الشريفة، محاولا بذلك «أن يغرق السمكة» كما يقول المثل الفرنسي، لكن روزفيلت علق حالا على ذلك قائلا : اننا لم نعد الآن في سنة

1830 ولا في سنة 1912، ونتطلع إلى اليوم الذي سيصل فيه المغرب بيسر، إلى الاستقلال، وفقا لمبادىء الحلف الأطلسي، متمنيا أن يكون هذا اليوم قريبا، يوم أن تضع الحرب أوزارها، وأضاف مؤكدا : بعد الحرب، ستصبح إعادة التنظيم السياسي، الاقتصادي، للمجتمعات الانسانية، ضرورة ملحة، وقال : ان الولايات المتحدة، لن تكتفي يومئذ بوضع أية عراقيل في وجه استقلال المغرب فحسب، بل أنها كما أكد ستخص المغرب المستقل كذلك، بمعونات اقتصادية انتهى بعض ماكتبه الحسن الثاني في كتابه التحدي عن لقاء «آنفا». وأريد أن أؤكد هنا، أن علاقتنا إذ ذاك مع جلالة الملك محمد الخامس، كانت متينة جدا، وبالقوة التي لاتضاهى، وكانت اتصالاتنا معه مثمرة ودائمة ومحكمة، كانت المشاورات معه في كل القضايا السياسية العارضة، تكاد تكون يومية، ولذلك فإننا نحن أعضاء (الطائفة) وهي الجماعة السرية في الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال، كنا نعقد اجتماعات متوالية يومية، وكنا على اطلاع بكل ما جرى بينه وبين الرئيس روزفيلت من مذاكرات، وانه رحمه الله بمجرد ما باغتته دعوة الرئيس روزفيلت للعشاء، خبرنا قبل الذهاب، وبعد العشاء، بكل ماجرى، وأذكر أنه عرض على بعض إخواننا الذين اتصلوا به إذ ذاك، وكان من بينهم إن لم تخنى الذاكرة المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، الهدية التي قرر أن يقدمها لعقيلة الرئيس روزفيلت التي أكّد بعد ذلك أنها ستكون جد مسرورة بهذه الهدية التذكارية، لقد علق الكثيرون على لقاء آنفا وما وقع فيه، وعن الحديث الذي جرى بين روزفيلت، وجلالة محمد الخامس، وأني أذكر بهذه المناسبة أن من جملة ماخبرنا به محمد الخامس، أن الرئيس روزفيلت حذره من استيلاء الأجانب على ثروة المغرب، واستغلال أراضيه، وأن المستقبل سيكون سعيدا، بل مضمون السعادة.

وجاء في كتاب «تاريخ المغرب» «لروم لاندو» مايلي : «أبدى الرئيس أكثر مايمكن من الاهتمام، بماضي المغرب وحاضره، وقدم ملاحظات متعددة، تتعلق بمستقبله، والسلطان الذي سره اهتمام المضيف، كان يقدم المعلومات اللازمة، وكثيرا ماطلب منه النصح، وقد أثر في نفس الرئيس، اهتمام السلطان الدقيق بأميريكا، اهتماما حسنا، يقول «بندار» الذي كان له شرف استضافة الرئيس في مراكش، بعد ذلك ببضعة أيام : (تحدث إلى الرئيس عما دار بينه وبين السلطان، وعن الاهتمام الخاص الذي أبداه الملك بأمريكا، وفي كل شيء أمريكي، وقد اتضح لكل واحد، أن السلطان والرئيس، كانا مسرورين في ذلك الوقت، وقد تضمنت الملاحظات التي أبداها الرئيس، أن المغرب، يجب أن لايسمح للأجانب، أن يمتصوا ثروته، وانه يجب أن يطور إمكاناته الاقتصادية،

في أعقاب العشاء التكريمي الذي أقامه الرئيس روزفيلت لجلالة الملك

أشرت فيما سبق إلى أن جلالة الملك محمد الخامس أجرى حديثا مطولا مع الرئيس روزفيلت، أثناء لقاء آنفا التاريخي، وكان هذا الحديث يتعلق بمستقبل المغرب، بعد انتهاء الحرب، وكان من جملة الحاضرين في هذا العشاء من المغاربة، الصدر الأعظم الحاج محمد المقري، ومن الأميريكيين هاري هوبكنيس (Harry Hopkins) المستشار الخاص للرئيس، وماكريا (Mekeria) الضابط البحري، الذي كان حمل رسالة من الرئيس روزفيلت إلى جلالة الملك، ومن الفرنسيين المقيم العام الجنرال «نوكيس» الذي كان متضايقا كل التضايق، من التنحية التي وقعت له، حيث كان مجرد ضيف ثقيل، لايؤبه لوجوده، ولقد قرأت مؤخرا في مذكرات الأستاذ المرحوم السيد محمد بن الحسن الوزاني ص (46) الجزء (6) إن هو بكنيس المذكور، سجل في مذكرة له، لخصها عنه رفيقه «ويلبور» ونشرت في مصدر أمريكي صحيح، وعثر عليها المرحوم الوزاني، وعربها، وأثبتها للتاريخ في مذكراته، ليطلع عليها الباحثون والمؤرخون، وهي تتعلق بمحادثة خاصة جرت بعد العشاء المشار إليها، بين الحاج محمد المقري ومحمد المعمري من جهة، وبين هوبكينس المستشار الخاص لروزفيلت من جهة أخرى، وكانت سرية للغاية بحيث لم يطلع عليها أي أحد، لولا انها ورد ذكرها في وثائق «هوبكينس» وها ماجاء فيها : (لقد شرح الصدر الأعظم، أن الموضوع الذي ستتناوله المناقشة، لن يطلع عليه إلا الرئيس، بحيث لاتعرف المحاورة أية سلطة أخرى، باستثناء الولايات المتحدة، وقد يكون الأفضل عدم مناقشة أي شيء، إذا لم يتوصل إلى الاتفاق حول الموضوع المشار إليه أعلاه، وأكد السيد هوبكينس للصدر الأعظم، أن مايرغب فيه، سيحترم تماما، وأن الموضوع الذي سيناقش لن يعلمه غير الرئيس. فصرح الصدر الأعظم، بأن أربعة أسئلة، تحتاج إلى أن تعرض على اهتمام الرئيس.

السؤال الأول : لقد سمع جلالة الملك بأن اجتماعا للتباحث يدور الآن، بين الجنرال «جيرو» والجنرال «دوكول»، وأن فرنسا التي تشعر بعدم الأمن، تريد أن تغير هذه الحالة، قبل الاتجاه إلى غيرها، ومنذ 8 نوفمبر (يوم نزول الجيوش الأمريكية في المغرب) ظلت العلائق مع فرنسا مضطربة، وذلك نتيجة وجود عدد من الفرق المنشقة، وليس للملك أي اعتراض على الجنرال «نوكيس» فهذا الأخير، رجل إداري كفء، وعلائقه مع السلطان وحكومة جلالته، والشعب جيدة، ولكن الجنرال نوكيس، اقترح منذ 8

نوفمبر برنامج عمل، وعلى الفور عارضه بعض الدوكوليين، أو أصحاب جماعة فيشي، إن السلطان متخوف بسبب ماذكر آنفا، وقد تلقى بسرور مجيء جيوش الولايات المتحدة اتجاه المغرب ؟ وأية علائق ستوضع مع الولايات المتحدة ؟ ومن أجل أن يقرر سياسته المستقبلية، يود السلطان معرفة السياسة القارة للولايات المتحدة، فيما يخص المغرب ؟

والسؤال الثاني : لم يكن اليهود الشعب المتفوق في المغرب، بل كانوا دائما وبكيفية جد محددة، ثانويين عددا ونفوذا، وكانوا يعاملون معاملة حسنة من المسلمين، ولما حلت لجنة الهدنة الألمانية بالمغرب، ألح أعضاؤها أول الأمر على معاملة اليهود فيه، كما كانت معاملتهم في ألمانيا، فامتنع السلطان بقوة من أن يفعل هذا.

إن الحالة الراهنة، ناشئة عن قرون من التعايش، فالمسلمون محتاجون إلى اليهود، كما أن اليهود محتاجون إلى المسلمين، ولاتوجد مشاكل يهودية في المغرب، ولن تكون في المستقبل، إذا بقي هذا الموضوع كما هو الآن، وقد ظن بعض اليهود، أن مجيء الجيوش الأميريكية، يعني أنه سيضعهم في مراكز قوة ونفوذ بالنسبة للمسلمين، وهذا مايجب أن لايقع.

والسؤال الثالث : إن للمغرب احتياجا كبيرا للتزود ببعض مواد التموين، والألبسة، والأجهزة، إلخ وقد تعرض نفوذ الولايات المتحدة، بكيفية أو بأخرى، في هذه المسألة، كما دلت عليه التصريحات التي أكدت أن هذه المواد الضرورية ستصل، والمؤمل أن احتياجات المغرب الأكثر أهمية، يمكن إرضاؤها قريبا.

السؤال الرابع : إن السلطان متأكد من أن الحرب ستنتهي بانتصار الولايات المتحدة، وستعقب هذا الانتصار، معاهدة سلام، وعندما يحين وقت التداول في شروط السلم، ينوي السلطان أن يرتمي بين يدي السيد روزفيلت، بشرط قبول السيد روزفيلت، وكذلك بلاده.

فإذا قبل السيد روزفيلت عروض السلطان، الرامية إلى استفتاء شعبه، فإن السلطان متأكد من أن شعبه كله، سواء في المنطقة الفرنسية أو الاسبانية، ستكون موافقة وراضية بأن يضع مستقبله بين يدي السيد روزفيلت، وصرح الصدر الأعظم، بأن للسؤال الأخير، أهمية تتطلب أن يحفظ بمطلق السرية والكتمان، وبأن يرغب في أن يعرض على السيد روزفيلت وحده، فأكد السيد «هوبكينس» أن هذا السؤال لن يعرفه غير السيد روزفيلت.

وبما أن السيد هوبكينس» كان مطلعا على وجهات نظر السيد «روزفيلت» فقد أعلن أنه يستطيع أن يعطي فورا جوابا مقنعا عاما.

الجواب العام : إن السيد روزفيلت، يعتقد أن هذه الحرب، معركة حياة أو موت، وفي الوقت الراهن، يجب أن تبذل كل الجهود، لهزم ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، ونعتقد أننا سننجح، وأن انتصارا تاما سيتحقق. وسنواصل الحرب، إلى أن تقبل ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، الاستسلام، بلا قيد، ولا شرط.

ويعي الرئيس، الصعوبات التي تواجهُ الآن المغرب، كما يدرك أن السلطان كان عالما بما حاولته لجنة الهدنة الألمانية، لإكراهه على الامتثال لمطالبها، فقد ظهر السلطان كرجل حازم وقوي، وهذا ما يهنىء به الرئيس نفسه، ويعلم كذلك أن السلطان رجل عظيم. وفي الماضي دخل الجيش البلاد، وبعد إعادة السلم إليها، بقي فيها بدعوى أو بأخرى، أما الجيش الأمريكي، فلن يبقى في المغرب، وقد استغلت البلاد القوية، البلاد الفقيرة، وامتُصت الثروة والخيرات، فأُخذت خارج البلاد، لمنفعة البلاد القوية، ورجا السيد «هوبكينس» أن يؤكد الصدر الأعظم للسلطان، ان الولايات المتحدة، لاتنوي استغلال المغرب، كما يتمنى وضع علائق اقتصادية وثيقة، خصوصا وإن الطائرات، ووسائل النقل البحري الآخذة في التقدم، ستسمح للبلدين بأن يكونا أكثر تقاربا، ويعلم الرئيس أنه لاتوجد أسباب تدعو إلى تغيير الحكومة الحالية في المغرب، لأن هذه الأخيرة، سمحت له بزيارة المغرب، وبملاقاة السلطان، وقد تأثر الرئيس تأثرا عميقا، وستكون زيارته ذات فائدة، حيث أنه أصبح صديقا كبيرا للسلطان وللبلاد.

وصرح السيد «هوبكينس» بأنه لايستطيع أن يعطي جوابا نهائيا على كل الأسئلة، وفيما يخص التموين من أجل المدنيين، فسيرسل، ولكن الأسبقية للحاجيات العسكرية، ويعرف الرئيس أن الشعب المغربي، صاحب الشأن ويجب أن لايكون هذا بكيفية غير عادلة، ويمكن انتظار النتيجة النهائية، بدون شك ولا ريب. وشكر السيد «هوبكينس» الصدر الأعظم على صراحته، معلنا أنه سيبلغ الرئيس، التقرير الكامل والصحيح عن هذه المناقشة.

التوقيع : (رويلبور بريكادي جنرال)

* * *

انتهى ماجاء في مذكرة «هوبكينس» ولخصه «رويلبور وترجمه عن الانكليزية المرحوم الوزاني. والمعلومات الواردة فيه، لم يسبق لي أن اطلعت عليها، رغم أنني مع إخواني في الحزب الوطني، كنا على اتصال وثيق جدا مع الملك المنعم سيد محمد بن يوسف، وحكى لنا بصفة إجمالية على ما يظهر ماراج بينه وبين الرئيس «روزفيلت» أثناء لقائه به في آنفا بالدار البيضاء، والواقع أن الذاكرة قد تخون الإنسان بعد طول المدة، فينسى كثيرا من الأحداث، ويغفل عن كثير من الوقائع، وقد يكون محمد الخامس، قد حكى للإخوة الذين اتصلوا به، وفي طليعتهم المرحومان : محمد الفاسي وج عمر عبد الجليل بعض الوقائع والمحادثات التي جرت مع «هوبكينس»، بواسطة الصدر الأعظم، وقد يكونان حكيا لنا عنها ماسمعاه من محمد الخامس، فنسيته ذاكرتي، وقد يكون اكتفى بالحديث الذي جرى بينه وبين الرئيس «روزفيلت» رأسا، كل ذلك ممكن، والمهم الآن، وأنا أسجل في مذكرتي بعض الأحداث التي عشتها، أو شاركت فيها من قريب أو بعيد أن محمدا الخامس، كان يستعمل كثيرا من الوسائل والطرق، لتحقيق ماكان يطمح إليه لصالح شعبه. وأنه أوتي من المهارة والذكاء، وحسن التدبير، ماجعله، يستعمل أمثال الصدر الأعظم ج محمد المقري، لتبليغ رسائل هامة، إلى المسؤول الأول في الولايات المتحدة، رغم أنه كان موضع ثقة من الفرنسيين، ولا يسير في خطة تتنافى مع مايريده الفرنسيون، ومسألة لابد أن أسجلها بهذه المناسبة، وهي أن محمدا الخامس صمم التصميم المسؤول على أن يستفيد من ظروف الحرب، ومن نزول القوات الأمريكية بالمغرب، لتحقيق مطامح شعبه في تغيير الأوضاع المتردية، التي كان يعيشها المغرب تحت الحماية الفرنسية، ويخشى أن تبقى الحال على ماهي عليه بعد انتصار الحلفاء، الذي كان متحققا منه وأنه كان يأمل في مساعدة الرئيس روزفيلت، لتغيير الأوضاع في المغرب وهو أي الملك عندما يعرض أفكاره أو مطالبه على رئيس الولايات المتحدة، بواسطة الصدر الأعظم، يستعمل في خطابه الأسلوب الحذر جدا، ويوصي بأن لايطلع على أحاديثه أو رسائله إلا الرئيس نفسه، الذي يطمئن لصدق حديثه، ونبل مقاصده على ما يظهر من تعابيره وأحاديثه.

عهد وميثاق تاريخيان

كثرت إشاراتي في هذه المذكرات، إلى أن اتصالاتنا نحن أعضاء الطائفة بمحمد الخامس كانت وثيقة، (والطائفة) هي الجناح السري في (الحزب الوطني)، والذي سمي سنة 1944 (بحزب الاستقلال) ويسرني جدا بهذه المناسبة أن أسجل هنا أن، ارتباطنا وتعلقنا بمحمد الخامس، لم يكن وليد الأربعينيات أو الخمسينيات، ولكنه يرجع إلى الثلاثينيات، فمنذ بويع بالملك يوم 18 نوفمبر سنة 1927 وهو في سن الثامنة عشرة من عمره، وإلقائه خطاب العرش الأول، الذي قال فيه رحمه الله (ان الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري، يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة، بأكثر مايمكن من السرعة) انجذبت قلوبنا إليه نحن الشباب المغربي، انجذابا، لا أقول إنه مجرد محبة أو مجرد تعلق، وإنما هو انجذاب رباني، جعلنا نلهج بذكره، ونعلق على توليه الملك كثيرا من الآمال، وجاءت سنة 1930 التي أصدر فيها الفرنسيون ماسمي بالظهير البربري، الهادف إلى تقسيم الشعب المغربي، وخلق النزاعات فيه، وبذر بذور التفرقة بين عربه وبربره، ووضع المخططات لتنصيره وإبعاده عن شريعة الاسلام، جاءت سنة 1930 لتؤكد أن هذا الملك الشاب، مُتجاوب مع شعبه كل التجاوب، لنبذ كل تفرقة، وللتمسك بالوحدة المغربية القائمة على الحفاظ على التمسك بالاسلام، والحفاظ على اللغة العربية : لغة القرآن والدين، والاعتزاز بالقيم المغربية الأصيلة، التي لا تتنافى مع أصول الاسلام وقواعده المثلى.

لقد كانت الآمال معقودة عليه، ليجعل يده في يد المخلصين من أبناء شعبه، حتى ينهضوا بالوطن، ويعملوا على تحريره من قبضة الغاصبين، وأخيرا فإن هذه العلاقة بين الملك والطائفة المخلصة من شعبه تؤكد أن العرش المغربي فريد من نوعه، إذ يعتقد الجالس عليه أن العرش بالشعب، مثل ما يعتقد الوطنيون، أن الشعب بالعرش.

وجاءت سنة 1943 لتبرز حقيقة أساسية، كان لابد لها أن تتحقق عندما يحين الأوان، ويدعو الواجب لخوض المعركة الحاسمة لخدمة البلاد، وتحريرها من ربقة الاستعمار، وإخراج التجاوب الروحي والعاطفي بين الملك والأحرار من بني شعبه، إخراجه من حيز العاطفة إلى حيز التطبيق العملي.

التحضيرات الأولى لوثيقة
الاستقلال التاريخية

لقد كانت الظروف، ظروف الحرب كما هو معلوم، وصارت الكفة ترجح لصالح الحلفاء، وكان الاتصال مع محمد الخامس أخذ أبعادا جديدة، بحيث أصبحنا نقترح عليه بعض الاقتراحات في صالح المغرب، فنجد أنه متفق معنا، وكأننا كنا معه على موعد، وتأكد هذا عندما كلفنا أخانا المرحوم السيد محمد الفاسي أن يتصل به، ليبلغه أننا نرى أنه لاينبغي أن يساير ما يطلبه منه المقيم العام «نوكيس» من نقل عاصمة ملكه من الرباط إلى فاس، لدى نزول القوات الأمريكية بالشواطىء المغربية، لأن ذلك سيؤول من طرف الأمريكيين تأويلا لا يمت إلى الحقيقة بشيء، فأكد لنا بواسطة الأخ الأستاذ محمد الفاسي أنه سوف لايلبي رغبة «نوكيس» ولا ينتقل إلى فاس، وأنه مع شعبه في السراء والضراء، ولم يكتف بهذا، بل استفسر الفاسي عن علاقته بقادة الحركة الوطنية، فلما أجابه بأنه واحد منهم، صمم على ربط العلاقات الوثيقة معهم، وسأل بعد ذلك عن أعضاء (الطائفة) أي الجماعة السرية في الحزب الوطني، واحداً واحداً، وفي هذه الأثناء كان أخونا المرحوم الحاج أحمد بلافريج، رجع من منفاه الاختياري، فوالينا الاجتماعات معه ــ نحن أعضاء اللجنة التنفيذية ــ وبدأ التفكير الجاد، للقيام بعمل لصالح بلادنا، خصوصا وقد كنا نتتبع التطورات العالمية، والتحركات السياسية، التي صارت تقع في بعض الأقطار، ومنها بعض الأقطار العربية، وعملها على تحرير بلدانها من قبضة الاستعمار، وقلنا مع بعضنا لابد من القيام بعمل لصالح بلادنا، لتحريرها من الاستعمار البغيض، لابد من أن نقفز من المطالبة بالإصلاحات التي تقدمنا بها في دجنبر 1934 إلى المطالبة بالاستقلال، ولكن هذه القفزة لايمكن أن تقع منا وحدنا، بل لابد من استشارة رمز البلاد، الساهر على كيانها، والحارس الأمين لشخصيتها وذاتيتها، وهو جلالة الملك المفدى محمد الخامس، فتوالت الاتصالات معه رحمه الله لمدارسة موضوع المطلب، الذي يعتبر مطلبا ضروريا، وواجبا عينياً، علينا الجهر به، مهما كانت الظروف، لقد كان الاتصال أولا يقع بواسطة الأستاذ الفاسي، ثم طلب جلالة الملك أن يحضر مع الفاسي بعض الأعضاء الموثوق بهم، لتكون المذاكرة مثمرة وجادة، وهكذا عهدت اللجنة التنفيذية لحزبنا للإخوة المرحومين : الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدي ومحمد غازي، زيادة على الفاسي أن يقوموا بهذه المهمة الشريفة، وفي الوقت المقرر، اجتمع هؤلاء الأربعة بمنزل الفاسي برهة من الزمان، في انتظار أن

يصلهم مبعوث جلالة الملك السري الذي سيأخذهم إلى المكان الذي سيجتمع معهم فيه، وكان هذا المبعوث هو المرحوم السيد أحمد بن سعود بفتح السين (لا ابن مسعود) وكان ابن سعود هذا موضع ثقة من جلالة الملك وكان من الأعوان المشتغلين في القصر الملكي، ولما حان الوقت المقرر، حضر ابْن سعود في سيارته إلى منزل الفاسي، حيث أخذ الأربعة المذكورين إلى منزله «بتواركة».

وماهي إلا لحظات حتى التحق بهم جلالة محمد الخامس بوجهه الوضاء، وابتسامته المشرقة، وما أن ظهر أمامهم، حتى قاموا للسلام عليه وتحيته وتقديم الولاء له، وابتدأت المذاكرة معه في شأن القضايا العامة، التي تعود بالخير العام على المغرب وبنيه، وتوالت اللقاءات حسب الظروف، وكان أحيانا يكتفي بالفاسي، ليبلغ ما تقترحه الجماعة، وأحيانا يكون الثلاثة أو بعضهم، حسب ما تسمح به الظروف، ولما ترجح لدى جماعتنا مطلب الاستقلال، بعد أن طالت المناقشة، هل يكون بالتصريح أو التلويح، وكانت الأغلبية على ضرورة التصريح بمطلب الاستقلال، تقرر استشارة جلالة الملك في الموضوع، فكان رأيه التَّصريح، ضرورة التصريح بالاستقلال التام، وهكذا صارت تحرر الوثيقة التاريخية التي تقدمنا بها في حادي عشر يناير 1944.

لم تحرر الوثيقة في الصورة التي عرفها الجميع، إلا بعد مراجعات، وتغييرات، ومناقشات، وكان المشروع الأول الذي كتب ودرس، هو المشروع الذي حرره المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل بمشاركة محمد اليزيدي حسبما أذكر ثم بعد مناقشته وأخذ آراء بعض الإخوة الوطنيين ومنهم بعض الحقوقيين من أعضاء قدماء التلاميذ من كوليج مولاي إدريس مثل محمد الزغاري وأحمد باحنيني وأحمد الحمياني وإدريس المحمدي، وفي طليعة الجميع جلالة محمد الخامس، الذي كان يبدي كثيرا من الآراء والأفكار، التي تبرهن عن نضجه السياسي، وتفكيره العميق، بعد هذه المناقشات حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال بالشكل الذي قدمت به، وليس صحيحا مطلقا ماظهر للمرحوم محمد بن الحسن الوزاني من أن الوثيقة أو العريضة المطالبة بالاستغلال، كتب مشروعها الأول بعض قدماء تلامذة ثانوية مولاي إدريس بفاس، ولكن المشروع الأول كتبه المرحوم عمر بن عبد الجليل، ولكن الصيغة النهائية، كانت كما ذكرت من قبل، بعد الإنصات والتغييرات والاقتراحات المقدمة من كافة الاخوة الذين عهد إليهم بهذه المهمة من قدماء تلامذة مولاي إدريس، أما اعتراض الوزاني على المشروع وعلى الصيغة النهائية، واتهام المحررين بأنهم لم يجيدوا التفكير والتوثيق، عندما حرروا الوثيقة، وأن مطلب الاستقلال لا يحتاج إلى تلك الحيثيات، ولا إلى غيرها إلى آخر ماذكر في تحليله للوثيقة،

فذاك رأيه، ولاأريد أن أناقشه، فلكل واحد اجتهاده، ولكل جماعة اجتهادها، والذي يهدف إليه المجتهد هو الأساس، وذاك ماعبر عنه الوزاني عندما كتب في بداية تحليله وتعقيبه قائلا : (إنها بداية انطلاقة وطنية جديدة، قامت على فكرة المطالبة بالاستقلال، فأخرجتها إلى حيز الوجود، فكانت بهذا خطوة جريئة، وعملا شجاعا، ومرحلة حاسمة في مجال الكفاح الوطني، والتطور السياسي في المغرب[1]).

لقد أصبحنا مومنين كل الإيمان، بأن تحركاتنا الوطنية الاستقلالية، أخذت طريقها الصحيح، بسيرها وتكاثفها، وتقوية عرى التحامها بالجالس على العرش المغربي، محمد الخامس رحمه الله، فزدنا تعرفا عليه، وزاد تعرفا على جماعتنا، وصار يستشير معنا في الشاذة والفاذة من القضايا والمشاكل السياسية، كل هذا ونحن جادون في التهييء لاعلان وثيقة المطالبة بالاستقلال، ودراسة الموضوع معه دراسة سرية متقنة، سواء في طريقة التقديم، واختيار الوفود، واليوم الصالح لاستقباله للوفد الذي سيقدم الوثيقة له، وفي هذه الأثناء، اتصل رحمه الله بالمرحوم الأستاذ محمد الفاسي وطلب منه عقد اجتماع خاص مع ممثلي «الطائفة» لتتوج هذه الاتصالات والعمل المشترك، بالتضامن المطلق، والعهد الذي لاينقطع ولا ينفصم، بين الملك وشعبه، لخدمة المغرب، والعمل على استقلاله، واسترجاع حريته، وهنا أدع الكلام لأخي المرحوم الأستاذ محمد الفاسي الذي كان الرسول الأمين بيننا وبين محمد الخامس قال الفاسي : (وقبل تقديم العريضة، أمرني تغمده الله برحمته، أن أحضر الإخوان الذين يلتقون به سرا، في ليلة حددها، وذلك كحدث تاريخي عظيم، ألا وهو أن يأخذ منا قسَماً، ويُقسم لنا هو بدوره، فحضرت مشروع قسمَ وافق عليه، وبعد ذلك، أطلعت الاخوان على هذا الأمر المولوي النابع من روحه الوطنية المؤمنة، ثم أخبرته في لقاء تال، أنه سيحضر معنا المجاهد السيد أحمد مكوار حفظه الله، زيادة على الاخوان محمد غازي والحاج عمر بن عبد الجليل رحمهما الله ومحمد اليزيدي حفظه الله، فجاؤوا إلى منزلي على العادة، وحضر السيد أحمد بن سعود، وأخذنا إلى القصر العامر، وأوصلنا داخل القصر، في محل بني فيه خندق تحت الأرض، للوقاية من الغارات الجوية المتوقعة من قبل النازيين، وأنزلنا إليه، فوجدنا به جلالة الملك، الزعيم القوي الايمان بربه، وقدم لنا نسخة من المصحف الكريم، فأقسمنا بأن نخلص لله وللوطن وللملك، وأن نحافظ على السر، وأن لانقدم على عمل، إلا بعد مشاورته وموافقته، وأقسم أجزل الله جزاءه عن هذه الروح الشريفة، التي لم يتحل

---

(1) مذكرات محمد بن الحسن الوزاني. جزء (6) ص : 173.

بها ملك قبله أو بعده، وفي ختام الجلسة، قدم للأخ الغيور السيد أحمد مكوار غلافا، وجدنا فيه بعد ذلك خمسين ومائتي ألف فرنك[2]، مما يساوي الآن، قدراً مهما، جزاه الله خيرا عن هذا الوطن المغربي، الذي يدين له بالتحرر، وبكل خير)[3].

وهكذا يمكنني أن أقول وبكل اعتزاز، أننا ضمنا مستقبل المغرب وتحريره من ربقة الاستعمار، فالتحام حركتنا الوطنية مع محمد الخامس، وتوثيق العهود بين العرش، وأحرار الوطنيين، قفلا الطريق أمام كل التآمرات الاستعمارية، والمكايد الخيانية، وانفتحت أمامنا آفاق جديدة، وآمال واسعة، استصغرنا معها كل الصعاب، وأقدمنا على خطواتنا الجديدة بالقفز بحركتنا من حركة المطالبة بالإصلاحات، إلى المطالبة بالاستقلال التام الذي تحقق بمعونة من الله، وتأييد منه، في مدة وجيزة، بعد تقديمنا لوثيقة الاستقلال في حادي عشر يناير 1944، كما سأتحدث عنه — إن شاء الله — في هذه المذكرات.

اطلاع ولي العهد على سر الاتصالات

بقيت علاقاتنا، واتصالاتنا، مستمرة مع محمد الخامس، طوال فترة الأربعينات والخمسينات، وبقي التجاوب الروحي والعملي بيننا وبينه رحمه الله، إلى أن لقي ربه، وسعدنا كل السعادة، عندما أصبح سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن، يعلم الكثير عن هذه العلاقات، والاتصالات مع والده، بل تخطى ذلك حتى صار يأخذ هو حفظه الله، الاخوان الذين سيتصلون بوالده في سيارته الخاصة إلى القصر الملكي، وأحيانا إلى قصره العامر، وقد تحدث عن ذلك في كتابه (التحدي) فقال (من ذلك الوقت كان والدي يقابلهم في طي الخفاء، وكنت أنا في الغالب الذي أدخلهم عليه، كان مسكني خارج أسوار الرباط، وكانت المراقبة أخف عليه، بالنسبة لسواه، كان الوطنيون يأتون عندي خفية في المساء وكنت آخذهم في سيارتي متسترين بداخلها، حتى لايراهم أحد، وأدخل بهم مسرعا إلى الجزء الداخلي في القصر، فيبقون إلى «ساعة متأخرة من الليل، يتحدثون مع الملك، أحيانا كنت أخرج بهم في الساعة الثالثة ليلا، وحين يشتد البرد، كان محرك السيارة يتوقف، فنضطر إلى دفعها، كان الوزراء المفروضون على الملك في

---

(2) كان المرحوم الحاج أحمد مكوار أمين صندوق الحزب في تلك الفترة.

(3) أنظر ماكتبه محمد الفاسي في كتاب **(وقائع الندوة الدولية التي نظمتها جمعية رباط الفتح حول محمد الخامس : الملك الرائد)** ص : 148 — 149.

ذلك الحين، واقعين تحت تأثير الإقامة، فلم يكن لنا ثقة بهم، وبالظهائر التي كانوا يحضرونها، فكان علينا أن نضع نصوصها على محك النقد السري).

تعددت الاتصالات وتكاثرت بعد خروجنا من السجن أواخر سنة 1945، وتعدد المتصلون بجلالته، حسب الظروف والأزمان، فلم يبق الأربعة المذكورون سابقا هم وحدهم الزائرون لجلالته، بل أنضاف إليهم الآخرون أمثال الأمين العام بلافريج وعبد ربه والزعيم علال الفاسي ثم بعد ذلك المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وغيرهم. وفي بعض المناسبات الخاصة دعاني والأخ محمد اليزيدي للقاءات خاصة قصد المذاكرة في بعض القضايا الهامة التي كان يريد أن تكون أكثر سرية.

سنة 1943 : سنة تحوّل في مسار الحركة الوطنية

كانت سنة 1943 سنة تحول في التفكير، والعمل، وبذل الجهود، فبعد نزول القوات الأمريكية بالمغرب، وبعد توثيق العهود بين حزبنا وجلالة محمد الخامس رحمه الله، أصبحت معطيات جديدة تلح علينا، أن نقوم بعمل حاسم، ونخطو الخطوات التي يفرضها الواجب الوطني، خصوصا وقد رأينا أن الفرنسيين المستعمرين لبلادنا، سواء منهم الموجودون بالمغرب، أو الموجودون خارج المغرب، صاروا يخططون لبقائهم مستحوذين ومسيطرين على بلادنا، فبعضهم انفصل عن حكومة فيشي، ليرتمي في أحضان ماسمي بفرنسا الحرة، وبعضهم تعلق التعلق الكبير بالسلطات الأمريكية، وكان الممثل لفرنسا الحرة، هو الجنرال دوكول، الذي انطلقت حركة مقاومته من انكلترا والممثل للحركة الثانية هو الجنرال «جيرو» الذي ارتمى في أحضان الأمريكيين، وكان الفرنسيون بالمغرب، يتجاذبون بين هؤلاء وهؤلاء، زيادة على النزعة الفاشية التي كان يمثلها نوكيس والتي انقضى نفوذها ووجودها بنزول القوات الأمريكية، وكان هؤلاء جميعاً لايقبلون أية مناقشة فيما يتعلق بتغيير الأوضاع بالمغرب، بل انهم جميعاً يعتبرون الشمال الافريقي، ومنه بلادنا بالطبع، امتداداً أساسياً للوجود الفرنسي والسيطرة الفرنسية. أما الأفكار والمبادىء التي جاءت في الميثاق الأطلسي، والتي أكّدت على إقامة عالم جديد، يُبنى على ضرورة الاعتراف بحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، فلم تكن تلقى منهم أي اعتبار، كما لم يلق منهم أي اعتبار ما بذله المغرب من معونات ومساعدات، في الدفاع عنهم، سواء بالرجال أو بالمواد. فواجب المغرب في نظرهم وغطرستهم أن يقوم بذلك، لأنه بلَد تابع لهم وفي ملكيتهم، وفرنسا لايمكن ولا يُقبل ــ في نظرهم ــ أن لاتبقى رايتها مرفرفة على هذا الجناح الافريقي الاستراتيجي الهام.

كان هذا هو تفكير الفرنسيين على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم، وكنا نحن الوطنيين نتابع تفكيرهم، مثل ما نتابع الأحداث العالمية، ونتخوف كل التخوف من الأخطار التي تتعرض لها بلادنا، إن لم نبادر إلى رفع الصوت، والإعلان عن موقفنا الوطني، مهما كانت العقبات والعراقيل والضغوط، وزاد في عزيمتنا، وقوّى من إيماننا، ماكنا

نلاحظه من تحركات تحررية، وانتفاضات شعبية، في بعض الأقطار العربية، مثل ماوقع في سوريا ولبنان اللتين كانتا بدورهما تابعتين للنفوذ الفرنسي، فتحررتا منه، بعد الانذار الذي وجهه تشرشل إلى الفرنسيين الموجودين في سوريا ولبنان تحت رئاسة الجنرال كاترو والذي طلب تشرشل منه أن تنسحب القوات الفرنسية عن القطرين الشقيقين، وتكف عن هجوماتها على الشعبين، والذي تجلى في الهجوم الفرنسي على البرلمان السوري، وإلقاء القبض على كثير من الأحرار السوريين ومحاكمتهم وإعدام بعضهم، وكذلك ماوقع في لبنان.

وكان جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس بدوره يسير في نفس التفكير، ويتجه نفس الاتجاه، وتجلى هذا في اتصالاته مع الرئيس روزفيلت أثناء اجتماعه معه في «آنفا» بالدار البيضاء، وفي تعامله مع المقيم العام الفرنسي «نوكيس» عندما لم يوافقه ولم يسر معه في مقاومته للقوات الأميريكية، وعندما لم يلب طلبه في الانتقال بعاصمة ملكه إلى فاس.

لقد اختمرت فكرة المطالبة بالاستقلال في أذهاننا، وصارت تشق طريقها بين مختلف طبقات الشعب المغربي، فكان علينا لكي نضمن تظافر الجهود، والوقوف صفاً واحداً أمام الأعداء، أن نستقطب كل القوى الموجودة في المغرب، سواء من الأفراد أو الجماعات، لنسير يداً في يد لتحقيق مطامحنا، وكان محمد الخامس بدوره حريصاً كل الحرص على أن نجمع كل القوى الوطنية، لنقفل الطريق أمام المستعمرين، ولا نبقي أمامهم من يستطيعون أن يستعملوهم كواجهة، يدّعون معها أن بعض المثقفين أو السياسيين يسايرونهم في سياستهم، خصوصاً وأن سياسة الجنرال نوكيس، كانت تسير في النهج الذي خطه الماريشال ليُوطي فيما يتعلق بتقريب بعض المثقفين إليه، ليتقدموا إليه ببعض المطالب، التي لاتتعدى النطاق التعليمي، وبهذه السياسة كانت الاقامة العامة تسمح بتأسيس بعض الجمعيات الثقافية، المراقبة من طرف رجال السلطة الفرنسية، كجمعية قدماء تلاميذ كوليج مولاي إدريس بفاس، وجمعية قدماء تلاميذ مدرسة مولاي يوسف بالرباط، والجمعية التي كانت تدعى بالنادي الأدبي الاسلامي بسلا، والتي لم تكن يلتحق بها في الغالب إلا التلاميذ المتخرجون من مدرسة أبناء الأعيان، كما تحدثنا عن ذلك في الجزء الأول من ذكرياتنا الوطنية، لقد كان نوغيس يحتضن هذه الجمعيات من قريب أو بعيد، خصوصا جمعية قدماء تلاميذة كوليج مولاي إدريس، وكان يترأسها في هذه الفترة التي نتحدث عنها الآن، المرحوم الأستاذ مَحمد الزغاري، كنا على علم بالأحداث التي وقعت إذ ذاك في تونس، والمواقف التي وقفها بَايْ تونس

محمد المنصف رحمه الله بعدما نزلت قوات الاحتلال النازي في الأراضي التونسية، بتشكيله حكومة تونسية برئاسة محمد شنيق، دون إذن من المقيم العام الفرنسي، وإطلاق سراح الزعيم بورقيبة وبعض زملائه، والضغوط التي فرضت عليه، ليسير فيما تريده سياسة المحور، والعمليات التي قام بها الحلفاء، لتحرير تونس من قبضة النازيين، واغتنام الجنرال «جيرو» فرصة تعاونه مع الأمريكيين، للانتقام من باي تونس محمد المنصف، الذي تصرف — في نظره — تصرفا غير مقبول، بتكوينه حكومة وطنية دون الرجوع إلى السلطات الفرنسية، ثم نفيه إلى فرنسا، جزاء ماقام به من جرم في نظر (جيرو) و(كوان)، كل هذا كان أمام أعيننا ونحن نتهيأ لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، وأود أن أؤكد هنا أننا كنا نشتغل في كتمان تام، وسرية مطلقة، وتحفظ كبير، حتى لا نفشل فيما نحن مقدمون عليه، لأن أي تصرف غير مدروس، واتصال غير مضمون النتائج، سيعرض مجهودنا وتحركاتنا للفشل، ولذلك قررنا أولا أن وثيقة الاستقلال التي ستقدم، لايوقع عليها إلا المضمونون الثقات، المحافظون على الأسرار، الذين جربناهم التجربة الكافية، وهم أعضاء جماعتنا السرية : (الطائفة)، حتى يبقى سر الوثيقة مضمونا مائة في المائة، ونظرا لأن قرارنا كان يفسح المجال أمام بعض الوطنيين غير المنتمين لحزبنا (الحزب الوطني)، كحزب الحركة القومية، وبعض الشخصيات الحرة، فإننا أخذنا كامل الاحتياط لدى الاتصال بهم، وإخبارهم بما نحن عازمون عليه، من اتخاذ موقف وطني، يعيد لبلادنا كرامتها، ويضع القضية المغربية ضمن القضايا الدولية، التي يجب أن تحل طبق ما أتى في الميثاق الأطلسي، وماتعهد به الحلفاء من إعطاء كل الشعوب حق تقرير مصيرها، بعد انتهاء الحرب.

اقتراح انضمام الحركة القومية لتوقيع وثيقة الاستقلال

وفي ضوء هذا كله، ونظرا لأن زعيم الحركة القومية، كانت تحت الاقامة الاجبارية، بقرية «ايتزر» قرب مدينة «فاس» فلقد قررنا من جهة، البحث عن وسيلة سرية، نخبره عن طريقها بما نحن عازمون عليه، ونطالبه بأن يشاركنا هو وحزبه، فيما سنقدم عليه، وهكذا وقع الاتفاق مع الأخ محمد الأغزاوي، الذي كان بدوره من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقع الاتفاق معه على أن يوظف المرحوم الحسن بن شقرون — وكان من الشباب الاستقلالي الحي المتوثب الكتوم للأسرار — ضمن العاملين معه

في حافلاته التي تنقل المسافرين إلى «إيتزر»، ليستطيع أن يتصل بالزعيم ابن الحسن الوزاني في منفاه، ويبلغه بطريقة أو أخرى مانحن عازمون عليه، وما نقترحه عليه من المشاركة العملية معنا في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان هذا القرار قبل تقديم الوثيقة، بل قبل تحريرها، وأود أن أثبت هنا، أن اقتراح الاتصال بابن الحسن الوزاني في منفاه، كان من الأمين العام للحزب الوطني، إذ ذاك المرحوم الحاج أحمد بلافريج، ففي اجتماع مصغر عقدناه بمنزل المرحوم الفقيه محمد غازي، ونحن لازلنا في مرحلة التمهيد لكتابة وثيقة الاستقلال، نطق بلافريج قائلا : لايحسن بنا ونحن على أهبة القيام بعمل وطني عظيم، وخطير في نفس الوقت، أن لانشعر أخانا الوزاني بما نحن عازمون عليه، وطلب مشاركته مع إخوانه معنا في هذه المرحلة التاريخية من حياة بلادنا، وهكذا اتخذ القرار وشرع في التنفيذ، بتوظيف الحسن بن شقرون في خطوط الأغزاوي، واتصاله بابن الحسن الوزاني في منفاه، وتبليغه القرار الذي اتخذناه، ولا أدعي بهذه المناسبة أنني تابعت جميع المراحل التي سارت فيها الاتصالات مع ابن الحسن وصحبه، والتي كثر فيها القيل والقال، من طرف بعض المؤرخين، وأصحاب المذكرات بمن فيهم المرحوم الوزاني نفسه، ولكني أؤكد مع كل ذلك أن قرار الاتصال بالمرحوم الوزاني وصحبه كان قبل تحرير الوثيقة، وكان الدافع إليه هو مشاركته وإخوانه في المراحل الأولى التي كنا نحضر فيها الوثيقة، كما وقع مع قدماء تلامذة مدرسة مولاي إدريس بفاس وشخصيات مستقلة أخرى كالرفاعي والجزولي من مدينة الرباط، الذين أشير إليهم في الوثيقة بالشخصيات الحرة التي تكون منها حزب الاستقلال، مضافة إلى الحزب الوطني الذي كان العامل الأساسي، والمحضِّر، والمنفذ لحركة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944.

لقد كان اقتراح انضمام الحركة القومية وزعيمها المرحوم الوزاني، اقتراحاً يرمي إلى وحدة الصف، والوقوف أمام الفرنسيين ككتلة موحدة في مطلبنا الشريف، وهدفنا الأسمى، وكنا حريصين على هذا الانضمام قبل تحرير الوثيقة، ولذلك قررنا الاحتيال على الادارة الاستعمارية، حتى نبلغه الخبر في سرية تامة، وعملنا على توظيف شخصية من شبابنا المرموق، خريج أكبر مدرسة فلاحية بفرنسا، هو المرحوم الحسن بن شقرون كما ذكرت لتبليغه ما عزمنا عليه، فلم يكن قصد الحزب الوطني مطلق إخباره بما وقع أو سيقع، ولكن مقصده المشاركة العملية في تقديم المطلب الشريف الأسمى، وإذا كان الحزب فكر في بعض الشخصيات الحرة، لتخلد اسمها في أشرف وثيقة تقدم بها المغرب لجلالة الملك، وللسلطات الفرنسية، وممثلي الدول الأجنبية، فإنه فكر قبل ذلك، ورأى من واجبه، أن يفكر في إخوانه رجال الحركة القومية، وبالأخص زعيمها ورئيسها،

لتشارك بدورها، وعلى أساس الاتفاق والتعاون والترابط الوثيق، وليسجل اسمها في صدر الوثيقة، مثل ما سجل إسم الحزب الوطني والشخصيات الحرة، فالقضية ليست قضية إدماج في الحزب الوطني، ومحو الحركة القومية كما تصوره البعض، ولكنها قضية مطلب شريف، يتقدم به حزب جديد، سيشارك في تأسيسه كل من الحزب الوطني، والحركة القومية والشخصيات الحرة، ولربما كانت الحركة الوطنية، ستخطو خطوة جديدة في الوحدة العملية، لو قدر الله أن تشارك الحركة القومية في تقديم الوثيقة الأولى المؤرخة بحادي عشر يناير 1944، ولكن الأقدار لم تشأ ذلك، فلم تساهم الحركة القومية أولا، وإنما تأخر تأييدها وتضامنها مع حزب الاستقلال إلى الثالث عشر من يناير، بتقديم وثيقة تأييدية لمطلب الاستقلال، الذي هو الغرض المطلوب، والتي ألقمت الأعداء المتربصين بالاستقلال حجرا، ذكرت هذا بصراحة، لأجيب المرحوم الوزاني، ولو أنه في قبره، بأن ماكتبه في مذكراته عن طلب مشاركة الحركة القومية، لم يكن يهدف إلا إلى التعاون على الخير ومصلحة الشعب، دون أي شيء آخر، ولم يكن إلاَّ لأن الوزاني كنا ننظر إليه نظرة التقدير والوفاء.

لقد تحدث المرحوم الوزاني في مذكراته عن موقف القوميين من المشاركة في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ننقلها عنها تاركين التعليق على جميع ماورد فيها للقراء المتفهمين قال الوزاني ص 94 جزء 6 : أُريد من الحركة القومية، أن تندفع إلى عمل كان لاشك وطنيا في حد ذاته، ولكن من غير أن تطلع مسبقا على البواعث أو الجهات التي دعت إليه، وبعبارة، طلب منها أن تنغمر وتتحمل المسؤوليات على غير بصيرة وهدى، ودون أن تكون في مستوى أصحاب الاقتراح، من حيث العلم والاطلاع، فتنقاد انقيادا أعمى، متحمسة لما عرض عليها، من أشخاص جُدُد في الميدان الوطني، وحديثي عهد بالكفاح السياسي (ولعله يعني بهم : الزغاري وباحنيني) ومع تقدير رجال الحركة القومية للشخصيات المتحاورة معهم من (القدماء)، وتحمسهم لفكرة المطالبة بالاستقلال، الذي كان من أسس (الايديولوجية) القومية، منذ نشأة حركتها في سنة 1937، لم يكن الإقدام آنذاك على العمل — في نظر القوميين — مسألة هينة، لاتحتاج إلى أكثر من حماس واندفاع، مهما كانت الظروف والعواقب، بل هو عمل جريء، يحتاج إلى أنظمة ووسائل، فضلا عن ظروف ملائمة، وفرص مواتية، ومؤازرات مجدية، حتى يتم الأمر بإحكام واتقان. ومما زاد القوميين تساؤلا، أن الدعوة جاءتهم من مسيري جمعية عاشت دائماً على هامش النشاط السياسي، والكفاح الوطني، فإذا بها تتبنى فجأة فكرة المطالبة بالاستقلال كما أن رفض اطلاعهم على ما دفع وقتئذ إلى

هذه المرحلة القصوى من المطالب الوطنية، جعلهم يتريثون ليستطلعوا الأحوال، ويتقصوا الحقائق، بوسائلهم الخاصة، حتى إذا انطلقوا للعمل، كانوا على بينة وبصيرة من أمرهم، وتحملوا مسؤوليته عن وعي وإدراك، ومهما كانت العواقب) وبعد كلام طويل مستفيض عن القدماء وتحميلهم مسؤولية عدم مشاركة القوميين أولا واتهامهم بأنهم (إما كانوا مجرد مأمورين ومسخرين من لدن جهة ما... وإما لأنهم لم يكونوا يتوفرون على أخبار موثوق بها، وبعدما ذكر أن الحركة القومية، كانت مضطرة إلى أخذ مهلة للقيام باستطلاعاتها الخاصة، وللاتصال بفروعها أخذاً برأيها، ذكر أن الحركة فوجئت يجعلها أمام الأمر الواقع عندما أعلن عن حزب الاستقلال، وتقديم وثيقة الاستقلال، إلى أن يقول : (ولعل التفسير الصحيح لتلك العجلة، هو أن الأمر لم يكن بيد القدماء، وان الحزبية الجامحة تغلبت آخر الأمر عليهم، حتى تفوّت (كذا) على الحركة القومية المشاركة في العمل الذي كان وطنيا لاطائفيا) انتهى كلام المرحوم الوزاني في تعليقه المستفيض على مضمن مطالبة الحركة القومية بالمشاركة في تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال الجماعية، وقد أوردت ما كتبه المرحوم الوزاني في الموضوع، لا لأدخل في نقاش أو جدال قد لا يكون مجديا ولا مفيداً، وإنما لأؤكد على حقيقة أساسية واقعية عشتها بنفسي، وشاركت فيها لدى اتخاذ القرار فيها، ذلك أن اقتراح انضمام الحركة القومية لمطلبنا (الاستقلال) لدى تحضيرنا للوثيقة، وضرورة إعلام وإخبار المرحوم الوزاني ليشارك مع صحبه معنا، كان باقتراح — كما ذكرت من قبل — من الحزب الوطني ومن أمينه العام إذ ذاك المرحوم بلافريج، والجهود التي بذلها الحزب الوطني ليصل الخبر، ويبلغ إلى الوزاني وهو في منفاه «باتزر» واتصال مبعوث الحزب به في منفاه، واتصال مبعوثي الحزب إلى رجال الحركة القومية بفاس لطلب مشاركتهم، كل هذا يدل — إن كان الأمر يحتاج إلى دليل — على أن (الحزبية الجامحة) (حسب تعبيره) كانت حريصة كل الحرص على بذل كل الجهود، لمشاركة الحركة القومية، وزعيمها، في الخطوة التي خطتها الحركة الوطنية، عندما رفضت الحماية، وطالبت بالاستقلال، باعتبار أننا كنا ولازلنا والحمد لله نعتبر العمل الوطني الشريف، لا ينبغي أن تحتكره أية جماعة مهما قوى إخلاصها، وتضاعف نشاطها، خصوصا وقد برهنت الأحداث والتقلبات، أن الخير كل الخير في الوحدة، والتعاون، والتضامن، والتآزر.

ومما يقوي ما قلته وشرحته، من أن التحزب غير الشريف، لاينبغي ولا يقبل، أن يتصف به الوطني الشريف، كيفما كان انتاؤه الحزبي، ما أكدته الرسالة القصيرة الكلام، المتأججة بروح الاخلاص والوفاء، والتي كتبها بخط يده أحد زعماء الحزب الوطني،

المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، ووقعها معه المرحوم الحاج أحمد بلافريج، والتي بعثها للوزاني بواسطة نفس المبعوث الذي خصصه الحزب، للاتصال بالمرحوم الوزاني في منفاه ولقد نشر الوزاني هذه الرسالة في مذكراته، وهي تقول :

أخي العزيز لاعدمتك، تحية وشوقا، وبعد، فإننا وفاء بالعهد القديم، الذي سنحتفظ به إلى لقاء الله، نوجه لك نسخة من عريضة الاستقلال، التي قدمناها لصاحب الجلالة، وقدمنا نسخة منها للمقيم، ولمعتمدي الدول الأجنبية، ولا تسأل عن أسفنا، لعدم حضورك معنا، في هذه المرحلة الحاسمة من الجهاد الوطني، ولكن روحك وروح علال، كانتا معنا، ولاتسأل عن ألمنا لعدم رضاء صديقيك السيد عبد الهادي الشرايبي، والسيد علي العراقي، بالتوقيع معنا، ومشاركتنا في التقديم، وقد قام بدور المفاوضة معهما، صديقا الجميع، سيدي محمد الزغاري وسيدي أحمد أباحنيني، عسى الله أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والرشاد وحرية الوطن، والله يحفظك لأخيك : عمر بن عبد الجليل ولأخيك أحمد بلا فريج) فهل يشتم من هذه الرسالة، أدنى قدر، مهما كان تافها من التعصب الحزبي ؟ وهلا تظهر الرسالة إخلاص ووفاء للعهد الذي قطعه الوطنيون المخلصون على أنفسهم ؟ وهلا تعبر عن الألم الذي بقي يحز في نفس كاتب الرسالة وإخوانه، لعدم مشاركة ممثلي الحرة القومية في التوقيع على العريضة وفي تقديمهما ؟

شخصية من الحركة القومية توقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال

إنه إذا لم تسمح الأقدار بتوقيع مسؤولي الحركة القومية في عريضة حادي عشر يناير 1944، التي قفزت بمطالب الحركة الوطنية، من مطالب الاصلاحات، إلى المطالبة بالاستقلال برغم ما بذل الحزب الوطني من مجهود، لتحقيق ذلك، فإن شخصا واحدا من الحركة القومية، أبى إلا أن يوقع مع الموقعين، هو المرحوم السيد محمد بن العربي العلمي، وهو وإن كان وقع باسمه كشخص حر، إلا أن انتماءه للحركة القومية كان معروفا لدينا ولدى الجميع، وبهذا يتأكد مرة أخرى، أن الحزب الوطني لم يكن منغلقا ومحتكرا لعمل جبار، كمطلب الاستقلال، ولم يكن قافلا الباب أمام من لهم أهلية التوقيع، وملتزمون بشروط السرية، التي كانت واجبة، ولكنه كان فاتحا صدوه لكل

غيور، تتوفر فيه الشروط، للمساهمة في رفض الوجود الاستعماري والمطالبة بالاستقلال، والتضحية في سبيل الاستقلال.

جس النبض لدى الأمريكيين والانجليز من طرف جلالة الملك وحزب الاستقلال

كان لابد لنا بعد أخذنا قرار المطالبة بالاستقلال أن نجس النبض لدى ممثلي الحلفاء في الرباط، ونستطلع موقفهم من ضرورة تغيير الحالة بالمغرب نظراً للظروف العالمية الجديدة، وتطلع الشعب المغربي لحريته التي بقي فاقداً لها خلال ثلاثين سنة مضت أي من تاريخ فرض الحماية عليه سنة 1912. يقول الأخ المرحوم محمد اليزيدي : لم نكن لنعتب أو نفقد الأمل من اتصالاتنا، فقد كررنا الاتصال بالأمريكيين، سواء بواسطة سفارتهم، أو بممثليهم العسكريين، أو من خلال بعض جواسيسهم، إلا أنهم كانوا يتذرعون لنا كالمرّات السابقة، بأنهم منشغلون بالحرب، ولايمكنهم التحاور معنا مطلقاً، حول مستقبل المغرب، خصوصاً وأنهم كانوا يصرحون لنا، بأنهم لايرغبون مطلقاً في قيام أية حركة أو حدُوث أيّ عمل من شأنه أن يعرض الوجود الفرنسي للاضطرابات والقلاقل، على اعتبار أن فرنسا من حلفاء الأمريكيين، ولن يسمحوا مطلقاً من جهتهم بأيّ عمل من هذا القبيل الذي سيكون حسب رأيهم المستفيد الأول منه، هم الألمان.

وعلى نفس النسق اتصلنا ببعض المسؤولين الأنجليزيين، وكنت شخصياً أنا وأخي الحاج أحمد بلافريج، مكلفين بإجراء كل هذه الاتصالات التي كان مضمونُ جواب مخاطبينا عنها سلبيا دائماً.

1) وفي موضوع الاتصالات بالأمريكيين، كتب الأستاذ المؤرخ الدكتور محمد بوطالب مايلي :

(الولايات المتّحدة الأمريكية، رفضت مساندة وثيقة المطالبة بالاستقلال، وحذرت الوطنيين من خلق مشاكل أمنية للسلطات الفرنسية) :

استجابة لاهتمام وزارة الشؤون الأمريكية بالأوضاع السياسية بالمغرب، قبيل تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، سجلت المذكرات الديبلوماسية، والتقارير القنصلية التي كانت ترسلها البعثات الأمريكية بالمغرب، لأهم مراحل إعداد الوثيقة، والأحداث التي

ارتبطت بها، والتي كان يتتبعها كل من القنصل العام بالدار البيضاء وزميليه بالرباط وطنجة.

وهذه ملخصات للمراسلات والمذكرات الرئيسية المتبادلة بين ممثلي القنصلية أو المفوضية الأمريكية بالمغرب في تلك الفترة، ووزارة الشؤون الخارجية

(المصدر : منشورات الخارجية Foreign Relations لوزارة الشؤون الخارجية بواشنطن لسنة 1944. المجلد الخامس صفحات 524 — 538).

2) مذكرة القائم بالأعمال بطنجة بتاريخ 28 دجنبر 1943

يُطلع رايفز تشالدز RIVE Childs المسؤولين بواشنطن على زيارة خليفة باشا مراكش مولاي العربي له في نفس اليوم، حيث أكّد له أنه من المنتظر خلال شهر يناير أن يقدم ممثل عن الحركة الوطنية، مطالب إلى اللجنة الفرنسية الوطنية للتحرير، وكذلك لممثلي الحلفاء، وذلك عن طريق السلطان الذي زوَّدَه بما يلزم من تعليمات.

وحسب نفس التقرير، فإن المقيم العام الجنرال كبرييل gabriel Bueux عرض على الوطنيين اقتراحاً يطلب فيه منهم، التعبير عن مطالبهم المتعلقة بمساهمة واسعة في تسيير شؤون البلاد، إلا أن الاقتراح لم يحظ بالقبول، لكونه منحصراً في الأوساط السياسية الفرنسية بالمغرب، أما القادة الوطنيون فكانوا يعدّون مطالب تعبر عن مطامح الشعب كله. حيث كان من المنتظر أن يقوم كل من الحاج عمر بن عبد الجليل (المهندس الزراعي) وعبد الكبير الفاسي (القاضي بالمحكمة العليا بالرباط) ومحمد الفاسي (نائب رئيس المجلس العلمي بالقرويين) بتسليم نسخ من الوثيقة إلى القنصل البريطاني السيد بيرد Bird والقنصل الأميريكي ارلي راسل Eari Russel على أن نسخة إلى جلالة الملك لتسليمها إلى المقيم العام، ثم إلى لجنة التحرير الوطنية الفرنسية، والأمر الذي كان يلح عليه الخليفة مولاي العربي، كون هذه الوثيقة، لاتهم الفرنسيين وحدهم، وأنها موجهة كذلك إلى الحلفاء.

وفيما يخص احتمال استقبال وفد الوطنيين، يحذر القائم بالأعمال من وقوع السياسة الأمريكية في إثارة غضب السلطات الفرنسية، بعدم احترام الفصل الخامس من معاهدة الحماية، التي كانت الحكومة الأمريكية قد اعترفت بها سنة 1917، مذكراً بموقف القنصليات الأمريكية، الهادف إلى تجنب اتصالات مباشرة أو رسمية مع الوطنيين، ومنبها في نفس الوقت إلى أن رفض الاستقبال، لن يجلُبَ سوى رد فعل سلبي وسط المغاربة.

3) مذكرة القنصل بالرباط بتاريخ 5 يناير 1944

يخبر القنصل ماير Mayer المسؤولين في واشنطون باستقباله يوماً قبل ذلك للحاج أحمد بلافريج والسيد محمد اليزيدي، حيث أخبراه بأن حزبهما، كان يستعد لتقديم وثيقة تهدف إلى تغيير الوضع الدولي للمغرب، ولما سألهما عن فحوى الوثيقة، أجاباه بأنها لاتطلب أقل من الاستقلال، فقال لهما : بأنه قد يسعده أن يطلع على الوثيقة، لكنه غير مؤهل لقبولها بصفة رسمية.

ولما سأله بلا فريج واليزيدي عن موقفه، أجابهما بأنه لم يكن يعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية، قد تساند تحركاً سياسياً يشغل الأنظار عن اهتمامات الحرب، وفي نطاق اهتمام حكومته بتطوير الميدان الزراعي بالمغرب، قدم لهما بعض الاقتراحات، منها، تشجيع مواطنيهما على إعطاء الدليل على الرغبة في إرساء قواعد حكم ديموقراطي عن طريق مشاركتهم في جهود الحرب، قصد كسب اعتراف وتقدير هيأة الأمم المتحدة، مشيراً إلى أن تغييرات هامة، قد تحدث بعد الحرب، وكان رد محاوريه أن المغاربة لن ينتظروا حتى ذلك الحين، حيث تكون فرنسا قد استرجعت قوتها، ويصعب آنذاك عليها التخلي عن امتيازاتها بالمغرب، ولم يفت بلافريج واليزيدي تسجيل احتجاج بشأن الدعاية الرائجة، بأن الألمان كانوا من وراء التحركات الوطنية، مع تأكيد سمتها الديموقراطية والإشارة إلى أنه كانت للمغاربة علاقات بالحزبين الاشتراكي والشيوعي الفرنسيين قبل الحرب.

ونظراً لأهمية هذا اللقاء والمعلومات التي أتى بها، أسرع القنصل ماير إلى إشعار رئيس ديوان الاقامة العامة السيد دوروز De Rose الذي أخبره بأن معلومات مشابهة، وردت عليه من القنصُليين البريطانيين بكل من الرباط وفاس.

وبعد ذلك قام بزيارة المقيم العام الذي شكره على المعلومات التي قدمها لرئيس ديوانه، وطمأنه بعدم التسرع لاتخاذ تدابير زجرية، ولا القيام باعتقالات كما فعل سابقوه، خاصة لمّا ذكّره بمبادىء الحلف الأطلسي والحريات الأربع (أي تلك التي عبَّر عنها الرئيس روزفيلت Rosevelet في خطابه أمام الكونجريس في 6 يناير 1941 وهي : حرية الكلام، وحرية الأديان، والتحرر من الفقر والخوف، وأن أي استخدام للقوة، قد يكون له وقع سلبي لدى الرأي العام الأمريكي.

وعن سؤال المقيم حول اهتمام الحكومة الأمريكية بقضايا المغاربة، أجاب القنصل بأنه كبير، ليس بالنسبة للمغرب فقط، بل للبلدان العربية عموماً، ولما سأله هل كانت

الحركة الوطنية تحظى بتشجيع أمريكي، أجابه بأن ذلك قد يكون صحيحاً، بالنسبة لحقبة ماضية، وعلى يد أشخاص غادروا المغرب[1]

وصارح المقيم القنصل بأنه بينما كان يفكر في نقل السيد إبراهيم الوزاني من منفاه في الصحراء[2] إلى مدينة «الجديدة» لأسباب صحية، لن يسمح بالعودة للزعيم علال الفاسي الذي وصفه بمتطرف، وغير قابل للتصحيح.

بعد ذلك التقى القنصل بزميله البريطاني السيد بيرد Bird الذي أطلعه على تقرير خطير من القنصلية بفاس، حول الأوضاع هناك، وكذلك على تقرير كان يعده لحكومته يتحدث فيه عن اعتقاد المقيم العام، بأن الوطنيين كانوا يتلقون تشجيعاً من بعض المسؤولين الأمريكيين، وشاطرَه الرأي بأن الوطنيين كانوا يهدفون إلى دفع الفرنسيين إلى اتخاذ إجراءات تعسفية، تثير انتباه الرّأي الدولي، وخاصة الرأي الأمريكي والبريطاني. كما اتفقا على أن بلديهما لم تكونا ترغبان في تحمل مسؤولية الأمن بالمغرب، وأنه مراعاة للفرنسيين، لاينبغي تشجيع الوطنيين، ولا المتحركين داخل الجهاز الحكومي المغربي، خاصة وان المقيم العام عازم على احترام التزامات القوة الحامية، حيث يحاول وضع حد ما كان يقوم به معظم من أتى به الماريشال اليُوطي Lyautey من ممارسة شؤون البلاد لخدمة المقاولات التجارية والصناعية الفرنسية. ويختم القنصل ماير مذكرته هذه بالتنبيه إلى ثلاثة استنتاجات. أولها : مُلاءمة الوقت لمراجعة الموقف الأمريكي، تجاه الإدارة الفرنسية بالمغرب. وثانيها : انعدام طموحات وطنية. وثالثها : عدم تمثيلية الشعب المغربي من قبل القادة الوطنيين، أو أعضاء الحكومة المغربية.

4) مذكرة القنصل ماير بتاريخ 12 يناير 1944

بعد إخبار وزارة الخارجية بتسليم الوطنيين العريضة لجلالة الملك بمطالبة الاستقلال بقيادته، والانخراط في الحلف الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر السلام، يوحي التقرير بضآلة الحركة، وعدم وضوح رؤياها، خاصة وان السلطان لم يفصح عن موقفه قط، وأنه في حالة الإعلان عنه، قد يعتمد على سند بريطاني كبير، وآخر أمريكي أكبر منه،

---

(1) لا أعلم أن الأمريكيين كان لهم تشجيع للحركة الوطنية، وإن كان بعضهم كانت لهم اهتمامات باقتصاديَات المغرب، وتجلى ذلك عندما دافعوا عن سياسة الباب المفتوح الذي جاء في عقد الجزيرة الخضراء والذي منه حاولوا التسلّل إلى التدخل في الشؤون الاقتصادية المغربية. (المؤلف)

(2) لعله يعني السيد محمد بن الحسن الوزاني لا إبراهيم الوزاني.

ثم ينقل محادثة مع بعض المغاربة، حيث وضح لهم فيها عدم ملاءمة الوقت، لإثارة مسألة التغيير في الأوضاع، ولو أن نموذج لبنان قد يدعو إلى ذلك.

5) مذكرة تشايلدز بتاريخ 14 يناير 1944

يخبر القائم بالأعمال الأمريكي بطنجة تشايلدز Childes وزارة الخارجة الأمريكية بزيارة الخليفة مولاي العربي له، حيث كلفه جلالة الملك، وبإبلاغه وإبلاغ زميله البريطاني بموافقته على مضمون العريضة التي تقدم بها الوطنيون، واحتراماً لمكانة مولاي العربي، لم يجرؤ المسؤول الأمريكي على الإفصاح عن أي رأي، لكنه علق في تقريره بأن طريقة التبليغ هذه غير مناسبة، بل إنها مخالفة لبنود معاهدة الحماية.

6) مذكرتا القنصل بالدار البيضاء بتاريخ 14 و 15 يناير 1944

يخبر القنصل الأمريكي Eari Russel وزارة الشؤون الخارجية بإلغاء السلطات الأمريكية والبريطانية والفرنسية للرخصة العادية الممنوحة لموظفيها وجنودها، ابتداء من 15 يناير، كما ينفي وجود أي دعم أمريكي حسب ادعاء بعض المغاربة ويرجع هذا الاعتقاد إلى مغالاة بعض المسؤولين الأمريكيين السابقين في تعاطفهم مع القضية المغربية.

7) مذكرة القنصل ماير بتاريخ 29 يناير 1944

إثر اعتقال الزعيمين أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي في الليلة السابقة، تجمعت حشود المواطنين أمام القصر الملكي في الحادية عشرة صباحاً، حيث تمّ هجوم على السيد محمد معمري الذي يحتمل أنه قام بدور وساطة، وتمت قبل ذلك اعتقالات أخرى بمراكش ووجدة، وفي مدينة الرباط التي كانت القوات الفرنسية قد طوّقتهما، اندلعت إشتباكات أدت إلى قتل وجرح في الجانبين.

8) مذكرة ماير بتاريخ 31 يناير 1944

بعد التعليق على المظاهرات بأنها لم تكن تلقائية، بل كانت مهيأة ومنظمة، يتعرض التقرير لمحاصرة مدينة فاس، من قبل القوات الفرنسية، ووضع حراسة عسكرية بالأحياء الأروبية.

9) مذكرة وزارة الخارجية إلى ماير بتاريخ 31 يناير 1944

بعد التعبير عن تأييد واشنطن لمبادرة ماير تجاه الوضع أثناء محادثته مع بعض المغاربة، يوصي كاتب الدولة في الشؤون الخارجية كورديل هول (cordelle Hull) ملك المغرب

والوطنيين بتجنب ما من شأنه أن يعرقل عمليات الحرب أو يخلق مشاكل أمنية للسلطات الفرنسية، معتبراً أن أية مواجهة مغربية فرنسية، لن تخدم إلا مصلحة دول المحور ودعاياتهما، وأن الموقع العسكري بالمنطقة، لايسمح بمساندة أمريكية كتلك التي حصلت قبل ذلك بالنسبة للبنان.

10) مذكرة مايير بتاريخ 2 فبراير 1944

يتعرض التقرير إلى أحداث دامية بفاس التي كانت محاصرة من قبل الجيش الفرنسي، حيث اقتحمت مجموعة من الدباغين مركزاً عسكرياً، مما أدى إلى استشهاد ثلاثين متظاهراً، ثم ينقل اعتراف مدير ديوان المقيم العام دي روز De Rose باستخدام قوات الشرطة والجيش لوسائل العنف، سواء بفاس أم بالرباط، حيث قدم عدد من المتظاهرين للمحاكمة. انتهى ما كان يكتب به بعض القناصل الأمريكيين الى حكوماتهم.

ويستفاد مما حرره وكتبه هؤلاء القناصلة إلى حكومتهم، أنهم كانوا يتتبعون الأحداث بعض التتبع، وإن كان ينقصها الكثير من التثبت في الاستنتاجات، وكثير من نقصان المعلومات، وعدم إعطاء حقائق الأحداث كما وقعت خصوصاً الانتفاضات الشعبية العارمة التي وقعت بعد إلقاء القبض على الزعماء سواء في الرباط وسلا أو في فاس أو في غيرهما كما ستتحدث عنه بتفصيل، كما يستفاد من التقارير — وهذا مهم جداً — أن الملك محمد الخامس نوَّر الله ضريحه كان بدوره يقوم بنشاطات سياسية سرية لإلفات نظر المسؤولين الأمريكيين لما يتطلع إليه شعبه من تحرير وانعتاق، مستعملا بعض الشخصيات التي لم يكن الاستعماريون الفرنسيون يشكون فيها كمولاي العربي العلوي الذي سبق أن شغل منصب مندوب الصدر الأعظم في التعليم وغيره من الشخصيات مثل الحاج محمد المقري نفسه في تبليغ آرائه وتطلعاته لمن يهمهم الأمر. إذ ذاك في العالم الدولي، وهذا ما يؤكد أنه رحمه الله كان متحركاً باذلا جهده لتحقيق الأهداف، ولكن بحكمة وتبصر، لا يستطيعهما إلا من كان في درجة محمد الخامس من الصدق والإخلاص ونشدان الخير للبلاد.

وبهذه المناسبة، أؤكد أننا عندما قررنا، بعد اتفاقنا مع جلالة الملك المنعم، سيدي محمد الخامس رحمه الله، المطالبة بالاستقلال، كنا نشعر شعورا حقيقيا، بأننا سنقدم على أمر خطير للغاية، لأن الظروف كانت ظروف حرب، وكان الأعداء متربصين بنا للغاية، وكل بادرة تصدر منا، ستؤول بأننا نعاكس القضايا المصيرية للحلفاء، ولذلك كان علينا أن نحتاط كل الاحتياط، حتى لا نقع في الفخ الذي يريدون أن ينصبوه لنا،

خصوصا وقد، كان الجو الوطني مشحونا بكثير من التنبؤات، والكل ينتظر ماذا سيقوم به الوطنيون، بعدما انتشرت أفكار التحرر التي جاء بها ميثاق الأطلسي، والأحاديث التي صارت تروج بين العام والخاص بعد اجتماع آنفا، والتقاء جلالة الملك بالرئيس روزفيلت. وبالإضافة إلى ذلك، فإن ارتباطنا الوثيق مع جلالة الملك، وتنسيقنا العمل معه في هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ بلادنا، كان يفرض علينا أن تسير أعمالنا في أعلى مايكون من الكتمان والسرية، حتى لاتفسد خطتنا، وحتى ننجح كل النجاح فيما نحن مقدمون عليه، ومن هنا يتبين أن ماكتبه بعض الاخوة، من أن الذين اتصلوا بهم في موضوع وثيقة المطالبة بالاستقلال، لم يصارحوهم كل الصراحة، ولم يحيطوهم علما بأسباب النزول، وطريقة العمل، خصوصا وقد ذكر المرحوم الوزاني في تحليلاته، أن الأمر كان يتطلب استشارات موسعة مع فروع حزبه، وإلا فإن العمل يكون في نظره غير مثمر، والواقع أن هذا لم يكن ممكنا أصلا، ولو وقع كما تصور، لما كانت وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولما وقعت الهزة الكبرى، والانتفاضة الشعبية التي قضت مضاجع الفرنسيين، ولما أعلن المغرب موقفه في المطالبة بالحرية والاستقلال.

نص وثيقة المطالبة بالاستقلال
المقدمة لجلالة الملك محمد الخامس
في 11 يناير 1944

إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة.

حيث إن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية، وحافظت على استقلالها ثلاثة عشر قرنا، إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة.

وحيث إن الغاية من هذا النظام، والمبرر لوجوده، هو إدخال الاصلاحات التي يحتاج إليها المغرب، في ميادين الإدارة، والعدلية، والثقافة، والاقتصاد، والمالية، والعسكرية، دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية، ونفوذ جلالة الملك.

وحيث إن سلطات الحماية، بدلت هذا النظام، بنظام مبني على الحكم المباشر، والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية، ومنها جيش الموظفين، الذي لايتوقف المغرب، إلا على جزء يسير منه، وأنها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد.

وحيث إن الجالية الفرنسية، توصلت بهذا النظام، إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم، واحتكرت خيرات البلاد، دون أصحابها..

وحيث إن هذا النظام، حاول بشتى الوسائل، تحطيم الوحدة المغربية، ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية، في تسيير شؤون بلادهم، ومنعهم من كل حرية خاصة أو عامة.

وحيث إن الظروف التي يجتازها العالم، هي غير الظروف التي تأسست فيها الحماية.

وحيث إن المغرب، شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجانب الحلفاء، وقام رجاله أخيرا، بأعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا، وتونس وصقلية، وكورسيكا، وإيطاليا، وينتظر منهم مشاركة أوسع، في ميادين أخرى، وبالأخص لمساعدة فرنسا على تحريرها.

وحيث إن الحلفاء الذين يريقون دماءهم في سبيل الحرية، اعترفوا في وثيقة الأطلسي بحق الشعوب، في حكم نفسها بنفسها، وأعلنوا أخيرا في مؤتمر طهران، سخطهم على المذهب الذي بمقتضاه، يزعم القوى، حق الاستيلاء على الضعيف.

الحمد لله

ان حزب الاستقلال الذي يضم اعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة:

حيث أن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية وحافظت على استقلالها طيلة ثلاثة عشر قرنا الى ان فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة، وحيث ان الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده هما ادخال الاصلاحات التي يحتاج اليها المغرب في ميادين الادارة والعدلية والثقافة والاقتصاد والمالية والعسكرية دون ان يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية ونفوذ جلالة الملك. وحيث ان سلطات الحماية بدلت هذا النظام بنظام مبني على الحكم المباشر والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية ومنها جيش من الموظفين لا يتوقف المغرب الا على جزء يسير منه وانها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد، وحيث ان الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام الى ان تستحوذ على مقاليد الحكم واحتكرت خيرات البلاد دون اصحابها، وحيث ان هذا النظام حاول بشتى الوسائل تحطيم الوحدة المغربية ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية في تسيير شؤون بلادهم وحرمتهم من كل حرية خاصة وعامة، وحيث ان الظروف التي يجتازها العالم اليوم هي غير الظروف التي اسست فيها الحماية. وحيث ان المغرب شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجانب الحلفاء وقام رجاله اخيرا باعمال اثارت اعجاب الجميع بفرنسا وتونس وصقلية وكورسيكا وايطاليا وينتظر منهم مشاركة اوسع في ميادين اخرى لمساعدة فرنسا على تحريرها. وحيث ان الحلفاء الذين يهرقون دماءهم في سبيل الحرية اعترفوا في وثيقة الاطلانتي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها واعلنوا اخيرا في مؤتمر طهران سخطهم على المذهب الذي بمقتضاه يزعم القوي من الاستيلاء على الضعيف، وحيث ان الحلفاء اظهروا في شتى المناسبات عطفهم على الشعوب الاسلامية ومنحوا الاستقلال لشعوب منها من هو دون شعبنا في ماضيه وحاضره. وحيث ان الامة المغربية التي تكون وحدة متناسقة الاجزاء تشعر بما لها من حقوق وما عليها من واجبات داخل البلاد وخارجها تحت رعاية ملكها المحبوب وتقدر حق قدرها الحريات الديمقراطية التي يوافق جوهرها مبادئ ديننا الحنيف والتي كانت الاساس في وضع نظم الحكم بالبلاد الاسلامية الشقيقة

يقـــرر ما يأتـــي

(أ) فيما يرجع للسياسة العامة،

1 – ان يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد سيدي محمد بن مولانا يوسف نصره الله وايده

2 – ان يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الامر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه ولوضع اتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ما للاجانب من مصالح مشروعة

3 – ان يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الاطلنتيك والمشاركة في مؤتمر الصلح

(ب) فيما يرجع للسياسة الداخلية؛

4 – ان يلتمس من جلالته ان يشمل برعايته حركة الاصلاح الذي يتوقف عليه المغرب في داخله ويكل لنظره السديد احداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الاسلامية بالشرق تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع

من جميع حزب الاستقلال بسائر نواحي المغرب

الحسن بوعياد

الوثيقة الأصلية بتوقيعات أصحابها

وحيث إن الحلفاء أظهروا في شتى المناسبات، عطفهم على الشعوب الاسلامية، ومنحوا الاستقلال لشعوب غيرها، هم دون شعبنا في ماضيه وحاضره.

وحيث إن الأمة المغربية، التي تكون وحدة متناسقة الأجزاء، تشعر بما لها وما عليها من واجبات، داخل البلاد وخارجها، تحت رعاية ملكها المحبوب، وتقدر حق قدرها، الحريات الديموقراطية، التي يوافق جوهرها مبادىء ديننا الحنيف، والتي كانت الأساس، في وضع نظام الحكم، بالبلاد الاسلامية الشقيقة.

1 ـــ فيما يرجع للسياسة العامة

يقرر :

أولا : أن يطالب باستقلال المغرب، ووحدة ترابه، تحت ظل صاحب الجلالة، ملك البلاد المفدى، سيدنا محمد بن مولانا يوسف، نصره الله وأيده.

ثانيا : أن يلتمس من جلالته، السعي لدى الدول التي يهمها الأمر، الاعتراف بهذا الاستقلال، وضمانه، ولتوقيع اتفاقيات، تحدد ضمن السيادة المغربية، ما للأجانب من مصالح مشروعة.

ثالثا : أن يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

2) فيما يرجع للسياسة الداخلية

رابعا : أن يلتمس من جلالته، أن يشمل برعايته، حركة الاصلاح التي يتوقف عليها المغرب في داخله، ويكيل لنظره السديد، إحداث نظام سياسي شورى، شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الاسلامية بالشرق، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب، وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع. والسلام.

ثلاثة محاور أساسية في وثيقة المطالبة بالاستقلال

لقد تضمنت وثيقة المطالبة بالاستقلال، ثلاثة محاور رئيسية. المحور الأول، وجاء في المقدمة، ويتضمن أساسا العوامل والأسباب الداعية إلى مطالبة حزب الاستقلال ووحدة التراب، وهو ما تعبّر عنه الحيثيات العشر التي تحدد الأسباب، ومن ضمنها

أحقية المغرب في الاستقلال، باعتبار أنه حافظ دائما خلال التاريخ على استقلاله، ولم يسمح لأية قوة أجنبية أن تحتله، فالاحتلال آفة طارئة، لابد من زوالها، والحماية التي فرضت عليه فرضا لايمكن أن تبقى، والحماية مع ذلك لم توف بالتزاماتها، في إدخال الاصلاحات الضرورية، التي كانت تتطلبها مصلحة البلاد، وبدلا من ذلك فإنها صيرت المغرب وكأنه مستعمرة، يحكمها المستعمرون حكما مباشرا، دون إعطاء أدنى مسؤولية لأصحاب البلاد، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الحماية حطمت وحدة المغرب، وقسمته تقسيمات مغرضة، قصد إضعافه، ومن جهة أخرى فإن المغرب شارك بكل إمكانياته في الحرب العالمية الثانية، وساعد على الانتصارات التي حققها الحلفاء، فمن حقه أن ينال حريته الكاملة التي جاهد مع الحلفاء للظفر بها، ومن حقه أولا أن يظفر بما قرره الحلفاء في ميثاق الأطلسي، ويقرر مصيره، بنفسه، مثل ماظفرت بعض الشعوب الاسلامية وغيرها، وحتى التي هي دونه في التقدم والحضارة ماضيا وحاضرا.

ولا يغفل هذا المحور الإشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه تنظيم المغرب، في المستقبل من ضمان الحريات الأساسية التي يدعو إليها الإسلام، وتطبق في بعض البلاد الإسلامية، وإحداث نظام شورى في نطاق الملكية الدستورية تحت رعاية جلالة الملك المعظم.

أما المحور الثاني، فيقرر المطالبة باستقلال المغرب، ووحدة ترابه، في دائرة النظام الملكي، ويطلب من جلالة الملك، العمل على ضمان هذا الاستقلال، من طرف الدول التي يهمها الأمر، مع الاعتراف للأجانب بما لديهم من حقوق مشروعة، لا تتنافى مع حريته، واستقلاله، وهذا يقتضي أن يكون له دور مع الدول التي كافحت من أجل الحرية، وأقرت ميثاق الأطلسي، وضرورة مشاركته في مؤتمر الصلح، وهذا المحور يشعر بأن حزب الاستقلال متأكد من أن جلالة ملك المغرب، متوافق كل التوافق مع الحزب في المطالبة بالاستقلال، وأنه سيعمل على ضمان هذا الاستقلال، من طريق الدول التي يهمها الأمر، ومن جملتها الدولة الفرنسية بالطبع، كما أن هذا المحور يشعر بأن قضية استقلال المغرب، ليست من اختصاص فرنسا وحدها، وأن المجتمع الدولي مطالب بالاعتراف بهذا الاستقلال، وهو يشير بهذا إلى أن الدول التي شاركت قبل فرض الحماية عليه، في إقرار إدخال الإصلاحات على تسييره، مطالبة الآن بالتدخل لتحقيق الاستقلال وضمانه.

ويشير المحور الثالث إلى أن الحزب كان يفكر في النظام الذي سيسير عليه المغرب بعد الاستقلال، وذلك بضرورة إدخال إصلاحات جوهرية يقوم بها جلالة الملك، تشبه

الاصلاحات التي وقعت في بعض البلدان الاسلامية والعربية، وتقوم على أساس الشورى التي يدعو إليها الإسلام، والتي تضمن بها حقوق سائر عناصر الأمة. ويلاحظ أن هذه الفقرات التي أتت في هذا المحور، والتي تعمد المحررون أن لاتكون فيها عبارات مثيرة، كالمطالبة الواضحة بالنظام الديموقراطي، الناشىء على انتخابات حرة ونزيهة، ينشأ عنها مجلس وطني، يرجع إليه في تسيير شؤون البلاد، ومجالس محلية منتخبة، تسير الشؤون المحلية في المدن والقرى، إلى آخر ما هو ضروري في تنظيم ديموقراطي سليم لبلاد مثل البلاد المغربية. لقد تعمد المحررون أن لايعطوا لهذا الموضوع الوضوح الكامل، مع أن الاتفاق كان واضحا بين جلالة الملك، وحزب الاستقلال، حوله، لسبب وجيه وعاه كل الوعي جلالة محمد الخامس، وأعني به عدم إثارة من كانوا يسيرون المغرب من القواد والباشوات ومن شاكلهم، حيث كان هؤلاء يعتبرون هذا المطلب إذا ما تحقق، يزيل لهم كل نفوذ، ويقلص من تحكماتهم وسيطرتهم ومظالمهم، فتقوم قومتهم، ويعارضون المطلب بشدة، فتجنبا لهذه الإثارة، صيغت الفقرات المذكورة، بالشكل الذي صيغت به، حتى يضمن التعبير عما يريده الحزب، والشعب، بالاتفاق التام مع الملك، ولا يجد المعوقون، والمغرضون والمسيطرون، ما يحتجون به في ذلك الظرف بالذات للوقوف ضده.

وحتى أعطي مثالا واضحا، مقنعا، لصلاحية التعابير الواردة في البند المشار إليه، والتي تشد الطريق أمام المعترضين، أذكر فيما وقع بعد الاستقلال من طرف القائد (عدى وبيهي)، عندما رأى تطبيق مبدأ فصل السلطات في منطقته بتافيلات، وغضبه منها، وارتماءه في أحضان الاستعمار ليعرقل تطبيقها، والفتنة التي حدثت إذ ذاك، لولا الحكمة التي سارت عليها حكومة المغرب، لمعالجة الموقف، ولدرء الأخطار. التي لو طالت ونجحت، لسارت الأحداث في غير الطريق التي سارت عليها أوائل الاستقلال.

ملاحظات حول صيغة وثيقة الاستقلال

وهنا يجب أن أشير إلى ملاحظة هامة، تتعلق بتحرير وثيقة الاستقلال، فبعض الذين ناقشوها بعد الاستقلال، ادّعوا أن فيها بعض الثغرات في الصياغة، أو حتى في بعض الأفكار، ولا أريد أن أناقش الذين كتبوا في الموضوع، ولكني فقط أريد أن أشير إلى أن الوثيقة عندما كانت تحرر، كانت تلبي وتحقق بعض الاقتراحات التي ربما تكون متباينة، والتي تأتي من مختلف الاتجاهات المحررة لها. حتى تعبر — قدر المستطاع —

على رأي الجميع، دون أن تخل بالغرض الأسمى المقصود من تحريرها، وهو المطالبة بالاستقلال والحرية، فالمقصود الأساسي من العريضة هو المطالبة بالاستقلال، والوحدة، وتنظيم البلاد على أساس الشورى، التي يدعو إليها الاسلام، وكل التعابير التي توضح هذه المطالب مقبولة ومستساغة، وهذا ما وصلنا إليه، وهذا ما حقق مطالب الحزب والملك، التي هي مطالب الشعب بأجمعه، وهو ما جعل الحزب ينجح ويتقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال بالشكل والتعبير الذي قدمت به.

لماذا اختير يوم الثلاثاء لتقديم وثيقة الاستقلال

بعد تحرير الوثيقة، والتوقيعات عليها من طرف ست وستين شخصية، وطنية، جاء وقت تقديمها إلى جلالة الملك المعظم، وإلى المقيم العام وإلى كل من ممثلي كل من أميريكا وإنجلترا، فاقترح جلالة الملك المنعم، أن يكون يوم تقديمها إليه هو يوم الثلاثاء حادي عشر يناير 1944 الموافق للرابع عشر من شهر محرم الحرام عام 1363، ولم يكن تعيين يوم الثلاثاء للتقديم، تعيينا، اعتباطيا، ولكنه كان مقصودا، حيث أن المستشار الفرنسي الذي كان معينا من الحكومة الفرنسية، كواسطة بين جلالة الملك والإقامة العامة، لتبليغه المقررات والاقتراحات، التي تتقدم بها الإقامة العامة، إلى جلالة الملك، ولأخذ القرارات التي يتخذها جلالته، لتبليغها إلى الإقامة العامة كانت العادة أن يزور هذا المستشار المذكور جلالة الملك كل يوم ثلاثاء، ولذلك رأى أن تصله وثيقة المطالبة بالاستقلال في ذلك اليوم المذكور، وقبل أن يدخل عليه المستشار الفرنسي، حتى يمكنه بعد ما يأذن له بالدخول، أن يبلغه خبر الوثيقة في وقته دون تأخير، وهكذا كان.

ثلاثة وفود

لقد تكونت ثلاثة وفود، الأول برئاسة الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج، وقد تقدم بالوثيقة لجلالة الملك، والوفد الثاني برئاسة السيد محمد الزغاري، رئيس جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس بفاس، وهو الذي قدم الوثيقة لنائب المقيم العام السيد مارشال، والوفد الثالث برئاسة السيد المهدي بن بركة رئيس جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط، وهو الذي قدم الوثيقة لكل من قنصل إنجلترا بالرباط، وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالرباط أيضا.



بعض أعضاء الوفد الذي قدم عريضة المطالبة بالاستقلال

ويظهر في الصورة من اليمين في الصف الأول : إدريس المحمدي ــ المهدي بن بركة ــ محمد الزغاري ــ الهاشمي الفلالي ــ الحاج عمر بن عبد الجليل ــ أحمد ابا حنيني. وفي الصف الثاني من اليمين أيضا : محمد علال ــ عبد الحميد الزموري ــ محمد الدسوري ــ الحاج أحمد بلافريج ــ أحمد مكوار ــ عبد النبي إبراهيم.

تقديم الوثيقة إلى جلالة محمد الخامس

صبيحة يوم الثلاثاء حادي عشر يناير عام 1944 كنا مجتمعين بمنزل المرحوم السيد محمد اليزيدي بديور الجامع (طريق تمارة) وعلى الساعة التاسعة تقريبا، انطلقت الوفود الثلاثة إلى الأماكن المرسومة لها، فانطلق الوفد الأول برئاسة «بلافريج» إلى دار المخزن السعيد، حيث وصله بمجرد افتتاح القصر الملكي، فلبث مدة بقاعة الانتظار، وصل أثناءها مستشار الحكومة الذي فوجىء بوجود أفراد من الحزب، لاشك أنه كان يعرف البعض منهم مثل «بلافريج» ومالبث قائد المشور أن نادى على أعضاء الوفد بالدخول إلى قبة العرش، حيث أدى لصاحب الجلالة ما يستحقه من تحية ومبايعة واحترام، وأخذ الكلمة في الحين الأمين العام للحزب المرحوم الحاج أحمد بلافريج وخاطب جلالة الملك وهو في منتهى التأثر، والارتياح، والطمأنينة، قائلا ما مضمنه :

خطاب بلافريج أمام جلالة الملك

ياصاحب الجلالة ! إننا لسعداء كثير السعادة بزيارتنا لجلالتكم في هذا الصباح، لنتقدم إلى سدتكم العالية بالله، بالوثيقة التي حررها ووقعها أعضاء حزب الاستقلال، المتشبثون بعرشكم المجيد، والتي يعبرون فيها عن مطالبتهم باستقلال بلادنا وتحريرها من قبضة الاستعمار. فبلادنا التي فرضت عليها الحماية الأجنبية، عاشت طوال تاريخها متمتعة بكرامتها واستقلالها، والحماية التي فرضت عليها، وعلى عرشكم المفدى آن الأوان للتحرر منها، لتنعم بلادنا في عهدكم وتحت قيادتكم باستقلالها، وحريتها، وذاك ما تتوقون إليه أنتم وشعبكم الكريم.

لقد كان جلالة الملك، منشرحا تمام الانشراح، ومنبسطا تمام الانبساط، بل وسعيدا كل السعادة، وهو يستمع إلى الكلمات الصادقة المؤثرة المنبعثة من قلب رجل صادق، وإخوة له مومنين، وجماعة أقسمت بين يديه على المصحف الشريف، لتبقى دائما مخلصة لله والوطن والعرش.

خطاب جلالة الملك محمد الخامس

ثم أخذ الكلمة رحمه الله ورضي عنه فقال ما مضمنه : (إن هذا اليوم سيبقى يوما تاريخيا في بلادنا، ممجدا لدى شعبنا، وأعتبر نفسي سعيدا كعاهل للبلاد، لأقدر تمام

التقدير، المهمة الشريفة التي تسعون إليها، والتي أنا مطوق بالحفاظ عليها، والسعي الحثيث لتحقيقها، ودراسة الوثيقة التي أتيتم لتقدموها لي كملك للبلاد، ثم زاد قائلا : سأستدعي إن شاء الله، غدا أعضاء المخزن، والسلطات العليا في البلاد، سواء منهم القواد أو العلماء أو الأعيان، وأعقد معهم اجتماعا لدراسة الموضوع، واتخاذ القرار الواجب اتخاذه، والقيام بالواجب المفروض علينا جميعا، للعمل على تحرير بلادنا، واسترجاع سيادتها الكاملة، باعتبارنا أمة مسلمة، مخلصة للمبادىء التي أتى بها ديننا الحنيف.

لقد دامت الجلسة مع جلالة الملك نحو الساعة، بقي أثناءها المستشار الفرنسي، جالسا في قاعة الانتظار، ينتظر أن ينادي عليه هو بدوره، وكانت العادة المتبعة بدار المخزن، أن المستشار عندما يحضر إلى دار المخزن، ينادي عليه بسرعة، ليتقابل مع جلالة الملك، ولكنه في هذا اليوم، بقي ينتظر، ولاشك أنه كان في حالة من القلق والإنزعاج، يفكر فيما ستلده الأيام، بعد هذه المقابلة الطويلة غير العادية، بأعضاء وفد الاستقلال.

لم يكن أحد يعرف الغاية التي جاء من أجلها وفد حزب الاستقلال للقصر الملكي، وإن كان الجميع على علم بأن هناك أشياء تحضر، وأن الحزب سيتقدم بمطالب إلى جلالة الملك، قد تكون الاستقلال، وقد تكون غير الاستقلال.

وبهذه المناسبة أسجل أن كثيرا من الأحباب والمخلصين، كانوا يسائلوننا في تلك الأيام، عما نحن عازمون عليه، وأن بعضهم كان متحمسا للاستقلال، ومن جملة هؤلاء، وأسجلها للتاريخ، المرحوم الحاج أحمد بركاش، الذي شيعت جنازته بتاريخ (31 أكتوبر 1994) الذي لقيني ذات يوم، ونحن في معمعة تحرّكنا، فسألني عما نحن مقدمون عليه، ولما لم أجبه صراحة بما في علمي، وما اتخذناه من قرار المطالبة بالاستقلال، قال لي رحمه الله (لابد من المطالبة بالاستقلال) أو كلاما هذا معناه.

بعد خروج الوفد من قاعة العرش، كان من اللياقة أن يسلم على الصدر الأعظم، الحاج محمد المقري، وهكذا استقبل المقري أعضاء الوفد، استقبالا وديا، دون أن يجري معهم أي حديث مهم، وبالطبع لم يوضحوا له الغاية التي من أجلها زاروا جلالة الملك، ولم يسألهم هو عن الغاية من الزيارة.

الوفد الذي قدم الوثيقة
إلى الاقامة العامة

أما الوفد الثاني برئاسة المرحوم السيد محمد الزغاري، الذي قصد الإقامة العامة الفرنسية، فلقد استقبله الوزير الفرنسي المفوض لدى الإقامة العامة السيد «مارشال» (marchal)[1] والكاتب العام مسيو «فوازار» ولقد قدم له السيد محمد الزغاري نص وثيقة الاستقلال، مع رسالة بعثتها اللجنة التنفيذية إلى السفير الفرنسي «كابريال بيو» المقيم العام للجمهورية الفرنسية بالمغرب وهذا نص الرسالة :

رسالة اللجنة التنفيذية إلى المقيم العام الفرنسي

سيادة السفير بمقتضى التوكيل الذي نحن مطوقون به من طرف الشعب المغربي يشرفنا إبلاغكم، أننا وضعنا بين يدي صاحب الجلالة المحبوب، سيدي محمد، الملتمسات التي تجدون نسخة منها طيه.

ونرغب من سعادتكم، أن تتفضلوا بإيصال سيادة رئيس اللجنة الوطنية للتحرير، النسخة المذكورة، معرفين إياه، بأن نداءنا يتجه إلى الضمير الحر، المتعقل، الذي يتصف به كل المقاومين الفرنسيين، كي تصفى القضية المغربية، طبقا للمبادىء المبنية على النية الصالحة، التي ترتكز عليها كل العلائق الدولية.

ونحن متيقنون بأن رغبتنا، ستلاقى من الجنرال «دوكول»، ومن سعادتكم، أحسن القبول، راجين منكم أيضا، أن تلاحظوا بأن حركتنا الرامية إلى تحرير بلادنا في إطار المشروعية، لاتتعارض في شيء، مع المصالح الحقيقية التي لفرنسا بالمغرب.

ونفكر بأنه قد آن الأوان، أن تأخذ فرنسا بعين الاعتبار، ما أهرقه المغاربة من دماء، وما يجودون به، وما يبذلونه من دم، كي ينتصر المثل الأعلى الفرنسي، ويتحرر تراب بلادها، ملتمسين من سعادتكم، التفضل بقبول عبارات احترامنا العميق.

التوقيع : نيابة عن المجلس الأعلى لحزب الاستقلال : اللجنة التنفيذية.

---

(1) لم يستطع المقيم العام الفرنسي كابريال بيو أن يستقبل الوفد الاستقلالي حتى لا يصدم بمطلب لا تتحمله أذنه، فاختار الخروج من الرباط ذلك اليوم، وعهد لوزيره المفوض أن ينوب عنه.

الوفد الثالث الذي قدم الوثيقة للقنصلين الأمريكي والانجليزي

وأما الوفد الثالث برئاسة المرحوم المهدي بن بركة. فقد قصد أولا، قنصلية إنجلترا، حيث بلغ القنصل الإنجليزي، القرار الذي اتخذه حزب الاستقلال، في شأن المطالبة بالاستقلال، ودفع له نص وثيقة 11 يناير 1944، التي قبلها بعد تردد كبير، مؤكدا أن تعامل الإنجليز، وقنصليتهم، لايكون إلا مع الإقامة العامة الفرنسية، ونفس الموقف كان لدى زيارة الوفد للقنصل الأمريكي وبالمناسبة أؤكد أن الحزب كان وهو يتهيأ لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، زار أمينه العام المرحوم بلافريج، صحبة المرحوم محمد اليزيدي، المفوضية الأمريكية، مستعلمين عن موقف الولايات المتحدة. إزاء المطامح المغربية، دون أن يحددا نوعية المطامح، فكان الجواب الصريح : إن الولايات المتحدة، لاتهتم في الظرف الحاضر إلا بقضايا الحرب، وضرورة المساعدة على النجاح ضد العدو، دون أية عرقلة، كيفما كان نوعها، أو كما قيل إذ ذاك.

الموقعون على وثيقة
المطالبة بالاستقلال

لقد وقع على الوثيقة من أعضاء الحزب الوطني (الجناح السري، وهو الطائفة) الإخوة الآتية أسماؤهم :

1) أحمد مكوار رحمه الله
2) الحسن بوعياد رحمه الله
3) الهاشمي الفيلالي حفظه الله
4) أحمد بلافريج رحمه الله
5) الحسن بن جلون حفظه الله
6) عبد العزيز بن إدريس رحمه الله
7) محمد السودي رحمه الله
8) أحمد بن دلة رحمه الله
9) العيساوي المسطاسي حفظه الله
10) عبد الكبير بن المهدي الفاسي رحمه الله
11) أحمد بن شقرون المكناسي الملقب بولد النبي رحمه الله
12) بوشتى الجامعي رحمه الله
13) محمد بن عبد الرحمان السعداني حفظه الله
14) محمد (فتحا) بن الجيلاني بناني رحمه الله
15) عبد السلام المستاري رحمه الله
16) عبد الله بن إبراهيم حفظه الله
17) محمد اليزيدي رحمه الله
18) أبو بكر القادري حفظه الله
19) محمد غازي رحمه الله
20) قاسم بن عبد الجليل رحمه الله

21) محمد البوعمراني رحمه الله
22) عبد الرحيم بوعبيد رحمه الله
23) الطاهر بن الفقيه أبي بكر زنيبر رحمه الله
24) مسعود الشيكر رحمه الله
25) عمر بن عبد الجليل رحمه الله
26) أحمد اليزيدي رحمه الله
27) عبد الله الركراكي رحمه الله
28) عبد الجليل القباج رحمه الله
29) ج أحمد الشرقاوي رحمه الله
30) المهدي بن بركة رحمه الله
31) ج بوبكر الصبيحي رحمه الله
32) عبد الكريم بن جلون التويمي رحمه الله
33) عبد الوهاب الفاسي رحمه الله
34) الصديق بن العربي رحمه لله
35) قاسم الزهيري حفظه الله
36) محمد البقالي حفظه الله
37) أحمد المنجرة حفظه الله
38) عبد القادر حسن رحمه الله
39) الجيلاني بناني رحمه الله
40) الحفيان الشرقاوي رحمه الله
41) سِّي بريك بن أحمد رحمه الله
42) الحسين بن عبد الله الورزازي رحمه الله
43) محمد الفاسي رحمه الله
44) محمد (فتحا) بن الخضر حفظه الله
45) مالكة الفاسية حفظها الله
46) محمد الديوري رحمه الله
47) محمد الحمداوي حفظه الله
48) بناصر بن ج العربي رحمه الله
49) محمد بن عزو حفظه الله

50) ج عثمان جوريو حفظه الله.

ووقع من قدماء تلامذة مولاي إدريس الاخوة :

1) محمد الزغاري رحمه الله
2) أحمد الحمياني حفظه الله
3) أحمد أبا حنيني رحمه الله
4) محمد الغزاوي حفظه الله
5) عبد الهادي الصقلي حفظه الله
6) عمر بن شمسي حفظه الله
7) عبد الكبير الفاسي الفهري بن حفيظ رحمه الله
8) إدريس المحمدي رحمه الله
9) أحمد بن بوشتى رحمه الله

ومن مدرسة آزرو 1) عبد الحميد بن مولاي أحمد حفظه الله 2) عبد الله بن عمر، اعمرو أو بناصر رحمهما الله

ومن شخصيات حرة :

1) محمد بن العربي العلمي رحمه الله
2) محمد الجزولي رحمه الله
3) ج محمد الرفاعي رحمه الله

ومن الشخصيات الموقعة على الوثيقة وإن لم يظهر اسمها واضحا : المرحوم الدكتور محمد الفاطمي الفاسي.

ويجب أن أسجل هنا أن جميع الموقعين يعتبرون حسب تصريح الوثيقة من مؤسسي حزب الاستقلال، فالوثيقة تقول بالحرف :

(ان حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة)، فليس صحيحا ماكان كتبه بعض الإخوة، من أن المتقدمين والممضين على وثيقة الاستقلال، يكونون جبهة، ولا يكونون حزبا، لأنهم هم أنفسهم اعتبروا أنفسهم حزبا، فلم يبق مجال، لأن يأتي من يغير لهم ما ارتضوه لأنفسهم، ويسميهم جبهة، باعتبار أنهم لم يأتوا من منبع واحد، ومصدر واحد، ومن جهة أخرى فإن الكثيرين منهم، أخذوا مسؤوليات داخل حزب الاستقلال بعد تنظيم الحزب، سنة 1945، والقليلون

هم الذين لم ينضموا إلى التشكيلات الحزبية، والبعض منهم بقي متابعا العمل معنا في فترة الحماية وبعد تحقيق الاستقلال، والبعض توقف عن العمل الحزبي في ظرف من الظروف، وتلك سنة الله في خلقه، فلكل واحد ظروفه الخاصة، ودوافعه التي قد تكون متباينة، ولله في خلقه شؤون.

وإن إلقاء نظرة على الموقعين على الوثيقة تعطينا أنهم كانوا من المدن الآتية :

1) وقع من الفاسيين 23 فردا، (2) (الرباط) وقع منها أحد عشر فرداً (11)، (3) (سلا) ووقع منهما سبعة، (4) (مكناس) ووقع منها ستة، (5) (مراكش) ووقع منها خمسة، و (6) (القنيطرة) ووقع منها أربعة، و (7) (آسفي) ووقع منه ثلاثة، (8) (ووجدة) وقع منها واحد وأعطاه إخوانه في وجدة التوكيل عنهم لأن الظروف لم تسمح لهم بالانتقال والتوقيع، كما أن المرحوم السيد أحمد بن دالي وجه برقية يؤكد فيها ان سي بناصر وقع باسم أعضاء الحزب في وجدة و (10) (سيدي قاسم) ووقع منها واحد، (11) ووقع من الخميسات (3) (والدار البيضاء)، وقع منها اثنان، فيكون مجموع الموقعين ستة وستين فرداً، ينوبون عن إحدى عشرة مدينة.

ارتياح واطمئنان لنجاح الخطة

بعد النجاح الكامل للخطة الذي وضعها الحزب، بتبليغه جلالة الملك، والإقامة العامة الفرنسية والقنصليتين الإنجليزية، والأمريكية، نص وثيقة المطالبة بالاستقلال، كنا نعيش في غمرة من الإرتياح، والفرح، ورضى الضمير، مالا يستطيع أن أعبر عنه بكلمات، أو جمل، مهما كانت بليغة، فلقد شعرنا أن أمانة خطيرة كانت في أعناقنا، أديناها والحمد لله برضى واطمئنان، وأخرجنا قضية استقلال المغرب من حيز النطاق الثنائي، إلى النطاق الدولي، ووضعنا قضية استقلال المغرب، ضمن القضايا التي يجب أن تعالج بما تستحقه، بعد انتهاء الحرب، وحمدنا الله وشكرناه، أن هيأ لنا الأسباب، وصرف عنا العراقيل، حتى استطعنا أن نخطو هذه الخطوة الجريئة الحاسمة، متكاثفين ملتحمين متعلقين، بجلالة ملكنا المحبوب سيدي محمد الخامس، الحارس الأمين لقضايا ومطامح شعبه الأمين، في الانعتاق، معتمدين على ربنا العظيم، الذي لم يخيبنا في أية حركة من حركاتنا.

لقاء بمنزل الأمين العام

إلتقينا بعد رجوع الوفود الثلاثة، من أداء مهماتها بمنزل المرحوم الأمين العام الحاج

أحمد بلافريج، لتناول طعام الغداء عنده، وكلنا في غمرة من الفرح، وكأننا حققنا عمليا استقلال بلادنا، وأذكر أن المرحوم الأمين العام، خاطبني ونحن جالسون حول مائدة الغداء ممازحا كعادته، عندما يكون منشرحا، وكنت في غاية النشوة والسرور، ما رأيك إذا ما تناولنا خمرة معتقة في هاته اللحظات السعيدة التي نعيشها الآن ؟ وهل تشاركنا خمرتنا ؟ فأجبته بما مؤداه : إن الخمرة الحقيقية التي تسعدنا وتزيدنا فرحا، هي ما نحن فيه، من سعادة، ومسرة، واطمئنان، بعدما أدينا واجبنا بتوفيق من الله، أو كلاما هذا معناه(2).

انتشار خبر المطالبة بالاستقلال

لم يصل وقت الزوال، حتى صارت الأخبار تنتشر هنا وهناك، بأن حزب الاستقلال، طالب بالاستقلال، وصارت نسخ من نص الوثيقة توزع على المناضلين لدراستها، وتحمس الطلبة بصفة خاصة تحمسا كبيرا وهم ينسخون الوثيقة ويوزعونها، فهاجت الجموع الاستقلالية وماجت، وتوالت اجتماعات أعضاء الحزب وشبابه، لتقرأ البيان، وتنسخه، وتوزعه هي بدورها على المناضلين هنا وهناك، في مختلف الأحياء، ومختلف المدن والقرى، وتعقد الاجتماعات، ليقرأ فيها، بأصوات مرتفعة ويعلو الهتاف بحياة المغرب، وحياة الاستقلال، وحياة حزب الاستقلال وحياة محمد الخامس.

لقد عاش الشباب الاستقلالي في تلك الفترة، عيشة تكاد أن تكون جنونية، واندفعوا يهنىء بعضهم بعضا، وأذكر أن شابا متحمسا، خاطبني إذ ذاك قائلا : لابد أن يتحقق الاستقلال قريبا جدا، ولايمكننا أن نتساهل أي تساهل في تأخير تحقيق مطمحنا المشروع، لقد هاج الجمهور المغربي هيجانا عظيما، عندما سمع بمطالبة الحزب بالاستقلال، الأمر الذي دل دلالة واضحة أن الروح التحررية الحقيقية، لازالت كامنة مشتعلة في نفوس كل أفراد الشعب المغربي، لم يطفئها وجود القوات الاستعمارية، طوال اثنتين وثلاثين سنة في المغرب، وأخذها بخناق الشعب المغربي، في الحاضرة والبادية، على السواء، وستبرهن الأيام والأحداث التي ستقع بعد ذلك، أن المغاربة مستعدون لبذل أرواحهم، والتضحية بدمائهم، في سبيل عزتهم وكرامتهم، هكذا كان الجو العام في اليوم الأول وما يليه من أيام.

---

(2) أؤكد أن ما فاه به الأمين العام للحزب آنفا كان بقصد الممازحة لا غير فهو لم يكن يتعاطى الخمر أبداً.



صورة الوفود التي قدمت الوثيقة إلى القصر الملكي والاقامة العامة وممثلي الدول الكبرى ويظهر في الصورة من اليمين إلى اليسار السادة : أحمد الحمياني ــ أحمد مكوار ــ الهاشمي الفلالي ــ أحمد ابا حنيني وتحت صورته، الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد الزغار ــ وفوقهما : الفقيه غازي وأبو بكر القادري وفي الأسفل الحاج أحمد بلا فريج وفوقه : عبد العزيز بن ادريس وبجانبه المهدي بن بركة وادريس المحمدي ومحمد اليزيدي ويظهر في الصورة أيضاً الأخ محمد البقالي.

جلالة محمد الخامس يترأس اجتماعا مع شخصيات كبرى في الدولة

وطبقا للخطة التي وقع الاتفاق عليها، بين جلالة الملك المعظم، ورجال حزبنا، كان الحزب قد تقدم بملتمس آخر إلى جلالته، يرجوه أن يعقد اجتماعا مع المسؤولين في الدولة، وبعض الشخصيات المرموقة، التي لها وزن ومكانة في المغرب، ليعرض عليهم نص الوثيقة، ويأخذ رأيهم فيها، وهكذا كما ذكرت من قبل، إستدعى جلالته نخبة من الوزراء وكبار القواد، والعلماء، والقضاة، والأشراف، اختارهم بنفسه، وطبق مارأى أن حضورهم مفيد، فعقد معهم اجتماعا بدار المخزن، يوم الثالث عشر من يناير، ترأسه صاحب الجلالة بنفسه، افتتحه بكلمة سامية، ذكر فيهما أنه تلقى من حزب الاستقلال، وثيقة تاريخية. تطالب باستقلال المغرب، الذي هو حق من حقوقنا، ثم وضح للمجتمعين أنه من حيث المبدأ، موافق على فحوى هذه الوثيقة ومضمونها قائلا : وقد استدعاهم هم بدورهم لهذه الجلسة الرسمية، التاريخية، ليُشيروا عليه برأيهم، وليَتحملوا معه مسؤولية القرار الذي سيتخذ، لأن الجميع مسؤولون أمام الله، وأمام أمتنا، ثم زاد رحمه الله قائلا، (حسب مابلغنا) ما معناه : إن التصرفات التي تصرفتها الحماية بالمغرب، بعيدة كل البعد، عما التزمت به في معاهدة فاس، الأمر الذي لم يحقق أي تقدم، ولم يلب رغبات الشعب المغربي، فالحماية فشلت في مهمتها، الفشل الذريع، ولذلك أصبح من حق الشعب المغربي، أن يظفر باستقلاله، لقد استدعيتكم باعتباركم أهل الحل والعقد بهذه البلاد، وباعتبار بعضكم، الحكومة الشرعية التي اقتص جناحها، ولم يبق لها أي نفوذ أو تصرف، لقد جردتكم الحماية من كل اختصاصات السلطة، وأصبحتم مجرد صورة صامتة، لا تحصلون على أبسط المعلومات، حول ما يجرى، وما يقرر في غيابكم، إن الظروف الدولية، ومرحلة 1900 ــ 1912 لم تعد هي نفسها اليوم، فالحلفاء الذين حاربنا إلى جانبهم، يبشرون بقدوم عهد الحرية، بالنسبة لكل الشعوب الكبيرة والصغيرة، إن ماضينا العريق، كدولة مستقلة، وواجبنا أمام الله والشعب، يفرضان علينا إعلان إرادتنا الجماعية، في استرجاع المكانة التي نستحقها بين الأمم الإسلامية الحرة) كانت كلمات وتعابير جلالة محمد الخامس، في غاية الوضوح ومنتهى الصدق والصراحة والإخلاص، وكان جميع الحاضرين ينصتون إليها باهتمام، ولربما كان البعض منهم ينصت إليها باستغراب، كان في الحاضرين الصدر الأعظم الحاج محمد المقري ووزير العدل العلامة السيد محمد بن العربي العلوي وباشا مراكش الحاج التهامي الكلاوي *ونقيب

الأشراف العلويين السيد عبد الرحمان بن زيدان، وباشا سلا الحاج محمد الصبيحي ومندوب الصدر الأعظم في التعليم، الحاج أحمد بركاش وغيرهم من رجالات القوم، وانتظر الجميع أن يبادر بالجواب، الصدر الأعظم، باعتباره المسؤول الأول في الحكومة الذي وجه إليه الخطاب، ولكن الصدر الأعظم بقي صامتا، مطأطىء الرأس، فاغتنم فرصة سكوته المصلح الكبير العلامة سيدي محمد بن العربي العلوي، وأخذ الكلمة مخاطبا جلالة الملك بصوت جد متأثر : أشكر اللّهَ ياصاحب الجلالة الذي أمد في عمري، لكي أشارك في هذه المناقشة التاريخية، إنكم تجسدون الاستمرارية التاريخية لهذه الأمة الإسلامية العظيمة، وتجسدون سيادتها وتطلعاتها الأكثر نبلا، وقد اختاركم الله للقيام بهذه الرسالة : رسالة الكرامة، والحق، والعدل، كل الأمة معكم، فقل لنا ما ينبغي علينا أن نفعله ونحن نعتبر أنفسنا منذ اليوم، تحت قيادتكم في طليعة المعركة المجيدةالتي تقومون بها، والله سيساعدكم، لأن قضيتنا وهي قضيتكم ياصاحب الجلالة، عادلة[3].

ولعل الباشا الحاج التهامي الكلاوي تحركت فيه النخوة المغربية، عندما استمع لعرض صاحب الجلالة محمد الخامس وجواب الفقيه ابن العربي، فخاطب صاحب الجلالة قائلا : ياصاحب الجلالة، أنت ملكنا، وقائدنا الأعلى، وسنكون دائما وراءكم) كلام قصير، ولكنه جادّ وحاسم، فما كان أحد ينتظر أن ينطق الكلاوي، بمثل هذا الكلام، وكأن جلالة الملك، كان يريد أن يسبر غور الرجل، ويحاول في الوقت نفسه أن يكسبه لتأييد فكرة الاستقلال، فخاطبه قائلا : (ما تقوله ياالحاج التهامي، يشهد على نبل روحك، فكن بالأحرى بجانبي، لأن مستقبل بلادنا، مستقبلنا جميعا، سيكون من صنع الجميع، كبارا وصغارا)[4].

وهكذا تبين من خلال العرض الذي ابتدأ به الملك حديثه، مع من يمكن أن نسميهم إذ ذاك أهل الحل والعقد، ومن خلال ما صرح به كل من وزير العدل الفقيه ابن العربي، وما أظهره الكلاوي في تصريحه المقتضب، أن جلالة الملك، كان حريصا على أن يظهر المغرب بجميع طبقاته، متضامنا في فكرة المطالبة بالاستقلال، وكان يريد أن يشعر الإقامة العامة، والمسؤولين الفرنسيين في الجزائر إذذاك، أن جميع المغاربة بمن فيهم الكلاوي وأضرابه، متشبثون بالمطالبة بالاستقلال، وأنه هو بدوره متضامن مع شعبه

---

(3) راجع الحديث الصحفي الذي أدلى به المرحوم عبد الرحيم بوعبيد لجريدة «الاتحاد الاشتراكي» الصادرة بتاريخ 11 يناير 1990 العدد 2350.

(4) كل الحوارات التي جرت بين الملك والحاضرين، رويت عن بعض الحاضرين، ولم تصلنا بنصوصها.

في المطالبة بالاستقلال، وأن عهد الحماية، يجب أن ينتهي، ليحل بعده عهد جديد، تنعم فيه بلاده بالحرية والاستقلال.

وهكذا أُشعر المستشار الحكومي الفرنسي، أن مجلس الحكومة الذي انعقد تحت رئاسة جلالة الملك، وبحضور أهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء وأعضاء الأسرة الملكية وكبار المسؤولين في الدولة، قرر الموافقة على ما طالب به حزب الاستقلال في وثيقة التاريخية المؤرخة بـ 11 يناير 1944.

تضاعف الحماس الشعبي وتضامن مختلف طبقات الشعب مع المطالبة

صار الحماس الشعبي يتضاعف، عندما شاعت الأخبار بما راج بين جلالة الملك، والمسؤولين في الحكومة المخزنية، والموقف الصارم الواضح الذي اتخذه جلالته أثناء حواره مع الحاضرين في الاجتماع، وصار بعض المعوقين يدعون بأن المغرب غير مؤهل للاستقلال، لفقدانه للأطر الكفأة التي تسهر على تسيير دواليب الدولة، ولكن الحماس الشعبي الذي أظهره الشعب المغربي في كل الأنحاء والجهات، والذي تجلى أعظم وأحسن مايكون التجلي في الوفود المتلاحقة التي صارت ترد على القصر الملكي لتأييد حزب الاستقلال في وثيقة المطالبة بالاستقلال بعرائض ممهرة من مختلف طبقات الشعب المغربي، أَلْقَمَتْ حَجَراً أولئك المعوقين، من الفرنسيين وأذنابهم، وأصبح من الضروري الأكيد التفكير في الطريقة التي من شأنها أن توصل إلى تحقيق الهدف المنشود، وهكذا بعد أربعة أيام من تقديم وثيقة الاستقلال، تكونت بأمر من جلالة الملك لجنة وزارية متركبة من السادة : وزير العدل الفقيه السيد محمد بن العربي العلوي، ومندوب المعارف السيد ج أحمد بركاش، ورئيس التشريفات الملكية الفقيه محمد معمري الزواوي من أجل المفاوضة مع رجال الحزب، في شأن ما جاء في وثيقة الاستقلال، وإمكانيات التوفيق بين نظرية الحماية، التي كانت تتشبث بإدخال إصلاحات على تسيير الشؤون في المغرب، ونظرية الحزب، والشعب كل من ورائه المتشبث بفكرة الاستقلال.

وانعقد أول اجتماع للجنة المفاوضة مع رجال الحزب يوم 15 يناير 1944 بمنزل الباشا السيد عبد الرحمان بركاش، ثم عقد اجتماع آخر يوم 18 منه، صدر على إثره بلاغ يوضح الموقف.

وفي هذه الأثناء، استقبل المقيم العام «بيو» أعضاء الوفد التفاوضي الذي عينه جلالة الملك، واستمع إلى حديث رئيس الوفد بالخصوص الفقيه ابن العربي العلوي الذي خاطبه بما مضمنه حسب ما بلغنا : (لقد جئنا ياصاحب السعادة، للتعبير لكم عن الرغبة الجماعية للأمة المغربية، في وضع حد لعلاقات الوصاية التي فرضت على المغرب بمعاهدة فاس، إذْ هذه المرحلة قد ولت، ونود أن تسترجع بلادنا كرامتها وحريتها في دائرة تعاون جديد، مبني على الصداقة والاحترام المتبادل[5] ولقد أجاب المقيم مخاطبيه بأن يود أن تقدم له مقترحات عملية، لما يتصوره الحزب، في مطالبته بالاستقلال.

ويظهر أنه لم يقل هذا إلا تسويفاً وربحاً للوقت ريثما ترد إليه التعاليم من رؤسائه في الجزائر، ثم وقعت اتصالات أخرى، أكدت فيها الإقامة العامة أنه لامجال ولا مذاكرة في موضوع تغيير نظام الحماية، وأنها أي الاقامة العامة مستعدة للمناقشة في موضوع إصلاحات سياسية واجتماعية في دائرة الحماية. وأمام هذا التصلّب الذي أظهرته الاقامة العامة في موقفها من قضية «الاستقلال» ورفضها الرفض النهائي المذاكرة فيه، وأمام صمود رجال حزب الاستقلال في موقفهم الثابت من ضرورة تغيير نظام الحماية، وتلبية مطلب الاستقلال، انقطعت المفاوضات أو المذاكرات بين الحزب وبين الإقامة العامة، وصار الجو يتوتر إلى أبعد الحدود، وينذُر بأن رجال الحماية سيدخلون في مرحلة جديدة، إزاء مطلب الاستقلال، وسيتخذون مقررات قاسية لمحو فكرة المطالبة بالاستقلال من الأذهان، كما صرح بذلك المقيم العام الفرنسي نفسه، وهكذا تبيّنَ أنه لابدّ من التأكيد على مطلب الاستقلال، والرَّد على ما صرح به المقيم العام من الاكتفاء بإدخال إصلاحات على نظام الحماية. وهو ما دفع رجال الحزب إلى تحرير مذكرة ثانية إلى جلالة الملك مؤرخة بثامن عشر يناير 1944 الموافق لواحد وعشرين من محرم عام 1363، هذا نصها : الحمد لله وحده. ياصاحب الجلالة.

بعد تقديم مايليق بمقامكم الأسمى، من مراسم الولاء والطاعة والإخلاص لشخصكم الكريم، فإن لجنة المفاوضة التي اجتمعت مع وفد من وزراء جلالتكم الشريفة حرسها الله، يوم السبت 18 محرم، موافق 15 يناير 1944 ثم يوم الثلاثاء 21 محرم، موافق 18 يناير، تتشرف برفع هذه الوثيقة إلى أعتابكم الشريفة، وهي تتضمن ملخص نظرها بعد هذه المفاوضات، لتنظروا فيها نظركم، وتعملوا فيها بما تقتضيه مصالح أمتكم المتشبثة بطاعتكم، التي جعلها الله بالنسبة للإمام العادل، واجباً من أهم الواجبات.

---

(5) أؤكد أن كل الأحاديث التي كانت تجري نرويها بالمعنى حسب ما بلغنا.

وإن مقام الإمامة التي بوّأكم الله مكانتها، بإجماع الأمة على مبايعتكم، يقتضي السعي في مصالح كافة رعاياكم المخلصين.

وقد عبَّروا بالاجماع في هذا الأسبوع التاريخي الجليل، عن تضامنهم مع حزب الاستقلال، بلا شرط ولا قيد، وعلى أنهم مستعدون للدفاع عن مطلبهم الوحيد، الذي يضمن لهم كل خير وكل إصلاح، مطلبهم الوحيد، الذي يضمن لهم كل خير، وكل إصلاح.

هذا وإن برنامج الإصلاحات المهمة التي كانت فيها المذاكرة مع ذلك الوفد من وزراء سيدنا نصره الله، بكل إمعان وتدقيق، فاقتنعنا بأنه لايمكن أي إصلاح جوهري ولا ينجح، مادام مبنيا على أساس اقتسام السيادة بين المغرب وفرنسا، والحجة على ذلك، أن كتلة العمل الوطني، قدمت لجلالتكم، وللحكومة الفرنسية، برنامج الإصلاحات سنة 1934، فلم ينفذ منه شيء، وبقي حبرا على ورق، وبقيت السيادة الفعلية، في يد الفرنسيين، بحيث لا يمكن لأي مغربي كيفما كانت حيثيته، أن يقوم بأدنى عمل، بدون استشارة مراقب فرنسي، وموافقته، بينما يفعل ذلك المراقب كل ما يشاء، بدون أن يتوقف على استشارة أحد، ثم أنه لاضمانة لنا في تطبيق تلك الإصلاحات المقترحة، نعم، نعلم أن لسيدنا الحق في اتخاذ بعض التدابير، إذا لم يف المتعاقدون بما اتفقوا معنا عليه، ولكن ذلك لايتأتى في كل حين، ولا يمكن أن يحصل بواسطته، إلا على بعض الإصلاحات التافهة، هذا بقطع النظر عما ينتج عنه من مشادات بين السلطتين، ومن إخلال بسير الأمور.

وعلى وجه الإجمال، لايمكن أن يقع إصلاح صحيح، إلا على أساس سيادة واحدة في البلاد. ولا يتصور أن تكون تلك السيادة، لغير جلالة الملك، فهو الذي يجب أن يضع القوانين، ويأمر بتنفيذها، وهو الذي يجب أن يقرر الجبايات، ويوزع المداخيل على مختلف المصالح العامة إلخ. وليس معنى هذا، أن المغاربة يريدون مقاطعة الفرنسيين، أو الاستغناء عن مساعدتهم، في كثير من الميادين، بل إن لهم شديد الرغبة في التعاون مع الخبراء والأكفاء منهم، في تنظيم كثير من المصالح الإدارية، والاقتصادية، والعسكرية، كما أن المغاربة لا يجهلون ما للفرنسيين والأجانب من مصالح مشروعة، يجب المحافظة عليها بكيفية قانونية، والتعاون مع الفرنسيين، والاحتفاظ بمصالحهم المشروعة، متيسر في دائرة الاستقلال، ولا يتنافى معه.

أما فيما يرجع لإصلاح البلاد الداخلي، فينبغي الانتباه إلى أنه في دائرة الاستقلال،

أيسر منه في دائرة الحماية، ولو حورت أسسها، فإذا أردنا مثلا تنظيم العدلية المخزنية في البوادي، وراعينا نظام الحماية، لا نستطيع التوفيق بين اختصاص القواد المغاربة، والمراقبين الفرنسيين، ولو تخلى هؤلاء عن أساليب الحكم المباشر.

أما في دائرة السيادة الموحدة، فسهل على سيدنا المؤيد بالله، أن يجمع عماله وقواده الحاليين، ويخط لهم خطة واضحة يتبعونها، في تسيير الأحكام، في دائرة النزاهة والعدل، ويراقب أعمالهم عن كثب، ثم يعاقب عقوبة صارمة، من لا تستقيم حاله، ويرعى ذلك بنفسه الشريفة، نظرا لما يكن له سائر المغاربة من محبة وإجلال.

وفي هذا الطور، طور الانتقال، تهيء الحكومة المغربية، برنامج إصلاح للعدلية. وتشرع في تطبيقه بالتدريج، دون أن يعرقله تنازع السلطة بين المخزن والحماية. هذا مثال نعرضه لنظر سيدنا نصره الله، ليستيقن هو وليتيقن وزراؤه وكبار دولته، أننا لاندعوه إلى تنظيم حكومة المغرب من أول وهلة، على أساس حكومات الدول الغربية الكبيرة، ولكن ندعوه إلى الشروع في نظام يشمل سائر مرافق الحكم، يكون كالطفل صغيرا، ثم ينمو شيئا فشيئا، تحت رعاية سيدنا نصره الله، وبإعانة سائر رجال دولته.

أما فيما يرجع لبعض الإدارات الفنية للدولة المغربية، فمما لاريب فيه، أن المغرب لايزال في حاجة إلى فنيين، وهو لا يرفض التعاون مع من يريد أن يعينه في هذا السبيل، ولكن على أساس السيادة المغربية، لا على أساس سيادتين، وإننا نرى أمما أضعف منا في ميادين الاقتصاد، وأقل منه رقيا، تتمتع بكامل سيادتها، ولا أضمن للعلاقات بين الدول، من روابط تبنى على الحرية والعدل، وعلى مثل هذا الأساس، نعقد أواصر المحبة والثقة.

وفي الختام نجدد لمولانا المنصور بالله، مراسم الطاعة التامة، جاعلين كل اعتمادانا بعد المولى سبحانه، على مساعيه، ومساعي وزرائه الكرام، وكبراء دولته الفخام، أطال الله حياته للأمة، حتى تتمتع تحت لوائه بكامل حريتها، وحفظه الله في شبله الكريم، ولي عهده مولانا الحسن، وفي كافة أنجاله، والسلام.

وحرر بالرباط بتاريخ 21 محرم عام 1363
موافق 18 يناير 1944

المقيم العام يخاطب جلالة الملك :
هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟

ومن جهة أخرى بقي المقيم العام الفرنسي «كابريال بيو» يوالي اتصالاته مع جلالة الملك لعله يستطيع أن يغير من موقفه المساند والمؤيد لفكرة الاستقلال، وصار ينتقل من لهجة الحوار إلى لهجة الضغط. وهكذا في بعض اللقاءات خاطبه قائلا : هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟ ظاناً أنه سيوقعه بهذا السؤال في مأزق، ولكن جلالة الملك أجابه في الحين بما معناه : أنا لست عدواً لفرنسا، ولكني مع شعبي. جواب في منتهى الحكمة والرزانة والثبات. بقي «بيو» أمامه مندهشاً، لأنه لم يفتح الباب أمامه ليضيق الخناق على محمد الخامس ويسقطه منهزماً أمامه، إذا ما صار معه في نفس الخطة التهديدية المغلقة التي أراد أن يصل بها إلى مبتغاه من إبعاد محمد الخامس عن معركة الاستقلال، واستشعر محمد الخامس رحمه الله ما كان يهدف إليه «بيو» فصاغ جوابه الحكيم بالطريقة التي أقحمت المقيم وردته خاسراً خائباً، ولكنّ «بيو» بقي متشبثاً كل التشبث برفض الحوار حول الاستقلال، وعاود اتصالاته برؤسائه في الجزائر، طالباً منهم تدعيمه في رفض الحوار حول الاستقلال، وهكذا قرر الجنرال دوكول إيفاد شخصية فرنسية كبيرة إلى الرباط لتعبر وتؤكد لجلالة الملك موقف فرنسا الحرة من قضية الاستقلال.

كانت هذه الشخصية هي وزير خارجية فرنسا «روني ماسيكلي» (René Massigli) لقد استقبل جلالة الملك الوزير ماسيكلي بمجرد وصوله بحضور المقيم العام «بيو» وبعض الوزراء المغاربة، وأثناء حديثه معه، أكد ماسيكلي، أن فرنسا التي يمثلها الجنرال دوكول، لاتقبل أن تغير علاقاتها مع المغرب، وأن كل تفاوض أو حوار، يجب أن يكون في نطاق الحماية، وزاد فقال : إن فرنسا بمقتضى عقد الحماية، تملك وحدها إدخال الاصلاحات الضرورية التي تتطلبها مصلحة المغرب، دون أن تفرض هذه الإصلاحات من أية جهة.

وهكذا اتضح أن سياسة دوكول في ذلك الظرف لاتختلف عن سياسة سابقيه في الحفاظ على المستعمرات التي تقع تحت نفوذ فرنسا قبل الحرب، ومنها المغرب بالطبع، ولقد تأكد هذا في البيان الصادر من مؤتمر برازافيل الذي انعقد بعد يومين من استقبال الملك لما سيغلى والذي ترأسه الجنرال دوكول نفسه، فلقد جاء في هذا البيان : (إن الغايات المستهدفة من العمل الحضاري الذي تنجزه فرنسا في الأقطار التابعة لها، تستبعد

كل تفكير في استقلال هذه الأقطار، وكل إمكانية لتطويرها خارج نطاق التبعية لفرنسا، وكل احتمال أو توقع، لأن تحكم نفسها بنفسها، ولو في أجل بعيد) وأشير هنا إلى أن الذي مثّل المغرب في هذا المؤتمر : المستعمر الحقود الذي كان على رأس إدارة الداخلية «فالا» (Vallat) والمراقب المدني «بيرك» (Berque)، كما أشير إلى أن الزعيم المرحوم علال الفاسي الذي كان منفيا إذ ذاك في الكابون، كانت له اتصالات ومذكرات من منفاه لدى انعقاد مؤتمر برازافيل.

لقد اتضحت المواقف، موقف حزب الاستقلال بالمذكرة الثانية التي رفعها لجلالة الملك والمؤرخة بـ 18 يناير 1944، وموقف فرنسا الذي تأكد بمجيء ماسيكلي، وبيان برازافيل، وجاء وقت الحسم من طرف الإقامة العامة لتشنّ الحرب على المغرب وعلى فكرة الاستقلال، وهكذا وزعت الإقامة مناشير مزورة تدعي فيها أن محمداً الخامس تراجع عن مطلب الاستقلال، وبقي متشبثا بالحماية الفرنسية، لتجعل بعض الطبقات الشعبية تعتقد أن حزب الاستقلال بقي وحده في مطلب الاستقلال، وأن الملك نفض يده من هذا المطلب، وهكذا تستطيع أن تعزل الحزب عن الشعب لتدخل في مرحلة الانتقام.

لقد كنا نتابع الأحداث ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة ولم يكن يخفى علينا ما تبيته الاقامة العامة الفرنسية لنا، وكان جلالة الملك رحمه الله يتتبع بدوره الأحداث، ويبلغ قادة الحزب كل ما يصله من المعلومات التي تتعلق بما يحيكه الاستعماريون لنا، وأحياناً يقترح بعض الاقتراحات لمجابهة ماتدبره الاقامة العامة من شرّ، وما تهيء له من عنف إن اقتضى الحال، وفي هذا النطاق كان يصدر الحزب بعض البيانات ويدلي رؤساؤه ببعض التصريحات لإلقام الادارة الفرنسية حجراً، وإبعاد ماتود أن تحيكه من مؤامرات، وجاء يوم 29 يناير 1944 لتخرج تآمرها من حيز التفكير إلى حيز التطبيق.

المقيم العام «بيو» يؤكد لجلالة الملك رفض فرنسا لفكرة الاستقلال

بقيت الاقامة العامة كما ذكرنا في مواقفها الرافضة للاستقلال، وزاد تصلبها بعدما اتصلت برؤسائها في الجزائر، ثم طلب المقيم العام «كابريال بيو» مقابلة مع جلالة الملك، أكد له فيها، أن اللجنة الوطنية الفرنسية للتحرير، لا تقبل بدورها أي تنازل عن الحماية،

ولاتقبل إجراء أية مناقشات، في تغيير الأوضاع بالمغرب، وأن الإصلاحات التي ترى الحماية إدخالها على تسيير البلاد، ستدرسها وتقدمها هي لجلالة الملك، ليصادق عليها.

مجلس الوزراء يعقد جلسة برئاسة جلالة الملك

وإثر ذلك، قرر جلالة الملك، عقد اجتماع آخر مع الهيأة الوزارية، ومن معها من رجال الحل والعقد، الذين حضروا في الاجتماع السابق، وبلغهم ماتلقاه من المقيم العام، طالبا منهم أن يناقشوه، ويمعنوا النظر فيه، وأنه سيستدعيهم لاجتماع آخر لإتمام المذاكرة.

الباشا الكلاوي يتراجع عن موقفه السابق

وفي الاجتماع التالي الذي انعقد بدار المخزن، صارت تبرز العجائب للعيان، وصار بعض الذين كانوا متحمسين في الجلسة الأولى، وفي طليعتهم الباشا التهامي الكلاوي، يقلبون ظهر المجن، وينْقَادون الإنقياد الأعمى لموقف الإقامة العامة.

لقد كان الباشا الكلاوي خاطب جلالة الملك، بأن الرأي ما يراه جلالته، وأنه طوع أمره، فيما يريد ويختار، فصار في هذه الجلسة الأخيرة، هو المعبر الأمين عما تراه الإقامة العامة، ولقد علمنا من مصادر موثوقة أنه كان يظن أثناء الاجتماع الأول مع جلالة الملك، أن من وراء مطالبة حزب الاستقلال بالاستقلال، قوة أجنبية مساندة، أو بالأحرى دافعة، (ويعني أمريكا)، فلما تبين له أن الأمر غير ما يعتقد، وأن القوة الدافعة الحقيقية لحزب الاستقلال، هي إخلاصه لبلاده، وعمله على تحريرها من قبضة الاستعمار، وأنه أخذ على نفسه القيام بواجبه، رغم ظروف الحرب، وإن اقتضى منه الواجب، بذل التضحيات الضرورية، لتحقيق ما يطمح إليه الشعب المغربي من حرية وانعتاق، وإذا كان الكلاوي وأضرابه أمثال المقري، تنكروا لبلادهم وحريتها وانعتاقها، فإن فكرة الاستقلال آمن بها الشعب المغربي، وانفتحت أمامه الطريق، للسير في طريق تحقيق الاستقلال، الذي تحقق والحمد لله، بعد مرور إحدى عشرة سنة من تقديم وثيقة

الاستقلال، وصدقت قولة الشاعر الشابي الذي قال :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بُد أن يستجيب القدر

لأنَّ إرادة الشعب من إرادة الله.

وقول الشاعر المصري :

إن لم يجمعْنا الاستقلال ففي الفردوس تلاقينا



محمد الخامس يستقبل غداة الاستقلال أعضاء من حزب الاستقلال ويظهر في الصورة : الزعيم علال الفاسي ومحمد اليزيدي وأبو بكر القادري والمهدي بن بركة وعبد الكبير الفاسي ومحمد المدور.

الاسبوع الخالد

لقد كانت الأحداث تتوالى بشكل سريع، فلقد تحمس الشعب حماسا منقطع النظير. إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وصارت العرائض التأييدية، تتوالى على القصر الملكي، من جميع الأنحاء المغربية، حتى أصبحت الطرقات إلى القصر غاصة بالحافلات والسيارات، المملوءة بالوفود التي أتت من شرق البلاد وغربها، وشمالها وجنوبها، وبقيت حركة التأييد الواسعة، مدة أسبوع كامل، من حقنا أن نطلق عليه : (الأسبوع الخالد) الأمر الذي أخاف الاستعماريين، فلم يطيقوا رؤية ذلك، وصاروا يمنعون الناس من المجيء إلى القصر، وتطورت الأحداث في شكل مريع، أدى إلى استفحال الأزمة، واعتقال الأحرار، واضطهاد الشعب بأجمعه، مما سأعرض له بتفصيل بحول الله.

نصوص بعض العرائض التأييدية

لكي أعطي القارىء الكريم، صورة ولو مصغرة، عن بعض العرائض التأييدية، أثبت أصول ثلاثة نصوص من مآت العرائض التي قدمت، ونص رابع تقدمت به الحركة القومية، بالإضافة إلى عريضة حزب الإصلاح الوطني بالشمال التي تأخر وصولها لظروف الحرب التي كانت خانقة و لم يكن من المتيسر مجيء وفد من المنطقة الشمالية لإعلان التضامن مع حزب الاستقلال في مطلب الاستقلال والوحدة والحكم النيابي.

أولاً : عريضة أشراف سلا

إلى صاحب الجلالة ملك المغرب المفدى، سيدي محمد بن يوسف، أيد الله نصره وخلد في الصالحات ذكره، ياصاحب الجلالة. يتقدم إلى سدتكم العلية، بكل احترام وإجلال، أشراف (سلا) بهذه العريضة المشتملة على توقيعاتهم، معلنين تضامنهم التام، مع حزب الاستقلال، فيما رفعه رجاله المقدامون إلى جلالتكم، من المطالب، بتاريخ رابع عشر محرم، الرامية إلى رفع منار البلاد، وانتشالها من براثين الاستعمار الغاشم، وكلهم واثقون تمام الثقة، من نصرتكم لهذه الحركة المباركة، شأن جلالتكم في كل

ما يرجع لخير الأمة المغربية وصالحها، ونشفع هذا التضامن بولائنا وإخلاصنا الكامل لجلالتكم، وتفانينا في خدمة عرشنا المفدى، الذي نعتز به، ونعول عليه بعد الله، في إنقاذ وطننا العزيز، حقق الله الآمال، وسدد خطاكم، وحرسكم بعنايته الكريمة، وعلى كامل الطاعة والولاء، حرر بسلا يوم الاثنين 20 محرم الحرام 1363 موافق 17 يناير 1944.

ثانيا : عريضة تجار سلا

ياصاحب الجلالة.

إن الشعب المغربي يعلق على جلالتكم كل الآمال، لتحقيق رغباته الشرعية، التي يتوقف عليها مستقبل البلاد.

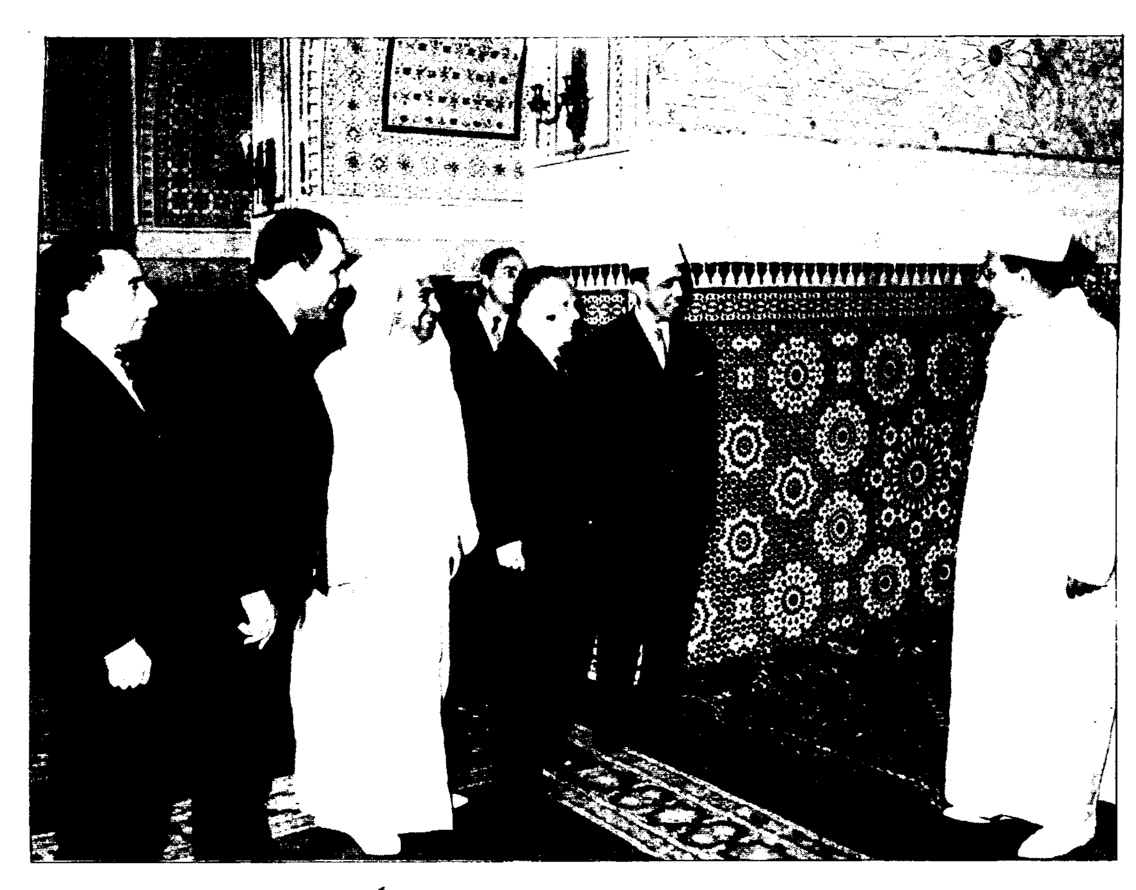
وإن تجار «سلا» وأعيانها، يتقدمون لجلالتكم الكريمة اليوم، ليعلنوا تضامنهم التام مع حزب الاستقلال، ويوافقون تمام الموافقة على ما جاء في الوثيقة التي رفعت لسدتكم العلية، بتاريخ 14 محرم الحرام، المحتوية مطالب تضمن حقوق الشعب، ومستقبل الأمة، ويقدمون لجلالتكم بهذه المناسبة، دلائل الطاعة، والخضوع لأوامركم ونواهيكم، حقق الله الآمال، وحفظكم بعين رعايته، حتى تتحقق آمال الشعب المغربي على يدكم، ويبلغ أمانيه، تحت ظل عرشكم المنيف. فليحفظ الله جلالة الملك، وليكلأه بعين رعايته، وليحفظه في أنجاله الكرام، وليدم العرش المغربي الخالد، وعلى تمام الطاعة والولاء والسلام.

حرر (بسلا) يوم الإثنين 20 محرم الحرام 1363
موافق 17 يناير سنة 1944.

ثالثا : عريضة الدار البيضاء

حضرة صاحب الجلالة، ملك المغرب المعظم سيدي محمد بن السلطان المقدس مولانا يوسف، أدام الله عزه وعلاه،

أما بعد، فإن الموقعين أسفله، أعيان الدار البيضاء من شرفاء وتجار وفلاحين وأعضاء المجلس البلدي، والغرفة التجارية الصناعية، يعلنون إلى سدتكم المولوية، ولاءهم وإخلاصهم، مؤيدين وثيقة الاستقلال، التي رفعها إلى جلالتكم الشريفة، حزب الاستقلال، مؤمنين إيمانا قويا، بأن جلالتكم، لن تألوا جهدا في تحرير المغرب من ربقة



لدى استقبال جلالة الملك محمد الخامس وفداً عن الحزب
بمناسبة أحد الأعياد في عهد الاستقلال

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

عريضة الحركة القومية لتأييد
وثيقة المطالبة بالاستقلال

الاستعباد، والنهوض به إلى المستوى اللائق به وبتاريخه المجيد، نهضة شاملة، يعم فضلها جميع رعاياكم المخلصين. أبقاكم المولى. ذخرا لهذه البلاد وحفظكم في أشبالكم الغر الميامين، وعلى خالص الطاعة والمحبة والامتثال، في 20 محرم الحرام فاتح عام 1363.
تم التوقيعات

رابعا : عريضة الحركة القومية

عريضة الحركة القومية للتضامن مع وثيقة المطالبة بالاستقلال»

إن الحركة القومية التي تعمل لتحقيق الوحدة المغربية، والتي تضم صوتها إلى حزب الاستقلال، نظرا لما يتمتع به المغرب منذ أقدم عصوره من الاستقلال الذاتي، والسيادة الوطنية، ونظرا لأن الحماية التي فرضت على المغرب، لم تقم بمهمتها التمدينية، بل تعدتها إلى الحكم المباشر.

ونظرا لأن ميثاق الاطلانتيك، يقرر مبدأ حق الشعوب الضعيفة في تحقيق مصيرها، والتمتع بسيادتها القومية، ونظرا إلى مبدأ الحريات الأربع، التي قررتها الدول الديمقراطية، تطالب بما يأتي :

فيما يرجع للسياسة العامة :

1) أن تطالب باستقلال المغرب، ووحدة ترابه، تحت ظل صاحب الجلالة، ملك البلاد المفدى، سيدي محمد بن مولانا يوسف، أبدا الله ملكه وأيده

2) أن تلتمس من جلالته، السعي لدى الدول التي يهمها الأمر، للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانته، وبوضع اتفاقيات، تحدد ضمن السيادة المغربية، ما للأجانب من مصالح مشروعة.

3) أن تطلب انضام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الاطلانتيك، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

فيما يرجع للسياسة الداخلية :

4) أن تلتمس من جلالته أن يشمل برعايته، حركة الاصلاح التي يتوقف عليها المغرب في داخله، ويكل لنظره السديد إحداث نظام سياسي، شوري، شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الاسلامية بالشرق، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي، وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع، ثم التوقيعات، وهي 1) عبد الهادي الشرايبي

2) عمر بن محمد العراقي 3) علي العراقي 4) عبد القادر بن شقرون 5) محمد بردلة 6) محمد بن الغالي الكتاني 7) حماد العراقي 8) عبد الهادي بن المامون العراقي 9) إدريس بن الماحي الإدريسي 10) عبد العزيز بوطالب 11) الحاج عبد القادر العلج 12) محمد بوطالب 13) محمد بن المكي بن زاكور 14) محمد الصميلي 15) محمد بن عبد الله 16) العابد الخرشفي 17) عبد الرحمان بن محمد الوزاني 18) الحبيب بن عمور 19) إدريس بن محمد الوزاني 20) محمد بن عبد السلام المنوني 21) محمد الطاهري 22) محمد بن عبد الهادي المنوني 23) إبراهيم الهلالي 24) محمد بن أحمد برادة 25) عبد القادر بن جعفر العلوي 26) العلوي بن محمد الزهراوي.

ولقد حررت الحركة القومية، رسالة تقديم إلى جلالة الملك هذا نصها :

(وبعد، فإن الحركة القومية، وهي الهيأة العاملة دائما في سبيل البلاد، والمجاهدة تحت ظل عرشكم العلوي الخالد، والتي برهنت دائما على تضحيتها وإخلاصهما للعرش والمغرب، والتي عملت كل ما في وسعها في سبيل القضية المغربية، والمحافظة على الوحدة، ترفع لجنابكم، هاته المذكرة، مطالبة باستقلال البلاد وتحريرها، تحت ظل عرشكم المفدى، وكلمتكم السامية، ضامة صوتها إلى صوت حزب الاستقلال، وراجية من جلالتكم العمل على تحقيق أمل الأمة المغربية، وتبليغ رجائها، وإنقاذها من هوة الظلم والاستبداد).

* * *

في منزل الأمين العام للحزب

وأسجل هنا أن وفد حزب الشورى والاستقلال، تحت رئاسة المرحوم عبد الهادي الشرايبي، زارنا بمنزل الأمين العام لحزب الاستقلال، الأستاذ أحمد بلافريج يوم 13 يناير 1944 وهو اليوم الذي قدموا فيه وثيقتهم التأبيدية لعريضة حادي عشر يناير 1944، فتبادلنا معهم أحاديث أخوية، وأعطاهم الأمين العام معلومات عن سير المذاكرة التي تجريها لجنة المفاوضة مع كل من رجال الحزب، والإقامة العامة، حسبما شرحنا ذلك سابقا، وكنا جد مسرورين لالتئام الجمع، رغم تأخره، والسير بخطى موحدة في معركة الاستقلال، ولا أود أن أناقش ما جاء في مذكرة المرحوم الوزاني حول هذا الموضوع، رغم ما لدي على بعضها من اعتراضات، فالغاية التي كنا نسعى إليها تحققت بوحدة الشعب المغربي في مطالبته بالاستقلال والانعتاق، والحمد لله على ذلك.

وقبل أن أقفل الباب في موضوع الحركات الشعبية، المؤيدة لوثيقة حادي عشر يناير 1944، والتي تقدم بها حزب الاستقلال، مطالبا بالاستقلال، والتحرر من الحماية المفروضة عليه، أشير إلى أن المرحوم السيد محمد بن الحسن الوزاني، لاحظ في مذكراته على بعض نقط المطالب الواردة في الوثيقة المذكورة، أربع ملاحظات :

أولها :(إن المطالبة بالاستقلال، معناه التماسُهُ من الغير، مع أنه حق طبيعي ومقدس لا يحتاج إلى أن يطالب به).

ثانيتها : (التماس السعي من الملك لدى الدولة للاعتراف بالاستقلال، وضمانه، فيه إحراج للملك)

ثالثتها : (طلب انضمام المغرب لدول الميثاق الأطلنتيكي والمشاركة في مؤتمر الصلح) يعتبر ضربا من العبث.

رابعتها : رعاية حركة الإصلاح من الملك، أمر متعذر.

والذي أريد أن أتساءل فيه، هو أن الأمر إذا كان كما فهم المرحوم الوزاني. فيما يتعلق بهذه الملاحظات الأربع، فلماذا تبنى أعضاء الحركة القومية في مذكرتهم التأييدية، كل هذه الأفكار، والتعابير الواردة في وثيقة 11 يناير، وأثبتوها بنصها في مذكرتهم المقدمة بتاريخ 13 يناير ؟ فمذكرة الحركة القومية تطالب باستقلال المغرب، مع أنه حق طبيعي في نظر الوزاني لايليق أن يطلب، وهي تلتمس من جلالة الملك السعي للاعتراف بالاستقلال، وهي أيضا تطلب انضمام المغرب لدول الميثاق الأطلسي، والمشاركة في مؤتمر الصلح، مع أنه يعتبر ضربا من العبث حسبما قال، وهي في الأخير تطلب من الملك رعاية حركة الإصلاح، مع أنه أمر متعذر.

لو لاحظ المرحوم الوزاني على الحركة القومية، انسياقها مع ماجاء في عريضة 11 يناير، لقلنا إن اجتهاده، جعله يلاحظ على الأفكار التي وردت في المذكرتين، ويخطئهمامعا،أما أن يلاحظ على واحدة، ويسكت عن الأخرى، مع أنها أتت تقريبا بنفس التعابير، فلم أوفق إلى فهمه، ولابد أن أشير إلى أن رجال الحركة القومية عندما قرروا التضامن في طلب الاستقلال، لم يلزمهم أحد أن يأخذوا نفس التعابير، أو نفس الأفكار، حيث إن المهم هو التضامن في مطلب الاستقلال.

خامسا : كان لابد من انضمام الحركة الوطنية في المنطقة الخليفية، إلى أختها في المنطقة السلطانية، للمطالبة بالاستقلال التام، والتحرر الكامل من ربقة الاستعمار

الفرنسي والاسباني والدولي، ولكن ماهو السبيل لتحقيق ذلك ؟ لقد كانت ظروف الحرب، مانعة كل اتصال بين الوطنيين في الجنوب، والوطنيين في الشمال، وكان متعذرا كل التعذر، الاتصال بإخواننا أعضاء حزب الاصلاح الوطني، لمطالبتهم بإعلان تضامنهم مع وثيقة المطالبة بالاستقلال المؤرخة بحادي عشر يناير 1944 مثل ما وقع في مختلف المناطق المغربية في المنطقة السلطانية، فرغما من أننا كنا نتتبع، ولو من بعيد، التحركات التي قامت بها الحركة الوطنية في الشمال خلال ظروف الحرب، خصوصا عندما تأسست الجبهة الوطنية بين حزب الاصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية، لمواجهة الاستعمار الاسباني، الذي لعب فيه المقيم العام الاسباني «بيكبيدر» دورا خطيرا، في تفتيت القوى الوطنية في الشمال، فإنا لم نتمكن من مطالبتهم بإعلان تضامنهم. لقد كنا على علم بأن القوى الوطنية، وضعت مجتمعة ميثاقا وطنيا، حددت فيه الأهداف التي يجب أن يعمل لها كل الوطنيين على اختلاف ميولاتهم ونشأ عن ذلك، تأسيس الجبهة القومية التي قدمت مذكرة هامة في 14 فبراير 1943 إلى الدول الغربية، بواسطة قناصلها في طنجة، والتي سنتحدث عنها فيما بعد، لأنها قدمت بطريقة سرية، ولم يعلن عنها إلاّ بعد ذلك بمدة، ولكننا كما قلت لم نطالبهم بالتأييد والتضامن معنا، أما الآن فالذي أريد أن أثبته هنا أن إخواننا في حزب الإصلاح الوطني، بمجرد ما بلغهم خبر تقديمنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وإيجادهم الفرصة لإعلان تضامنهم معنا، قرروا رفع مذكرة تأييدية لجلالة الملك المنعم محمد الخامس، كانت البرهان الساطع على أن المغرب بجنوبه وشماله، لايرضى بغير الاستقلال والوحدة بديلا وهنا أدع الكلام للمرحوم الطيب بنونة، يحكي لنا كيف وصلهم خبر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكيف قرروا تأييدها، ومن هم الذين وقعوا عليها.

قال الطيب بنونة[6] ان الشيخ مولاي العربي العلوي، كان قد زار تطوان، في أوائل سنة 1944، مكلفا من قبل جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، لتصفية إرث السلطان مولاي عبد العزيز مع الخليفة السلطاني، الأمير مولاي الحسن بن المهدي، الذي كان خاطبا لكريمة السلطان مولاي عبد العزيز، واتصل بنا، وأخبرنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال التي قدمها الوطنيون في الجنوب، وعلى إثر ذلك، اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب الاصلاح، وقررت إرسال عريضة إلى السلطان، تؤيد فيها حزب الاستقلال، ولم تعمل على جمع التوقيعات، لتجنب عرقلة الفكرة، من جانب سلطات الحماية

(6) انظر ملحق جريدة «العلم» الصادر في 11 يناير 1969.

الاسبانية، وهذا نص العريضة التي كانت مكتوبة بخط الطيب بنونة نفسه وموقعة من طرف الاخوة : عبد الخالق الطريس، التهامي الوزاني (التطواني) أحمد غيلان، محمد الطنجي، محمد طنانة، محمد افيلال، الحاج محمد الشرتي، الحاج محمد الصفار، الطيب بنونة.

والعريضة مؤرخة برابع ربيع الأول 1363 الموافق 29 فبراير 1944 أي أنها قدمت أو بالأحرى حررت بعد مضي نحو الخمسين يوما من تقديمنا لوثيقة حادي عشر يناير 1944.

وثيقة حزب الإصلاح الوطني في الشمال لتأييد عريضة الاستقلال سنة 1944

بسم الله الرحمان الرحيم الله أكبر

جلالة مولانا السلطان المعظم سيدي محمد بن يوسف أدام الله نصره وتأييده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فإن هيأة حزب الإصلاح الوطني — بصفتها الهيأة الوحيدة التي أحرزت على ثقة الشعب الغالية، في هذه المنطقة الشمالية من المغرب، والتي تعتمد قوتها على سمو المبادىء، وطهارة النفوس، والاخلاص لله، وللوطن، وللعرش المغربي المفدى بالمهج والأرواح، تتشرف برفع هذه العريضة إلى سدتكم العالية بالله، وهي تسأل الله تعالى، باسطة يد الضراعة أن يحفظكم ذخرا لهذه الأمة، حتى تحققوا ما نصبو إليه من حرية، واستقلال، ووحدة كاملة، لجميع التراب المغربي، فنحظى بالمثول بين يدي مولانا لنعبر له عن عميق شكرنا، وصادق محبتنا، ونجدد الولاء، ونؤكد عهدنا لله ولرسوله، ولسيدنا الامام، راعي حمى المغرب الأقصى، على الوفاء والاخلاص، والتضحية بالنفس والنفيس، في سبيل الاسلام، والعروبة، والمغرب.

مولانا

لقد اطلعنا على القرارات السامية، التي رفعتها إلى جلالتكم تلك النخبة الطاهرة من المغاربة الاقحاح، والوطنيين المجاهدين الأبرار، هيأة حزب الاستقلال المغربي، وانها لقررات عظيمة في تاريخ المغرب المجيد، وانها لقرارات الحق والعدل والانصاف، وانها

لمطالب الأمة بأكملها، والشعب بأجمعه، لا يعارضها ولا يخرج عنها، إلا من نزع الله من قلبه الايمان، وأودع فيه الكفر، والشقاق، والخيانة والنفاق، وان حزب الاستقلال إذ يرفع الصوت اليوم، ويرسلها صرخة داوية في آفاق، فإنما يرفع بذلك اسم المغرب عاليا بين الأمم الحية، والشعوب اليقظة، ويثبت للعالم أن المغاربة أحرار، لايرضون بالذل والاستعباد، ولا يصبرون على الضيم، ولا يستكينون، ولا يستسلمون لقوة الحديد والنار، وهم بعزائمهم الاسلامية وشهامتهم المغربية يذودون عن الحمى حتى يعيدوا للمغرب عزته ويسترجعون للدولة المغربية قوتها وسيادتها، ويصونوا العرش المغربي المجيد، والعائلة المالكة المحبوبة من عدوان الأجانب المسيطرين، وغطرسة الدخلاء الممقوتين، وان أمنية الأمة ورغبتها التي عبر عنها حزب الاستقلال خير تعبير، ومثلها أصدق تمثيل، هذا وقت عرضها على الخاص والعام، وتبليغها بالخصوص لمن بيدهم مقاليد الأمور، لتسجيل القضية المغربية في لائحة القضايا التي يجب درسها على مائدة مؤتمر الصلح، وليعلم العالم أجمع أن الشعب المغربي، من الشعوب التي كافحت، وتكافح حكومة وشعبا ضد الاستعباد والاستعمار، وإن الشعب المغربي، يطالب بنصيبه في السيادة، والحكم الذاتي، وبحقه في الحرية والمساواة، فالمغاربة لم يقبلوا في يوم من الأيام أية سيطرة أجنبية على بلادهم من أي نوع كانت، وهم يغتنمون هذه الفرصة، للتحرر من قيود الاستعمار، والعمل على توحيد البلاد المغربية، وضم أجزائها إلى بعضها، تحت النفود الموحد، لجلالة السلطان وان الحلفاء الذين صرحوا غير ما مرة، بأنهم يحاربون من أجل تحرير الشعوب يجب أن يعلموا ان المغاربة غير راضين عن الاستعمارين الافرانسي، والاسباني، وانهم من تلك الشعوب المستعبدة، التي أهينت كرامتها وهو جمت في دينها، وعوائدها ومعتقداتها، واغتصبت منابع ثروتها، مع أنهم جديرون بما لهم من ماض مجيد، وعقلية وقادة، ومركز جغرافي ممتاز، ومقدرة على المساهمة في الحضارة البشرية الكبرى ان يعيشوا أحرارا في بلادهم مستقلين في شؤونهم.

مولانا

إننا نغتنم هذه الفرصة لنضم صوتنا إلى حزب الاستقلال نؤازره ونؤيده في المطالبة العادلة، معبرين بذلك عن شعور شعبكم الوفي في هذه المنطقة من المغرب، ومؤكدين لجلالتكم أن مبادئنا وإحساسنا في هذه الديار هي عين المبادىء المغربية الخالصة، والاحساسات الوطنية الصرفة، فما يؤلم الأمة هناك، يؤلمنا هنا، وما يبهجها هناك يبهجنا هنا.

وإننا لا نعتبر أنفسنا إلا جزءا متمما للمغرب العظيم الجبار وعظمة المغرب في صحرائه، وريفه، في جباله، وسهوله، في أنهاره وشواطئه، في رجاله الأشداء، وعقول أبنائه الأقوياء.

وإذا كان إخواننا في الجنوب، يشكون من الجور الفرنسي، فإننا في شماله، نشكو من أمرين نشكو من الاستعمار الاسباني الممقوت، ونشكو من فصلنا عن الوطن الأكبر كما يفصل العضو من الجسم الحي الكامل، فلا العضو يقوم بمهمته ووظيفته، ولا الجسم يبقى سالما من العطب والتشويه، وإن فداحة مصيبتنا وجسامة خطبنا، أعظم من أن توصف فالفقر، والجهل، والظلم، والعداء الديني والأحقاد السلالية التاريخية، كلها معاول تحطم في جسم الشعب البئيس، وتهدد معالمنا بالزوال والخراب، وتندرنا بقبح المصير، وسوء المآل.

مولانا

لقد كانت البشرى عظيمة، وكان الفرح يملأ المهج والقلوب، عندما علمنا أن جلالتكم حفظكم الله ذخرا للاسلام، وللمغاربة، كنتم خير من شجع فكرة التحرر، والدعوة إلى الاستقلال، بما أظهرتموه من عطف تام على القضية المقدسة وإخلاص مولوي للشعب المغربي الكريم، وللوطن المغربي العزيز فتزعمتم الحركة الاستقلالية المباركة، بارك الله في زعامتكم، وأظهرتم من البطولة، والتضحية، ما رفع عرشكم فوق العروش، وبرهنتم للعالم أجمع، على سمو محتدكم، وعلى أنكم من أرومة كريمة طيبة، وأنكم من تلك السلالة التي جاهدت قرونا طوالا، في نشر تعاليم النبي الكريم، ورفع ألويته بين الأنام، وكافحت في الدفاع عن بيضة الدين الحنيف، وصيانة حرمة العروبة والاسلام، وان وجود جلالتكم ملكا على هذه البلاد، لهو الضمانة لمستقبلنا الزاهر، وهو البشرى من الله بزوال الاستعمار وانهيار صروحه القائمة على أساس من الجور والطغيان.

يا صاحب الجلالة — إن آمال الشعب المغربي كلها معلقة على جهودكم ومساعيكم الديبلوماسية، في سبيل تحرير المغرب، وأن مصير الأمة، ومستقبل الوطن في يدكم، فتظافر المغاربة حكومة وشعبا، ووقوفهم على قلب رجل واحد، في وجه العدوان، هو الطريق الأوحد، والسبيل الأقوم، لوصولنا لساحل النجاة ظافرين منتصرين، ونحن يامولانا من هنا من شمال المغرب، بالنيابة عن باديته وحاضرته، وشرفائه، وعلمائه، وزراعه، وتجاره، وصناعه، وملاكه، نستغيثكم باسم الاسلام، ونرجوكم بحق النبي الأعظم، أن يكون

دفاعكم عن المغرب دفاعا عن وحدته لجميع مناطقه وحدوده، وأن يكون استنكاركم لاستعماره، استنكارا عاما، لا فرق فيه بين فرنسي وإسباني، لعل الله يجعل الفرج على يدكم ﴿وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

وختاماً نؤكد لمولانا، أننا جنود أوفياء في خدمة الاسلام والمغرب وأننا خدام مطيعون لملكنا المحبوب، وسلطاننا المعظم، أدام الله نصرته وعزته، وأعز به المسلمين، وأيد به الدين، وأطال حياة أنجاله الكرام آمين.

تطوان، حرر 4 / ربيع الأول / 1363
الموافق لـ : 1944/2/29
الامضاءات : عبد الخالق الطريس، التهامي الوزاني
أحمد غيلان، محمد الطنجي، محمد طنانة، محمد أفيلال،
الحاج محمد الشرقي، الحاج محمد الصفار، الطيب بنونة.

موقف الحزب الشيوعي في المغرب من طلبنا الاستقلال

لا يخفى أن السلطات الاستعمارية الفرنسية سمحت للفرنسيين الموجودين بالمغرب بتحركات سياسية للدفاع عن مصالحهم وفي هذا المجال سمحت بتأسيس حزب سياسي شيوعي تابع في الواقع للحزب الشيوعي بفرنسا.

ولقد انخرط في هذا الحزب بعض المواطنين المغاربة، وكان لهذا الحزب بعض النشاط السياسي والصحفي، فكانت له جريدة تسمى بالمساواة (Egalité) وكان يديرها المحامي المشهور «ليون سلطان، واسسوا جريدة أخرى أسموها (الحرية) وجريدة أخرى اسمها (L'éberation) وأخرى اسمها (L'action Syndicale) وأخرى اسمها (Espoir) كل هذا في الوقت الذي لم يسمح لنا فيه باصدار أية جريدة كيفما كان نوعها، باستثناء جريدة «المغرب» التي كانت تراقب مرافقة شديدة وجرائد أخرى أسبوعية.

لقد كان من المنتظر من هؤلاء الشيوعيين الذين كانوا يتغنون بالحرية والمساواة أن يكونوا مع الشعب المغربي الذي طالب بالاستقلال والحرية متجاوباً مع ملكه الهمام الذي أيد مطلب الاستقلال، وكافح في سبيله ولكنهم سواء في صحافتهم أو في غيرها ردوا علينا باللائمة والعتاب والاستنكار عندما طالبنا بالاستقلال بل اتهمتنا بعض

صحفهم ومنها صحيفة (L'Ebération) بزرع القلاقل والعمل ضد طموحات الشعب وضد الديموقراطية[7] ولقد كتب ميشيل مازيلا في جريدة (Espoir) بتاريخ 5 غشت 1945 مقالا جاء فيه : (هل استطاع شعار (الاستقلال أولاً) أن يحقق بعض الرفاهية لسكان هذا البلد ؟ هل جعلهم يحصلون على الحقوق الديموقراطية الأساسية ؟ نقول : لا العكس تماماً هو الذي حصل، إن ذلك الشعار، إنما يسر لعبة رجال التروستات والفيوداليين والاستعماريين الذين وجدوا فيه ذريعة لبث الانقسام.

... فنحن نتساءل إذن ؟ اليس هؤلاء المستفيدون هم الأصحاب الحقيقيون لذلك الشعار ؟

هذا ما كتبه مازيلا سنة 1945 وهو يتهم الاتهام الواضح الوطنيين الشرفاء الذين رفضوا الوجوه الاستعمار» بأنهم فيوداليون ويستمدون أفكارهم من الاستعماريين في الوقت الذي يدَّعى هو وأمثاله من اخوانه في حزبه انهم يدافعون عن الحرية والمساواة وتحرير الطبقات المستضعفة من البغي والعدوان، كأن الاستعمار الفرنسي الأجنبي للمغرب أتانا بالعدل والمساواة والحرية واعطاء الحقوق، ولكن هذا الموقف الذي وقفه مازيلا وحزبه من مطالبتنا بالاستقلال ينسجم تمام الانسجام كما قال الاستاذ (جامع بيضا) مع موقف الحزب الشيوعي في فرنسا الذي جاء فيما كتبه بعض رفاقه وهو (Joana Berlioz) في (Cahiers du Communisme) والذي قال :

(ان الحالة المؤلمة التي يعيش فيها العرب والأمازيغ، تعتبر بالطبع، تربة صالحة للدعاية المناهضة لفرنسا، والتي يقودها أولئك الذين يزعمون أنهم وطنيون (كذا) فهم يثرثرون حول استقلال (كذا) أو حول قومية عربية يستحيل قبولهما، في ظل الوضعية الاقتصادية الحالية لشمال افريقيا، إلا كجسر نحو هيمنة من نوع آخر، لكن هذه الدعوة لا تجد استجابة الاّ من لدن نخبة، ضيقة مرتبطة بالفيودالية الاسلامية، أو متأثرة بها).

لقد صدر هذا المقال بالجريدة المذكورة الصادرة بباريس بتاريخ فبراير 1945 أي بنحو ثلاثة عشر شهراً من تقديمنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وهو يعبر بوضوح عن موقف الشيوعيين بفرنسا مثل ما عبر الشيوعيون بالمغرب عن رفضهم المطلق لفكرة المطالبة بالاستقلال، سائرين في نفس الموقف الذي وقفه المقيم العام الفرنسي وكل من

(7) انظر مقال الأستاذ جامع بيضا في كتاب دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش ص : 308.

(8) نفس المصدر.

حوله من المستعمرين من قضية استقلال المغرب، وحكمهم على الأحرار الوطنيين بأنهم فيوداليون متأثرون بالفيودالية الاسلامية حسب زعمهم، كأنَّ الاسلام الذي يدعو إلى الحرية ويناصرها ويمجدها يعتبر في نظرهم من المناصرين للفيودالية الغربية التي يتشبث بها الشيوعيون وزعماؤهم الذين يدعون أنهم يناصرون الأحرار، ويدافعون عن المستضعفين، هذا الموقف الاستعماري المخزى من طرف الشيوعيين هو الذي جعلنا في ذلك الظرف وبعده نرفض كل تعاون معهم، ونرفض أن نعتبر حزبهم حزباً مغربياً متحرراً يمكن أن نعقد معه جبهة وطنية قومية كيفما كان شكلها ونوعها، وبالخصوص عندما كنا نعرف أن مسيريه الحقيقيين هم الفرنسيون الدخلاء على المغرب، وان بعض المغاربة الذين غرر بهم حتى انخرطوا في سلكه، يجب أن ينفضوا من حوله، ويرجعوا لحضيرة الوطنية الحقة التي لا ترضى ولا تقبل أن تكون تابعة لأي أجنبي كيفما كان نوعه أو شكله أو مذهبيته، إذ الاستقلال في نظرنا يشمل الفكر والمذهب مثل ما يشمل الأرض والحكم والتسيير وهذا الموقف الواضح البيّن من الاندماج والتبعية عبرنا عنه في كل مراحل نضالنا الوطني، ابتداء من أوائل الثلاثينيات، عندما دعانا بعض الاشتراكيين الفرنسيين الأحرار الذين كانوا يناصروننا في مطالبنا مثل المسيو كَيمولى الاشتراكي المعروف الذي دعا إخواننا الذين كانوا بفرنسا سنة 1932 أن يندمجوا في سلك الحزب الاشتراكي الفرنسي حتى لا يتهموا بالرجعية التي كانوا يسمُون بها المنتمين للإسلام والمتشبثين بهويتهم الإسلامية المغربية العربية وهذا الموقف الواضح منا كذلك هو الذي جعلهم دائماً ينظرون إلى حزب الاستقلال بالخصوص نظرات فيها كثير من الحذر والخوف، وينشرون ضده كثيراً من التقولات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولربما يصنفونه ضمن الأحزاب الرجعية التي ليست لها برامج تقدميه تحررية،.وأفكار ديموقراطية سليمة، تهدف أول ما تهدف إليه إلى نشر الأفكار التحررية والدفاع عن الطبقات المحرومة مثل أو أكثر مما يدعون أنهم يدافعون عنها، غاضين الطرف عن دراسة البرامج التي أقرها الحزب في مختلف مؤتمراته واجتماعاته فيما يتعلق بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، والتي أثبتنا فيها بما لا يدع مجالا لأي شك، أن حزبنا حزب تقدمي تعادلي ديموقراطي متحرر هدفه الأول والأخير هو تحرير الشعب المغربي من كل سيطرة أجنبية أو غير اجنبية وتمتعه بتحريره من الخوف والجوع والجهل والظلم بما فيه الظلم الاجتماعي.

الفرنسيون يرتاعون من طلب الاستقلال

اندهش الفرنسيون لمطلب الاستقلال الذي تقدم به حزب الاستقلال، وتضاعفت دهشتهم عندما رأوا الحماس الشعبي إزاء فكرة الاستقلال، والاجماع الوطني الذي ظهر في المغرب، شماله، وجنوبه، شرقه وغربه، أمام هذا المطلب العظيم، فكيف استطاع المغاربة أن يتجرأوا هذا التجرء الكبير ؟ فيطالبون بالاستقلال، وتسيير أنفسهم بأنفسهم ؟ فهل هناك قوة خفية، دعتهم للتنكر لفرنسا التي حضرتهم ونهضت ببلادهم ؟ فلربما تكون السياسة الأمريكية من وراء هذا المطلب، ولربما تكون قوة أخرى عدوة تحركهم من وراء ستار، وكيفما كان الأمر فلا بد من التروي وتقليب وجهات النظر، وأخذ رأي السلطات العليا الفرنسية في الجزائر قبل الإقدام على اتخاذ أي قرار، لقد كان المقيم العام الفرنسي «كابرييل بيو» يتتبع التطورات التي وقعت في المغرب بعد تقديم وثيقة الاستقلال، وزادته محادثاته مع جلالة محمد الخامس اقتناعا بأن المغرب بجميع فآته ومنظماته وأحزابه، وفي طليعة الجميع ملكه المفدي، مقتنعون كل الاقتناع بضرورة تغيير نظام الحماية، والمفاوضة على تحقيق الاستقلال، وأن ما شرحه له أعوانه ومساعدوه في إدارة الأمور الأهلية، من أن حزب الاستقلال وحده يطالب بالاستقلال شرح لايعبر عن حقيقة الأمر، فحركة الأسبوع الخالد الذي تواردت فيه الوفود من جميع أنحاء المغرب، معبرة عن تضامنها مع حزب الاستقلال، في مطلب الاستقلال، تبرهن على أن الأمر أكبر ممّا صورته له إدارته، وأن الخطاب الذي يخاطبه به جلالة الملك، تعبير حقيقي صادق، وأنه هو المعبر الأمين عما يطمح إليه شعبه، لايدارى، ولايجامل إلا في دائرة الحق وطبق ما يبتغيه شعبه.

إذن فالمعركة الحقيقية، ابتدأت مع الاستعمار يوم حادي عشر يناير 1944، والمطلب الأساسي هو الاستقلال، ولايضير الملك والشعبماينتج عن مطلب الاستقلال من عراقيل وأزمات، وفي ذلك يقول جلالة الحسن الثاني في كتابه : «التحدي» : (في هذه المرة، بدأت المعركة الحاسمة في سبيل الاستقلال و لم يكن والدي يجهل الخطر الذي يتعرض له لكنه كان قويا بعدالة حقه، وكان يدرك أن بجانبه شعبا وفيا شجاعا مخلصا في كل ما يتعرض له من محن وأننا سنحقق النصر في النهاية.

لقد اتضحت المواقف، وزال الالتباس، وأصبحت قضية الاستقلال، قضية الملك والشعب، وانهارت الخرافات التي كانت الإقامة العامة تمنى بها نفسها بأن مطلب الاستقلال مطلب خاص بحزب الاستقلال، وهنا ظهر للمقيم العام «كابريال بيو» أنه لابد من تغيير الخطاب، وأن الصراحة واجبة فصار أولا يطالب بالتخلي عن فكرة المطالبة بالاستقلال، والمذاكرة في الإصلاحات التي ينبغي إدخالها على نظام الحماية الثابت الذي لايمكن التخلي عنه بوجه من الوجوه. ثم لما رأى أن الجميع مصمم على مطلب الاستقلال، كشف عن حقيقته الاستعمارية التي جربها في تونس، ثم في سوريا مؤخراً فخاطب في بعض زيارته لجلالة الملك قائلا : (هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟) متوقعا أن يعجز جلالة الملك في الجواب ويوقعه في المأزق، ولكن جلالة الملك الموفق كان كعادته رحمه الله بارعا في الجواب، موقعا خصمه في المأزق فقال : (أنا لست ضد فرنسا، ولكني مع حرية شعبي، واستقلال بلادي، فليس من اللازم أن يكون المطالب بالاستقلال، ضد فرنسا، وليس التعاون مع فرنسا مربوطا بفكرة الحماية).

لقد كانت لفظة (الاستقلال)، تغيظ الفرنسيين عموما، سواء منهم، رجال الإقامة العامة وأنصارهم وأعوانهم من المعمرين والمستثمرين وأصحاب الشركات الاستغلالية أو حتى رجال المقاومة الفرنسية، وفي طليعتهم الجنرال دوكول نفسه، فلقد صرح المقيم الفرنسي العام «كابريال بيو» قائلا : ينبغي استئصال كلمة «استقلال» من الصدور، ونزعها من الأفواه، وأكد الجنرال دوكول في البيان الذي أصدره في أعقاب مؤتمر برازفيل المعروف بما يلي : (ان العمل الحضاري الذي قامت به فرنسا في مستعمراتها، يستبعد كل فكرة لاستقلال هذه الأقطار، وكل إمكانية للتطور خارج الامبراطورية (أي الامبراطورية الفرنسية) كما يحبذ استبعاد تشكيل محتمل ولو بعيد الأمد، لحكومات تسيّر نفسها بنفسها في هذه المستعمرات) وعلى ضوء هذه التوجهات التي وجهها دوكول الذي قاد لجنة التحرير الوطني الفرنسية، سار المقيمون العامون الفرنسيون في مختلف الأقطار التي كانت مبتلاة بالاستعمار أو الحماية أو الانتداب الفرنسي، وفي ضوء هذه التوجهات، كان تصريح كابريال بيو الذي أثبتناه، لقد تأكد للفرنسيين وقادتهم في المغرب والجزائر، أن المغاربة ملكا وشعبا، مصرون على المطالبة بالاستقلال، ولذلك قررت حكومة دوكول الفرنسية في الجزائر أن تبعث رجلا من رجالاتها المسؤولين هو «روني ماسيكلي» مفوض الشؤون الخارجية، أن تبعثه إلى المغرب ليتصل بجلالة الملك المعظم، ويبلغه باسم الجنرال دوكول موقف الحكومة الفرنسية من طلب المغاربة الاستقلال، والذي قابل جلالته بالفعل يوم 28 يناير 1944 وأكد له أن أيَّ اقتراح

يقضي بالاستقلال مرفوض، وأن المغرب مرتبط مع فرنسا (بعروة وثقي لا انفصال لها)[1] وأن الاصلاحات السياسية، لايمكن أن يبحث فيها، لأن وضع المغرب، قد حدد بصورة نهائية في معاهدة الحماية) وأنه إذا كان المغاربة ساهموا في الخدمات الحرْبية، فإنهم لم يزيدوا عن كونهم (قد ردّوا إلى فرنسا ماكانت قد أعطته إلَيْهم)[2] ومن خلال ذلك كله تأكد لدينا أن موقف السلطات الفرنسية بدأ يتضح، وأننا داخلون حتما في المعركة الحاسمة بيننا وبين الاستعمار، ومن المعلوم كما أشرنا إلى ذلك من قبل، أن كل خطواتنا السياسية في تلك المرحلة الدقيقة، كانت تسير وفق مانُنَسقه التنسيق الوثيق مع جلالة محمد الخامس، وأنه رحمه الله كان يطلع المكلفين بالاتصال به من رجال حزبنا على مايدبره المقيم العام الفرنسي وما يخطط له بمساعدة أعوانه وعلى رأسهم «بونيفاس» مدير الداخلية، وأن الواجب يقتضي منا أن نكون على حذر حتى لانقع في الفخ الذي يريد الاستعماريون أن يوقعونا فيه، خصوصا والظروف ظروف حرب — كما هو معلوم، ولا يعجز الاستعماريون عن خلق ما من شأنه أن يوقف مسيرتنا الموفقة في تحقيق ما نطمح إليه، وحتى نقفل الطريق أمامهم، وهم يمكرون ضدنا، ويبيّتون لنا، كان حزبنا أصدر بيانا توضيحيا عن حقيقة مطلبنا، جاء فيه : (نحن مقتنعون أن المثل الأعلى في الحرية التي ينشدها الحلفاء، بما في ذلك فرنسا والمغرب، والتي يدافعون عنها بتضحياتهم وأرواحهم وحياتهم، تبقى بالنسبة لنا، خير دليل نسترشد به، دون أن يكون ضروريا الوصول إلى هذا المثل الأعلى، بإراقة دم الشهداء).

لقد كانت الإدارة الاستعمارية، تودّ أن ترمينا بأننا نسعى لعرقلة المجهود الحربي ضد ألمانيا وحلفائها، وتدبر المكائد لاتهام بعض الشخصيات الوطنية، بأنها لها علاقة تعاون مع ألمانيا النازية، الأمر الذي يبرر لها الانتقام من الحزب، والقضاء على فكرة الاستقلال. والزج بالأحرار الوطنيين في غيابات السجون. وكان على رأس الإدارة الفرنسية المقيم العام الفرنسي «كابريال بيو» الذي كانت الحكومة الفرنسية عينته مقيما عاما بالمغرب، عوض الجنرال «نوكيس» الذي كان أظهر تعاونه مع الماريشال بيتان» ومقاومته لنزول الجيوش الأمريكية بالمغرب، وكان «كابريال بيو» قبل تعيينه بالمغرب، مندوبا ساميا لفرنسا بسوريا ولبنان وقام بمقاومة شديدة للأحرار الوطنيين في كل من سوريا ولبنان عندما طالبوا وعملوا على تحرير بلادهم من قبضة الاستعمار الفرنسي، والاستفادة من

(1) انظر كتاب روم لاندو (تاريخ المغرب) ص 271.

(2) نفس المصدر.

ظروف الحرب لاعلان استقلالهما الكامل، فأعطى أوامره الصارمة لقمع الحركة التحريرية، وحل البرلمان السوري والبرلمان اللبناني وتوقيف الدستور وإلقاء القبض على بعض الزعماء ومنهم رئيس البرلمان «فارس الخوري» ورياض الصلح وإعفاء الحكومة اللبنانية، ومحاولته القضاء على فكرة الاستقلال بالقطرين الشقيقين، ولولا تدخل السلطات الأنجليزية برئاسة تشرشل، والتي لم ترتض ذلك الموقف العنيف الذي وقفه «بيو» حفاظا على الوجود الفرنسي في القطرين المذكورين، حيث كانت هي بدورها لاترغب في بقاء الوجود الفرنسي بالمنطقة العربية، ولذلك فإنها عارضت عمليا موقف «بيو» وحالت بينه وبين ما يريد تحقيقه في سوريا ولبنان، وهددت المسؤولين الفرنسيين بأنها ستتدخل عمليا، إذا لم يتراجعوا عن مواقفهم ضد السوريين واللبنانيين، بتحقيق مطامحهم في الحرية والاستقلال الكاملين، الأمر الذي أعاد الطمأنينة والأمان للشعبين المكافحين.

والواقع أن كابريال بيو» رغم ماقيل عنه بأنه رجل مثقف ثقافة عالية، ومن الذين وقفوا، وقفة شجاعة مع الجنرال «دوكول» في مقاومته للنازية وأنصارها، رغما عن ذلك فإنه كان متشبعاً بالأفكار الاستعمارية، متعلقا بأمجاد فرنسا، ولو على حساب الشعوب المستعمرة منها، معتبرا نفسه «حاكما رومانيا، كما وصفه بعض المحللين السياسيين، فبدلا من أن يعطي لنفسه التفكير السليم، فيما تهدف إليه الحركة الاستقلالية، الذي تقدمت بوثيقة المطالبة بالاستقلال كان يرى — كما عبر عن ذلك — روم لاندو في كتابه : (تاريخ المغرب) (أن المغرب نوع من الخزان لعظمة فرنسا، وكانت القاعدة التي أراد أن يتمشى عليها، هو أنه من الواجب على السلطان أن يتأكد بأن الاستقلال فكرة تتعارض مع معاهدة الحماية).

لم يستسغ الفرنسيون، فكرة الاستقلال، ولم يدركوا أن حركة التاريخ لايمكن أن تقف لأنهم هم لايريدون التغيير، ولم يعملوا مامن شأنه أن يحافظ على العلاقة الطيبة بين المغرب وفرنسا، كما يريده جلالة الملك والأحرار الوطنيون، علاقة تكون مبنية على أساس إعطاء الحقوق الكاملة للشعب المغربي، وتغيير أوضاع الحماية بفتح مفاوضات مع جلالة الملك لتحقيق الاستقلال، الأمر الذي زاد المشكل المغربي الفرنسي تعقيدا، وأدّى إلى ما سنتحدث عنه بتفصيل في الصفحات المقبلة.

لقد كنا على إدراك واع بما سيقدم عليه الفرنسيون ضدنا، وكنا مستعدين كامل الاستعداد لجميع أنواع التضحيات التي يتطلبها منا مطلب الاستقلال، ولذلك فإننا

نظمنا شؤوننا الداخلية قدر ما نستطيع، فهيأنا المناضلين من إخواننا للقيام بواجباتهم عندما ينادي الواجب بذلك، سواء في المجال السياسي والتعبوي والتضامني، أو في مجال تقديم الإسعافات الضرورية للمعتقلين من إخواننا والشهداء الذين يتعرضون لبنادق العسكريين الجفاة، والبوليسيين القساة.

بداية العمل السري
في إنشاء الخلايا الوطنية

الواقع أن بداية تنظيماتنا الجديدة كانت عمليا وبإحكام أكبر قبل سنة 1943، عندما بدأ تفكيرنا يتضاعف وعزمنا يتقوى، للقيام بعمل حاسم تستفيد منه بلادنا، ونرفع به قيمة وطننا، فصرنا نؤسس الخلايا الحزبية، متحدِّين قرار المنع الذي كان أصدره الجنرال نوكيس ضد حزبنا سنة 1937، وبدأنا في الوقت نفسه نوسع دائرة «الطائفة» وهي الجناح السري في الحزب، بتكوين خلايا خاصة، أدخلنا فيها بعض العناصر الشابة التي أبانت عن وطنيتها ونضجها وحماسها، ومن جملة هذه الخلايا التي أنشأناها بمدينة «سلا» جماعة (فتح)[3] التي كان من بين أعضائها الذين سيلعبون دورا هاما في معركة الاستقلال المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، والإخوة : قاسم الزهيري والصديق بن العربي ومحمد البقالي ومحمد بن الخضر من آسفي وأحمد بن اليمني والطاهر بن الفقيه زنيبر وج بوبكر الصبيحي وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم وأنا أسجل أحداث 1943، كما تفرع عن جماعة «فتح» بعض الخلايا الأخرى، كان من جملة أعضائها المرحوم يونس نكروف من وجدة، والذي كان أثناء تحضير وثيقة الاستقلال معلما، بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، والأخ العربي حصار وغيرهما.

لقد تسلط اهتمامنا إذ ذاك، على تنظيم خلايا شبابية في المدارس الثانوية التي كانت موجودة إذ ذاك على قلتها، ومن جملتها «كوليج مولاي يوسف» بالرباط، وكوليج مولاي إدريس بفاس، وكوليج مدينة آزرو والذي فتحته إدارة الحماية، ليختص بتلامذتة سكان المناطق الأمازيغية، والذي كان له برنامج دراسي خاص، منعت بسببه دراسة اللغة العربية، وعوضت باللغة الأمازيغية، والفرنسية، بل منع فيه حتى الحديث باللغة العربية، سواء في الأقسام أو غيرها، وكان مقصود إدارة الحماية من إنشاء هذا الكوليج، تكوين شبان

---

(3) انظر قانون جماعة (فتح) في الملاحق.

أمازيغيين يتنكرون كل التنكر لمقوماتهم الأساسية، سواء منها الدين الإسلامي أو اللغة العربية أو الوحدة الوطنية والقومية، بحيث ينشأون نشأة خاصة تجعلهم بعيدين كل البعد عن إخوانهم الشباب في المدن الأخرى، لا يقتربون منهم ولايتفاهمون معهم، ولا يشعرون بأية رابطة تربطهم بهم، ولكن الحماية الفرنسية كانت تخطط وتدبر، وتمكر وتسطر، والأقدار الإلهية تقدر عكس ماتهدف إليه الإدارة الفرنسية.

لقد كنا في الحركة الوطنية مقدرين كل التقدير، وعارفين كل المعرفة، ماتخطط له الحماية الفرنسية، ابتداء من سنة 1930 وهي السنة التي صدر فيها ماكان يسمى بالظهير البربري، وكنا نعمل بكل مانستطيع لمقاومة المخططات والسياسات التفريقية التي يبيتها لوطننا وشعبنا ووحدتنا الاستعمار، وابتدأت المعركة صامتة أولا بين الحركة الوطنية، وبين إدارة الحماية، ثم صارت تعلو وتتضاعف وتتقوى من جانبنا، وجانب إخواننا، وأبنائنا، في تلك المناطق الأمازيغية نفسها، فكان التفاعل والتجاوب قويين بين شباب المناطق التي كانوا يدعونها بالمناطق العربية، والمناطق التي كانوا يسمونها بالمناطق البربرية، ووقعت أحداث في مدينة «الخميسات» والمناطق القريبة منها، عندما أرادت الكنيسة الكاثوليكية إقامة موسم لراهبة مسيحية تسمى «سانت تيريز» وأحداث أخرى عندما منعت السلطات الفرنسية إقامة مهرجان قرآني كان يقام بقبيلة قريبة من مدينة الخميسات في شهر نوفمبر من كل عام تسمى آيت أوريبل، وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما كنت مسجونا بسجن العذير» قرب مدينة الجديدة سنة 1937 التقيت بمساجين وطنيين من تلك القبيلة نفسها، عوقبوا بالسجن والترحيل لأنهم احتفلوا بذكرى قرآنية كانوا أقاموها رغم تعرض الإدارة الاستعمارية ومحاولتها منعهم من إقامة تلك الذكرى القرآنية. وأذكر أيضا أنني وجماعة من إخواني الوطنيين. منهم الفقيه المرحوم محمد غازي والمرحوم أحمد الشرقاوي، كنا بإحدى زنازن سجن العذير، فإذا بنا نسمع بعدما أقفلت الأبواب عند المساء، أصواتا مرتفعة بتلاوة القرآن في إحدى الزنازن المجاورة لنا، فإذا هي أصوات إخواننا المعتقلين من الخميسات والقبيلة المجاورة لها، وإذا فيهم شيخ كبير إسمه سي سعيد يسيرهم وينظم معهم تلاوتهم. وإذا هم معتقلون من أجل تمسكهم بقرآنهم ووحدتهم مع إخوانهم في كل رقعة من رقاع المغرب، البعيدة والقريبة.

ذكرت أننا كنا مدركين كل الإدراك ماكان يبيته لنا الاستعمار الفرنسي من تفرقة دينية ولغوية ووحدوية، ولذلك كنا نريدان نسابق الزمان حتى لاينجح في مخططاته الجهنمية، فصرنا ننظم الاتصالات مع إخواننا في المناطق البربرية، ونؤسس المدارس الحرة

فيها، ونجحنا في تكوين خلية طلابية في القرويين كانت أتت من الخميسات كان من جملة أفرادها إذ ذاك شاب يدعى أحمد ابن بوبية وآخر اسمه حمادى عمر وكان من ضمن الشباب المتحمس الأخ عبد الحميد بن مولاي أحمد والمرحوم اعمرو أو بناصر وغيرهم، ومن جملة المدارس التي عملنا على تأسيسها مدرسة الأطلس في الخميسات، كان من جملة الذين أشرفوا عليها في الثلاثينات المرحوم سيدي محمد بن عبد الله الصابونجي والحاج عمر بن الأمين من سلا، وكان من جملة الذين تولوا إدارتها بعد ذلك المرحوم سي اعمرو أو بناصر والأستاذ أحمد قريون من الرباط. كما عملنا على تأسيس مدرسة حرة بمدينة «أزرو» نفسها، كانت لها لجنة رعاية من إخواننا في مدينة آزرو، وكان من جملة المديرين الذين تعاقبوا عليها — إن لم تخني الذاكرة — المرحوم العلامة الشريف سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذي تولى القضاء الشرعي فيها في عهد الاستقلال لقد ذكرت أن تكوين «كوليج آزرو» كان الفرنسيون يهدفون من تأسيسه إلى صنع شبان متعلمين، يتنكرون لوحدة بلادهم ومقوماتها الأساسية، ولكن الأقدار الإلهية أرادت عكس ذلك فهذه المدرسة الثانوية البربرية مثل غيرها من الثانويات، تكونت فيها خلايا وطنية مومنة كل الإيمان بوطنها وقيمها، قامت عندما دعاها الواجب الوطني للقيام بالعمل الحاسم ضد الوجود الاستعماري، وضد مخططات الاستعمار فانبرت جماعة صادقة من شبابها، لتتضامن مع فكرة الاستقلال، وتعمل مع إخواننا في الحزب الوطني الذي سمي إثر ذلك بحزب الاستقلال، وتكون من جملة الشرفاء الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

يحكي لي الأخ الشريف سيدي عبد الحميد بن أحمد الزموري — وهو أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، أنه بعد تحرير الوثيقة والتوقيع عليها من طرف بعض الموقعين الأولين، زاره بآزرو المرحوم المهدي بن بركة، وكان المهدي إذ ذاك رئيسا لجمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف وأستاذا للرياضيات في ليسي «كورو» بالرباط، ومن الشبان الملتزمين في حزب الاستقلال العاملين في دائرة النشاط الحزبي.

زار المهدي بن بركة الأخ عبد الحميد، وعرض عليه المساهمة في عمل يشرف المغرب وشبابه، ولما علم عبد الحميد أن هذا العمل هو المطالبة بالاستقلال، لم يتردد لحظة واحدة بل قدم له بعض أصدقائه من الشباب الذي يدرس بكوليج «آزرو» وهما عمرو وبناصر وعبد الله بن عمر الرحماني ليساهموا بثلاثتهم، ويوقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وأثبت هنا نص حديث صحفي أدلى به لجريدة «العلم» بتاريخ حادي عشر يناير 1969 الوطني الكبير الغيور المرحوم عمرو أو بنّاصر وهو من الموقعين الثلاثة من مدرسة آزرو على وثيقة المطالبة بالاستقلال قال سي عمرو : كان لتقديم الوثيقة صدى عميق في جميع أوساط الشعب المغربي، وبالأخص في البادية، حيث ارتفعت معنويات المواطنين، وبعثت في نفوسهم بريقاً من الأمل، وشجعتهم على المضيّ في طريق الكفاح والنضال، أما المستعمرون الفرنسيون بالمغرب، فقد أصابهم الرعب، وأيقنوا أنهم راحلون لامحالة، وبالأخص لما وجدونا نحن الذين تربينا على يددها قنتهم الذين بلغوا من المكر والخديعة درجة لم يبلغها أحد من قبلهم، ولا من بعدهم، من الموقعين عليها، ولازلت أذكر يوم وقفت أمام الحاكم الفرنسي وخاطبني بلهجة ممزوجة بالأسى والغضب، وهو ينتف شعر رأسه، ويضرب برجليه الأرض، كيف ؟ نحن علمناكم وجعلناكم أبناءنا، وجزء من لحمنا ودمنا، وتطلبون منا، من أُمِّكُم فرنسا، أن تخرج من المغرب، نحن لايؤثر فينا كلام أطفال صغار، غرر بهم، لتوقيع هذه الورقة التي لاقيمة لها عندنا، ولكن لابد أن نربيكم هذه المرة في السجون والمنافي لتكونوا قدوة لكل الشباب الطائش الذي يريد تقليدكم. ثم يقول سي اعمرو أوبناصر : بعد اعتقالنا شاع هذا الخبر في جميع الأوساط كالبرق، وبالأخص في جبال الأطلس، وقلبه النابض : ثانوية طارق بن زياد، فقام الطلبة داخل هذه الثانوية بإضراب عام، واعتصموا بحرم الثانوية، معلنين تضامنهم مع ممثليهم الذين وقعوا على وثيقة الاستقلال، الشيء الذي جعل الجيش الفرنسي يصاب بهستيريا، ويفقد اتزانه، ففي الوقت الذي كان ينتظر من تلاميذ هذه الثانوية، تأييده في سياسته، إذا بهم ينقلبون عليه فجأة ويعطونه دروسا في الوطنية المغربية الصميمة.

وقد تحركت الجيوش من كل مكان، وطوقت مدينة آزرو، وجميع المناطق المجاورة، واحتل حرم المدرسة، وألقى القبض على أزيد من عشرين تلميذا، مع أحد الأساتذة البرابرة، وقدموا لمحكمة القائد الذي حكم عليهم مابين سنتين وستة أشهر سجنا. أما الطلبة الباقون، فقد أرسلت سلطة الحماية في طلب أوليائهم ليستلموهم. وقد ساعد هذا الاستدعاء على نشر أهداف وثيقة 11 يناير، إذ لايخفى أن التلاميذ كانوا كلهم من أبناء الأعيان الذين تأثر أولياؤهم للمعاملة القاسية التي عاملهم بها الجيش الفرنسي، كما أصبح شغلهم الشاغل هو الحديث عن هذه الوثيقة وأهدافها، وبذلك كسبنا أباء التلاميذ وقبائلهم التي كانت من أعيانها، بعدما كسبنا التلاميذ ووقعت القطيعة بينهم وبين دهاقنة الاستعمار.

وتشاء إرادة الشعب التي هي من إرادة الله، أن يخرج أولئك الشباب من السجون،

وهم أصلب عودا، وأقوى عزيمة، لاليوجهوا العرائض والملتمسات، ولكن لينظموا المقاومة، ويواجهوا الرصاص، ويقلبوا الأوضاع الاستعمارية، ويعيدوا للبلاد عزتها، ويوصلوا ماضيها بحاضرها، ويعطوا مثالا للحكم الأجنبي الذي سخر منهم، على أنه هو الطفل الصغير، وهم الرجال الواعون). انتهى حديث سي اعمرو أوبناصر

وهكذا كان عبد الحميد الزموري واعمرو اوبناصر وعبد الله بن عمر من الموقعين على الوثيقة التي تطالب بالاستقلال وهكذا خلدت أسماؤهم مثل ما خلدت أسماء كل الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال من مختلف أنحاء المغرب.

إن الخلايا الوطنية من الشباب، سواء منها التي كانت موظفة في سلك التعليم أو غيره مثل عبد الرحيم بوعبيد والمهدي بن بركة وقاسم الزهيري وعبد الكبير بن المهدي الفاسي والحسن بن شقرون أو التي كانت لازالت تتعاطى الدراسة الثانوية والعالية، مثل عبد الرحمان بن عبد العالي ومحمد زنيبر وعبد السلام بن عبد الجليل والطاهر غلاب وعبد الرحمان ربيحة وعبد القادر زمَّامة والحسن بناني ومحمد بن شقرون ومحمد الإدريسي، لعبت دورا هاما في التنظيم الشبابي، وكتابة المنشورات، وقيادة المظاهرات، وتقوية الحماس، أثناء الاصطدام بيننا وبين الإدارة الاستعمارية ولَدَى، إلقاء القبض على القيادات الوطنية في كل من الرباط وفاس وسلا وآزرو، كما ستلعب أدوارا هامة وحاسمة بعد تنظيم الحزب التنظيم الجديد، إثر خروجنا من السجن أواخر سنة 1945، كما سنتحدث عنه إن شاء الله، ومن جملة المدارس التي كان تلامذتهما، وقدماؤها يتهيأون لخوض معمعة الاستقلال، تلامذة مدرسة النهضة بسلا، وفي ذلك يقول أحد قدمائها السيد محمد بن عياد في كتابه : طريق الحرية : قال ابن عياد ص 118 في كتابه المذكور : (وقد تقلدت جمعية قدماء النهضة مهمة القيام بمظاهرة سنة 1944، إذ أعطت القيادة الوطنية أمرها للجمعية أن تقوم بمظاهرة في اليوم الثالث، بحيث تكلفت الجمعية بالمظاهرة رقم 3 وما يتبع ذلك من إغاثة وإسعافات ودفن الموتى، وهكذا اجتمع محمد بنعياد باسم الجمعية مع مكتب الفرع بدار عبد الكريم حجي لأخذ التعليمات، ووضع الترتيبات وإنجاز القرارات الخطيرة، إذ كانت المظاهرة الأولى من نصيب الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد والثانية للأستاذ المرحوم محمد العزوزي والثالثة تتكلف بها، جمعية قدماء النهضة، كما أخبرونا أن كل الإجراءات قد اتخذت حتى في حالة الاستشهاد، أو القبض على الأعضاء، وأن هناك من سيأخذ بيد الأُسَر ويساعدها، والحق أنها كانت لحظة ذهبية، ليلة عظيمة، بالنسبة للمجتمعين الذين خرجوا وكلهم حماس ونشاط وعزم وتضحية).

ومن التنظيمات والخلايا الاستقلالية التي قامت بدورها الكامل أثناء فترات تهييء الوثيقة أو بعدها، خلايا بعض العمال والتجار المتوسطين والمنظمين العاملين في الصناعة التقليدية، وأذكر من التجار المرحوم عبد السلام النجار، والمرحوم عبد الهادي لحلو وج محمد بنشقرون ومن الصناع المرحوم محمد زيزاح، والمرحوم مولاي العربي الإدريسي، ولا أنسى لجان الإسعاف الذين كان من جملتهم في الرباط المرحوم المعطي أباخاي وعلال كراكشو وعبد الرزاق بن احساين والمرحوم عباس التناني وفي فاس : الحسن العلوي ومحمد بن الحبيب ومحمد العراقي وأحمد الجباري ومحمد التواتي.

ولقد كنا نعقد اجتماعات متوالية مع الخلايا الحزبية، ونحن نستعد لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكنا نشعر أعضاء الخلايا بأن الحزب يتهيأ ويستعد للقيام بعمل لصالح الشعب المغربي، دون أن نصرح لهم بنوع هذا العمل، وإن كانت فكرة الاستقلال بدأت تروج، وهذه السرية كانت مقصودة عندنا، حتى لاينكشف أمر مانحن عازمون عليه، فتقوم الإدارة الاستعمارية بعرقلة عملنا، وإفساد خطتنا، والمهم عندنا هو تهييء الجو المناسب، وبعث الحماس في النفوس، والاستعداد للعمل المجدى، وأذكر أن من جملة الاجتماعات التي أشرفت على عقدها بنفسي، اجتماع بمنزل المرحوم عبد الرحيم بوعبيد الكائن إذذاك قرب (طواحن مْغار) وسانية حصار وكان الحاضرون فيه من المعلمين الذين انخرطوا حديثا في بعض الخلايا الحزبية ومنهم المرحوم يونس نكروف، فكنت أدربهم على بعض الأناشيد الحماسية التي ستوقظ فيهم الهمم، وتجعلهم يندفعون في العمل، إذا ما نادى نادي التضحية والكفاح، خصوصا وقد صارت تظهر في الأفق بعض السحب المنذرة بأن الفرنسيين يتهيأون لضربنا الضربة القاسية وتكونت لجان من الطلبة وغيرهم، خصصت لها مهمة كتابة المنشورات وتوزيعها على الدور والحوانيت وتعليقها في الجدران، تدعو المواطنين إلى الثبات والإستمرار في التضامن والتمسك بالمطالبة بالاستقلال.

ردود الفعل الأولى من الفرنسيين

كان بدء ردود الفعل العملية من السلطات الفرنسية، تعرضهم للوفود التي كانت تصل إلى الرباط لتقدم لجلالة الملك المعظم عرائض تضامنية مع حزب الاستقلال في مطلب الاستقلال ومطالبة الموجودين في الرباط بالرجوع إلى مدنهم أو قراهم سواء منهم الذين قدموا عرائضهم التأييدية أو الذين كانوا على وشك تقديمها.

ثم أصدرت الإقامة العامة الفرنسية بلاغا رسميا بتاريخ 22 يناير 1944 نشرته الصحف الفرنسية الصادرة بالمغرب، وتعلن فيه أنها اتفقت مع جلالة الملك المعظم على إدخال بعض الإصلاحات التي يتطلبها تقدم المغرب في دائرة الحماية الفرنسية التي لا تتخلى عنها.

ثم قام المراقبون المدنيون الفرنسيون بمختلف المدن باستدعاء الأعيان المغاربة وتوبيخهم على تضامنهم مع حزب الاستقلال، ولقد كشف بعض رجال السلطة المغاربة عن حقيقتهم في بعد المدن المغربية مثل مراكش ووجدة وآسفي وغيرها بتضامنهم المطلق مع السلطات الفرنسية، وانتقادهم الشديد لما قام به رجال حزب الاستقلال. ثم قررت السلطة الاستعمارية إقالة العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي من وزارة العدل كما أقالت مندوب المعارف في دار المخزن السيد الحاج أحمد بركاش وكذلك والده الأشيب الباشا السيد عبد الرحمان بركاش أقالته من منصبه في الباشوية هو وولده الثاني السيد محمد بركاش الذي كان يشغل منصب خليفة الباشا.

.ولم تمض إلاَّ أيام معدودات أخرى حتى أذيع من راديو الجزائر خطاب ألقاه مسيو ماسيكلي المفوض الوطني في الخارجية الفرنسية قال فيه : إن اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني (التابعة للجنرال دوكول) قررت إدخال مشروع إصلاحات مستعجلة على التسيير الإداري والسياسي بالمغرب طبق ما تتطلبه حالة البلاد وذلك في نطاق الحماية الفرنسية التي من حقها وحدها أن تدخل الإصلاحات على النظام في المغرب وتعرضها على جلالة سلطان البلاد.

كانت هذه الإرهاصات كلها تدل على أننا مقبلون على مرحلة جديدة وخطيرة، كنا والحمد لله كما قلت سابقاً مهيئين لها، ومستعدين تمام الاستعداد لنتائجها مهما كانت قاسية وشديدة.

الهجوم على حزب الاستقلال ورجال الحركة الوطنية

في صبيحة يوم 29 يناير 1944 داهمت قوات فرنسية منزل الأمين العام لحزب الاستقلال الأستاذ المرحوم الحاج أحمد بلافريج، وألقت القبض عليه بدعوى أنه متصل بدول المحور، ثم صارت تلك القوات البوليسية تفتش بيته وحديقة البيت، لعلها تجد ما يبرر دعواها ثم ذهبت قوة بوليسية أخرى إلى منزل المرحوم محمد اليزيدي فألقت القبض عليه وساقته إلى مركز الشرطة، وفي الوقت نفسه بلغنا أن الشرطة ألقت القبض

على المرحوم إدريس روديامي من الحركة القومية بالرباط وعلى بعض الوطنيين بفاس، ومنهم الأساتذة : المرحوم عبد العزيز بن إدريس والمرحوم أحمد مكوار والمجاهد الهاشمي الفلالي، وكل هؤلاء اتهموا بأنهم على علاقة بدول المحور.

ومن المعلوم أن كل هذه الأحداث التي وقعت أو التي ستأتي، وقعت في عهد فرنسا الحرة التي كان على رأسها إذذاك الجنرال دوكول، ففي عهد دوكول تولى منصب المقيم العام بالمغرب (كابريال بيو) الذي حل محل الجنرال نوكيس، وكابريال بيو هذا، كان معروفا كما ذكرت من قبل بنزعته الاستعمارية، وديكتاتوريته الفاشية، ولقد قال عنه المؤرخ آندري جوليان (Charler Andre Jnlien) : إن الجنرال دوكول ماكان يجهل وهو يقدم على تعيينه على رأس الإقامة العامة بالمغرب، نتائج سياسته التي سببت المصائب في المشرق) كما قال عنه حسبما جاء في كتاب (روم لاندو) لقد حالت روحه المحافظة دون تفهمه الآمال الوطنية والشعبية، وبدلاً من أن يرى في المغرب بلداً ضمنت سيادته واستقلاله اثنتا عشر دولة كبيرة، كان ينظر إليه على أنه نوع من الخزان لعظمة فرنسا، وكانت القاعدة التي أراد أن يتمشى عليها، هو أنه من الواجب مع السلطان أن يتأكد أن الاستقلال كان فكرة تتعارض مع الارتباطات القائمة). وقال عنه المؤرخ (جان لاكوتير Jean la couture) : (إنه الموظف السامي المتطرف عن وعي في المحافظة الاستعمارية التي يعتقد نفسه محيطا بكل علم، ويومن بتوفق فرنسا على سواها تفوقا جوهريا مطردا) وهو الذي لم ينس جلالة محمد الخامس مواقفه معه ومع شعبه خلال المطالبة بالاستقلال، فما أن أتيحت له الفرصة للالتقاء بالجنرال دوكول، والمحادثة معه في موضوع حل الأزمة، حتى طلب منه تغييره بمقيم عام جديد، كان هو (إريك لابون) لقد كان «بيو» متصلباً متغطرسا إلى أقصى الحدود، وبغطرسته وعنجهيته. وفكره الاستعماري أراد أن يطبق بعض الإصلاحات (أو الإفسادات) في المغرب، لقيت المعارضة الكاملة من محمد الخامس ومن حزب الاستقلال، وهو الذي صرح قائلا (يجب استئصال كلمة استقلال من الصدور، ونزعها من الأفواه) وسنتحدث عن برنامج إصلاحات بيو في الصفحات التالية بحول الله.

هذا المقيم العام الذي عينه الجنرال دوكول مقيما عاما بالمغرب في وقت كانت الجيوش المغربية تحارب بشجاعة مع فرنسا وفي صفها، دفعا للخطر النازي، والحركات الفاشية، على أي شيء يدل ؟ إنه يدل على أن دوكول رغم عظمته ومواقفه للدفاع عن بلاده وتحريرها، لم يستطع أن يتغلب على نفسه، ويعترف لغيرة بما يريده لنفسه ولبلده، ولذلك لم تكن مواقفه التحريرية بالنسبة للمغرب، منسجمة مع ما كان يقوم

به لتحرير بلاده، ولولا الظروف التي ألزمته مستقبلا بتغيير نظرته إلى المستعمرات، ولولا الكفاح المستميت الذي قامت به بلاد المغرب العربي، ماانصاع لما انصاع إليه في قضية المغرب أو الجزائر. إنه لامجال للعاطفة والتعلق بالأماني وتحسين الظن بالمحتل فيما يتعلق بقضايا تحرير الشعوب، كما لاحظنا ذلك عند بعض الذين يتحدثون عن الجنرال دوكول كزعيم كبير، وقائد ماهر، أدى دوره الكامل أثناء الحرب العالمية الثانية لخدمة بلاده، ولكن نظرتنا نحن له وحكمنا عليه، لابد أن يصدرا عن مواقفه إزاء قضيتنا، وتحرير بلادنا، وسوف لانكون هاضمين لحقه، ولامتجنين عليه، إذا ما تعاملنا معه، مثل ما تعامل هو مع الذين احتلوا بلاده بالقوة والقهر والغطرسة.

لقد انفتحت قضية تحرير الشعوب وتقرير مصيرها بنفسها، والحرب العالمية على أشدها، وعندما صدر ميثاق الأطلسي، وعندما انعقد مؤتمر آنفا سنة 1943 كانت قضايا تحرير الشعوب مسجلة في جدول أعمال ولقاءات الكبار، وكان الرئيس روزفيلت على رأس الذين يدعون إلى بناء مستقبل الشعوب على أساس التحرر، وكان تشرشل بعكس ذلك، تسيطر عليه فكرة بقاء المد الاستعماري رغم طغيان موجات التحرر في أغلب المستعمرات التي كانت تحت سيطرة الانجليز، ففي أي جانب كان الجنرال دوكول، وكيف كان موقفه إزاء قضية استقلال بلادنا الذي بدت طلائعهُ خلال سنة 1943، وانطلقت المطالبة به في حادي عشر يناير 1944 عندما تقدم حزب الاستقلال بوثيقة المطالبة بالاستقلال، لجلالة الملك محمد الخامس وباتفاق تام معه.

* * *

إن التاريخ لايرحم، ففي عهد تولى الجنرال دوكول، سلَّط علينا مقيما عاما ذا نزعة استعمارية تحدثنا عنها قبل هذا، وأعني به «كابريال» بيو الذي أذاق المغرب ملكا وشعبا خلال توليه الكثير من المحن والأهوال، وفي عهده وبأمر منه زار المغرب وزيره في الخارجية «ماسيكلي» ليؤكد لجلالة محمد الخامس أن فرنسا وحدها هي المكلفة بإنجاز الإصلاحات التي يدعو إليها تطور المغرب، وأنه لاحق للمغرب في الانفكاك عن فرنسا والتمتع باستقلاله، وفي غمرة مطالبتنا باستقلال بلادنا وتحريرها من ربقة الاستعمار الأجنبي، فرنسي وإسباني. حضر «دوكول» اجتماعا عقد في مدينة «مراكش مع الباشا الإقطاعي الكبير التهامي الكلاوي وبحضور «تشرشل» رئيس الحكومة البريطانية لاتخاذ قرار يوافق عليه تشرشل برفض مطلب الاستقلال، وأن قضية المغرب تخص فرنسا وحدها تعالجها كيف تشاء، وبذلك انطلقت يد الاستعماريين الفرنسيين برئاسة «بيو»

تصب غضبها، وترمي بالأحرار الوطنيين في السجون والمنافي، وتقدمهم للمحاكم العسكرية والجنائية لتنتقم منهم شر انتقام، وتحكم على الكثيرين منهم بالإعدام.

لقد كان الجنرال دُوكول يتعامل مع محمد الخامس شخصيا تعاملا فيه كثير من المجاملة والتنويه بمواقفه الشجاعة أثناء الحرب وأثناء محنة فرنسا بالخصوص، ولكن هذا كله كان في نطاق المجاملات، ورغما من أن محمدا الخامس عبر له أثناء لقاءاته المتكررة معه عن مطامح بلاده في العزة والكرامة والحرية وتغيير أوضاع الحماية، فإن الجنرال دوكول احتفظ بكل ذلك في ذاكرته، ولكنه لم يعط أي وعد صريح، ولم يحقق أي مطمح من مطامح الشعب المغربي في الحرية المنشودة، لقد اعترف دوكول في مذكراته بما عبر له عنه محمد الخامس عن مطامح شعبه في عبارات رقيقة فقال : (في نطاق المراسيم الرسمية، ربطت الاتصال مع السلطان محمد بن يوسف، شخصا لشخص، هذا العاهل الشاب الأبي الصريح، لم يكن يخفي طموحه في قيادة مسيرة بلاده نحو التقدم في يوم من الأيام نحو الاستقلال، حين تراه وتستمع إليه وهو يتحدث تارة بحرارة وطورا بحذر، ولكن دائما بكثير من اللياقة، تشعر بأنه مستعد للاتفاق مع كل من يساعده على القيام بهذا الدور، لكنه قادر على الصمود في وجه كل الذين يعترضون طريقه نحو هذه الغاية) لقد كانت روح الجنرال دوكول وأخلاقيته، تفرضان عليه أن يثني على محمد الخامس ذلك الثناء العاطر، ويعترف ضمنيا بأحقيته فيما يطمح إليه من تحرير بلاده، ولكنه لم يخط أية خطوة في هذا المجال بل إنه غض الطرف عن التصرفات الهوجاء، والعنف القاسي الذي تصرف به كابريال بيّو وهو يقاوم فكرة الاستقلال ويصمم على أن يمحيها من قاموس المغاربة حتى لايبقى لها وجود لا في أفواههم ولا في قلوبهم ولا في عقولهم.

حقا إنه كان يشعر بما بذله محمد الخامس من معونة لفرنسا وهي في معركة تحريرها من النازية والفاشية الطاغيتين، ولذلك بادر في يونيه 1945 بعد تحرير فرنسا بدعوته إلى باريز للمذاكرة معه في موضوع الأزمة المغربية، والبحث عن طريقة حلها، ولكنه لم يهضم أو لم يترك له ماكان يطمح إليه من بقاء الإمبراطورية الفرنسية باسطة ظلالها على البلدان الخاضعة لها ومنها المغرب، فاكتفى بإعطاء بعض الوعود التي لاتمس جوهر الوجود الفرنسي بالمغرب، مثل التفكير في إطلاق سراح المعتقلين وتغيير المقيم العام «بيو» وتعيين «اريك لابون» في مكانه، وإقامة حفل كبير، واستعراض لفرقة من الجنود المغاربة الذين ساهموا في تحرير فرنسا وتوشيح صدر محمد الخامس بوسام رفيق التحرير، وهو وسام فرنسي لم ينله إلا أقل الأقلين من الساسة الكبار.

قد يكون الجنرال «دوكول» ناويا أن يحقق بعض المطامح للشعب المغربي إذا ما بقي في الحكم، مثل ماكان «روزفيلت» يفكر في مساعدة المغرب على تحقيق أمانيه في الحرية والانعتاق، ولكن المنية عاجلت هذا الأخير، والانعزال السياسي الذي فرضته الظروف السياسية على الأول عاقا تحقيق ذلك. ولكن الواقع الذي لاينبغي عدم تسجيله أن ما قاساه المغرب ملكاً وشعباً بعد انعزال دوكول أو لدى بقائه في الحكم يتحمل دوكول كثيرا من المسؤولية الأدبية فيه، فالأحداث التي وقعت أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات والتي توجت بنفي محمد الخامس من بلده إلى كورسيكا ثم إلى انتسيرابي كل ذلك لايمكن أن ينساه التاريخ ولا أن يغفله.

إثر اعتقال الزعماء

صبيحة يوم 29 يناير 1944 دق جرس التليفون بمنزلي، ليخبرني أحد الإخوان من الرباط، أنه ألقي القبض على الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج ومساعده محمد اليزيدي، لم يكن الخبر مفاجئا لي، فقد كنا نتوقع أن ساعة الاصطدام مع الاستعمار قد دنت، وأن الإقامة العامة الفرنسية جادة في البحث عن الوسيلة التي ستستند عليها لمهاجمة الحزب، والقضاء على فكرة الاستقلال، وبمقدار ماكانت الإقامة جادة في مهاجمتنا، كنا مهيئين نفسانيا وتنظيميا لمقاومة كل المخططات التي سيلجأ إليها الاستعماريون، فالشباب متحمس غاية الحماس، والمناضلون ينتظرون الأمر بالقيام بواجبهم، عندما يدعو الواجب القيام بأي عمل. عقدنا اجتماعات مستعجلة مع بعض الأطر الحزبية بمنزلي، وقررنا القيام بمظاهرات تضامنية مع المعتقلين، مطالبين بإطلاق سراحهما، وانطلق المكلفون بالدعوة إلى التظاهر يطوفون بالأسواق، ويجوبون الشوارع والطرقات، داعين الجماهير إلى الذهاب إلى المسجد الأعظم بعد صلاة الظهر، لقراءة إسم الله اللطيف، ثم الانطلاق من المسجد للتظاهر في أهم الطرقات، لرفع الصوت واستنكار إلقاء القبض على الزعيمين، والمطالبة بإطلاق سراحهما، والهتاف بللاستقلال والحرية.

مع باشا سلا

حوالي العاشرة جاءني استدعاء من طرف باشا المدينة، فذهبت توا لمقابلته، حيث وجدت بعض الإخوة ينتظرون ماذا سيقول لهم، وبمجرد جلوسي، خاطبني وكان معه

المراقب المدني الفرنسي قائلا : لقد أخبرتني المراجع العليا، أنه ألقي القبض على الحاج أحمد بلافريج، نظرا لثبوت اتهامه بالتعاون مع الألمانيين، ومن أجل هذا فإني أحذركم من كل هيجان أو تظاهر أو احتجاج، وأحضكم على الهدوء والسكينة. حتى لايقع مايكدر صفو المدينة والسكان (أو كلاما هذا معناه) فأجبته فورا بأن مثل هذه الاتهامات، ألفنا أن نسمعها من رجال الإدارة الاستعمارية، ونحن نرفضها جملة وتفصيلا، ونؤكد لكم أننا يد واحدة مع بلافريج، ومع أي فرد من أفراد حزبنا، ونحتج على إلقاء القبض عليه وعلى الأخ اليزيدي، فأجاب بأن اليزيدي سيطلق سراحه وأما بلافريج فسيقدم للمحاكمة، وساد سكوت وصمت، أعقبه خروجنا جميعا من عنده، مصممين على الاستمرار فيما قررناه، في الدعوة إلى الإضراب العام الشامل للمدينة وضواحيها.

صارت الأسواق تقفل أبواب دكاكينها، والشبان يطوفون هنا وهناك داعين إلى الإضراب، وتلاميذ المدارس بأجمعها أوقفوا دروسهم، وخرجوا بدورهم إلى الشوارع، والفلاحون في الحقول المحيطة بالمدينة أوقفوا حركتهم وصاروا يقصدون المسجد، وساد المدينة جو قاتم، وظهر الغيظ على النفوس، الكلُّ ساخط وناقم على الإدارة الاستعمارية.

رجعت إلى بيتي بحومة زناتة، حيث كان يرد على الأفراد جماعات ووحدانا، مخبرين بتطور الأحداث وسيرها، والكل مستبشر بالإجابة التلقائية لدعوة الإضراب، من طرف جميع الطبقات، وصار المنافقون والمتخاذلون يختفون ويتسللون إلى بيوتهم، خائفين حذرين، وعيون الوطنيين تلاحقهم، ناظرة إليهم نظرة السخط والاحتقار. ولربما كانت بعض الألسن المتحمسة، تصب عليهم عبارات سخطها وغضبها.

لقد كنا قررنا أن نقوم بمظاهرات متتابعة، إذ ما هاجمتنا السلطات الفرنسية، وكانت القرارات ترجع إلي، باعتباري المسؤول الأول في المدينة، وحوالي الساعة الثانية عشرة زوالا، وفد علي المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، وكان يطوف المدينة مع جماعة من المناضلين مثل الأخ محمد البقالي والمرحوم عبد السلام النجار، داعين إلى الإضراب العام الشامل، أقول دخل علي الأخ بوعبيد مخبرا بأن الأمور تسير سيرا حسنا جدا، وراجياً مني أن يكون أول مترئس للمظاهرة الأولى، فوافقته توا على طلبه، ثم فارقني ليتهيأ إلى الذهاب إلى المسجد وقيادة المظاهرة الأولى.

لم أفارق البيت في اللحظات الأولى، بعد الزوال، وكانت الجماعات تلو الجماعات تتوارد على بيتي، لإخباري بالأرتال التي كانت ترد على المسجد، من الرجال والشبان

من مختلف الطبقات، وبعد صلاة العصر، شرع المصلون في تلاوة إسم الله اللطيف، وكان النساء الوطنيات برئاسة المرحومة البتول الصبيحية، يرفعن أصواتهن بذكر إسم الله اللطيف، عندما يسكت الرجال، كان منظرا مؤثرا جدا، هذا الجو الروحاني المتجه إلى الرب العظيم أن يلطف بعباده، ويقيهم من شر الاستعمار ودسائسه ومكره، وما مضت إلا نحو الساعة حتى قام المرحوم عبد الرحيم بوعبيد ليلقي كلمة قصيرة في الجموع، ويطلب منهم الخروج إلى الشارع للقيام بمظاهرة سلمية، تضامنا مع المعتقلين، ومطالبة بإطلاق سراحهم. وبينما أنا بالمسجد، إذ قصدني بعض المناضلين — لم أذكر إسم أي واحد منهم — ليحكوا لي عن مظاهرة الرباط الصاخبة، وما وقع فيها من أحداث، ويطلعني أحدهم على قطعة من الثوب ممزقة من الملبوس الذي كان يلبسه الفقيه محمد معمري الزواوي مدير التشريفات الملكية، والذي ارتمى عليه المتظاهرون عندما نطق بأن بلافريج اعتقل لأنه كان متصلا بالألمانيين، ولقد كاد المتظاهرون المتحمسون يقضون على حياته، إذ أسقطوه على الأرض، وصاروا يضربونه، ولم ينجه منهم إلا بعض عقلاء الحزب الذين كانوا ضمن المتظاهرين كما سنتحدث عنه.

انطلقت المظاهرة من باب المسجد القبلي، مارة بالعقبة المسمَّاة بعقبة المدرسة، متجهة إلى «الطالعة» ومنها إلى الحرارين فالشراطين فطريق باب الخباز، فساحة الشهداء وفي الطريق التي مرّ منها المتظاهرون مروا محاذين لبيت الوطني الغيور الحاج بوبكر المالقي، وكان مريضا، فأطل عليهم من شرفة بيته رغم مرضه، وصار يشجعهم ويقوي معنويتهم، ثم صار يرمي إليهم بعض العصي الغليظة، ليحموا بها أنفسهم، إذا ماداهمتهم قوات اللفيف الأجنبي التي كانت متجمعة في ساحة الشهداء، وحواليها، منتظرة الإذن لها لتفريق المتظاهرين بالقوة، وقريبا من باب البلدية كان المراقب المدني (كُوسْتُودُوَادُو لاَمَارْكْ) مع بعض مساعديه الفرنسيين ومنهم المندوب المخزني (دوسانطي) الذي كان متجلبباً بجلابية مغربية ويسير بين المتظاهرين يستمع لأقوالهم ويتتبع خطواتهم، وقيل لي أن المتظاهرين ضربوه على رأسه، ومنهم عميد الشرطة الفرنسية «لورانزي» وخليفة الباشا المكي الصبيحي مع بعض أعوانه، فدخلوا مع بعض قادة المظاهرة ومنهم المرحوم عبد الرحيم بوعبيد والأخ محمد البقالي في نقاش حاد، عندما حاول المراقب المدني أن يتهم البقالي بالاعتداء على رئيس الشواش الذين عندهم والمسمَّى بنعيسى. وكان بعض المدنيين الفرنسيين ومنهم طبيب كان يسكن قريبا من الساحة متسلحين بمسدسات متحرشين بالمتظاهرين، فاقدين لأعصابهم بعكس طبيب فرنسي آخر المسمى «لوبلان» فقد كان موقفه مع المجروحين في منتهى الإنسانية. واحتد الجدال بين المتظاهرين من

جهة، وبين المسيرين للقوى المناهضة للمظاهرة، وصار بعض الشرطيين يطلق الرصاص عندما رأوا أن المتظاهرين مصصمون على تخطيهم والذهاب إلى الرباط، قصد التعبير لجلالة الملك عن تضامنهم مع المعتقلين : بلافريج ومن معه، ومطالبتهم بإطلاق سراحهم، وما أن سمع المتظاهرون بالرصاص ينطلق، وما أن رأوا بعض إخوانهم الوطنيين يسقطون متخبطين في دمائهم، حتى اشتد هيجانهم، وماهي إلا لحظات حتى كان خنجر يغرس في ظهر أحد الشرطيين الفرنسيين المسمى بدافيد، فيسقط بدوره يتخبط في دمه، واحتدت المعركة بين هؤلاء وأولئك فلم يبق يسمح إلاّ دوي الرصاص، والأناشيد تتعالى بها الأصوات، والاعبارات السخط على الاستعمار وأذناب الاستعمار، والهتاف بالحرية والاستقلال، وتوالى استعمال الرصاص لتفريق المتظاهرين، وأصيب الكثيرون من الشباب الوطني برصاص العدو الغاشم ـــ عرفنا منهم إذ ذاك : العربي المريني وأحمد السفياني مَحمد الناصري وعبد الرحيم حركات، أما الشهداء الذين سقطوا في الساحة، فكان منهم الشهيد خلافة الصحراوي والزمراني، والشهداء بوعزة بن العربي الشاوي وبلال بن فاتح الدكالي والفقير اللجلالي الفيلالي ومن بين اللاتي أصبن برصاصات العدو السيدة خناثة الروندة زوجة العمري التي أصيبت في ساقيها اللتين كانتا تتقاطران دما، كما رأيتهما بأم عيني عندما زرتها بعد انتهاء المظاهرة في بيتها رحمها الله.

وعندما أوشكت الشمس أن تغرب، حمل الضحايا الشهداء إلى منازلهم، وقامت لجنة الإسعاف بزيارة ذويهم وأهليهم والتعزية فيهم وتهنئة ذويهم بالشهادة التي أنعم الله عليهم بها. ويجمل بي في هذا المقام أن أشهد أنني مع أفراد من إخواني لما زرنا بيوت الشهداء التي استطعنا أن نتعرف عليها في ذلك المساء، لم نلاحظ تذمرا ولا تشكيا من أهاليهم، بل إنهم قابلونا باظهار الاستسلام والرضى بما قدر الله. كما وأسجل بمنتهى الفخر والاعتزاز أنني لما زرت منزل الشهيدة خناثة الروندة في بيتها التي تأخر موتها بعد ذلك ـــ وجدتها جالسة فوق كرسي عال، وساقاها ممتدتان أمامها، وهما عبارة عن قطعة حمراء قانية من الدم، حيث أن الرصاص الأجنبي الغاشم، محا جلداهما، وتركهما عبارة عن عظمين مكسوان بالدم لاغيْر، والشيء الذي أثر فيَّ جيدا، أنني وأنا أسليها وأخفف عنها الآلام بالكلمات التي انطلق بها لساني في تلك الساعة، أجابتني رحمها الله بابتسامة ويقين ورضي، معبرة عن فرحتها بما لقيته في سبيل الله والوطن.

وما أن بدأ الليل يرخي سدوله، حتى صار الجيش الأجنبي برئاسة الكوماندار «جيرالطون» وهو رجل كما حكوا لنا عنه رجل متعصب استعماري متصلب يحتل المدينة جزءا جزءا، وحومة فحومة، ولا يكتفي بوجوده في المراكز الأساسية في المدينة وبين

الأزقة، بل صار يحتل سطوح المنازل والدور، ليطوق المدينة من الأرض وما فوقها، ويراقب المارين والمارات، فساد المدينة جو من الظلام والتوتر والرعب، وكان العسكريون يكسرون أبواب الدور والمخازن التجارية، ويتناولون منهما مايشاؤون ويفتشون الدور بحثا عن الوطنيين، وإلقاء القبض عليهم وجمعهم في السيارات العسكرية المصفحة وإرسالهم إلى الثكنات العسكرية وإلى السجون مستعملين أقسى أنواع الإرهاب والضرب واللكم والسب وفي الغد بعد هدوء الحالة ألزمت السلطة العسكرية السكان بإطعام الجنود الأجانب وأداء غرامة عن قتل الشرطي دافيد.

عقد اجتماع مصغر

بعد انتهاء المظاهرة عقدنا اجتماعا مصغرا بمنزل المرحوم الطاهر زنيبر قيمنا فيه الأحداث كما وقعت، وتدارسنا ما يجب عمله ابتداء من الغد، وكان المقرر عندنا أن تتوالى المظاهرات في اليوم والأيام الموالية، ولكن احتلال المدينة بتلك الكثرة من الجنود، وعدم تعرفنا على كل الحوادث والأحداث نظرا لأننا لم نستطع الاتصال بجميع إخواننا المناضلين المكلفين بتسيير المظاهرات المقبلة، كل هذا جعلنا نقرر التريث بعض الوقت حتى لانفشل فيما سنقرره.

بدء اعتقال الوطنيين

وجاء صباح 30 يناير 1944، لتسرع السلطات المخزنية، المسيرة من طرف الإدارة الفرنسية في إلقاء القبض على المناضلين من مختلف الأعمار والحيثيات، وحوالي الساعة العاشرة، طرق باب بيتي عون مخزني يساعده شرطي فرنسي، وأخذاني إلى منزل باشا المدينة الذي خصص بجانبه مكان، كان بمثابة محكمة، جلست فيه بعض الوقت ثم أخذوني إلى ساحة البلدية الواقعة قريبة من ساحة الشهداء ثم صار المناضلون يلتحقون تباعا، وكانوا مختلفي الأعمار، وأغلبيتهم من مناضلي الحزب الوطني وفيهم بعض مناضلي الحركة القومية، وأثناء الذهاب بي إلى محكمة الباشا، اعترضني في الطريق الشاب الشهيد أحمد بن اعبود، وكان من الأطر الشابة المتحمسة وسألني بصوت جوهري عما آمره به من عمل، فأجبته بأن التعاليم ستصل فيما بعد، ولم أكن أعرف في تلك اللحظة، الدور الذي قام به أثناء المظاهرة، وبالأحرى لم أكن أعرف أنه سيلقي عليه القبض بعد قليل، وستوجه إليه تهمة قتل الشرطي دافيد السالف الذكر.

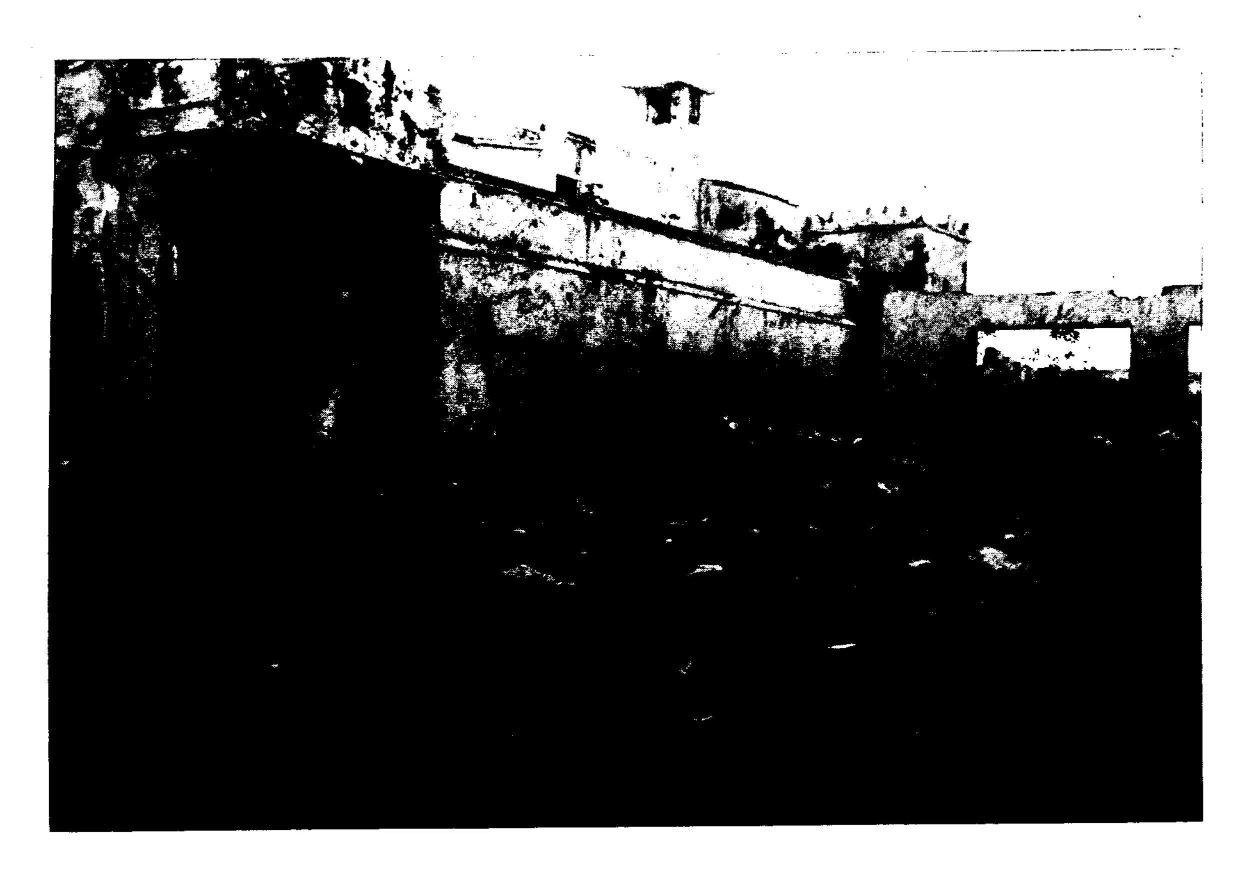


الشهيد أحمد بن اعبود
الذي أعدم ليلة المولد النبوي

بقينا مجمعين في حديقة البلدية، واقفين الواحد بجانب الآخر، وفي الآونة بعد الأخرى، يلتحق بنا بعض المناضلين الذين يلقى عليهم القبض، وبينما نحن واقفون، والجيش الأجنبي محيط بنا من كل جانب، إذ نرى من بعيد الأرتال من الأعيان يوتي بها إلى المراقبة المدنية، لتسمع من المراقب ومعاونيه التوبيخ والوعيد والأخذ بالثأر، جزاء ما وقع بالمدينة من أحداث.

وما هي إلا بضع دقائق، بعدما اكتملت أفواج المعتقلين، حتى لاحظت عسكريا كبيرا خرج وبجانبه ترجمان جزائري، اسمه (روسطال) فتكلم العسكري، وأعطى الكلمة للترجمان الجزائري ليلقي كلمات تهديدية، من جملة مافيها على سبيل التقريب : انكم معتقلون بأمر من الجنرال لوكلير، وأنتم مسؤولون عما وقع من أحداث، وإذا ما وقعت أحداث أخرى فإنكم تتحملون مسؤوليتها، وستعاقبون على مقتضى ذلك، إلى آخر ماقال.

كان الترجمان يتكلم بصوت مرتفع جدا، وكنا واقفين صفا متراصا طويلا، ثم أمرنا أن ننزع ثيابنا كلها لنبقى تقريبا عراة، والوقت وقت برد شديد (مساء ثلاثين يناير) ثم صاروا يفتشوننا واحدا واحدا، وأمرنا أن ندفع لهم كل ما في جيوبنا من أوراق



السجن المدني بالرباط

وفلوس وغيرها حتى يأخذونا إلى المعتقلات مجردين من كل ما نحتاج إليه، كان خطابهم في غاية الغلظة والعنف، بل ربما تعدى مع البعض منا إلى الضرب والركل. كما كانوا يحاولون أن يرعبونا بخطاباتهم العنيفة، وتهديداتهم وإظهار قوتهم وغلظتهم، وبقينا بعض الوقت في تلك الحالة المزرية، معرضين لأخطار البرد إلى أن جاءت السيارات العسكرية التي أقلتنا إلى السجن المدني بالرباط، وأقلت الآخرين إلى المعتقل العسكري (كَانْ كارني) بطريق تمارة بالرباط، وكنا محظوظين لأننا كنا من الأولين الذين رُمِي بهم إلى السيارات التي نقلتنا إلى سجن الرباط، لأن الذين نقلوا إلى المعتقل العسكري لاقوا من العسكريين كثيراً من العنث.

إثر مجيء السيارات العسكرية، أمرنا أن نلبس ثيابنا ونصعد إلى السيارات المعدة لحملنا كما تحمل الأمتعة، كل هذا ونحن مطوقون بالجيش الفرنسي، من ذات اليمين وذات اليسار، فانطلقت السيارات إلى سجن الرباط الواقع قرب الاوديا، وهناك وقفت ونزلنا ليرموا بنا في زنازن المجرمين، فبعد تسجيلنا واحدا واحدا في دفتر السجن، أخذونا إلى الحمام (الدوش) لنغتسل حتما بالماء البارد، رغم أن الفصل فصل شتاء، وإني أذكر وأنا واقف في الدوش، بعدما صب الماء البارد علي، والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد بجانبي، وأنا أقفقف من البرد، لأني لم أعتد في حياتي أن أغتسل بالماء البارد لاصيفا ولا شتاء، فأكد عليَّ الأخ بوعبيد أن أجفف لحمي وصدري تجفيفا قويا حتى لايبقى به بلل وحتى لاأصاب بالزكام، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة، أخذوا بعض ملابسنا ليبخروها وينقوها مما قد يكون فيها من قمل وغيره أخزاهم الله، حسبما يطبق على كل المساجين ثم ردوها لنا لنلبسها من جديد، وهناك أخذونا إلى زنازن المجرمين، الذين عندما دخلنا عليهم، حدث لهم اندهاش، فلم يألفوا أن يلتحق بهم في زنازنهم هذا النوع من البشر، والواقع أنهم تأثروا وعبروا عن مشاعر الاحترام والتقدير، لما عرفوا الدوافع والأسباب التي أتت بنا إلى السجن، لنحشر معهم كمجرمين.

أقفلت علينا الأبواب، وساد الظلام، وقضينا ليلتنا جائعين، يحادث بعضنا بعضا، ويتحادث مع بعضنا أولئك المجرمون، متسائلين عن قصتنا، والدوافع التي أتت بنا لنلتحق بهم في هذا السجن المظلم البائس.

لا أتذكر بالضبط كل ما عشته مع إخواني في تلك الفترة القاسية العذبة في آن واحد،[4] القاسية باعتبار المعاملة الجافة الغليظة التي عاملتنا بها السلطات الاستعمارية،

(4) خصصت فصلاً من هذه المذكرات عن ذكريات السجن.

والعذبة باعتبار راحة الضمير التي كنا نحس بها في تلك السويعات، والاطمئنان القلبي الذي نشعر به، وشعورنا بأن الطريق الصحيح الذي يوصلنا لتحقيق أهدافنا الشريفة في الحياة، هو طريق التضحية والوفاء، ونكران الذات، والتحمل لكل أنواع الصعاب، في سبيل إعزاز بلادنا وتحريرها من رقبة الاستعمار.

لم نكن قلقين ولا منزعجين ولا نادمين على ماقمنا به من مطالب مشروعة، ولم نكن ننتظر ونحن نخطط للمطالبة بالاستقلال، أن تفرش لنا الأرض بالزهور، وتتخطفنا الأيدي بالتصفيق والترحاب والتأييد والهتاف، ولكنا كنا ندرك كل الإدراك أن الجنة حفت بالمكاره، وأن الأبواب لاتفتح، إلا إذا ضرجت الأيدي والأجسام بالدماء، كما عبر عن ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي عندما قال :

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

أعطونا «كاشتين» (ملاءتين) : واحدة للفراش وواحدة للغطاء، وأخذنا أماكننا وسط هذه الجموع من السجناء المختلفي السحَنات والأعمار والأسباب التي أتت بهم إلى السجن، ففيهم المجرمون الكبار، وفيهم السراق المختصون البارعون، وفيهم الذين ارتكبوا بعض المخالفات أو العصيان المدني المتعدد الأشكال والألوان.

أما نحن الذين حشرنا معهم حشرا، فلم نكن من نوع واحد، فاقد اختلط بنا بعض الذين لاعلاقة لهم بالنضال، وبالمشاركة في المظاهرة، ولا بالوطنية لا من قريب، ولا من بعيد، إذ حَشروا بين صفوفنا من اتهموهم ظلما وعدوانا، سواء من بعض المعلمين أو من غيرهم، كما ألقوا على بعض من وجدوهم في الطريق العامة، رغم عدم اهتمامهم بأي شيء.

وأذكر أن أحد المعلمين وكان شابا ظريفا بعيدا كل البعد عن أي اهتمام بالقضايا السياسية، ألقوا عليه القبض بدوره لا لسبب، إلا لأنه كان معلما بمدرسة ألقي القبض على عدد كثير من معلميها، لأنهم كانوا متحمسين وطنيين، إنني لازلت أتصور هذا المعلم جالسا في جنب من جوانب الزنزانة الكبرى، التي كنا مكدسين فيها، جلسة القرفصاء، متكئاً على الحائط يفكر في المصير الذي صار إليه، لقد ناداني وهو يبتسم : وأنا يا أبا بكر (ياسيدي بوبكر) لماذا يأتون بي معكم ؟ أَسبَقَ لي أن شاركتكم في عمل من أعمالكم الوطنية ؟ إنني مظلوم مظلوم. فطمنته بأن محنته لاتدوم، ولاتطول إن شاء الله، وبالفعل لم تمض عليه إلا أسابيع قليلة حتى أُطلق سراحه.

كما ألقي القبض على أفراد شعبيين، لم تكن لهم أية علاقة بالحركة الوطنية، لا من

قريب ولا من بعيد، منهم واحد كان يسمى «المزيبري» وكان يظل النهار جميعه يفلي ثوبه من القمل، وكأن ذاته وملابسه معامل للقمل، فكان يقتل العشرات والمآت. وهي تتزايد، ومنهم آخر كان يسمى بمحمد (الهايج، ويلقّب بالاستشحَاط، وكان ضحوكا لَعوبا لا يفتر عن النكت، والفكاهة والضحك وغير هؤلاء كانوا كثيرين، ومنهم الفقيه محمد الدكالي وكان معلما في اللغة الفرنسية بمدرسة أبناء الأعيان، وبعيدا عن السياسة وأهوالها ومتاعبها، ولكن متاعبه وسجنه جاءاه من أنه كان زميلا لعبد الرحيم بوعبيد، وأحمد بن اليمني، ويونس نكروف، في مدرسة أبناء الأعيان، والمثل يقول (مْعَ مَنْ شَتَّكْ مْعَمَنْ شَبَّهْتَكْ) فَزَمالتُه لأولئك المذكورين، مَنَحَه شرف الإنتماء للحركة الوطنية، لقد عينوا علينا الفقيه الدكالي هذا رئيسا (كَابُرال) لأنهم رأوْه يُحسن الكلام بالفرنسية، فإذا ما أرادوا مخاطبة أحد في قضية من القضايا، فإن الدكالي هو الواسطة، ومن الذين حشروهم معنا – ولم تكن – لهم أية مسؤولية ولا مشاركة على ما أظن السيّد الصديق عواد، وذنب هذا على ما أظن، أنه كان كتب مقالا قصيرا في جريدة عمل الشعب عندما كانت تصدر في الثلاثينيات، والصديق عواد، كان شاباً ظريفاً، لايخلو لسانه من نكتة، وفيه غيرة، وكان والده وكان قاضيا يتعامل معنا عندما كان إماماً للمسجد الأعظم تعاملا فيه كثير من الاحترام والتوادُد ولكنه مع الأسف الشديد أفتى ضدنا في بعض الفترات التاريخية مستدلا بالآية الكريمة التي تقول ﴿إِنَّما جَزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبوا أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفوا من الأَرْضِ﴾ ونشرت فتواه في جريدة كانت تصدرها إدارة الاستعلامات، ويديرها أحد الخونة، ولربما كانت تسمّى بالقيامة» ولقد أطلعني على العدد الذي نشرت فيه هذه الفتوى، بعد خروجي من السجن الشاب الوطني السيد محمد (فتحا) بن ج محمد عواد، قلت إن الصديق عواد كان لايخلو من نكتة، ومن مرح، وكان ألوفا ومبتلى بشرب القهوة كثيراً، فلما دخل السجن، رغم أنه لم يطل مُقامه فيه إلا نحو العشرين يوما لما دخل السجن، افتقد شرب القهوة، فكان يحنّ إليها، ويتشوق إلى تناول شربات منها ويقول : إن ماأتمناه من صميم قلبي، أَخْذ جرعات من قهوة مقطرة تقطيرا متقنا، فتسرى من فمي إلى صدري وأمعائي وذاتي جميعها، فتنعشها. آه من فقداني للقهوة، متى يمنّ الله علي بجرعات منها، ولو كانت قليلة، يقولها وهو يضحك ويتمازح مع أصدقائه.

مؤامرة الإقامة العامة ضد الوطنيين

ويجب أن أسجل هنا أن الإقامة العامة الفرنسية، كانت دبرت مؤامرة كبرى ضد الحزب وبعض رؤسائه ومسؤوليه، واتبعتها باتهام بعض مسؤولي الحركة القومية، بأن الجميع كانت لهم اتصالات بالمحور، وكانوا يتآمرون ضد الحلفاء، وبسبب هذا ألقى القبض على بلافريج واليزيدي وإدريس رودياس في الرباط، وعلى الهاشمي الفلالي والشهيد عبد العزيز بن إدريس والمرحوم أحمد مكوار والمرحوم محمد إبراهيم الكتاني والمرحوم رشيد الدرقاوي والمرحوم عبد الهادي الشرايبي من فاس وغيرهم من الإخوان الذين لم أتعرف إلى أسمائهم وكان قصد الإقامة العامة أن تغتنم فرصة ظروف الحرب، لتقضي القضاء النهائي على الحركة الوطنية المغربية، باتهام مناضليها بالتعاون مع المحور، وعرقلة المجهود الحربي الذي يقوم به الحلفاء، خصوصا وقد بدت تباشير الانتصار تظهر للعيان، وصار الفرنسيون يرفعون رؤوسهم تحت زعامة دوكول، ولكن الله سبحانه كان بالمرصاد للمتآمرين من الفرنسيين وأعوانهم وأذنابهم، فرجع كيدهم في نحورهم، وبقيت شعلة الوطنية مشتعلة، وبقي الوطنيون يقومون بواجبهم في الدفاع عن الوطن، ومتابعة السير بالحركة الاستقلالية إلى أن ظفر المغرب باستقلاله، وانتصر الحق على الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

لقد أطلقوا في يوم اعتقال «بلافريج» صديقه الحميم، ومساعده الفذ المرحوم محمد اليزيدي تحت ضغط الظروف، واشتعال المقاومة، وتوالي المظاهرات، وفقدان الحجة التي يستندون إليها، لتقديمه إلى المحكمة العسكرية، مثل ماكانوا دبّروه لبلافريج، ولقد وجدوا في محمد الخامس رضوان الله عليه، الرائد الحكيم، والمنافح الصلب الذي لاتلين قناته، فلقد استطاع أن يلقمهم حجرا بعدما قرروا القبض على بلافريج واليزيدي، عندما خاطبهم قائلا : لايلقى القبض على أي شخص من المواطنين إلا إذا كانت هناك حجة تبرر ذلك، فبلافريج الذي تتهمونه بزيارة ألمانيا والاتصال بزعماء المحور، لابد أن تعرض قضيته على رجال العدل ولو كانوا من العسكريين، ولابد أن يعين إلى جانبه محامون، ليتابعوا قضيته، ويشدوا أزره، لتظهر براءته التي نحن متيقنون منها أما اليزيدي فليس

لديكم أي اتهام ضده، بالإضافة إلى أنه هو الذي يستطيع أن يهدىء من ثورة المحتجين والمتظاهرين الذين قصدونا في قصرنا، مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين، وهكذا ألقم محمد الخامس رجال الإقامة حجرا، فاضطروا لإطلاق سراح اليزيدي في الحين، وأتوْا به إلى القصر الملكي ليلتقي بمحمد الخامس، ويتفق معه على معالجة الوضع الغضبي الذي نشأ عن إلقاء القبض على بلافريج إلى آخر ماحدث كما سنفصله، ومن هنا يتضح أن ماكتبه الأستاذ عبد الهادي بوطالب في ذكرياته وشهاداته صفحة **126** من الجزء الثاني تنقصه بعض المعلومات، فلقد كتب يقول : (وما أزال أرى محمد اليزيدي الذي كان في طليعة من اعتقل بالرباط، وهو ينزل من سيارة مخفورة، ويتوجه إلى مخاطبة المتظاهرين، ليحثهم على توقيف المظاهرات، وفتح الدكاكين والعودة إلى الحياة الطبيعية، وقد قيل إن مدير إدارة الداخلية الفرنسية (فالا Valla) صحبه بنفسه، وأنه خاطب الجماهير ونصحهم بالتفرق، فلم ينصع إليه أحد، وكان المتظاهرون يقولون أين هم المعتقلون الآخرون ؟ ومتى سيطلق سراحهم ؟ لدرجة أنه أخذ يقتصر ــ وهو محمول على الأعناق علي مخاطبة كل فوج من المتظاهرين بقوله : «حلوا حوانيتكم والسلام» وجرّب محمد ملين، زعيم حركة الأحرار المستقلين، أن يهدىء المتظاهرين، ولكن بدون جدوى، حسب تعبيره في كتابه «نضال ملك» ولم يكن في إمكان اليزيدي أن يكشف عن الدوافع التي جعلت الإقامة العامة تطلق سراحه وحده، وتسمح له بمخاطبة المتظاهرين، ودعوتهم إلى الهدوء، لكن تبين بعد ذلك أن الإقامة العامة أخرجت من جعبتها تهمة التآمر على الأمن الداخلي لشلّ مجهود الحرب، وتهمة العمالة للنازية والفاشية، وألصقتها بطلاب الاستقلال، معتبرة أن الاستقلال يشكل طعنة من الخلف لظهر فرنسا والحلفاء، وقد كان بلافريج في زعمها هو كبير الوطنيين الذي علمهم السحر. أليس أنه أقام بالخارج مدة، وطاف على أعداء فرنسا لاستعدائهم على حضورها بالمغرب ؟ ومن أجل هذا الزعم، استحق الأمين العام لحزب الاستقلال، أن يفرد بعناية خاصة، فنفته الإقامة العامة إلى كورسيكا، وكأنه مجرم حرب، ولتخفيف التهمة على الوطنيين، وسعيا إلى احتواء الأزمة السياسية، سارع اليزيدي إلى التحدث إلى المتظاهرين، لحضهم على تجنب تعقيد الأزمة، ويقال إن الإقامة العامة وعدته مقابل ذلك، بإطلاق سراح المعتقلين وعدا كاذبا، حيث عمت تدابير القمع، المدن والقرى، ولم يسلم من الاعتقال أي وطني يقول : مطلبي الاستقلال، إلا من رحم ربك) فمن خلال هذه الفقرات التي كتبها الأستاذ بوطالب في حق المرحوم اليزيدي، لاتبرز الدواعي الحقيقية التي جعلت الفرنسيين يطلقون سراح اليزيدي، والتي نتجت عن نقاش أو

حوار جرى أولا في دار المخزن بين رجال الإدارة الفرنسيين والمسؤولين المخزنيين، ثم بين الفرنسيين وجلالة محمد الخامس الذي استقبل اليزيدي بعد سراحه، وأعطاه تعاليمه بإبعاد المتظاهرين عن القصر، وإخبارهم بأن بلافريج ستحال قضيته على المحكمة ويدافع عنه محامون يعينون من طرف جلالة الملك نفسه، كما صرح رحمه الله بذلك لبعض الذين استقبلهم في تلك اللحظات التي كانت فيها المظاهرات صاخبة وحامية، فاليزيدي لم يطلق سراحه لسواد عينيه في تلك الظروف، و لم يكن يستطيع وهو معتقل أن يغادر الزنزانة التي كان معتقلا فيها دون احتياج إليه وإلى شخصيته التي كان الجميع يعرف قيمتها ومركزها الاجتماعي والسياسي، و لم يكن محمولا على أعناق المتظاهرين لأنه رجل عادي لايعطي كلامه أي معنى، والذين كانوا متزعمين للمظاهرة ومؤطرين لها كانوا يعرفون قيمة اليزيدي في قيادة معركة الاستقلال. وموقف اليزيدي في ذلك الظرف كان تلبية لأوامر ملك البلاد الذي كان حريصا كل الحرص على أن لاتتطور الأحوال، لتنعكس سلبيا على ماكانت تهدف إليه الحركة الوطنية الاستقلالية، ولو أتيح للأستاذ بوطالب في ذلك الظرف أن يتصل ببعض أصدقائه الوطنيين الذين أشار إليهم الأستاذ السيتل العيساوي فيما كتبه عن المظاهرة التي كان أحد المؤطرين لها، لأعطاها وصفا أكثر عمقا، ولشرح الأسباب والمسببات، والدوافع والدواعي، ولأنصف اليزيدي الذي لاشك أنه يعرفه حق المعرفة.

شهادة الأستاذ عبد الله الجراري عن المرحلة

وتتميما للفائدة، وزيادة في إعطاء الأضواء، حول المظاهرة وبلافريج واليزيدي، أنقل ماكتبه المرحوم الأستاذ عبد الله الجراري في كتابه : (شذرات تاريخية) ص 158 وما بعدها،، قال الجراري : (بعدما اجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم، وتجمهروا في حماس مرهب، توجهوا نحو القصر السلطاني، رافعين أصواتهم المدوية في أجواء الشوارع بالأناشيد الحماسية، والنداءات الحارة، هاتفين بحياة الملك والزعماء، طالبين إطلاق سراح المعتقلين، وعند وصولهم القصر، تجمهروا داخل مشوره على حالة رهيبة، في ثبات وحماس يبعثان على التفاؤل بالمستقبل السار، وفي هذه الأثناء كان الشاب النشيط المرحوم محمد المدور محمولا على أكتاف المتظاهرين، كخطيب يشعر الجماهير بالواجب الذي تظاهروا من أجله، شارحا مساوىء الاستعمار ومكايده، وكل ماينصبه لأبناء الشعب من أشواك، وما يبيت لهم من مصارع وآلام.

في تلك الساعة الرهيبة، طلب الوزير الأول الحاج محمد المقري اثنين من أعضاء المحكمة العليا، هما : الأستاذان عبد الكريم بن جلون وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي، وبعد حديث طلب منهما الاتصال بالمتظاهرين وأن يقترحا عليهم، اختيار أربعة منهم نيابة عن الجمهور، قصد المذاكرة معهم في الموضوع، وبالفعل اتصلا بالثائرين، واختاروا أربعة أشخاص، غير أن الكل تبعهم هاتفا بحياة المعتقلين، وإطلاق سراحهم، وعقب مذاكرات كانت النتيجة إطلاق السيد محمد اليزيدي، أما الأستاذ بلافريج، فلم يطلق سراحه، بدعوى أن له يدا مع ألمانيا، اقتضت الحكم عليه عسكريا بالبقاء في السجن على عادة فرنسا مع رجال الشعوب وأحرارها، ممن هيأتهم كقادة للدفاع عن الأوطان، والاستماتة في سبيلها بأغلى مايملكون، فتخلف في طريقهم ما تحسبه مبررا لأعمالها الاستفزازية والانتقامية، قائلة مرة : رجال الحركة، آلات تحركها : موسكو، وبرلين، وروما، ومرة ترميهم بالتمرد على نفوذ السلطان، إلى غير هذا من الأقاويل الباطلة، والأساطير البالية، الموصولة بخيوط عنكبوتية، ابتغاء كبت الأفكار، وخنق الحريات وبالتالي : إقبار الوطنية المتأججة حرارة وإيمانا، وهيهات هيهات تنطفىء جذوة العقيدة المقدسة، والمنبعثة عن نور الإيمان الحق، الذي لاتزيده الأحداث إلا نصاعة، ولا بدع مادام المكافحون يستمدون الهداية والعون من عالم الحقيقة (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

أمام هذا المشهد الرهيب اندفعت السلطة الفرنسية لإطلاق السيد اليزيد، حيث أحضرته عن كثب بالقصر للمذاكرة مع السلطان، وفي لحظات تحدث فيها مع جلالة الملك في المشكل، أمره أن يصرف المتظاهرين عن القصر، ليخرجوا إلى ساحة (تواركة) كي يتمكن من إجراء المخابرة مع ممثلي الحكومة الفرنسية، وفي اللحظة التي فارق فيها السيد اليزيد جلالة العاهل، بادر المتظاهرون لحمله على الأعناق، وأصواتهم تتردد عالية بالأناشيد الوطنية والمقطوعات الحماسية، والهتافات الحارة، بحياة القائد الرائد محمد الخامس وحياة المكافحين. كانت كل هذه المحاولات من جانبه أيده الله، صونا لكرامة الشعب، وحفظه من مكر الاستعمار الغاشم، وكانت الغاية من اجتماعه بالسلطان، أن قال له : ان الأمين العام للحزب في ضماني، وسيطلق سراحه، وسرعان ما انشرحت الصدور، واسبشر الجمهور خيرا، وانصرف الكل على ميعاد اللقاء لدى صلاة العصر بالجامع الكبير).

هذا ماكتبه المرحوم الجراري في كتابه «(شذرات تاريخية) الصادر بتاريخ 1396 هـ ــ 1976 م. وهو يؤكد ماكتبه الأستاذ السيتل العيساوي الذي سنأتي به كاملا لدى

حديثنا عن مظاهرة الرباط والذي سيوضح بعض الجوانب التي لم تتح الظروف أن يطلع عليها الأستاذ بوطالب، خصوصا فيما يتعلق بإطلاق سراح المرحوم محمد اليزيدي. والموقف الذي اتخذه مع المتظاهرين، وقيادتهم إلى خارج المشور السعيد، إلى أن وقع ماوقع من استمرار للمظاهرة خارج المشور، وتعرض اللفيف الأجنبي لها. في باب شالة، واصطدام المتظاهرين مع القوات الأجنبية التي حاولت أن تمنعهم من الدخول إلى المسجد الكبير وسقوط الضحايا نتيجة رميهم بالرصاص الأجنبي.

لقد تدخَّل الملك الرائد محمد الخامس نور الله ضريحه، التدخل المباشر في قضية بلافريج لدَى إلقاء القبض عليه، وطلب من السلطات الفرنسية أن تحيله على المحاكم إذا كانت لها حجة في اتهامه بأن له يداً في الاتصال بدول المحور لعرقلة انتصار الحلفاء، وللتآمر على الأمن الداخلي، كما أكد ذلك رحمه الله للوفد الذي استقبله أثناء المظاهرة، والذي أكد له أنه سيعين له محاميا يدافع عنه من ماله الخاص، فتولى محمد الخامس أمر بلافريج، هو الذي أخاف الفرنسيين من أن تنقلب عليهم الآية، عندما تعرض قضيته على المحكمة، خصوصا وإنه كان يعرفه حق المعرفة ومطلعا كل الاطلاع على التحركات التي قام بها أثناء وجوده بالخارج، وأنه لم يقع مطلقا في حبائل الدعاية الألمانية، و لم يثق بوعودها الكاذبة، بل كان يحذر أصحابه منها ومن خداعها، ومن كذبها، وأنّ ما تدعيه إذاعتها من أقوال، إن هي إلا افتراءات وأكاذيب، لا يطمأن إليها، ولايمكن أن يصدقها أي عاقل.

المعذبون في الله

أقول ؛ مادامت تحدثت عن إلقاء القبض على بلافريج بتهمة الاتصال بالعدو، فلأثبت هنا أيضا، أنني وأنا بسجن الرباط، لاحظت ذات يوم وأنا مارٌّ إلى الساحة الصَّغيرة التي كنا نشم فيها بعض الهواء دقائق معدودة في الصباح أو في المساء، لاحظت زنزانة قد فتحت، وظهر فيها شخص ممدود على ظهرهٌ، وقدماه عاريتان، وداميتان، ولما أمعنت النظر في الشخص الممدود، وجدت أنه أخي الشهيد عبد العزيز بن إدريس، وما أن رآني أطل عليه من بعيد، حتى أشار إلى قدميه بسبابته، وكأنه يقول لي : أنظر إلى ما فعله الاستعماريون بنا من تعذيب، وما أذاقونا من ألوان المحن، وعلمت بعد ذلك أنه يوجد معنا في سجن الرباط الاخوة المرحومون : أحمد مكوار، وعبد الهادي الشرايبي زيادة على الأخ الهاشمي الفلالي أمد الله في عمره، وأنهم ذاقوا من العذاب ألوانا وأشكالا

أثناء استنطاقهم، وقبل تقديمهم للمحكمة العسكرية بمكناس بتهمة اتصالهم هم أيضا بالعدو الألماني، وأنَّ المحكمة العسكرية بعد ذلك اضطرت إلى تبرئتهم، لأنها لم تجد أمامها أية حجة تستند إليها في ادعاء الإقامة العامة الفرنسية.

اتهامات المجاهدين بعرقلة المجهود الحربي

وآتي هنا بفقرات أملاها أخي المجاهد الهاشمي الفلالي حول اتهامات الوطنيين بالاتصال بالألمانيين، قال الهاشمي كما جاء في استجواب أجرته معه جريدة العلم بتاريخ 11 يناير 1990 : (بهذه المناسبة لابد وأن نتحدث عن صفحة مطوية من هذا الملف، وكيف حاول الاستعمار اتهامنا بعرقلة المجهود الحربي، والاتصال بالمحور، إلى أن يقول : لم نكن طيلة عملنا الوطني نستبعد استعمال السلاح والعمل المباشر في الوقت المناسب، ولذلك كنا في مخططاتنا السرية الخاصة، دائما نحتفظ في خلايانا ولجاننا السرية، بالمؤهلين للعمل المباشر من الذين سبق لهم أن حملوا السلاح عند مواجهة المستعمر، خاصة أيام المقاومة للاحتلال الفرنسي، وفي الأطلس بصفة خاصة، ثم يتحدث عن فترة الحرب العالمية الثانية وكيف حاولت ألمانيا استعمال بعض المقاومين ضداً على فرنسا، وكيف كان الوطنيون يحتاطون كل الاحتياطات من الوقوع في حبائلها، وان الألمانيين اتصلوا بأحد المقاومين الأولين هو الشريف سيدي عبد الرحمان العلوي للاستفادة من تجاربه واستعماله لصالحهم ضد الفرنسيين، ولكن الفرنسيين اكتشفواأمره، فألقوا عليه القبض، كما اكتشفوا أنه أي العلوي كان متصلا بمقاوم آخر هو السيد هلال (من الأطلس) وكانَ هذا الأخير اتصل بالأخ الهاشمي والسيد عبد العزيز بن إدريس، وأنه هو بدوره ألقي عليه القبض في آزرو، فاعترف باتصاله ببعض الوطنيين في فاس، الذين لم يذكر أسماءهم، كما اعترف بأنه كان له اتصال بالسيد عبد الرحمان العلوي الذي لقي مصيره رحمه الله تحت التعذيب، ثم يحكي الهاشمي الفلالي ان السيد هلال هذا أتوا به إلى فاس ليدلهم على الأشخاص الذين وقع الاتصال بهم، ولكنه احتال عليهم حتى فرَّ من بين أيديهم ودخل إلى ضريح المولى إدريس محتميا به، وهكذا وقع الاتصال به سرا داخل الحرم الإدريسي، وأخذت منه المعلومات الضرورية عن الاستنطاق، وحول الأسئلة التي كانوا يوجهونها للتعرف على الشخصيات الوطنية، إلى أن يقول الأخ الهاشمي في استجوابه الصحفي (ظل السيد هلال في الحرم الإدريسي إلى أن جاء تاريخ تقديم الوثيقة سنة 1944 ووصلنا إلى 29 يناير فأخرج هذا الملف، ليستأنف العمل به من جديد، في محاولة لتأكيد تهمة الاتصال بدول المحور، وعرقلة المجهود الحربي، وقد جيءَ بنا نحن :

الهاشمي الفلالي وأحمد مكوار وعبد العزيز بن إدريس إلى إدارة الأمن بفاس، وظللنا رهن التحقيق لمدة عشرين يوما، عرفنا فيها أبشع أساليب التعذيب لنعترف بالتهم التي حاول الاستعمار أن ينسبها لنا باطلا، وهي الاتصال بالألمان، بواسطة عبد الرحمان (أي العلوي المذكور سالفا) والتخطيط معه ضد فرنسا، وقد كان الحاج أحمد بلافريج، يستنطق هو الآخر بالرباط حول نفس التهمة، ورغم التعذيب والتنكيل، فإن التحقيق ظل معلقا، لأننا لم نعترف بشيء) ثم يذكرالأخ الهاشمي أنهم بعد التعذيب والتنكيل بفاس نقلوا إلى الرباط ليواجههم شخص اسمه عبد الرحمان العلوي ثم يقول : (وقد وصلنا الرباط فعلا وأذكر أننا لم نستطع أن نستوضح رؤية المرحوم أحمد مكوار وشخصه من شدة التعذيب الذي تعرض له، وبعدما يتحدث عن مقامهم بسجن الرباط وتقديمهم للاستنطاق أمام لجنة عسكرية ومقابلتهم لشخص يسمى عبد الرحمان كان طالبا بالقرويين وكان ألقي عليه القبض عمليا بتهمة الاتصال بالألمانيين وحكم عليه بالسجن المؤبد، وكانت النتيجة الأخيرة أن مجابهتهم لهذا الشخص (أثبتت أنه كذاب وعميل، فكانت النتيجة إثبات براءتهم من تهمة الاتصال بالألمانيين). انتهى ما أملاه الأخ الهاشمي الفلالي كما أثبت هنا ما كتبه أحد المعذبين في الله المرحوم عبد الهادي الشرايبي في كتابه : (ثمن الحرية) عن المحنة القاسية اللتي اجتازها هو وإخوانه المعذبون المذكورون.

شهادة الأستاذ عبد الهادي الشرايبي عما قاساه من التعذيب

قال في صفحة (154) (بدأ رجال الشرطة يأخذوننا على التوالي إلى مقر الشرطة، لإجراء البحث وتوجيه التهم الفظيعة التي ستؤدي بنا حتما إلى الدمار فيما يحيكون، ولم يطل بنا المقام حتى جاء دوري، فنودي عليّ، وكنا نحن الوطنيين في حي واحد من أحياء السجن، وكان كل واحد منا، دائم الترقب ليلا ونهارا لكي ينادي عليه، وبعد حضور جلسة أو جلستين، ومعرفة ما يجري فيهما، أصبح هذا النداء مفزعا تنخلع لأهواله القلوب، وذهبت في حراسة رجال الشرطة إلى مقر الاستنطاق، وكان عبارة



عبد الهادي الشرايبي

عن دار مشتملة على عدة حجر، كأنها متحف مكون من آلات التعذيب المختلفة، وتقع هذه الدار في حي الطيارات بالرباط، في ناحية منفردة خالية من العمارة والسكان، واجتزت عتبة الباب، وقادني صاحبي في زيارة خاصة إلى متحف القاعات التي صفت بداخلها أدوات التعذيب، حتى طاف بي عليها حجرة حجرة، وتمليت برؤية ما احتوت عليه من آلات، وما تفنن الزبانية في ابتكاره من وسائل التنكيل والإهانة للإنسان، ومحاولة قتل نفسه، وإرغام أنفه في التراب، إلى أن يقول : ففي هذه الحجرة نصبت طاولات، بعضها على شكل مربع، وآخر مستطيل ذي قوائم ليس له سطح، يعلق عليه الإنسان، ويربط من يديه ورجليه في قوائمه الأربع، ويظل معلقا في الفضاء، وتسلط عليه سياط التعذيب بالضرب من لدن رجال أشداء، في ريعان الشباب والقوة، وقد علقت على جدرانها أنواع السياط المختلفة، المطعمة بأسلاك الحديد، والتي تفنن في استعمالها لهذا الغرض، وفي حجرة أخرى نصبت المصابيح الكهربائية القوية التي توجه إلى العينين وتعشيهما حتى ليكاد الإنسان يفقد بصره، وبجانبها وضعت آلة التعذيب بالكهرباء، في حجرات أخرى صحون مائية ضخمة، تغرق فيها الرأس إلى العنق، وتبقى عائمة في المياه، حتى تكاد تختنق أنفاس المتهم، وخصصت حجرات لأنواع التعذيب الأخرى، منها إرغام الشخص الذي يراد استنطاقه على الدوران منحنيا في نقطة معينة، وقد وضع السبابة على الأرض في دائرة لاتتعداها، ويرغم على الاستمرار في ذلك وقتا طويلا حتى تستنزف قواه، ولا يعود قادرا على الوقوف لحظة) وبعدما يتحدث عن مرحلة الاستنطاق، ومقاساته لكل أنواع التعذيب التي ذكرها المرات المتعددة، وتتابع نقله من السجن إلى مقر الشرطة للاستنطاق (Instruction) وتوجيه التهم إليه وهو مصرّ على رفض تلك التهم، رغم المعاناة الشديدة القاسية من ضرب وركل وصفع وتعليق وتعذيب أليم بالكهرباء، واستخدام الآلة الجهنمية، ذات الأسلاك الكهربائية، التي تلصق في جسم الإنسان، وفي المواضيع ذات الحساسية الشديدة، والتي تقع من جرائها رجات في الجسم لايتحملها البشر، والتي ينشأ عنها تشنجات، وانقباضات في الوجه، والأطراف، وبروز في العينين، وجحوظهما، إلى غير ذلك من ألوان التعذيب الذي لايطيقه إنسان، بعد كل هذا التعذيب، صار يفكر في إنهاء حياته بالسجن، فاستدعى مدير السجن، وأخبره بأنه سيضع حدا لحياته، إذا مابقي في هذه المعاناة إلى آخر ماذكر في كتابه رحمه الله وجازاه. وهذا الذي وصفه المرحوم الشرايبي في كتابه، هو نفس ما سمعناه من إخواننا الثلاثة الآخرين المعذبين : الحاج أحمد مكوار والشهيد عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي، ففي سبيل الله مالاقوا من تعذيب وآلام، وهنيئا لهم صبرهم وتحملهم وثباتهم.

أتيت بهذا الوصف المنقول من كتاب المرحوم عبد الهادي الشرايبي، لألفت نظر الجيل الجديد الذي لم يعش فترات الكفاح الوطني أيام الاستعمار، بأن الاستقلال والحرية في بلادنا لم يأتيانا في أطباق من ذهب، ولم تتحرر بلادنا دون ثمن غال، كان فيه التعذيب والامتحان والآلام، وكان فيه الاستشهاد، وتقديم الأرواح الزكية، فداء للحرية والكرامة، وتطهير البلاد من رجس الاستعمار، فيجب عليهم أن يعرفوا كل ماوقع، حتى يقدروا قدر المجاهدين الأبرار الذين سبقوهم بالإيمان، وحتى يدركوا أن بلادهم التي حررت بالدموع والدماء والآلام، تنتظر منهم أن يصونوا استقلالها، ويذودوا عن حماها، ويستميتوا في سبيل وحدتها وتحرير ماتبقى من ترابها مغتصبا، ويدركوا أن آباءهم وضعوا أمانة في أيديهم، لاليلعبوا ويتمتعوا، ويلهوا ويغفلوا عن مسؤولياتهم في الذود عنها وعن عقيدتها وقيمها وحضارتها والسير بها في طريق العزة والكرامة والتقدم، لتربط حاضرها بماضيها المشرق، الذي كانت أنواره تشع في كثير من الأقطار المجاورة والبعيدة، وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق ﴿والَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ، أَلْحَقْنَا بِهِم ذُرِّيَاتِهِم ومَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ، كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسبَ رَهِينٌ﴾.

مظاهرة مدينة الرباط سنة 1944

«إثر اعتقال «بلافريج» يوم 29 يناير 1944 تظاهرت مدينة الرباط بأجمعها» فبمجرد ما تلقى المسؤولون في الحزب نبأ اعتقال بلافريج واليزيدي قامت قيامتهم، وتنادوا على المناضلين أن اقصدوا جميعكم، حي (تواركة) الذي يقع فيه القصر الملكي، وماهي إلا ساعة أو نصف الساعة، حتى صارت الأفواج تلو الأفواج تقصد «تواركة» هاتفة بحياة الاستقلال، ومحتجة على إلقاء القبض على الزعماء، فاكتظت جوانب «تواركة» بالمتظاهرين المتحمسين الذين أتوا من جميع أطراف مدينة الرباط، من المدينة القديمة، من ديور الجامع، من العكاري من دوار الدبغ، من حي المحيط، من جميع الجهات، من المدارس وفي طليعتها كوليج مولاي يوسف، ومن الادارات المختلفة التي لم يبال موظفوها بما سَيَنَالُهُمْ من عقاب الطرد والانتقام، من كل الحيثيات، ومن كل الحِرف، ومن المعامل وغيرها. أصبحت «تواركة» تغلي غليان المرجل، وكل من فيها ينادي بالاستقلال ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين، تحلق المتظاهرون حول القصر الملكي يهتفون بحياة محمد الخامس، ويطالبون بالاستقلال وبتحرير المعتقلين، واشتد الغليان،



محمد المدور

وكانت المظاهرات مؤطرة من شباب الحزب، وفيهم المرحوم محمد المدور الذي وقف خطيبا في الجمهور يقول :

(أيها المسلمون، ان الاسلام يعرض عليكم اختباره وامتحانه، فهل سيجدكم مسلمين ؟ أم أنكم ستدعون إلى الإسلام ولاتستجيبون، وما استجابتكم لله ولرسوله، إلا استجابتكم لهذا الرجل (يعني محمد الخامس) وبعد احتجاجه على اعتقال بلافريج واليزيدي يرجع فيقول : لِمن هذا القصر ؟ من هو صاحبه ؟ انه القصر الملكي العامر. إنَّ صاحبه هو محمد الخامس، فاستجيبوا له، واستجابتكم له هي استجابة لله ولرسوله).



السيتل العيساوي



محمد عليوة

وفيهم السيتل العيساوي، ومحمد عليوة وغيرهم من مسيري الجماعات الحزبية، كانت «تواركة» تعج بالمتظاهرين وهُمْ في حالة تكاد تكون هستيرية، فلا تسمع إلا كلمة الاستقلال، ومحمد الخامس، وسراح المعتقلين، وشارك مشاركة عملية طلبة المدارس الثانوية، وبالأخص تلامذة كوليج مولاي يوسف بقيادة مؤطريهم من شباب الحزب، وتجاوب معهم من داخل المدرسة المولوية تلامذتها، وفي طليعتهم سمو ولي العهد المحبوب مولاي الحسن الذي كان يتابع المظاهرة من وراء سور المدرسة المولوية، بنفس حماس المتظاهرين. وفي ذلك يقول الأستاذ عبد الهادي بوطالب في كتابه : (ذكريات، شهادات، وجوه) ص 125 : (تفاعل ولي العهد مع الجماهير في حماس فجَّر منه مشاعره المكنونة، وهمَّ بالالتحاق بالمتظاهرين، لكنه كان محاطا ببعض الموظفين الفرنسيين العاملين بالمعهد الملكي ثم يقول بوطالب : وقد كان إذذاك أستاذا بالمعهد المولوي، وحاضرا داخل المعهد يوم المظاهرة : ماأزال أبصره وهو يقذف باحتجاجاته من وراء سور المعهد، ويجهر بعبارات تعاطفه مع المتظاهرين، مستعملا العربية حينا، والفرنسية التي شب على إتقانها حينا آخر. إلى أن يقول : وما أزال أرى الأمير وقد

بدت عليه مشاعر الارتياح عندما انتهت إلى المعهد أصداء تفاصيل مثيرة عن سير المظاهرات، وكان من بينها أن المتظاهرين أمسكوا بتلابيب الفقيه المعمري وزير المراسيم الملكية، وأنهم مزَّقوا جلبابه وسلهامه (برنسه) عندما نصحهم بالتفرق والاخلاد إلى السكون)

زاد اهتياج المتظاهرين، فاخترقوا باب القصر الملكي، مستنجدين بجلالة محمد الخامس، هاتفين باسمه وبالاستقلال والحرية، ولوحظ أن المخازنيين (الحراس) الواقفين بباب القصر، لم يعترضوا، ولم يمانعوا في دخولهم، ولعلهم كانوا بدورهم متعاطفين معهم، ولربما كان البعض منهم مؤطرا في خلية من خلايا الحزب، مثل الخلايا التي كانت في مختلف الشرائح الاجتماعية، ومنها المعهد المولوي نفسه الذي كان تلامذته وفي طليعتهم سمو ولي العهد شبه مؤطرين في الجماعات الحزبية، مزودين بالتوجيهات الوطنية والسياسية التي بلغت منتهاها في تلك الظروف.

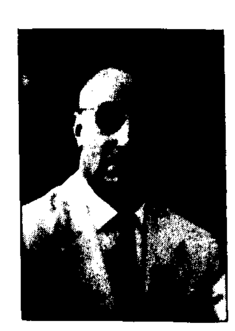
عنف المظاهرة عجّل بإطلاق سراح اليزيدي

حاول الفرنسيون وأعوانهم، تفريق المظاهرة الصاخبة، واستعملوا جميع الوسائل التي بين أيديهم، وجاء «بونيفاس» — وكان إذ ذاك رئيس ناحية الرباط — ليعد ويتوعد، ومعه مساعده «باوليني» ولكنهما لم ينجحا، ولم يبال بوعيدهما وتهديدهما أحد، وحتى الموظفون الذين تركوا وظائفهم، وحضروا يشاركون في المظاهرة لم يبالوا بهما، هناك رأى «بونيفاس» أن يستنجد بالمخزن الشريف، ليتغلب على الصعوبات التي تعترضه، فذهب إلى القصر الملكي، وعقد اجتماعا مع الصدر الأعظم، محمد المقري، بحضور معمري رئيس التشريفات الملكية، فاهتدوا بأن التغلب على هيجان المتظاهرين والابتعاد عن القصر الملكي، لابد له من شخصية لها نفوذ وطني قوي، يمكن أن يكون لحضورها وتدخلها التأثير اللازم، ونظرا لأن الشخصيتين اللتين يطالب المتظاهرون بإطلاق سراحهما، هما بلافريج، واليزيدي، فلنحضر أحدهما، ونطلق سراحه، في انتظار ماستسفر عنه الأحداث، ولعل ماقرروه أحيط به علما جلالة الملك محمد الخامس، ولعله اعتبره الخطوة الأولى في حل الأزمة التي أصبحت مستعصية، وهكذا ذهب «بونيفاس» ليطلق سراح المرحوم محمد اليزيدي، ويبقى على بلافريج رهن الاعتقال بدعوى أن له علاقة بدول المحور، وقَبْل أن يطلق سراح اليزيدي خرج «معمري» من القصر وخاطب

المتظاهرين الذين حوله قائلا مامعناه : إن اليزيدي قد أطلق سراحه الآن، أما بلافريج، فهو متهم بالخيانة العامة، حيث كان متصلا بدول المحور إلى آخر ماقال، الأمْرُ الذي زاد في هياج الجمهور المتظاهر وثورته، فانقض المتظاهرون على معمري، وأخذوا يتجاذبونه بعنف، ومزقوا ثيابه، و لم يتركوه حتى أغمي عليه بل ظنوا أنه لفظ أنفاسه.

يقول الأخ المناضل السيد السيتل العيساوي، وكان من المؤطرين الأساسيين للمظاهرة(1)

في هذه الأثناء أثناء هيجان الجمهور، أحسست أن يدا قوية تمسك بساعدي الأيمن، فإذا به أحد المخازنية من خدام القصر، يقودني بتؤدة إلى باب المنزه السفلي، حيث عاهل البلاد راعي الأمة الأمين، واقفا، يتتبع باهتمام حركة المتظاهرين، وهم في حالة هيجان لاتتوقف، والماسك ب يدي يصيح بأعلى صوته : هذا ياسيدي واحد من قادتهم، وخاطبني حامي الحمى بأناة ولطف وعطف أبوي — رغم حدة الموقف — بهذه العبارات التي لايزال طنينها يرن في أذني : (هل هناك من يمكن التحدث إليهم ؟ أسرع وأحضرهم إليَّ ؟) فانطلقت مُهرولا أبحث في بنائق كتّاب المخزن الشريف، فعثرت على إخوان من صفوة الاستقلاليين رحمهم الله جميعا من أفراد (الطائفة) المتسترين المسؤولين من طرفها عن سير الحزب عند الاقتضاء، من بينهم : الأستاذ عبد الكريم بنجلون التويمي، ومسعود الشيكر، وعبد الكبير بن حفيظ القاسي ومحمد الدزيري، فأبلغتهم أمر مولانا السامي، ورغبته الملحة في الاتصال ببعض المسؤولين، وقدمتهم حيث عاهل البلاد ينتظرهم، ثم رجعت إلى ساحة المشور، لأساير المظاهرة التي كنت من بين مسيريها المسؤولين، فإذا بي أمام أخي وأستاذي الكريم محمد اليزيدي، وقد أطلق سراحه، وهو محمول على الأكتاف، فأبلغته الخبر، وقدته بدوره إلى حضرة السلطان، ثم قفلت راجعا، فوجدت أمامي الأخ محمد الرشيد ملين، محمولا هو أيضا على الأكتاف، فرافقته إلى مجلس أمير المؤمنين، وقفلت راجعا، وإذا بقائد المشور آنذاك يصيح بي، ادخل أنت أيضا، وكأن في نفسه حزازة، من جراء استغناء سيدنا عنه في هذا الموقف الحاسم، فأجبته على الفور، إني بين إخواني وسط المظاهرة، فبينما المظاهرة في أوج حرارتها، إذ بقائد الأمة، ورائدها الأسمى، يبدو بوجهه



محمد اليزيدي

(1) انظر جريدة «العلم» رقم..... السنة...... شهر.......

الصبوح، بباب المنزه السفلي، محاطا بالإخوان الاستقلاليين، وفي مقدمتهم كاهية الأمين العام للحزب، الأخ محمد اليزيدي فالتفّ في الحين جميع المتظاهرين حولهم، فإذا بالسلطان المطاع، يخاطبنا جميعا ونحن نستمع، وكأن على رؤوسنا الطير : (هذا خادمنا السيد محمد اليزيدي بيننا، وقد أطلق الله سراحه والحمد لله، أما الأمين العام للحزب السيد أحمد بلافريج فهو في كفالتنا، وسنختار أجود المحامين للدفاع عنه من مالنا الخاص، حتى تتحقق براءته، ويطلق سراحه إنشاء الله، فسيروا على بركة الله إلى المدينة بهدوء ونظام، تحرسكم عناية الله، بقيادة الأستاذ محمد اليزيدي) وبعد هذا الخطاب الملكي القصير، اتجه المتظاهرون إلى المسجد الأعظم بالرباط، مارين في طريقهم بشارع علال بن عبد الله، حاملين الأخ محمد اليزيدي على الأكتاف، وفي باب «شالة» تعرضت لهم كوكبة من الجيش الفرنسي، وأرادت منعهم من اختراق الباب، والدخول إلى المسجد، ولكن المتظاهرين لم ينصاعوا لما أراده الجيش الفرنسي، ودخلوا المسجد عنوة، حيث وقف فيهم خطيبا المرحوم عبد الهادي لحلو، مطالبا بالاستمرار في التظاهر، إلى أن يطلق سراح الأمين العام، ولكن القوة الفرنسية من جنود وشرطة كانت في حالة من الهيجان، وحب الانتقام، مأأدى إلى الاشتباك معها، وقتل عميد من عمداء الشرطة الفرنسية،



عبد الهادي لحلو

وأحرقت دراجته النارية، فاشتد غضب الفرنسيين، وتضاعف هيجان المتظاهرين، فسقط قتيلا، جنديان آخران، وهجم الجيش على المسجد، وصار يطلق النار على المتظاهرين، حيث سقط الكثيرون، ضحايا الغطرسة والبطش والانتقام، وكان من بينهم الشاب الصغير الشهيد «الصديق احساين» وصار المتظاهرون يبحثون عن القتلى، ليحملوهم للدفن، ولكن الفرنسيين مانعوا من ذلك، ولكن المتظاهرين لم يبالوا بما يتعرضون له، وأبو إلا أن يحملوا مؤتاهم إلى ركن من أركان المقبرة الواقعة باب لعلو، والمجاورة للسجن وكان هتافهم التكبير والتهليل، فصار الجيش والشرطة، يلقي القبض على المتظاهرين، ويحشرهم في الحافلات المعدة لذلك، وحوصرت مدينة الرباط من جميع الجهات، وامتلأت الثكنات العسكرية بالمعتقلين، حيث صاروا يذوقون من العذاب ألوانا، وكان من جملة المعتقلين الإخوة : محمد الجزولي، عبد الله الركراكي، والسيتل العيساوي، ومحمد كريم، وعبد الرحمان بن إبراهيم، ومحمد المدور، وعبد الكريم بن العربي، محمد عليوة، الذين أحيل بعضهم على المحاكم العسكرية، وبعضهم على محكمة الباشا الزمراني،



الشهيد الصديق احساين

الذي جاءوا به عوض عبد الرحمان بركاش الذي أقالوه على إثر الحوادث، وأوقفوا ابنيه : أحمد ومحمد، كما ألقوا القبض على الشهيد المختار جازوليت الذي أحيل على المحكمة العسكرية، فحكمت عليه بالإعدام، وأعدم ليلة عيد المولد النبوي رحمه الله، كما أعدم أربعة من رفقائه : ومنهم الشهيد العربي الشاوي العضو في الاتحاد الرباط السلوي للرياضة، ثم يحكي السيتل العيساوي صاحب هذا التقرير عن حوادث الرباط يوم 29 يناير 1944 أنه بعدما انتقل من سجن الرباط إلى سجن الدار البيضاء، وجد من المسجونين الفقيه المربي السيد محمد السموني والسيد محمد بن جلون وهما من الدار البيضاء، كما وجد في السجن الفقيه السيد حمزة، وهو من سلا وانتقل إلى البيضاء كإمام مسجد وخطيب، ومن جملة من وجد في السجن المرحوم قدور الورطاسي وأحمد بن دالي وبناصر بن العربي ومحمد بن تاهلة وهم من مدينة وجدة.

ويجب أن أسجل هنا أن لجنة الإسعاف التي كونها حزب الاستقلال في فرع الرباط قامت بواجبها أحسن قيام، وأسعفت أسر الشهداء والمعتقلين، واهتمت كل الاهتمام بالتلاميذ المطرودين من كوليج مولاي يوسف، فآوتهم وأطعمتهم حتى التحقوا بديارهم في مختلف الجهات.

تلامذة ثانوية مولاي يوسف بالرباط يشاركون في مظاهرة 30 يناير 1944

كما أشرت لذلك سالفا، اهتم الحزب الوطني الذي سمي بحزب الاستقلال ابتداء من يوم حادي عشر يناير 44، يوم تقدم حزب الاستقلال بوثيقة المطالبة بالاستقلال، اهتم الاهتمام الكبير بقضايا التلاميذ والطلبة ومساعدتهم في دروسهم من جهة، وتنظيمهم في خلايا مكاتبها المسيرة، كان لهذه الجمعيات دورها الهام، في تسيير خلايا التلاميذ في المدارس الثانوية، وكان تلامذة البكلوريا المؤطرين في الحزب والمسيرين من قبل بعض أساتذهم الوطنيين، يقومون بتسيير الأقسام التي تحتهم، وتلامذة أقسام السنة الخامسة أي التي قبل أقسام البكلوريا يسيّرون الأقسام التي تحتهم وهلم جراً، وهنا يجب أن أسجل بكل ثناء وتقدير، الدور الهام الذي قام به الشهيد المهدي بن بركة فيما يتعلق بثانوية مولاي يوسف، ومثله ماقام به المرحوم السيد محمد (فتحا) بن سودة والمرحوم العابد العمراني فيما يتعلق بثانوية مولاي إدريس بفاس، وكذلك ماقام به الأخ عبد الكبير بن المهدي الفاسي فيما يتعلق بثانوية الدار البيضاء والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد

فيما يتعلق بالتلاميذ السلويين الذي كانوا يدرسون بثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث لم تكن بسلا أي مدرسة ثانوية وفيما قام بها المرحوم عَمْرو أُوبناصر وعبد الحميد مولاي أحمد في ثانوية آزرو، ان هذا الاهتمام الذي بدأناه في أواخر الثلاثينات تضاعف بعدما قررنا الإعداد للمطالبة بالاستقلال سنة 1943. وهكذا عندما ألقي القبض على الزعماء يوم 29 يناير 1944 وقامت المظاهرات في الرباط وسلا، قام تلامذة ثانوية مولاي يوسف بالرباط بدور رائع، وتضامن مطلق مع المعتقلين والمتظاهرين. فبمجرد مابلغهم خبر اعتقال بلافريج واليزيدي وقيام المظاهرات في الرباط قاصدة دار المخزن للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، وعندما وصلهم الأمر بالمشاركة في المظاهرة من طرف المسؤولين عنهم من مسيريهم.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف، والتلاميذ في أقسامهم الدراسية، فلم يشعر المسؤولون في المدرسة من مدير وأساتذة، إلا والتلاميذ يغادرون أقسامهم متجهين إلى ساحة الثانوية حيث اجتمع التلاميذ الداخليون والخارجيون، وصاروا يهتفون بالاستقلال وإطلاق سراح المعتقلين، قاصدين باب الثانوية ليخرجوا منه وليلتحقوا بالمتظاهرين في المشور السعيد بتواركة، فاعترض طريقهم في الباب مدير المدرسة مسيو (روكْس) ومعاونوه، محاولين منعهم من تخطي الباب، والخروج إلى الشارع، ولكنهم لم يعبؤوا بكلامه، ولابمنعه ولا بتهديداته، وتحدُّوه وقراراته، لقد كان إسم «روكس» هذا يثير الفزع في نفوس التلاميذ، نظرا لشدَّته وصرامته، ولكنه رأى نفسه في تلك اللحظات، قد سقطت هيبته، ولم تنفعه شدته ولاصرامته، ولما وقف بنفسه في طريق التلاميذ متوعدا مهددا، داسوه حتى سقط على الأرض وكسرت يده، ثم خرجوا هائجين صائحين محتجين، رافعين أصواتهم بالمطالبة بالاستقلال، وإطلاق سراح المعتقلين، قاصدين المشور السعيد، مختلطين ببقية المتظاهرين الذين أتوا من جميع أحياء الرباط، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. وبعد انتهاء المظاهرة، بقي التلامذة الداخليون في حيرة من أمرهم، فلاهم يستطيعون الرجوع إلى المدرسة، ولاتوجد مساكنهم ومساكن عائلاتهم قريبة منهم، والظروف جد قاسية، حيث إن مدينة الرباط مطوقة برجال الأمن وفيالق الجيش الفرنسي، ووسائل المواصلات مفقودة. وهكذا صار التلاميذ الخارجيون يستضيفون بعض إخوانهم في منازلهم حتى تهدأ الأحوال، وترجع الأمور إلى مجاريها، كما أن الخلايا الحزبية قامت بدورها الوطني فيما يتعلق بإيجاد منزل يأوى إليه التلامذة المذكورون، ولقد أسندت هذه المهمة للمرحوم عبد الكريم الفلوس وكان إذذاك أحد مساعدي الكاتب العام لجمعية قدماء تلامذة ثانوية مولاي يوسف،

وكان مفتاح نادي الجمعية تحت يده فقرر هو والمرحوم صالح الشرقاوي الذي كان من مسيري خلايا الحزب في الثانوية المذكورة والسيد مصطفى السرايري، قرروا أن يفتحوا النادي المذكور ليستقر فيه التلاميذ الذين ليس لهم مأوى بصفة مؤقتة، ثم اتصلوا بالوطنيين المرحومين : زين العابدين بن إبراهيم والحاج عبد اللطيف فرج، فاستضاف هذان الاخوان التلاميذ المذكورين بمنزليهما، ومنزل المرحومين صالح الشرقاوي والطاهر الشرقاوي واستضاف الأستاذ أحمد القادري بعض هؤلاء بمنزل جده بسلا، كما حكى ذلك لي بعضهم ومنهم السيد حجاج الكاتب العام بوزارة الداخلية الآن والحسن الزموري وآخرون. لقد كان أغلب هؤلاء الداخليين من أبناء أعيان القوم في البادية، وفيهم أبناء باشوات وقواد مرموقون، الذين بلغهم خبر فراق أبنائهم المدرسة، ومشاركتهم في المظاهرة حتى صاروا يبحثون عنهم وعن أماكن إقامتهم، ولكنهم لم يهتدوا إلى أي مكان، لأن أولئك التلاميذ استقروا في أماكن ضيافتهم عدة أيام منتظرين أن تتاح لهم الفرصة، ويهدأ الجو، وتتهيأ لهم وسائل النقل الآمنة ليلتحقوا بعائلاتهم في منازلهم.

المظاهرات التضامنية مع
معتقلي 29 يناير 1944 بفاس

قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، كانت التنظيمات الحزبية، تنتظر عمل ماسيقوم به الحزب، ويوم عاشر يناير 1944 وصل مبعوث من الحزب من الرباط إلى فاس ومعه نسخة من وثيقة المطالبة بالاستقلال لتنسخ النسخ الكثيرة منها وتوزع بعد خروج الوفود التي قدمتها إلى جلالة الملك المعظم ومقيم فرنسا العام وممثلوا الدول الحليفة، وهكذا ماعلم المسؤولون بفاس بمغادرة الوفد الذي قدم الوثيقة إلى جلالة محمد الخامس، حتى أعطوا الإذن بتوزيع نسخ من الوثيقة المكتوبة بخط اليد على مختلف الهيآت والأفراد، ثم بدأت العرائض التأييدية تكتب، والتي وقع عليها الآلاف من المواطنين على اختلاف أوساطهم كالعلماء والشرفاء والأعيان والتجار والحرفيين وغيرهم، وصارت الوفود تترى على الرباط لمقابلة جلالة الملك وتأييد عريضة المطالبة بالاستقلال، وبعد بداية تحرش الفرنسيين بالوطنيين ومنعهم من الالتحاق بالرباط، ومحاصرتهم في الطرق، أدرك الجميع أن الأزمة ستبتدىء بين الشعب المغربي وبين الادارة الفرنسية.

لقد كان الجميع متحمسا أشد ما يكون الحماس، وكان طلبة القرويين وتلامذة ثانوية

مولاي إدريس من طلائع المتحمسين، فكانوا يعقدون اجتماعات يخطبون فيها، محمسين الجماهير الطلابية وغير الطلابية، وكأنَّ الاستقلال أعلن بالفعل، الأمر الذي أغاظ سلطات الحماية، وعلى رأسها بفاس الكولونيل جورج الذي استدعى ستة من تلامذة ثانوية مولاي إدريس يمثل كل واحد منهم قسماً من الأقسام الثانوية، وهددهم بكلام قاس وصرح لهم بأن الحزب وأنصاره يتحملون مسؤولية كل تشويش يقع بالمدينة، وأن السلطة ستلجأ إلى استعمال القوة والعنف، إن بقيت الأمور تتصاعد، والدعاية تزيد انتشاراً، والكتابة على الجدران تتوالى.

وفي يوم 29 يناير بلغ المسؤولين في الحزب أن الفرنسيين ألقوا القبض على الأستاذ بلافريج والأستاذ اليزيدي بالرباط وأن المظاهرات التضامنية قامت في كل من الرباط وسلا، وفي اليوم نفسه وقع اعتقال الاخوة الشهيد عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي والحاج أحمد مكوار، فقرر المسؤولون أن يعلن الإضراب بالمدينة، وتنطلق المظاهرات في الشوارع والأزقة، وهكذا ابتدأ الاضراب عشية اليوم نفسه، ولكنه تقوى وازداد حدة وضراوة يوم 30 منه، خصوصا عندما رأى المواطنون أن المدينة صارت تحتل من طرف الجيش الفرنسي، وكأنه يتهيأ لمعركة حرْبية داخل المدينة، حيث أصبحت أزقة فاس محاصرة، وأقيمت تحصينات محكمة، أسلاك شائكة، وأكياس من الرمل، وكان الفرنسيون يظنون أنهم بهذه التهديدات والإرهابات سيقضون على معنوية المناضلين المحتجين الذين تضامنت معهم كل الطبقات الشعبية، ولكن الأمر كان بعكس ذلك، فإن الحماس قد تضاعف والجماهير صارت تتجه إلى جامعة القرويين، الذي تقرر أن يكون المنطلق والتجمع العام فيها، فأخذ المتظاهرون يتكاثرون ويردون من كل الجهات، وتخوف الفرنسيون من وقوع أحداث، وتكاثر الهيجان، وزاد من تخوفاتهم ماوقع في الرباط وسلا في اليوم السابق، فصاروا يطلقون الرصاص على المتظاهرين، ليمنعوهم من الاستمرار في المظاهرات، والذهاب إلى القرويين، ولكن ذلك لم يزد المتظاهرين إلا اندفاعا وحماسا، فلم يعبأوا بالرصاص الذي صار يحصد الكثيرين منهم، فيسقطون شهداء في الطريق، ويحكي بعض الذين شاركوا في المظاهرة الأولى أن الشهيد مولاي الحسن العلوي تمسك بجدار، وأخذ يزيل منه الآجر، ويرمي به جنود اللفيف الأجنبي، بينما الجنود بدورهم يتجهون إلى جهته ليُردوه قتيلا، ولكنه بقي صامدا إلى أن سقط الجدار من كثرة الرصاص الذي أصابه، وهناك سقط ميتا فكان أول شهيد في ذلك اليوم رحمه الله.

لقد كانت الاستعدادات أخذت، والترتيبات نظمت من طرف فرع الحزب، وكان

الشباب معبأ التعبئة الكافية لقيامه بالواجب في تسيير المظاهرات، وإلقاء الخطب الحماسية، في الجماهير، وفي ذلك يقول الأستاذ عبد الرحمان ربيحة أحد شباب الحزب إذ ذاك : (اختار (الحزب) من شباب القرويين من يعمل على بعث الحماس في صفوف الشعب أثناء المظاهرات القادمة، فكلف الأساتذة الدكتور محمد السعداني والمرحوم عبد الوهاب الفاسي وعبد الوهاب القباج والطلبة : الطاهر غلاب وعبد السلام بن عبد الجليل ومحمد أحمد الادريسي وعبد الرحمان ربيحة بتنظيم المظاهرات وبعث الحماس في جموع المتظاهرين، وألزم الجميع بالإقامة الإجبارية في دار (عشرة والكلب حداش) بسيدي العواد، وكون لجنا أخرى للإسعاف والتنظيم والتنسيق من الإخوة : الشهيد الحسن العلوي ومحمد الحبيب ومحمد حمادي التوالي والعربي الادريسي ومحمد بن جلون إدريس السلوي وإدريس الريفي وأحمد الجباري ومَحمد العراقي والعربي بن جلون وغيرهم إلى جانب ما عهد به لتلامذة ثانوية مولاي إدريس بقيادة المرحوم الحسن بنشقرون من طبع المناشر وتوزيعها في الأحياء الأروبية، ولأجل أن يتأكد الحزب بأن الأمور تسير سيرها الطبيعي، قام بشبه مناورة، ليعلم مقدار استعداد الشباب الذين سيعتمد عليهم في إلهاب حماس الشعب إلى التضحية، فأعلن مساء يوم 28 يناير (أي قبل وقوع الأحداث) أن الأستاذ الشهيد عبد العزيز بن إدريس والأستاذ الهاشمي الفلالي، قد ألقي عليهما القبض، وطلب من الخطباء الالتحاق عاجلا بدار إقامتهم بسيدي العواد، وقدم في تلك الليلة إلى دار الاقامة (المركز الذي تقرر أن يجتمع فيه الخطباء) كل من الأستاذ عبد الكبير الفاسي (ابن المهدي) والأستاذ المرحوم محمد (فتحا) بنسودة، ليطلعا عن كثب على مدى تنفيذ أوامر الحزب، وليتفقا على استعداد هؤلاء الشباب للتضحية والفداء، فسرا بروح التضحية التي أعرب عنها الجميع، ولاحظا أن المحل سيكون بعيدا عن قلب المعركة، فالأولى أن تكون الإقامة في محل يساعد على القيام بالعمل الجبار المنوط بهذه الجماعة المومنة، حتى لاتتعذر المواصلات في الوقت الذي تشتد فيه المعركة، ويحتل فيه جيش المستعمر أحياء المدينة، فتم اختيار منزل مولاي أحمد الإدريسي بحي مولاي إدريس وفي مدرسة النجاح بحي زنقة حجامة، وقدم الجميع الأستاذ عبد الكبير الفاسي كمسؤول أول عن سير الأحداث بفاس وتنظيمها، ويخلفه في حالة القبض عليه المرحوم الحسن بنشقرون، ثم تحدث عن المظاهرة فقال : (وفي القرويين خطب الأساتذة الدكتور محمد السعداني والمرحوم عبد الوهاب الفاسي وعبد الوهاب القباج في جموع المتظاهرين، وألهبوا حماسهم، وذكروهم بماضي بلادهم، وبالعهود التي أخذوها على أنفسهم بالرجوع بهذه البلاد إلى مجدها واستقلالها، وفي تجمع عظيم هائل، انطلقوا في

شوارع البلاد، مرددين إسم الله اللطيف، قاصدين ضريح المولى إدريس ومسجد الرصيف، واستمرت المظاهرة طيلة يومي السبت والأحد 29 ــ 30 يناير،[2] ولم تحرك الإدارة ساكنا أمام هذا الحشد الاستقلالي العظيم، ففي كل حي مظاهرة، وفي كل مسجد قراءة اللطيف، والخطباء بدورهم يلهبون حمية الأمة، ويحافظون على النظام، وانضم إليهم خطباء آخرون : أمثال العربي العمراوي شقيق الشهيد عبد العزيز بن إدريس، والمرحوم إدريس ربيحة، ولقد كان من المقرر أن يختفي يوم الإثنين 31 يناير المسؤولون الثلاثة عن تنظيم المظاهرات وتوجيهها، ليخلفهم عبد الرحمان ربيحة ومحمد بن العربي الأسفي، ولم تشأ الإدارة أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام مايجري في البلاد من مظاهرات صاخبة، فقررت احتلال المدينة ليلة 31 يناير، ففي ظلام الليل وسكون البلاد، تسرب الجيش لاحتلال المدينة، وتطويق القرويين، ليمنع على المتظاهرين دخولها أو الاقتراب منها، واستعد للمواجهة بحفر الخنادق في حي الشماعين وسماط العدول وبلغت أخبار تحركات الجيش في وقتها إلى قيادة الحزب، وبات من المؤكد وقوع الاصطدام بين جيش الاحتلال والمجاهدين من رجال حزب الاستقلال، وأعطيت الأوامر للدباغة في تلك الليلة بقيادة سيدي العربي الإدريسي (رحمه الله) بأن يتسللوا من دار الدبغ واحدا بعد واحد، جاعلين بذلك حاجزا بين صفى الجنود المدججين بالسلاح، ثم يهجم كل واحد من الدباغة، على واحد من الجنود، تلافيا لإطلاق النار، كما أعطى الأمر للفآت الأخرى من خرازة وغيرهم من بقية الشعب، للقيام بنفس الدور في نفس الوقت، لكن الأطفال والنساء، سبقوا الأحداث، فهاجموا الجند في حي المشاطين بالحجارة، فرد الجند عليهم بإطلاق النار، فهاج الشعب، وتعالى الصياح، وتقدم المجاهدون من حزب الاستقلال وإخوانه إلى المعمعة بالتكبير والتهليل، وفي حي الشماعين هاجم الحسن العلوي الجنود، وامطرهم بوابل من الحجارة، وتمكن أحدهم من إطلاق النار عليه، فسقط رحمه الله في ساحة الشرف والمجد يجود بنفسه فحمله رفيقه ابن حمادى إلى منزل أصهاره، وأراد أن يذكره بما يذكر به الموتى، فأجاب رحمه الله بقلب ثابت مومن قوي، بأن الواجب يقضي على ابن حمادي أن يرفع إلى المحمل الذي أتى به منه، وودع كأول شهيد معركة الاستقلال، هذه الحياة (أي في فاس) عزيزا كما عاش فيها مناضلا شريفا، وتمكن الشهيد العربي الكغاط بوسائل، من الصعود إلى برج القرويين، وصار يمطر من أعلاه، الجنود بالحجارة، فصوب إليهم أحدهم بندقيته، فكان ثاني شهيد

(2) لعلهما يوما 30 و31 يناير.

في المعركة، وتوالت الاصطدامات، وسقط الشهداء في ساحة الشرف أمثال سيدي عبد العزيز بوطالب (من الحركة القومية) والعربي كعبوط ومحمد بناني وعبد العلي الصقلي وغيرهم، وكنت صحبة ابن العربي الأسفي وسط المتظاهرين، نلهبهم حماسا وتوقدا، مؤبنين الشهداء، تحت وابل من الرصاص والمفرقعات، وانضم إلينا الطالب مولاي علي بن عبد القادر الصقلي الذي ألقى قصيدة في جموع المتظاهرين.

سقوط خائن في المعركة

وكان أحد المتعاونين يدعي إسماعيل[3] يسأل عن أسماء الخطباء والمنظمين وبيده لائحة يستفسر منها عن أسماء معينة، فارتاب المجاهدون في أمره وانقض عليه أحمد الجباري وربط يديه إلى ظهره، وفتش جيوبه، فألقى بها مسدسا ورصاصا ولائحة تضم بعض رجال الحزب. أمثال الحاج أحمد مكوار وعبد الكبير الفاسي وعبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي وغيرهم، وصرح أنه جاء من الرباط خصيصا لقتل هؤلاء، فأشبعه المتظاهرون ضربا بسكاكينهم ومقداتهم، وأخيرا وضع العربي العلوي من سكان فاس الجديد حدا لحياته، وتجند الممرضون بقيادة المرحوم الحاج محمد بنيحيى فاستعملوا خبراتهم وكل ماعندهم من مواد طبية، في معالجة الجَرْحى، وقدموا لهم حسب إمكانياتهم الإسعافات الأولية، وكان المجاهدون يحملون القتلى إلى القرويين لتأبينهم والتعرف على هويتهم، واستطاع محمد (فتحا) العراقي أن يتعرف على أسمائهم وعناوينهم فجمع منها مايزيد على الثلاثين، وأخذوهم من القرويين إلى سيدي أحمد التيجاني وإلى مسجد الرصيف، حيث أبنهم الحاج أحمد بنشقرون (رئيس المجلس العلمي بفاس الآن) ومحمد بنشقرون العضو الحالي في اللجنة التنفيذية (أي ساعة كتابة هذا الاستجواب)

واستمرت الاصطدامات بين المجاهدين وجيش الاحتلال إلى أن جاء أمر الحزب بإيقافها بعد غروب الشمس.

دفـن الشـهـداء

أما الشهداء (الذين كانوا مجمعين في القرويين وجامع الرصيف) فنقلوا تحت ظلام

(3) إسماعيل هذا أحد المخبرين الملتحقين بإدارة الاستعلامات بالرباط، كان هو ورئيسه الحريقي من الذين يتتبعون نشاطنا الوطني.

الليل إلى جامع الجنائز بجامع الأندلس في انتظار مراسيم الدفن، وأصدر الجنرال سوفران (رئيس ناحية فاس الفرنسي، والمسؤول الأول، أوامره بعدم تشييع جنازة الشهداء في وقت واحد، وأن يتولى تشييعهم الجيش بنفسه، وأن يدفنوا في مقابر متعددة، وأن لايقل بعد ما بين القبر والقبر عن خمسين ميترا، وشاء الله أن تنتصر إرادة الشعب لأنها من إرادة الله، ونقل الشهداء ليلا في سرية تامة إلى روضة الشرفاء العراقيين بحي وادي الحريقي «ساحة الشهداء» في غيبة عن الإدارة، وعيون أعوانهما، ولم يجد الجيش في جامع الجنائز إلا الفشل والخيبة، ولم تستطع الإدارة معرفة موضع الدفن، إلا بعد فوات الأوان. وكانت رغبة زعيم التحرير الرائد علال الفاسي نور الله ضريحه أن يدفن جميع الشهداء بما فيهم شهداء 1954 في روضة واحدة، وأن يكون مقره الأخير في وسطهم، تقديرا لأعمالهم، وتخليدا لذكراهم، ورمزا للاستمرار على المبدأ الذي استشهدوا من أجله.

استماتة واستمرار

واستمر الشعب في المقاومة وتنظيم المظاهرات في صمود واستماتة خمسة عشر يوما بمشاركة الإخوة : عبد السلام بن عبد الجليل والطاهر غلاب ومحمد الإدريسي وأحمد بنموسى، وقاوم بكل بسالة وإخلاص وإيثار ماقامت به الإدارة من منع الضوء والماء والمواد الغذائية، وفتح أهل فاس قلوبهم ودورهم لكل محتاج، وتوصل كل بيت، وكل عائلة بواسطة لجنة الإسعاف بما يكفيه ويغنيه من الماء والطعام والثياب، وأصبح الكل كما حكى الله عن أهل الجنة (إخوانا على سرر متقابلين) ولسان حالهم ينشد : هل نحن ياناس هنا أو نحن في الجنة الشيء الذي فقد معه المستعمر صوابه، فأطلق لجنوده السبيل لنهب الدور والدكاكين، ولم يتمكن من إلقاء القبض على الخطباء، إلا بإلقاء القبض على آبائهم، وهكذا اعتقل والدي رحمه الله، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن سلمت نفسي بأمر من حزب الاستقلال وبقي الإخوة الآخرون، يقلقون راحة المستعمر إلى أن قبض على الإخوين : الطاهر غلاب وعبد السلام بن عبد الجليل، في مظاهرة بمسجد الرصيف، حينما أحاط الجيش بالمتظاهرين من كل جانب) هذا ما كتبه الأستاذ عبد الرحمان ربيحة عن


الطاهر غلاب

ذكرياته عن أحداث يناير 1944 (أنظر جريدة «العلم» عدد 9.986 المؤرخ بتاريخ 30 يناير سنة 1975.

لقد نقلت ماكتبه الأستاذ ربيحة من أحداث يناير 1944 بفاس، لأني لم أعشها بنفسي مثل ماعشتها في (سلا) ولأن الأستاذ ربيحة شارك فيها بنفسه مشاركة عملية فعالة وأعطى عنها معلومات ضافية، أتى فيها بما يغيب استحضاره عند الكثيرين، والأستاذ ربيحة عندي رجل صدق ووطنية، ولايحكى إلا الواقع الذي عاشه بنفسه حفظه الله.

رواية الأستاذ الطاهر غلاب

أما بقية الأحداث فقد تحدث عنها رجل صدق آخر، شارك فيها بدوره مشاركة عملية طوال الأيام العديدة، وتحمل من أجل مشاركته كثيرا من المحن والآلام هو الأستاذ الطاهر غلاب، قال غلاب كما نشرته جريدة «العلم» الصادرة بتاريخ 30 يناير 1975 : كانت آخر مظاهرة هي التي نظمت في مسجط الرصيف، فما أن حان وقت صلاة الظهر، حتى تواجد هناك جمع كبير، يضم الشباب والكهول من الصناع والعمال والتجار والطلبة، وكنت مع الأخ عبد السلام بن عبد الجليل مندوبين لتسييرها وأثناء إلقاء كلمتي، لاحظت قوة من العسكر، تقف بباب المسجد، وتنصب مدفعا في مواجهتي، فلم أبد حراكا، وتابعت خطبتي إلى نهايتها، فلم يشعر الحاضرون بشيء، وفي الأخير أبلغنا أحد المقدمين (عون السلطة) أن المسجد مطوق من كل أبوابه، وعلينا إما الاستسلام أو الموت، فخرجنا حيث صففونا في ساحة، وقادونا وسط حراسة مشددة إلى (باب فتوح)، وهناك استعرضنا الجنرال سوفران وخليفته سالانيي، فوقف الجنرال بعجرفة وصلف، لم يحسن تمثيلهما، يتطلع إلى أسراه، هذا الجنرال الذي سبق أن رأيته في فرنسا أيام الحرب، متقاعدا صعلوكا، يطوف على المغاربة يستجدي تجارهم، ويأكل معهم الطعام المغربي (الذي يحبه) ويتودد إليهم بالكلمات العربية التي يعرفها، وبأيامه التي قضاها موظفا في إدارة الاستعمار، حتى إذا دخل الحلفاء إلى المغرب، سلطوه على مدينة فاس، فمثل فيها دور المتغطرس الجبار، وانتقم ممن أحسنوا إليه — فنهب متجر آل ابن عمور، ومتاجر أخرى، وألقى القبض على من كانوا يصارحونه في أفكارهم في أيام محنتهم.

في معسكر باب الساكمة

وقضينا عشرة أيام في معسكر باب الساكمة، محاصرين بالأسلاك الشائكة، فراشنا الأرض، وغطاؤنا السماء، في ليالي يناير وفبراير القارصة، وطعامنا خبزة واحدة في اليوم، وماتصدق علينا به الجنود السينغاليون ليلا في حذر من ضباطهم الفرنسيين، وفي نفس المعسكر حاكمونا حكما جماعيا، بدون دفاع ولا مرافعة، ففي ساعة أو أقل وزع علينا خليفة الباشا والمراقب الفرنسي، أكثر من مائتين وخمسين سنة سجنا نافذة. وذات يوم أوقفونا وراء الأسلاك، وعرضونا على بعض المساجين أتوا بهم مكبلين، عرفنا منهم السيد العربي الإدريسي، وعزوز السحاقي، فلم نفهم لهذه الحركة معنى إلا بعد أن سمعنا أنهم اتهموا بقتل الجاسوس، وحكم عليهم بالإعدام، وأتوا بهم ليدلوهم على من شاركهم في القتل، فلم يتهموا أحدا، وتحملوا الحكم وحدهم، فأعدم منهم من أعدم، وبقي الآخرون حتى تحرَّروا بعد الاستقلال.

في معتقل مرموشة

وكانت جماعة الرصيف كما كانوا يسمونها، تحمل النقطة السوداء في سجل المستعمرين فاختاروا لها معتقل مرموشة : غابة تبْعد عن فاس بأكثر من مائتي كيلوميتر، في جبل مرموشة على ارتفاع ألفي ميتر تقريبا، بعيدة عن الحياة، ليس بها ماء، ولاتبلغها السيارة، يصلها التموين مرة في الأسبوع على ظهر الدواب، حينما لاتنقطع الطريق بالثلوج، ليس بها مساكن. فكان علينا أن نقطع الشجر، لنبني بأعوادها نوالات للسكنى، ونعبد طريقا طوله 20 ك. م يربط المعتقل بمرموشة، ونقطع كمية كبرى من أشجار الغابة، لنصنع بها الفحم، ومع كل هذه المشاق، وفي هذا الجوّ البارد، والعلو المرتفع، لم يعدوا لنا التموين الكافي المتواصل، فكان الكل على قلته ينقطع إذا ساء الجو، أو تأخر وصول الشاحنات إلى مرموشة، وقد أثر هذا إلى جانب العذاب الشديد، والضرب الذي لاينقطع، في صحة الشبان، فكانوا يسقطون صرعى من الجوع والبرد والتعذيب، ولكن معنويتهم لم تتأثر، وروحهم لم تتبدل، فظلوا في صمودهم، حتى انقضت أربعة أشهر في عزلة عن العائلة واخبارها، والحياة ومباهجها، وبعدها نقلنا إلى سجن عين مومن، حيث أتممنا بقية المدة المحكوم بها.

كان سجن مرموشة نموذجا لما تعلمه الفرنسيون في معتقلات النازية، فطبقوا علينا

ماعانوه أو سمعوه عنها من التجويع والتعذيب، وارتكبوا فيه، أفظع مارتكبوه في حق الوطنيين، فاستحال البشر بعد أيام، إلى هياكل عظمية، عليها أسمال ممزقة، يطبعها أثر الدماء، ومن الأمام والخلف، يظهر الرقم الذي يعوض أسماءنا، فلا نعرف إلا به، لقد تفنن الفرنسيون في التعذيب، وبالغوا في القسوة والمكر، وأوحوا إلى الكوم أن يزيدوا من عندهم، فلم يتركوا وسيلة إلا استعملوها وتقربوا بها إلى السادة الضباط، لم يزرنا طبيب، ولم نحصل قط على دواء، بل لم يكن من حقنا أن نمرض، أو نشكو إذا مرضنا، ولم نحلق وجوهنا ولا شعورنا، ولم نغتسل من أوساخنا، بل لم يكن لدينا مانغير به لباسنا الذي على ظهرنا، وتصور بعد ذلك ماشئت من أنواع الميكروبات والحشرات التي تعلق بنا في هذا الجو الموبوء، وماتخلف في ذواتنا وأمعائنا وأعصابنا من آثار، كان الواحد إذا أجهده الجرُّ والضرب، سقط على بقعة الثلج، يبلل فمه، ويبرد وجهه، ثم ينهض لجولة أخرى وكان غذاؤنا في الأخير، صحناً من الجلبنة أو الحمص (سبسبه) وخبزة صغيرة، وفي الليل، ننام كالأغنام في نوالة من أعواد متشابكة، لاتقينا من البرد، ولا من الثلج، وطاؤنا التراب، ووسادتنا حجر، وغطاؤنا ماعلى ظهرنا، نتعبد كثيرا، ونقرأ القرآن، وندعو الله حتى ينتهي الحَطب الذي نتدفأ به، أو يغلبنا النوم، فننام إلى الصباح».

* * *

هذا ماكتبه الأستاذ الطاهر غلاب عن مظاهرة جامع الرصيف، وعن محنة مرموشة، ومالاقاه فيها الشباب الوطني من عذاب وآلام، جزاء موقفهم من استقلال بلادهم، ومساهمتهم في الدفاع عن حريتها، أثبته هنا في هذه المذكرة، كدليل على أن الشباب الوطني من طلبة أو غيرهم، لم يكونوا يربون داخل خلاياهم الحزبية على الرفاهية والميوعة والخلاعة وانتظار الاستقلال يأتيهم عفوا، وإنما كانوا يربون على أساس الاستعداد الكامل للتضحية بكل مايملكون، من سجن، وضرب، وتعذيب وآلام وجوع، وحرمان، من أجل الوصول إلى إعزاز بلادهم وتحريرها من قبضة الاستعمار. ولأؤكد أنه لولا هذه الروح، وهذه التربية الوطنية والدينية، مااستطعنا أن نحقق لبلادنا ماكانت تهدف إليه من حرية واستقلال، الذي تحقق عمليا ـــ والحمد لله ـــ بعد أحد عشر سنة لاغير، من تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، فلتعرف الأجيال الجديدة التي تنعم بالاستقلال، دون أن تعيش ظروف الكفاح والتضحية، أن مسؤوليتها في الحفاظ على استقلال بلادها، والنهوض بها في مختلف الميادين والمجالات المختلفة، مسؤولية ضخمة وأن الحفاظ على الاستقلال، يقتضي كثيرا من الأداءات، إن كانت تختلف عن أداءات

فترات الكفاح من أجل الحرية والانعتاق من قبضة الاستعمار، فإنها تقتضي العمل الجبار المتواصل لبناء المغرب، على الأسس السليمة الصحيحة التي تجعله في مصاف الشعوب المتقدمة، في مجالات العلم والعرفان، محافظا على قيمه ومقدساته الدينية والوطنية والأخلاقية. ساعيا لصيانته من عبث العابثين، وتلاعب المتلاعبين، وتآمر المنافقين والخائنين، عاملا على وحدته الترابية والسياسية والعقائدية والفكرية واللغوية، واقفا وقفة صادقة مخلصة، ضد كل انحراف أو تعثر أو فساد، مدركا كل الإدراك أن الاستعمار إذا انهزم وانحدَر في معركة الاستقلال، فإنه سيبقى عاملا جهده لكسب الرهان، حتى يزيل من الأذهان مدلول كلمة الاستقلال الحقيقي، في المجال الاقتصادي والفكري والترابي، وحتى يعيد ماكان يعمل على تطبيقه في فترات الحماية المختلفة، من تفريق لكلمة الشعب المغربي، وجعله يتطاحن مع بعضه بعضاً، اتباعا لنزعات وعصبيات وعنصريات، قضى عليها الشعب عندما اجتمع واحتمى تحت شعار : لاإله إلا الله محمد رسول الله.

الأحداث في مدينة وجدة المكافحة

من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال من وجدة المرحوم سي بناصر بن الحاج العربي الحسني، ويعتبر سي بناصر من أوائل الذين أنار الله بصيرتهم، وملأ قلبه بالإيمان بوطنه ودينه وعقيدته، فكان الممثل الأول لحركتنا الوطنية في المغرب الشرقي، وكان الرسول الأمين والرابط للعلاقات بين حركتنا، والحركة الوطنية في الجزائر الشقيقة، ونظرا لعسر الاتصال مع وجدة في ظروف الحرب التي كانت المراقبة الفرنسية على أشدها علينا فيها، فإن بعث وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى وجدة، لأخذ بعض التوقيعات كان عسيرا، ولذلك قرر المسؤولون في حزبنا استدعاء سي بناصر للتوقيع على الوثيقة في الرباط باسمه واسم جميع إخوانه المسؤولين عن فرع الحزب في وجدة، والذين وكّلوا سي بناصر في برقية أمضاها المرحوم أحمد بن دالي، تؤكد أن توقيع الوثيقة من طرف سي بناصر يجب أن تعتبر باسمه واسم جميع إخوانه الذين عهدوا إليه بهذه المهمة.

كان فرع مدينة وجدة، فرعا نشيطا جدا، ابتدأ نشاطه في أواسط الثلاثينيات، وكان للمرحوم سيدي عبد السلام الوزاني العالم السلفي الملتزم، دور هام في تنشيط الحركة، وفي تسيير المدرسة الحرة التي أسسها الحزب بوجدة، ويجب أن أسجل هنا أن إخواننا الوطنيين الاستقلاليين في وجدة وفي المغرب الشرقي على العموم، التزموا التزاما صحيحا بمعتقداتهم الوطنية، وكافحوا الاستعمار الفرنسي بكل طاقتهم، وهكذا عندما بلغهم خبر

إلقاء القبض على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلافريج قامت قومتهم، وأعلنوا تضامنهم بقراءة إسم الله اللطيف في المساجد، والتظاهرات الكبيرة في الشوارع، مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين وبتحقيق مطلب الشعب المغربي في الاستقلال.

كان المسؤول عن الفرع إذذاك هو الأخ الوطني الصادق السيد مَحمد الجندي حفظه الله الذي ترأس أول مظاهرة نظمت في وجدة بتاريخ ثاني فبراير 1944، وترأس المظاهرة الثانية الأخ المرحوم قدور الوطاسي الحسني وذلك بتاريخ سادس فبراير 1944، ووقعت هذه المظاهرة الثانية، بعد خطاب ألقاه سي قدور بالمسجد، ثم قاد المظاهرة في الشوارع وكانت الجماهير متحمسة للغاية، والنساء يزغردن من فوق السطوح، والشباب الاستقلالي يترنم بالأناشيد الوطنية الحماسية الداعية إلى التضحية والفداء.

ولقد أعقبت هاتين المظاهرتين إلقاء القبض على العدد العديد من الوطنيين الأحرار، كان من جملتهم الشاب الوطني النشيط السيد محمد الدرفوفي، والوطني الحر السيد أحمد بن دالي وإخوانه الأحرار : محمد بن رياح ومحمد بن عبد القادر بن تاهلة ومصطفى المشرفي ومحمد بن التهامي برادة والتهامي الأودبي وبناصر بن ج العربي الذي أمضى على الوثيقة باسمه واسم إخوانه ومَحمد الجندي الذي قاد المظاهرة الأولى ومحمد بن منصور والفقيه الحاج محمد فرج وموهوب الصافي ومحمد حجيرة الكبير والطيب بن الحاج العربي (ويحكي المرحوم سي قدور الورطاسي أنه وإخوانه الوطنيين المسجونين لما نقلوهم إلى سجن غبيلة بالدار البيضاء، زارهم مدير السجن (ديبوا) مع رئيس السجن وأخبرهم بأنهم سينقلون إلى سجن عين أعلى ومومن، وبعضهم سينقل إلى سجن العدير، وانه سيوصي بهم خيرا، ثم سألهم هل أريقت دماء في وجدة ؟ ولما أجابوه بالنفي، قال : حسنا مافعلتم في اختيار هذا الظرف للمطالبة بالاستقلال، فقال له رئيس السجن : هل من الوفاء أن يطالبوا بالاستقلال في هذا الظرف ؟ وفرنسا محتلة من الألمان، فقال : وهل ينتظرون حتى تتحرر وتتقوى ؟، فأجابه الرئيس : هل من الحق أن يقتل شرطي فرنسي ؟ وله خمسة أولاد، فأجابه المدير : وهل عرفت من قتلوا من المغاربة ؟ ثم قال : إن حكاما يستخفون بالمغاربة، الأمر الذي دعاهم إلى المطالبة بالتحرر (انتهى حديث مدير السجن مع رئيس السجن) ومنه ندرك أن طائفة من الفرنسيين الأحرار، سواء داخل المغرب أو في فرنسا لم تكن راضية عن معاملة الإدارة الفرنسية، وقد أتيح لنا ونحن في ضيافة بعض السجون أن نلتقي ببعض الحراس الفرنسيين، فيحادثونا بأنهم مشمئزون تمام الاشمئزاز مما تعامل به الإدارة الفرنسية طبقات الشعب

المغربي، وكان أحد الحراس الفرنسيين في سجن الرباط، يمدنا عندما يكون دوره في الحراسة. يمدنا ببعض الجرائد الفرنسية التي تتحدث عن قضايا المغرب وأحداثه، وبالأخص الجرائد المتعاطفة مع قضيتنا، وهذا مايؤكد ما سجله المرحوم سي قدور الورطاسي من موقف مدير السجن في التعاطف معنا.

* * *

لقد أتيت بذكر كثير من أسماء إخواننا الوجديين الذين اعتقلتهم السلطات الاستعمارية، ويسرني أن أسجل هنا أنني تعرفت على الكثير من هؤلاء الإخوة، ونحن جميعا في سجن غبيلة بالدار البيضاء، ويأتي في طليعتهم الأخ المناضل المرحوم السيد أحمد بندالي والشاب المناضل المرحوم السيد محمد الدرفوفي وهذان الأخوان ذاقا من العذاب ألوانا وأشكالا، واتهما ظلما وعدوانا بالاتصال بالألمان، فعذبا العذاب الأليم، وكانت أقدام المرحوم ابن دالي تتفجر بالدماء من آثار التعذيب، والمرحوم ابن دالي من رجال الحزب المخلصين كان — كما أشرت إلى ذلك من قبل — وجه للحزب برقية وقعها باسمه الصريح أكد فيها تفويض المرحوم سي بناصر بن ج العربي التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال باسم فرع حزب الاستقلال في وجدة، فكان جزاؤه الاتهام بالاتصال بالمحور، وتعذيبه وسجنه، أما المرحوم السيد محمد الدرفوفي فقد عهد إليه في فترة من الفترات بتسيير شؤون الحزب بوجدة، فكان مثال الشاب الوطني المتحمل للمسؤولية بكفاءة وإخلاص ونشاط، ومن الذين تعرفت عليهم كذلك الإخوة مَحمد الجندي ومحمد بن رياح ومحمد عبد القادر بن تاهلة ومحمد منصور ومحمد بن التهامي برادة والحاج محمد فرج (وكان يدير مدرسة حرة بفجيج) وهو من الشخصيات العلمية المرموقة، وكذلك التهامي الأودبي ومصطفى المشرفي بالإضافة إلى الوطني الصادق بناصر بن الحاج العربي الموقع على الوثيقة الأساسية معنا، والأخ المناضل العالم المرحوم السيد قدور الورطاسي الذي أبى زيادة على أعماله المتعددة في ميادين الكفاح إلا أن يحرر عدة كتب ومقالات تؤرخ للحركة الوطنية في المغرب الشرقي، ويترجم للكثيرين من أعلام الوطنيين في تلك الديار فجزاه الله أحسن الجزاء.

مدينة آسفي تشارك في التوقيع على وثيقة الاستقلال

رغما من أن شخصيات وطنية في مدينة آسفي شاركت في التوقيع على وثيقة الاستقلال، فلم يصل إلى عملي أن أحداثا وقعت فيها إثر المطالبة بالاستقلال باستثناء العرائض التأييدية إثر إلقاء القبض على زعماء الحزب، ولكني أود أن أسجل هنا أن من جملة الموقعين الأساسيين الأسفيين الوطني المرحوم الحاج محمد البوعمراني الذي كان من أوائل الذين عملوا في المجال الوطني منذ سنة 1930 والفقيه السيد عبد السلام المستاري والأستاذ محمد بن الخضر، وهذا الأخير كان معلما في مدرسة أبناء الأعيان بسلا، وكانت بينه وبين المرحوم أحمد بن اليمني مصاهرة، وبسبب وجوده بسلا اتصلت به وانخرط في سلك جماعة «فتح» ومن هناك اقترحت على إخواني أن يكون من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، لوطنيته واستقامته ومحافظته على الأسرار.



محمد بن الخضر

لقد كانت حركة الحزب في آسفي ابتداء من الأربعينات نشيطة كل النشاط، وكانت في الثلاثينات في بداية انبعاثها، بسبب وجود المرحوم الفقيه محمد غازي فيها حيث كان يشتغل كمحام شرعي في محكمة القضاء الشرعي، ولقد كنت أزور آسفي في الأربعينات إلى الخمسينات المرة تلو المرة، وكانت الحركة نشيطة فيها بفضل من ذكرت أسماءهم من قبل، وبفضل الاخوة : المرحوم محمد السرغيني الذي ظل يشغل في بعض الفترات مفتشا للحزب في تلك المنطقة، والفقيه السلفي السيد إدريس بناصر والفقيه المومن السيد محمد الهسكوري والوطني الغيور الثابت السيد مَحمد بن الطالب وكان يشغل أمينا للمال بالفرع والفقيه الخطيب السيد مَحمد بن الطيب الوزاني، وكان للطبقة العاملة نشاط ملحوظ بالفرع، كما كان لحركة الشبيبة وجود قوي بفضل بعض الأطر النشيطة مثل عبد السلام مجيد وعبد الخالق الشقوري وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم.

تضامن مدينة الدار البيضاء
مع أحداث 29 يناير 1944

كان قرار حزب الاستقلال، أن يقع تضامن من طرف الشعب المغربي إذا ماطبق الاستعماريون تهديداتهم إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

وهكذا عندما امتدت أيدي الجيش الفرنسي إلى بعض القادة الاستقلاليين أولا، وهما الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وألقى القبض عليهما، قامت قيامة الوطنيين في الرباط أولا، ثم في سلا ثانيا، ثم في فاس ثالثا، فكانت المظاهرات العنيفة، وكانت التضحيات المتوالية، وكانت الأحكام القاسية، وكان إعدام الشهداء في مختلف المدن الثلاث التي ذكرنا حوادثها بتفصيل، وكان المفروض طبعا أن تقع حركات تضامنية في مدن أخرى، وفي طليعتها الدار البيضاء.

وقبل أن أتعرض لما وقع من أحداث في الدار البيضاء. يجب أن أشير إلى أن التنظيمات الاستقلالية فيها كانت في بدايتها في كثير من أحياء الدار البيضاء، فبغض النظر عن المدينة القديمة ودرب السلطان وبعض المناطق الأخرى القليلة، كانت الأمور تتطلب كثيرا من التأطير والإشراف على التسيير، حتى يضمن النجاح في كل مايقوم به الحزب من أعمال، سواء في أيام التوجيه والتكوين، أو في ساحة النضال والمقاومة، والتعبير عن الوجود الوطني المنظم القائم بواجبه ساعة ينادي المنادي، حيّ على الكفاح، وغير خاف أن ساحة الدار البيضاء، ساحة واسعة ممتدة الأطراف، مختلطة الأجناس، والجالية الأوروبية الأجنبية فيها تكاد أن تجعلها أساس ومنطلق وجودها، ومركز ثقلها واشتغالها، وكل ماسيقع فيها من أحداث، يجب أن يدرس بكامل الاهتمام، حتى لاتكون له انعكاسات تأتي بعكس ماتهدف إليه حركة الاستقلال من منافع، وحتى يضمن الوجود الوطني الاستقلالي في تلك المدينة الكبرى مستقبلا، ونحن في بداية معركتنا الحقيقية مع الاستعمار، وهذا ماجعل حزب الاستقلال يختار شخصية كبرى من قيادته، للاشراف على تسيير تنظيمات الحزب في الدار البيضاء، لتسير الحركة الاستقلالية السير المرضي النافع، سواء أثناء المطالبة بالاستقلال، أو في الشهور والأعوام التي تليها، عندما نخوض معركة النضال مع الاستعمار بعد انتهاء الحرب، وهذه الشخصية الكفأة المجربة

والصادقة في جميع مراحل كفاحها النضالي، هي شخصية المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، ولاأحتاج أن أعرف بالحاج عمر بن عبد الجليل في مجال الكفاءة والتضحية والرجولة وتقدير المسؤولية حق قدرها، ولاأحتاج أن أعدد ماقام به من أدوار في تاريخ الحركة الوطنية ابتداء من سنة 1930 إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا، وأشير هنا إلى ضرورة مراجعة ماكتبته عنه في الكتاب الذي خصصته له في سلسلة : (رجال عرفتهم)، ففيه الكثير مما امتاز به رحمه الله. كان الحاج عمر بن عبد الجليل هو المسؤول عن فرع الدار البيضاء، زيادة على مسؤولياته القيادية في الحزب، بجانب علال الفاسي والحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وإخوانه الآخرين، وهذه المسؤولية هي التي جعلته بعد استشارة إخوانه المتعاونين معه في الدار البيضاء وبعدما تلقى أمراً من قيادة الحزب في الرباط أن يعمل على أن يكتفي بإعلان الاضراب العام الشامل في الدار البيضاء دون الخروج إلى الشوارع ودون القيام بمظاهرات، حتى لاتحقق الجالية الفرنسية الحاقدة ماكانت تخطط له من مجزرة لاتعتبر مجزرة سنة 1947 التي قام بها «بونيفاس» إلا لعبا في لعب، فلقد كانت جمعية الوجود الفرنسي تخطط للمذبحة العنيفة القاسية للقضاء على الحركة الوطنية القضاء النهائي، وهذا ما أدركه الحاج عمر وصحبه في الدار البيضاء، وهو ماوصلت أخباره السرية إلى قادة الحزب في الرباط، فقررت أن تبعث شخصية هيأتها الأقدار هي شخصية طالب كان في باريز، ومر على الرباط عفوا ليؤدي رسالة لازال الجميع يعترف له بأدائها، كان ذلك الطالب هو السيد ابن سالم الصميلي الذي حمّله الإخوة في الرباط رسالة إلى الحاج عمر، يأمرونه فيها بالاكتفاء بإعلان الإضراب العام، دون ضرورة الخروج إلى الشارع ويغلب على ظني، ولست متأكدا أن ذلك كان باتفاق مع المنعم الملك محمد الخامس الذي بقي اتصاله بإخواننا محكما، وتدبيره معهم متقنا، رغم الظروف القاسية التي كان يعيشها المغرب إذ ذاك.

ما كتبه الأستاذ محمد بلحسن الوزاني في مذكراته

أتيت بهذا التقديم، لأجيب المرحوم الزعيم السيد محمد بن الحسن الوزاني عما جاء في مذكراته حول أحداث الدار البيضاء جزء 6، ص 145، فلقد كتب يقول :

«وفي الدار البيضاء وقع إضراب في 30 يناير، فاحتلتها قوات كثيرة مجهزة بالمصفحات والدبابات والمدافع، ووقعت حوادث بين الجيش والسكان الذين تعرضوا لاضطهادات وتعسفات، وقد قتل واحد منهم، وجرح البعض، واعتقل عدّد من

الأشخاص فعذبوا، وطرد التلاميذ المغاربة من الثانوية الفرنسية، كل هذا دل في الواقع على أن الدار البيضاء، كانت متأهبة للتضامن، وفعلا أظهرت بعض التأييد للحركة، ولكنها لم تقم بالدور المنتظر منها، لأن عمر بن عبد الجليل الذي كان مكلفا بها من الحركة، تقاعس (كذا) عن العمل، في الوقت الذي كانت المعارك فيه، حامية الوطيس، بين الشعب الثائر، وقوات القمع في الرباط وسلا وفاس، حيث كان يسقط الشهداء والجرحى، ويعذب المعتقلون في السجون الجهنمية، وقد انتظر الناس قوْمة الدار البيضاء، وطال انتظارهم، ثم فوجئوا بتخلف الدار البيضاء عن الركب، لأن عمر، قرر أن تبقى غير متضامنة، ولو تحركت الدار البيضاء، كما كان مقرراً ومنتظرا، لكان لها شأن عظيم، في صالح حركة الاستقلال، وتساءل الجميع لماذا ؟ ومن المسؤول ؟ فقيل لهم : هو عمر، ولما سأله أصحابه من داخل سجنهم بالعاذر، أجاب بأنه تلقى أمراً بالكف عن العمل من لجنة الرباط، وهذا مالم يقتنع به أحد، ولذلك تُرك عمر حراً مقابل تجميد الحركة البيضاوية، فتحمل مع لجنة الرباط جسامة المسؤولية).

مناقشة ما كتبه الوزاني

هذا ماكتبه المرحوم الوزاني عن تضامن الدار البيضاء مع أحداث 29 يناير 1944، وقبل أن أناقش ماكتبه ونشره في آخر حياته رحمه الله، لأن مذكراته لم يكتبها إلا قبل وفاته بقليل، أود أن أتساءل، أين كان المرحوم الوزاني ساعة وقوع أحداث 29 يناير، ولدى إضراب الدار البيضاء، وساعة أخذ القرار بالاكتفاء بالإضراب على نطاق الدار البيضاء كما سأثبته بالدليل القاطع ؟ إن المرحوم الوزاني كان إذذاك لازال في قرية إدزر منفيا من طرف السلطات الفرنسية، وكان ممنوعا من أي اتصال مع الغير، ولم يكن له دور في الأحداث، لا من قريب ولا من بعيد، فكيف صاغ له أن يصدر الأحكام التي كانت دون أن يأتي بأي سَند يثبت ما ادعاه ؟ وماهي الدلائل التي تثبت صحة ما ادعاه ؟ وهل كان أعضاء منظمته السياسية رجال الحركة القومية خاضعين لقرارات غيرهم ؟ لذلك لم يستطيعوا أن يقوموا بتحريك الدار البيضاء وجعل عاليها سافلها، وإذكاء حماس الشعب الثائر، ليكون للدار البيضاء شأن عظيم في صالح حركة الاستقلال.

لقد تألمت بالغ الألم للاتهامات التي اتهم بها صديقه الحميم، وشريكه في الكفاح والنضال المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، رغم أنه كان تلقى منه أثناء تلك الفترة

رسالة تفيض بالإخلاص والوفاء، مؤكدا فيها أنه سيبقى معه على العهد إلى أن يلقى الله، والرسالة المذكورة أثبتها المرحوم الوزاني نفسه بظلها في نفس الجزء السادس من مذكراته في الصحيفة رقم 167 وهي بخط يمين الحاج عمر نفسه، وجاء فيها : (أخي العزيز، لاعدمتك، وبعد فإننا وفاء بالعهد القديم الذي سنحتفظ به إلى لقاء الله، نوجه لك نسخة من عريضة الاستقلال إلى آخر ماجاء في الرسالة المذكورة، فهل الحاج عمر بن عبد الجليل هذا الذي يعرفه الخاص والعام كمجاهد من الطراز الرفيع، يتقاعس عن العمل عند نداء الواجب ؟ وهل كان الحاج عمر صديق الوزاني الحميم في يوم من الأيام من المتخلفين المجمدين لحركة النضال والجهاد ؟، المتحملين للمسؤولية الجسيمة في تخلف الدار البيضاء عن القيام بواجبها ؟ لقد قال الوزاني إن عمر بن عبد الجليل كان مكلفا من طرف الحركة وتقاعس عن العمل. فما هي الحركة التي كان مكلفا من قبلها ؟ هل الحركة القومية هي التي كلفته بتسيير الدار البيضاء ؟ لأننا لانعلم أن شيئا من ذلك وقع، وإنما نعلم حسبما جاء في رسالة الحاج عمر إلى الوزاني ونشرها في الجزء المشار إليه من مذكراته، والتي قال فيها بالحرف أيضا : (ولاتسأل عن ألمنا لعدم رضاء صديقيك السيد عبد الهادي الشرايبي والسيد علي العراقي بالتوقيع معنا ومشاركتنا بال تقديم) وقال الوزاني أيضا فيما كتبه في مذكراته عن الأحداث : (وقد انتظر الناس قومة الدار البيضاء، وطال انتظارهم، ثم فوجئوا بتخلف الدار البيضاء عن الركب، لأن عمر، قرر أن تبقى غير متضامنة، فمن هم الناس الذين كانوا ينتظرون والذين طال انتظارهم ؟ ولماذا لم يقوموا بواجبهم حتى لايفاجؤوا بقرار عمر ؟ وهل كان لعمر هذا النفوذ العظيم على الدار البيضاء ؟ يحركها كيف يشاء، ويهدئها متى شاء، ومن أعطاه هذا النفوذ ؟ أسئلة كثيرة تخطر على بال القارىء المتمعن وهو يقرأ ماكتبه المرحوم الوزاني في موضوع تضامن الدار البيضاء، فلا يجد لها جوابا صحيحا شافيا مقنعا. ولولا أن الوزاني رحمه الله قال وكرر أنه يكتب للأجيال المغربية، لكي تعلم وتتذكر، ولولا أنه أكد أن مذكراته لايهدف من كتابتها وتسجيلها إلا إظهار الحقائق التاريخية المجردة من كل زيف، لما ناقشته فيها دفاعا عن الحق والحقيقة، وإنصافا للتاريخ والذين كتبوه بدموعهم ودمائهم وكل مايملكون من جهد وقوة وإيمان، ومن جملتهم أخونا المرحوم المجاهد الحاج عمر بن عبد الجليل.

والآن أرجع إلى تضامن الدار البيضاء وكيف سارت الأحداث فيها.

الإضراب العام في الدار البيضاء
في شهادة للأستاذ محمد العربي العلمي

يقول المرحوم الأستاذ سيدي محمد بن العربي العلمي وهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان في وقت من الأوقات قطباً من أقطاب الحركة القومية، الحائزين على ثقة المرحوم الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني، يقول في حديث له لجريدة «العلم» عن تضامن مدينة الدار البيضاء مع أحداث يناير 1944 وذلك بتاريخ عاشر يناير سنة 1988 إن اجتماعا انعقد بمدينة الدار البيضاء، حضره بعض الشخصيات المسؤولة من جملتها باشا الدار البيضاء السيد الطيب المقري، وأعضاء المجلس البلدي، والجمعية الخيرية وَوُجهاء المدينة، للتوقيع على لوائح التأييد لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وفعلا كانت مدينة الدار البيضاء طوال أسبوعين، تعيش في أجواء الحرية، وكأنَّ المغرب أصبح مستقلا بالفعل لدى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان المقيم العام الفرنسي هو (كابريال بيو) وكان الكاتب العام للإقامة العامة هو مسيو «فوازار» وهو الذي استقبل وفد حزب الاستقلال الذي حمل إليه وثيقة المطالبة بالاستقلال، أما المقيم العام فقد تجنب قبول الوثيقة، وسافر إلى أكادير ثم يقول العلمي : الظروف التي تقدم فيها الحزب بوثيقة المطالبة بالاستقلال، كان «تشرشل» كعادته يوجد في مراكش قصد الاستجمام والراحة، وجاءت الأخبار أن الجنرال «دوكول» التحق به من الجزائر إلى مراكش، ليستطلعه عن مقدار تأييد إنجلترا لموقف الحزب، ولما علم أن انجلترا لاتتدخل لصالح المطالبة بالاستقلال، أصبح موقفه واضحا ضد مطلب المغرب الأسمى، ثم يقول العلمي : بعد إلقاء القبض على بلافريج يوم 29 يناير 1944، وقعت مظاهرات في الرباط وسلا وفاس، أما الدار البيضاء، فقد تقرر فيها الاكتفاء بالإضراب العام، والسبب يرجع من جهة إلى حنكة الطيب المقري (باشا الدار البيضاء) الذي كان يعرف العقلية الفرنسية معرفة كافية، وإلى الحاج عمر بن عبد الجليل، الذي كان يدرك الأبعاد التي يمكن أن تصل إليها الأحداث، إذا ماوقعت مظاهرات صاخبة، قد تعود بعكس مايريده الحزب من تأييد ومناصرة، ويظهر أن المراقب المدني الفرنسي، مسيو «كوسطار» كان لايريد أن تصل الأحداث إلى منتهاها، حيث كان معروفا بالنزاهة، وكان دكوليا صادقا. ثم يقول العلمي : إنه في يوم الإضراب، استدعى الطيب المقري باشا المدينة إلى المحكمة كلا من الحاج بن عبد الجليل والفقيه الحمداوي وسي بوشتى الجامعي والحسن بن جلون ومحمد بن الجيلاني بناني وإدريس الكتاني ومحمد بن العربي العلمي، وحض الجميع

على تجنب الاصطدام، وإراقة الدماء، ثم سألهم هل يرغبون في مقابلة رئيس الناحية مسيو (غونتار)، فأجابوا بالقبول، ولدى مقابلته لهم خاطبهم قائلا : وكان محاطا بأعوانه، عسكريين ومدنيين قائلا كلاما فيه تهديد ووعيد، فتصدى له الحاج عمر بن عبد الجليل قائلا : إنك مقاوم فرنسي فبأي حق ترفض لغيرك، ماتتيحه لنفسك، وزاد الحاج عمر قائلا : لقد آزرنا فرنسا في حربها مع ألمانيا، ولازلنا متمسكين بهذا المبدأ، وضحى المغاربة بدمائهم في ساحة الحرب، دفاعا عن مبادىء الحرية، وإننا بدورنا نرى أن من واجبنا أن نطالب باستعادة استقلالنا وسيادتنا) ويقول العلمي أيضا : وبعد مداولات قصيرة، تم الاتفاق على الاستمرار في الاضراب، شريطة تجنب المظاهرات والاصطدامات، وهذا ماتم فعلا، فلم يحدث حادث، باستثناء حادثة واحدة، حيث استشهد أحد المواطنين، ولم تسجل اعتقالات واحتفظت الدار البيضاء بطاقتها الوطنية كلها) إلى آخر الحديث.

* * *

هذا ماكتبه المرحوم محمد بن العربي العلمي حول إضراب مدينة الدار البيضاء تضامنا مع أحداث يناير 1944، وكيف تقرر الاكتفاء بالإضراب، دون القيام بمظاهرات، تحدث عنها اصطدامات، فهل اطلع المرحوم بن الحسن الوزاني قبل أن يكتب ماكتب في الموضوع على كل ماوقع ؟ هل علم أن الحاج عمر بن عبد الجليل، عندما اتخذ القرار النهائي في الأمر، باعتباره مسؤولا أساسيا في حزب الاستقلال، لامكلفا من أية حركة كيفما كان نوعها أو شكلها أو قيمتها أو مركزها في المجتمع، مع الإشارة إلى أنه لدى اتخاذه للقرار كان محاطا بشخصيات وطنية أخرى فيها من ينتمي لحزب الاستقلال، وفيها من لاينتمي للحزب، ثم إن التدخل الذي تدخله الحاج عمر بن عبد الجليل جوابا عن تهديد رئيس ناحية الدار البيضاء، أيعتبر هو أيضا تقاعسا من ج عمر، وفرارا من المسؤولية، ويجب أن نلاحظ أن الظرف الذي تحدث فيه، كان في منتهى ما يكون من التوتر وهيجان الأعصاب، وخشية الوقوع فيما لاتحمد عقباه، سواء من طرف الوطنيين، أو من طرف السلطات الاستعمارية، لقد واجه الحاج عمر رئيس الناحية الفرنسية مواجهة وطنية استقلالية صميمة، ولم يسمح له أن يعترف لبني جنسه، بما لايسمح به للمغاربة الأحرار الذين أراقوا دماءهم من أجل حرية بني الإنسان، لا من أجل حرية جماعة معينة أو قطر من الأقطار فحسب، لقد قال له كما ذكر ابن العربي العلمي : (إننا بدورنا نرى أن من واجبنا أن نطالب باستعادة استقلالنا وسيادتنا) كلام في منتهى الوضوح والشجاعة أمام قوى استعمارية، اجتمعت تحت رئاسة رئيس ناحية

البيضاء الفرنسي، وفيها المدنيون والعسكريون، وتسمع بأذنيها وبصوت مرتفع، غير خجول، ولا متراجع، ولا متقاعس، أن من حق المغاربة أن يسترجعوا استقلالهم وسيادتهم، ويقوموا بواجبهم الوطني تعبيرا عن إرادتهم التي لاتتزعزع في الحرية والاستقلال، ويأتي بعد نحو ثلاثين سنة من يقول : إن ذلك الصوت المدوّي كان صاحبه متقاعساً وعاقَ بموقفه معركة الاستقلال، ثم أشير أيضا إلى أن الحاضرين مع الحاج عمر في تلك الجلسة التي تحدث عنها ابن العربي العلمي، هل كانوا بالطبع جميعهم متقاعسين ؟ فلماذا لم يشر إليهم المرحوم الوزاني، وفيهم من كان ينتمي لحركته القومية.

إن المرحوم الوزاني يرى بعد أزيد من عشرين سنة على الأحداث، أن الأمور كان ينبغي أن تسير في غير ماسارت فيه، وأن التضامن لم يقع، رغم أن الإضراب العام التضامني عم الدار البيضاء جميعها كما يقول : إنَّ عمر بن عبد الجليل جمد الحركة البيضاوية، وتحمل مسؤولية هذا التجميد، وهذا التخلف عن الاصطدام، فهل كان المقصود من التضامن هو الاصطدام، وسقوط الضحايا، يمكنني أن لاأرفض تحليلات المرحوم الوزاني للموقف ــ رغم عدم اقتناعي بها ــ لو سار في طريقة عرضه بغير الأسلوب الذي كتبه، أي بدون هجوم وقدح واتهام بالتقاعس للغير، فتحليلات السياسيين للأوضاع قد تكون متباينة، وتقديراتهم قد تكون مختلفة، وآراؤهم لايجب أن تكون موحدة، بل قد يكون اختلافهم في الرأي مدعاة للبحث عن طريق الصواب، ولكن على أساس أن لايكون هناك قدح ولا اتهام ولا نكران لحق الغير في اتخاذ مايراه من رأي يظهر له أنه هو الصواب، ولو كان ماكتبه المرحوم الوزاني سار هذا النحو، لما كتبت هذا الردّ، إظهارا للحقائق كما هي، لاكما يحكيها الحاكون، دون بحث عن أسباب النزول، وإدراك لأسرار اتخاذ القرارات.

إن المرحوم ج عمر بن عبد الجليل تحت التراب، يجازى على ماقدم من أعمال، وإن المرحوم سيدي محمد بن الحسن الوزاني تحت التراب سيجازى أيضا على ماقدم من أعمال، وإن الشهادة يجب أن تكون لله، الذي يجازى المحسن على قدر إحسانه، ويجازى المسيء على قدر إساءته، وان الله لايظلم مثقال ذرة، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ورحم الله الأخوين سيدي محمد بن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل على ماقدما من الصالحات، وعفا عن سيآتهما وأخطائهما، وكل ابن آدم خطاء.

جواب عن تساؤلات

تحدث الأستاذ السيد عبد الهادي بوطالب في ذكرياته عما قاساه بعض الإخوة من رجال الحركة القومية وحزب الاستقلال وقدماء التلاميذ، من محن، ومتاعب أثناء فترة اعتقالهم «في برج النور» أو غيره من السجون، كما تحدث عن حملة الاعتقالات والسعار الذي أصاب السلطات الاستعمارية، وهي تواجه حركة الاستقلال، بكل عنف، ثم تساءل عن المعايير التي كانت السلطات الاستعمارية تستعملها وتعتمد عليها لدى إلقائها القبض على الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، سواء منهم الاستقلاليون أو القوميون، ولا أريد أن أجيب عن هذه التساؤلات التي تساءلها الأستاذ بوطالب، فللإدارة الاستعمارية موازينها ومعاييرها، وهي التي تعرفها وتطبقها، ولكنني فقط، أريد وأنا أكتب مذكرتي أن ألفت نظر الأستاذ بوطالب إلى أمرين اثنين جاءا في ماكتبه في صفحة 139 من الجزء الثاني من ذكرياته وشهاداته، حيث كتب يقول : (في صفوف حزب الاستقلال لم يعتقل في هذه الأحداث، قادة وطنيون كبار، لم يكونوا ليفلتوا من قبضته استنادا إلى جميع المعايير، هم المرحومون : الحاج عمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار والفقيه غازي، ولم يكن منتظرا أن يمتع بالسراح بعد الاعتقال نصف يوم، وطني كبير آخر، كان يشار إليه على أنه الشخصية الثانية في حزب الاستقلال، أعْني محمد اليزيدي الذي أخرج من السجن ليحض الجماهير المتظاهرة على حل الاضراب وإيقاف المظاهرات، ولم يكن اعتقال مَحمد الزغاري وأحمد ابا حنيني من جمعية قدماء التلاميذ، وهما من جملة الممضين على عريضة الاستقلال، منسجما مع إبقاء عبد الكريم ابن جلون طليقا في الرباط، وهو أيضا من الممضين على العريضة، والمنتمين إلى نفس الجمعية قبل أن يلتحق بحزب الاستقلال).

لقد قلت إنني أردت أن ألفت نظر الأستاذ بوطالب إلى أمرين اثنين، أما أولهما فلقد ذكر أن المرحوم أحمد مكوار نجا من قبضة الاستعمار، وهذا ليس صحيحا بالمرة، فالمجاهد أحمد مكوار رحمة الله عليه، لم يلق عليه القبض فحسب، ولكنه ذاق من العذاب ألوانا وأشكالا، فجُلد الجلد المبرح، وعلق من يديه ورجليه أثناء فترات التعذيب والاستنطاق ذاق ماذاقه إخوانه : الهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن إدريس وعبد الهادي الشرايبي وآخرون، تعذيبا تضطرب من قساوته ومحنه الأفدة، ويكفي أن نرجع لما كتبه المجاهد عبد الهادي الشرايبي في كتابه (ثمن الحرية) لنرى ما قاساه الوطنيون، وما عاناه

المخلصون، أمثال مكوار والشرايبي، أما الأمر الثاني فيتعلق بالمجاهد المرحوم اليزيدي الذي أشار إليه للمرة الثانية في كتابه أو ذكرياته من أنه أخرج من السجن ليحض الجماهير المتظاهرة على حل الإضراب وإيقاف المظاهرات، ولقد أعطيت التفاصيل الكافية في موضوع سراح اليزيدي، فلا أعيد الكلام فيه، لأني شممت من الصيغة التي حرر بها الأستاذ بوطالب هذا الموضوع أن سراح اليزيدي كان برغبة وطواعية منه ومن أجل حل الإضراب وإيقاف المظاهرات، وكأنه كان سراحه من تلقاء نفسه، لأجل الغرض المذكور، مع أنه حسب ما وضحت في السابق بالحجة، والبرهان كان بقرار ملكي شريف، وأن المقصود هو إبعاد المظاهرات عن القصر الملكي، وأنه لم يدع مطلقا إلى حل الإضراب وفتح الدكاكين، لأنه لم يكن إضراب داخل القصر ولا في دار المخزن ولاوجود للدكاكين وإنما كانت مظاهرات، ربما كانت ستتطور إلى مالاتحمد عقباه، خصوصا بعدما امتدت الأيادي إلى مدير التشريفات الملكية، وكانت على وشك القضاء عليه، لولا تدخل بعض العقلاء من الوطنيين الذين افتكوه من قبضة المتظاهرين، وسبحان من لا تخفى عليه خافية. وبالمناسبة لابد أن أشير إلى مقابلة المرحوم عبد الكريم بن جلون جلالة محمد الخامس أثناء فترة التحام المظاهرة وتدخله لفك الحصار على الفقيه معمري وانجائه من الموت ولابد أن ذلك كان من العوامل التي جعلت الادارة تكف عن اعتقاله.

وتتميماً للفائدة أشير إلى استجواب كان أجراه المرحوم محمد اليزيدي حول إطلاق سراحه ونشرته جريدة «العلم» في العدد الصادر يوم 11 يناير 1989 ولقد جاء فيه :

في الساعة الثانية عشرة زوالا (أي يوم 29 يناير 1944) جاءني بونيفاس مرفوقاً بأحد مساعديه، وطلب مني أن أرافقه في سيارته، وفي الطريق طلب مني إقناع المتظاهرين بالعدول عن التظاهر، وفعلا قابلني جلالة الملك، وتذاكرنا في الموضوع طويلا، وقررنا إثر ذلك دعوة الجماهير إلى تفريق مظاهراتها، ولكن بصعوبة شديدة، تم إقناع المواطنين بالموقف، وحدث أن تكونت مظاهرة اخترقت الرباط في نفس اليوم، وعند نهاية شارع علال ابن عبد الله وجدنا الجنود مدججين بالسلاح، بعد أن نصبوا متاريسهم ومدافعهم ومنعوا التجوال وقطعوا كل اتصال بأحياء المدينة، وحاولوا تفريق المظاهرة بالسلاح، إلا أن المتظاهرين أحرقوا شرطياً حاول التعسف بهم، ثم دخلوا للجامع الكبير، وألقوا خطباً حماسية ثم تفرقوا).

موقف الكلاوي في مراكش
بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال زار مراكش الأمين العام لحزب الاستقلال المرحوم الحاج أحمد بلافريج، فوقعت مقابلة بينه وبين الباشا الكلاوي، ودار حديث بينهما حول الحالة بالمغرب، وكان كل منهما يريد أن يتعرف إلى مايضمره الآخر، كان بلافريج يريد أن يعرف مايفكر فيه الكلاوي إذا ماوقع حدث هام في المغرب مثل المطالبة بالاستقلال دون أن يصرح بذلك، وكان الكلاوي بدوره يريد أن يعرف هل وراء مايفكر فيه الوطنيون في ذلك الظرف بالذات، وربما يكون المطالبة بالاستقلال — هل وراء ذلك من يساندهم ويشد أزرهم ويقصد الأمريكيين بالذات، ولكن كلا منهما : بلافريج والكلاوي لم يصل إلى ماكان يطمح إلى معرفته، فبلافريج أدرك أن الكلاوي لايمكن أن يشجع مطلباً كمطلب الاستقلال إلا إذا أدرك أن هناك قوة أجنبية كبرى تسانده.

وعندما حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال كان من جملة الموقعين عليها من مراكش أولا الأساتذة عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن ثم الحسين الورزازي والسيد بريك (مبارك) الغراس وأحمد المنجرة، ويحكي مولاي أحمد المنجرة عن قضية التوقيعات فيقول : عاد مولاي عبد الله إبراهيم من الرباط حاملاً الوثيقة العظيمة، فوقع عليها هو، ووقع الاخوان : الحسين الورزازي وعبد القادر حسن، أما أنا والأخ بريك الغراس، فكانت لنا مناقشة مع الأخ عبد الله إبراهيم قبل التوقيع، ذلك أن الأخ بريك الغراس كان قائماً على إحدى مدارس التعليم الحر بمراكش، وكان عطاؤه في هذا الباب عظيماً فعزّ عليه أن يترك المدرسة، لأن التوقيع كان يعني في نظرنا الموت فوراً، أو المجهول الذي لايوصف، فقال له مولاي عبد الله إبراهيم : أنا أحدثك عن استقلال المغرب، وأنت تتحسَّر على المدرسة، فوقع بعد ذلك، أما أنا (المنجرة)[1] فقد عزّ علي أن أفارق عملي ولا أترك من يعوضني، ولكني أمام الواجب، وقعت مع إخواني.

ثم يقول مولاي أحمد المنجرة : بعد توقيعنا على الوثيقة، كان رد الفعل من الفرنسيين، ان اعتقلنا نحن : عبد الله إبراهيم، عبد القادر حسن، الحسين الورزازي، بريك الغراس، أحمد المنجرة، لمدة أسبوع، ثم أطلق سراحنا، لكون الباشا الكلاوي لم

(1) جريدة «العلم» العدد الصادر في 11 يناير عام 1990 (حديث لمولاي أحمد المنجرة).

يكن متفقاً مع الفرنسيين على اعتقالنا وإثر سراحنا، استقبلنا الكلاوي، وطلب من مولاي عبد الله بأدب، التراجع عن فكرة الاستقلال، ولما أجابه بأدب، بما لايتضمن أي تراجع، انتهت القضية بدون مشاكل، انتهى حديث المنجرة. ويظهر أن الكلاوي حاول بموقفه هذا أي سراح المعتقلين بعد اعتقالهم لمدة أسبوع لاغير. تفادى وقوع أحداث ومظاهرات في مراكش، ولذلك اتخذ خطة المهادنة كما وأنه كان لازال في موقف المنتظر لما سيكون عليه موقف الأمريكيين من حدث المطالبة بالاستقلال، ولذلك احتاط لنفسه، حتى تتضح المواقف، كما وأنه لم يرد أن تقرر السلطات الاستعمارية إلقاء القبض على الوطنيين دون استشارته، مع أنه الحاكم بأمره في مراكش فلذلك أمر بإطلاق سراح المعتقلين.

عريضة التأييد من مراكش

وكما وقع في كل المدن المغربية وحتى في بعض القرى توالت على القصر الملكي وفود مغربية متعددة مصاحبة معها عرائض التأييد لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وموقعة من مختلف الطبقات الشعبية، ولم تتخلف مدينة مراكش عن هذه التأييدات، إلا أن وصولها للرباط كان متأخراً على مايظهر، فلم تُقدّم إلى جلالة الملك من طرف مندوبين عن مراكش كما حصل مع ممثلي ووفود مدن أخرى، حيث كانت تلك الوفود تحظَى باستقبالها من جلالة محمد الخامس، ويتقبل منها بنفسه عرائض التأييد داخل القصر الملكي. أما عرائض مراكش التأييدة، فلم يات بها وفد متكامل ومتنوع التمثيل، وإنما أتى بها أحد الوطنيين شبه المتنكر، نظراً للظروف التي كانت تعيشها مراكش.إذ ذاك، وفي ذلك يقول مولاي أحمد المنجرة حسب الاستجواب الذي أجراه مع مندوب جريدة (العلم) عدد 11 في يناير 1990 يقول المنجرة مامعناه : (بعد تهييئنا لعرائض التأييد، أخذناها لمتجر الحاج البشير الشرايبي الذي كان صديقاً للكلاوي، وكان على مايظهر استشار الكلاوي في موضوع التوقيعات، فأعطاء الضوء الأخضر لأنه كان يظن أن الأمريكيين يؤيدون المطالبة بالاستقلال، وهكذا كانت التوقيعات تقع في متجر الشرايبي ثم في متجر آل بنكيران، وكان الذي حملها إلى الأمين العام للحزب هو الأخ أحمد عمور.

استطلاعات أولية قبل أخذ قرار المطالبة بالاستقلال

كما أشرت إلى ذلك من قبل فإن قرار المطالبة بالاستقلال، لم يؤخذ إلا بعد التروي الكبير، واستطلاعات الرأي العام في المغرب وتهييء المواطنين معنوياً للقيام بهذه القفزة الكبيرة والخطيرة، للخروج من المطالبة بالإصلاحات التي تقدمنا بها إلى المراجع المختصة في سنة 1934 وما بعدها إلى المطالبة بالاستقلال والحرية والانعتاق الكلي من الأجنبي المستعمر. كما قام رجال حزبنا بجسّ نبض بعض الدول الأجنبية لمعرفة موقفها إذا ما أعلنا مطالبتنا بالاستقلال وفي ذلك يقول أخونا المرحوم السيد محمد اليزيدي : (كنا نتصل ببعض الأجانب من الأروبيين والأمريكيين في تلك الفترة، لعلنا نستطلع شيئاً من نواياهم في مستقبل البلاد المستعمرة، وبالخصوص وطننا «المغرب» الذي يهمنا بالذات، وبدا لنا أنهم لم يكونوا مستعدين بالمرة، لإعطائنا معلومات دقيقة، أو مؤشرات مضبوطة عن حقيقة نواياهم، لأنهم بالإجماع كانوا يعتبرون أنهم مازالوا يعيشون في دوامة الحرب، وأن كل مجهودهم يجب أن يصبَّ في المجهود الحربي، بالاحتياط والدفاع والانتصار على العدو، أما الفرنسيون، فلم يخوضوا معنا في هذا الموضوع، لأنهم كانوا على عجرفة المستعمر) ثم يقول : كررنا الاتصال بالأمريكيين سواء بواسطة سفاراتهم أو بواسطة ممثليهم العسكريين أو من خلال بعض جواسيسهم، إلاّ أنهم كانوا يتذرعون لنا كالمرات السابقة، بأنهم منشغلون بالحرب، بل لايرغبون مطلقاً في قيام أية حركة أو حدوث أي عمل من شأنه أن يعرّض الوجود الفرنسي للاضطرابات والقلاقل على اعتبار أن فرنسا من حلفاء الأمريكيين، فلا يمكن أن يسمح بهذا، ليكون المستفيد الأول هم الألمان... وعلى نفس النسق اتصلنا أيضاً ببعض المسؤولين الانجليزيين، وكنت أنا وأخي الحاج أحمد بلافريج مكلفين بإجراء كل هذه الاتصالات التي كان مضمون جواب مخاطبينا عنها سلبياً دائماً.

وفي نطاق جس نبض الدول الأجنبية التي لها اهتمام أو تطلع إلى وضع اليد على المغرب، كان القرار الذي اتخذه الأمين للحزب الحاج أحمد بلافريج بذهابه إلى ألمانيا

واتصاله ببعض المسؤولين السياسيين فيها، فرغماً من أنه كان مقتنعاً بأن التعامل مع هتلير ومساعديه لايمكن أن يأتي بأية فائدة، فإنه وقد رأى استقبال الألمانيين لبعض القادة العرب مثل الحاج أمين الحسيني ورشيد الكيلاني والحمامي من الجزائر وغيرهم من بعض الشخصيات العربية، ومحاورتهم في قضايا شعوبهم، رأى أن يقوم بهذا الاستطلاع الحذر كل الحذر، لعله يستطيع أن يستنتج من ورائه ماترمي إليه ألمانيا إذا ما انتصرت فيما يتعلق بالمغرب. والحاج أحمد بلافريج حسبما عرفناه من قبل ومن بعد، لايقدم على أمر، ويتخذ أي قرار، إلا إذا قلّبه من جميع جوانبه، وإلا إذا اتضح له مافيه من إيجابيات وسلبيات، لقد كان بلافريج لدى اتخاذه قرار السفر إلى ألمانيا متصلا بالزعيم عبد الخالق الطريس في تطوان، ونحن نعرف أن الطريس بدوره كان له اتصال بالساسة الألمانيين، وكان يسيرفي خط سياسي يتلاءم مع وضعه في منطقة الشمال التي يختلف وضعها عن منطقة الجنوب، نظراً لسيطرة إسبانيا الفرنكوية المتحالفة مع ألمانيا إذ ذاك عليها، ولقد كنا ندرك نحن في الجنوب نظراً للأوضاع المختلفة أنه لابد لنا من وضع الأسس الواضحة لعلاقتنا مع إخواننا في الشمال، حتى لاندخل في متاهات لامصلحة للمغرب الموحد فيها، وفي هذا الموضوع، موضوع تنسيق العمل وتنظيمه وتوضيح معالمه مع قادة حزب الإصلاح الوطني في الشمال كان أخونا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل وجه رسالة باسم الحزب الوطني إلى المرحوم السيد عبدالسلام بن جلون كاتب اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح هذا نصها :

(الحمد لله وحده ــ 9 يناير 1937 ــ الأخ الأعز المحترم سيدي عبد السلام بن جلون، تحية طيبة : وبعد، فقد اقترح إخواننا أن نحدّد بكيفية نهائية، الصلةالتي يجب أن تكون بين الوطنيين في المنطقتين : السلطانية والخليفية، ونظراً لاختلاف الأساليب الحكومية بالمنطقتين، فلايمكن لنا أن نتفق في كل الوسائل التي نستعملها، ولا أن نتضامن في كل الأحوال، وغاية مافي الإمكان هو أن نحدد أسساً عامة للوطنية المغربية، نتفق عليها جميعاً، ونترك لكل منطقة الحرية التامة في اختيار أساليبها الخاصة لخدمة المبادىء الوطنية العامة. أما هذه المبادىء العامة، فهي : 1) تحرير المغرب 2) الوحدة الترابية 3) سيادة السلطان على التراب المغربي 4) حماية العروبة والاسلام. وبهذه الكيفة، لايمكن أن نتحمل بهذه المنطقة مسؤولية كل ما يقع بتلك المنطقة، ولا أن تتحملوا بتلك المنطقة مسؤولية كل ما يقع هنا. هذا ودمت لأخيك

لقد وقع هذا الاتفاق بين كتلة العمل الوطني في الجنوب وكتلة العمل الوطني في الشمال بعد قيام فرانكو بحركته الانقلابية، وكان الذين يسيرون الحكم بفرنسا هم

رجال الواجهة الشعبية تحت زعامة ليون بلوم، ومن المعلوم أن اتجاهات الدولتين كانت متباينة كل التباين

لقد قلت أن بلافريج قرر أن يستطلع مايفكر فيه الساسة الألمانيون في ظروف الحرب بالنسبة إلى المغرب، ولذلك سافر إلى ألمانيا وقام ببعض الاتصالات مع بعض المسؤولين الألمانيين، فصدجس نبضهم فيما يتعلق بمستقبل المغرب، فزادا اقتناعاً بأنهم لايفكرون مطلقاً في الموافقة على تحرير المغرب من قبضة الاستعمار، وحتى إذا ما انتصروا في الحرب، فإن المغرب سيكون من حظ موسوليني الذي كان يطمح في الاستيلاء على الشمال الافريقي جميعه بالإضافة إلى ليبيا بالطبع، وهكذا لم يطل مُقام بلافريج بألمانيا، بل رجع تواً إلى طنجة، حيث كتب خطاباً إلى إخوانه أعضاء الحزب الوطني، يؤكد لهم فيه أنه لاأمل مطلقاً في تحقيق أي مطمح وطني أو تحريري عن طريق ألمانيا، ويجب أن أشير هنا إلى أن إلقاء القبض على بلافريج واستنطاقه وسجنه ثم نفيه إلى كورسيكا بعد تقديم وثيقة الاستقلال كان بسبب زيارته هذه لألمانيا. لم ينخدع بلافريج بمقولات الألمانيين، وماكانت أبواقهم تصرح به إزاء تحرير الشعوب وذاك ما أقرّ به المؤرخ الفرنسي الكبير (شارل أندري جوليان) في كتابه : (المغرب في مواجهة الاستعمار، فلقد كتب يقول : (إذا كان بلافريج قد ذهب إلى ألمانيا، ليقف على حقيقة النوايا الألمانية من سلطات برلين، فإنه لم يقدم لهم قط أية خدمة، بل على عكس ذلك، لم يقع في الأخطاء التي وقع فيها الوطنيون الفرنسيون الذين تعاونوا معهم)

لقد كان اقتناعنا نحن أعضاء ومسؤولي الحزب الوطني منذ بداية اندلاع الحرب العالمية الثانية في أواخر سنة 1939 أن النظام الألماني النازي لايرجى منه أي خير لبلادنا، ولا لأيّ بلاد مستضعفة، ولذلك بادرنا بإعلان موقفنا الصريح في البلاغ الذي نشرناه والتصريح الذي أدلى به أخونا المرحوم الفقيه محمد غازي باسمنا جميعا إثر مقابلة المقيم العام الفرنسي لنا في سبتمبر 1939 قبل اندلاع الحرب ببضعة أيام، والذي أكدنا فيه تعلقنا بمبادىء الحرية والديموقراطية واستعدادنا للتعاون مع الدول الحليفة التي تعمل على الدفاع على تلك المبادىء[1]، ولذلك فإن إدارة الأمور الأهلية (الفرنسية) لم تجد أي مبرر لإلقاء تهمة التعامل مع الألمانيين مثل مافعلت مع بعض إخواننا الذين كانوا معتقلين وقت بداية اندلاع الحرب، ومثل ما فعلت مع المرحوم بلافريج الذي فرضت

---

(1) انظر نص قرار اللجنة التنفيذية الموقتة للحزب الوطني في موضوع السياسة التي اتبعها الحزب أثناء الحرب بتوقيعات أعضاء اللجنة التنفيذية في الملاحق.

عليه الظروف الذهاب إلى ألمانيا قصد جس نبض الدوائر المسؤولة فيه إزاء حرية شعبنا، وحاولت الادارة المذكورة إلصاق تهمة بنا أثناء محاكمتنا بعد أحداث يناير 1944 هي الدعوة إلى العنف والقتل وعرقلة المجهود الحربي، ولكنها فشلت في ذلك عندما لم تجد أي مستند تستند إليه المحكمة، ولا أي متهم (بالكسر) لنا مثل مافعلت مع إخواننا : الهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن إدريس وأحمد مكوار وعبد الهادي الشرايبي حيث أتت بأشخاص أمثال ماكان يسمّى بابن سعد،، ليشهدوا زوراً وبهتاناً أنهم كانوا على اتصال بإبراهيم الوزاني الذي أسس ما أسماه بجبهة الدفاع عن المغرب، والذي اندفع يؤيد السياسة الألمانية مؤملا أن يحقق المغرب بواسطتها مايرجوه من حرية وانعتاق.

الاتصال بالالمانيين

وفي موضوع الاتصال بالألمانيين نؤكد أن مخابراتهم عملت جهدها للاتصال بجلالة الملك المرحوم محمد الخامس وببعض رجال الحركة الوطنية المغرب في الجنوب ليتعاونوا أو يتعاطفوا مع المخطط الألماني ولكن الجميع كان مومنا بأن ألمانيا وحليفتها إيطاليا لايطمحان إلا إلى كسب المعركة وبسط النفوذ، دون أن يمكنوا الشعوب المغلوبة على أمرها ومنها شعبنا من تقرير مصيرها والظفر بحقوقها، ولقد كان من جملة الذين اتصلوا بهم أخونا المرحوم ج عمر بن عبد الجليل الذي زاد اقتناعاً بعد محادثتهم، انه لايرجى منهم أي خير ولا تحقيق أي مطمح من مطامحنا المشروعة، ورغماً من انهزام فرنسا أمام ألمانيا واحتلال باريس، واستسلام الماريشال بيتان وتعاونه مع ألمانيا، فإن المغرب ملكاً وشعباً بقي في موقفه المعادي لدول المحور، وتأييده لمبادىء الديموقراطية، وانتظاره الفرصة المناسبة ليخطو الخطوة الحاسمة للمطالبة بالاستقلال والحرية التي كانت في 11 يناير 1944.

إن الموقف الذي وقفه المغرب ملكاً وحركة وطنية أثار انتباه المؤرخين الأجانب وغيرهم من بعض السياسيين الغربيين والأمريكيين، فلقد علق على هذا الموقف المؤرخ الانجليزي «روم لاندو» في كتابه «تاريخ المغرب» فقال : (كان الوضع يقضي بطبيعة الحال أن ينجو المغرب أو يهلك مع فرنسا، ولكن موقف السلطان والوطنيين — وحركتهم كانت الحركة السياسية الوحيدة الواعية المنظمة — من قضية الحلفاء، كان قضية مهمة جداً بالنسبة للدول الغربية، فقد اختارت هذه، المغرب، ليكون نقطة تعبر منها الجيوش في حملتها الهجومية ضد النازيين، وهذا كان يقتضي تعاونا مع الأهلين

ضمانة للنجاح، والمغاربة مثل بقية العرب، يعجبون بالقوة والنجاح وكان كثيرون منهم قد أعجبوا بقوة الألمان وانتصاراتهم في معارك مختلفة، ولكن هؤلاء ظلوا على ولائهم لقضية الدول الغربية، سائرين في ذلك على نهج السلطان الذي كان واثقاً من انتصار الحلفاء، كان كثيرون يأملون قبل وصول قوى الحلفاء أن تثير ذكريات سنة 1905، والأموال الكثيرة التي وزعها الوكلاء الألمان في البلاد المغربية لتحولهم ضد الحلفاء، ولكن حتى قبلَ سنة 1942 كتب أحد وكلاء وزارة الخارجية الأمريكية، وكان مقيماً في المغرب يقول : (لاشك أنه مما يُدهش أن تكون أكثرية العرب إلى جانبنا) ثم يقول روم لاندو :

وكتب سفير الولايات المتحدة في فيشي حسب مارواه الأميرال ليهي مايأتي : (كان نحو ثلاثة آلاف ألماني من العلماء والسياح يزورون المغرب، ويقومون بنشر الدعاية بين العرب، فماذا كان أثر هذه الدعاية ؟ إن المغاربة أصغوا إلى الخطب التي ألقاها العملاء الألمان بكثير من الاهتمام، وناقشوها طويلا، وأخيراً لم يصدقوها. وقد وضع كبير عملاء ألمانيا، وهو تيودور أورْ تقريراً بعث به إلى حكومته في برلين، فوقع هذا التقرير في أيدي الصحافة المغربية، فكانت نتيجته وبالاً على القضية الألمانية» ذلك بأن واضع التقرير، قال فيه : إن المغاربة كانوا شعباً منحطاً، وأنهم ليسوا حرّيين بأن ينظر إليهم كشعب أهل للسيادة[2].

كيف تلقّى مسؤولو فرنسا الحرة في الجزائر خبر المطالبة بالاستقلال

قلت سابقاً إن الفرنسيين بالمغرب تلقّوا نبأ مطالبتنا بالاستقلال باندهاش كبير، وأن المستشار الفرنسي الذي كان يزور جلالة الملك محمد الخامس كل يوم ثلاثاء لإطلاعه على الشؤون العامة التي تجرى بالمغرب، بقي يوم الثلاثاء 11 يناير 1944 ينتظر داخل المشور مدة طويلة ــ على خلاف العادة ــ من أجل أن يقابله جلالة الملك لأنه كان في ذلك الوقت بالذات يتحادث مع وفد حزب الاستقلال، الذي رفع إليه وثيقة المطالبة بالاستقلال، وأنه أي المستشارر الفرنسي كان في حالة من الارتباك والاندهاش أثناء انتظار خروج وفد الحزب من مقابلة جلالة الملك الذي خبّره في تلك الساعة بالذات

(2) روم لاندو في كتابه تاريخ المغرب ص 260 و261.

بأن وفد الحزب، قابله ليقدم له وثيقة المطالبة بالاستقلال، الذي أكد له ضمنياً أنه مطلب شرعي، وأن الوثيقة يجب أن تدرس وتؤخذ بعين العناية. وان المستشار الفرنسي اندهش لهذا المطلب الذي لم يكن يتوقعه لاهو ولا رجال الاقامة العامة الفرنسية، وعلى رأسها المقيم العام كابريال بيُّو.

أما وقع خبر المطالبة بالاستقلال لدى المسؤولين الفرنسيين بالجزائر، فقد تحدث عنه الجنرال جورج سبيلمان الذي يعرفه المغاربة ويعرفون عنه الشيء الكثير، لأنه تقلب في عدة مناصب في المغرب، سواء قبل الحرب العالمية الثانية أو أثناءها، خصوصاً أثناء الحرب الريفية وأثناء مقاومة آيت عطّا وجبل صغرو وغيرها. كما كان مستشاراً في شؤون المغرب العربي لدى حكومة الجنرال دوكول الموقتة إلى غير ذلك من المهمات السياسية والعسكرية التي كانت مسندةً إليه.

لقد كتب الجنرال سبيلمان كتاباً أسماه : (المغرب من الحماية إلى الاستقلال : 1912 ـــ 1955) تحدث فيه من جملة ماتحدث عن بلوغ خبر المطالبة بالاستقلال : إلى الدوائر الفرنسية العليا بالجزائر، فقال :[3] (كنت آنذاك، مع صديقي روبير مونطاني في ديوان الجنرال كاترو بالجزائر، وصارت الأخبار الواردة من المغرب مبعث قلق، وكان الغليان شديداً في المدن، وشمل الفوران البرجوازية والشبيبة وفآت الحرفيين البروليتاريا، ويبدو أنَّ السلطان لم يبذل مجهوداً لتهدئة النفوس، لا، بل إنه يظهر كما لو أنه متواطىء مع حزب الاستقلال، وأخيراً وعلى مايروج، فإن الولايات المتحدة تساند مطالب الوطنيين، وأن القوات الأمريكية المستقرة في المغرب، قد تتدخل لمنعنا من اتخاذ الإجراءات اللازمة، لفرض النظام، كما حصل منذ شهرين، من تهديد القوات الانجليزية بالتدخل في سورية ولبنان كل هذا غير صحيح، غير أنه كان له تأثيره.

على إثر محادثة مطولة بين الجنرال دوكول ووينستون تشرشل المقيم في مراكش (للاستجمام) أصدر الجنرال دوكول تعليماته للمقيم العام «غبرييل بيو» يوم 12 يناير 1944

المقيم العام «بيّو» يقابل جلالة الملك

وبمجرد عودة المقيم العام إلى الرباط، استقبل وفداً من كبار موظفي المخزن، باعتبارهم ناطقين باسم الوطنيين، فطالبوه بإعلان استقلال المغرب، وطلب منهم المقيم بدوره تقديم

(3) راجع (وثيقة التحدي ومصداقية البديل) محمد خليل بوخريص ص 163 وما بعدها.

برنامج للإصلاحات، ليرفعه بدوره إلى الجزائر، مقر الحكومة الفرنسية الموقتة، وقامت نفس الشخصيات بنفس المساعي لدى قناصل بريطانيا والولايات المتحدة،وهو أمر غير مقبول إطلاقا، وهكذا صارت مقابلة السلطان أمراً جد مُلحّ. ويوم 14 يناير أجرى المقيم العام «كبريال بيّو» مقابلة مع سيدي محمد، استغرقت ثلاثة أرباع الساعة، وكانت جلسة رأساً لرأس بدون ترجمان، وأفهم المقيم العام للسلطان، أنّ الوطنيين لن يتلقوا أي دعم من الانجليز والأمريكان، الحريصين على عدم خلق أية صعوبات لفرنسا، وأثناء انشغالها بالمجهود الحربي، وطلب منه أن يحدد موقفه، إمّا إنه مع فرنسا أو ضدها، وفي يوم 17 يناير، تمّ نشر البلاغ التالي، الذي تم تحريُره باتفاق مع القصر : «إنّ فرنسا ستستمر في عملها من أجل الإصلاحات، ويحرص السلطان على أن يكون تطور المغرب، في إطار الصداقة الفرنسية، واحترام المعاهدات، وفي 18 يناير، تمّ استقبال وفد من الموقعين من طرف اسِّي المعمري وسيد محمد بن العربي العلوي وزير العدل، والمعروف منذ زمان بمساندته للوطنيين، وكان أستاذاً لعلال الفاسي في القرويين، والسِّي أحمد بركاش مندوب الصدر الأعظم في التعليم ونقلت هذه الشخصيات السامية للوفد، أمر السلطان بعدم ترديد كلمة الاستقلال مستقبلا، ولطمأنتنا (أي الفرنسيين) كتب أحمد بلافريج في نفس اليوم لسيدي محمد، إن التعاون مع الفرنسيين، وحماية مصالحهم، أمور ممكنة في إطار الاستقلال، ولاتتعارض معه، وفي 19 يناير، وضّح حزب الاستقلال، بأن حرصه على عدم عرقلة المجهود الحربي، جعله يقرر عدم اللجوء للعنف لتحقيق هدفه[4].

ويبدو أن هذه التصريحات، لم تكن جدية، ولم يتجاوز مفعولها الشفاه، كما أنها جاءت بعد الأوان، لأن اضطرابات تمّ الاعداد لها سراً، وتستمر تغذيتها، مما يهدّد بتضخّمها بسرعة، وتروج إشاعات، بأن هوى السلطان مع الوطنيين، رغم كل التصريحات الرسمية التي أرغمه الفرنسيون عليها وكانت هتافات «تسقط فرنسا» و«عاش الملك» و«عاش الاستقلال» و«ليخرج الفرنسيون» تتردد في المدن العتيقة، وكما هو الحال دائماً في مثل هذه الظروف، فإنّ الجنود يتجاوزون قادتهم.

وصار من اللازم، كما هو واضح، التحرك بسرعة، لتجنب ماهو أسوأ، وبموافقة من الجنرال كاترو أجرت جمعية «روبير مونطاني» مقابلة مع غاسطون باليفسكي مدير ديوان الجنرال دوكول في 17 يناير، وعقب ذلك، توجهنا لمفوضية الشؤون الخارجية، حيث

(4) راجع الرسالة التي وجهها الحزب إلى جلالة الملك بتاريخ 18 يناير 1944.

ساهمنا في تحرير مذكرة التعليمات الموجهة للمقيم العام «كابريال بيو» والتي وقعها المفوض «روني ماسيكلي» خلال انعقاد الجلسة.

ونصّت التعليمات على توجُّه المقيم العام مرّة أخرى للقصر الملكي، وأن يقرأ على السلطان نصّ معاهدة 30 مارس 1912 (معاهدة الحماية) وأن يثير انتباهه إلى أن الحكومة الفرنسية التزمت حرفيا بالواجبات التي تعهدت بها، وبالمقابل ينبّه العاهل الذي أعيدت له سلطته، والذي وفّرت له الضمانة ضد أية محاولات مضادة لأسرته، بأنه مطالب بأن يستنكر بوضوح، أولئك الذين تجرؤوا في اتهام الوجود الفرنسي في المغرب في خضمّ الحرب، وكخلاصة يتعين على المقيم العام، أن يشعر السلطان أننا لن ندع المحرضين يستمرون في نشاطهم، وأن القوات الفرنسية، ستتدخل عند اللزوم.

قام المقيم العام «غبريال بيو» يوم 19 يناير، بأداء مهمته الكريهة لدى السلطان بانضباط، وكان دقيقا هادئا ويراعى. أما سيدي محمد، فقد كان دقيق الإحساس لدرجة تجعله لايجهل أن الأمر صار جد خطير. فقام بتحديد موقفه للمخزن، وعمل على تبليغ ذلك الموقف، يوم 21 يناير بواسطة بلاغ من ثلاث نقط، تشرح بلاغ 17 يناير :

1) بناء على المعاهدة (الحماية) فإن فرنسا ترغب في تنفيذ برامج إصلاحات في المغرب.

2) كلمة «استقلال» ينبغي عدم التلفظ بها مستقبلا.

3) لاينبغي الإخلال بالنظام، وفرنسا تتوفر على وسائل المحافظة عليه.

وتمّ تبليغ قرارات العاهل، بعد ذلك للباشوات والقواد بواسطة رسالة للصدر الأعظم.

وفي الثامن والعشرين من يناير، تم استقبال روني ماسيكلي، مفوض الشؤون الخارجية (وزير في الحكومة الموقتة) من طرف السلطان في مقابلة رسمية حافلة، وقد سمح لطف الاستقبال، ولهجة الخطابات المتبادلة، بإظهار أن العلاقات بين القصر الملكي والحكومة الفرنسية عادية، وهكذا يبدو أن الأمور عادت إلى نصابها.

اعتقال بلافريج :

في الليلة مابين 28 و 29 يناير، ألقت الشرطة العسكرية في الرباط القبض على أحمد بلافريج، عبد العزيز بن إدريس، الهاشمي الفلالي وعبد الرحيم بوعبيد[5]، بتهمة

(5) غير صحيح أن عبد الرحيم بوعبيد ألقي عليه القبض ذلك اليوم (المؤلف).

الإعداد لانتفاضة مسلحة في المغرب، وذلك بتعاون مع الألمان، وقد تمت هذه العملية دون رضى المقيم العام (كابريال بيّو) وجعلت وضعيته حرجة، ذلك أنه خلال لقائه بالسلطان بمعية «روني ماسيكلي» قبل ذلك اليوم ذكرا بكيفية عفوية أنه لن تتخذ أية عقوبة، ضد مجرد جنحة رأي، ويتعلق الأمر بموقعي عريضة الاستقلال ليوم 11 يناير، على وجه الخصوص، واعتبر سيدي محمد اعتقال الزعماء الوطنيين نكثاً فادحاً للوعد، مما جعله يحس بمرارة عميقة، الشيء الذي جعل السلطان بعد ذلك يقتنع بسوء طوية المقيم العام، خاصة وأن التهمة الموجهة لأحمد بلافريج باطلة، فلم تنتج عنها متابعة قضائية، هذا الحادث المؤسف الذي لايتحمل «غابريال بيو» مسؤوليته، لأن الشرطة العسكرية لاتدخل ضمن صلاحياته، أثرت كثيراً على العلاقات بين القصر الملكي والاقامة العامة كما سنَرى، فالسلطان لم يصدق أبداً عدم وجود تنسيق في الطرف الفرنسي، هذا في الوقت الذي تزايد فيه التنسيق في الطرف المغربي.

مظاهرات (29 يناير — 8 فبراير 1944)

ثم تحدث عن المظاهرات التي وقعت بالرباط وسلا وفاس وسماها بالفتن وذلك بمناسبة إلقاء القبض على الحاج أحمد بلافريج، وذكر أنه قتل في هذه المظاهرات أربعة فرنسيين، وبعدما ذكر أسماء بعض المعتقلين والموقوفين، قال : انه تمَّ اعتقال ألف وثمانمائة وخمسة (1805) وصدرت أحكام في حق ألف وثلاثة وستين معتقلا، أربعمائة وخمسون في فاس وحدها، ثم عقب على ذلك قائلا : هذه الحوادث أشد خطورة من حوادث 1937، وهي تبين التقدم الهام الذي حققه الحزب الوطني المغربي منذ ذلك التاريخ، واستخلص السلطان من هذا أن الأمر يتعلق بقوة جديدة لايمكن تجاهلها، بل من اللازم التفاهم معها إلى آخر ماذكر والذي لاحظنا فيه كثيراً من الخلط ومن عدم إدراك كثيرمن الحقائق كما هي في الواقع.

الإصلاحات التي تقدم بها المقيم العام كابريال بيو

لم تستسغ السلطات الفرنسية، سواء منها الموجودة في المغرب، أو التي في الجزائر، لم تستسغ مطلقاً و لم تقبل حتى النطق بكلمة الاستقلال، فأحرى المذاكرة في موضوع الاستقلال، وصرّح المقيم العام الفرنسي «بيُّو» أن كلمة الاستقلال يجب أن تمحي من القاموس المغربي، وجاء المبعوث الفرنسي إلى جلالة محمد الخامس من طرف الحكومة الفرنسية الموقتة في الجزائر ليؤكد لجلالته أن فرنسا ستبقى دائما ملتزمة ووفية لعقد حماية عام 1912 وأنها مستعدة لتطبيق واقتراح بعض الاصلاحات التي ترى هي وحدها ضرورة تطبيقها، وعندما تقدمنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال، في حادي عشر يناير 1944 واندهش الفرنسيون لمطلب الاستقلال، و لم يستطيعوا أن يتخذوا قراراً نهائيا ضدنا، اقترحوا على جلالة الملك، تكوين لجنة، دعيت بلجنة المفاوضة، مع حزب الاستقلال، وكان الأعضاء فيها من طرف المخزن الشريف، هم : الفقيه السيد محمد بن العربي العلوي وزير العدل، والسيد ج أحمد بركاش مندوب المعارف بدار المخزن، والفقيه السيد محمد معمري الزواوي نائب رئيس التشريفات الملكية، ومن أعضاء الحزب الذين عُهد إليهم بالمفاوضةمع لجنة المخزن، الاخوة : الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وج عمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار وأحمد الحمياني، وأثناء الاجتماع الأول والثاني مع لجنة المفاوضة التي كانت تتصل بالإقامة العامة الفرنسية لتستطلع رأيها في شأن مطلب الاستقلال، تأكّد لها أن الإقامة العامة ترفض الرفض القاطع مطلب الاستقلال، وتعبر عن استعدادها للمذاكرة في تطبيق إصلاحات — داخل الحماية — في ميادين الادارة والتعليم والقضاء وما شاكل ذلك، أما تغيير الوضع السياسي للمغرب، بإعلان فسخ عقد الحماية المفروض على المغرب عام 1912 فليس فيه كلام، ولايقبل التغيير أبداً، وبما أن الحزب بقي متشبثاً كل التشبث بفكرة المطالبة بالاستقلال، وأكد موقفه في الرسالة الثانية الموجهة إلى جلالة الملك والمؤرخة بثامن عشر يناير 1944، فإن المفاوضة توقفت، و لم يبق مجال للمذاكرة في موضوع الاستقلال حسب ماكانت

تراه الدوائر الاستعمارية، وهكذا أكد الوزير ماسيكلي، المبعوث من طرف الجنرال دوكول رئيس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، أن مطلب الاستقلال مرفوض، وأن عليه أن يتحادث مع المسؤولين الفرنسيين في شأن الاصلاحات التي ستدخلها الحماية على نظام الحماية المطبق، وفي الوقت نفسه قررت الادارة الاستعمارية الانتقال إلى مرحلة المجابهة مع الحزب بإلقاء القبض على قادته أولا، ثم الانتقام من كل أعضائه، وتقديمهم للمحاكمات، واتهام بعضهم بالاتصال بالمحور، وملء السجون بالمخلصين في كل أنحاء البلاد، حسب ماتحدثنا عنه بتفصيل.

وبعدما ظهر للإقامة العامة أن الأمر استقر لها، وأن ملء السجون بالوطنيين سيفسح لها المجال لتتصرف وفق ماترغب فيه من إدخال إصلاحات، حسبت أنها ربما ستُرضي بعض الطبقات الشعبية أو تنومها على الأصح، وهكذا قرر المقيم العام كابريال بيو عقد اجتماعات مع لجان أسسها، أسمى الأولى لجنة الشؤون الإدارية وأسمى الثانية، لجنة التأمين والفلاحة واليد العاملة، وأسمى الثالثة لجنة العدلية، بالإضافة إلى هيأة تهتم بقضايا التعليم.

عقدت هذه اللجان الأربعة عدة اجتمعات، شارك فيها الفرنسيون وبعض المغاربة في طليعتهم الصدر الأعظم الحاج محمد المقري للمذاكرة في الإصلاحات التي تودّ الادارة الفرنسية تطبيقها في المغرب، ومن جملة تلك الاصلاحات في المجال الفلاحي تأسيس الملك العائلي الذي لايفوت، وفي المجال الإداري تطبيق مبدأ المساواة بين المغاربة والفرنسيين في الوظائف العامة، وفي المجال القضائي إدخال بعض الاصلاحات القضائية تتعلق بالمحاكم الفرنسية والمذاكرة في الاختصاصات القضائية، ومنها قضية فصل السلطات التي كانت إدارة الأمور الأهلية تعارض فيها كل المعارضة، لأنها كانت تريد أن تبقى السلطات بيد القواد والباشوات الذين كانوا في قبضتها، ويتصرفون وفق إرادة المراقبين المدنيين والعسكريين دون اعتبار لأي قانون أو تشريع، وفي مجال التعليم حرصت كل الحرص على أن تبقى اللغة الفرنسية هي اللغة المسيطرة، وتأسيس بعض المدارس الابتدائية لأبناء المغاربة والسماح لبعض أبناء المغاربة بولوج الليسيات الفرنسية التي كانت خاصة بأبناء الفرنسيين واليهود والقلة القليلة جداً من أبناء المغاربة.

ولقد جاء في خطاب ألقاه المقيم العام كابريال بيو، بعد الانتهاء من أعمال هذه اللجان قال فيه : (في هذا اليوم الذي يحتفل فيه المغاربة بعيد الأضحى، أجدني سعيداً حين أعلن أنه باقتراح من حكومة الجمهورية الفرنسية، وافق جلالة الملك على مجموع تدابير، سيكون لها تاريخ في تطور المملكة الشريفة، ثم قال : إن اهتمام حكومة الحماية كان موجها إلى ثلاث نواحي :

1) أن تسمح للمغرب بالتوجه تدريجياً إلى شكل الحكومة التي تتمتع بها الدول العصرية

2) أن تعطيه النخبة القادرة على مواصلة هذا التطور.

3) أن ترفع مستوى مجموع الشعب، وبالخصوص الفلاّح الذي يكوّن أغلبية السكان الساحقة. إلى آخر ماجاء في الخطاب[1].

ويلاحظ أن خطاب المقيم هذا الذي أتى وكأنه يجيب عن مطلب الشعب المغربي للاستقلال، أكّد أنه بعد مضي أزيد من ثلاثين سنة على فرض الحماية على المغرب، لابد من إدخال بعض الإصلاحات على دواليب التسيير، بتغيير شكل الحكومة تغييراً تدريجياً والتوجه إلى تكوين بعض الأطر من النخبة المغربية، وإعطاء قسط من الاهتمام للفلاح المغربي الذي يكون أغلبية السكان.

وهكذا ندرك تمام الإدراك، العقلية التي كانوا يسيرون بها بلادنا، حيث يعتبروننا غير مؤهلين لالتكوين حكومة حقيقية تستطيع أن تسير بالمغرب في مجال التطور الذي فرضت علينا الحماية من أجله، ولا للسير ببلادنا في طريق التحرر والانعتاق الذي طالب بهما شعبنا، وقدم الشهداء تلو الشهداء للظفر بهما.

ومن الغريب العجيب أن يدعى مقيم عام فرنسي مثقف، أن المغاربة لايقبلون أن تنظم العدلية المغربية التنظيم العصري الذي تتطلبه وتفرضه المصلحة العامة، كأن تنظيم العدلية لاينبغي أن يقع إلا في البلدان الأروبية، لأن البلدان الاسلامية في زعمه ترفض كل تنظيم عصري يضمن تحقيق العدل المنشود، ونحن نعلم أن هذه التأويلات التي أتى بها فيما يتعلق بالعدلية أو الفلاحة أو تكوين الأطر أو غير ذلك إنما هي مبررات لبقاء سيطرة الاستعمار وضمان وجوده، واستمرار تحكم الادارة الاستعمارية في رقاب المغاربة. ولقد أدركنا كل هذا تمام الإدراك، ونحن نعاني من تحكم الإدارة وغطرستها ورفضها الدائم القاطع لكل إصلاح طالبنا به طوال عشر سنوات من سنة 1934 إلى سنة 1944 وزدنا اقتناعاً بأن حل المشكل المغربي مع الاستعمار، لايتحقق إلا بالاستقلال.

لقد كان المقيم «كابريال بيو» يظن، وظنه إثم، أنه باستعماله للعنف والتقتيل والتشريد والسجن والإبعاد للوطنيين الذين طالبوا بالاستقلال، سيخلو له ولأعوانه الجو، فيستطيع

(1) انظر التفاصيل حول الموضوع في الملاحق.

أن يموّه على العالم الحرّ، أنه بعد قضائه وسجنه للأحرار، صار يطبق الإصلاحات التي تدعو إليها حالة البلاد، وأنه ارتاح من تشويشهم ومعارضتهم بوضعهم في السجون والمعتقلات، ولكن الأقدار الإلهية أرادت أن تكذبه، والحقائق التي أراد أن يخفيها ويغطيها، وجدت والحمد لله من يَكشف أمرها، ويذيع في العالم جميعه أسرارها وحقائقها. لقد ظن الاستعمار أنه قضى على حزب الاستقلال بسجن واعتقال قادته وقواعده، ولذلك فلم يبق من يرفع رأسه، ويعترض على مخططاته. ولكن الله بالمرصاد لمن يكيدون لهذه البلاد ﴿إِنَّهُمْ يَكيدون كَيْداً وأَكيدُ كيْداً﴾ لقد أعمى الله الاستعماريين عندما لم تمتد أيديهم لبعض قادة الحزب، وهيأت الأقدار، الظروف والمناسبات من يبقى من الزعماء الذين يستطيعون في الظروف المناسبة أن يَجهَروا بقولة الحق، ويدحضوا دعاوى الغاصبين والمخادعين.

لقد أشرت فيما سبق إلى أن الأقدار فرضت على رجال الإدارة الفرنسية يوم 29 يناير 1944 أن تطلق سراح المرحوم السيد محمد اليزيدي وإبقاء المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل حُراً وعدم إلقاء القبض عليه في الدار البيضاء بعد الإضراب العام الذي عمّ الدار البيضاء، لأن الظروف فرضت عليهم ذلك، فكان بقاء هذين الأخوين بالخصوص بالإضافة إلى إخوان آخرين لم يمسهم أذى، كان بقاء هؤلاء في الساحة ضماناً لاستمرار حركة حزب الاستقلال، ودليلا على أنها لم يُقض عليها، وأنها ستتحرك في الوقت المناسب، وعندما تفرض المصلحة الوطنية هذه الحركة.

وهكذا عندما خطب المقيم العام خطابه المشار إليه، وأذيع خطابه على الجمهور، حرَّر أعضاء الحزب الباقون بيانا سياسيا هاما، ردوا فيه على خطاب المقيم، ووضحوا حقيقته وزيف الدعاوى التي فيه، ولقد جاء في هذا البيان مايلي :

فالإقامة العامة، أعلنت بعد الحوادث المؤلمة، تأسيس أربع لجان يوم 16 مارس سنة 1944، ولكن بالأسف، إذا نحن أغفلنا الجمل المعسولة التي يحتوي عليها البيان المقيمي، والتحفظات العديدة التي تحصرها وتجعلها غير قابلة للتنفيذ، وجدنا هذه التعبيرات مُجرّدَ كلمات في غير محلها، لأنها لاتهتم بحل عميق للأزمة المغربية، بقدر ماتهتم بخلق جوّ غامض يفيد في استمرار سياسة التخذير والتهدئة المتبعة حتى الآن، ثم تعرض البيان للإصلاحات التي جاءت في خطاب المقيم العام، فأعطى فكرة واضحة عنها، وبيّن مافيها من مغالطات، ونقدها نقداً صريحاً، وشرح الحالة التي يسير عليها القضاء في المغرب، وأنه خاضع الخضوع الكلي لسلطة المراقبين الفرنسيين، وان القاضي المغربي إنما هو رئيس

صوري ليست لديه أية سلطة حقيقية. بل إن بعض القضاة الذين نصبتهم الحماية، يُختارون من الأميين الطماعين ثم يقول البيان : (يعتبر كل باشا وكل قائد، رئيساً مطلق النفوذ على مرؤوسيه، ومن الطبيعي أن يتحكم كيف يشاء، فليس ملزماً بالبحث ولا بدراسة موضوع الملفات، ولابحق الدفاع، ولاحرية جلب المحامين، وكل ماهو من شأن العدالة، يمكن أن يحذف أو يهدم برسالة من الحاكم الفرنسي، أو بدقة تليفون إلى آخر ماتعرضت له هذه النقطة. ثم تعرض البيان لقضية فصل السلطات، وأكد البيان أن هذا الفصل تأمر به الشريعة الاسلامية، لأن القانون الاسلامي يقضي بأن يستمد سلطته من الشريعة مباشرة، وأنه مستقل تمام الاستقلال من السلطة التنفيذية، وانتقد البيان ماقامت به اللجان التي أسست لإصلاح القضاء، مبيناً المغالطات والأخطاء التي وقعت فيها ويقول : (فأغراض واضعي الاصلاح المقيمي إذن واضحة، فهم يهتمون بالمحافظة على الوسائل التي تسهل عليهم دوام النظام بطريق القوة، وإجبار الشعب على الطاعة عن سبيل الإرهاق، أكثر مما يهتمون بإدخال تحسينات على القضاء المغربي 1) وفيما يتعلق بالإصلاحات الادارية، تعرض البيان لما قالت الإقامة العامة من أنها ستعطي بعض الوظائف للنخبة المغربية، وناقش قضية مساواة الموظفين الفرنسيين مع الموظفين المغاربة، وذكر أنها مساواة كاذبة، خصوصاً فيما يتعلق بالتعويضات التي يُخَصُّ بها الفرنسيون حيث ان للموظفين الفرنسيين مالا يقل عن ثلاثة وستين عنواناً لأنواع التعويضات، ومن بينها تعويض التقنية والمحصول، والامتيازات والعطاءات والصِّلات، وهي التي ترفع الأرقام التي تتحملها الميزانية المغربية، وعندما تحدث البيان عن التعليم ومشاكله قال : (فالتعليم في المغرب، لم يعتبر إلا من جانب مصلحة الاستعمار الفرنسي، وهذا شيء حقيقي إلى حدّ أن الإدارة في سبيل تقسيم البلاد، وعرقلة التقدم الثقافي للمغاربة، أظهرت خصومتها لشكل المدرسة الموحدة الذي يطبق في سائر العالم، فأصبح المغاربة مُلزمين بتقديم الزبائن لمختلف أشكال المدارس، وهي 1) المدرسة الفرنسية العربية 2) المدرسة البربرية 3) مدرسة أبناء الأعيان 4) المدرسة الصناعية 5) المدرسة القروية للمناطق العربية 6) المدرسة القروية للمناطق البربرية 7) المدرسة الإسلامية لبنات الأعيان 8) المدرسة الاسلامية للبنات. وانه لمِن المتيقن أن هذا العزْل سيستمرّ، إذا لم يزد تنوعاً بمقتضى الإصلاح الذي أعلنه المقيم العام. وإنّ عمل الحماية بعد ثلاثين عاماً، ليتفق مع المبادىء المذكورة سابقاً، فقد أنجبت ثلاثة أطباء، وستة محامين، وستة مهندسين زراعيين، وعليه فلايمكن أن ننتظر الآن من التعليم الفرنسي الاسلامي المبنى على هذه الأسس، أن يصل إلى تكوين الإطار الذي يتوقف عليه المغرب في أمد قصير،

بمجرد زيادة خفيفة في عدد المدارس، وأيضاً فإن هذه الزيادة في برنامج الحماية، لاتقضى إلا بتأسيس مائتي فصل، تشتمل على عشرة آلاف تلميذ كل سنة، وذلك لمدة بعض الأعوام، في حين أنه يوجد زهاء مليون من الأطفال في السن المدرسي، منهم ثلاثون ألفاً فقط، منخرطون في المدارس الموجودة.

وعندما تحدث بيان الحزب عن الإصلاح الفلاحي الذي أشار إليه المقيم العام في خطابه قال : أمَّا فيما يرجع للبرنامج الاقتصادي، فقد سكت مشروع الإصلاح المقيمي عن العمال وصناع المدن، الذين هم في حالة سيئة، ولكنه يشتمل على بعض الأشياء فيما يرجع للفلاّح، نعم انّ لجنة النظام الفلاحي قد اضطرت إلى الاعتراف بأن تطور العمال الزراعيين أساس لتطور جميع البلاد، وهذا صحيح خصوصاً بالنسبة إلى شعب تكون القرية ستة أعشاره، وبعدما يتحدث البيان عن الوسائل التي قررتها إدارة الحماية لصالح الفلاحين، وعدم استجابتها لمطالبهم قال : إنّ البدْو لمغاربة الأذكياء، لم يحصلوا في مجموعهم على أي تقدم أثناء الثلاث والثلاثين سنة الماضية ولم يبقوا فقط في الحالة المزرية التي كانوا عليها، بل إنهم أصبحوا يكونون جيش الأرقاء المسخر لخدمة الرؤساء المغاربة، أو المراقبين الفرنسيين أو المعمرين أو موظفي الجبايات ورجال إدارة المياه والغابات إلخ[2].

وهكذا تصدّى قادة حزب الاستقلال الذين أرادت القدرة الإلهية وحدها أن تبقى عليهم خارج السجون والمعتقلات، رغم ماكان يدبره الاستعمار وأذنا به للحزب ورجاله ومبادئه وتحركاته، تصدّى قادة الحزب للمخططات التي كانت الإقامة العامة تعمل على تطبيقها فيما يتعلق بما دعته حركة الإصلاح، وهي في الواقع حركة تثبيت وتركيز الوجود الاستعماري، فرفضوها ووضحوا للعالم أجمع أخطارها وأضرارها وعواقبها، وأنها ترمي فقط إلى عرقلة الإصلاح الحقيقي الذي لايمكن أن يتحقق إلا عن طريق الاستقلال.

وتتابعت نشاطات قادة الحزب الذين بقوا خارج السجون، فصار أولئك القادة يفضحون السياسة التي أراد «بيو» تطبيقها باتخاذه قرار إشراك الفرنسيين في التسيير السياسي لبلادنا، ومنحهم الحق الذي لايعطى إلا للمواطنين المغاربة وحدهم دون سواهم من الأجانب، كيفما كانت جنسياتهم، فرفع أخونا المرحوم السيد محمد اليزيدي نائب الأمين للحزب احتجاجاً قويا قدمهُ لجلالة الملك وللإقامة العامة الفرنسية جاء فيه :

---

(2) انظر نص البيان الكامل في الملاحق.

(إن حزب الاستقلال المتأثر لادعاءات الجالية الفرنسية، ان لها الحق في التمتع بالحقوق السياسية في المغرب، بعد أن اعتبر القرار الذي اتخذه القسم الفرنسي لمجلس شورى الحكومة فيما يرجع لهذا المعنى، وبعد أن اعتبر كذلك أن مجلس الوزراء الفرنسي، اتخذ تدابير لتطبيق هذا القرار،وأن الإقامة العامة أصدرت كذلك قراراً بهذا المعنى مؤرخاً بيوم 4 غشت 1945، وحيث أن الحق الوحيد الذي يمكن أن يتمتع به الفرنسيون وغيرهم من الأجانب بالمغرب، هو الحق الشخصي المعترف به بمقتضى ظهير 19 غشت سنة 1915 الراجع للأحوال المدنية، وحيث انه لايمكن تناسي السيادة المغربية المؤكدة حتى بالمعاهدات القائمة، ولاسيما معاهدة الجزيرة، وحيث إن المعاهدات المفروضة على المغرب، برغم ماغصبته من حقوق ديبلوماسية، فقد أبقت المغرب بلاداً تتمتع بالحكم الذاتي، وتعتبر أقاليمه أجنبية عن الأراضي الفرنسية. وحيث أن عديداً من الأحكام الصادرة من المحاكم الفرنسية العليا، قد أكدت هذا المعنى، وشرحت حتى المقصود من الحماية المفروضة، وحيث إن هذه النظرية هي التي تنبني عليها أحكام سياسية وقضائية، أهمها بالنسبة للوقت الحاضر، أن المؤسسات السياسية الفرنسية، لايمكن أن يكون لها محل في المغرب الذي هُو بلد أجنبي، لأن التمتع بالحقوق السياسية مرتبطة تمام الارتباط بجنسية الإقليم، وقد صرح الماريشال ليوطي في خطاب ألقاه بالرباط يوم 24 نونبر سنة 1918 بأن الفرنسيين يضيعون وقتهم حين يطالبون بالحقوق السياسية في المغرب، وانه لايمكن أن يحصلوا على أي تمثيل سياسي، وحيث أن منح الجالية الفرنسية حق الدخول في انتخابات الجمعية التأسيسية أمرا ارتكبته الحكومة الفرنسية، خرقاً لكل التعهدات والالتزامات. وحيث أن السكوت على هذا الواقع، يُعدّ مشاركة في جريمة اقتطاع الوطن وتجنيسه، فإن الحزب :

1) يحتج بكل صرامة، ومع اليقين الذي يكسبه الحق الثابت على قرار الحكومة الفرنسية المخالف للمعاهدات، والصادر من غير أدنى استشارة للمغاربة.

2) يستنكر حركة المطالبة التي تقوم بها الجالية الفرنسية، والتي تعتبر خطراً يهدّد الدولة المغربية والشعب المغربي.

3) يوجه نظر جلالة مولانا الملك للخطر الذي يهدّد السيادة المغربية التي يعتبر مولانا حارسها الأمين.

4) يطالب الحكومة الفرنسية بإلغاء التدابير المتخذة في هذا المعنى، والتي تذكر من قريب أو بعيد بسياسة التجنيس والإدماج. الرباط في 18 سبتمبر سنة 1945)

لقد لقيت رسالة الحزب المذكورة كل ترحيب من طرف جلالة محمد الخامس فاحتج بدوره الاحتجاج الشديد ضد مواقف الفرنسيين وأطماعهم في التمتع بحق المواطنة، وكانت نتيجة ذلك تبرء المقيم العام من موقفهم ومعاكسته لهم فيما كانوا يطمحون إليه.

ويمكننا أن نلاحظ من كل ماذكرنا، أن الحزب خطا خطوات كبرى إلى الأمام، رغم ماتعرض له من قمع شديد، ومحن شتى، فلقد استطاعت البقية القليلة من زعمائه وقادته أن تبرهن للإدارة الفرنسية وغيرها أن القمع والاضطهاد لم يقضيا على فكرة الاستقلال وعلى حزب الاستقلال، وأن الحزب مازال موجوداً يؤدي واجبه في الدفاع عن حوزة الوطن والمطالبة بتحقيق الاستقلال ورفض كل اندماج أو تبعية للنظام الفرنسي الاستعماري أو مايسمى بالوحدة الفرنسية، كما أن الحزب استطاع أن يخرج القضية المغربية من نطاق الثنائية الفرنسية المغربية، إلى النطاق الدولي، بحيث إن الفرنسيين كانوا يُلقَمُون حَجَراً عندما يدعون أن قضية الخلاف الفرنسي المغربي قضية داخلية، لايسوغ لأية دولة أن تتدخل فيه، فكانت التقارير والمذكرات التي يبعثها الحزب إلى مختلف الدول الحليفة، ثم إلى هيأة الأمم المتحدة بعدما تكونت، وإلى جامعة الدول العربية عندما تأسست، تلقى الاهتمام الكبير والدراسة الواسعة من طرف كل هذه الدول، وتجعل الحكومة الفرنسية تقف في قفص الاتهام، وتضطر للدفاع عن نفسها بكل ماتستطيع الدفاع به، وتبقى مع ذلك معرضة للانتقاد والطعن في السياسة التي تسلكها في المغرب، خجولة من تصرفات ممثليها في المغرب، لقد خرج المغرب من النطاق الثنائي المغربي الفرنسي، وأصبح لايطالب بالاستقلال فحسب، بل يطالب بأن لايبقى منعزلا عن باقي الدول العالمية، وأن يعمل مع باقي الدول المحبة للسلم، لإيجاد تعاون دولي قائم على أساس السلام والحرية، وإنقاذ الحضارة الانسانية من الطغيان والخراب. لقد فتحت وثيقة الاستقلال باباً واسعاً لم تستطع الادارة الفرنسية أن تقفله، رغم السجون والاعتقالات والإعدامات، واستطاع التعاونُ الوثيق بين الملك والحزب أن يحرسا هذا الباب، حتى لايقفله أي طاغ أو ظالم أو متعنت، وزاده قوة التلاحم الشعبي الوثيق وراء جلالة الملك الراحل محمد الخامس الذي بقي صامدا إلى أن تحقق الاستقلال على يديه الكريمتين.

وفي نطاق إخراج المغرب وقضيته من النطاق الثنائيِّ الفرنسي المغربي، وإبراز ذاتيته المستقلة عن فرنسا وجه الأخ المرحوم محمد اليزيدي رسالة مؤرخة بثامن مارس 1945 إلى دول فرنسا وأمريكا وإنجلترا والصين، يلتمس فيها — باسم الحزب — انضمام المغرب إلى منظمة الأمم المتحدة مؤكداً أن مواقف المغرب كانت ثابتة وواضحة ضد

النازية الطاغية، ومستدلا بالخطاب الملكي الشريف الذي تلى بمختلف مساجد المغرب بتاريخ 3 سبتمبر 1939 والذي دعا فيه جلالة الملك رعاياه إلى الوقوف بجانب فرنسا التي كانت إذ ذاك في صف الحلفاء المقاومين للحركة النازية، كما أشارت الرسالة إلى موقف المغرب من نزول قوة الحلفاء بشواطئه في 8 نونبر 1942 وأنها كانت مواقف الترحيب والتكريم، معاكسة لما كان يريده الجنرال نوكيس من مقاومة لهما، سيراً مع الخط البيتاني.

وفي هذا النطاق أيضا أكد الحزب مواقفه أثناء اجتماع ممثلي أهم الدول الموقعة على عقد الجزيرة الخضراء بباريس، للنظر في وضعية مدينة طنجة بعد احتلال إسبانيا لها في ظروف الحرب، رافضاً كل الرفض ذلك الاحتلال، ومطالباً بإرسال بعثة من الديبلوماسيين المغاربة إلى باريس باسم السلطان للدفاع عن وجهة نظر المغرب حول الوضعية الدولية لمدينة طنجة، مؤكداً أن الوضع الدولي لها لم يكن مقبولا أصلا من طرف الدولة المغربية وممثليها في مؤتمر الجزيرة نفسه.

كما وجه اليزيدي باسم الحزب طلباً إلى أعضاء مؤتمر سان فرانسيسكو، مطالباً أن يحضر في المؤتمر ممثلون للمغرب، ليتتبعوا مع بقية الأعضاء مختلف أشغاله وأن يعترف له بالعضوية فيه وفي المنتظم الدولي، باعتباره دولة ذات كيان مستقل، رغم فرض الحماية عليه، وباعتبار أن مساهمته في الحرب بجانب الحلفاء كانت مساهمة فعالة ومجدية، سواء بجنوده الذين ساهموا في كثير من المعارك ضد قوى المحور أو بما كان يبذله من مساعدات مادية وبشرية، وتختم المذكرة مطالبها فتقول : (لذلك كله، فإن حزب الاستقلال الذي يعبر بصدق ووفاء عن رغبات الشعب المغربي، يَرى من العدل، أن يعترف للمغرب بمثل ما للأمم المتحدة من الحقوق، ويطلب أن توجه الدعوة إلى ممثلي الأمة، للمشاركة مباشرة في المؤتمرات الدولية للدفاع عن قضيته، وإثبات حقوقه، وهو يطلب ذلك باسم آلاف المغاربة الذين ذهبوا ضحية في سبيل الحرية، خلال الحرب، وباسم الآلام التي تكبدها الشعب المغربي، وباسم مبادىء الحق والعدالة التي هي الغاية السامية للديموقراطية المحاربة).

والحاصل أن ماخطط له الاستعمار الفرنسي بإلقائه القبض على القيادات الحزبية وقواعدها لإطفاء شعلة فكرة الاستقلال، لم تلاق أي نجاح، فبقى العمل السياسي مستمراً رغم ظروف المحن، ولم يمض عام واحد على الاعتقالات وملء السجون بالأحرار، حتى بدأ البعض من الذين كانت الأحكام عليهم لاتتجاوز السنة الواحدة أو السنة والنصف، يغادرون السجون، ويتمتعون بالحرية التي افتقدوها، فتعززت حركة

الحزب ونشاطاته بوجودهم، ورأينا بعض الشبان المتقدين غيرة وحماساً أمثال المرحوم المهدي بن بركة يقوون النشاط الحزبي، ويزيدون في تحركات ونشاطات القيادة الحزبية. ولم تمض إلا بضعة شهور على سراح أولئك الإخوة حتى وقع سراحنا نحن بدورنا : أبوبكر القادري ـــ عبد الرحيم بوعبيد ـــ قاسم الزهيري ـــ محمد البقالي حيث لم نتمّم المدة التي كانوا حكموا بها علينا والتي كانت سنتين، فلم نقض في السجن منها إلا واحداً وعشرين شهراً ـــ إن لم تخنّي الذاكرة ـــ والتحقنا بإخواننا نقوي صفوفهم، ونزيد في تنظيماتهم ونعمل متكاثفين للسير بقضيتنا إلى الأمام، ولقد شعرنا إذ ذاك ـــ والحمد لله ـــ بقوة متزايدة كانت تستحثنا على مضاعفة الجهد، وبذل الكثير، والإعداد للمستقبل. كما قرر حزبنا أن يضاعف من نشاطاته فيما يتعلق بتكوين الأطر التي ستتحمل الأمانة في المستقبل وهكذا صار الحزب يوجه الأفراد العديدين للدراسة في الخارج وخصوصا إلى فرنسا. فكان من جملتهم الاخوان المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وعبد الله إبراهيم اللذان سيلعبان دوراً وطنياً سياسيا في المهجر.

الخلفيات التاريخية والمقدمات الوطنية للمطالبة بالاستقلال

يجب أن أسجل هنا وأنا أكتب مذكراتي عن الحركة الوطنية المغربي، أن قضية استقلال المغرب وتحريره من ربقة الاستعمار الأجنبي، كانت الهاجس الذي يشغل أذهان كل الوطنيين، على اختلاف ميولاتهم وتوجهاتهم، فالوجود الاستعماري في بلادنا لم يكن يستسيغه ويقبله أي وطني، والإعداد لمعركة التحرير، والتهيء لها بكل الوسائل الناجعة، كان شغلنا الشاغل، ومن جملة الوسائل التي كنا واعين كل الوعي بضرورة خلقها وتنميتها، إيقاد الوعي الوطني في النفوس، وتربية أفراد المجتمع المغربي على أساس العمل لصالح المستقبل، والاهتمام كل الاهتمام بالقضاء على فكرة التواكل والرضى بالوضع الذي صار عليه المجتمع بعد فرض الحماية الأجنبية عليه.

لقد شعرنا بالخطر الذي أحدق بنا ونحن في ميعة الشباب، ولم نرض أن ترفرف علينا راية أجنبية، وتحكمنا في عقر ديارنا جالية أجنبية، وتتصرف في مقدراتنا شركات وأصحاب رؤوس أموال أجنبية، وتقف أمام تطورنا وتقدمنا قوات أجنبية، وتفقدنا شخصيتنا وذاتيتنا مخططات أجنبية، وتعمل على تفريق، وتشتيت وتمزيق وحدتنا مؤامرات ومراسيم وظهائر أجنبية.

كنا نشعر بالمرارة والخزي والعار، ونحن نرى الأجانب : مدنيين وعسكريين، يتحكمون في رقابنا وكأننا عبيد، كنا نشمئز كل الاشمئزاز ونحن نرى المتعاونين والمسخرين من المغاربة، خضعوا الخضوع الكامل للأجنبي الدخيل، فصاروا يسيرون في ركابه، وينفذون تعاليمه وأوامره، دون شعور بالمهانة والذل من جرّاء خضوعهم واستكانتهم والسير في ركاب أسيادهم، كنا نتساءل مع بعضنا بعضاً، ماذا يجب علينا للخروج من هذا المأزق الذي أوقعنا فيه تخلفنا والتآمر علينا وعدم أخذنا الأسباب التي تغير مابنا ﴿فإنَّ اللَّهَ لاَيُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأَنْفُسهِمْ﴾ ولكن هل لدينا من الوسائل والإمكانيات ما نستطيع أن نغيّر به هذا الواقع الذي نعيشه ونتألم له ؟ إنَّ الحرية شيء ثمين، وأثْمَنُ من الثمين، ولكن دون الوصول إليها خرط القتاد، فلابد

لادراكها من كثير من الإعداد، فنحن قلة قليلة بالنسبة للمجتمع الذي يغطّ في نومه، ومقاومة المستعمر الغاصب لتطهير البلاد من وجوده، تتطلب شروطاً لابد من توفرها، حتى لاتنتكس حركتنا الفتية في بداية تكونها، لابد من نشر الوعي وتنظيم الشباب، وتكوين الجماعات والخليات الوطنية، لابد من تهييء الجو والقيام بالإصلاحات الضرورية، ونشر التعليم، وفضح سياسة الاستعمار في التجهيل والتفقير وظلم الطبقات الشعبية، لابد من انتزاع الحرية من بين مخالب الاستعماريين البغاة الظالمين، ولابد لتحقيق ماذُكر وغيره من الاستعداد للتضحية والجهاد والمتاعب، فأبواب الحرية لاتفتح دون تحركات مضنية،وهي كما قال شوقي أمير الشعراء :

وللحريـــة الحمـــراء بـــاب   بكُـلِّ يـــدٍ مُضرَّجـــة يُـــدَقُّ

وسرنا في طريقنا نكسر الأبواب باباً باباً، نطالب بالإصلاح، ونفتح الأذهان، ونربي الشعب، ونفضح أساليب الاستعمار، وأعماله المنكرة، ونضع البرامج لبناء المغرب الجديد، ونعدّ العدّة للمعركة الفاصلة مع الاستعمار، حين ينادى المنادى : حيّ على الجهاد، حيّ على العمل الجادّ. إنني أذكر، ولعل ذلك كان في سنة 1935 عندما كان إخواننا أعضاء جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين قرروا عقد مؤتمرهم السنوي بالمغرب، فاشترطت الإقامة العامة الفرنسية أن لاتسمح بانعقاده إلا إذا قبل المؤتمرون ترأس المقيم العام الفرنسي بنفسه الجلسة الافتتاحية وإلقائه خطاباً في المؤتمرين، ليؤكد فيه أن الوجود الفرنسي هو أساس كل تحرك، وتبريك المقيم العام، هو البداية المشروطة لانعقاد المؤتمر، وكنت عضواً في اللجنة التحضيرية للمؤتمر، باعتباري الممثل الدائم لجمعية طلبة الشمال الافريقي بالمغرب، فاجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وقررت رفض طلب المقيم العام رئاسة الجلسة الافتتاحية، وإلقائه خطاباً في هذه الجلسة، لأن ذلك سيخرج المؤتمر عن طبيعته الطلابية المستقلة، ويجعله وكأنه مؤتمر سياسي يسير في الخط الذي تسير فيه السياسة الاستعمارية. وهكذا منعت السلطات الاستعمارية عقد المؤتمر، فصرنا نعقد اجتماعات مصغرة في بعض بيوتنا سواء في الرباط أو سلا أو فاس، وفي أحد الاجتماعات التي عقدت بمنزل المرحوم السعيد حجي بسلا، قام المرحوم المنجى سليم التونسي وكان من أعضاء المكتب التنفيذي لطلبة شمال إفريقيا بباريس يردّد أمامنا نشيد طلبة شمال إفريقيا الذي عنوانه :

حيوا إفريقيا، حيوا إفريقيا، ياعباد : شمالها يبغي الاتحاد أشبالها تأبَى الاضطهاد

إلى أن يقول : يا ضَحايا الاسْتقلال : إننا عاهَدْناكم، أن نسير في خُطاكم، أوْ ننَالَ خُلْدَكم

حتى تعلو أعلامنا، حُرَّةً تُنَادِي الجِهَادْ، الجِهَاد الجِهَادْ، في سبيل الاتِّحَادْ

وعندما تقدمنا بمطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934، قال بعض المسؤولين الفرنسيين، إن ثلث هذه المطالب يمكن التفكير فيها بعدَ مدّة، والثلث الثاني يمكن التفكير فيه بعد وقت طويل، أما الثلث الثالث فلايمكن التفكير فيه أبداً، لأن التفكير فيه، معناه مغادرتنا للمغرب، ولسنا عازمين على مغادرة المغرب، في أي وقت من الأوقات، لم نتقدم بطلب تحقيق الاستقلال قبل سنة 1944، ولكنا ضمنياً كنا نطالب به، عندما كنا نطالب بالحريات العامة على اختلاف أنواعها وأشكالها، ولكن الاستقلال كان دائماً هو الهدف، ربما نصل إليه عن طريق الإصلاحات التي كنا نطالب بها خلال الثلاثينات، ونغتنم كل فرصة ممكنة لرفع صوتنا أمام الفرنسيين، وأمام العالم أجمع، مطالبين بحرياتنا. وما أحداث سنة 1936 و1937 والتي ذقنا فيها الامرّين من طرف الجنرال نوكيس والتي سجن فيها الآلاف من الوطنين ونُفي نتيجة لها زعماؤنا الأبرار وفي طليعتهم الزعيم المرحوم علال الفاسي الذي نفي إلى أدغال إفريقيا وبقى فيها تسع سنوات كاملات لم يذق فيها طعم الحرية ولو يوماً واحداً، و لم ينعم فيها برؤية أي فرد من أسرته طوال تلك المدة.

لم نكن خلال تلك المدة، ننعم برغد العيش، ولا بالركون إلى الراحة، ولكنا كنا مشمرين عن ساق الجد، ننتظر الفرصة المواتية، خصوصاً بعدما أعلنت الحرب العالمية الثانية لرفع صوت شعبنا، والمطالبة بتحرير بلادنا.

لقد كنا نلمِّح بطلب الاستقلال منذ بداية الثلاثينات، ففي مقال كتبه أميننا العام الحاج أحمد بلافريج في مجلة «مغرب» التي كانت تصدرها جماعتنا بباريس سنة.1932 جاء مايلي بالحرف : (إن تحرير المغرب هو المهمة الأولى التي ينبغي أن يسعى إليها المغاربة جنباً لجنب مع الفرنسيين ذوي النوايا الطيبة، لأن مغرباً حراً، أفضل من مغرب مستغَل، إننا لسنا دعاة وطنية انفعالية، إن الاستبداد شيء مقيت، سواء جاء من الباشا التازي أو من الجنرال ماركيز (MARQUIS) إننا نريد قبل كل شيء أن نعيش أحراراً، ونريد أن يقوم التعاون بيننا من أجل تحقيق هذا الهدف) وفي مقال آخر في نفس السنة (1932) كتب : (إن الحماية في نظرنا ليست إلا وصاية، يجب أن تكون لها نهاية، إننا نفكر في اليوم الذي نستطيع فيه تسيير شؤوننا بأنفسنا، وفي اليوم الذي تصبح فيه روابط التبعية بين المغرب وفرنسا، روابط صداقة وعرفان، فهل هذه جريمة ؟ ان بلادنا التي كانت على الدوام مستقلة، ليست مستعمرة، إنها مجرد حماية).

ونشرت جريدة الأطلس في عدد الخامس الصادر سنة 1937 مقالا لبلافريج نفسه جاء فيه : (إن مهمة فرنسا، هي في إحياء السيادة القومية بهذه البلاد، تلك السيادة التي قطعت على نفسها عهوداً باحترامها، أمّا سياسة الإدماج، فقد قضى عليها مسيو «بينو» بتصريحه أخيراً، واعتبرها غلطة قديمة، ولايمكن لفرنسا أن توفق بين تصرفها، وبين المبادىء الدولية التي طالما نشرتها وعملت على تعزيزها ونصرها في العالم أجمع، إلا إذا حاولت أن تجعل من الشعب المغربي شعباً حراً قادراً على تدبير شؤونه، إننا نريد أن يتجه عمل فرنسا إلى تعويض روابط التبعية التي تربطنا بها، بروابط المودة والاعتراف بالجميل وفي ذلك فائدة للجميع).

وعندما قدم حزب الإصلاح الوطني بتطوان مطالب الشعب المغربي إلى الخليفة السلطاني والمقيم العام الاسباني لسنة 1938 طالب بالاستقلال الإداري فقال : (إننا نلح في الإسراع بتنفيذ هذه المطالب، ونعتبر هذا التنفيذ هو الخطوة الأولى للوصول إلى استقلالنا الإداري الذي نؤمله في القريب العاجل، إذ به يتهيأ للمغرب أن يعد نفسه ليصل إلى غايته الكبرى التي هي الاستقلال المطلق).

وجاء في القانون الأساسي لحزب الإصلاح الوطني، أن من بين الغايات الأساسية للحزب :

1) إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتها، وكامل استقلال أراضيها.

2) تحقيق الوحدة المغربية سياسياً ولغوياً، وفي المظاهرة التي نظمها الوطنيون بتطوان بعد استسلام القوات الفرنسية للقوات النازية في بداية الحرب العالمة الثانية (1940) رفع المتظاهرون شعارات تطالب بالاستقلال التام للمغرب.

ونشرت جريدة الحرية الصادرة بتطوان مقالا بتاريخ 24 يونيه 1940 للزعيم عبد الخالق الطريس تحت عنوان : (الحقيقة هي هذه، وفي عنقنا عهد لانخونه) وجاء في هذا المقال : المغرب (المستقل لبنيه الأوفياء) هو المبدأ الذي يلزم أن نعيش لتحقيقه، أو نموت في سبيله وكتب الأستاذ الطيب بنونة في جريدة (الحرية) بتاريخ فاتح مارس 1937 مقالا جاء فيه : إذا كانت الثورة الفرنكوية إنما وعدتنا بتحرير محدود لسيادتنا، فإن غايتنا نحن الوطنيين ستظل في كلمة واحدة هي الاستقلال، وعندما نصل إلى الحدّ الذي تنوي الحكومة الاسبانية الوقوف عنده، فسنقول لها : ساعدتنا على الوصول إلى هذا الحدّ، لكننا نريد تجاوزه إلى السيادة الكاملة، والاستقلال التام) وفي المظاهرة الشعبية التي نظمها الوطنيون بالشمال والتي أشرنا إليها من قبل، طالب المرحوم الطريس بتخلي

فرنسا وإسبانيا عن المغرب بما فيه سبتة ومليلية، الأمر الذي أثار ضغينة المستعمرين الاسبانيين، وخلق أزمة بينهم وبين حزب الاصلاح الوطني بزعامة الطريس. وجاء في الميثاق الموقع بين حزب الاصلاح والوحدة المغربية بتاريخ 18 دجنبر 1942 : (العمل على استرجاع وحدة التراب المغربي الكاملة في أقرب وقت ممكن إدارياً وسياسيا وقضائيا واقتصادياً وماليا، وبذل كل الجهود لاستعادة السيادة الداخلية والسيادة الخارجية التي أجبر العرش المغربي على التخلّي عنها، كلا أو جزءاً لصالح المطامع الأجنبية المفروضة

وعندما كنا نتحرك ونتهيأ للقيام بعمل جدي وحاسم، خصوصاً بعد رجوع الأمين العام للحزب (حزب الاستقلال) سنة 1943 دعا إخواننا في حزب الإصلاح الوطني إلى تكوين جبهة قومية للوطنية المغربية مع حزب «الوحدة المغربية» للقيام بعمل حازم عبّروا فيه عن طموحات المغرب في العزة والكرامة والاستقلال، وقدموا فكرة تطالب بالاستقلال ووحدة التراب المغربي إلى سفراء وقناصل الدول الأجنبية المعتمدين بمدينة طنجة وذلك بتاريخ 14 فبراير 1943 ولقد جاء في هذه الوثيقة التاريخية مايلي :

1) إعلان سقوط نظام الحماية المفروض على جميع أطراف المغرب.

2) اعتبار إرادة الشعب المغربي في حد ذاتها مصدراً طبيعياً لتقرير مصيره وحكم نفسه بنفسه.

3) حل القضية المغربية على الأساس الشرعي والقانوني الوحيد، وهو تجديد الاعتراف باستقلال المغرب وسيادته الداخلية والخارجية. وإعادة ترابه الوطني، كما كانت في عهد الاستقلال تحت ظل العائلة العلوية المالكة، مع ضمانة هذا الاعتراف من جميع الدول، ولاسيما دول أروبا وأميريكا

4) عقد اتفاقات ومعاهدات حرة لضمانة المصالح المشتركة مع كل الدول التي ترغب أن يكون بينها وبين المغرب الحر المستقل، تعاون اقتصادي أوثقافي منظم، أو غير ذلك من أنواع التعاون، ولاسيما الدول المجاورة، والدول الاسلامية،

5) اعتبار الأجانب المقيمين في تراب المغرب، على قدم التساوي التام، من ناحية المعاملة والمعايشة والاقتصاد والعدالة.

6) اعتبار التراب المغربي بجميع أطرافه وحدوده وشواطئه ومياهه وأجوائه أرض حياد تام مطلق، عند قيام أي نزاع دولي مسلح، وبالنسبة إلى كافة المتحاربين حاضراً ومستقبلا

9) تمثيل المغرب تمثيلا صحيحاً في مؤتمر الصلح القادم) ولقد وقع هذه المذكرة كل من المرحومين عبد الخالق الطريس ومحمد المكي الناصري.

وفي نطاق التضامن المطلق مع حزب الاستقلال لدى تقديمه لوثيقة المطالبة بالاستقلال، زيادة على العريضة الهامة التي وجهها حزب الإصلاح الوطني إلى جلالة محمد الخامس والتي نشرناها بتوقيعاتها من قبل، بعث كل من الطريس والناصري مذكرة مشتركة باسم الجبهة القومية للوطنية المغربية إلى الرئيس روزفيلت مؤرخة بفاتح أبريل 1945 أكدت التضامن الكامل مع حزب الاستقلال، وطالبت بـ :

1) إعلان سقوط نظام الحماية الفرنسية الاسبانية، وإلغاؤه بكافة ذيوله من جميع أطراف المغرب

2) اعتبار إرادة الشعب المغربي في حد ذاتها مصدراً طبيعياً لتقرير مصيره، وحكم نفسه بنفسه.

3) حل القضية المغربية على الأساس الشرعي والقانوني الوحيد، وهو تجديد الاعتراف باستقلال المغرب، وسيادته الداخلية والخارجية، وإعادة وحدة التراب الوطني المغربي، كما كانت في عهد الاستقلال.

4) إقامة نظام سياسي شورى ديموقراطي في المغرب، شبيه بنظام الحكم الدستوري في البلاد العربية بالشرق الأدنى

5) عقد اتفاقات ومعاهدات حرة، لضمانة المصالح المشتركة مع الدول التي ترغب في أن يكون بينها وبين المغرب الحر المستقل، تعاون دولي من أي نوع كان

6) معاملة الرعايا الأجانب المقيمين في تراب المغرب، على قدم المساواة التامة مع الرعايا الأجانب، المقيمين في الدول الأخرى.

7) تسهيل الوسائل لانضمام المغرب إلى كتلة الأمم المتحدة، وقبوله في عصبة الأمم العربية، كعضو حر مستقل)

وتوالت هذه التضامنات الوطنية للمطالبة بالاستقلال والوحدة بعد سنة 1945 إلى أن تحقق الاستقلال، كما سنتحدث عنه بحول الله ومعونته وتوفيقه في الجزء الثالث من المذكرات إن فسح الله في الأجل.

الزعيم علال الفاسي يطالب
أثناء نفيه في الكابون بالاستقلال

من المعلوم أن الزعيم علال الفاسي نفاه الفرنسيون في عهد الجنرال نوكيس سنة 1937 إلى إفريقية الاستوائية الفرنسية، وذلك إثر إصدار الحزب الوطني للميثاق الوطني الذي دعا إلى قطع كل تعامل مع السلطات الفرنسية، مادامت مصرّة على سياسة التضييق وخنق الحريات، واضطهاد مختلف الطبقات الشعبية.

ولقد تأكد لدى المقيم العام إذ ذاك، أن وجود علال الفاسي يهدد وجودهم ومصالحهم. وأنه أصبح الزعيم الذي ترتعد فرائص الاستعماريين من حركته وحزبه، ولذلك فإنهم إثر تقديم الميثاق المذكور، وإثر المظاهرات الشعبية التي قامت في غير مامدينة من مدن المغرب، رأوا أن يتخذوا في شأنه قرار الإبعاد النائي البعيد في الغابون والكونغو، حتى لا يمكن الاتصال به لا من قريب ولا من بعيد، ورغماً من أن الابعاد لم يخصه وحده بل نفي معه وبعده زعماء آخرون أمثال الزعيم محمد بن الحسن الوزاني والزعيم محمد اليزيدي. والمرحوم ج عمر بن عبد الجليل والمرحوم الحاج أحمد مكوار، ورغم المآت من الوطنيين الذي سجنوا وعذبوا واستشهدوا، فإن «علال» أصبح ينظر إليه الاستعماريون كبعبع يخيفهم، ويحسبون لمستقبله ولحركته ألف حساب، ولقد خطب الجنرال نوكيس بعد نفي علال، خطبة دلت على مقدار حنقه عليه، وصرح بأنه سيسحق حركته ويقضي عليها معبراً بذلك عمَّا يشعر به نحوه. ولقد طال اعتقاله والضغط عليه في إفريقيا تسع سنوات كاملات، لم يزره فيها أحد، ولم يتصل به حتى والده الذي قضى والتحق بربه، وعلال في منفاه ومعتقله، ويحكي رحمه الله أنه «ظَلّ مدة اعتقاله كلها في بعد عن كل اتصال بالحياة العامة، وأخبارها وفي منع كامل من الاجتماع بالناس وقراءة الصحف والاستماع للإذاعة».

وبالرغم من هذا التضييق الكبير عليه، ويظهر أن ذلك بالخصوص كان في السنوات الأولى من النفي، فإن بعد إعلان الحرب العالمية الثانية، وقيام الحركة الديغولية، ودخول القرية التي كان منفياً فيها «وهي قرية «مويلا» الواقعة في جنوب الكابون ـــ في حوزة الديغوليين، استطاع أن يتنفس الصعداء، ويتتبع الأحداث، ويرفع الصوت، ويطالب بدوره بالاستقلال لبلده، وعن هذه المرحلة يقول علال في كتابه : (الحركات

الاستقلالية)[1] : (دعاني ذات يوم الكومندان روجي، وتحادث معي مليا في الشؤون الحاضرة، وبشرني بأن الحال سيتبدل، وأن الثورة الدجولية ستعمل عملها في قلب السياسة الاستعمارية الفرنسية، وطلب مني أن أكتب للولاية العامة برأيي في موضوعها، فتملّصت من الموقف، وقلت له : يمكنك أن تكتب بنفسك، وتخبرهم بأني كرئيس للحزب الوطني، لاأريد إلا الوصول لما يصبو إليه الحزب من تطور وتحرير، ومضت أيام كتب فيها الكومندان روجي للولاية العامة، وسافر لبرازافيل، ثم عاد فقال لي كلاماً يدل على أنه لم يجد في الولاة المحليين نشاطاً واستعداداً لأن يكونوا على غرار «ليوطي» حسب تعبيره ــ في العمل لصالح فرنسا، ثم تحادثنا ملياً في الحالة الدولية العامة ــ وكنت في حديثي معه، ضارباً على الوتر الذي يحسه الفرنسيون، فطلب مني بصراحة أن أكتب رسالة للجنرال دي جول، وقدم لي مشروع رسالة على مثال الرسائل التي يقدمونها للفرنسيين، فأجبته بأن قضية الخلاف الحادث بين فيشي ودي جول، قضية فرنسية محض، لاحق لي، ولا لسائر المغاربة في التدخل فيها، نعم فيما يرجع لمقاومة الألمان، يمكنني أن أؤكد أنه ليس في المغاربة أحد يريد أن يصبح محكوماً لا لألمانيا أو إيطاليا، على أنه من الوجهة المنطقية، مادامت فرنسا قد دخلت الحرب، ومادام في استطاعتها أن تقاوم، فليس من الوفاء أن تخون حلفاءها، وتلقي بهم في أحضان الألمان، وتخيس بذممهم وهم في أشد الحاجة إليها، وأما فيما يخص القضية المغربية، فأنا كممثل للحزب الوطني، أعتبرها قضيتي، وأنا مستعد للتعاون مع الجنرال دي جول، إذا كان راغباً في أن يحقق أماني الشعب المغربي، ولذلك فمعرفتي بسياسة الثورة الجولية، فيما يخص فرنسا لايكفيني، بل يجب أن أعرف سياسة دي جول المغربية، وحينئذٍ يمكنني أن أعمل على ضوء استنتاجاتي منها، إلى أن يقول : كتبت رسالة للجنرال ديجول بواسطة الجنرال سيسي، أقص عليه بعض ماجرى بيني وبين الكومندان روجي وأقول له :

رسالة الزعيم علال الفاسي للجنرال ديجول

إن المغرب الأقصى، المرغم على استمراره في نظام من العصور الوسطى، والذي يرغب في تطور شبيه بما وصلت إليه مصر والعراق، لايمكنه أن يقبل تجديد الاحتلال من ألمانيا أو إيطاليا، وهو يعتقد أن حكومة حقيقية لفرنسا الحقيقية، جديرة بأن ترضيه

---

(1) الحركات الاستقلالية ص 236 و237.

بتحقيق أمانيه القومية. لست أريد أيها الجنرال أن أحدد في هذه الرسالة مطالبنا، ولكنني أريد أن أؤكد أنني شخصيا لا أرغب في جاه ولا مال، وإنما أرغب في مصالح وطني وحقوقه.

ورئيس الحزب الوطني المبعد منذ خمسة أعوام، لا يريد إلا أن يعرف السياسة الجديدة التي ستدشنونها فيما يخص المغرب الأقصى، إنني لاأمثل شيئاً من ذاتي، وإنما قيمتي فيما أتمتع به من ثقة الشعب، وفيما سأحمله لأمتي من نتائج عملكم الرسمي.

إن ليوطي الذي تحترمونه، لم يرتكب أخطاء نوجيس وأمثاله، وقد أعرب عن ندمه على كثير من أنواع السياسة التي اتبعها بنفسه، ولقد أيد الكثير من الفرنسيين حركتنا، فإذا كانت سياسة سعادتكم، تتفق مع سياستنا نحن، فإنه من الممكن لي أن أفعل).

ومضت أيام وأسابيع وشهور على هذه الرسالة، وقعت فيها اتصالات مع كثير من المسؤولين العسكريين الفرنسيين الذين كانوا يتصلون ببرازافيل المركز الرئيسي للسياسة الفرنسية إذذاك، وأخيراً اتصل بعلال ليوتنان البحري دولو جران الذي كُلِّف بالتخابر معه في شأن القضية المغربية والشمال الافريقي عموماً للبحث عن الطرق التي من شأنها أن ترضي الوطنيين ليكونوا مع فرنسا ضد الاحتلال الألماني، ولقد وضح علال هذه النقطة، معبراً عن رأيه الواضح فقال :[2]

وقد بينت له استعدادي للتوسط بين فرنسا الحرة، وبين الوطنيين التونسيين والجزائريين فيما يخص تونس والجزائر، وأما فيما يخص المغرب، فقد أكدت له استعدادي أن أعمل ومعي رجال الحزب الوطني لتحرير المغرب من الضغط الألماني، متعاونا في ذلك مع فرنسا الحرة، ولكن هذا التعاون لايمكن إلا بشرط واحد صريح، هو أن يعلن الجنرال ديغول استقلال المغرب منذ الآن، ثم بعد التحرير، يشكل جلالة السلطان حكومة وطنية، تعقد مع فرنسا، معاهدة تحالف وصداقة) وإثر ذلك بعث ليوتنان دولجران برقية لحكومة فرنسا الحرة جاء فيها : (تفاوضت مع الأستاذ علال الفاسي، وهو يقبل التعاون مع فرنسا الحرة على تحرير شمال إفريقا من ضغط المحور، بشرط الاعتراف الناجز باستقلال المغرب، والسيد علال الفاسي صريح، ويتكلم في استقامة ووضوح، ويتمتع زيادة على نفوذه في المغرب، بثقة كثير من زعماء العرب).

وبعد وصول هذه البرقية وقع استدعاء الزعيم علال للسفر إلى برازافيل، لتتميم

---

(2) الحركات الاستقلالية ص 238.

المذاكرة فسافر فعلا صحبة الضابط المذكور، ومكث في برازافيل سبعة أشهر كلها لقاءات واستفسارات وإعطاء التوضيحات، وفي يوليه سنة 1941 وصلت برقية من الجنرال دوجول للولاية العامة تقول : (لقد درست قضية الفاسي والمغرب وسأحمل معي الملف لبرازافيل) وتتابعت الاتصالات والمذاكرات، تبين منها أن آراء المسؤولين الفرنسيين مختلفة ومتباينة فيما يتعلق بالمشكل المغربي، فمنهم من كان يرى ضرورة الاعتراف للمغرب باستقلال نوعي، ومنهم من كان يرفض حتى هذا الاستقلال النوعي، وتطورت الأحوال الدولية بعد ذلك، لم يقتنع معها دوكول بإعطاء المغرب استقلاله الذي طالب به علال، فأرجع علال إلى معتقله الذي بقي إلى سنة 1946 حيث صار العمل الوطني متماسكاً وقوياً ونشيطا كما سنتحدث عنه إن شاء الله.

طلبتنا بالقاهرة يؤسسون رابطة الدفاع عن مراكش

لم يكن لدينا أي اتصال بالشرق العربي أثناء ظروف الحرب، فرغماً عن وجود بعثة طلابية هامة في القاهرة إذ ذاك، فإن الاتصال بها كان مفقوداً بالمرة، فلاترد أخبار عنها بواسطة البريد ولاتصلها أخبار عنا وعن تحركاتنا السرية، وعن تفكيرنا في القيام بعمل وطني، يرفع صوتنا وصوت بلادنا أثناء ظروف الحرب، ولدى تقديمنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 لم تكن لدينا أية وسيلة للاتصال بإخواننا أعضاء البعثة، حتى نخبرهم بما قمنا به، ومانرجو من ورائه لتحرير بلادنا من ربقة الاستعمار، وماحدث بعد تقديم الوثيقة من أحداث.

وذات يوم لست أدري تاريخه بالضبط، ولا قريباً من الضبط، وإنما الذي أذكره أننا كنا في اجتماع موسع بعض الشيء، أي زائد على أعضاء اللجنة التنفيذية، ولعل هذا الاجتماع كان بمنزل أخينا المرحوم سيدي الحاج أحمد الشرقاوي مدير مدارس محمد الخامس، فجاء من يحدثنا بأن خبراً ورد من القاهرة، ولربماكان بواسطة شخص ورَد من الشرق العربي، ويذكر الخبر أن طلبتنا في القاهرة تقدموا هم بدورهم لممثلي الحلفاء بوثيقة تطالب بالاستقلال، متى كان ذلك ؟ ومن هم هؤلاء الذين قاموا بهذا العمل الجبار ؟ لم تكن لدينا حينه أية تفاصيل، ومضت أيام وأسابيع لنستطيع الحصول على بعض المعلومات عن طلبتنا وحركتهم وعن الجمعية أو الرابطة التي أسسوا فيما بينهم، وهي رابطة الدفاع عن مراكش، ومراكش هو الإسم الذي يطلقه إخواننا في المشرق العربي على المغرب، والتي كان تأسيسها خلال سنة 1943 أي خلال الفترة التّي كنا

نتهيأ للمطالبة بالاستقلال، والتي طالبت هي بدورها بالاستقلال في نفس الظرف الذي طالبنا بالاستقلال، أي بعد يومين لاغير من مطالبتنا بالاستقلال وهو يوم 13 يناير 1944، فكيف كان ذلك ؟ وكيف كان التاريخ الذي تقدموا به بوثيقتهم، هو نفس التاريخ الذي تقدمنا بوثيقة 11 يناير 1944 ؟ ذاك ماسيحدثنا به أحد صانعي ومحرري هذه الوثيقة الأخ الأستاذ عبد الكريم غلاب الذي كان إذ ذاك بالقاهرة ضمن البعثة الطلابية الهامة التي كان الكثيرون منها ينتمون للحزب الوطني، ومنهم المرحومون الأساتذة : عبد المجيد بن جلون والعربي بناني وعبد الكريم بن ثابت وأحمد بن المليح، يقول الأستاذ غلاب :

1) تكونت هذه الهيأة سنة 1943، وبنفس الظروف التي كانت تفرضها الحرب : ميثاق الأطلسي، تحرير سوريا ولبنان، نزول الحلفاء في المغرب، أخذت الرابطة تفكر في استقلال المغرب، وهو نفس التفكير الذي كان يراود أعضاء الحزب بالمغرب في نفس الوقت، رغم أن القطيعة الكاملة كانت بين مصر والمغرب، فليس هناك مواصلات، ولا بريد، ولا برق، ولا هاتف.

رابطة الدفاع عن مراكش
تطالب باستقلال المغرب

وقد قدمت الرابطة في الأسبوع الأول من يناير 1944 مذكرة إلى مكتب فرنسا الحرة، وإلى سفارات دول الحلفاء في القاهرة، إنجلترا وأمريكا والاتحاد السوفيتي، تطلب فيها الرابطة استقلال المغرب، ونشر خبر هذه المذكرة في صحف القاهرة يوم 13 يناير أي بعد تقديم وثيقة الاستقلال في الرباط بيومين، رغم الرقابة على الأخبار، وقلة ماكان ينشر من نشاط الرابطة في الصحف المصرية.

ويلاحظ أن انتماءات أعضاء الرابطة كانت متعددة، فأكثريتهم كانت منتمية لحزب الاستقلال ومنهم الاخوة : عبد الكريم غلاب والمرحومون : أحمد بن المليح والعربي بناني وعبد الكريم بن ثابت، ومنهم المنتمون لحزب الحركة القومية كالأخوين محمد بن عبد الله وأحمد الوزاني، ومنهم المنتمون لحزب الاصلاح الوطني بالشمال كالمرحومين، عبد السلام بناني ومحمد بن اعبود ومصطفى بن عبد الوهاب.

ويلاحظ أيضاً أن فكرة الاستقلال وضرورة المطالبة به في ظروف قرب انتهاء الحرب

كانت تتعامل في ضمير كل الوطنيين، سواء منهم الموجودن داخل المغرب الذين تكوّن منهم حزب الاستقلال والمتضامنون معه في المطلب، كحزب الحركة القومية وحزب الاصلاح الوطني في الشمال والجبهة الوطنية في الشمال أيضاً، أو في الخارج كطلبتنا بالقاهرة، وكالزعيم علال الفاسي الذي كان منفيا في الكابون، والذي لم يعقه اعتقاله عن المطالبة بالاستقلال والحرية لبلاده عندما أتيحت له الفرصة المناسبة، وذهبوا به إلى برازافيل، ولقد راجعت مذكرات الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني لعلي أجد بين صفحاتها مايرشدني إلى الموقف الذي يمكن أن يكون اتخذه أثناء تلك الفترة وقبل سنة 1947، فلم أعثر على شيء، اللهم إلا ماكتبه عن موقف حزب الاستقلال ورأيه في الوثيقة التي قدمها بتاريخ حادي عشر يناير 1944، وكان مقصودي وأنا أبحث أن أزيد دليلا على أن الوطنيين المغاربة كما كانت لهم مواقف ثابتة وموحدة، وهم يطالبون بالإصلاحات، فإن الظروف الدولية أثناء فترة الحرب، فرضت عليهم أن يعبروا عن رأيهم الثابت الذي لم يتغير، وهو العمل على استرجاع استقلال بلادهم إلى أن انتُزع منهم غصباً وقهراً، ولعلني أجد مستقبلا بحول الله مايسد أمام عيني هذه الثغرة. وإن كنت مومنا كل الإيمان أن إخواننا في الحركة القومية عندما تقدموا بوثيقتهم المؤيد لوثيقة 11 يناير كانوا يعبرون بحق عن قرار حزبهم، ورئيسه المنفى.

وكما أشرت لذلك من قبل، فلقد كوّن طلبتنا في القاهرة، رابطة أسموها رابطة الدفاع عن مراكش (المغرب) ولما استعرت نار حرب 1939، وآذن الله للمحور أن ينهزم، ويكفي العالم شروره، تقدمت الرابطة بمطالبها إلى سلطات الحلفاء في القاهرة، وكان المطلب الأساسي هو الاستقلال، ثم توالى نشاط الرابطة السياسي، فصارت تتصل أولا بالسفارات العربية وزعماء العرب في ذلك الآبان، شارحة الأوضاع الأليمة التي يتردى فيها المغرب، وطالبة مساعدتهم للوقوف مع المغرب في معركته ضد الاستعمار، ناشرة النشرات والكتيبات المتعددة المعرفة بالقضية المغربية، مثل (1) حقوق الدولة المراكشية (في سنة 1944) (2) ومأساة مراكش (سنة 1945) (3) وصوت مراكش في سنة (1946) (4) ومراكش في معركة الحرية (في سنة 1946) (5) ومراكش تحت النفوذ الاسباني، كما ساهمت في توسيع نشاطاتها باستقبالها لبعض القادة الوطنيين التونسيين والجزائريين والتعاون معهم للعمل على تحرير المغرب العربي ككل، و(كان من الذين قدموا إلى مصر سنة 1945 الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة الذي فرّ من تونس في مركب بحري ونزل في السواحل الليبية، ومن هناك اخترق الحدود خلسة إلى مصر، واستطاع أخيراً أن يتصل بالجامعة العربية، بعد أن اجتاز مصاعب في الحدود، رغم

مراقبة إدارة الأمن العام)[3] ويحكي الأستاذ عبد الكريم غلاب ـــ وكان عضوا فعالا في الرابطة إذ ذاك أنه وقع استقبال السيد الشاذلي المكي مبعوث حزب الشعب الجزائري لخدمة القضية الجزائرية في مصر، وكذلك السيد فضيل الولاتلاني من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين، وبمجيء بورقيبة والشاذلي المكي والورتلاني بدأ وضع الأسس الأولى للعمل الوحدوي في إطار المغرب العربي الموحّد. ويقول الأخ غلاب كذلك : (حتى إذا بدأت المشاورات العربية، بعد نهاية الحرب سنة 1945 في الاسكندرية والقاهرة لإنشاء جامعة الدول العربية، وجدتها الرابطة فرصة نادرة لإدماج قضية المغرب في القضايا العربية، رغم الصعوبات التي كانت الرابطة تجدها، باعتبار الجامعة العربية جامعة دول، وباعتبار المشرفين على إنشاء الجامعة، كانوا يريدون لهذا المشروع أن ينجح، ولذلك كان بعضهم يحاول ألاَّ يثير الدول الاستعمارية بإثارة قضايا حساسة مثل قضية المغرب العربي، حتى لايثير فرنسا ضد المشروع)[4].

إن نشاط رابطة الدفاع عن المغرب، تقوَّى وتزايد بعد خروجنا من السجن، وتنظيم المراسلات مع الحزب وإمداد الرابطة بالمعلومات والنشاطات التي يقوم بها، وهكذا أصبح صوت المغرب عالياً في مصر وغيرها من البلدان العربية وسيتقوى أكثر عندما يكون مكتب المغرب العربي كما سنتحدث عنه.

ومن نشاطات لجنة الدفاع عن المغرب، بياناتها ومذكراتها إلى رؤساء وقادة الأمة العربية التي كانت توجهها لهم أثناء فترة الكفاح والمطالبة بالاستقلال، وكمثال على ذلك، أثبت هنا هذا البيان الذي أذاعته، بعدما بلغتها الأحداث التي وقعت بالمغرب أثناء فترة المطالبة بالاستقلال.

---

(3) تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب للأستاذ عبد الكريم غلاب. جزء أول ص 380.

(4) نفس المصدر ص 381.

بيان من لجنة الدفاع عن مراكش
إلى قادة الرأي العام

الحمد لله وحده من لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق إلى قادة الرأي العام العربي

في غمرة هذه الحرب التي فتحت أمام الشعوب المغلوبة على أمرها أبواب الأمل في نيل حقوقها، وتحريرها من الاستعمار البغيض، وبمناسبة انضمام مصر الشقيقة إلى ميثاق الأطلنطيق الذي قرر حرية الشعوب في تقرير مصيرها.

ترى لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق، أن تطلع الرأي العام العربي في مصر وسائر البلاد العربية، على قضية مراكش العربية، وماعانته مدة الحكم الأجنبي، من ضروب العنف والاضطهاد، منذ معاهدة الحماية 30 مارس 1912. فحتى هذا الحين، كانت مراكش محافظة على وحدتها، متمسكة باستقلالها ولكن تطاحن الدول الأجنبية في سبيل الاستعمار، وتسابقهم إلى الفوز بمراكش، يتوسلون إلى ذلك بمختلف الذرائع، فأثاروا الثورات داخل مراكش، وعلى حدودها، وحركوا رعاياهم لإثارة المشكلات، ونشر الفوضى في البلاد، حتى يكون ذلك سبباً في تدخل الدول الأجنبيّة في شؤون البلاد، بدعوى حفظ النظام، وإقامة الأمن، وصيانة المصالح الأجنبية. وانتهت هذه الحالة التي خلقتها الدسائس الأجنبية، إلى عقد معاهدة الحماية، في 30 مارس 1912، وقد قبلت الحكومة المراكشية هذه الحماية، على أساس معناها المحدد في المعاهدات والقوانين الدولية، وكما شرحها المارشال ليوطي، أول مقيم عام، مندوب سام في مراكش، إنها عبارة عن وطن محتفظ بأنظمته القومية يحكم نفسه بنفسه، وتكون إدارته بيد هيأته الخصوصية، تحت المراقبة الصرفة من دولة أجنبية، ولكن فرنسا وإسبانيا، بعد أن فازتا بمراكش، اتجهتا في حكم البلاد، اتجاها يناقض معنى الحماية، ويقوم على الحكم المباشر، بكل مظاهره الاستعمارية، فمزقت وحدة البلاد، وقسمتها إلى ثلاث مناطق مختلفة النفوذ، وجزّأت كل منطقة إلى مراكز عسكرية، تحكم حكماً استعمارياً محضاً، وقُضي على مظاهر السيادة القومية في البلاد، وأصبحت شؤون الشعب المراكشي كلها بأيدي السلطات الأجنبية، و لم يبق من مظاهر السيادة القومية، سوى مظهر الحكومة المراكشية الأسمى، وقد سلب رجالها كل تدخل في أمر البلاد، حتى أصبحوا مجرّد رمزٍ ليس له أثر فعلي، وقد مضى على الحماية الفرنسية الاسبانية زهاء ثلاثين عاماً، وكان المظنون

أن تصل مراكش بعد هذه المدة الطويلة، أن تتولّى شؤونها بنفسها، وتتحرر من سيطرة الحكم الأجنبي، وقد جاهدت في سبيل ذلك منذ إعلان الحماية إلى الآن، ولكن فرنسا وإسبانيا تعملان على أن تظل مراكش حيث هي، وتحاولان القضاء على الروح المراكشية العربية المتطلعة إلى الاستقلال والحرية، فالتمثيل الشعبي الصحيح، لاوجود له، والحكومة المراكشية، والوظائف الرئيسية الحيوية بين أيدي الفرنسيين والاسبانيين، والتعليم يتجه اتجاها أجنبياً، ويقوم على سياسة الإدماج ومحو الروح القومية، والحرية العامة لاوجود لها، لا في الاجتماع ولا في الصحافة، ولا في الشغل، ولا في الدين. وليس هذا الضغط وليد حالة الحرب الحاضرة، وإنما هو أمر صارت عليه فرنسا وإسبانيا منذ إعلان الحماية حتى الآن. وبالرغم من هذا كله، فقد قامت في مراكش حركات شعبية تطالب بالحرية والعدالة، ولكنها قوبلت في فرنسا وإسبانيا بالعنف والشدة، فاضطهد الرجال القائمون بها، وزجّ بهم في المعتقلات وشردوا في المنافي، وعطلت صحفهم الحرة، وحلّت هيأتهم المعبرة عن رغبات الشعب القومية، فالحماية الأجنبية إذاً، لم تحقق لمراكش، ماكانت ترجوه منها.

ولذلك أصبح من حق المراكشيين أن يطالبوا برفع هذه الحماية، ويعطوا الحق في تقرير مصيرهم، بعد هذه الحرب، كأمة لها كيان صحيح، وأمان وطنية سامية.

وبما أن مصر دولة عربية شقيقة، تربطها بمراكش روابط الدّم واللغة والدين، وبما أنكم من ذوي المكانة الممتازة في مصر، ومن موجدي الرأي العام فيها، ترى لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق، أن تعرض عليكم أماني مراكش القومية، ورغباتها الوطنية التالية :

1) المطالبة بإلغاء الحماية الفرنسية الاسبانية المفروضة على مراكش من سنة 1912، وإعطاء مراكش حريتها الكاملة في تقرير مصيرها بعد الحرب

2) إرجاع وحدة البلاد المراكشية إلى ماكانت عليه قبل المعاهدة، وإلغاء التقسيم الثلاثي، الذي فرضه عليها الاستعمار.

3) انضمام مراكش إلى اتحاد الدول العربية.

ولنا كبير الأمل في أن ترفعوا باسم مصر صوتكم في الدفاع عن مراكش العربية المجاهدة في سبيل حريتها واستقلالها

وتفضلوا بقبول تحياتنا وفائق احترامنا.

الإمضاء : **لجنة الدفاع عن مراكش في الشرق**

طنجة والاحتلال الأجنبي

المركز الاستراتيجي لمدينة طنجة، جعلتها تتعرض للاحتلال الأجنبي، خلال الأحقاب التاريخية القديمة والحديثة، سواء في عهد الفنيقيين والرومانيين، أو في عهد التكالب الاستعماري البرتغالي حيث كانت أساطيلهم البحرية تمخر مياه المحيط الأطلسي، فذاقت مدينة طنجة من متاعب استعمارهم الذي طال نحو القرنين (1471 — 1661) الشيء الكثير، ولقد أعقب الاستعمار البرتغالي لطنجة، استعمار الانجليز الذي بقي نحو اثنتين وعشرين سنة (1662 — 1684) ولم تتحرر من الإنجليز إلا بفضل التحركات الجهادية التي قام بها المولى إسماعيل العلوي الذي استعادها بالقوة من سيطرة المحتلين.

وخلال تكالب الدول الاستعمارية على المغرب أواخر القرن التاسع عشر، كانت هذه الدول تتطلع دائماً إلى الاستيلاء عليها نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز، وكانت إنجلترا بالذات تخشى أن تقع طنجة تحت سيطرة دولة أخرى، فتهدد مصالحها التجارية والملاحية في مضيق جبل طارق، وهكذا صارت تفاوض فرنسا باعتبارها دولة استعمارية مثلها، تتحيّن الفرص لفرض سيطرتها في المواقع الاستراتيجية والتي قد تكون مدينة طنجة من ضمنها، وهكذا وقع الاتفاق بين الدولتين الاستعماريتين على فرض نظام دولي في طنجة، تحتفظ فيه طنجة بشخصيتها المستقلة تحت السيادة المغربية، دون أن تخضع الخضوع النهائي لأية دولة من الدولتين، ولقد خاطب سفير فرنسا في لندن (بول كمبون Paul Cambon) رئيس الديبلوماسية البريطانية اللورد (لسندون Lord lasdoune) قائلا : ماهي مصلحتكم في المغرب ؟ إنها طنجة، إن أروبا لايمكن أن توافق على خضوعها لسيطرتكم، كما لايمنكم أن تتركوا أية دولة أخرى تسيطر عليها، ألاَ يمكن إذاً تحييد طنجة ؟ وهكذا وقع اتفاق (في غيبة المغرب) سمي بمعاهدة ثالث أكتوبر عام 1904 بين فرنسا وإنجلترا جاء في فصله التاسع مايلي : (ستحتفظ طنجة بالطابع الخاص الذي يخوّله لها وجود الهيأة الديبلوماسية ومؤسساتها البلدية والصحية) كما وقع اتفاق أو معاهدة بين فرنسا وإسبانيا بتاريخ 27 نونبر 1912 جاء في فصله السابع مايلي : (ستزود طنجة وناحيتها بنظام خاص يحدّد فيما بعد، وستشكلان منطقة تقع ضمن الحدود التالية : من رأس الطارس إلى مصب وادي تهضارت على المحيط) ثم وقعَ اجتماع

آخر في مدريد بتاريخ مارس 1913 ضم فرنسا وإنجلترا وإسبانيا، وتناقشوا في موضوع وضع القانون الدولي لمنطقة طنجة، دون حضور للمغرب ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى إذ ذاك، جعلت تطبيق مايودّون تطبيقه عسيراً.

لقد كانت إسبانيا تتميز غيظا من مواقف كل من انجلترا وفرنسا من قضية طنجة، وكانت تعتبر نفسها هي الأحق بالسيطرة عليها، بل تدعي أنها تملك فيها حقوقاً تاريخية بحكم مجاورتها لها، وكان المسؤولون الإسبانيون يودون أن يضموا طنجة إلى منطقة الحماية الاسبانية أثناء الحرب العالمية الأولى، وعبّر عن ذلك أحد وزرائهم (مورا) في خطاب له فقال : (إنه لمن الضروري أن تصبح طنجة إسبانية، حتى يمكن لاسبانيا الاضطلاع بواجبها في المنطقة الاسبانية وانه لمن السخرية أن تزرع هذه المنطقة الدولية في قلب المنطقة الاسبانية)[1] وصرح سفير إسبانيا في لندن بتاريخ 16 فبراير 1920 قائلا (إن طنجة تنتمي جغرافيا واثنوغرافيا وسيكولوجيا وبالتالي منطقياً إلى المنطقة الاسبانية، إنها إسبانية كأية مدينة أخرى في بلادي، فاللغة الإسبانية، هي لغة الفآت العليا والدنيا من أروبيين ومغاربة ويهود، وأسماء الأزقة، أو النقود المتداولة والصحف والمسرح وأناشيد الأطفال، هي أساسا إسبانية)[2].

وهكذا بوقاحة وتعنت يتحدثون عن بلادنا وعن قطعة غالية من ترابنا، جاهد شعبنا وملوكنا السابقون لافتكاكها من يد الغاصبين الرومانيين والبرتغاليين وغيرهم في غير ما فترة من فترات التاريخ، ويأتي أحد سفرائهم ليقول دون حياء أو خجل : إن طنجة مدينة إسبانية مثل بقية البلاد الاسبانية، وان اللغة الاسبانية هي لغتها، وحتى أسماء أزقتها ودروبها تشهد بأنها إسبانية إلى آخر ما قال

لقد بقيت مدينة طنجة مطمع الدول الأجنبية وخصوصاً الدول الأروبية الثلاث، وخصوصاً الدولة الاسبانية، فاجتمعت المؤتمرات واللقاءات من أجلها في لندن وباريس، ونتج عن هذه المؤتمرات، ماأطلق عليه النظام الدولي لمنطقة طنجة الذي وقع عليه في 18 دجنبر 1923 والذي خضعت فيه طنجة للإدارة الدولية (التي أنشأت أجهزة وهيآت ومجالس تدير شؤونها وتمارس اختصاصات إدارية وقضائية واسعة فيها)[3] ومعنى هذا أن سلطة السلطان عليها تبقى مقيدة بضرورة الرجوع إلى الدول الموقعة

---

(1) ملامح من تاريخ طنجة المعاصر للدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني ص 48.

(2) نفس المصدر ص 49.

(3) نفس المصدر ص 64.

على عقد الجزيرة الخضراء في كل مايتعلق بشؤون تسييرها الادارية والقضائية والصحية وغيرها من قضايا الأمن والجمارك، أي أنها سيطبق فيها نظام الحماية المطبق في كل من المنطقة الخاضعة للنفوذ الفرنسي، والمنطقة الخاضعة للنفوذ الاسباني، وكل هذا ورد في المشروع البريطاني الذي بموجبه تكون خاضعة لسلطة دولية، مشابهة لما هو قائم في منطقتي النفوذ الفرنسي والاسباني، وكانت بريطانيا تهدف بهذا المشروع إلى عدم خضوع منطقة طنجة إلى النفوذ الفرنسي والاسباني، وإلى رفض أية سلطة حقيقية تبقى للسلطان، (وقد لفتت بريطانيا أنظار فرنسا بهذا الخصوص إلى أن اللجنة الصّحية (رفضت اقتراحاً مغربيا بضم إثنى عشر وجيها مغربياً إليها) وهو يعني بالوضوح إبعاد سلطة السلطان الذي كان يعني في نظرها إبعاد سلطة فرنسا وإسبانيا التي عن طريق السلطان يقع تدخلهما[4].

كانت غاية فرنسا وهي تعمل على تدويل مدينة طنجة، إبعاد أطماع إسبانيا فيها، وضمها للمنطقة التي تحت نفوذها، ولما نجحت هي وانكلترا في ذلك، وجاءت ظروف الحرب العالمية الأولى وانتصر الحلفاء فيها، صارت تطالب بضمها إلى المنطقة الجنوبية التي تقع تحت نفوذها بحجج واهية صارت تدلي بها، من جملتها أنها هي التي تستطيع أن تحافظ على الأمن فيها، وصارت تبحث عن مؤيدين لها حتى من الانجليز أنفسهم، وهكذا صرنا نرى أن صحفياً انجليزيا يسمى «ولتر هاريس» يؤيدها في مطلبها فيقول : (عندما نعلم أن الانجريين يختطفون أسراً بأسرها، قرب أسوار مدينة سبتة، وهي قلعة محصنة، يمكننا أن نتصور مايمكن أن يحدث في طنجة المدينة التي لاتتوفر على تحصينات دفاعية، وكما هو عليه الأمر في تطوان التي تحاصرها القبائل منذ بداية الاحتلال، فإن طنجة ستصبح بسرعة في وضع مماثل، وستسد أمامها جميع السبل، ولن تتزوّد بأي منتوج من الخارج، وستعرف البؤس والمصاعب التي تعرفها حالياً؛ عاصمة المنطقة الاسبانية : (تطوان).

وهكذا كان التآمر على طنجة من ذات اليمين، وذات اليسار، وكان المقصود الأول والأخير، هو تحقيق المصالح والمطامع الأجنبية، وإبعاد الأخطار التي تهدد تلك المصالح والمطامع، غير منظور بالكلية لحقوق المغرب ومصالحه وكرامته، وهكذا أمام تضارب المصالح الأجنبية تم إقرار النظام الدولي لمدينة طنجة في 18 دجنبر 1923. فما هو هذا النظام الدولي الذي أقرته اتفاقية دجنبر 1923 ؟

---

(4) تنظيم الحماية في المغرب للدكتور محمد خير فارس ص 72.

لقد أنشئت بمقتضى النظام الدولي عدة مجالس وهيآت تسير شؤون طنجة، فهناك ماكان يسمى بالمجلس التشريعي، وهو يقوم مقام المجلس البلدي، وهناك لجنة المراقبة وهي التي تسهر مبدئياً على تطبيق بنود المعاهدات الدولية بشأن المغرب، وهناك المحكمة المختلطة التي حلت محل القنصلية للنظر في الخصومات التجارية والمدنية والجنائية، وهكذا بمقتضى هذا النظام، أصبح (رجال الأعمال الأروبيون واليهود الأثرياء مستأثرين بالصولة والجولة في ساحة طنجة المالية، وأصبحت طنجة مسرحاً واسعاً للتهريب والجاسوسية، وحلبة المنافسة الرأسمالية)[5] وهكذا أثناء ظروف الحرب العالمية الثانية، وطنجة في الوضع المشار إليه، انقض عليها الاحتلال الاسباني الفرنكوي بكلكه بتاريخ 14 يونيه 1940 ليضمها إلى نفوذ إسبانيا الفرنكوية، بدعوى انضمامها إلى المنطقة الخليفية المشمولة بحماية إسبانيا، ويطرد المندوب السلطاني من مركزه الشرعي، ويمكن ممثل ألمانيا النازية من مركز المندوبية لتصبح مركزا له، الأمر الذي دعا جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس إلى الاحتجاج على هذا التدخل، ويرفضه، ويطالب المقيم العام الفرنسي إذ ذاك، باعتباره مسؤولا عن القضايا الخارجية المغربية أن يرفع هذا الاحتجاج إلى السلطات الاسبانية. مطالباً منها أن تنسحب بجيوشها عن منطقة طنجة بأجمعها، وأن المغرب ملكاً وشعبا يرفض هذا الاحتلال الاسباني، ويعتبره مساساً بحقوقه واعتداء على سيادته، وعلى الشرعية الدولية المفروضة عليه بدورها وبقى جلالة محمد الخامس متابعاً لهذه القضية، مثيراً لها في كل المناسبات التي تعن له حتى جاءت سنة 1945 لدى انتهاء الحرب، لتجلو إسبانيا عن منطقة طنجة، وترجع إلى ماكانت عليه، قبل انقضاض الجيوش الاسبانية عليها، وهكذا لم تأت سنة 1947 حتى يقرر محمد الخامس القيام بأول زيارة لها، وليؤكد مغربيتها وخضوعها مثل بقية أجزاء وأطراف النفوذ الملكي المغربي، للعرش المغربي رمز الوجود المغربي الدائم.

(5) ملامح من تاريخ طنجة لعبد العزيز خلوق التمسماني ص 64 و65.

زيارة جلالة محمد الخامس لباريز

كانت سنة 1944 سنة التحدي للاستعمار، فمطلب الاستقلال الذي تقدم به حزب الاستقلال في حادي عشر يناير 1944 فاجأ الدوائر الفرنسية على اختلاف اتجاهاتها وميولاتها، وزاد في اندهاش الفرنسيين الموقف الواضح الصريح الذي وقفه محمد الخامس إزاء فكرة الاستقلال،ومساندته المعنوية لحزب الاستقلال في مطلبه الذي كان بتنسيق كامل معه.

لقد كان الفرنسيون يظنون أن محمداً الخامس، لايمكنه أن يتخذ أي موقف واضح صريح ضد معاهدة الحماية (1912) التي كانوا يعتبرونها العقد الدائم الثابت الذي لايصوغ للملك ولا لغيره أن يتحداه ولذلك فإن حزب الاستقلال عندما طالب بالاستقلال، لقى العنت والرفض القاطع والاستنكار من طرف الإقامة العامة، ومن ممثلي فرنسا الحرة ورئيسها الجنرال دوكول، وتأكد موقف فرنسا عند ماوصل الوزير ماسيكلي إلى الرباط ليهدد ويتوعد باسم دوكول، ويؤكد أن فرنسا ملتزمة بعقد الحماية ولايمكن أن تقبل أي تغيير فيه، وان مساهمة المغاربة في الحرب وتحقيقهم لكثير من الانتصارات فيها، إن هو إلاّ ردٌّ للدّين الذي عليهم من قبل «الأم الحنون» فرنسا التي أرجعت الهدوء للمغرب عندما كانت القبائل المغربية ثائرة ضد الوضع في المغرب، والذي كان في الواقع ضد التدخل الأجنبي.

لقد كان الفرنسيون يتهددون ويتوعدون حزب الاستقلال ومن يساندونه ويسيرون في نفس النهج الذي يسير فيه، ويعنون بذلك في الواقع جلالة محمد الخامس الذي اتضح لهم أنه مغرم ببلاده، متشوق إلى تحريرها واستقلالها، وان لم يصرح بذلك كامل التصريح وإنما كان يلوّح به لدى كل مناسبة تعنّ له، سواء أثناء خطاب العرش مثلا أو عندما يقابل بعض المسؤولين الفرنسيين الذين قال لهم في بعض مقابلاته : إن مغرب عام 1912 ليس هو مغرب عام 1944 وإذا كنتم ألبستموه قميصاً في ذلك الوقت، فإن ذلك القميص قد ضاق عليه، ويريد أن يبدله بغيره يكون أكثر سعة وراحة، ومثل قوله بعد اجتماعه بالرئيس روزفيلت : (مستقبل جديد لبلادي) وعندما زار فرنسا وقابل

رئيس جمهوريتها فانسان اوريول خاطبه قائلا : (لقد ضحى المغرب برجاله وثروته، وقدم موقعه الجغرافي لكم، وقد ساهمنا جميعاً من أول مغربي، إلى آخر مغربي في تحرير فرنسا في وقت كانت فيه في أشد الحاجة إلى ذلك، إن المغرب ليأمل أن تقوم الجمهورية الرابعة بالواجب عليها نحو جميع الشعوب التي هي الآن، في أوضاع شبيهة بالأوضاع القائمة في بلادنا، وذلك عن طريق منحها الحريات السياسية والاجتماعية وتوفير العدل والمساواة لها، ان عملا كهذا، يساعد على تقوية العلاقات بين فرنسا والعالم الإسلامي، ويوثق روابط الألفة بين فرنسا والشعوب العربية، ويجب أن لايغيب عن فرنسا قط أن المغرب الذي عرف كيف يضحي، يرغب أيضاً في تحقيق آماله)[1]

يقول الأستاذ الانجليزي روم لاندو عن محمد الخامس : (بمرور الزمن، وازدياد الخبرة، أصبح سيدي محمد أكثر قوة، كما أصبح أكثر صراحة في التعبير عن آرائه، كان دائماً حريصاً على ألاّ يقوم بعمل، إلا متى اطمأن إلى أن الأكثرية الواعية سياسيا من شعبه تؤيده، وكان حريصاً على أن يصغى إلى مايمكن أن يدور على ألسنة شعبه، من آراء وعواطف) ثم يقول : (كان سيدي محمد حريصاً دوماً على أن توضع تصريحاته العامة، ومذكراته إلى الحكومة الفرنسية في صيغة لطيفة، تضفي عليها مُسحة من الصحة والدقة، ثم يقول : وعندما كان يتاح له الأمر، ليقوم بمفاوضات سياسية، كان يظهر كثيراً من الدعة واللطف مما ساعده على التغلب حتى على الذين كانوا يضمرون له روح العداء).[2]

والواقع أن محمداً الخامس كان يحير الفرنسيين بقدسيته ولباقته وحنكته وثباته في مواقفه وانحيازه التام لمطامح شعبه، مع صدق لهجته، وحسن استقباله لجميع من يزوره ويتحادث معه حتى من الذين كان لايرضى عن سياستهم التي يتبعونها معه ومع شعبه، أمثال المقيم العام كابريال بيو، الذي كان يتقزز من تصرفاته ومعاكسته لمطامح شعبه.

لقد كان يشعر أن الفرنسيين عموماً لايريدون منه أن يتنكر لعقد الحماية المفروضة على المغرب، ويبتغون منه أن يسايرهم في مخططاتهم الاستعمارية، ويقف في وجه متطلبات شعبه، ولكنه دائماً كان يخيب مسعاهم، ويكون في جانب مطامح شعبه، فيخاطبهم باللين من الكلام واللباقة في الحديث، ولكنه في المواقف الصعبة يكون دائماً بجانب شعبه مدافعاً ومناصراً، وفي الوقت نفسه سائراً في الخط الذي نهجه لنفسه أمام

---

(1) تاريخ المغرب لروم لاندو ص 273.

(2) نفس المصدر ص 256.

الأزمات الدولية، عارفاً الطريق التي يسلك ــ دون خضوع لما يريد الفرنسيون إملاءه عليه في بعض الظروف، كإملاء الجنرال نوغيس عندما طلب منه اضطهاد اليهود إبَّان الحرب، ومطالبته بأن يقاوم نزول الحلفاء في الشواطىء المغربية إلى غير ذلك من المواقف التي تبرهن عن علو همته، وسمو إدراكه، ونظراته البعيدة في سياسته واتخاذ قراراته مؤكداً دائماً وأبداً أنه سيبقى وفيا لتعهداته، سواء أيام الحرب أو أيام السلم. هذه الصفات، وهذه الأخلاق، وهذا التصرف السياسي النظيف مع الجميع، كان يدركه الكثيرون من الفرنسيين الذين أتيح لهم الاتصال به، والتعامل معه ومنهم الجنرال دوكَول الذي رغم مواقفه المتحجرة فيما يتعلق بالموافقة على منح المغرب استقلاله، فإنه لم يستطع و لم تبح له عبقريته ونخوته وخلقه، أن ينسى المواقف الشجاعة والوفية التي.وقفها محمد الخامس مع فرنسا أثناء فترات الحرب، سواء في وقت انهزامها أمام الطغيان النازي أو في وقت ارتجاعها لكرامتها وتحرير بلادها قرب انتهاء الحرب، ولذلك فإنه بعد تحرير فرنسا استدعاه لزيارة فرنسا للمشاركة في الاحتفال بذكرى إعلان المقاومة 18 يونيه 1945، فقبل هذه الدعوة مشترطاً أن لا تكون مطلق زيارة مجاملة واعتبار، قائلا : (إذا زرت فرنسا، فيجب أن أعود بما يحقق المطامح التي يتطلع إليها شعبي) وهكذا زار فرنسا زيارة طويلة في الجملة، حيث مكث فيها ثلاثة أسابيع، زار خلالها كثيراً من المدن الفرنسية، وبعض المدن التي كانت توجد فيها جيوش فرنسية في ألمانيا، واستعرض فرق الجنود المغاربة الذين شاركوا في الحرب، وقلده الجنرال دوكول وسام التحرير الهام الذي لم يشاركه فيه غيره من الرؤساء والقواد العسكريين الذين شاركوا في الحرب، واعتبر الجميع تقليده هذا الوسام، اعترافاً من فرنسا وقائد تحريرها دوكول بجميله نحو فرنسا وحلفائها في معارك التحرير.

لقد كان دوكول يريد أن يترضى محمداً الخامس بالتقرب منه والتحادث معه، وكذلك كان يفعل الجنرال كاترو الذي أكثر من الاتصال به خصوصاً بعد تعيينه (كاترو) مندوبا عاما في افريقيا الشمالية إثر تحرير باريس في 24 غشت 1944 ولكن هذه الاتصالات والزيارات والحفاوة الكبيرة، لم تكن تهدف إلا إلى شيء واحد، هو إبعاده عن فكرة الاستقلال وحزب الاستقلال، وقبوله لبعض الاصلاحات التي تقترحها الحكومة الفرنسية في دائرة الحماية التي لا يجوز مطلقاً الخروج عنها، وعن المعاهدة التي فرضتها فرنسا عام 1912 ولكن محمداً الخامس كان يدرك تمام الإدراك، ماتهدف إليه هذه الاتصالات والاستقبالات، ويصر كل الإصرار كلما عنّت له مناسبة على ضرورة تغيير الأوضاع في المغرب، واستبدال القميص الذي ألبسوه للمغرب أي عقد



دوكول يقلد وسام التحرير لجلالة محمد الخامس

الحماية، بقميص أوسع الذي هو الاستقلال، وفي الوقت نفسه، بقى ارتباطه بحزب الاستقلال ورجاله موثقاً ومضاعفاً، سواء أثناء اعتقال الكثيرين من زعمائه، حيث بقى اتصاله محكماً بالذين لم يعتقلوا، أو بعدما انفرجت الأزمة اثر انتهاء الحرب وتحرَّر المعتقلون الذين كانوا في السجون أو في المعتقلات أو المنافي، أمثال الزعيم المرحوم علال الفاسي الذي أفرج عنه في سنة 1946 بعدما مكث في الاعتقال تسع سنوات، أو الامين العام للحزب المرحوم الحاج أحمد بلافريج الذي بقي منفياً في كورسيكا نحواً من عامين ونصف، وزادت الاتصالات وتوثقت، وتواصل التعاون مع محمد الخامس في سنة 1946 وما بعدها إلى الخمسينات، وما وقع فيها من أحداث جسام، كما سنتحدث عنه ان مدَّ الله في الأجل، ووفقنا لصالح العمل إن شاء الله.

وبمقدار ما أراد كابريال بيو المقيم العام الفرنسي أن يبعد ما بين محمد الخامس وحزب الاستقلال، بمقدار ما زاد إصراره رحمه الله على توثيق الروابط والتعاون بينه وبين القادة الوطنيين الذين أخلصوا له وللمغرب وللعرش المغربي، وأخلصوا للعهد الذي أقسموا عليه أمام المصحف الكريم وأقسم هو بدوره أمام كتاب الله على أنهم جميعاً سيسيرون في الكفاح والجهاد إلى أن يتحرر المغرب من العبودية والاستغلال، ويتحقق الاستقلال والتحرر من كل عبودية واستغلال وهكذا لم تات سنة 1956 حتى تحقق وعد الله الذي وعد به المومنين الذين يجاهدون في الله حقّ جهاده، فرجع محمد الخامس من منفاه السحيق حاملا في يديه الكريمتين لواء النصر والتمكين والفتح المبين، تالياً ما قاله رب العالمين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الذِين آمَنُوا مِنكُم وعَملوا الصَّالِحات ليَسْتَخْلِفنَّهم في الأرْض كَما استَخْلَفَ الذِينَ مِن قَبْلِهم، وَلَيُمَكِّننَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذي ارتض لَهُمْ، ولَيُبَدّلنَّهم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمُ أَمْناً﴾ صدق الله العظيم.

من ذكرياتي في السجن

الحياة في الزنزانة

ذكريات السجن وغرائبه ونكته متعددة، وقد يكون سماع بعضها فيه متعة للقارىء والسامع، وذكرى وعبرة لمن حفظه الله، لا في موضوع ما يلاقيه السجناء أحيانا من متاعب، قد لا يتحملها بل لا يصدقها من لم تمر عليه محن السجن وتنوعها، ومن لم يذق آلامها وهواجسها، ويعجبني أن أسجل هنا وأنا أستحضر بعض ذكرياتي عن السجن والسجناء الذين شاءت الأقدار أن يرافقوني أثناء سجني المرات المتعددة والتي تعتبر السجنة التي أتحدث عنها الآن هي السجنة الرابعة والتي قضيتها سجينا نحو العشرين شهرا أو تزيد.

كانوا يأذنون لنا بالخروج من زنازننا، نصف ساعة في الصباح، ومثلها في المساء، لشم الهواء، وتغيير المناخ، وكانت الساحة التي نتمشى فيها مربعة في الأصل مغطاة بقضبان من حديد غليظ، وبنوا في وسطها جدارا ممتدا من الركن اليميني إلى اليساري (من زاوية اليمين إلى زاوية اليسار) فأصبحت الساحة مقسومة إلى مثلثين، يفصل بينهما جدار فيه باب صغير من حديد وعندما نخرج إلى الاستراحة، نقسم نحن بدورنا، فبعضنا يقصد مثلث اليمين» وبعضنا الآخر يدخل مثلث اليسار، وأصوات هؤلاء وأصوات الآخرين يسمعها كل منهما، وبينما نحن نتمشى وكان معنا المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، ولم تكن لديه سيجارة يدخنها، ولم يكن رحمه الله يطيق أن لايدخن، فعبد الرحيم صبور متجلد، قوي الإرادة، صعب المراس، ولكن عادة التدخين، أو محنة التدخين، لم تفارقه طوال حياته، كان عبد الرحيم يتمشى كعادته بخطى سريعة وهو صامت، وما لمح حارس السجن في السطح يشرف علينا وعلى كتفه بندقيته، حتى أشار إليه إشارة استعطاف، بأصابع يده أن مُدَّني ومُنَّ علي بسيجارة، وعطف عليه ذلك الحارس، فرمى له سيجارة، واحدة التقطها عبد الرحيم بلهف ورغبة وشوق، ولكن أين هو عود الكبريت الذي يشعل به السيجارة، الحارس في السطح قد اختفى عن الأعين، ونحن بجانبه لاندخن، وليس عندنا حب ولا مَيْلٌ للسيجارة، ولا شوق إليها، وكان أخونا قاسم الزهيري في المثلث الآخر من الساحة الملتصق بنا، فنادى عليه عبد الرحيم : قاسم ! قاسم ! قاسم

عندي سيجارة، ولكن ليس عندي ما أشعلها به، فهل لك أن تجد عوداً للثقاب تمدني به ؟ لندخن معا قبل فوات الوقت، وبحث قاسم بسرعة عن عود للكبريت، واستطاع أن يحصل عليه، فخاطب عبد الرحيم قائلاً : إرمِ لي بالسيجارة من تحت الباب الفارق بيننا لأشعلها، فأجابه عبد الرحيم : إرم لي أنت عود الكبريت، لأشعل أنا السيجارة لأدخن وأترك لك جزءاً منها ولكن قاسم أصرَّ على أن يشعل ويدخن هو الأول، فما وسع عبد الرحيم إلا أن يرمي له السيجارة من تحت الباب، فأشعلها قاسم وصار يدخن، وانتظر عبد الرحيم أن يرمي له السيجارة مشتعلة كما اتفقا، لكن قاسم استلذ السيجارة، ولم يطق فراقها بسرعة، فصاح عبد الرحيم : أعطني سيجارتي، أعطني سيجارتي، فهناك رماها له من تحت الباب، فجذبها عبد الرحيم جذبة قوية، إثر ما وضعها بين شفتيه، وطفق دخانها يتعالى ويتعالى وتتعالى معه كثير من الأحلام وضحكنا نحن واستمتعنا بنشاط أخوينا، وحصولهما على سيجارة واحدة اقتسماها فيما بينهما.

كان الشهران الأولان في السجن، بعد حوادث 11 يناير 1944، قاسيين جداً لا من حيث المقام في الزنزانة المكتظة بالمسجونين فحسب، ولكن من حيث قلة الأكل أو فقدانه بالمرة، في بعض الظروف، ذلك أن إدارة السجن لم تسمح بأن يوجه لنا أهالينا وأسرنا ما نسد به رمقنا، ولكنها أصرت على أن نكتفي بما يهيىء السجناء من حُساء (صوبة) وهي عبارة عن ماء أسود، تجعل فيه بعض الحبات من الفول أو العدس مع بعض أوراق يقولون إنها أوراق بعض الخضراوات، وتقدم إلينا حوالي الحادية عشرة صباحا وحوالي الخامسة مساء، مع خبزة صغيرة باردة، لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا ما جعل الكثيرين يتذمرون من قلة الأكل، ومن الجوع الشديد، واستوى في هذا أبناء الميسورين، وأبناء الفقراء،

وذات يوم، ونحن نتمشى في الساحة التي خصصت للمسجونين أثناء فترة الاستراحة (بروموناد) وكانت لا تزيد عن نصف ساعة في الصباح، ونصف ساعة في المساء، أحياناً، بينما نحن نتمشى أطل علينا من فوق السطح حارس من حراس السجن، وكان متزوجا بخادمة سبق لها أن اشتغلت خادمة بمنزل أحد إخواننا المسجونين، أقول أطل علينا وأدار وجهه ذات اليمين وذات اليسار، ليتأكد من عدم مراقبته من أي أحد، ثم رمى بخبزة كبيرة محشوة بالزبدة الطرية، فأرادت كثيرة من الأيدي أن ترتمي عليها، وتشوف الكثيرون من السجناء الى تذوقها والتهامها. ومحافظة على النظام، وخشية من فقدان العدل في تقسيمها وتوزيعها، احتفظ بها عند أمين، حتى ندخل جميعا إلى زنزانتنا، وبمجرد دخولنا، كان الكثيرون ينتظرون حظهم من الوزيعة، فعهد الإخوان إليَّ بتوزيعها

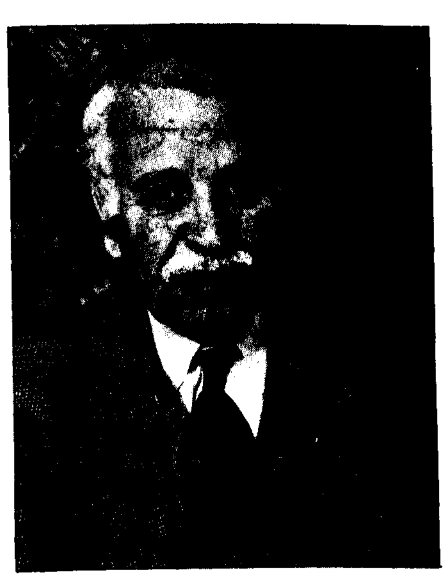
وتقسيمها، على أساس أن الجميع له الحق في أخذ قطعة مهما كانت صغيرة منها» أخذت الخبزة، وصرت أسأل الواحد تلو الآخر، هل تريد أن تنال حظك وقسمتك ؟ فالقليلون تنازلوا، والكثيرون طالبوا بنيل حقهم، وهكذا قسمت تلك الخبزة على نحو العشرين فردا.

ومادمت تحدثت على آلام الجوع، ومشتهيات الجائعين لأكل الخبزة التي تبرع بها الحارس، فلأتحدث عن قصة طريفة، توضح الجو الذي كان يعيشه السجناء معنا، وتصور ما كان عليه بعضهم من مرح ونشاط رغم المتاعب والأهوال، وما كان عليه آخرون من انفعال وضعف وخوف وانزعاج.

كان الليل قد أرخى سدوله، وكل واحد منا أخذ مكانه وامتد فيه يتحادث مع مجاوره أو يحكي له بعض الحكايات، ويغط آخرون في نومهم غير مبالين ولا مكترثين لا بالجوع ولا بغيره، كان الهدوء يسود الزنزانة، والظلام سجى جميع النائمين أو المتحدثين. كنت ممتدا في ركن من أركان الزنزانة، فإذا بي أسمع من ينادي علي باسمي من الركن الآخر : أسيدي بوبكر أسيدي بوبكر، جلست وأجبت : من ينادي علي ؟ وماذا وقع ؟ أجابني المنادي إن الذين بجواري يتآمرون علي لقتلي، قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ماذا تقول ؟ واستيقظ النائمون جميعا إلا القلائل يتساءلون : ماذا يقول هذا المنادي الذي كان في حالة من الذعر والخوف ما الله به عليم، فناديت عليه، اطمئن ولاتخف، قف من مكانك، واقرب منا، لتكون مرتاحا بجانب من تثق بهم من إخوانك فلا يمسك أذىً بحول الله، وقام رحمه الله حاملا فراشه وغطاءه ونام قريبا منا. مرتاحاً مطمئناً.



العلامة السيد أبو بكر زنيبر



الدكتور محمد زنيبر

مـزاح مزعـج

ولكن ماهي قصة هذا المنادي المنزعج ؟ لقد امتد في مكانه مثل بقية السجناء، وكان قريبا منه سجينان آخران يتحدثان مع بعضهما، قال أحدهما للآخر : لقد أضر بنا الجوع، والأكلات التي تقدم لنا لاتسمن ولاتغني من جوع، فهل سنبقى هكذا حتى نموت جوعا ؟ فأجابه الثاني : وماسنعمل ؟ وكيف نستطيع أن نحصل على مايشبعنا ونحن هنا في غيابات السجن ؟ وممنوعون من كل تحرك ؟ القضية صعبة يا أخي، وليس لنا من حيلة إلا الصبر والرضا بما قدر الله، وفكر الأول قليلا، وكان شيطانا مريدا، ومرحا كثيرا، ثم نطق قائلا : لقد وجدتها لقد وجدتها، ماذا وجدت ؟ أجاب الثاني. فرفع رأسه وصار ينظر فيمن حواليه من السجناء النائمين، ثم قال : لنبحث عن شخص من هؤلاء النائمين، يكون عريضا سمينا دسما، يشفي لحمه غلتنا، ويطفىء جوعنا، ولنذبحه في خفاء عن أعين الناس، ولنتلذذ بلَحمه وشحمه الأيام العديدات حتى يفرج الله عنا، فأجابه الثاني : فكرة صائبة، ولكن ماذا سيكون موقفنا إذا ما افتقده الحراس الذين يعدوننا في الصباح والمساء، وماذا سنقول لهم إذا ما سألونا عنه ؟ ففكر الأول مرة ثانية، ثم أجابه قائلا : لقد وجدتها، لقد وجدتها. وماذا وجدت ؟ نحتفظ برأسه عندنا كما هو، وعندما يدخل الحارس ليعدنا، نجعل ذلك الرأس بين كتفي وكتفك، حتى إذا ماصار الحارس يعدنا، يرى الرأس فيما بيننا، فيحسبه واقفا معنا، ولا يشعر أنه غائب أو مفقود، وهكذا تنطلي عليه الحيلة، ونكون نحن قد قضينا لبانتنا، واستمتعنا بأكلاتنا، وتغلبنا على آلام الجوع الذي كاد يقطع أمعاءنا. فأجاب الثاني إنك شيطان ماكر، ومدبر ماهر، ولكن من هو في نظرك، الشخص الصالح المتوفر على الشروط الضرورية، لنستمتع بلحمه وشحمه، ونتلذذ بأطرافه بعد تفصيله وتقطيعه، ونقضي على ألم الجوع بالتهام قطعه اللذيذة من فخذيه وأذرعه. قال الأول لقد ألقيت نظرة فاحصة على السجناء النائمين معنا، فما وجدت شخصا أصلح، ولاذاتا أسمن من جسم. فلان وذكر اسم المنادي علينا، انه متوفر على كل الشروط التي ذكرنا، وليس علينا إلا أن نتكل على الله، ونباشر العمل، قبل أن نهلك، وأدرك شهرزاد الصباح، فسكت عن الكلام المباح.

كان صاحبنا المنادي عليّ. ينصت باهتمام للحوار الذي كان يجري بين السجينين الجائعين، ولربما استهواه هذا الحوار الذي يدرك أنه مجرد هراء لقضاء الوقت، والمتعة بالحديث، لتقريب النوم إلى النائمين، ونسيان هموم السجن والجوع والغربة عن الأهل

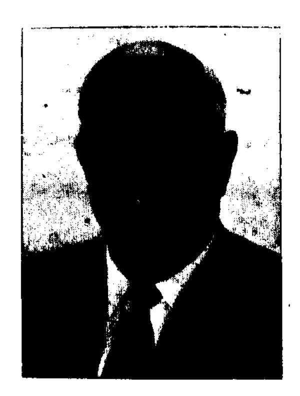
والأحباب والأبناء، ولكن ما إن سمع اسمه ينطق به ليكون الضحية، حتى دخله الهلع والخوف، فحسب ماصرح به المتحاوران العابثان يمكن أن يتحقق، وما يعبثان به ويمزحان، قد يصبح حقيقة واقعية، فلم يشعر إلا وهو يجلس في مكانه، وينادي ياسيدي بوبكر، إن هؤلاء، أرادوا أن يفتكوا بي، ويقتلوني، وماكان هناك عزم على الإذاية، أو إمكانية للاعتداء، ولكنه مكر السخرية، ووحى آلام السجن والجوع. فدعوت الخائف المنزعج إلى الاقتراب منا، والنوم باطمئنان إلى جانبنا، حتى لايصيبه مكروه ولا إذاية من أي ماكر أو عابث.

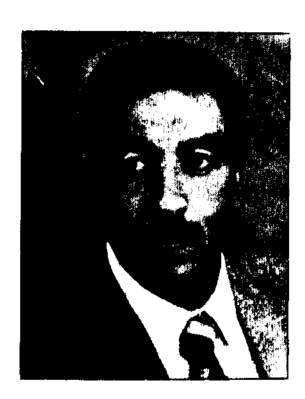
وجـوه في السـجن

ذات مساء ونحن قابعون في زنزانتنا الكبيرة، إذا انفتح الباب ليدخل علينا جماعة من الإخوة كانوا معتقلين بمعتقل «كان كارني» العسكري، لم أعرف البعض منهم لأول وهلة، لأنه أصبح ملتحيا أكثر من اللازم، ولم تمس لحيته أية شفرة للحلاقة، طول إقامته في المعتقل، ولعلها دامت أسبوعين أو أكثر. وكان من بين هؤلاء الذين التحقوا بنا شيخ جليل، وعالم كبير، ومفت مبرز، هو شيخنا العلامة المرحوم السيد أبو بكر بن الطاهر زنيبر، ومعه وَلَداه الأخوان : الطاهر ومحمد، كما كان من جملة الوافدين علينا الحاج محمد بن شقرون، والمرحوم عبد السلام النجار والطاهر بوخريص والحسين العلمي ومحمد النجار وعبد المجيد حركات وعبد السلام أعمار وغيرهم، لقد ظهر الانبساط على وجوههم عندما التحقوا بنا، وشعروا كأنهم خرجوا من الجحيم، والتحقوا بدار النعيم، فالجو عندنا رغم قساوته، يختلف عن الجو المشحون بالإرهاب الذي عانى منه إخواننا في معتقل «كانكارني»، لقد رحبنا بهم، وآنسناهم، وآنسونا، وخففنا عليهم آلامهم التي ذاقوا منها الأمرين، من لدن العسكريين القساة الغلاظ القلوب، صاروا يحكون لنا ماقاسوه من آلام ومحن، خصوصا المرحوم عبد السلام النجار، الذي كنا نطلق عليه (شرطي الوطن) والذي قام بدور هام وجرّىء وشجاع يوم المظاهرة، فلقد كانوا يلزمونه بخدمات يندى لها، الجبين، كانوا يأمرونه بخلع قميصه، ليجفف به الزنزانة التي يقطن بها هو وإخوانه الوطنيون، ثم يلبسها على الحالة التي هي عليها. ولعلهم أشبعوه سوطا أثناء خدمته، وكذلك كان تعاملهم مع شيخنا العلامة زنيبر، لم يحترموا شيبته ولا علمه، ولم يحنوا لضعفه وعجزه عن المشي، بالإضافة إلى معاناته النفسية عندما رأى نفسه في تلك الحالة، ورأى ابنيه الوحيدين يعانيان مايعاني رحمهما الله، وكيفما

كان الأمر، فقد ارتاحوا كامل الارتياح بعدما التحقوا بنا، وارتفعت معنوياتهم بالالتقاء معنا، واحتسبوا لله مالاقوه في سبيل الكرامة والعزة والحرية التي يضحون من أجلها... كنا نجلس جميعا نتبادل أطراف الحديث، ونعلق على الأحداث. وكان إخواننا وأبناؤنا من حولنا، مطمئنين مرتاحين، راضين بما قدر الله عليهم، مؤملين دائما في الانتصار، كان البعض يقضي وقته في قراءة القرآن والمذاكرة. والبعض الآخر، في تعليم المبتدئين بعض القواعد والمبادىء الأساسية، وآخرون يمضون وقتهم في التعاليق والأحاديث والحكايات، إلى غير ذلك من الأمور، التي يحاولون بها، أن يقتلوا الوقت ويمضوه بالمفيد وغير المفيد، ولاتسأل عن التعاليق عن بعضهم بعضا، فهذا جالس جلسة تدل على أنه قلق ويفكر في المصير، وذاك نادم على دخوله في الفضول الذي أودي به إلى هذا المصير.

إلى غير ذلك من التعاليق التي كان يقبلها البعض ويعتبرها من قبل المستملحات، بينما يتقزز منها الآخرون ويعتبرونها من الأكاذيب والمختلقات، كان أخونا المرحوم أبو بكر السماحي، يجلس القرفصاء متكئا على الحائط، وعلى رأسه طربوشه العادي، وفي عنقه فوطة، يَلفُّها أحيانا على وجهه، ولاحظ الأخ البقالي أن السماحي متشبث كل التشبث بفوطته، لايكاد يفارقها ولا تفارق وجهه، ولربّما رأسه ففكر ودبَّر، ونطق وأجهر، أن السماحي فضحه الشيب الذي صار يغطي وجهه ورأسه، فلقد كان يتغلب عليه بالحناء والصبغة السوداء قبل السجن، أما الآن فقد افتضح كل شيء، ولم يبق لمتستر أن يتستر، فليحمد الله على شيبته، وليعتقد أنه بلغ من الكبر عتيا، والتحق بصفوف الشيوخ، ولم يبق من زمرة الشبان. وهكذا كان يتنذر معه، ونحن ننصت ونبتسم، ونشاركهما مزاحهما، وكان من جملة المسجونين معنا، بعض الشبان الصغار، أمثال المرحوم عبد الرحمان بن عبد العالي ومحمد بن عياد وعبد العزيز النجار، وكانوا


محمد بنعياد


عبد العزيز النجار

رغم صغرهم أقوياء بمعنوياتهم، لطفاء في معشرهم، ولا أنسى موقفا شهما نبيلا كريما رأيته من عبد الرحمان بن عبد العالي، لقد لاحظ أن بعض رفقائه الوطنيين يلبس لباسا رثا، لايكاد يقيه من البرد، ففي تلقائية وتطوع «خلع جلبابه — ولعله كان له اثنان — وألبسه إياه، ليستوى وإياه، لقد أثر فيَّ ذلك الموقف الذي وقفه شاب في مقتبل العمر، وليس له ولا لوالديه من الإمكانيات الشيء الكثير، ولكنه أبى أن يرى الضعيف في الحالة التي لم ترضه، وفي هذا من خلق الإيثار مالم يتصف به إلا القليلون، وخصوصا من فآت الشبان الصغار، الذين تربوا على الأخلاق الإسلامية المثلى التي تدعو إلى الإحسان وبذل المعروف، وأن تحب لأخيها ماتحبه لنفسها.

وخلة أخرى أو صفة أخرى لاحظتها ونحن في سجننا هذا وفي زنزانتنا هذه، هي خلة الحنان والعطف الأبوي، لقد قلت إن الفقيه زنيبر التحق بنا هو وابناه، وكان القانون الداخلي للسجن، يسمح للسجناء الذين لهم في صندوق السجن بعض المال، أن يشتروا بعض مايحتاجونه من دكان السجن (الكانتينة) التي تعرض للبيع، نوعا خاصا من التبغ، ومثل السكر والشاي، ومثل المربّى، وماشاكل ذلك من الضروريات الأساسية، وكان أحد الكتاب الملحقين بالدكان المذكور، ويكون عادة من السجناء، يطوف هو وحارس معه، على المساجين، ليسجل مايطلبونه مماهم في حاجة إليه، وقد كان المرحوم المهدي بن بركة في بعض ظروف سجنه مكلفا بهذه المهمة. فصار بعض إخواننا، وبالأخص المدخنين، يطلبون الدخان (للتبغ) ولاحظت أن الفقيه زنيبر نفسه، سجل نفسه في لائحة الطالبين للتبغ، وعرفت بعد ذلك أنه لم يطلبه لنفسه بالطبع، وإنما طلبه ليدفعه لابنه الصغير إذ ذاك محمد، الذي كان يتطلع إلى أبيه، ليشتري له بعض السجائر.

مكثنا هكذا مجتمعين مختلطين، فينا الوطنيون الذين عرفوا مقاصدهم ومطالبهم، ومعنا من جرَّه السيل لاغير، ولربما كان مارا في الطريق، فاتّهم بأنه شارك في المظاهرة، فاعتقل مع المعتقلين، ولكن لم تمض إلاّ نحو الخمسة عشر يوما أو أكثر بقليل على هذه الحالة، حتى صار يستدعي بعض الأفراد للاستنطاق، وكانت البداية بالذين لم يعرف عنهم انتماء وطني، وكان من جملة هؤلاء السادة : الصديق عواد ومحمد بن سالم الصفار وغيرهما من الذين لم تحضرني أسماؤهم، هؤلاء اكتفى بما قضوا من أيام في السجن، فأطلق سراحهم، وكان آخرون كان لهم انتماء، ولكن طلب منهم أن يتبرعوا ويلتزموا بأن لايعودوا إلى الإخلال بالأمن العام، ففعلوا وأطلق سراحهم، وللأخ البقالي مع هؤلاء تعليقات ومباسطات، وآخرون حكموا عليهم بمدد مختلفة، تبتدىء بالشهر وتنتهي بالسنة، أي منهم من كان جزاؤه قضاء شهر في السجن، ومنهم أكثر من ذلك إلى

السنة الواحدة، وتوالت الاستدعاءات، وتبعتها الأحكام، وصار يتناقص عددنا شيئا فشيا، إلى أن بقينا نحن الأربعة : عبد ربه وعبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري ومحمد البقالي مضافا إلينا سجين آخر هو محمد (فتحا الناصري) وكانت موجهة إليه تهمة خاصة، لم نستدع نحن للاستنطاق، ولم ندر السبب، ولكن علمنا بعد ذلك بكثير، أن الإدارة الاستعمارية، كانت تُبَيِّتُ لنا نحن الأربعة المذكورين، لنقدم إلى المحكمة العسكرية، كمسؤولين أساسيين عن كل الأحداث التي وقعت بسلا، ونظرا لقلتنا فلقد نقلنا إلى زنزانة أصغر من التي كنا فيها، ثم صرنا ننتقل من زنزانة إلى أخرى، إذا ما التحق بنا بعض المعتقلين من مدن أخرى، وبالأخص من مدينة فاس التي التحق بنا منها بعض الإخوة منهم المرحوم الشهيد الحسن بنشقرون ومنهم السيد عمرالأغزاوي والمعلم زيزاح وابن زاكور وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم وأنا أسجل بعض الأحداث التي لم أسجلها مع الأسف في حينها، ولم أرد أن لا أسجل ولو بعضها التي احتفظت به الذاكرة بعد مضي أزيد من خمسين سنة (1944 — 1995).

* * *

لا أدعي وأنا أسجل أحداثا وقعت قبل نصف قرن من الزمان، أنني أكتبها مرتبة الترتيب الزمني الحقيقي، ولكنني أسجلها أحيانا مرتبة تقريبا، وأحيانا أخرى، يكون ترتيبها غير مؤكد عندي، ولربما يتأخر الذي يجب أن يقدم، ويقدم الذي يجب أن يتأخر. والذي أحرص على تسجيله هو الحدث بعينه لاتاريخه، والأحداث والوقائع التي أسجلها والتي احتفظت بها ذاكرتي رغم مرور خمسين سنة، ليست من نوع واحد، وليست لها الأهمية المتماثلة، أو القيمة التاريخية الهامة، ولكنها تختلف كل الاختلاف في أهميتها، وقيمتها، وإن كانت بالنسبة لي، تعكس الاهتمامات التي كانت عندي في تلك الفترة، أو التي كان لها أثر في نفسي، أو التي كان الجانب العاطفي، هو الذي جعلها تبقى عالقة في ذاكرتي. أو التي تصور ولو بتقريب، الجو الذي كنا نعيش فيه داخل السجن رغم ظروف المحن.

نداء من الشهيد أحمد بن عبود

لقد انفتحت أبواب السجن المدني بالرباط أمامنا عشية يوم ثلاثين يناير 1944 أي بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال بعشرين يوما، وذات ليلة ونحن في زنزانة صغري في السجن في القسم الذي كانوا يسمونه بالقسم الأوربي criter europien، وكانت قد

مضت على سجننا نحو الخمسين يوما، سمعت في غسق الليل، صوتا ينادي علي باسمي : أسيدي بوبكر أسيدي بوبكر، أرخيت أذني، وأرهفت سمعي، واستيقظ من كانوا معي في الزنزانة، ومنهم على ما أظن : عبد الرحيم بوعبيد، محمد البقالي، قاسم الزهيري، يونس نكروف، أنصتنا جميعا لهذا الصوت المنطلق من بعيد، ومن ثقبة مفتاح باب الزنزانة ــ حسب ما قدرنا ــ فإذا هو يقول : لاتخف عليّ، لاتخف علي، أنا أحمد بن اعبود. وسكت الصوت، وانطلقنا نفكر ونخمن ونؤوّل، ماذا يقصد ابن عبود من قوله هذا، ولماذا يقول : لاتخف علي، وكل ما استطعنا أن يصل إليه تخميننا، هو أن أحمد بن اعبود، يوجد معنا في السجن، وأنه عانى من الامتحان، ونمنا ونحن نفكر، والفكر مشغول بما قاله ابن اعبود، وفي الصباح الباكر أو في المساء ــ لست أدري بالضبط ــ وحركة السجن هادئة، فتحت النافذة الصغرى الواقعة في دفة باب الزنزانة، فإذا هو سجين ملتح عليه وقار، وكان اسمه على ما قيل لي عبد السلام الجبلي الجأش، ينادي عليّ ويكلّمني بسريّة ليقول : (إن الشاب ابن اعبود السجين، أخذوه إلى المقصلة، لينفذ فيه حكم الإعدام، ولقد قضيت معه ليلة إعدامه أذكّره وأسليه، فإذا هو ثابت مستسلم لقضاء الله، غير منزعج ولا خائف) ولم أتذكر أن قال لي الفقيه المذكور إنه يبلغك سلامه أو لم يقل لي ذلك، ولكن المحقق عندي أنه رحمه الله هو الذي أعطاه اسمي، وطلب منه أن يخبرني بالمصير الذي ينتظره، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا، وهنيئا له الشهادة في سبيل الله، وهنيئا له الثبات والسكينة التي أعطاه الله، ﴿وَلاَتَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءُ، عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِن خَلْفِهِمُ أَلاَّ خوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَهُمْ يَحْزنُونَ) صدق الله العظيم، ويقال إن روحه طارت إلى ربها قبل إطلاق الرّصاص عليه.

لم أعرف مقصود الشهيد ابن عبود من قوله : لاتخف علي، حتى خرجت من السجن، الذي قضيت فيه عشرين شهرا تقريبا، فلقد حكى لي الصديق المرحوم الحاج أحمد بناني أن الفرنسيين كانوا يتآمرون ضدّي، وضد بعض إخواني الموجودين معي بالسجن، لتقديمنا إلى المحكمة العسكرية بتهم التحريض والقتل في الغالب، ولربما كانوا أثناء استنطاق ابن اعبود وتعذيبه، يطلبون منه أن يصرح بأننا نحن الذين دفعناه إلى اغتيال الشرطي «دافيد، الذي اتهم بقتله، ولعل الله سبحانه قوّاه وثبَّته، فلم يلب رغبتهم، ولعل ذلك هو الذي دفعه وهو يعلم أنه مقبل على الموت، أن ينادي عليّ ليقول : لاتخف عليّ.

لقد أحدث إعدام الشهيد ابن اعبود، والشاب الشهيد المختار جازوليت ورفقاؤه الأربعة ومنهم الشهيد العربي الشاوي عضو جمعية الاتحاد الرباطي السلوي الرياضية والمعروف بمول الجورنال ومحمد الغماري من قصبة الودايا ومحمدالصحراوي وكل هؤلاء مدفونون بمقبرة يعقوب المنصور بالرباط، أما الشهداء الآخرون في الرباط وهم الصديق احساين والهاشمي القسطالي ومحمد الوزاني الجبلي فمدفونون بمقبرة لعْلو. لقد أحدث إعدام الشهداء في ليلة عيد المولد النبوي رجة في نفوسنا، نحن داخل السجن، ولقد شاهدت المرحوم السيد إدريس ابن اعبود شقيق المرحوم أحمد بن اعبود يبكي ويتألم ويدعو لأخيه ومن معه، وبعض إخوانه المسجونين معه، محيطون به، يصبرونه ويثبتونه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد اتهموا أحمد ابن اعبود، بأنه هو الذي قتل الشرطي دافيد يوم المظاهرة، ولست أستبعد أن يكون هو الذي قتله لما رآه يصوّب مسدسه أو بندقيته للمتظاهرين الوطنيين، ولكني لست متأكدا مائة في المائة أنه هو القاتل، فلم يتح لي أن أتعرف إلى حقيقة الأمر، والشيء الذي بلغني — ولم أتحقق منه أيضا — أن الذين كانوا يستنطقونه طلبوا منه أن يتهم بعض الأشخاص — وأنا منهم — بأنهم هم الذين حرضوه على القتل ولكنه تحت التعذيب والإرهاب، ربما ذكر لهم اسما آخر أو أسماء أخرى، لم يكن قصدهم اتهامها أو الإضرار بها، وكل هذا، مجرد أقوال، والحقيقة كما هي عند رب العالمين.

زيارة مفاجئة

جاء يوم عيد الأضحى، ونحن أربعة أشخاص في زنزانتنا، نتذاكر ونتندّر، ويوم عيد الأضحى يوم تعطل فيه الأشغال في السجن. ويرتاح السجناء من متاعب الخدمة، وقيل لنا إن إدارة السجن تعمل على الترفيه على المسجونين جميعهم، بمناسبة العيد، ولذلك فإنهما تخصص كبشين أو ثلاثة أو أكثر للذبح، ليذوق السجناء اللحم في ذلك اليوم الذي هو يوم عيد، وحتى تعطى للعيد قدسيته الدينية، فإنها تسمح لبعض السجناء أن يؤدوا صلاة العيد في ساحة السجن، ولعل الذي أم بهم صلاة العيد، وخطب خطبة العيد، أخونا المرحوم السيد قدور الورطاسي، ولست متأكدا أكانت هذه الصلاة في هذه السجنة بالنسبة لي، أو كانت في سجنة أخرى قبلها، وكيفما كان الأمر فإن الأكباش قد ذبحت، والمساجين ذاقوا قطعة من لحمها مهما كانت صغيرة.

والذكرى التي أحتفظ بها في ذهني، وأريد أن أسجلها بمناسبة يوم عيد الأضحى

في السجن، أننا ونحن جالسون نتحدث ونشرب الشاي ــ شاي السجن يختلف عن الشاي خارج السجن، وبالأخص في مناسبة العيد، أقول بينما نحن جالسون نتحدث، سمعنا مفتاح باب الزنزانة يوضع في القفل، والباب يفتح بسرعة، ليدخل علينا المرحوم المهدي بن بركة، وفي يده صحن، فيه قطع مشوية من كبدة العيد. كانت مفاجأة جد سارة، وكانت لحظات فيها التقاء وعناق بعد طول غياب، وكانت أحاديث فيها ذكريات، وفيها انبساط، نسينا فيها أننا في السجن، فاقدون لحريتنا، مغبونون في تصرفاتنا، محكوم علينا أن تضمنا زنزانة لا تتعدى مساحة أربعة أمتار في أربعة على أكثر تقدير، ومع ذلك كنا سعداء كل السعادة بزيارة أخ من إخواننا لنا ولو لمدة محدودة جدا، لا تتعدى الستين دقيقة، صرنا نتناول ما أتانا به المهدي من كبدة العيد، مصحوبة بكؤوس من الشاي، وإثر الانتهاء من تناول الكبدة، بادر عبد الرحيم بوعبيد فأشعل سيجارته، وتبعه المهدي وان كان غير مبتلي بالتدخين الكثير ــ وتبعهما قاسم، الزهيري وأخذ البقالي سيجارة بدوره وإن كان من باب الفضول، لأنه لا يدخن، ولم يبق بعيدا عن التدخين إلا عبد ربه، ولاحظ المهدي أنني لا أدخن مع أن كل الحاضرين شادون بأناملهم سيجاراتهم، ويتتبعون دخانها الصاعد إلى أعلى يتلوي، ورؤسهم مرتفعة إلى السماء، وكأنها بعد استنشاق أنوفهم لرائحة التبغ، وتعالى الدخان إلى أعلى، ترتفع نفوسهم إلى عالم آخر علوى، فتجلب الانبساط والانشراح والهناء، لاحظ أنني لا أحمل في يدي سيجارة كما يحملونها، ولا أعبّ دخانها كما يعبون، ولا أرميه من أنفي كما يفعلون، ولربما ظن أنني لا أسعد ولا أنشرح كما يسعدون وينشرحون، فما لبث أن أخذ سيجارة جديدة، وقدمها إليَّ ملحا كل الإلحاح في قبولها ــ لأنه لا يخرج من الجماعة إلا إبليس ــ وثنى عبد الرحيم علي ما قاله المهدي، وتضامن باقي الحاضرين معهما ضدي، والكل يضحك ويمرح، ويطالب بأن أدخن كما يدخنون، خصوصا واليوم يوم عيد، والعيد في السجن يختلف عن العيد في غيره من الأيام، والتدخين بعد أكل كبدة العيد، فيه نكهة، لا يمكن أن يأتي الزمان بمثلها، ولم يبق المهدي من العاجزين، بل بادر فأشعل واحدة من عود الكبريت، وألزمني أن أضع السجارة بين شفتي، ليلتئم شمل سجائر المجتمعين في هذه الزنزانة الضيقة، لم يسبق لي أبدا أن وضعت سيجارة في فمي، ولذلك فأنا لا أعرف كيف يمتص المدخنون سجائرهم، ليطلقوها عنيفة أو متئدة من أنوفهم، ولكنني قلت : هذا ما قدر الله عليّ في هذا اليوم المبارك السعيد، فلابد من الامتثال، وإلا قامت قيامة السجناء، ولربما يخلّون بالأمن العام داخل السجن، وتقوم قيامة المسجونين الآخرين، ولربما يحتج الكثيرون منهم، لأنهم لم يتمتعوا ويتلذذوا بأكل الكبدة

كما تلذذنا، ولم يدخنوا ويشربوا الشاي المنعنع كما شربناه، فتتطور الأحوال، وتعظم الأمور، وتضطر إدارة السجن إلى الاستغاثة بالجنرال لوكلير الذي استغاثت به الاقامة العامة، عندما ألقت القبض علينا، فيضيفون تهمة جديد إلى ملفنا، وتتضاعف مدة إقامتنا بالسجن، كما هي تتضاعف الآن، حيث أننا نحن الأربعة لازلنا لم يقرر في مصيرنا، فامتناعي عن التدخين ومشاركة إخواني المدخنين، أقل مافيه أنه يدفع المكروه، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتذكرت قصة حكوها عن أحد الصالحين، أن بعض مريديه زاروه يوم عيد المولد النبوي وكانوا صائمين، فصاح فيهم قائلا : إن هذا اليوم الذي أشرقت فيه الأنوار، بمولد سيدنا محمد المختار، لا يمكن أن نقضيه مثل ما نقضي بقية الأيام بل، لابد فيه من التزاور والتبريك، وتقديم التهاني لبعضنا البعض، والظهور بمظهر المستبشرين السعداء الفرحين، فلا يليق أن نكون صائمين غير متناولين لما لذ وطاب من المشروبات والمأكولات، فَرَحاً بمقدم النبي وولادته، وتوسيعا على الأهل والعيال والأولاد وزيارة الأقارب والأحباب، والأيام التي تليه كافية إن شاء الله لنتطوع فيها بالصيام تقرباً إلى العلي الكريم الديان) وهكذا انصَعْت لما طلبوه متى وإنْ لَمْ أَذُقْ له طعْماً.

المهدي بن بركة يعطي دروساً داخل السجن

كان الوقت وقت فصل الشتاء، ولعله كان شهر دجنبر 1944، ولم يبق لإطلاق سراح المهدي على ما أظن إلا نحو الشهر أو الشهرين، بينما كنا ننتظر ماذا سيقرون في مصيرنا، فالمهدي رحمه الله ألقى عليه القبض في شهر فبراير على ما أظن، وحكم عليه بسنة واحدة سجنا، قضى بعضها في زنزانة خاصة، وقضى الكثير منها كملحق بإدارة السجن، يساعدهم في الحسابات، وتسجيل ما يطلبه السجناء من مأكولات وغيرها من الأشياء المعروضة للبيع داخل السجن، وقد يتساءل البعض كيف ساغ للمهدي أن يزورنا في زنزانتنا يوم العيد، مع أن السجناء لا يتمتعون بأي حق قانوني يسمح لهم بمفارقة زنازنهم، والاتصال بغيرهم، إلا بإذن خاص من المحكمة، وتحت المراقبة الشديدة، ولكن المهدي كان له وضع خاص في السجن، وهذا الوضع لم يأته من المحكمة، وإنما من إدارة السجن نفسها، ومن مهنة أستاذية الرياضيات التي كان يتعاطاها، فغير خاف أنه تخرج من جامعة الجزائر كأستاذ في الرياضيات، ونبوغه في الرياضيات كان مضرب الأمثال في وقته، وبعد رجوعه من الجزائر، تعاطى لمهنة التدريس وكمتخرج في الرياضيات، عين أستاذا للرياضيات في «ليس كورو»•وهناك

ذاع صيته حتى في أوساط الفرنسيين الذين كان أبناؤهم يدرسون عليه في الليسي كورو، رغما من أن الإدارة الفرنسية كانت تعلم حتى العلم اتجاهه السياسي، ورغما من أن الفترة الحاسمة في تاريخ المغرب، وهي الفترة التي تقدمنا فيها بوثيقة المطالبة بالاستقلال، أدت به إلى السجن، فإن ما عرفه عنه بعض الفرنسيين ومنهم مدير السجن أو رئيسه عن طريق أبنائهم وبناتهم، جعلت المدير أو الرئيس يغتنم وجوده في السجن ليعطي دروسا في الرياضيات لابنه أو بنته، وهكذا دعي المهدي ليكون ملحقا بإدارة السجن لتحصل منه الفائدة مزدوجة، فهو يساعد الموظفين الإداريين في بعض الأوقات، وهو يعطي الدروس لبنت أو ابن المدير في أوقات أخرى، وهذا ما قربه إلي المدير، وهو ما أعطاه بعض الامتياز داخل السجن، ومساعدة المسؤولين له في بعض ما يطلبه منهم، وهذا هو الذي سهل عليه أن يزورنا يوم العيد، ليقضي معنا ساعة من أسعد ساعات العمر، رحمه الله.

ازدياد ابنتي «كريمة»



بنيتي كريمة

من الذكريات ما لا ينسى أبد الدهر، خصوصا إذا كان لتلك الذكرى وقع في النفس، وتحريك للعاطفة المتأججة في القلب، ومن تلك الذكريات التي أشعر من ذات نفسي كأنها وقعت بالأمس القريب، مع أنها قد مضى عليها أزيد من خمسين سنة، وصول خبر ازدياد ابنتي كريمة» كان ذلك في شهر غشت من سنة 1944، وقد مضى على وجودي في السجن سبعة أشهر، كنا خرجنا من أزمة الجوع التي طالت نحو الشهرين، سمح لأسرنا أن تمدنا ببعض الأكلات، أحيانا مرة واحدة في الاسبوع مثل بقية المساجين، واحيانا أخرى تصل لبعضنا أكلة يومية خصوصاً في شهر رمضان، وكانت عادتنا أن نؤخر الغداء أو العشاء، حتى تقفل أبواب الزنازن، حيث نتجمع جماعة أو جماعتين أو أكثر، حسب عدد الأفراد الموجودين في الزنزانة، وكانت جماعتنا الخاصة تضم : عبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري ومحمد البقالي، ولربما كان معنا غيرهم، وكانت والدتي وزوجتي رحمهما الله، لا يستقر لهما قرار، ولا ترتاح نفسهما إلا إذا وجها لي يوميا طعام الغداء، أو الافطار في رمضان، مع شاب صغير

كان يشتغل معنا في البيت، ويتقد ذكاء وحيوية ونشاطا، وكان له من الاهتمام بي، وبايصال الأكلة إلى في الوقت المحدّد، ما كان يلفت الأنظار، فمن الصباح الباكر، وهو ينادي عليهم في البيت، هل أعددتم الأكلة «لعزيزي» ليكون موجودا في الوقت المناسب ؟ وبتاريخ 30 غشت 1944 الموافق لليوم العاشر من رمضان 1956. ضاء بيتنا بازدياد مولودة مباركة سعيدة، أدخلت السرور والحبور على جميع أفراد الأسرة، وبالأخص والدتها التي رأت فيها صورة طبق الأصل لزوجها المعتقل من طرف السلطات الاستعمارية، لقد تغيرت أجواء بيتنا بازدياد هذه المولودة، وأتى إلى بيتنا أعمام المولودة وأخوالها ليقدموا التهاني والتبريكات للزوجة النفساء، ولوالدتي العزيزة، ولجدّ المولودة وجدتها من طرف أمها، لقد تغيرت ملامح البيت، ودبّ فيه النشاط، ونسي الجميع الهموم ولو لبضع ساعات، ونادى عليهم الشاب الصغير المكلف بإيصال طعام الإفطار إلى في السجن قائلا : لا تنسو أن السجن يقفل أبوابه إثر صلاة العصر مباشرة في هذا الشهر الذي هو رمضان، وإذا لم أتمكن من الوصول إلى السجن قبل ذلك، فسيبقى «عزيزي» دون إفطار، و لم يمض إلا وقت قليل حتى كان الشاب آخذا طريقه إلى حي الرمل، حيث يركب القارب (الفلوكه) التي تقله إلى ضفة الرباط، ومنها يأخذ طريقه إلى السجن قرب قصبة الأوداية. (سجن لعلو) كان الشاب واقفا بباب السجن في الوقت المناسب، حيث دفع للحارس المكلف بحيازة الطعام الذي أتى به، ليوصله إليّ، فأخذت الطعام ووضعته في ركن الزنزانة في انتظار أن يصل وقت الإفطار، ووقت الإفطار في شهر غشت يطول، فلابد من الانتظار الطويل، لا لتقفل علينا الأبواب فحسب، ولكن لنبقى ننتظر غروب الشمس، وسماع طلقات المدفع المنبىء بدخول وقت الإفطار.

كل واحد منا كان يملأ وقته بما يريد، فلقد كانت عندنا بعض كتب المطالعة، وكان البعض يأخذ في بعض الألعاب الورقية، كنت أقضي كثيرا من أوقاتي، إما في المطالعة وإما في تلاوة القرآن سرا، ومن نعم الله عليَّ التي أشكره عليها، أنني لم أنس القرآن، بل بقيت حافظا له، مداوما على تلاوته، سواء في أيام السراء أو أيام الضراء. والقرآن الكريم أنيس من لاأنيس له، مسلي من لامسلى له، مجلى ظلمات النفس، وموعظ من أراد الله به خيرا أن يتعظ به، فرجائي من ربي تعالى أن يوفقني للتدبر في معاني القرآن، والسير على منوال تعاليمه وتوجيهاته في حياتي، إنه مجيب الدعوات.

آذن وقت غروب الشمس، فصرنا نهيىء إفطارنا، ونرهف سمعنا لطلقات المدفع، المنبئة بحلية الافطار، أطلقنا الإزار الذي كنا نأكل عليه، أمامنا، ورتبنا المأكولات التي كانت عندنا من حريرة وتمر وماوصلنا من طعام، وما أن سمعنا طلقات المدفع، حتى

ابتدأنا إفطارنا ببعض التمرات، وثنيناها بشرب الحريرة، ثم تناول واحد من الإخوة خبزة من الخبزتين اللتين جاءتا من بيتي، وصار يقسمها بيننا نحن المتحلقين حول (السفرة) إن صح أن نعبر عن الإزار المفروش أمامنا بهذا التعبير، وتناولت قطعتي من الخبز لأشرع في الأكل، لاحظت في جنبها شيئا بارزا بعد الشيء وغير عادي فدعاني الفضول لمعرفة ما يكون، فإذا هي ورقة صغيرة جدا ملوية ليا دقيقا جدا في حجم أو شكل عود أو إبرة غليظة، ومحشوة في جنب الخبزة بمهارة حتى لا تكتشف ولا يشعر بها ولا يتبينها أحد، مهما دقق النظر، لا يتجاوز طولها خمس سنتمترات وعرضها أقل من ذلك جذبت تلك الوريقة الصغيرة جدا، فإذا فيها كتابة بخط صهري المرحوم عبد المجيد الجعيدي، يخبرني فيها باقتضاب كبير بأنه ازدادت لديّ بنت في نفس اليوم ويبارك لي ويهنئني بسلامتها وسلامة أمها، وما كدت أتمم قراءة تلك الكلمات المقتضبة، حتى صحت في إخواني بصوت جهوري : خبر سار، خبر سار، ماذا تقول ؟ لقد ازدادت لدي في هذا اليوم مولودة سعيدة، انبتها الله نباتا حسنا، صاح الجميع ومن أبلغك الخبر في هذه الساعة ؟ أطلعتهم واحدا واحدا على الورقة، وهم يتعجبون كيف اهتدى مرسلها إلى طريقة توجيهها بهذه السرعة، ويهنئوني بدورهم بمولودتي الكريمة صانها الله وأكرمها. ومضت ثلاثة أيام أو أربعة، ليزورني في السجن واحد من أقاربي، ولعله صهري عبد المجيد رحمه الله، ليسألني عن الاسم الذي اخترته لمولودتي العزيزة فقلت : سموها «كريمة» فلقد أكرمني الله بها، ولم يأت هذا الاسم الذي اخترته لكريمتي دون إيحاء من ربي، فلقد كنت في ذلك الأسبوع أقرأ شفاء القاضي عياض بشرح (القارى) على ما أظن، وبينما أنا أنتقل من باب إلى باب، ومن موضوع إلى موضوع، إذ أقف من جملة ما أقف عليه على محدثة عالمة شهيرة، روت للبخاري وغيره إن لم تخنّي الذاكرة، روى عنها القاضي عياض، وترجم لها شارح الشفا : العلامة القارى المذكور، فأخذتني حياتها أخذا، وتعرفت إلى علمها ونسكها ودرجتها في رواية الحديث. اسمها «كريمة المروزية» منسوبة إلى مدينة «مَرْو» وقالوا عنها إنها عاشت أزيد من تسعين سنة، ولم تتزوج قط، بل وهبت نفسها وكليتها ووقتها لحديث سيدي رسول الله ﷺ، وهكذا عندما خبرت بازدياد ابنتي، قررت أن أسميها «كريمة» تأسيا وتبركا بهذه المرأة العالمة المومنة المهتمة بحديث سيد الخلق أجمعين، وهكذا أسموها كريمة كما قررت، وهكذا نشأت نشأة صالحة، أدعو الله أن يبارك في عمرها ويجعلها من الصالحات آمين.

ومادمتُ تحدثت عن ميلاد ابنتي «كريمة» وخبر وصول ولادتها إليّ وأنا في السجن، فلأذكر أني لم أرها للمرة الأولى إلا بعد مضي بضعة شهور، لم أرها ولم أقبلها وأنا



صورة أم كريمة حرم المؤلف
التقطت لهما قرب جمرة العقبة
بمنى



صورة صهر المؤلف
المرحوم سيدي عبد المجيد الجعيدي



صورة الولد الذي كان يوصل
طعام الإفطار إلى المؤلف
في رمضان في السجن واسمه عبد الواحد

معها في بيتنا وإنما رأيتها لأول مرة، وأنا بباب محكمة «سلا» حيث أني كنت دعيت للاستنطاق من طرف خليفة الباشا عبد الرحمان الصبيحي مع المندوب المخزني الفرنسي، وبعد خروجي من المحكمة، كان جمهور من الوطنيين، واقفين ينتظرون خروجي وكان أفراد من أسرتي واقفين أيضا ينتظرون رؤيتي، ووسط الزحام كان واحد من أفراد الأسرة في يديه المولودة الصغيرة «كريمة» وهي لم تبلغ الشهرين أو الثلاثة أشهر من عمرها، فاقترب مني وحاذاني لأنظر وجهها المشرق وأقبلها بسرعة تحت رقابة الحراس الشديدين، دون أحملها أو أضمها إلى صدري على الأقل، ثم أغادرها إلى السجن لأغيب عنها نحو العام أو أكثر أو أقل، لست أدري بالضبط.

وبالمناسبة أذكر أن ضرسا، كانت تؤلمني ألما موجعا وأنا بالسجن، فاغتنمت فرصة وجودي بالمحكمة، لأطلب من الذي استنطقني أن يعطي تعاليمه للمسؤولين في السجن، كي يسمح لي بزيارة طبيب أزيل الضرس التي توجعني كثيرا، ولا تتركني أرتاح أو أنام بالمرة، وهكذا هداه الله بالفعل فبعد رجوعي إلى السجن ومرور يوم أو يومين أخذني حارس مزود بالسلاح إلى مصحة تقع بحي سيدي فاتح بالرباط، حيث استقبلني ممرض (لا طبيب) فأجلسني فوق مقعد عادي، ثم أخذ قطعة من قطن، غمسها في مائع، لعله مخدر بعض الشيء، ثم وضعها فوق ضرسي، وأخذ «كلاّبا» ولست أدري أسمَّى الله أم لم يسمّه، ثم ضغط بأصابعه على الكلاّب، لينزع الضرس من مكانه، وأحمد الله أن قوّاني وثبتني، فتحملت آلام النزع. دون أن يقع ما يكدر، الأمر الذي جعل الممرض يهنئني على تحملي وصبري، وعدت إلى السجن مع الحارس، حامدا الله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

زيارة ابني خالد لي في السجن

ذكرى أخرى عاطفية تذكرتها، بعد كتابتي لما ذكرته سابقا، وهي تتعلق بابني الأكبر «خالد» أصلحه الله، لقد ازداد «خالد» يوم 13 ذي الحجة 1361 الموافق 22 دجنبر 1942، ولدى دخولي إلى السجن، كان عمره لا يتجاوز العام الواحد وتسعة وثلاثين يوما، وبالرغم من صغر سنه، فقد كان متعلقا بوالده، أكبر تعلق، ناطقا باسم «بابا — في كل وقت وحين، وكان يبلغني ذلك وأنا بالسجن، فتتحرك عاطفتي طبعا، وأتمنى لو رأيته وناغيته ولاعبته (والمال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولكن (الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) بلغ «خالد» العامين وأنا بالسجن وكان يردد كلمة

«بابا، بابا،» في كل الظروف، وذات يوم قرر خاله أن يزورني بالسجن، فبعد حيازته الإذن بالسماح بزيارتي، وكانت وسيلته للذهاب إلى الرباط، دراجة هوائية، فتعلق به «خالد» ليذهب معه لزيارتي، فما وسعه إلى أن أركَبَه خلفه في الدراجة، والتي كان يسميها «بوكليتا» ووصلا إلى سجن الرباط، ونادى الحارس عليّ وأنا بزنزانتي ثم أخذني إلى القفص الحديدي (PARLOIR) حيث وجدت صهري مولاي عمر، واقفا وراء الشباك بجانبه الطفل الصغير «خالد» كذلك وما أن سلم عليّ الصهر، وما أن صرت أخاطب ابني الصغير وأناديه، وأفرح به، وهو ينظر إليّ بشوق، ويريد أن يرتمي علي، والحراس ينظرون إليه بعطف وحنان، وضاق الطفل من حرمانه من عناقي وتقبيلي، واغتاظ أشد الغيظ من الشباك الحديدي، الذي يحول بينه وبيني، فصار يدفع ذلك الشباك برجليه، ويديه، يريد أن يتقدم ليعانقني وانطلق يبكي ويبكي حتى حنّ لبكائه الحراس، وأشفقوا عليه، وعلى أبيه، فخرج أحدهم من القفص وحمله بين يديه، ليدخله إلى السجن، ويلتحق بي من الجهة التي كنت فيها في القفص، ليعانقني، فأقبله وأعانقه، وأطفىء ظمأه وظمئي بعناق حار، منبعث من عاطفة متأججة، وحبّ أبوي عنيف وشوق طاهر نقي، من ولد صغير محروم من والده نحو العامين.

إطلالة خاطفة على بلافريج في زنزانته

انقطعت عنا ونحن في السجن أخبار ومصير الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلا فريج، الذي قامت قيامة مختلف الطبقات الشعبية لدى إلقاء القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية، فعمت المظاهرات والإضرابات كثيرا من المدن المغربية، وارتاع الفرنسيون من قوة وتنظيم هذه المظاهرات، فقاوموها بالعنف والشدة والقساوة والرصاص، وسقط الشهداء صرعى في كل من الرباط وسلا وفاس وغيرها، واحتلت الجيوش الفرنسية أحياء هذه المدن وأزقتها وحتى سطوحها، وتوالى إلقاء القبض على الوطنيين ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية والمدنية، إلى غير ذلك من الأحداث التي تعرضنا ونتعرض لها في هذه المذكرات بحول الله.

أقول انقطعت عنا أخبار بلا فريج منذ إلقاء القبض عليه، وذات يوم وأنا بزنزانتي في سجن الرباط، ضمن عدد من إخواني المسجونين، فتح أحد الحراس باب الزنزانة، وكان الوقت بعد الزوال، والسجن هادىء من كل ضوضاء، نظرا لأن الوقت وقت راحة فنادى عليّ الحارس قائلا : إئت معي، ثم قفل الباب بهدوء، وأخذني معه أمام

باب زنزانة قريبة مني، حيث فتح النافذة الصغيرة الواقعة في الباب، والتي يراقب الحراس منها المسجونين في الزنزانة، ويطلون عليهم، سواء في الليل أو النهار، وقفت أمام النافذة الصغيرة لأجد الحاج أحمد بلا فريج، واقفا داخل زنزانته، وكأنه ينتظرني، كانت مفاجأة سارة لي، حيث اطمأننت لوجوده وصحته رغم ما عاناه من محن — الله بها عليم — ابتسم على عادته رحمه الله لرؤيتي، وانبسط كثيرا لسلامتي، بادرت فخاطبته قائلا : طمّني أولا على صحتك، فأجاب أنا بخير والحمد لله، قلت له : كيف تعامل الفرنسيون معك عند إلقاء القبض عليك، هل عذبوك وضربوك أثناء الاستنطاق، مثل ما فعلوا مع الآخرين ؟ فأجاب : لم يكن ضرب ولا تعذيب، ولكن هناك تعذيب نفسي، ومعاناة كبيرة أثناء الاستنطاق الذي دام ليلا ونهاراً دون توقف، وقلت له : وماذا استطاعوا أن يحصلوا عليه منك ؟ فأجاب : لم يستطيعوا أن يحصلوا على أي شيء. صار الحارس المغربي، يستعجلني لإنهاء الحديث، فلم أستطع أن أتبادل معه من الحديث أكثر من هذا، فودعته مسرعا، ليرجعني الحارس الى زنزانتي، لأحكي لإخواني ما جرى بيني وبين بلا فريج من حديث قصير ولأطمنهم على صحته، ولم تمض إلا أيام بعد ذلك، حتى بلغنا أن بلا فريج نفته السلطات الاستعمارية إلى كورسيكا.

انتقالنا من سجن الرباط إلى سجن العذير

مكثنا في السجن المدني بالرباط نحن الأربعة : 1) أبو بكر القادري 2) عبد الرحيم بوعبيد 3) قاسم الزهيري 4) محمد البقالي نحوا من عشرة أشهر دون محاكمة، وذات يوم بعد مرور المدة المذكورة استدعينا إلى المراقبة المدنيّة بمدينة سلا، ولست أدري كيف قابلنا أحد المسؤولين الفرنسيين ؟ ولكني أذكر أننا قضينا ليلتنا بسجن المراقبة، وكان يسمّى «بيهي» وإطلاق إسم «بيهي» على السجن الصغير بالمراقبة المدنيّة، يعود إلى أن المسؤول عن ذلك السجن كان يدعى «بيهي» فأُطلق إسم المسؤول عن المعتقل، على مكان الاعتقال، فكان المراقب المدني أو المندوب المخزني إذا ما أرادا اعتقال شخص اعتقالا موقتاً، يأمران بإرساله إلى «بيهي» ريثما يُنظر في أمره، ولقد سبق لي أن تشرفت بالإقامة في هذا السجن الصغير، قبل هذا التاريخ، وهو عبارة عن بيت يقع في طَرف من أطراف المراقبة المدينة، مسامتا ملتصقا بسور المدينة القريب من باب الخباز (أبو خبزة) ولا يشتمل لاعلى فراش ولاماء ولا حتى مرحاض، وكان يكدس فيه السجناء



الابن خالد القادري الذي زارني في
السجن وهو في الثانية من عمره

تكديسا، قضينا ليلة كاملة في هذا المعتقل قبل أن نقدم إلى خليفة باشا سلا الثاني عبد الرحمان الصبيحي قبل أن نُحال بعد ذلك على محكمة الجنايات بالرباط، وبينما نحن جالسون في ركن من أركان السجن المذكور، إذ فتح علينا الباب، فدخل علينا المرحوم عبد السلام بنسعيد من شباب الحركة القومية، وكان من الذين وقع اعتقالهم في الأحداث، ثم أفرج عنه، ولقد ذكر لنا أنه طلب رخصة من المسؤولين ليزورنا ويطمئن علينا ؟

أحلنا على محكمة الجنايات بالرباط، وبعد استنطاقنا بحضور محامينا وكان من بينهم المرحوم إدريس المحمدي الذي قال لي بعد سراحي من السجن إنه اعتمد على الأجوبة التي أجبنا بها لدى استنطاقنا، ومن جملتها استنادنا إلى المواثيق الدولية للمطالبة بالاستقلال، والتي منها الميثاق الأطلسي الذي يضمن الحقوق للشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، اعتمد على كل ذلك أثناء مرافعته للمطالبة بإطلاق سراحنا. ولكن قرار السجن والمدة، كانا اتخذا في غيبة عن الحكام المغاربة، وكان دورهم الوحيد أن يبلغونا ما قرره الأسياد الفرنسيون، وهو قضاء سنتين في السجن لكل واحد منا.

لم نكن في الواقع نعبأ بهذا، فسواء أكانت مدة السجن سنة أو سنتين أو أكثر من ذلك، فإننا ما ولجنا هذا المعترك حتى كنا مستعدين لتحمل عواقبه، مهما كانت قاسية وبعد، صدور الأحكام علينا، أرجعونا إلى السجن المدني بالرباط في انتظار نقلنا إلى سجن «العذير» قرب مدينة الجديدة، مارين في طريقنا إلى السجن المذكور على سجن الدار البيضاء لست أنسى ذلك الصباح الباكر الذي نودي علينا فيه أن نتهيأ للرحيل، إلى أين ؟ لسنا ندري، إنما الذي علينا أن نهيىء أنفسنا للانتقال، ونأخذ معنا ماكان مودعا لدى إدارة السجن من ساعاتنا اليدوية وبعض الدراهم المعدودة التي كانت لدينا في الصندوق، ونخرج تحت حراسة الحراس إلى باب السجن لنجد سيارة من سيارات السجن المقفلة، وهي تشبه سيارة رجال الأمن التي تكون جوانبها أو نوافذها بالأحرى مغلقة بشبابيك حديدية، وكراسيها من خشب صلب، يؤلم مقعد الإنسان الجلوس عليه، خصوصا إذا كان نحيف الجسم، وفي مقدم السيارة جلس حارسان مسلحان، بالإضافة إلى «سائق السيارة الذي هو حارس أيضا. وفي مؤخر السيارة كرسيان، جلسنا نحن الثلاثة : أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري في الكرسي الأمامي أما المقعد الخلفي فجلس عليه محمد البقالي، ولست أتذكر أكان معه مَحمد الناصري أم لا ؟ في المقعد الأمامي من مؤخر السياراة، كنت جالسا في الوسط، وعن أحد جانبي عبد الرحيم بوعبيد، وفي الجانب الآخر قاسم الزهيري، ويدي اليمنى مرتبطة بالسلسلة

الحديدية. مع واحد من الأخوين، ويدي اليسرى مرتبطة بالسلسلة أيضا مع يد الآخر، أما يدا الأخوين الأخريين، فهي مربوطة بقضيب حديدي في نافذة السيارة، وانطلقت السيارة باسم الله مجراها ومرساها، متجهة في طريق الدار البيضاء، ونحن رغم كل هذا في غاية النشوة والانشراح، فلقد مضت علينا أيام وأسابيع، وقبلها شهور، لن نشم فيها هواء الصباح العليل، ولم نر فيها المارَّة في الطريق، والآن هانحن نرى الناس يمرون أمامنا، فيهم من يمشي مسرعا إلى عمله، وفيهم من يمشي مشيا متئدا، وها نحن نرى بعض النساء يسرن في الطريق، يا للعجب ! لازالت النسوة موجودات يمشين على البسيطة، لقد افتقدنا حتى النظر إليهن، ولو من بعيد طوال عشرة شهور، صرنا ننكث ونطلق التعاليق مع بعضنا، وكأننا نشطنا من عقال، وانطلقت أفتح نشيدا كنت أحفظه منذ مدة، وانطلق إخواني يرددونه معي، بصوت شبه جهوري، وكأننا في نزهة وساعة مرح، والنشيد لساعر سوري لعله حليم دموس، ولعله لغيره، يقول الشاعر في قصيدته عن السجن :

ياظلام السجن خيم   إننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل إلا   فجر مجْدٍ يتسامى
أيها الحراس رفقا   واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء   منه كان حراما
إيه يادار الفخار   ومقرَّ المخلصينا
قد هبطناك شبابا   لايهابون المنونا
وتعاهدنا جميعا   حين أقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوما   واتخذنا الصدق دينا
يارنين القيد زدني   نغمة تشجي فؤادي
إن في صوتك معنى   للأسى والاضطهاد
فاشهدن يانجم أني   ذو وفاء ووِدادي
لست والله بناس   ماتقاسيه بلادي

سارت السيارة، ونحن لاندري أين تتجه بنا وأخيرا وجدنا أنفسنا أمام باب سجن (غبيلة) بالدار البيضاء، حيث فتحت أبواب السجن أمام سيارتنا، لننزل منها ويأخذنا الحراس إلى زنزانة كبيرة، لاوطاء فيها ولاغطاء، ثم يقفلون علينا الباب، دون أن ينبشوا ببنت شفة أمامنا، لقد قضينا مدة عشرة أشهر في سجن الرباط، وكان لنا حصير للنوم

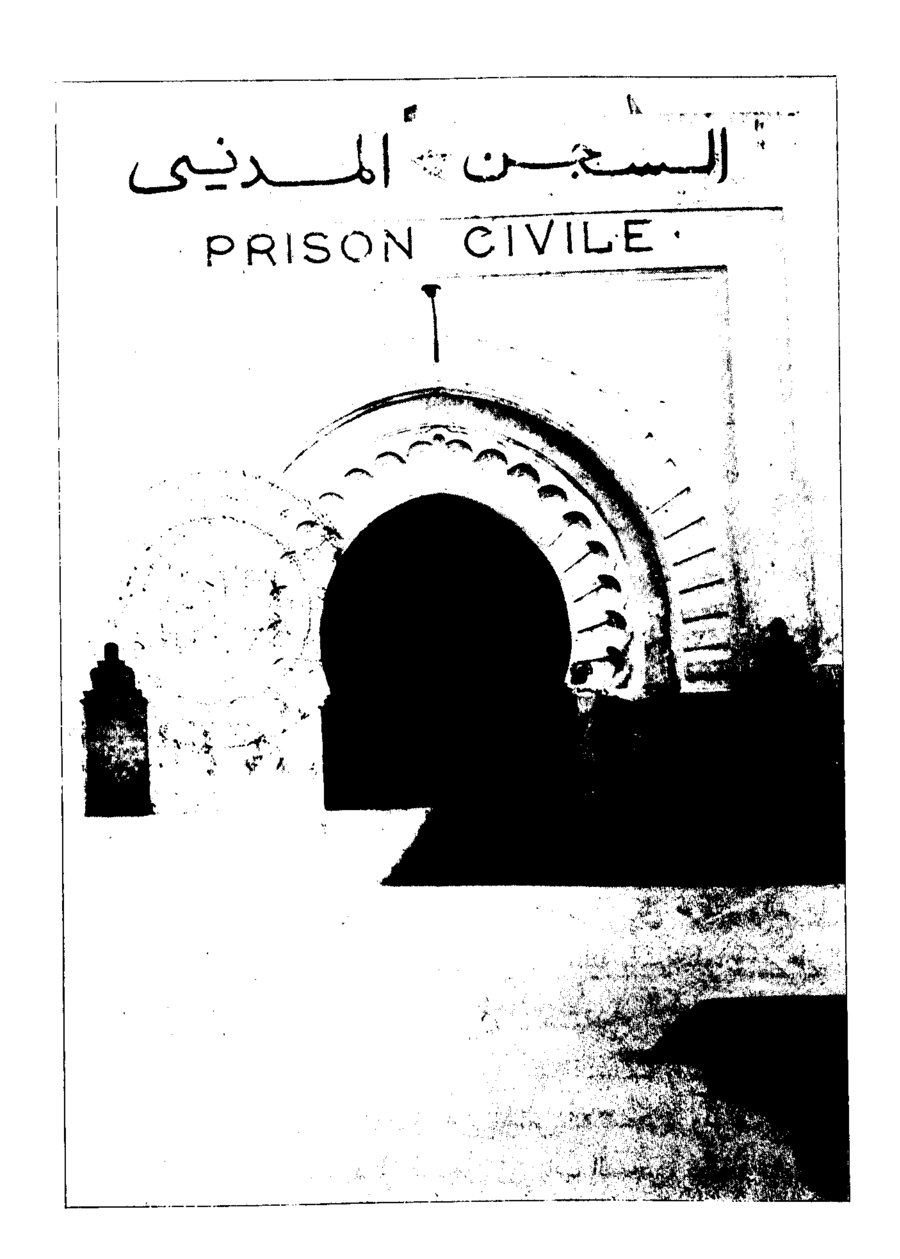
وكاشة (ملاءة) للغطاء، وها نحن افتقدنا هنا حتى الأقل القليل مما نتقي به البرد القاسي، وهل ستبقى الحال هكذا ؟ كنت لابسا جلبابا غليظا بعض الشيء، وكان لونه أخضر زيتي، كان اشتراه لي صهري سيدي عبد المجيد الجعيدي رحمه الله من الأثواب التي كان يبيعها الجنود الأمريكيون في مدينة القنيطرة، وكان على كتفي سلهام أسود من ثوب يسمى بالملف فلم يسعني إلا أن أنزل السلهام (برنس) من فوق كتفي، وأطلقه بجناحيه، فوق الأرض لنجلس جميعاً فوقه، اتقاء لبعض البرد، جلسنا نتحدث مع بعضنا دون جزع أو تشكٍّ، وقضينا ليلا على تلك الحالة، وفي اليوم الموالي أخذونا مرة أخرى إلى باب السجن، ولمحت في طريقي المرحوم محمد المدور وسط ساحة السجن حيث وجدنا سيارة بوليسية تنتظرنا لتقلنا إلى سجن العذير، قرب مدينة الجديدة.

وقبل أن أتحدث عن وصولنا لسجن العذير، ومقامنا فيه، لابد أن أعطي فكرة ولو مختصرة عن سجن البيضاء الذي قضينا فيه ليلتنا، ثم رجعنا إليه بعد قضاء فترة زمانية — نسيت مدتها — بسجن العذير.

في سجن غبيلة

سجن «غبيلة» إن لم تخني الذاكرة يختلف كل الاختلاف عن سجن الرباط بمرتفع «لعلو»، فسجن لعلو بالرباط لم يبن أساسا كمقر للسجناء، باستثناء القسم الأوربي فيه، وإنما كان على ما يظهر معدا لخزن وادخار بعض المعدات الحربية من بارود وغيره، وكان يشتمل على غرف كبرى مظلمة، وليس فيها إلا طاقات في سقوف البيوت، تعطي بعض الضوء، كما أنها لاتشتمل إلا على مرحاض واحد في كل غرفة، والداخل لتلك الغرف الكبرى يشعر بضيق كبير خصوصا إذا كانت ممتلئة بالسجناء، ومدخل السجن ضيق ومظلم، ولايستثنى من هذا الوصف إلا الجناح الأوربي العلوي، الذي قضينا فيه بعض المدد ونحن بالسجن.

أما سجن «غبيلة» فقد بني في الأصل على أساس أنه سجن، ولذلك فإن هندسته تختلف عن سجن الرباط، فعندما يصل السجين إلى باب السجن، يواجه بباب حديدي أول، تليه ساحة صغيرة (إن لم تخني الذاكرة) ثم يواجه بباب ثان حديدي أيضا، وبجانبه بعض المكاتب للمدير والرئيس (الشاف) والحراس الذين يستقبلون الضيوف السجناء بمنتهى مايكون من الاعتبار، فيخففون عنهم الاثقال، ويأخذون كل مافي جيوبهم من دراهم وأوراق وأقلام، وينزعون من أياديهم الساعات إن كانت في أيديهم الساعات،



مدخل السجن المدني بالدار البيضاء
الذي اعتقل فيه المؤلف عدة مرات

ويأخذون منهم الكتب إن كان في أيديهم كتاب، ولايبقون لهم إلا الملابس التي على ظهورهم في انتظار أن تنزع هي بدورها بعد ذلك.

بعد الإجراءات التي تجرى على كل سجين لدى دخوله إلى السجن، أخذنا الحراس إلى الزنزانة التي استقررنا فيها مؤقتا. في انتظار نقلنا إلى سجن العذير، قرب مدينة الجديدة حسب ما ذكرت قبلا، مررنا بممر كبير طويل متسع لا تلاحظ فيه إلا بعض أبواب حديدة مغلقة، ومن جملتها باب يدخل إلى الحمامات التي يستحم فيها المسجونون ثم توجد ساحة مسقفة وفي جانبيها ممرات تؤدي إلى زنازن السجناء، والزنازن متنوعة فمنها المتوسطة والكبرى والصغرى، والزنزانة التي قضينا بها ليلة واحدة، متوسطة ووجدناها ساعة دخولنا غير مفروشة لابحصير ولابغيره، كما أشرت إلى ذلك من قبل. في صباح باكر، نودي علينا أن نستعد لمغادرة الزنزانة التي قضينا بها ليلتنا، ثم امتطينا سيارة السجن تحت حراسة الحراس وبعض رجال الأمن، وكما وقع من قبل، قيدت أيدينا بالحديد، وربطت بالسلاسل، ثم قصدت السيارة السجن الفلاحي الواقع بين آزمور والجديدة ــ وفي هذا السجن أعدم كثير من المقاومين

بمجرد ماوصلنا لجنبات السجن، أخذونا إلى غرفة كبيرة، وأمرونا بنزع ثيابنا كلها بما فيها التبان القصير (Slip) فبقينا عراة كما خلقنا ربنا، والواقع أنني ترددت كثيرا في نزع الملابس الخفيفة ومنها التبان، ولكن الأوامر كانت نهائية، ولاتقبل المناقشة، وبالرغم أن الفصل فصل شتاء، والبرد قارس، فإن تطبيق الأوامر لاهوادة فيها، بعد نزع الملابس أخذونا إلى الحمام (الدوش) ونحن نرتعش)، حيث صُبَّ علينا الماء، ونسيت أن كان باردا أم دافئا ثم رجعنا إلى غرفة الملابس، حيث لبسنا ثيابنا، واسترجعنا أنفاسنا، لقد كنت في تلك اللحظات شبه موقن، بأن نزلة بردية ستلحقني، لأني لم أكن متعودا أصلا على العرى في رياضة ولا في غيرها، فلقد نشأت في صغري نشأة محافظة، إن لم أقل متزمتة، ولذلك لم أتعود لا على سباحة ولا على لعب رياضة ولاغيرهما، ولكن الله وقاني شر النزلة البردية، وحفظني من مضاعفاتها.

في زنازن المجرمين

أخذونا بعد ذلك إلى الزنازن الكبرى، المخصصة للمجرمين الكبار، وزيادة في الانتقام والكره، فرقونا على تلك الزنازن، حتى لانبقى مستأنسين ببعضنا، فأدخلت إلى زنزانة كبيرة جدا، وكان بها على ما أظن مايتجاوز الثمانين سجينا من أجل جرائم مختلفة، وبمجرد

مادخلنا إلى الزنزانة صاح الحارس الذي كان بجانب رئيس السجن : «فيكس» فقام جميع السجناء، ونزعوا طاقياتهم التي على رؤوسهم وجعلوها في أيديهم، قاموا مرتبين كل واحد واقف في مكانه، وخاضع لسلطة (الكابوران) الذي يتحكم فيهم كما يشاء، وهو من السجناء القدامى الذين حكم عليهم بالمدة الطويلة جزاء الجريمة التي اقترفها، وكل زنزانة كبرى من الزنازن عليها (كابران) يتحكم فيها، وتكون سلطته أكثر من سلطة الحارس الرسمي ولايعلوه في السلطة إلا (السرجان) والسارجان في سجن العذير هذا، كان يسمى إن لم تخني ذاكرتي «تِيوْ، تِيوْ» وهذا السرجان يتحكم في مختلف «الكابرانات» وكلمته مسموعة عند إدارة السجن، سواء لدى مدير السجن أو رئيس السجن، وهو يطوف على الزنازن كلها بحرية تامة، وكأنه رئيس للسجن، وكل السجناء يهابونه، ويحكون، ويحكون عنه قصصا لاتخلو من سفاهة، ولربما يعتبر عاملا من عوامل التحكم والاستقرار في السجن، نظرا للسلطة التي أعطيت له.

بقيت أنتظر ــ ونسيت أن كان معي أحد إخواني الأربعة، أم كنت وحدي ــ المكان الذي سيخصص لي مع السجناء الذين كانوا واقفين ينظرون باستغراب إلى هذا السجين الغريب من نوعه، والذي لم يلج الزنزانة مثل بقية السجناء العاديين، فلقد دخل معه الرئيس والحارس والسارجان، ثم قال لي «الكابران» خذ مكانك هنا وسط السجناء، وفي جانب من جوانب الزنزانة وهنا لاحظت ــ والحق يقال ــ أن السجناء ــ لم يكونوا ينظرون إلي شزرا، بل كانوا يتحدثون إلى بعضهم همساً وكأنهم سمعوا بالأحداث التي وقعت، وبالوطنيين الذين اعتقلوا، ولربما لاحظوا بعض المعتقلين الذين سيقوا إلى هذا السجن قبلنا.

أخذت مكاني بين السجناء بعد أن أعطوني (كاشتين) ملاءتين باليتين شبه سوداوين واحدة كفراش والأخرى كغطاء، وبمجرد ما أطلقت الملاءة الأرضية، لاحظت أن المجاورين لي من اليمين أو اليسار، يبتعدان بعض الشيء عن ملاءتي، وكأنهما يوسعان علي احتراما، فحمدت الله على ذلك، لأن هذا التعامل مع السجناء العاديين قليل، بل ربما يكون فيه بعض الاشمئزاز والاحتقار.

«إلى الخدمة»

قضينا يومنا الأول والثاني ربما داخل الزنزانة، لانغادرها إلا بضع دقائق في الصباح، وبضع دقائق في المساء لشم الهواء، وترييض الأرجل لم نغير ملابسنا التي جئنا بها، ولم يطلب منا أي خدمة كيفما كان نوعها.

وفي صباح اليوم الثالث على ماأظن ـــ بعد طلوع الفجر مباشرة، وقبل شروق الشمس نودي علينا أن قفوا، فامتثلنا بالطبع، فقدموا لنا لباس المسجونين، وطلبوا منا أن ننزع ثيابنا المدنية، ونعوضها بلباس السجناء، لاأكون مغاليا إذا ماقلت إن «الكندورة» والقميص والسروال التي قدمت لي كانت شبه خرق من كثرة البلى، فارتديتها طائعا أو مكرها وأنا مشفق على نفسي من لذعات البرد القارس، فالفصل فصل شتاء، ومنطقة الجديدة التي يوجد بها السجن منطقة بحرية باردة، وفيها رطوبة لاتحتمل، ولكن هكذا قدر الله، ولامراد لقضاء الله، لم يكن معي أي ثوب صوفي ـــ جيلي «مثلا أو وَنْدِيَّة صوفية حسب تعبيرنا المغربي، وإنما كانت معي فوطة أمسح بها وجهي عندما أتوضأ، فما وسعني إلا أن أجعل تلك «الفوطة» على صدري فوق القميص، وتحت «الكندورة» وأستعد للخروج مع السجناء إلى الخدمة، وبعد أن حازوا منا ملابسنا المدنيّة، أمرونا بالخروج إلى الساحة، ونحن مرتبون اثنين، اثنين، إلى أين سنذهب، وماهي الخدمات التي سيطلب منا أداؤها ؟ لسنا ندري، وقفنا ننتظر الأوامر بعض الدقائق، ثم صاح الحارس المكلف : سيروا، خرجنا من باب السجن راجلين، متجهين إلى جهة اليسار، ونحن نقفقف من شدة البرد، والكل صامت، ولانسمع إلا خطوات الأرجل تسير بسرعة وبانتظام، مثل ما يسير الجنود وماهي إلا نحو الساعة تقريبا، حتى كنا على ربوة في الطريق الذاهب إلى «الجديدة، حيث وقف الجميع، ومدت إلينا أدوات الخدمة، وهي عبارة عن عتل وفؤوس، لحفر الأرض، وزراعة بعض جذور الأشجار، وطفق بعض المسجونين يجمعون الحَطَب ويوقدون النار قصد التدفئة، وإطلاق الأيدي التي كثر انكماشها وتقلصها من كثرة البرد، وتحلقنا مع المساجين على النار نستدفىء بها، وفي الحين سمعنا أصواتا تتعالى صائحة : (الجنة للصابرين والنار للقوم الكافرين، ياجاه النبي) وبَدأت الأيدي تشتغل بالفؤوس والعتل، وأردنا أن نقوم بالواجب مثل بقية المساجين، ولكن المساجين غير الوطنيين، أشفقوا علينا، وألحوا كامل الإلحاح، أن لانتعب أنفسنا، وأنهم سيقومون بأداء واجبهم وواجبنا في الخدمة المطلوبة، احتراما منهم لإخوانهم الذين قدروا تمام التقدير، أنهم لم يأت بهم إلى السجن والاعتقال والعذاب اعتداء على أحد، أو القيام بسرقة، وإنما أتى بهم إلى السجن، دفاعهم عن المظلومين والمضطهدين، ورفضهم للاحتلال الأجنبي، ومطالبتهم بالاستقلال قضينا يومنا في العمل مع أخذ قسط من الراحة، ثم قفلنا راجعين في العشي لنأخذ أمكنتنا في زنازننا مع المسجونين، وجاء اليوم الموالي لنقوم بنفس الخدمة، وفي اليوم الثالث أو الرابع، تغير نوع الخدمة، حيث أخذونا إلى ساحات واسعة مزروعة بالقمح أو الشعير، وطلبوا منا أن ننقي الأرض من طفيليات،

لعلهم كانوا يسمونها «بالكرزاز» والشاق في هذه الخدمة هو أن السجين مطالب طلبا حتميا أن يبقى راكعا طوال وقت التنقية، دون أن يرفع رأسه، ودون أن يجلس على رجليه ولو كانتا قائمتين، والحراس من وراء السجناء يطوفون عليهم وهم راكبون على الخيول فإذا مارفع أي سجين رأسه، نادى عليه الحارس : إنحن واشتغل، والواقع أن هذا الانحناء أو الركوع أثناء الخدمة من أشق ما يتعب السجين الخادم، ويزيد في تعبه ان الطفيليات التي تنقي منها الأراضي المحروثة، يجب أن تنزع بجذرها، ولا يقبل مطلقا أن تقطع من أعلاها مهما كان الأمر، ويجب أن أسجل هنا أن الأرض ليست مخدومة ولذلك فإن نزع النبتة المغروسة فيها يكون متعبا، ولربما غير مستطاع بالمرة وأذكر أننا في إحدى المرات عندما وصلنا إلى الأرض التي سنشتغل فيها، وجدناها مغطاة غطاء كاملا بما يسمونه «بالجريحة» وهي تشبه البرد (بفتح الراء) فالمشي فوق الأرض وحده، يجعل الأرجل كأنها قطعة من الثلج من كثرة البرد، والبحث عن الكرزاز من خلال «الجريحة» أتعب من التعب.

لم نكن متضايقين — والحمد لله — ولامتبرمين من الخدمة، بل كنا نقابل ذلك بالصبر والثبات والرضى والاطمئنان والابتسام، وندعو الله أن يمدنا بالقوة والتحمل والصحة والعافية.

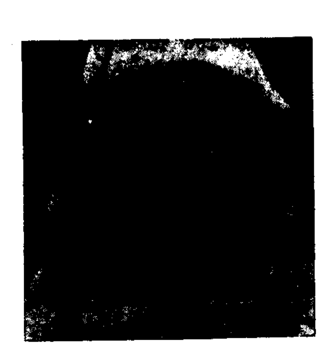
ذات صباح من الصباحات، خرجنا كالعادة للخدمة، ولكنها من نوع جديد، فلقد أخذونا على أرجلنا إلى شاطىء قريب من مدينة آزمور، لنجمع الحصى من الشاطىء، ونجعله في بعض الشاحنات لمصلحة البناء، مشينا ومشينا، تارة مسرعين، وأحيانا متأنين، والحراس معنا وفيهم بعض الفرنسيين هم المتحكمون ممتطون الخيول المطهمة، ونحن مساقون أمامهم كأننا بهائم. تعبت بعض الشيء في ذهابي، أما في الرجوع، فلقد أصبحت رجلاي وكأنهما قطعتان من شحم، فلم أتعود مطلقا أن أسير السير العاجل الساعات المتعددات، ربما فاقت خمس ساعات ذهابا وإيابا ولذلك، فإني عندما رجعت إلى السجن، شعرت وكأن رجلاي لم تبقيا من جسمي، ولولا أن أصدقائي بحثوا لي عن الماء الساخن، أكمد بها رجلاي، ما استطعت الوقوف أبدا حتى في الأيام الموالية، ولقد ارتاع لحالتي حتى الحراس والكبرنات والسارجان نفسه، وهكذا أعفيت من الخروج إلى الخدمة في اليوم الموالي، ثم أعفيت نهائيا وأنا وأصدقائي من الخدمة خارج السجن، واستبدلت لنا بخدمة غير متعبة كثيرا داخل السجن، وأذكر أن المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، أحيل على قسم التنظيف (التصبين) للملابس وكان السجناء يستعملون أرجلهم أثناء فرك الملابس لإخراج الأوساخ منها كما أن الأخ محمد البقالي، الحق بقسم

الخياطة ورتق الملابس الممزقة، ولعل المرحوم محمد إبراهيم الكتاني كان كابرانا على قسم من هذه الأقسام لأنه كان قد سبقنا إلى هذا السجن.

أثناء وجودنا بالشاطىء لجمع الحصى، جلسنا نستريح بعض الشيء من تعب المشي، أما جمع الحصى فقد أعفانا منه السجناء العاديون. وخلال هذه الاستراحة، أخرج المرحوم عبد الرحيم بوعبيد سجارات من جيبه، وسار يقدم لأصدقائه واحدة منها، وعندما اعتذرت بأني لا أدخن، ألح ــ كما فعل المهدي بنبركة في سجن الرباط ــ علي بضرورة أخد سجارتي مثل بقيت الأصدقاء، خصوصا والمنظر على شاطىء البحر يغري بالنشاط، والسجارة تحلو وتحلو عندما يتعالى دخانها أمام أمواج البحر المتعالية المتراطمة. فلم يسعني إلا أن أتناول السجارة من يده، لأجعلها في فمي، وإن لم أجد لها طعما، وإنما ترضية له، ومحافظة على جو المرح الذي كنا فيه في تلك اللحظات.

لدى رجوعنا مساء من الخدمات التي كنا نقوم بها خارج السجن، نمُرُّ على باب المطبخ ونحن في طريقنا إلى زنازننا، ويوجد جانب باب المطبخ نافذة صغيرة، يعطوننا منهما خبزة صغيرة من صنع محلي أي من صنع السجناء أنفسهم، وتحت النافذة على طول جدار المطبخ، وضعت في الأرض أواني صغيرة من فخار، واحدة، أمام الأخرى، وهي مملوءة ماء مغيِّر اللون، وبعض القطاني مثل العدس وبعض أوراق تسبح على سطح الماء المغير، ويسمونها بالصوبة (الشربة) وكل سجين يمر أمام المطبخ، ياخذ واحدة ويكون السجناء مرتبين الواحد وراء الآخر، يأخذ خبزته اليومية، ثم يحنى إلى الأرض ليتناول الآنية الفخارية التي فيها عشاءه. وكل هذا يسير بنظام محكم كل الإحكام، فلا تسمع ضجيجا ولا صخبا ولا تسابقا بين السجناء، لأن الأكلة موحدة، وغير متفاوتة مع بعضها. وذات عشية ونحن نمر أمام المطبخ لنأخذ أكلتنا المسائية، لاحظنا من بعيد في الجهة اليسرى حركة غير عادية في إحدى الزنزانات، ولربما رأينا بعض الوجوه أو بعض الوجهاء من إخواننا الذين التحقوا بالسجن بعدنا، وكانوا من فاس، فبعد ماقضوا مدة بأحد سجون فاس، أتوا بهم إلى سجن «العذير» وكانوا يمتازون عنا بكثير من الامتيازات، وأهمها أن أكلاتهم ترد عليهم من خارج السجن، وأن التعامل معهم يختلف كل الاختلاف مع ما كنا نعامل به من الضيق وقهر النفس، كما أن ملابسهم المدنية لم تغير وتبدل بالملابس البالية العتيقة. وكان من بينهم محمد الاغزاوي وعبد الكبير الفاسي وأحمد بنسودة والحاج عبد القادر بن المهدي العلج ومحمد بن سودة ومحمد الفاسي ومحمد الزغاري. بقينا على الحالة التي وصفت مدة نسيت عدد أيامها، لم يزرنا فيها أحد من أفراد أسرنا، ولم يرد علينا أي طعام من أحد، وإنما هي خبزة السجن وصوبة (حساء) السجن.

زيارة شقيقي عبد الله لي في السجن



مولاي عبد الله القادري
شقيق المؤلف

ذات صباح نودي علينا أن بعض أفراد أسرنا، قد زارونا فخرجنا إلى ساحة السجن، لنجد بعض زوارنا واقفين في صف واحد، الواحد بجانب الآخر، ينتظرون رؤيتنا والتحدث إلينا والبحث عن أحوالنا، ورأيت أخي الشقيق مولاي عبد الله القادري من بين الزوار، فوقفنا أمامهم بدورنا في صف ملتئم، كل واحد منا أمام من أتى يزوره، ولكن لايقترب منه، فبيننا وبين زوارنا الحراس يراقبون ويرقبون، لاحظت أن أخي عبد الله اكفهر لونه عندما رآني بتلك الثياب الرثة القاتمة التي كنت لابسا لها، فتأثر بعض الشيء، ولكني بذلت جهدي لأخفف عنه وأظهرت له أن قضية اللباس أو غيرها لاتهم في مثل هذه المواقف، والمهم أن يكون الجميع بخير وفي صحة جيدة، واطمئنان بال، وسألته عن والدتي وزوجتي وابني خالد وابنتي «كريمة» التي ازدادت وأنا بالسجن، كما ذكرت ذلك من قبل، استفسرته عن المدرسة وسيرها وعن الأحوال العامة، ورجوت منه أن يشتري لي حذاء غليظ النعلين، لأتقي به البرد أثناء فترة الخدمة، كما رجوته أن يبلغ سلامي لزوجتي وأمي ويقبل ابني وابنتي، وأن يطلب من والدتي بالخصوص أن لا تنساني من صالح أدعيتها ثم بعد ذلك ناولني بواسطة الحارس ماصحبه معه من مأكولات من صنع الوالدة والزوجة وودعني مثل ماودع كل زائر سجينه القريب منه.

لقد انتعشنا بزيارة بعض إخواننا وأسرنا لنا، وصرنا نستأنس بحياة السجن مع السجناء ونتتبع مايرد علينا من أخبار، وذات يوم وصلتني رسالة عن طريق البريد وجهها لي أحد المحامين الذين علمت بعد خروجي من السجن أن إخواني في الحزب نصبوه للدفاع عني وعن إخواني، كانت الرسالة مرقونة بالفرنسية، والمحامي يطلب مني فيها أداء واجب أتعابه في الدفاع عني فابتسمت لهذا الطلب، فأنا لا أطلب منه أن يدافع عني، وبالأحرى فإني في ظرفي الآني، لايمكنني أن أؤدي له أي شيء، ولعلي ـــ لأن القضية نسيتها بالمرة، ولم أتذكرها إلا وأنا أحرر هذه المذكرات أقول لعلي خبرت أحد زواري بالقضية، فعلمت بعد خروجي من السجن ولعل ذلك كان من أخي المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، أنهم سووا القضية مع ذلك المحامي الذي كان من جملة

الذين كلفوه بالدفاع عنا، لقد كانت رسالة المحامي المحررة بالفرنسية تحت يدي، ولعلها تكون ضمن بعض أوراقي المختلطة التي لم أهتد إليها أثناء كتابتي للمذكرات، وأحمد الله أنني نسيت إسم المحامي، وإلا لكنت ملزما بالإعلان عن اسمه.

نوادر وحكايات عن السجن والسجناء

النوادر والحكايات عن السجن والسجناء كثيرة ومتعددة، ولا أتذكر منها إلا أقل القليل، وحتى لاتبقى هذه المذكرات جافة وثقيلة، لايرد فيها إلا ما يعانيه السجناء من متاعب، أورد حكاية عن بعض السجناء العاديين كنا نراه صباح مساء يتجول داخل سجن العذير، وفي ساحته بالخصوص، ليجمع ما يسميه (بالبنتات) بتشديد الباء المكسورة وتسكين النون والبينتات هي القطع الصغيرة التي تبقى من السجارة، ويرمي بها المدخنون في الأرض ويجعلونها في المرمدة، لقد كان الشغل الشاغل لهذا السجين، أن يجمع تلك القطع يفرغ مابقي فيها من طابة، ثم يؤلف منها بعض السجارات في ورق خفيف، ويبيعها لبعض السجناء المساكين، الذين لاقدرة لهم على شراء السيجارات الأصلية، هذا السجين، كان صغير الحجم، ضعيف البنية، لاتظهر عليه صفات الإجرام، ولكنه قضى مدة طويلة جدا في السجن، حتى صار يعتبر السجن عالمه الخاص، ومحل سكناه الدائم، وانقضت الأعوام التي حكم عليه بقضائها في السجن جزاء ما فعل، وقرب وقت إطلاق سراحه، وخبرته إدارة السجن، بأنه سيطلق سراحه في القريب العاجل، فاغتمَّ لهذا الخبر المحْزن أيما غم، ولربما صار يبكي ويبكي كثيرا لقرب سراحه، لقد أصبح المسكين يعتقد أن العالم كله محصور في تلك الرقعة من السجن التي يدعونها بسجن العذير، وهو مقيم فيها مرتاح أقوى مايكون الارتياح، ينام مع السجناء، ويطعم طعام السجناء، ويدخن ما فضل من سجائر السجناء، ويربح ما يبيعه من فضلات سجائر السجناء، فإذا ما أخرجوه من هذه البحبوحة السجنية، فإلى أين سيذهب ؟ ومن يطعمه ويسقيه ويضمن له معيشته وسكناه ؟ ومن سيعاشر ويصادق إن صار خارج السجن ؟ أسئلة كثيرة صارت تتوارد على ذهنه، وهمٌّ متواصل منعه من الاطمئنان والراحة وحتى من المنام، ترى إذا مانادوا عليه ذات صباح، وفتحوا أمامه الأبواب، وقالوا له أذهب إلى حال سبيلك فأنت حر وطليق، إلى أين سيتجه ؟ لقد عاش قديما ربما في الدار البيضاء ومنذ دخل إلى السجن محكوماً عليه بتلك المدة الطويلة، لم تبق له أية علاقة بالبيضاء ولم يبق يعرف أي شخص فيها، ليس له منزل، وليس

له أهل، ولا أصحاب، ولامعارف. ومن أجل ذلك فمن حقه أن يبقى في عالمه الخاص به، يبقى في السجن الذي فيه يجد راحته وسكناه وطعامه وشرابه وراحته ومنامه، وتركنا المسكين يفكر في مصيره، عندما ماغادرنا نحن السجناء أيضا سجن العذير، لنقصد سجن غبيلة بالدار البيضاء، ثم بعد قضاء مدة في ذلك السجن البيضاوي يطلق سراحنا بعدما قضينا بالسجون الثلاثة : الرباط ـــ الدار البيضاء ـــ العذير نحو العشرين شهرا. أو أكثر.

الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 كما عرفتهم

1) الحاج أحمد بن عبد السلام بلافريج



من عائلة رباطية أصلها أندلسي، ازداد بالرباط سنة 1908 م ولما بلغ سن الدراسة التحق بمدرسة أبناء الأعيان بالرباط، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف، وانتقل إلى ثانوية (ليسي كورو) الذي كان خاصاً بأبناء الفرنسيين ليستطيع أن يحصل على شهادة البكلوريا التي كان لايسمح بها للتلاميذ المغاربة الذين يدرسون بالمدارس المغربية الفرنسية، حتى لاتفتح أمامهم أبواب التعليم العالي. وبعد حصوله على البكلوريا سافر إلى باريس وسجل بالسوربون ليحصل فيها على شهادة الليسانس في الأدب، وعلى دبلوم الدراسات العليا في الأدب أيضاً، وخلال مُقامه في باريس ذهب إلى القاهرة، فسجل في كلية الأدب فيها، واغتنمها فرصة فتعرف إلى كثير من أساتذتها ومفكريها وطلبتها، وكان هذا أواخر العشرينات، ثم رجع إلى باريس بعدما اتصل بالأمير شكيب أرسلان في جنيف بسويسرا الذي كان يعتبره بمنزلة ابنه «غالب» ولايخاطبه إلاّ بقرة العين «أحمد» فأسس باتفاق مع إخوانه الوطنيين إذ ذاك مجلة «مغرب» الشهرية التي تصدر باللغة الفرنسية للتعريف بالقضية المغربية والدفاع عنها، واستطاع أن يكسب لها وللحركة الوطنية الفتية أنصاراً وحوارى من أحرار الفرنسيين كانوا يكتبون فيها أمثال «روبير جان لونكي» الذي كانت المجلة تصدر باسمه تبعاً للقانون الفرنسي، وهو محام، ووالده جان لونكي نائب رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب، وبيير رونوديل Pierre Renoudel نائب رئيس الحزب الاشتراكي بفرنسا، وجان بيو ((Jean Piot نائب مدينة باريس ورئيس تحرير (Loeuvre) وعضو لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب، وفرانسوا دوتيسان (François de Tessan) نائب ووزير سابق وكاستون بيرجوري Gaston Bergery نائب سابق وعضو

اللجنة المركزية لجمعية حقوق الانسان. وأندري بيرتون (André Berthon) نائب سابق وهنري كليرك (Henri clerc) نائب وأديب وكامبينشي (campinchi) نائب رئيس الفريق الراديكالي الاشتراكي بمجلس النواب، وكابريال كيدني (Gabriel cudnet) رئيس الحزب الراديكالي الاشتراكي، وكامي بيلوتان camille pellotn وفيليسيان شالاي (Felicien challaye) أستاذ مبرز في الفلسفة، وجورج موني (Georges Mounet) نائب L'Aisne ولويس روبو (Louis Roubaud) وآندري فيوليس André Viallis ومادلين باس Madeleine PAZ كاتبة، وفرانسوا آلبير وبعض الشخصيات الحرة من إسبانيا كوزير التعليم لوريس (lorrios) والصحفي آرجيلا (Argila) وكان يكتب فيها من الشبان المغاربة : ج عمر بن عبد الجليل ومحمد حسن الوزاني ومحمد الفاسي ومحمد اليزيدي وعبد اللطيف الصبيحي، وكانت توقيعاتهم في الغالب بأسماء مستعارة وينبغي أن أسجل بهذه المناسبة أن الأربعة الفرنسيين الأولين (غير روبير جان لونكي) كانوا هم الوسطاء الذين تقدموا بمطالب الشعب المغربي إلى وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية نيابة عن المرحومين محمد بن الحسن الوزاني و ج عمر بن عبد الجليل اللذين كان عهد إليهما بتقديم المطالب إلى الدوائر الفرنسية في دجنبر 1934.

أثناء وجود بلافريج بباريس شارك في تكوين جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس وعهد إليه أحياناً بكتابتها العامة، كما شارك في جمعية الطلبة العرب الذين كان منهم الدكتور صلاح الدين المصري الذي شغل مركز وزارة الشؤون الخارجية في حكومة مصطفى النحاس باشا وساعدنا المساعدة القوية أثناء مطالبتنا بالاستقلال، وفي سنة 1934، شارك في الندوة التمهيدية لمؤتمر الجامعة الاسلامية ببرلين، ولدى رجوعه إلى المغرب أسس مدرسة حرة تدعى معهد جسوس، وكانت أول مدرسة مزدوجة نموذجية حرة، اهتمت باللغتين : العربية والفرنسية، وكان تأسيسها في (عرصة جسُّوس) التي كان تبرع بها عليه خالُه المرحوم مَحمد جسوس، وكانت الجماعة الأُولى الوطنية في الرباط تأسست فيها حوالي سنة 1926.

كان بلافريج من المؤسسين الأولين للحركة الوطنية في العشرينيات، واشتهر اسمه وهو لازال في عنفوان الشباب كشاب وطني متميز بذكائه ورزانته وحنكته ودهائه السياسي، وعندما قرر رجال الطائفة (وهي الجناح السوري في الحزب الوطني) تقديم مطالب الشعب المغربي كان من جملة العاملين لتحضيرها وإن لم يتحمل مسؤولية تقديمها، وفي سنة 1935 قدم لنائب كاتب الدولة في الخارجية الفرنسية مذكرة هامة حول السياسة الفرنسية في المغرب، وعندما صدرت جريدة الأطلس، الأسبوعية كان

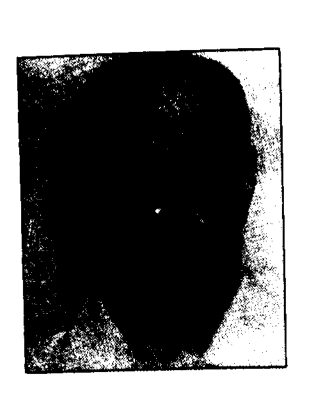
من المحررين الأساسيين فيها وخصوصاً في السياسة الخارجية، ولدَى تنمّر الادارة الفرنسية للوطنيين بالمغرب سنة 1937 قرر الحزب الوطني أن يسافر إلى الخارج ليرفع صوت المغرب وصوت الحركة وصوت الحزب الوطني في الخارج، ويشهر بالاستعمار ومخازيه، فمكث بطنجة مدة شهر ثم سافر إلى فرنسا فسويسرا حيث متّن ارتباطه بالأمير شكيب أرسلان رحمه الله. وفي سويسرا أصيب بنزلة صدرية حادة، أعقبها مرضه بالسل، فدخل المستشفى بجنيف، وأجريت عليه عملية جراحية، بُتر فيها جزء من إحدى رئتيه، وعُوض بقطعة من مطّاط، وأثناء مرضه ومقامه في المستشفى زاره المرحوم سعيد حجي ليتباحث معه في موضوع الحل الذي اقترحه المقيم العام الجنرال نوكيس للمشكل المغربي، ولكن حالته الصحية لم تكن قابلة للمذاكرة في أي موضوع سياسي، فاكتفى السعيد بالمذاكرة مع الأمير شكيب الذي بلَّغه رسالة السعيد بعد إبلاله من مرضه، وأثناء وجوده بسويسرا أعلنت الحرب العالمية الثانية، فبقي يتابع تطوراتها في الأول، وسافر إلى برلين للاتصال بالسياسيين الألمانيين، ويستطلع نواياهم نحو المغرب وقضيته، فاقتنع بسوء نيتهم، وعدم إعطائهم أدنى أهمية لمطامح الشعب المغربي، فرجع إلى طنجة حيث كتب إلى إخوانه في الحزب الوطني يخبرهم بأنه لا أمل مطلقاً في هتلر وأنصاره بالنسبة للقضية المغربية، وبقي ينتقل أثناء فترة الحرب بين طنجة وتطوان حيث كان على اتصال مع المرحوم عبد الخالق الطريس ورجال حزب الإصلاح الوطني، وخلال سنة 1943 حين بدأت كفة الحلفاء ترجح أيضاً ضد المحور، رجع إلى المغرب حيث بدأ مع إخوانه في الحزب الوطني خصوصاً في الجناح السري للحزب وهو (الطائفة) يفكرون فيما يجب القيام به أثناء فترة انتصار الحلفاء في الحرب، فكان قرار المطالبة بالاستقلال وتحرير وثيقة حادي عشر يناير 1944 التي قدمها وفد برئاسته إلى جلالة محمد الخامس، وتأسيس حزب الاستقلال الذي انتخب أمينا عاماً له، وإثر الأحداث التي وقعت عندما امتدت يد الاستعمار إليه وإلى بعض إخوانه، واتهامه بالتعاون مع المحور، وعجز السلطات الاستعمارية عن إثبات ذلك، قضى مدة قليلة بسجن الرباط ثم نفته السلطات الاستعمارية إلى كورسيكا حيث بقي منفياً فيها إلى سنة 1946. وفي شهر يونيه 1946 عندما تولى منصب المقيم العام (إريك لابون) أطلق سراحه، ورجع إلى الرباط حيث انضم إلى إخوانه مسؤولي حزب الاستقلال، وفي سنة 1947 عندما سافر جلالة محمد الخامس إلى طنجة لإثبات مغربيتها ورفع صوته منها، كان من جملة الذين شاركوا في هذه الرحلة الطنجية، وبقي ينتقل منها إلى بعض الأقطار الأوروبية قصد الدعاية للقضية المغربية وتحرير المغرب من ربقة الاستعمار ينتقل منها إلى بعض

الأقطار الأروبية قصد الدعاية للقضية المغربية، وتحرير المغرب من ربقة الاستعمار وخلال هذه الفترة اتصل به المقيم العام «اريك لايون» وعرض عليه منصب رئيس شركة اقتصادية، فرفض ما عرض عليه، واعتبره مهزلة من المهازل التي يتفكه بها الاستعماريون، وعندما اشتدت الأزمة بين حزب الاستقلال والملك من جهة، وبين الاقامة العامة الفرنسية من جهة أخرى وذلك في عهد الجنرالين : جوان وكيوم، قام بزيارة نيويورك للاشراف على مكتب الحزب فيها وتنظيمه واختيار الشباب الحزبي الذي يسيره، والذين كان منهم الاخوة : الدكتور المهدي ابن اعبود وعبد الرحمان بن عبد العالي وعبد الرحمان انكاي، وبعد إلقاء القبض علينا في دجنبر 1952 إثر أحداث فرحات حشاد قوى نشاطه وتضاعف، خصوصاً عندما امتدت يد الاستعمار إلى رمز الأمة ورائد الاستقلال والتحرر جلالة محمد الخامس فصار ينتقل بين نيويورك ومدريد ويشارك في الجلسات التي كان يعقدها المنتظم الدولي، ليرفع صوت المغرب عالياً، وسهل عليه عمله هذا حصوله على جواز ديبلوماسي باكستاني استطاع الحصول عليه من صديقه ظفر الله خان وزير خارجية دول باكستان الشقيقة، وكان يحضر جلسات هيأة الأمم المتحدة كعضو من أعضاء الحكومة الباكستانية.

وبعد إحراز المغرب على استقلاله سنة 1956 عينه جلالة محمد الخامس أول وزير لخارجية المغرب في عهد الاستقلال، فوضع الأسس الأولى لتأسيس وزارة الخارجية، واختيار موظفيها الأولين، ووضع سياستها المستقلة البعيدة عن كل تبعية، فباشر المفاوضات مع فرنسا وغيرها من الدول الأجنبية، وفاوض إسبانيا لاسترجاع منطقة طرفاية، وأنهى في عهده احتلال مدينة طنجة من ربقة ماكان يسمى بالنظام الدولي. وفي 12 مايو 1958 عهد إليه جلالة الملك بتأسيس الحكومة الثانية في عهد الاستقلال، فلم يبق رئيساً للحكومة إلا بضعة أشهر حيث استقال في دجنبر عامه، وفي خامس يناير 1962 تولى وزارة الشؤون الخارجية مرة أخرى، وبعد وفاة جلالة محمد الخامس وتولى جلالة الحسن الثاني عيّنه ممثلا شخصياً له، وذلك في خامس يناير 1963، وتخلى عن هذا المنصب لظروفه الصحية وذلك في يونيه 1972 وإثر إصابته بمرض ألزمه الفراش نحو العشر سنوات توفي بالرباط بتاريخ 14 أبريل سنة 1990 رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[1].

(1) انظر ترجمته بتفصيل في الكتاب الذي كتبته عنه تحت عنوان : **بلافريج الديبلوماسي المحنك**.

2) السيد محمد اليزيدي



يعتبر المرحوم محمد اليزيدي من أبرز الشخصيات في كتلة العمل الوطني وفي الحزب الوطني، ثم في حزب الاستقلال.

ازداد بالرباط في 14 ماي 1902 وأبوه السيد المعطي بن اليزيد التادلاوي أصلا كان موظفاً بسيطاً بإحدى الإدارات بالرباط.

التحق اليزيدي بأحد الكتاتيب القرآنية فحفظ القرآن ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية العربية الفرنسية وبعدها إلى ثانوية مولاي يوسف، وبعد حصوله على دبلوم نهاية الدروس الثانوية التحق بمعهد الدروس العليا شعبة الأدب ثم عين موظفاً بإدارة الأمور الشريفة.

في فترة دراسته اتصل ببعض زملائه في الدراسة وكوَّن معهم خلية اهتمت أولا بقضية التمثيل، فكان يشرف على الجوق التمثيلي الرباطي الذي كان من جملة أفراده الاخوة : السيتل العيساوي، مصطفى بن عبد الله وعبد اللطيف العتابي والمعطي أبا خاي وغيرهم، وفي سنة 1929 عندما قام الشباب السلوي تحت رئاسة المرحوم عبد اللطيف الصبيحي بحركة تمثيلية مثلوا فيها رواية وفاء العرب، والرشيد والبرامكة وفي سبيل التاج اتصل بهم المرحوم محمد اليزيدي ومتَّن معهم علاقات الأخوة والتعاون، وكان عبد اللطيف الصبيحي بدوره موظفاً بإدارة الأمور الشريفة، فتقوَّت صداقته معه ومع أصدقاء آخرين منهم المرحوم الحاج بوبكر الصبيحي والمرحوم العباس بن جلون الفاسي وهذان الأخيران قام معهما بزيارة لفرنسا بتنظيم من الاقامة العامة الفرنسية التي كانت تودّ أن تظهر للشباب المغربي المتعلم تقدم فرنسا وعظمتها. وفي سنة 1930 عندما أصدرت الادارة الفرنسية ظهير 16 ماي المسمَّى بالظهير البربري، قامت حركة شبابية مناهضة له تولى الزعامة فيها أولا المرحوم عبد اللطيف الصبيحي في سلا ثم سارت في نفس الخط مدينة الرباط بزعامة محمد اليزيدي ثم فاس حيث كانت حركة اللطيف في كل هذه المدن الثلاث بالخصوص يصعد صوتها إلى عنان السماء، وبعد نفي عبد اللطيف الصبيحي إلى مراكش فأزيلال باعتباره زعيم المعارضة للظهير البربري، وبعد جلد وسجن بعض الاخوة بفاس ومن جملتهم محمد بن الحسن الوزاني والهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن إدريس ونفى بعضهم وسجنهم بتازة ومنهم الزعيم علال الفاسي

والوزاني والفيلالي وابن إدريس جاء دور اليزيدي ليقع نفيه إلى قلعة السراغنة في شهر سبتمبر 1930، فبقي منفيا فيها إلى سنة 1932، وكانت أول مراسلة بينه وبيني وهو في قلعة السراغنة، حيث إنني كتبت له رسالة تضامنية نوهت فيها على مايظهر بمواقفه وثباته، و لم أكن تعرفت إليه أو تعرف إليّ إلا تلك السنة (1930) وأنا في سن السادسة عشرة وهو في نحو الثمانية والعشرين من عمره، حيث زرته رحمه الله في منزله صحبة عدد من شباب سلا الذين ذهبوا إلى منزله ليهنؤوا المرحوم الأستاذ عبد الله الجرار الذي كان ألقى عليه القبض وسجن بضعة أيام لأنه ألقى خطباً ببعض مساجد الرباط يستنكر فيها السياسة الفرنسية التي استصدرت ظهير 16 ماي، فلما أطلق سراحه استدعاه المرحوم اليزيدي لمنزله حيث صارت تتوافد عليه الوفود لتهنئته بهذه التضحية. ولما تعرف عليَّ اليزيدي كان أول سؤال ألقاه عليَّ هو استفساره عن أخي وأستاذي المرحوم مولاي الشريف القادري الذي كانت له معرفة به أثناء حركة التمثيل والنشاط الأدبي الذي كان يقوم به النادي الأدبي الإسلامي.

بعد إطلاق سراحه سنة 1932 صرت أزوره الآونة بعد الأخرى، خصوصاً أيام الخميس حيث لاتكون عندي دراسة، فكنت أخصص عشية الخميس لزيارته بمنزله ببوقرون وزيارة الشيخ محمد المكي الناصري بعده بنفس الحيِّ، لأستفسرهما كلٌّ من موقعه عن التطورات التي قد يكونون على علم بها، وأسترشد بآرائهما في بعض ماكنا نقوم به في سلا من أعمال ونشاط، سواء في الميدان السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي، وأذكر بهذه المناسبة أنني زرته خلال شهر ماي من السنة التي أطلق سراحه فيها، وكنا في سلا ننظم اجتماعات بالمسجد الأعظم بمناسبة ذكرى 16 ماي نتلو فيها سوراً من القرآن الكريم ونقرأ اللطيف الذي كان شعارنا في الاحتجاج ضد الظهير البربري، فلقد سألته عما يود القيام به بهذه المناسبة، فأجابني بأنه هو بدوره سيذهب يوم 16 ماي إلى المسجد تعبيراً عن استنكاره للسياسة البربرية دون أن يقترح علي أي شيء في الموضوع، وكنت لم أتعرف عليه كثيراً، كما أنه لم يتعرف عليَّ كثيراً، لقد كنا في جماعتنا الوطنية بسلا نشتغل تحت مسؤوليتنا، دون أي ارتباط في القرار، لا مع إخواننا في الرباط ولا في فاس، وبتكرار الاتصال باليزيدي خلال سنة 1932 و1933 و1934 تعرفنا على بعضنا المعرفة الكافية، وصارت تتوطد العلاقة بيني وبينه لدرجة كبيرة، حيث اكتشفت فيه زيادة على الوطنية الصادقة التمسك المثالي بالمبدأ، والاستماتة في سبيله، وتقدير الأخوة والصداقة حق قدرها، والإخلاص في العمل، والجدية في التعامل مع الجميع، وتقدير المسؤولية حق قدرها، دون دعوى أو تبجح، ومع إدراك سياسي

مستقيم، ومعرفة كافية بالأشخاص، لقد كنت في البداية أستفسره عن بعض القضايا، فأحيانا يجيبني وباقتضاب عما يعرفه، وأحيانا يقول إن الاخوان لم يتخذوا في شأن القضية المطروحة أي قرار، فأدرك إذ ذاك أن ارتباطه مع إخواننا بفاس خصوصاً، قوي ومتين، وأن خطه السياسي يسير في نهجهم، وفي بعض الأحيان كان ينجر بيننا الحديث عن شخص أو أشخاص من رجال الحركة، فأدرك وهو يحدثني عنه مقدار تعاطفه معه أو نفوره منه ويكون في أحكامه عن الأشخاص صارماً كل الصرامة سواء معهم أو ضدهم، وأذكر أنه رحمه الله حذرني حتى من بعض الذين كانوا بارزين بعض البروز في الحركة وعدم الاطمئنان للتعامل معهم، لعيوب قد يذكرها أو يلوّح بها. وبهذه المناسبة أذكر أنني بعدما انخرطت في سلك (الطائفة) وهي الجماعة السرية في كتلة العمل الوطني اشتشارني في موضوع تعيين أحد الإخوة في (لجنة السافر)، وهي اللجنة التي يعهد إليها بربط العلاقات بين الأعضاء في مختلف المدن، فلما ذكرت له اسم شخصية كانت هي بدورها عضواً في الطائفة، انتفض رافضاً، ذاك لايصلح لهذه المهمة، ولم أكن أدرك إذ ذاك الدوافع التي جعلته يرفض ذلك الرفض القاطع، ولكن تبيّن لي بعد ذلك أنه كان مُحقاً في رفضه، وأن ذلك الشخص غير صالح لتلك المهمة، من خلال هذا وأمثاله صرت أزيد تعرفاً عليه، وعلى أخلاقه وسلوكاته، وحتى أحكامه القاسية والشديدة أحياناً على البعض من الشخصيات، وأقول القاسية لأنه يقسو أحياناً لدرجة لم أكن أستسيغها. انه يتعامل معك بالثقة والصدق والوفاء لحد كبير إذا ما آمن بأنك وفي لمبادئك، لاتتزحزع عنها، ولا تتقلّب فيها، ولكن الأمر يتغير كل التغير إذا ماظن ــ وبعض الظن قد يكون إثماً ــ أنك تتحايل في مبادئك أو تتزحزح عنها، ولو ظاهرياً أو سياسياً، أمام بعض الظروف، فإذا ماإستشعر ذلك فإنه يصدر حكمه القاطع، وقد يفقد الثقة الكاملة التي تؤدي إلى فقدان التعامل بالكلية.

في سنة 1932 التي وقع فيها سراحه من المنفى في قلعة السراغنة، قررت الطائفة بإلحاح من بلافريج أن تصدر مجلة «مغرب» باللغة الفرنسية، فصار يكتب فيها، ومن جملة ماكتبه مقال بعنوان : تعليم المواطنين بالمغرب وذلك في العدد التاسع الصادر في شهر مارس 1932، وكان المقال مُمضى باسم : بوشعيب الفطواكي وفي العدد العاشر كتب مقالا تحت عنوان : مظاهر في السياسة البربرية بالمغرب بإمضائه الصريح على ماأظن، كما كتب مقالات أخرى تتعلق بالسياسة البربرية في التعليم، وحول تعليم أبناء المسلمين بالمغرب، وعندما صدرت جريدة «عمل الشعب» التي كان يشرف عليها المرحوم محمد بن الحسن الوزاني كان يكتب فيها وحكى لي في آخر حياته رحمه الله

أنه في بعض الظروف كان يسافر إلى فاس ليعقد مع ابن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل اجتماعا يراجعون فيه ما سينشر في الجريدة، وفي سنة 1937 عندما قرر الحزب الوطني إصدار جريدة الأطلس الأسبوعية عهد إليه بإدارتها ورئاسة تحريرها، فكان يكتب مقالات بإمضاءات مختلفة أحياناً باسمه الصريح وأحيانا بأسماء مستعارة، مثل جهينة، وعبُّو الريح وأخو مديَن إلخ وعندما انفصل الوزاني عن الكتلة واستقل بجريدة «عمل الشعب» أصدر الحزب جريدة «العمل الشعبي» فأشرف عليها أيضاً، وكان يحرر فيها، وعندما كنا ممنوعين من حرية الصحافة كنا نصدر نشرات باسم كتلة العمل الوطني، وكانت تطبع بمنزله في المكررة، ويشرف عليها هو والمرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، وأذكر أن مقالا قرأته له سنة 1930 أو 1931 نشر في مجلة «المنار» التي كان يصدرها بالقاهرة الشيخ رشيد رضا رحمه الله، وأسلوبه في الكتابة خاص به، ففيه بعض النقد ولكن بخفة ونكتة وضرب الأمثال، وهو مايعبر عن شخصيته في بعض جوانبها. وعندما قررت كتلة العمل الوطني تقديم مطالب الشعب المغربي، كان من الأساسيين في تحريرها هو والحاج عمر بن عبد الجليل والسعيد حجي ومسعود الشيكر بالإضافة إلى الزعيم علال الفاسي والفقيه محمد غازي، واستشارة الكثيرين من الأصحاب، وكان هو والرئيس علال ومحمد الديوري الذين قدموها إلى الإقامة الفرنسية. كما قدمها إلى جلالة محمد الخامس بواسطة الصدر الأعظم الفقيه غازي وعبد العزيز بن إدريس وأحمد الشرقاوي وأبو بكر القادري، وقدمها إلى الدوائر الفرنسية في فرنسا بالواسطة : محمد بن الحسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل، أما الشيخ محمد المكي الناصري وكان من العشرة الذين تحملوا مسؤولية تقديمها ومن المراجعين لها بعد تحريرها فإنه ذهب أثناء تقديمها إلى تطوان ولم يتحمل معنا مسؤولية تقديمها رحمه الله. وبعد تحريرنا للمطالب المستعجلة وعقد اجتماعات شعبية لتأييدها في كل من الرباط وفاس وسلا، منع الفرنسيون انعقاد اجتماع تأييدي في الدار البيضاء، فنشأت عن هذا المنع مظاهرة خطب فيها المرحوم علال وكانت النتيجة إلقاء القبض على علال والوزاني واليزيدي وسجنهم بالدار البيضاء وتبع ذلك القيام بمظاهرات شعبية تضامنية في الرباط، وسلا وفاس وكنت من جملة المقبوض عليهم فيها وزجهم في سجن الرباط لمدة تقرب من الشهر، ولكن الظروف السياسية إذ ذاك وكان الحكم في فرنسا بيد الواجهة الشعبية بزعامة ليون بلوم. كانت الظروف السياسية لصالحنا وصالح حركتنا وكتلتنا الوطنية، حيث أعطيت الأوامر من فرنسا بضرورة سراحنا والدخول في مرحلة جديدة، يمكن أن تعتبر مرحلة التفتح، فأتى الجنرال نوغيس وكان هو المقيم العام، أتى بسياسة جديدة،

اعتُبرت في مراحلها الأولى، سياسة إعطاء بعض الحريات، ومنها حرية الصحافة، وقبل الاعلان عن هذه السياسة الجديدة، وبمجرد تعيين نوكيس على رأس الإقامة العامة، رفع الأخ محمد اليزيدي مذكرة إلى نوكيس يرحب به باسم الكتلة ويقدم له نسخة من مطالبنا المستعجلة ومنها الحريات العامة، وهكذا ظن الجميع أننا فتحنا عهداً جديداً، حيث أذن لنا بإصدار جريدة «الأطلس» برئاسة وإدارة المرحوم اليزيدي، وأذن للمرحوم السعيد حجي بإصدار جريدة «المغرب اليومية» وأذن للمرحوم عبد اللطيف الصبيحي بإصدار جريدة «العمل» بالعربية، وجريدة «الصوت الوطني» بالفرنسية، وأذن للمرحوم محمد بن الحسن الوزاني بإصدار جريدة «الدفاع» وأذن للسيد محمد بن بوبكر اشماعو بإصدار جريدة «الوداد» الأسبوعية ثم أذن للسيد أحمد بن احساين النجار بإصدار جريدة «التقدم» الأسبوعية.

وفي نطاق فتح أبواب الحريات العامة نسبياً، ارتأت كتلة العمل الوطني أن تنظم صفوفها وتُحكم توجهاتها، وتوزّع الأدوار والمسؤوليات على أعضائها، فحصل بعد وضع مشروع القوانين خلاف حاد بين بعض الإخوة الذين رأوا أن من حقهم وحدهم أن يتولوا المسؤولية في الوضع الجديد، وأدى هذا الخلاف إلى انفصال المرحوم محمد بن الحسن الوزاني عن جماعة فاس، وتأسيس ماأسماه بالحركة القومية التي أتت في مقابل الحزب الوطني لتحقيق المطالب. فكان هذا أول انقسام يحصل في الحركة الوطنية، أعقبته أضرار تحدثت عنها في الجزء الأول من مذكراتي

لقد كان المرحوم اليزيدي من الأفراد الذين بقوا متشبثين بكتلة العمل الوطني التي دعيت في المستقبل بالحزب الوطني لتحقيق المطالب، وسار في عمله يسيِّر جريدة «الأطلس» ويقوم بدور رئيسي في تسيير الحزب بجانب علال الفاسي وأحمد بلافريج وج عمر بن عبد الجليل وبقية الإخوة أعضاء الحزب الوطني. وبعد عراكات مع السلطات الاستعمارية، واحتجاجات ضد تصرفاتها ومظالمها تقرر عقد مؤتمر وطني. بمنزل المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي بالرباط، صدر عنه ميثاق وطني يدعو إلى مقاطعة التعامل مع الإدارة الفرنسية، مالم تستجب لمطالب الشعب المغربي، وكان الذي حمل نسخة من هذا الميثاق والقرارات، إلى الاقامة العامة هو المرحوم محمد اليزيدي، فلم تمض ليلة واحدة على تقديم الميثاق حتى صدر الأمر باعتقال الاخوة علال الفاسي وعمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار ومحمد اليزيدي، فنفي علال إلى أدغال إفريقيا بالكونغو ونفى اليزيدي إلى النيف بالصحراء بآية عطة حيث بقي فيها إحدى وعشرين شهرا، ثم نُقل إلى أسّول بآيت مرغاد ناحية قصر السوق حيث بقي فيها خمسة عشر شهراً،

ثم نقل إلى واويزغت حيث مكث فيها ستة أشهر، ثم أطلق سراحه عام 1941، ومن ذلك التاريخ، ونحن نفكر فيما يجب علينا القيام به لصالح بلادنا في ظروف الحرب، ثم بعد انتهائها عندما بدأت تباشير انتصار الحلفاء على المحور، وفي سنة 1943 بالذات وبعد إطلاق سراح الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج، أخذ تفكيرنا يتضح خصوصاً بعدما وطدنا العلاقة مع محمد الخامس رحمة الله عليه، وصرنا نفكر في المطالبة بالاستقلال، ومن جملة القرارات التي اتخذناها في نطاق «الطائفة» جس نبض الحلفاء فيما يتعلق بمناصرتنا في مطلبنا للاستقلال، وكان محمد اليزيدي وبلافريج مكلفين بربط اتصالات مع الأمريكيين والانجليزيين بالخصوص، لمعرفة مايفكرون فيه وموقفهم من تحركاتنا أثناء تلك الظروف، فكان اليزيدي وبلافريج يؤكدان لنا أنه لاينبغي أن نعتمد أي اعتماد كيفما كان نوعه، لا على الأمريكيين ولا على غيرهم، فهم لاينظرون إلا إلى قضية انتصارهم، ولايريدون ولايرغبون في أي تحركات سياسية من المغاربة، لأنها في نظرهم ستعرقل نجاحهم المنتظر، ولربما تفسد عليهم مخططاتهم.

لقد كانت اجتماعاتنا السياسية نحن المسؤولين في اللجنة التنفيذية تعقد أساساً بمنزل اليزيدي بديور الجامع بالرباط، وأحياناً بمنزل بلافريج، وقليلا بمنزل الفقيه غازي، وكل هؤلاء كانوا يسكنون قريبين من بعضهم، وكانت الرقابة قوية وشديدة علينا، لدرجة أن بعض المخبرين كانوا ياخذون مواقعهم ليلا ونهاراً أمام منزل اليزيدي ليراقبوا الداخل والخارج، ولم نكن نعبأ بذلك، فنحن سائرون في أعمالنا، وهم سائرون في رقابتهم، وعندما حُرِّرَتْ وثيقة المطالبة بالاستقلال ووقِّعَتْ من طرف 66 شخصية وطنية، كان في طليعة الموقعين اليزيدي، ومن يده أخذت الوثيقة ليوقع عليها الإخوان الموقعون من سلا، ثم أرجعتها له، لأخذ التوقيعات من الآخرين في مدن أخرى، ويوم حادي عشر يناير 1944 خرجت الوفود الثلاثة من منزل اليزيدي ليحمل كل وفد عريضة الاستقلال إلى كل من صاحب الجلالة محمد الخامس والمقيم العام الفرنسي والمكلفين بمصالح كل من أمريكا وانجلترا في الرباط، ويوم 29 يناير 1944 ألقى القبض على محمد اليزيدي مع بلافريج بدعوى مسؤوليتهما الأساسية في المطالبة بالاستقلال، ولكن الأحداث التي وقعت بعد إلقاء القبض عليهما، والمظاهرات الكبرى التي قصدت القصر الملكي، وتخوف السلطات الفرنسية من العواقب، جعلتهم يستغيثون بجلالة الملك لإخراج المتظاهرين من القصر الملكي، فوقع الاتفاق مع الملك على إطلاق سراح اليزيدي ليقنع الجماهير المتظاهرة من داخل القصر، حتى لاتداس حرمته من طرف القوات الفرنسية، وهكذا وقع سراح اليزيدي الذي قاد المتظاهرين إلى خارج القصر، واستمرت

بعد ذلك المظاهرات في الرباط بشارع علال بن عبد الله وإزاءهُ وداخل المسجد الأعظم، فسقط الشهداء صرعى، وسقط بعض رجال الأمن الفرنسيين يتخبطون في دمائهم.

وخلال اعتقالنا بسجن الرباط والدار البيضاء والعذير، بقي اليزيدي مع زمرة من إخواننا الذين لم يلق عليهم القبض يسيرون الحركة الاستقلالية، ويرفعون الصوت الوطني ويقدمون التقارير والاحتجاجات لمختلف الدوائر الدولية، كما حرصوا على تنظيم ماتبقى من أعضاء الحزب خارج السجن، ووضع برنامج الحزب الجديد، وكان اليزيدي المسؤول الأول في كل هذه النشاطات، فهو الذي يوقع على المذكرات والاحتجاجات، وهو يستقبل الوفود والشخصيات التي ترد من الداخل والخارج.

وبعد خروجنا من السجن أواخر سنة 1945 تم إطلاق سراح الزعيم علال الفاسي ورجوع بلافريج من منفاه، انطلقت حركة الحزب في شكلها وتنظيماتها الجديدة وكان اليزيدي من الأساسيين الذين يباشرون الأعمال، ويتحملون المسؤوليات، ويتتبعون ماتنشره الصحافة الداخلية والخارجية، ويشرفون على تسيير صحافة الحزب وعلى رأسها جريدة «العلم» والعمل الشعبي والنشرة السرية التي كان يصدرها الحزب لتربية وتكوين المناضلين الاستقلاليين. وكان وجود المرحوم المهدي بن بركة بجانبه في تلك الظروف، يعطي للتحركات التي يتحركها الحزب حيوية وديناميكية ظهرت آثارها خلال الأربعينيات وبداية الخمسينيات.

وفي شهر دجنبر 1952 بعد قتل فرحات حشاد رئيس النقابيين بتونس الشقيقة من طرف الجيش الفرنسي، إثر القرار التضامني الذي اتخذه حزبنا مع تونس والاضرابات التي وقعت على مستوى المغرب كله، ألقى القبض على اليزيدي مع جميع أفراد اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وقدم الجميع للمحاكم العسكرية بالدار البيضاء، وكان الامتحان عسيراً وشديداً دام نحو السنتين انتقلنا خلالها من مراكز المنفى التي لم تدم طويلا إلى سجن الدارالبيضاء والسجن المركزي بالقنيطرة حيث أحلنا على المحاكم العسكرية، ثم وقع سراحنا سنة 1954، بعدما قرر الفرنسيون مراجعة مواقفهم، عندما رأوا المقاومة تشتد، وجيش التحرير يتكون، وبدأت المعركة الحاسمة فجاءت مفاوضات إيكس ليبان التي كان اليزيدي من جملة الأعضاء الذين كانوا عينوا لها، وكانت البيانات التوضيحية تصدر وتوقع باسمه نيابة عن الحزب. وبعد إعلان الاستقلال ورجوع محمد الخامس من منفاه السحيق، بقى اليزيدي يقود المعركة مع إخوانه، لم يتقلّد منصباً سياسياً لا في وزارة ولا في غيرها، وإنما عهدت إليه الحكومة المغربية برئاسة المجلس المسير لمنجم زليجة الذي كان يتقاضى منه مايكفيه لتسيير شؤون حياته، لقد كان عضوا

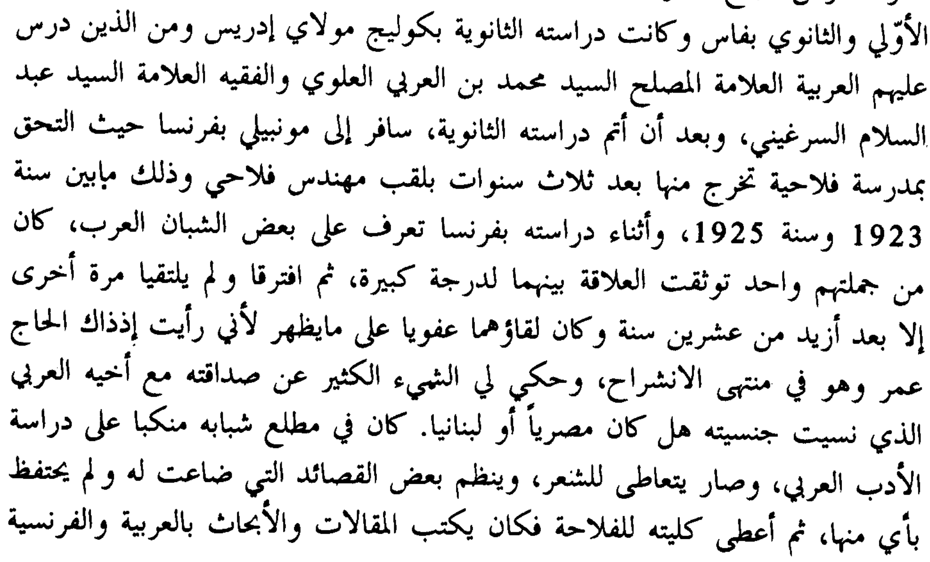
أساسيا في اللجنة التنفيذية للحزب ثم عيّن في مجلس الرئاسة القيادي للحزب أيضاً، ولظروف عائلية انتقل إلى الدار البيضاء، فخفف نشاطه الحزبي، وبقي يتتبع الأحداث، ويشارك في بعض الاجتماعات الهامّة التي تتطلب أخذ آراء المجربين الصادقين قبل اتخاذ أي قرار، وإثر مرض أصيب به في آخر حياته عاجلته المنية فلقي ربه راضياً مرضيا إن شاء الله في شهر. سنة 1989 رحمه الله وأسكنه فسيح الجنة[1]

3) الحاج عمر بن عبد الجليل



من أوائل الذين تعرفت عليهم من الإخوان الفاسيين، وذلك أوائل الثلاثينات سنة 1933 أو 34 وكان إذ ذاك يشتغل كمهندس فلاحي لدى القائد الزهاني بسيدي سلميان، ويزور الآونة بعد الأخرى مدينتي الرباط وسلا، وكان التقائي به لأول مرة بمنزل السيد أحمد الحسناوي الكاتب بالصدارة العظمى.

ازداد ج عمر بمدينة فاس سنة 1907 وكان والده من أعيان المدينة ومن الذين كانت لهم وظيفة في الدولة، ومن أتباع الطريقة التيجانية، تلقى تعليمه الأوّلي والثانوي بفاس وكانت دراسته الثانوية بكوليج مولاي إدريس ومن الذين درس عليهم العربية العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي والفقيه العلامة السيد عبد السلام السرغيني، وبعد أن أتم دراسته الثانوية، سافر إلى مونبيلي بفرنسا حيث التحق بمدرسة فلاحية تخرج منها بعد ثلاث سنوات بلقب مهندس فلاحي وذلك مابين سنة 1923 وسنة 1925، وأثناء دراسته بفرنسا تعرف على بعض الشبان العرب، كان من جملتهم واحد توثقت العلاقة بينهما لدرجة كبيرة، ثم افترقا ولم يلتقيا مرة أخرى إلا بعد أزيد من عشرين سنة وكان لقاؤهما عفويا على مايظهر لأني رأيت إذذاك الحاج عمر وهو في منتهى الانشراح، وحكي لي الشيء الكثير عن صداقته مع أخيه العربي الذي نسيت جنسيته هل كان مصرياً أو لبنانيا. كان في مطلع شبابه منكبا على دراسة الأدب العربي، وصار يتعاطى للشعر، وينظم بعض القصائد التي ضاعت له ولم يحتفظ بأي منها، ثم أعطى كليته للفلاحة فكان يكتب المقالات والأبحاث بالعربية والفرنسية



(2) في عزمي إن شاء الله وفسح في الأجل أن أخص المرحوم محمد اليزيدي بكتاب عن حياته بتوسع مثل ما كتبته عن بلا فريج وابن عبد الجليل.

ومن جملتها بحث قيم حول المياه ودورها في الحياة نشره في مجلة (المغرب) التي كان يصدرها السيد محمد صالح ميسة الجزائري وكان يحرر فيها المرحوم محمد حصار وغيره من الأدباء كما كان يكتب باستمرار في جريدة (عمل الشعب) بالفرنسية التي كان يشرف على تحريرها الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، وكانت كتابته في موضوع الاستعمار الفلاحي من أحسن الإنتاجات في هذا الموضوع بالذات، كما كان يكتب المقالات في جريدة الأطلس التي كان يشرف عليها الأستاذ محمد اليزيدي، كما كان يحرر المقالات المتعددة بأسماء مستعارة في مجلة «مغرب» الفرنسية التي كان يشرف عليها الأستاذ الحاج أحمد بلافريج، كان نشيطاً كل النشاط في مطلع شبابه، ويعتبر حلقة اتصال بين فاس والرباط وسلا والدار البيضاء، ونظراً لمهنته الفلاحية، واشتغاله لدى قائد كمهندس لم تكن اتصالاته تثير الشبهات لدى إدارة الاستعلامات، كانت علاقته وطيدة مع المرحوم محمد بن الحسن الوزاني وبالأخص عندما صدرت جريدة (عمل الشعب) فكان الركيزة الأساسية التي كان يعتمد عليها الوزاني هو ومحمد الخلطي كما كانت علاقته قوية إلى حد بعيد مع المرحوم محمد اليزيدي، خصوصاً بعدما تصاهر معه، حيث أن اليزيدي طلب يد أخت الحاج عمر وتزوج بها، فزادت العلاقة بينهما إحكاماً، وصار التعاون بينهما يتضاعف، وتجلى ذلك بالخصوص عندما قررت كتلة العمل الوطني إصدار نشرات تعلق فيها على بعض الأحداث، نظراً لعدم وجود صحافة وطنية، فكان الحاج عمر واليزيدي يقومان بمهمة كتابة هذه النشرات وطبعها على المكررة والسهر على توزيعها وكنت بدوري آخذ نسخاً منها لأوزعها على بعض الإخوة الموثوقين ليسايروا حركتنا ومانقوم به من أعمال ونوجهه من توجيهات، وكنا نتعمد أن نمد بهذه النشرات بعض المؤرخين الموثوقين ليستفيدوا منها في كتابتهم التاريخية.

ولدى اتخاذ كتلتنا الوطنية قرار تهييء مطالب الشعب المغربي كان الحاج عمر من الأفراد الثلاثة أو الأربعة الذين هيأوا المشروع الأول، وهو غير المشروع الصغير الذي هيأته جماعتنا الوطنية بسلا والذي هيأه المرحوم محمد حصار، كان ج عمر من المتحركين الدينيماكيين أوائل الثلاثينات فهو يكتب ويتصل ويسافر ويستجمع الأخبار والمال الذي تتسيّر به الحركة، وكنت عندما أستطيع الحصول على بعض المساعدات المالية لمجلة «مغرب» أدفعها للحاج عمر ليضيفها لما جمعه.

وبعد التحرير النهائي لمطالب الشعب المغربي : تكلف هو والمرحوم محمد بن الحسن الوزاني بتقديمها إلى الدوائر الفرنسية بوزارة الشؤون الخارجية بباريس، فسافرا معا إلى فرنسا واتصلا ببعض الأحرار الفرنسيين الذين كانوا يناصروننا في حركتنا وتكلف أربعة

منهم بتبليغها ودفعها إلى المكلف بالشؤون الخارجية، وكان من بينهم مسيو دوطيسان، وبعد تقديم المطالب ومرور سنة ونصف على تقديمها وعدم استجابة الفرنسيين لأي مطلب فيها، عقدت كتلتنا الوطنية اجتماعاً موسعاً بمنزل الوطني الوجيه سيدي الحفيان الشرقاوي بحي مَارَسَة بالرباط ونشأ عن هذا الاجتماع الذي ألقيت فيه عدة كلمات من مختلف ممثلي فروع الكتلة، وقعت المصادقة على المطالب المستعجلة التي لقيت التأييدات من كثير من المدن المغربية، وخصوصاً من فاس الذي انعقد فيه اجتماع موسع ترأسه الزعيم علال الفاسي وألقيت فيه عدة كلمات من مختلف الشخصيات، ثم انعقد اجتماع ثان بمدينة «سلا» ترأسته أنا، وأُلقيت فيه بدوري عدة كلمات، انتهت بالمصادقة والتضامن المطلق مع المطالب المستعجلة، ولم يحضر في هذين الاجتماعين كلّ أعضاء الكتلة لأن البعض كان في باريس يشرح للدوائر الفرنسية الأوضاع السياسية في المغرب وعدم استجابة الإقامة العامة لأي مطلب من المطالب وهما محمد بن الحسن الوزاني وج عمر بن عبد الجليل، وبعد انقضاء أسبوع على تجمع «سلا» كان من المقرر أن ينعقد اجتماع رابع بمدينة الدار البيضاء، يعقبه عقد ندوة صحفية تعلن فيها ماقررته كتلة العمل الوطني فيما يتعلق بالمطالب المستعجلة، ولكن السلطات الفرنسية منعت هذا الاجتماع وألقت القبض على ثلاثة زعماء اعتبرتهم المسؤولين الأولين عن هذه التحركات، وهم : علال الفاسي ومحَمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي، ولربما كان من المقرر لدى السلطات إلقاء القبض على الحاج عمر بن عبد الجليل في تلك الليلة، ولكنه عرف كيف يفلت في تلك الليلة، حيث طبق ماكانت قررته الكتلة من عقد ندوة صحفية بأحد المنازل، وبمجرد انتهاء تلك الندوة، قصد ميناء الدار البيضاء حيث امتطى ظهر باخرة كانت مسافرة إلى فرنسا في اليوم نفسه ووصل إلى باريز ليذيع أنباء الاعتقالات في نشرة صار يصدرها بانتظام خلال تلك الفترة واسمها (المُخبر المغربي) وليتصل ببعض الاشتراكيين وغيرهم من الذين كانوا يناصروننا في مطالبنا. وهكذا قام الحاج عمر بدور هام في تلك الفترة الدقيقة حيث لم يترك المجال فارغاً للإقامة العامة، تنشر الأخبار المزيفة عن حركة كتلة العمل الوطني ومطالبها المستعجلة، الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية، إذ ذاك تعطي تعاليمها لإيقاف الخط الذي كانت الاقامة العامة تريد السير فيه من كبت واضطهاد واعتقالات، وهكذا لم يمض خمسة وعشرون يوماً على اعتقالات الوطنيين ومنهم الثلاثة المذكورون المعتقلون في فاس الرباط وسلا وكنت منهم، حتى أفرج عنا بدعوى أن بعض الأعيان من فاس، التمسوا من السلطات أن تصدر عفوها على المعتقلين كما شرحت ذلك بتفصيل في الجزء الأول من المذكرات.

ولدى أحداث سنة 1937 وعقد المؤتمر الوطني وإصدار الميثاق الوطني الذي تقرر فيه قطع كل اتصال أو تفاهم مع الادارة الفرنسية، مادامت متشبثة بسياسة القمع والاضطهاد، قررت الإدارة من جهتها الاستمرار في خطها القمعي فنفت علال الفاسي إلى أدغال إفريقيا الاستوائية ونفت وسجنت الكثيرين من الوطنيين وكان الحاج عمر بن عبد الجليل من جملة الذين نفتهم إلى الصحراء المغربية، فبقي منفياً ثلاث سنوات كاملات ولم يطلق سراحه إلا أوائل الأربعينات. ومنذ ذلك الوقت، وهو يوالي نشاطه الوطني رغم ظروف الحرب فكان من الأفراد القليلين الذين يتصلون سراً بمحمد الخامس لينسقوا معه العمل الوطني، ومن الذين جسُّوا نبض البعثة الألمانية في المغرب وأدركوا سوء نيتها بالنسبة لاستقلال المغرب، وهو الذي وضع المسودّة الأولى أو المشروع الأول لوثيقة المطالبة بالاستقلال قبل إدخال كثير من التعديلات والتوضيحات عليها من طرف الأعضاء الذين عهد إليهم بتحريرها ومنهم بعض أعضاء قدماء تلامذة مدرسة مولاي إدريس، ولدى الاستماع إلى ملاحظات وتنبيهات محمد الخامس نفسه، وبعد إتمام تحريرها كان من الموقعين عليها ومن الذين قدموها إلى المسؤولين.

ولدى أحداث 29 يناير 1944 كان مكلفاً بالإشراف على تسيير فروع الحزب بالدار البيضاء فأعطى التعاليم التي وصلته من قيادة الحزب بالرباط، بشنّ إضراب عام في جميع المرافق التجارية والصناعية والتعليمية وغيرها، وكان الإضراب عاماً شاملا اهتزت له أركان الاستعمار، ونظرا لأنه كان من جملة الذين لم يلق عليهم القبض في أحداث 29 يناير 44 فإنه بقي مع إخوانه في الرباط، يشرف على تسيير حركة الحزب، وإدخال التنظيمات الجديدة عليه، وتحرير المذكرات والرسائل التي كانت تبعث إلى المسؤولين الدوليين والعرب وبعد تأسيس الجامعة العربية سنة 1945. وبعد خروجنا من السجن أواخر سنة 1945 تقرر أن يتوجه وفد حزبي إلى باريس، للاتصال بالمسؤولين الفرنسيين وحثهم على الاستجابة لمطالبنا المشروعة، ولإقناع الذين يهمهم الأمر، بضرورة تغيير الوضع السياسي بالمغرب بإلغاء معاهدة الحماية وتحقيق الاستقلال، وكان هذا الوفد الذي سافر إلى فرنسا خلال سنة 1946 تحت رئاسة الحاج عمر بن عبد الجليل وعضوية المرحوم عبد الكريم بن جلون والأستاذ أحمد الحمياني بالإضافة إلى المرحوم عبد الرحيم بوعبيد الذي كان سبقهم إلى باريز لإتمام دراسته في القانون من جهة، وللاشراف على حركة الطلاب الاستقلاليين وتشغيلهم من جهة أخرى، وفي سنة 1950 وقعت أحداث هامة في المغرب وفي الأطلس المتوسط بالخصوص، حيث أن وطنيينا قاموا بحركة مناهضة للقواد الذي كان يسيرهم الاستعمار، فقامت السّلطات

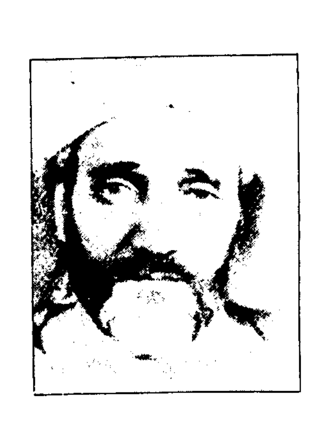
الاستعمارية باضطهادهم وقمعهم بصورة وحشية، سالت معها الدماء في إقليم تادلة بالخصوص، فوجه الحاج عمر بن عبد الجليل برقية احتجاج شديدة اللهجة باسم حزب الاستقلال، تعرض إثرها للسجن هو والاخوة : الفقيه غازي وعبد الكريم بن جلون وعضو أو عضوين آخرين نسيت اسمهما، وقدموا جميعهم للمحكمة الفرنسية باعتبارهم مكونين لحزب يهدد الأمن العام، ويعمل ضد وجود الدولة، ولكن المحكمة بعدما استمعت للدفاع قررت تبرئتهم من الاتهامات المنسوبة إليهم، وفي دجنبر سنة 1952 بعد اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، قرر حزب الاستقلال الدعوة إلى إضراب عام في المغرب، تضامنا مع تونس الشقيقة، فألقى القبض على كل القيادة الاستقلالية ومنهم الحاج عمر بن عبد الجليل ونفي إلى الصحراء أولا ثم قدم مع رفقائه إلى المحكمة العسكرية، وذاق مرارة الاستنطاق العسير خلال أيام متعددة وبقى في السجن حتى آخر سنة 1954 عندما بدأت الأزمة تتفرج ويعمل على إرجاع محمد الخامس إلى عرشه. وعندما قرر الفرنسيون السماح لبعض القيادات والشخصيات بالاتصال بمحمد الخامس في منفاه بأنتسيرابي سافر هو والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد إلى تلك المدينة، حيث اتصلا بالملك المجاهد، وتباحثا معه في موضوع الاستقلال ورجوعه من منفاه والشروط التي ينبغي أن تسير على ضوئها المذاكرة مع الفرنسيين، ثم بعد رجوع محمد الخامس من منفاه بمدغسكر إلى باريس كان الحاج عمر ضمن أعضاء اللجنة التنفيذية الذين استقبلوه (بنيس) وتحادثوا معه في موضوع استقلال المغرب أثناء مقامه في القصر الذي استقر فيه في ضواحي باريز.

وبعد الاستقلال شغل الحاج عمر بن عبد الجليل منصب وزير الفلاحة وفي عهده كانت عملية الحرث الجماعي التي كانت تعتبر ثورة في مجال التعاون بين الفلاحين، ثم عهد إليه في بعض الظروف بوزارة التهذيب الوطني، وعينه بعد ذلك جلالة محمد الخامس مديراً للبنك الشعبي في بداية تكوينه وتأسيسه وعضواً في المكتب الاستشاري الاقتصادي لبنك المغرب وبقي يشغل منصب المدير العام للبنك الشعبي إلى أن لقي ربه في شهر رجب عام 1402 الموافق ل 21 مايو 1982 بالدار البيضاء، وتقديراً لأعماله واعترافاً بما أسداه لبلاده وملكه من معروف شارك ولي العهد المحبوب سيدي محمد في تشييع جنازته مع الجماهير الواسعة التي ودعته والتي أتت من مختلف أنحاء المغرب، ولقد أبنته بالنيابة عن الحزب أثناء دفنه في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء رحمه الله[3].

---

(3) راجع كتابي عن الحاج عمر بن عبد الجليل.

4) الفقيه محمد غازي



تعرفت على الفقيه محمد بن علال غازي أوائل الثلاثينات، وزادت معرفتي به عندما عهد إليَّ بتقديم مطالب الشعب المغربي إلى جلالة محمد الخامس رحمه الله سنة 1934، حيث ترأس الوفد الذي قدم المطالب المذكورة، والذي كان معنا فيه الشهيد عبد العزيز بن إدريس والمرحوم الحاج أحمد الشرقاوي ثم زدت معرفة به وبمركزه في كتلة العمل الوطني عندما زارني بمنزلي بحومة زناتة طالباً مني أن أؤدي قسَماً لأنخرط في الجماعة السرية التي كانت تدعَى بالطائفة. كما سأذكره في ترجمتي بخط يدي إن شاء الله، ثم توالت نشاطاتنا وأعمالنا الوطنية بعد ذلك إلى أن لقى ربه بالسعودية سنة 1972.

ازداد الفقيه غازي بمدينة مكناس عام 1319 هـ الموافق لسنة 1901 ميلادية، ولا أعرف له أخا شقيقا، وإنما أعرف له إخوة من أمه، هم : العيساوي المسطاسي وهو من الموقعين على وثيقة الاستقلال، والعربي المسطاسي وهو من أعضاء الحزب المخلصين ومحمد المسطاسي وهو موظف بالتشريفات الملكية منذ عهد محمد الخامس. وله من الأولاد : جمال الدين وعبده، وعلال.

بعد انتهائه من التعليم الابتدائي التحق بجامعة القرويين، فتعاطى الدراسات الفقهية والحديثية والقرآنية وكان من أوائل الطلبة القرويين الذين تنبَّه وعيُهم، وتفتحت أذهانهم وصاروا يتتبعون الأحداث التطورية والنهضات الفكرية، خصوصاً الدعوة النهضوية التي قام بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ثم علال الفاسي بعد ذلك، ولعل اختيار أسماء جمال الدين وعبدُه وعلال أسماء لأبنائه الثلاثة كان تعبيراً عن تقديره وإعجابه بدعوات هؤلاء المصلحين، ورغماً عن اعتناقه الفكر السلفي الذي دعا إليه الشيخ محمد عبده ورشيد رضا فإنه بقي متشبثاً ببعض أفكاره الصوفية السنية التي كانت تطفو أحيانا على سلوكاته ولعله كان في شبابه الأول يحضر مجالس الذكر في الزوايا والتكايا وماشاكل ذلك.

أثناء تعاطيه الدروس بالقرويين أنشأ جماعة من الغيورين وعلى رأسهم الوطني الغيور الحاج أحمد بن الطاهر مكوار مدرسة قرآنية حرة بالزاوية الناصرية بفاس، فدعى إلى

الاشتغال فيها كمعلم تم عيّن مديراً لها وكان ذلك في غضون سنة 1919 و1920، ولعل السبب في هذا التعيين كان يرجع إلى أنه أثناء دراسته بالقرويين كان مقيماً بمنزل الحاج أحمد مكوار الذي يرتبط معه بعلاقة عائلية.

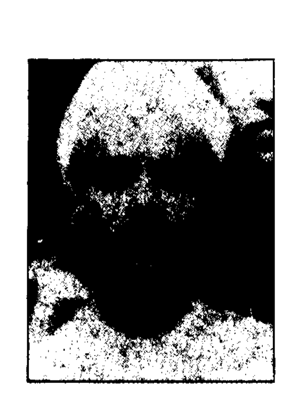
بقي مدة يعطي الدروس ويسير المدرسة المذكورة التي كانت ناجحة، وكان يلتحق بها جمهور من أبناء أعيان ووجهاء فاس، فصارت تنتشر منها بعض الأفكار التحررية والسلفية، وصار الملتحقون بها ينتقدون الطرق التي كان يمثلها عبد الحي الكتّاني المعروف باتصالاته وتعاونه مع رجال الحماية الفرنسية، وهكذا تضايق عبد الحي وأنصاره ومساندوه من رجال الحماية من نشاطاته ودعواته، فقررت الادارة الفرنسية طرده من فاس ونفيه إلى الدار البيضاء سنة 1927، ولقد تعرض أثناء نفيه للدار البيضاء لبعض الأحوال النفسية زمنا يسيراً ثم توالى في نشاطه الوطني والديني، فأسس جماعة إحياء السنة ونبذ البدعة، وأدار مدرسة حرة كانت تسمى مدرسة عكور الحرة. وفي سنة 1931 إثر حركة الظهير البربري انتقل إلى مدينة مكناس وصار يعطي الدروس في مختلف مساجدها، ويتصل بالشباب والطلبة ليكون منهم جماعات وطنية كانت هي النواة الوطنية الأولى بمدينة مكناس وفي سنة 1934 كان من جملة الذين ساهموا بآرائهم في تهييء مطالب الشعب المغربي ومن الأربعة التي قدموها لجلالة محمد الخامس رحمه الله، وأذكر أنه لدى تقديمنا للمطالب ومقابلتنا للصدر الأعظم، صار هو يقدمنا له واحداً واحداً فأشار إلى المرحوم عبد العزيز بن إدريس كممثل لفاس وإلى سيدي أحمد الشرقاوي كممثل للرباط وإلى كاتبه كممثل لسلا، ثم سكت، فنطق المقري قائلا : ولعلك أيها الفقيه تمثل الجميع. وفي سنة 1935 انتقل إلى مدينة آسفي كوكيل شرعي لدى المحاكم الشرعية، وكان القاضي الشرعي إذذاك إن لم تخني الذاكرة، هوالفقيه العبادي، ومن جملة الذين كان يتصل بهم في آسفي من العلماء الفقيه سي إدريس بناصر والفقيه الخطيب الشريف الوزاني والمرحوم الحاج محمد الباعمراني والفقيه بولحية وكان من أصحاب ورفقاء البطل ابن عبد الكريم ومن الذين نفوا إلى مدينة آسفي بعد نفي ابن عبد الكريم رحمه الله، مكث الفقيه غازي في آسفي سنتان كاملتان : 1935 و1936 ثم انتقل إلى مدينة الرباط، وكان من الذين يشاركون مشاركة فعالة في اتخاذ القرارات التي تتخدها كتلة العمل الوطني ومن الأساسيين في قيادة الحركة الوطنية، وكانت تجاربه وأفكاره واقتراحاته تفيد الجماعة لدى اتخاذ أي قرار حتى صرنا ندعوه بالمفتي والمشير بالحلول في عويصات القضايا، كان الإخوان جميعهم ينظرون إليه نظرة التقدير والاحترام، نظراً لما كان يتمتع به من ذكاء ودهاء ومعرفة هامة بالمجتمع المغربي

وطبيعته وتقلباته، كما كانت له دراية وافية بالسيرة النبوية وقصص الأنبياء والمرسلين السابقين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن أغرب ماكان يوصف به في صورته الخَلْقية (بفتح الخاء وسكون اللام) أنه يشبه صورة المسيح عليه السلام كما صوره الرهبان ومن الغريب أن بعض الفرنسيين الذين أتيح لهم الاتصال به، كانوا هم أيضاً يشبهونه بالمسيح. أثناء حوادث أكتوبر سنة 1937 ألقي عليه القبض هو بدوره، وقضينا جميعاً بسجن الرباط وسجن غبيلة بالدار البيضاء وسجن العذير سنة كاملة، ولنامعه بالسجن عدة ذكريات لاأطيل بذكرها، وبعد خروجنا من السجن في آخر أكتوبر سنة 1938 تعاونا جميعاً على إحياء فروع الحزب وتنظيمه، وكان رحمه الله أحياناً يتهرَّب من بعض المسؤوليات، وربما لاتكتشف منه بعض مايضمره، وفي شتنبر 1939 بعد لقاءات ومناقشات كانت حادة في بعض المواقف، اتفقنا على الادلاء بتصريح حول موقف الحزب في ظروف الحرب، فألقى تصريحاً إثر مقابلتنا للمقيم العام أكد فيه موقفنا الصريح في ظروف الحرب، وأننا مع الجانب الذي فيه فرنسا والحلفاء ضد النازية ومحورها وأكد استعدادنا للتعاون النزيه في المجال الحربي والسياسي مع الادارة الفرنسية بشرط ضمان مصالح المغرب، وكان هذا القرار الذي اتخذناه بأجمعنا نحن أعضاء اللجنة التنفيذية الموقتة المتركبة من الفقيه غازي والمرحوم أحمد الشرقاوي والمرحوم سعيد حجي وكاتبه أبي بكر القادري، ونتج عن هذا القرار السماح باتصالات مع بعض المعتقلين قام بها الفقيه غازي والسعيد حجي، كانت لها نتائج مستقبلية، وبعد رجوع بعض المنفيين من منافيهم، واتفاقنا على المطالبة بالاستقلال كان الفقيه غازي من أبرز الذين يشاركون في المناقشة وأخذ القرار، ومن الذين يتصلون سرياً مع الملك الصالح سيدي محمد الخامس لاستشارته وأخذ رأيه قبل اتخاذ أي قرار، كما كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال ومن أعضاء الوفد الذي قدم العريضة لجلالة الملك. وأثناء الأحداث التي وقعت يوم 29 يناير 1944 كان الاخوة كلفوه بالاشراف على تسيير معهد جسوس الذي أسسه الحاج أحمد بلافريج ولذلك بقي بعيداً عن كل تظاهر، ومن أجل ذلك لم يلق عليه القبض.

وعندما قرر الحزب التحايل على الإدارة في ميدان حرية الصحافة، كلفه بإصدار مجلة (رسالة المغرب) الثقافية التي كان لها دور هام في نشر الوعي الثقافي وجمع نخبة من المثقفين حولها وإثر أحداث دجنبر 1952 ألقي عليه القبض مع باقي أعضاء اللجنة التنفيذية فنفي أولا إلى آسّا بنواحي كولمين ثم أحيل معنا على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على الدولة، فقضينا مدة تقرب من السنتين بين جدران سجون : الرباط ـــ

الدار البيضاء ــ السجن المركزي بالقنيطرة وأفرج عنه أواخر سنة 1954، وكان أثناء وجودنا بالسجن، ولدى بروز علامات الانفراج يقول لنا : إذا مامنَّ الله علينا بنعمة الاستقلال، فأملي أن أعيَّن سفيراً للمغرب بالمملكة العربية السعودية، وهكذا حقق الله أمله، ففي سنة 1957 عينه جلالة محمد الخامس أول سفير للمغرب بجدَّة، وبقي في السفارة إلى سنة 1965 حيث أحيل على التقاعد، فرفض المجيء إلى المغرب رغم المرض الذي حلّ به، واختار المقام بجدة ليبقى قريباً من الحرمين الشريفين إلى أن يلقى ربه يوم 26 ماي عام 1972، فنقل جثمانه إلى المدينة المنورة وصلى المسلمون عليه صلاة الغائب بالحرم المكي وصلى عليه أيضاً بالمدية المنورة ثم دفن بالبقيع جوار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، رحمه الله وأجزل له الثواب.

5) الشهيد السيد عبد العزيز بن إدريس العمراوي



من أعلام علماء القرويين الشباب، درس علوم الفقه والحديث والقرآن وماشاكل ذلك من العلوم التي كانت تدرس بجامعة القرويين، ومن جملتها علم التنجيم والفلك والرياضيات وكان في هذه العلوم من البارعين، أثناء وجودنا بسجن الدار البيضاء في سنة 1937 و 1938 استفدت منه كثيراً في علم التنجيم، وزاد سجني معه في تلك الفترة من تاريخ الكفاح الوطني تعرفاً عليه وعلى صوفيته الوطنية وتدينه المثالي، كان يصلي بنا الأوقات هو والعالم الصالح سيدي عبد السلام الوزاني رحمه الله.

ازداد سنة 1907 بمدينة فاس، وتعاطى دروسه جميعها بين أحضانها، وكان له أثناء دراسته في القرويين رفقاء أعلام كان لهم دور وأي دور في تاريخ الكفاح الوطني، ونشر الوعي الديني، ونشر الثقافة والمعرفة، وفي طليعتهم الزعيم علال الفاسي والسلفي محمد إبراهيم الكتاني والمطلع الفقيه السيد بوشتى الجامعي والوطني الحر السيد الهاشمي الفلالي وغيرهم كثير، ولقد صادف الحال أن يكون تقدّمه لامتحان شهادة العالمية، هو ورفيقه علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني سنة 1930 وهي السنة التي استصدر فيها الفرنسيون ظهير 16 ماي 1930 الذي بموجبه خططت السياسة الاستعمارية لتقسيم المغرب، وتمزيق وحدته السكانية والثقافية والقضائية والادارية وحتى الدينية فقام المغرب

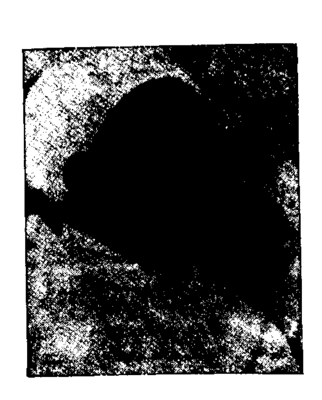
قومته الموحدة، لافرق بين سكان المناطق البلدية ولابين سكان المناطق القروية والبربرية، وكان من جملة الذين تظاهروا ضد هذه السياسة الاستعمارية التفريقية الشهيد عبد العزيز بن إدريس الذي لقى كل أذى أثناء تلك الفترة حيث جلد على رجليه من طرف الباشا ابن البغدادي ونفي بضعة أشهر إلى سجن مدينة تازة. هو ورفقاؤه في الكفاح، علال الفاسي ــ محمد بن الحسن الوزاني ــ والهاشمي الفلالي ولربما غيرهم.

وبعد إطلاق سراحه، جاء وقت تقدمه للامتحان كما ذكرت سالفاً، فكان نجاحه بتفوق حسبما قررت لجنة الامتحان، ولكن الادارة الاستعمارية قررت أن تحرمه هو ورفيقاه في الامتحان وهما علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني اللذان بدورهما نجحا بتفوق من نيل الشهادة العالمية مالم يتراجعوا عن موقفهم ضد السياسة البربرية، ويعلنوا توبتهم عما قاموا به من احتجاج واستنكار لصدور الظهير البربري، فأبت عليهم شهامتهم الوطنية، وكرامتهم الدينية أن يلبوا ماطلبت منهم الادارة، ورفضوا أن يستبدلوا تلك الكرامة بورقة مطبوعة تعطيهم الاعتراف بالعالمية التي لايعيرونها أي اهتمام، إذ يعتبرون الشهادة الحقيقية هي ماسوف يقومون به من أعمال في ميادين نشر المعرفة والوعي الوطني وخدمة شعبهم الذي ينتظر منهم الكثير، وهكذا دخل عبد العزيز بن إدريس ورفقاؤه في ميدان الامتحان الحق، ونيل الشهادة الحقة، فعاهد الله على مواصلة الجهاد والكفاح والتبشير بالمبادىء الصحيحة، وتربية الناشئة، وخدمة الطبقة العاملة، وتكوين الخلايا الوطنية التي تربي على الفضيلة والاستعداد للتضحية، فصار يدعو إلى التعليم ويعلم الأبناء ويربي الأجيال، وانخرط في سلك المدرسة التي كان يديرها، كثير من الشباب الذي سيصبح له دور وأي دور في الحقل الوطني والثقافي والديني، وكان عبد العزيز بن إدريس المثال الحي، والقدوة الصالحة لا في علمه وتعليمه فحسب، ولكن في تشخيص الأفكار والمبادىء التي كان يدعو إليها. وكان بالإضافة إلى ذلك، أول من يلبي نداء الواجب الوطني إذا مادعا داعي النضال والجهاد والتضحية بكل مايملك. كان مثال الرجل الوطني الحر المتواضع الذي لايرغب في جاه ولا منصب ولا أي متاع من متاع الحياة الدنيا، عرف السجن والنفي والإبعاد المرات العديدة، في سنة 1930 وسنة 1936 وسنة 1937 وسنة 1944 وسنة 1952 وذاق خلال بعض سجناته المرائر والعذاب والضرب والتنكيل، رأيته رحمه الله أثناء سجننا عام 1944 وهو ممتد داخل زنزانة في سجن الرباط، لايستطيع حتى الكلام، فأشار إلى رجليه البارزين من تحت الغطاء ويكادان يتقاطران دماً من شدة الضرب الذي لاقاه، وحكى بعد ذلك مالاقاه هو وصديقه الهاشمي الفلالي ورفيقه أحمد مكوار من تنكيل وعذاب

لايتحمله إلا الصادقون الصابرون، ورغماً عما قاساه من امتحان، فإنه لم ييأس ولم يضجر ولم يتخل مطلقاً عن أداء واجب من الواجبات التي يتكفل بها، وكان يقول بعد مايجوز فترة من فترات الامتحان الذي كان يقاسيه : (إنه الانتصار... انتصرنا أولا على أنفسنا نحن أيضاً، كنا نعتبر السجن عالم المجرمين والمهانين وسيئي السمعة، السجن الآن — وفي عصر المسخ — أصبح يحمل معنى آخر هو الحرية، الحرية ؟ لاتسألوا ولكن اسمعوا، حينما يدخل جسمك السجن، تخرج نفسك إلى عالم الحرية، لأنها تتحرر من السجن الأبدي الذي سَكَنها وسكنته، أن تناضل يعني أنك تحرر من الجُبن والرضى بالهوان... أن تقول : لا، فتدخل السجن، يعني أنك تجرأت فسلكت الطريق الممنوع، أن تدخل — بكل كرامتك ـالسجن، يعني أنك أخرجت حرية بلادك وكرامتها من سجن كبير، فرض عليها بقوة الحديد والنار).

عرفت الشهيد عبد العزيز بن إدريس مناضلاً شهماً متواضعاً في كل أطوار حياته، سواء قبل الاستقلال أو بعد الاستقلال، فهو من القلائل الذين لم يتغيروا في سلوكهم ولا في تعاملهم بعد الاستقلال، لم يتطلع إلى وظيف، ولم يرتض أن ينال تعويضات على ماقدم من تضحيات، بقى يؤدي واجبه الوطني والديني بنكران للذات قل نظيره، يتصل بمختلف الطبقات الشعبية، خصوصاً طبقات المحترفين والصناع التقليديين والتجار الصغار والطلبة المجدين والفلاحين اليدويين، يتصيّد كل الأوقات ليؤدي واجبه الوطني، سواء في الليل أو النهار، يتنقل بين الحواضر والبوادي، خصوصا بوادي فاس والأطلس المتوسط، إذا ماقرر إخوانه في قيادة الحزب أن يترك مدينته المفضلة : فاس ليؤدي واجبه في ناحية أخرى، فإنه لايتردد، كان مفتشا للحزب في ناحية الرباط بعد الاستقلال، وانتقل إلى أكادير ثم انتقل إلى مراكش التي لقي في ناحيتها حتفه بيد أثيمه، فلقد كان يؤدي واجبه الوطني في قرية تحناوت القريبة من مراكش، وكانت الأيدي الأثيمة النكراء تتربص به الدوائر لتغتاله وتذبحه وهو يقول ربي الله، لقد اغتالته الأيدي الأثيمة التي تدعي انتماءها إلى الوطنية، والوطنية الحقيقية منها براء، لقد كان عاقداً لاجتماع وطني في دائرة حزبه، فهجمت عليه الفئة الضالة المتعنتة وذبحته في واضحة النهار، وهو يناشدها أن لاتفعل، ولكنها كانت معمية ومضلّلة وطاغية فسقط مضرجاً في دمائه يوم 15 شوال 1378 هـ الموافق لـ 24 أبريل 1959، ولقى ربه شهيداً يؤدي واجبه بصدق وإخلاص رحمه الله وأسدل عليه شآبيب الرحمة وحشرة مع الشهداء والصديقين والصالحين (وحَسُن أولئك رفيقاً).

6) أبو الشتاء الجامعي



لا أذكر متى تعرفت على الأستاذ بوشتى الجامعي بالضبط، وإنما أذكر أنني كنت ألتقيه عندما أزور فاساً، فأجده مع الأخوين : عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي. وعندما يتحدث الاخوان بفاس عنه، يذكرونه بالاحترام والتقدير، ويثنون على الدروس التي يلقنها لتلاميذه، وأنهم يستفيدون منه كثيراً، كما يثنون على وطنيته ودينه المتين وهكذا صرت أتعرف عليه وعلى وطنيته، وأنه كان من السابقين الذين تنبَّه وعيُهم وابتدأ نضالهم وتبشيرهم بالأفكار والمبادىء الوطنية، سواء أكان بفاس الذي كان يتعاطى دروسه في القرويين أو في أولاد جامع القريبة من فاس التي هي موطنه الأصلي.

ازداد سي بوشتى كما كنا ندعوه دائماً بأولاد جامع، وبعد إنهاء دراسته الابتدائية التحق بالقرويين فتابع دراسته المتنوعة فيها على مختلف العلماء الذين كانوا يلقون دروسهم في العلوم الدينية والأدبية، ويتراءى لي أن عكوفه على الدراسة أكسبه معرفة دقيقة بالعلوم الفقهية واللغوية حسب الطريقة التي كانت متبعة في القرويين، فلقد كان يحلل النصوص ويتفهمها حتى النصوص الأدبية مثل ديوان الحماسة مثلا التي بقى يدرسها لتلاميذه حتى بعد استقراره بالدار البيضاء ويظهر لي أن إدراكه ربما يكون بطيئاً بعض الشيء مثل حديثه، ولكنه عندما يدرك المعنى يكون إدراكه صحيحاً، لقد رأيته يدرس مدارج السالكين لابن القيم وأنا في سجن غبيلة بالدار البيضاء، فكان يغوص على المعاني ويتذوقها ولربما كان يخطّىء الآخرين الذين يطالعونها، لقد كان يعطي دروساً ببعض المدارس الحرة بفاس، ثم لما قرر الحزب بطلب من الاخوة الوطنيين بوجدة، أن يفتح مدرسة حرة بها، تولّى إدارتها وتسييرها الوطني الصالح الشريف سيد عبد السلام الوزاني، فكان سي بوشتى يساعده كل المساعدة لدى إنشائها، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة، حيث كان يسيّر المدرسة التي أسسها الحزب تحت إشراف المرحوم الشهيد السيد محمد الديوري، والتي كانت تقع بمنزل صغير أولا ثم انتقلت إلى منزل أوسع، قبل أن تشيّد في الموقع الذي تقع فيه الآن، وهي مدرسة التقدم التي يديرها الآن أخونا المناضل السيد أحمد بن الحاج السلمي.

لقد زرته في المدرسة الصغيرة سنة 1937 وكنت باشرت التعليم قبل أربع سنوات عندما أسست المكتب الاسلامي بزاويتنا القادرية، ثم انتقلت إلى دار كانت في ملكي وملك أختي رحمها الله، عندما أدخلت كثيراً من التحسينات على طريقة التعليم وعصرنته، لقد زرته لأستطلع منه ماطبقه في مناهج التعليم وطريقة التلقين، وتنويع الدروس إلخ، فأدركت أنه حاول إصلاح المناهج التعليمية وعمل على ترقيتها جهد الإمكانات التي كانت لديه إذذاك، وانه بمساعدة المرحوم الديوري استطاع أن يركز أسس التعليم الحر بالقنيطرة، حتى أعطى ثمرته الكاملة بعد ذلك في عهد الشريف العلوي الذي تولى إدارة المدرسة بعد انتقال سي بوشتى إلى الدار البيضاء، أو في عهد الأستاذ أحمد بن الحاج السلمي حفظه الله. بعد انتقاله إلى الدار البيضاء، وتأسيس مدرسة «لارميتاج» الثانوية التي كان يديرها الأستاذ الهاشمي الفلالي، كان يعطي دروسا ثانوية ويساعد الأستاذ الهاشمي في التسيير ولايكتفى بذلك، بل كان يعطي دروساً ثقافية ووطنية بمنزله، وكان يستفيد منه الكثيرون الذين بقوا دائماً يعترفون له بالجميل، وأذكر أن الأستاذ علي يعتة رئيس حزب التقدم والاشتراكية كان يثني عليه الثناء العاطر، ويعترف أنه استفاد منه كثيراً رحمه الله، وأثناء مقامه بالدار البيضاء كانت له علاقات علمية متينة مع بعض علمائها المخلصين أمثال الحاج محمد المذكوري وأخيه الحاج أحمد رحمهما الله.

وفي المجال الوطني كان سي بوشتى من المؤسسين للحركة الوطنية بفاس والمقاومين للسياسة البربرية سنة 1930 ومن المطالبين بإصلاح التعليم في الفترة التي كانت مطالبةُ تغيير الأساليب العتيقة في مجال التعليم والتثقيف تعتبر ذنباً وجرماً لاتغفره الادارة ولأنصارها من الجامدين، وعندما أسس الزعيم علال الفاسي الخلية الوطنية الأولى أواخر العشرينات، كان سي بوشتى من أنشط الأعضاء فيها، وكان يتنقل بين فاس وأولاد جامع ليبث الأفكار الوطنية السلفية، ويكسب الأنصار الأمر الذي جعل الادارة الفرنسية تتربص به الدوائر، وتلقي القبض عليه وتسجنه، فكان أول سجين من أعضاء الخلية الوطنية المذكورة، ثم نفي إلى الحياينة بنواحي فاس، وبعد سراحه عرضت عليه الادارة مهنة العدالة لتستريح من تحركاته فرفض هذا العرض، وكانت النتيجة أن منعته من الذهاب إلى فاس، ولكنه كان يتحداها ويلتحق بإخوانه بفاس عندما يُرخي الليل سدوله، ثم بعد مضيّ الزمن وانتشار الأفكار الوطنية وذيوعها وكثرة المنخرطين في الحركة الوطنية، سواء قبل تأسيس كتلة العمل الوطني سنة 1934 أو بعدها كان سي بوشتى من المؤسسين البارزين الوطنيين، وكان من أعضاء الطائفة التي تعتبر الجماعة السرية لكتلة العمل الوطني وللحزب الوطني ثم لحزب الاستقلال،

وأثناء وجوده بالقنيطرة سنة 1937 شارك في المظاهرة الضخمة التي وقعت فيها إثر نفي الزعيم علال وصحبه الكرام، فكان من جملة المعتقلين الذين ذاقوا الأمرين بالريش، ثم نقل إلى سجن عين علي ومومن، ثم إلى سجن غبيلة بالدار البيضاء حيث التقينا هناك مع الكثيرين من إخواننا الذين جمعهم سجن الدار البيضاء. وفي مدينة الدار البيضاء اشتغل فترة زمانية قصيرة بالتجارة في طريق مديونة، ولكن التجارة لم تتلاءم معه — فرجع إلى مهمته الحقيقية التي هي التعليم ونشر الأفكار الوطنية السلفية، فكان من جملة المؤسسين لمدرسة الأزهر الثانوية والعاملين على نجاحها. بعد تحقيق الاستقلال. وكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ومن الذين تحملوا الكثير من المتاعب في سبيل الاستقلال.

لقد كان سي بوشتى كما عرفته رجلا وطنياً سلفيا في وطنيته، داعياً إلى الاستمساك بالسنة النبوية، متديناً صحيحاً، يقبل على ربه أثناء صلواته بكل كيانه وخشوعه ملازماً للمطالعة في كل أوقاته خصوصاً عندما أتعبه مرض أصابه في ركبتيه، فكان يقضي أوقاته في منزله يطالع ويذاكر الذين يقصدونه من طلابه ومحبيه، متتبعاً مع ذلك مايجري من أحداث وتقلبات وخصوصاً منها مايتعلق ببلاده وانتخب عضوا في مجلس الرئاسة لحزب الاستقلال أواخر حياته كان يعرف حق المعرفة المناوئين للفكر الوطني السليم، ويحض على الابتعاد عنهم. وإذا ماسمع حدثاً جديداً يتعلق بنيل مواطنيه حقاً من حقوقهم، فإنه يُسر كثيراً، وينشط وكأنه ربح الصفقة، كانت سكناه متواضعة، وحياته متواضعة، ولكن قوته الايمانية لاتوزن بميزان. توفي رحمه الله بتاريخ سابع دجنبر من سنة 1990 ودفن بمقبرة الشهداء، وأبّنه بالمسجد رفيقه في الكفاح الأستاذ الهاشمي الفلالي، وبعد مرور أربعين يوماً على وفاته أقام له الحزب حفلا تابينيا خطب فيه الكثيرون من إخوانه وأحبائه، وألقيت بدوري كلمة في موضوع التأبين ونشرتها في كتابي «رجال عرفتهم».

رحم الله الأخ سي بوشتى الجامعي، وحشره في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين.

7) السيد مسعود الشيكر



عندما كنت أزور المرحوم الأخ محمد اليزيدي، أجد أحيانا عنده الأستاذ مسعود الشيكر، وعلمت أنه درس وإياه في كوليج مولاي يوسف بالرباط، وتوثقت العلاقة بينهما ثم بعد حين علمت أنه من الجماعة الوطنية الأولى وإن كان لم يكشف عن نفسه إلا سنة 1944 عندما وقع مع إخوانه على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

ازداد السيد مسعود الشيكر (بكسر الشين المشددة، وفتح الكاف المعقدة) بضاحية سيدي قاسم (قبيلة الشراردة) سنة 1905، ولما بلغ سن الدراسة أدخل للكتّاب القرآني ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية ثم إلى كوليج مولاي يوسف بالرباط، ثم التحق بمعهد الدروس العليا التي كان يلتحق بها الحاصلون على شهادة دبلوم انتهاء الدراسة الثانوية (وهي تعادل البكلوريا) وحصل على شهادة الدروس العليا منها سنة 1927 وكانت هذه الشهادة تؤهل الحائز عليها لنيل وظيفة بإدارة الشؤون الشريفة، فالتحق بهذه الإدارة الشريفة التي كان التحق بها أيضاً المرحوم محمد اليزيدي والمرحوم ج بوبكر الصبيحي والتي كان موظفاً فيهما قبلهما المرحوم عبد اللطيف الصبيحي الداعية الأول لمقاومة الظهير البربري 1930 والذي بسبب دعوته هذه استقطب كثيراً من الأنصار المثقفين ومنهم الذين كانوا موظفين بإدارة الأمور الشريفة أمثال اليزيدي والصبيحي ج بوبكر ومسعود الشيكر.

وعندما تأسست جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط كان عضواً فيها، وخلال كل هذه الفترات كانت علاقته وطيدة مع اليزيدي ولربما مع بلافريج أيضاً، فكان محل ثقة الرجال الأولين الذين قامت علىٍ أكتافهم الحركة الوطنية بالرباط، وكان يساعد بالكتابة في الصحف الوطنية الصادرة في الغالب بالفرنسية ويوقع بأسماء مستعارة مثل أبو إدريس أو أبو الفوارس، وكان مايكتبه ويحرره محل اهتمام نظراً لدقة تعابيره وابتعاده عن الحشو، ولعل ذلك يرجع إلى دراسته القانونية، التي جعلته يزن الكلمات ويحقق مدلولاتها قبل أن يعبّر بها، ومن هنا فإنه أفاد الكتلة الوطنية لدى وضعها لمطالب الشعب المغربي سنة 1934 حيث كان يراجع ماكان يحرر، ويبدي كثيراً من الملاحظات

الدقيقة، وقد أدركت بدوري هذه الملاحظات التي يتقدم بها ويبديها عندما كانت تجمعنا بعض المناقشات والمذاكرات أثناء تحريرنا لمذكرة سياسية، أو كتابة مقال سياسي هام، فيبدي ملاحظات هامة ودقيقة في التعبير، الأمر الذي كان يبرهن لي على أنه دقيق كل الدقة فيما يتعلق بتحريراته وكتابته.

لقد كان للحزب أثناء فترة الأربعينات بالخصوص بعض الإخصائيين في تحرير المذكرات والعروض التي يتقدم بها إلى الدوائر المختصة في الداخل والخارج، وكان مسعود الشيكر والحاج أحمد بناني من هاته الجماعة التي تشتغل دوماً في التحرير، وإن كان أسلوب تحرير الشيكر يختلف عن أسلوب بناني من حيث الدقة، فبمقدار ماكان أسلوب الشيكر دقيقا وقانونيا بمقدار ماكان أسلوب بناني أدبيا وموسعاً.

وعندما قرر الحزب رفع مذكرة موسعة لهيأة الأمم المتحدة بعد تكوينها في الأربعينات، تدحض ماكانت تقدمه الحماية من أعمال وإصلاحات، كان سي مسعود الشيكر من الذين ساهموا المساهمة الفعالة في كتابة هذه المذكرة التي بعدما تمت، كانت أعطت كثيراً من البيانات الواضحة، والاحصاءات المدققة عن أعمال الحكومة الفرنسية في المغرب، خصوصاً الفوارق الواضحة والفاضحة الواقعة بين مايخصص للجالية الفرنسية ومايخصص للمغاربة عندما تقرر الإدارة الفرنسيةماينوب هذه أو تلك في الميزانية.

لقد انخرط مسعود الشيكر في سلك الجماعة السرية التي كانت تدعى بالطائفة، فكان مطلعاً على كثير من أسرار الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال، وكان يشتغل بسرية مطلقة، بحيث لم يكن يعرف مقامه في الحزب إلا القليلون من أعضاء الحزب أنفسهم ولم يتعرف عليه الكثيرون إلا بعد توقيعه وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 والتي كان الحزب قرر أن يوقع عليها كل المنخرطين في الطائفة، فكانت نتيجة توقيعه، هي طرده من الوظيفة التي يشتغل فيها.

لقد التحق بالوظيفة التي كان يشغلها بإدارة الأمور الشريفة سنة 1928، وأقصى عنها سنة 1944 وفي سنة 1947 بعد تعيين إريك لابون في الإقامة العامة ومحاولته تلطيف الجو السياسي عيّن سي مسعود الشيكر رئيسا لمكتب الوزير الأول في الصدارة العظمى، وبقي في هذا المنصب إلى سنة 1950 حيث كانت الإدارة الفرنسية قبلت أن يكون لصاحب الجلالة محمد الخامس ديوان ملكي باختياره، فكان المدير هو الحاج مَحمد ابا حنيني وكان نائب المدير هو سي مسعود الشيكر، وأثناء وجوده بالديوان

الملكي الذي التحق به في 15 شتنبر 1950 وبقي فيه إلى 26 يبراير 1951 تعرف عليه كثيراً جلالة محمد الخامس، وأدرك فعالية فكره ودقة فهمه، فما أن رجع من منفاه بمدغسكر إلى سان جرمان بفرنسا حتى وجه إليه برقية بتاريخ 5 نونبر 1955 يدعوه إلى الالتحاق به في باريز ليصبح عضوا في الديوان الملكي، ثم ليرافقه في الطيارة التي أقلته من باريز إلى المغرب، وهذا يدل على الحظوة التي حظي بها عنده والثقة التي نالها منه رحمه الله.

وبعد الاستقلال عيّن مديراً للديوان الملكي ثم وزيراً للداخلية، ثم كاتبا عاماً لمجلس الدستور، ثم عيّن رئيساً لديوان الحسابات، ثم مستشاراً بالمجلس الأعلى للقضاء.

ويجب أن أسجل له هنا أنه رحمه الله لدى اشتداد الأزمة بين محمد الخامس في الخمسينات وبين الاقامة العامة الفرنسية، كان سي مسعود الشيكر يدخل القصر الملكي متنكراً ليقوم بتحرير بعض المذكرات التي يكون محمد الخامس قرر رفعها إلى الحكومة الفرنسية. ولقد أشرت إلى أن سي مسعود التحق بالديوان الملكي في سنة 1950، ولكن بعد اشتداد الأزمة بين محمد الخامس والفرنسيين، قرر الفرنسيون حل الديوان الملكي، وفصل الأعضاء الذين كانوا فيه والذين كان من جملتهم مسعود الشيكر، حيث قررت الإدارة أن تنقله إلى مراكش كعضو بمحكمة مراكش، فرفض هذا التعيين، ولم يقبل أن يشتغل تحت رحمة الكلاوي.

وفي 18 أبريل 1969 لبى سي مسعود الشيكَر بمدينة سلا داعي ربه، فالتحق بالرفيق الأعلى رحمه الله.

8) بنو زكري عمرو أُوبنَاصر الزموري



السيد اعمرو أُوبناصر بنوزكري من خيرة الوطنيين الشبان الذين تعرفت عليهم في الأربعينيات وما بعدها وبعد الاستقلال، عرفت فيه الاستقامة الوطنية الصميمة والتعلق بالمثل العليا والعمل للخير العام.

ازداد بآيت واحي في دائرة تيفلت إقليم الخميسات يوم عاشر مارس 1916، وتلقى دراسته الابتدائية بمدرسة موسى ابن نصير بالخميسات، ودراسته الثانوية بثانوية آزرو التي سميت بعد الاستقلال بثانوية طارق بن زياد، وفي هذه الثانوية ربط علاقات أخوية وطنية

مع بعض رفقائه في الثانوية في طليعتهم الأستاذ عبد الحميد بن مولاي أحمد الادريسي الزموري والسيد عبد الله الرحماني الزموري وكل هؤلاء بعد مغادرتهم الثانوية صاروا يشتغلون بالتعليم. انخرط سي اعمرو في مدرسة تخريج المعلمين وتخرج منها معلماً سنة 1934، فصار يعطي دروسه في اللغة الفرنسية إلى غاية 1944 عندما وقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 هو وصديقه السيد عبد الحميد الزموري الذي كان سبقه على مايظهر إلى الانخراط في سلك الحزب الوطني، لقد كان سي عمرو رحمه الله من الشخصيات الوطنية الشابة التي وعت مسؤوليتها وأدركت بعمق كبير مايضمره الاستعمار الفرنسي من مكر وتفريق وتشتيت للشعب المغربي، كما أدرك أن المدرسة الثانوية التي كان ملتحقاً بها لم ينشئها الاستعمار بالشكل الذي كانت تُسيَّر به، إلا لأغراض استعمارية، خيّب الشبان الوطنيون الذين كانوا ملتحقين بها أغراض الاستعماريين، وأكدوا للجميع أن دسائس الاستعماريين لم تكن خافية عن أعينهم، وأنهم دائماً مع وحدتهم الوطنية والدينية والثقافية لايبتغون غيرها أبداً.

لقد انخرط سي اعمرو في صفوف الحزب الوطني مع بقية إخوانه، وعندما نادى منادي المطالبة بالاستقلال كان أول الملبين للتوقيع على عريضة الاستقلال، غير ملتفت للوظيفة التعليمية التي كان يشتغل بها، الأمر الذي جعل المراقب الفرنسي، في مدينة الخميسات يندهش من توقيعه على وثيقة الاستقلال وينادي عليه ليؤنبه ولربما يحاول إرجاعه عن الالتحاق بجماعة الاستقلال، فتلقى منه الجواب الصريح الواضح أن الاستقلال مطلبنا، وأنني مع إخواني الموقعين على الوثيقة لا أتراجع ولا أنكص على عقبي.

لقد سبق له أن نفي إلى مدينة الصويرة سنة 1937، عندما أدرك الفرنسيون أنه يقوم بدور المربي الوطني، الناشر للأفكار الوطنية، والمكون للخلايا الحزبية، وعندما رأوه يشارك المشاركة العملية في الاحتجاجات والمظاهرات التي ترفض الاستعمار ومخططاته سواء منها مايتعلق بالسياسة البربرية أو غيرها من المخططات الاستعمارية، وتأكد لديهم إثر توقيعه على المطالبة بالاستقلال، أنه ليس من تلك الطينة التي أرادوا أن ينشؤوا الناشئة الأمازيغية عليها.

لقد ذكر لي رحمه الله عدة مرات أنه بمقدار ماهو معتز بمغربيته وانتمائه لقبائل زمور، بمقدار ماهو معتز بتسلسله من العترة النبوية الشريفة، فهو شريف النسب، وشريف الانتماء الوطني، وكثير الاعتزاز بما قدمه ويريد أن يقدمه لوطنه الصغير والكبير، ويعني

بالكبير الوطن العربي والإسلامي، وفي هذا المجال عندما أردنا أن نكون الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الوطني كان من المتحمسين العاملين فيها ومن أعضاء لجنتها المركزية. ومن الذين أسسوا لها فرعاً في الخميسات وتيفلت، وضمنها خلية خاصة بالنساء الزموريات كن عاملات على تعزيز هذه الجمعية المذكورة، ومناصرة الكفاح الفلسطيني بكل مايستطعن من مجهود. كان يوجد بزمور جماعات من حفاظ القرآن الكريم، وازداد نشاط هذه الجماعات بعد أحداث ماي سنة 1930 التي صدر فيها الظهير البربري وهجم جماعة من الرهبان على منطقة الخميسات يحاولون بث دعايتهم النصرانية، وتنصير بعض الذين يظنون أنهم سيغرونهم باعتناق المسيحية والخروج من الاسلام، ولقد تصدى سكان المنطقة جميعهم لهؤلاء الرهبان بالمقاومة والمعاكسة، فلم يستطيعوا أن يؤثروا على أي مسلم ليخرج من دينه ويعتنق النصرانية، ولقد لعب بعض الطلبة الزموريين دوراً هاماً في مكافحة هؤلاء الرهبان، خصوصاً لما قرروا أن يقيموا موسماً دينياً لراهبة تدعى باسنت تيريز، فارتاع المسلمون وبالأخص حفظة القرآن في ناحية الخميسات، وأقاموا موسماً قرآنيا ارتاعت له الإدارة، فألقت القبض على الكثيرين منهم، وزجت بهم في السجون، ولقد لقينا بعض هؤلاء الاخوة في سجن العذير سنة 1937 و 1938 فكنا ننصت لتلاوتهم ــ ونحن سجناء أيضاً ــ بغاية الخشوع، وإثر هذا رأى الاخوة الزموريون في الأربعينات ومنهم سي عمرو أُوبناصر توجيه عدد من الطلبة لفاس ومكناس لدراسة القرآن والعلوم الدينية لتبقى شعلة الإيمان متمكنة في صدورهم، والتفقه في الدين منتشراً بينهم، وفي هذا النطاق أسس سي اعمرو أُوبناصر مدرسة أسماها مدرسة الأطلس الحرة، ودعا إلى تدشينها صاحب السمو الملكي، ولي العهد المحبوب الأمير مولاي الحسن، فلبّي حفظه الله الدعوة وكان يوم تدشينها يوماً مشهوداً وذلك في سنة 1947. ولم يكتف بهذا رحمه الله وقد أصبح يشعر بمسؤولية ضخمة في نشر الأفكار الوطنية والوعي القومي والروح الدينية المستقيمة، فأنشأ مكتبة أسماها كذلك مكتبة الأطلس حيث أصبحت لاتعتبر مركزاً لترويج الكتب والصحف فحسب، ولكنها أصبحت مركزاً لالتقاء الأحرار، وجمع المعلومات، وتبادل الأفكار الوطنية. واستمر سي اعمرو يؤدي رسالته الوطنية طوال الأربعينيات، وحين وقعت أحداث ديسمبر 1952 إثر اغتيال فرحات حشاد، واعتقل الوطنيون من منطقة زمور قام بواجبه بالاهتمام بعائلاتهم وأسرهم ومدهم بما يحتاجون إليه من معونة ومال. وشاءت الأقدار أن ينتقل إلى الرباط كمعلم للغة الفرنسية، بمعهد جسُّوس،فصار بيته في الرباط نادياً لعقد الاجتماعات، وبعد قيام المقاومة الوطنية بعد نفي محمد الخامس، كان يزود المقاومين

بما يحتاجون إليه من سلاح، وصار يخفي الأسلحة حتى داخل الفصل الذي كان يدرس فيه بمعهد جسوس، والتي تسلمها من الشهيد الزرقطوني كما كان يعمل لجمع الأموال كي تؤدى إلى المحامين الذين يتولون الدفاع عن المقاومين المنتمين لزمور والذين كانوا يحاكمون بالمحكمة العسكرية.

لقد كان سي عمرو الزمور رحمه الله عضواً نشيطاً داخل حزب الاستقلال، انتخب في المجلس الأعلى للحزب، وبقي مسؤولا أساسيا عن فروع الحزب في منطقة الخميسات، وكثيراً ماعقدت معه ومع إخوانه عدة اجتماعات وطنية عندما كنت مفتشاً عاما للحزب وبعد الاستقلال تقلب في عدة مناصب، فعمل رئيسا لديوان وزير الداخلية في أول حكومة كان يرأسها السيد مبارك البكاي ويتولى وزارة الداخلية السيد لحسن اليوسي ثم عين قائداً ممتازاً بدائرة الرماني، ثم مديراً للمدرسة الفلاحية بالقنيطرة ومديراً لديوان وزير التعليم الثانوي الأخ قاسم الزهيري، وأخيراً عيّن مديرا لثانوية الأيوبي بسلا، وأثناء توليه للثانوية المذكورة، كان يسافر الآونة بعد الأخرى للخميسات، وأثناء سفره سنة 1974 وافاه القدر المحتوم في حادثة سيارة قرب سيدي علال البحراوي في طريق مكناس، رحمه الله وجازاه على ماقدم من الصالحات.

9) السيد عبد القادر حسن



تعرفت على الأستاذ المرحوم عبد القادر حسن أوائل الثلاثينيات، عندما زرت مراكش صحبة الصديق المرحوم سعيد حجي، فلقد استقبلنا عدد من الشبان الوطنيين المثقفين بكثير من الترحاب، وكثير من العناية، وكان في طليعة هؤلاء : أخونا الحميم الأستاذ مولاي عبد الله إبراهيم والمرحوم عبد القادر حسن ومولاي أحمد النور والأستاذ شوقي الدكالي والباحث الكبير السيد محمد الروداني وأخونا الكبير العلامة سيدي محمد المختار السوسي وغيرهم ممن غابت عني أسماؤهم، وخلال لقاءاتنا المتعددة ومذاكراتنا مع هذه الزمرة من الشباب الوطني المثقف، شعرت بجوّ جد صادق، في الخطاب، وشممت روحاً طيبة منعشة، ربما كانت تختلف بعض الاختلاف عما وجدته في مدن أخرى، لقد استقبلنا هؤلاء الاخوة في جملة ما استقبلونا فيه في روض أو حديقة استدعوا من أجلنا لها كثيراً من الإخوة

المراكشيين، وكان الجو فيها جواً أدبيا شاعرياً ممتعاً ورائقاً جداً، أذكر من جملة ما أذكر فيه أخانا عبد الله إبراهيم يطوف معنا ويتغنى ببعض الأبيات الشعرية، وعندما لاحظ في طريقه وردة من شقائق النعمان، تغنى بأبيات عنها، وأذكر أيضاً أن أخانا عبد الله إبراهيم وأخانا المرحوم عبد القادر حسن زارا معنا بعض المآثر التاريخية وترحما معنا على بعض الشخصيات المدفونة في مراكش والتي كان ذكرها يملأ الأسماع ومن جملتها القاضي عياض الذي شرق ذكره وغرّب، إلى غير ذلك من الذكريات التي بقى أثرها عالقاً بذهني رغم مرور ستة عقود من السنين وزيادة.

لم نكن نذكر مدينة مراكش العظيمة إلا ويخطر ببالنا أول مايخطر التوأمان الصديقان عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن، فلقد كانا ملازمين لبعضهما ملازمة الظل لظله ولقد كان تعاونهما الوطني والأدبي تعاوناً وثيقاً يمكن أن تضرب به الأمثال.

لقد كان عبد القادر حسن ابن مراكش البار، وهو وان لم يكن متسلسلا من مدينة مراكش لأن أصله من تدغة، فإن نشأته وتربيته ودراسته وعطاءاته وخدماته الوطنية والثقافية، كل ذلك كان في مراكش. لقد ازداد عبد القادر حسن في مدينة مراكش سنة 1915 وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الحياة التي كان يديرها إذذاك الأستاذ المرحوم السيد إبراهيم رِضَى الله الالغي شقيق العلامة السيد محمد المختار السوسي الدرقاوي، ثم انتقل إلى كلية ابن يوسف التي أتمّ فيها دراسته الثانوية والعالية، وبعد تخرجه تعاطى لمهنة الوكالة الشرعية، فبقى يباشرها نحو عشر سنوات، وخلال فترة دراسته وبعدها كان يغلب عليه الطابع الأدبي فاهتم بقراءة الأشعار وحفظها، حتى شعر أنه تكوّن لديه رصيد ثقافي شعري، جعله يدق أبواب الشعراء، لينضم إلى صفوفهم ويكون من جملتهم. دون أن يدخل في غوايتهم، وهكذا عندما اجتمعت لديه عدة قصائد قرر أن يخرجها للوجود ويطبعها وينشرها غير هياب ولاخجل، فكان ديوانه في (أحلام الفجر) من الدواوين القليلة جداً التي صدرت لشعراء شباب محدثين سنة 1936 وكان الذي كتب له المقدمة، هو صديقه الذي لم يكن يفترق معه مولاي عبد الله إبراهيم، لقد اطلعنا على ديوان (أحلام الفجر) في حين صدوره، وقدرنا في الشاعر جرأته وأحلامه الفجرية، ويحكي لنا المرحوم عبد القادر حسن أن ديوانه هذا أثار ضجة بعد نحو عامين من صدوره، حيث اتهموا صاحبه بالإلحاد لأنه تغنى في مطلع ديوانه ببيتين شعريين قال في مطلعهما : (أنا قوة جبَّارة) والقوة الجبارة لايتصف بها إلا الخالق سبحانه وتعالى، ومن أجل هذا فإنهم كتبوا عريضة شكاية إلى جلالة الملك يشتكون فيها من هذا الشاب الشاعر الذي تعدى حدوده، والذي ينبغي أن يكف عن غوايته. ويظهر أن هذا التشكي

لم يقصد به وجه الله، لأن الذين كتبوا العريضة لم يتنبهوا لكتابتها أو لم تطلب منهم كتابتها إلا بعد مرور نحن السنتين على صدور الديوان أي بعدما برز عبد القادر حسن بروزاً كافياً كقائد شاب وطني يقاوم الوجود الاستعماري، ويكافح الرجعية الممثلة في الكلاوي وأضرابه، ويطالب بالحريات العامة. فالقضية ليست قضية غيرة على الدين، وتعظيم للألوهية الخالقة المتصرفة ولكنها استحثات للانتقام من هذا التوجه الوطني الذي صار يتضاعف ويتقوى في مراكش، وتتزعمه شخصيات شابة وطنية مستقيمة أمثال شخصية عبد القادر حسن.

لقد برز اسم عبد القادر -حسن في مراكش بروزاً قوياً، فتخلّى تقريباً عن حياته الأدبية، وخصّص كل أوقاته وأعماله للتكوين الوطني وتربية الأجيال، والاتصال بمختلف الطبقات الشعبية، من عمال وحرفيين وتجار صغار وطلبة، يربي ويكوّن ويوجه، ويعطي المثال من نفسه في الصبر والثبات والتضحية، وامتاز رحمه الله في عمله ونشاطه الوطني بالمثالية ونكران الذات والاستماتة في الدفاع عن المبدأ. لقد انخرط في سلك كتلة العمل الوطني المؤسسة سنة 1934 وكان سنه لايجاوز تسعة عشر سنة، وبعدما أعلنا عن تكوين الحزب الوطني سنة 1936 كان من الشبان المتحمسين العاملين في الميدان المنضمين للوطني الرائد في مراكش المرحوم محمد الملاخ، وظهرت وطنيته أجلى مايكون الظهور لدى زيارة الوزير رمادي لمراكش سنة 1937 عندما أتى به نوكيس ليؤكد له أن مراكش راكدة وراضية عن حكامها والمسيطرين عليها، رغم الظروف التي كان يمر بها المغرب إذذاك، فكان عبد القادر حسن وإخوانه من الذين قاموا في وجه هذه الدعاوي الخادعة الكاذبة، فواجهوا «رمادي» و«نوكيس» بما يستحقانه

وكان الجيش العرمرم من المحرومين والمستضعفين الذين قصدوا ميدان الاحتفال الذي أقيم لهما (رمادي ونوكيس) الحجة القاطعة، والكلمة الفاصلة لتكذيب ماتدعيه الاقامة العامة من أن المغرب راض بوضعه البئيس التعس، وأنه يرفض السياسة الاستعمارية التي يطبقها نوكيس وأتباع نوكيس من الإقطاعيين الذين يمثلهم رجال السلطة في مراكش أحسن تمثيل.

لقد نشأ عن هذا الموقف الذي وقفته مراكش ضداً على سياسة الإقامة العامة اعتقالات وسجون، كان عبد القادر حسن أول من اكتوى بنارها فسجن وعذب ثم نفي إلى تارودانت، وبعد سراحه اعتقل مرة أخرى سنة 1938 وسجن بمراكش ثم وقع اعتقاله مرة أخرى في ظروف الحرب سنة 1939 وبقى في السجن ستة عشر شهراً بسجن أبي المهاريس بمراكش.

ولدى تهييئنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، كان عبد القادر حسن من الموقعين عليها والمتحملين لمسؤوليتها، فتعرض للاعتقال مرة أخرى، ولكن اعتقاله لم يطل لأن سياسة الكلاوي في ذلك الظرف بالذات، لم تكن متطابقة مع سياسة الإقامة العامة.

وبعد انفراج الأزمة (أزمة 1944) تضاعف نشاط عبد القادر حسن في دائرة حزب الاستقلال الذي كان عضوا في مجلسه الأعلى، فاهتم بتكوين الأجيال من الطلبة وغيرهم وتخرج على يديه الأبطال من الوطنيين والمقاومين الصامدين في وجه الاستعمار، ولدى اشتداد الأزمة مع الكلاوي، وتضامن طلبة كلية ابن يوسف مع طلبة جامعة القرويين في الخمسينات كان عبد القادر حسن المؤطر والموجه والصامد في وجه عميد الاقطاعيين في المغرب الباشا الكَلاوي، ويكفي أن نقرأ ماكتبه أخونا الفقيه المجاهد محمد البصري، وكان إذ ذاك من طلبة كلية ابن يوسف في حق عبد القادر حسن حيث قال :

(كانت حياته مدرسة تعلمنا فيها أهمية الحسم عندما يكون الموقف استراتيجية تضع المناضل أمام مسؤولية الإعداد التنظيمي ليرتفع لمستوى التضحية)

(إن المرحوم جمع بين الصلابة والكياسة، ركيزة نضالية في مواجهة الاستعمار والإقطاع، ولكنه ودود وقور في تعامله مع المناضلين، قائد كما يراه المناضلون، أخ كما يترجمه سلوكه العملي، لايشعر أن هناك مايميزه عن باقي المناضلين[4] ويقول عنه المناضل الصامد السيد محمد بنسعيد آيت يدر : (بفضل هذا القائد الصلب، دخلت الحياة السياسية بالمغرب، حينها أديت اليمين للانخراط في حزب الاستقلال في أواخر الأربعينات، بمنزل بحي المواسين، وإني أحتفظ له بهذا الجميل الذي دفعني إلى مسيرة طويلة لم تنته بعد)[5] وعندما حدثت أزمة 1952 اعتقل مرتين، قضى أولاهما بقرية تازناخت بإقليم (ورزازات) وثانيتهما بتاكونيت ومحامد الغزلان وقلعة مكونة ثم اغبالو نكردوس التي بقي بها إلى شهر يوليوز 1955.

اشتغل أول حياته كوكيل شرعي ثم اشتغل في التعليم الحر وبعد الاستقلال عين مفتشا للحزب بمراكش. ثم انتقل إلى الوظائف الرسمية، فكان مستشاراً بالخارجية وقائما بأعمال سفارة المغرب في كل من الأردن والخرطوم ومندوباً للمغرب في الجامعة العربية وقنصلا للمغرب في بنغازي وتونس، ثم عين بديوان وزير الخارجية قبل أن يحال على

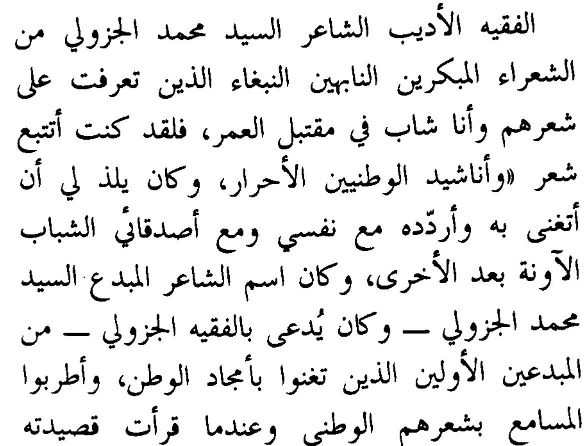
---

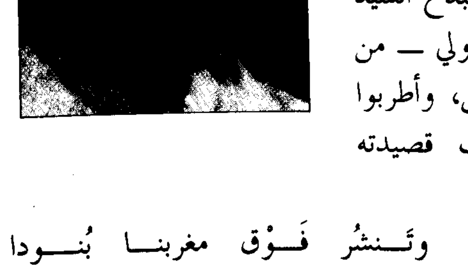
(4) العلم 30 أبريل 1996.

(5) المصدر نفسه.

التقاعد سنة 1977 ووافاه الأجل المحتوم يوم الثلاثاء خامس مارس 1996 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط رحمه الله.

10) السيد محمد الجزولي





الفقيه الأديب الشاعر السيد محمد الجزولي من الشعراء المبكرين النابهين النبغاء الذين تعرفت على شعرهم وأنا شاب في مقتبل العمر، فلقد كنت أتتبع شعر «وأناشيد الوطنيين الأحرار، وكان يلذ لي أن أتغنى به وأردّده مع نفسي ومع أصدقائي الشباب الآونة بعد الأخرى، وكان اسم الشاعر المبدع السيد محمد الجزولي — وكان يُدعى بالفقيه الجزولي — من المبدعين الأولين الذين تغنوا بأمجاد الوطن، وأطربوا المسامع بشعرهم الوطني وعندما قرأت قصيدته الوطنية التي قال فيها :

زمان المجد هل لك أن تعُودَا   وتَنشُر فَوْق مغربنا بُنودا
نمجّد في تحياتها الجُدودا   بآيات نخلدها نشِيدا
عجيب أن نَنَام ولا نئنُّ   ومنحرنا به ظُفر وسن

ونصْل في الحُشاشة مستكنّ

إلى أن يقول :

أبعدَ جلالنا نرضى الهَوانا   أينعَم في بلادنا سِوانا
أيعلو بالمعارف مَن عَدانا   ونَبْقى في جَهالتنا رقودا

إلى آخر القصيدة الغراء التي هزّت مشاعري وأنا شاب، فصرت أقرأها وأعيد قراءتها المرات والمرات.

لقد ازداد الجزولي بمدينة الرباط عام 1307 الموافق لـ 1889 م أي قبل فرض الحماية على المغرب بأزيد من عشرين سنة، وبعد دراسته الابتدائية مثل أنداده، صار يتعاطى الدروس العلمية المتنوعة على علماء وقته في الرباط أمثال الفقيه الأديب سيدي المكي البيضاوي والفقيه السيد عبد الرحمان بريطل والفقيه السيد التهامي الغربي والفقيه السيد عبد السلام بن إبراهيم، وعندما رجع الفقيه المحدث الكبير الشيخ بوشعيب الدكالي

من المشرق العربي وصار يعطي دروسه الحديثية بالزاوية الناصرية، وخبّره صديقه الحميم الشاعر المُجيد الحاج محمد بن اليمني الناصري بهذه الدروس وقيمتها التجديدية، صار يواظب على الحضور فيها، وينور أفكاره بتوجيهات الشيخ الدكالي وسعة اطلاعه، وسلفية أفكاره، وثورته الفكرية على الجمود والتقليد الذي ما أنزل الله به من سلطان، وهكذا صارت تتسع مداركه وتتزايد معلوماته، ويتنبَّه وعيه، وتصفو معارفه الدينية والأدبية فصار يقول الشعر، ويتبادله مع شعراء وقته، وكان الشعراء في ذلك الظرف يُجيزون بعضهم بعضاً، وتستزيد شاعريتهم إذا ما التقوا مع بعضهم، أو إذا ماتلقوا قطعة أو قصيدة من بعض زملائهم.

ذهب وهو شاب مع والده إلى مدينة العرائش التي توظف فيها مع المخزن، ولربما كانت الوظيفة هي أمين أو عدل في ميناء العرائش، حيث كان يعيَّن في المراسي الأمناء والعدول.

وفي أوائل العشرينات، عين عضواً في المحكمة العليا بدار المخزن، وفي تلك الأثناء توجه مع وفد متركب منه ومن الحاج أحمد الزبدي وسيدي مَحمد المنجرة لمقابلة المقيم العام ليوطي وعرض بعض المطالب عليه، فقابلهم الجنرال موريال وتحادث معهم حول خطاب كان ألقاه رئيس الغرفة التجارية الفرنسي، فأخذ الكلمة بعده الأستاذ محمد الجزولي وكان من جملة ماقال : (ان فرنسا ما جاءت إلى المغرب إلا لأجل الاصلاح لا للحكم المباشر، وإذا كانت نوايا فرنسا هو ماعبّر عنه رئيس الغرفة التجارية فإننا نطالب باستعادة استقلالنا) وهذا مايدل على أنه كان من الواعين الشجعان، ومن الذين يجابهون الاستعماريين بصراحة وقوة، وهذه الصراحة والعزة لم يطقها الاستعماريون فطردوه من وظيفة عضو في المحكمة العليا، واختار من ذلك الوقت العمل الحر، الذي أصبح بسببه من أكابر الأغنياء، وفي مجال الغنى والثراء، أسجل له رحمه الله أنه زارني بمدرسة النهضة في آخر حياته وخبرني بأنه جاء يستشيرني في أمر فكر فيه، ودفعه إلى استشارتي حسب قوله رحمه الله أنه يستشير أخاً موثوقاً بنصحه ـــ أو كما قال ـــ ذلك أنه بحمد الله أصبح غنياً مثرياً، والشمس على أطراف النخيل، ولذلك صار يفكر في أسداء عمل برٍّ يفيد به أبناء شعبه، ويبقى دائماً مسجلا في صحيفته، وهذا العمل هو تحبيس بعض أملاكه على طلبة في الأقسام والدراسات العليا العلمية العصرية، ينفق عليهم من ريعها ويخلفهم غيرهم عندما ينهون دراستهم وهكذا وحتى يبقى هذا الحبس مستمراً يعطي نتيجته، سيجعل على تلك الأملاك المحبسة نظاراً أمناء، يشرفون عليها، ويقومون

بتطبيق ماقصد إليه من التحبيس بأمانة ونزاهة، فشجعته رحمه الله على فكرته، وهنأته على تفكيره الخيري هذا ولست أدري ماوقع بعد هذا اللقاء.

كان الفقيه الجزولي ذا ضمير حي، ووطنية صادقة، منذ شبابه إلى شيخوخته، ساهم في مقاومة السياسة البربرية مساهمة عملية، فحرر العرائض الشعبية، وشارك في قراءة إسم الله اللطيف في المساجد، وبقيت روحه مع الحركة الوطنية الفتية حتى إذا قررنا المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 وعرضنا عليه التوقيع على الوثيقة كان من الملبين المستجيبين، رغم ماتعرض له من مضايقات.

وفي سنة 1953 عندما اعتدى على العرش المغربي بنفي الملك الصالح محمد الخامس، قام وقعد ورفع صوته بالاحتجاج والاستنكار، فكانت النتيجة أن داهم الجيش الفرنسي منزله وألقى عليه القبض، فقضى في السجن مدة، امتحن فيها، وذاق ألم الاغتراب توفاه الله بمدينته الرباط بتاريخ

رحمه الله وجازاه وجعله في زمرة الصادقين الأوفياء.

11) سي بناصر بن الحاج العربي الحسيني

لعل أول شخصية وطنية تعرفت عليها في مدينة وجدة، هي شخصية سي بناصر بن الحاج العربي، شخصية هادئة رزينة كتومة، لاتتكلم كثيراً، عندما تجلس إليه، تشعر أنك تحادث شخصية تعمل في صمت، ولاترغب في الظهور، لاأدعي أنني خالطته كثيراً ولكني عندما كنت ألتقيه، أشعر أنني أحمل له بين جنبي كثيراً من الاحترام، ربما كان أول وطني من مدينة وجدة انتمى إلى كتلة العمل الوطني والحزب الوطني وحزب الاستقلال، والجماعة الوطنية في مدينة وجدة المكافحة، كانت تكن له كثيراً من التقدير، هو من أسرة عالمة مشهورة بالفضل والتقوى، ووالده كان من أكابر علماء وجدة، ومن الذين حملوا مشعل السلفية في المغرب الشرقي، تولى مهمة القضاء الشرعي، فكان من أشهر القضاة السلفيين، وكان منزله ملتقى لعلماء السلفية في وجدة، ولست أدري هل كان له اتصال مع القائد السلوي السيد عبد الله بنسعيد عندما كان منفياً في وجدة، والذي كان منزله مقصد



كثير من علماء وجدة، أم لم يكن له اتصال به، وإن كنت أرجّح أن يكون له اتصال به لأن مواقف عبد الله بنسعيد ضد الفرنسيين ونفيه إلى وجدة، كان يجذب إليه العلماء والغيورين، سواء أكانوا سلفيي العقيدة أمثال الدكتور تقي الدين الهلالي أو من الذين ينتمون إلى بعض الطرق الصوفية أمثال أصحاب الشيخ محمد الكتاني رحمه الله.

ازداد سي بناصر بن الحاج العربي الحسيني سنة 1907 بمدينة وجدة، وبها تلقّى تعليمه الابتدائي والثانوي، ويظهر أن والده رحمه الله رغم سلفيته لم يكن منغلقاً وبعيداً عن الثقافة العصرية ولا متخوفاً من المدارس التي فتحها الفرنسيون، ولذلك فإنه لم يكتف بتعليمه وتثقيفه الثقافة العربية الإسلامية، بل سمح له بدراسة اللغة الفرنسية في المدارس الفرنسية التي كانت لاتعطي أهمية للغة العربية ومن هنا فإن ثقافة سي بناصر كانت ثقافة مزدوجة، ولربما كان وجوده في مدينة وجدة، وهي قريبة من الجزائر التي كانت الفرنسية سائدة فيها، جعله وجعل والده يريد أن يحصل على مقدار من الثقافة الفرنسية، تجعله في صف بعض المثقفين المزدوجين، وإذا كانت هاته الاستنتاجات مجرد تخمين مني، فإني أريد أن أدلل عليها بأن سي بناصر كان أول من ربط العلاقات مع بعض إخواننا أعضاء حزب الشعب الجزائري الذي كان زعيمه المرحوم مصالي الحاج، ومن هؤلاء الاخوان الجزائريين الدكتور محمد الامين الدباغين الذي وقع معه باسم حزب الاستقلال وثيقة الاخوة والتعاون والتي وقع عليها باسم حزب الدستور الجديد في تونس المرحومان : علال بلهوان ومنجى سليم

لقد كنا نعتبر سي بناصر واسطة الاتصال بيننا وبين حزب الشعب الجزائري، وكان بيته في وجدة، مقصد الاخوة الذين يزورون وجدة من الوطنيين الجزائريين والتونسيين. ورغماً من أن الظروف كانت قاسية، والفرنسيون كانوا بالمرصاد لكل تحركاتنا الوطنية واتصالاتنا مع إخواننا في الجزائر وتونس، فإن سي بناصر بتعقله ورزانته وحسن تدبيره كان ينظم بعض الاتصالات مع أولئك الإخوة، وقد يهيىء لهم بعض السفريات إلى فاس أو الرباط، ويسهر على سلامتهم من أعين الرقباء والعيون، وهكذا يمكننا أن نعتبر بحق أن سي بناصر بن الحاج العربي من أوائل الذين خدموا فكرة وحدة المغرب العربي، في الوقت الذي كان غافلا عنها الكثيرون.

عرفت سي بناصر بن ج العربي مع زمرة صالحة من وطنيي وجدة. أمثال السيد أحمد بن دالي والسيد محمد بن التهامي برادة والسيد ابن عودة وغيرهم وهؤلاء كان لي اتصال بهم وتقدير لوطنيتهم، سواء عندما ضمنا جميعاً سجن غبيلة بالدار البيضاء

أو عندما كنت أزرهم الآونة بعد الأخرى بوجدة قبل الاستقلال وبعده وأسجل هنا أن السيد أحمد بن دالي كان في فترة من فترات سجنه معنا (كابورالاً) علينا، حيث أن إدارة السجن كانت تختار «كابورالاً» من السجناء من يحسن الفرنسية كما أذكر أن المرحوم بن عودة، وكان إذذاك في بداية الشيخوخة بالنسبة لنا ولكنه مع ذلك كان كثير الانبساط، وكان يدربنا على لعبة يدوية كنا نضحك بها وننشرح لها تمام الانشراح وكان مطلعها : دَرْبَلْ دَرْبَالَ دَرْبَالي.

كان سي بناصر بن ج العربي في فترة الثلاثينيات، وهي فترة المطالبة بالإصلاحات ومنها أساساً الحريات العامة، مندوب الحزب الوطني بوجدة وناحيتها، وكنا ومعنا سي بناصر نتعرض للسجون الآونة بعد الأخرى سواء في سنة 1935 و1936 أو 1937 وفي هذه السنة الأخيرة سنة 1937 حكمت المحكمة الاستعمارية عليه بسنتين سجناً، قضى البعض منها في الدار البيضاء وهناك جمعتنا جدران السجن وكان معنا كذلك من وجدة الشريف سيدي عبد السلام الوزاني الذي كان الحزب الوطني وجهه من فاس إلى وجدة لإدارة المدرسة الحرة التي أسسها الحزب هناك. وفي فترة بداية الأربعينات زار جلالة محمد الخامس مدينة وجدة، فتحايل سّي بناصر كي يتصل به ويسلم عليه رغم معارضة إدارة الأمور الأهلية، وحين قررنا المطالبة بالاستقلال، وحررت وثيقة الاستقلال. كان من الضروري الأكيد أن توقع من رجال الحزب الوطني الموثوقين في وجدة وناحيتها ولكن ظروف الحرب، ورصد العيون على تحركاتنا ومراقبة تنقلاتنا، كل ذلك منعنا من أن نخاطر ونوجه الوثيقة لوجدة للتوقيع عليها من طرف إخواننا في وجدة، فوقع الاتفاق مع سي بناصر كي ياتي إلى فاس لقضاء أغراض له، وهناك في فاس وقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال باسمه ونيابة عن وطني وجدة، وتأكدت هذه النيابة بالرسالة أو البرقية التي بعثها السيد أحمد بن دالي يؤكد فيها أن سي بناصر ناب عنهم في التوقيع على الوثيقة. وبعد رجوع سي بناصر من فاس إثر توقيعه على الوثيقة ألقى عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية وحكم عليه بسنتين أو ثلاث سنوات، قضى جزءاً منها بوجدة والأجزاء الأخرى بسجن على أومَن، قرب سطات وسجن الدار البيضاء، وأسجل هنا أن إخواننا في وجدة وبركان وما يتبعهما كانوا يلقون كل عنت من طرف السلطات الاستعمارية، وكانوا عندما تقع أحداث، لايلقى عليهم القبض بالآحاد، ولكن يلقى عليهم القبض بالعشرات، وأذكر أني دخلت سجن الدار البيضاء في إحدى المرات فرأيت في ممرات السجن المتسعة العدد العديد من المسجونين الوطنيين كانوا جميعهم من المغرب الشرقي.

ولدى نفي محمد الخامس، وقبل نفيه بنحو أربعة أيام أي يوم 16 غشت 1953 وقعت مظاهرات صاخبة في وجدة، وتعرض فيها كثير من إخواننا للعذاب الأليم، ومنهم الأخ عبد الرحمان بادُّو والذي ذاق الأمرين، من أجل اتهامه بأنه هو الذي أعطى الأوامر من الرباط لقيام المظاهرات، كما أن سي بناصر تعرض لامتحان عسير لاتهامه بأنه يمتلك ويعرف مفتاح الشفرة التي يتعامل بها الوطنيون في الرباط مع وطنيي وجدة.

لقد عاش سي بناصر بن الحاج العربي فترة الحماية كلها مناضلا شهما ووطنيا صادقاً، وبعد الاستقلال دخل لسلك القضاء، فسمي حاكماً للسداد بمدينة ابركان، ثم قاضياً بالمحكمة الاقليمية بفاس، ونظراً لمنصب القضاء الذي انتقل إليه، فإن نشاطه السياسي الحزبي ضعُف نظراً لأن الحزب نفسه، كان وزع منشوراً على مناضليه، بأن يكفوا عن نشاطهم السياسي أثناء توليهم منصباً قضائياً، حتى لايخلوا بنزاهة القضاء.

ان سي بناصر بن الحاج العربي أدى واجبه الوطني، سواء في عهد الحماية أو في عهد الاستقلال، وما علمنا منه رحمه أي انحراف أو زيغ عن الطريق المستقيم وبتاريخ تاسع شتنبر عام 1970 انتقل رحمه الله من هذه الدار الفانية إلى دار الخلود والبقاء، حيث وافاه الأجل بمدينة الرباط، فنقل جثمانه الطاهر إلى مدينة وجدة. حيث وورى فيها التراب حسب وصيته. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

12) السيد مَحمد الزغاري



السيد مَحمد الزغاري من عائلة فاسية، أصلها من تلمسان، تعرفت عليه أواخر الثلاثينيات، وكان إذذاك رئيسا لجمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس بفاس، وهذه الجمعية مثل أخواتها : جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف بالرباط، والنادي الأدبي الاسلامي بسلا وجمعية قدماء تلامذة الدار البيضاء سمحت بإنشائها سلطات الحماية في عهد المقيم العام ليوطي، وكان مقصود الحماية من السماح لهم بتعاطي بعض النشاطات الأدبية الخاصة، جلب بعض الشبان المتخرجين من المدارس المغربية الفرنسية لهم، وتقريبهم إليهم، وبما أن الإدارة الفرنسية كانت قافلة أبواب تكوين أية جمعية كيفما كان شكلها أو نوعها، ولو كانت جمعية رياضية محضة، وبما أن المصلحة العليا لإدارة الحماية كانت تقتضي إذذاك التقرب من

بعض الشبان حسب تخطيطات وتوصيات «ليوطي» فإنها سمحت بتكوين هذه الجمعيات بشرطين اثنين :

1) أن لاينخرط فيها إلا الذين درسوا في المدارس العربية الفرنسية.

2) وأن يشارك في مجلسها الإداري مدير المدْرسة التي تسمى الجمعية باسمها كمراقب إداري أو فنّي أو غير ذلك. تأسست جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس في العشرينيات، وكان أول رئيس لها في الغالب هو السيد مَحمد الزغاري.

والزغاري من مواليد سنة 1902، بعد انتهائه من الدراسة الابتدائية التحق بكوليج مولاي إدريس التي أتم دراسته فيها فحصل على دبلومها. وكانت تظهر عليه ملامح النجابة والذكاء وحسن الإدراك، وهذا ماجعله يهتم ببعض النشاطات الأدبية فلما أسست جمعية قدماء تلامذة مولاي إدريس، انتخب أول رئيس لها، وبقي يترأسها مدة طويلة. نظراً للباقته في التسيير، ولطفه في التعامل، سواء مع الأعضاء أو مع غيرهم، وكان لها دور سياسي تقريباً في علاقتها مع رجال الإدارة الذين كانوا مطمئنين كل الاطمئنان من أن دورها وأعضاءها المسؤولين لايتوجهون توجه المعارضة العلنية لسياستها. في الوقت الذي كانت مدينة فاس تموج بالتطورات السياسية والفكرية خصوصاً من جامعة القرويين التي أصبحت بعد أحداث الظهير البربري، ولدى الدروس التي كان يلقيها الزعيم علال الفاسي تلعب دوراً أساسياً هاماً في الانقلابات الفكرية والوطنية، كانت جمعية قدماء تلامذة مولاي إدريس ترسم الاعتدال وعدم التطرف وكان نشاطها الأدبي ومطالبها التعليمية لاتخيف الإدارة الفرنسية.

لقد اهتمت ببعض النشاطات الأدبية. مثل إلقاء المحاضرات وعقد الندوات، وإنشاء الفرق التمثيلية، وكان السيد مَحمد الزغاري من أنشط العاملين في ميدان التمثيل، ومن الروايات التي مثلت في عهد رئاسته رواية صلاح الدين الأيوبي، ورواية انتصار البراءة التي كانت من تأليفه ورواية طرتيف، وهي من ترجمته متعاونا مع السيد المهدي المنيعي والسيد عبد السلام التويمي بن جلون.

كانت للسيد مَحمد الزغاري شخصية جذابة، وهو وإن لم يكن يتحدث كثيراً، فإنك عندما تحادثه تحترمه، وتشعر أنك تخاطب شخصية لها وزنها الثقافي والفكري، وأنه لايطلق الكلام على عواهنه، ويصحب حديثه إليك بابتسامة غير متصنعة تكسوه كثيراً من الجاذبية، وتفرض كثيراً من الاحترام، إنه يتكلم بتأنٍّ ولطف ويدافع عن أفكاره بكل لباقة ولياقة وأدب. ولعل هذه الصفات حببته إلى الكثيرين من أصدقائه

وعارفيه، وهو وإن لم ينخرط في كتلة العمل الوطني ولا في الحزب الوطني، فإنه لم يكن من المناوئين ولامن المعارضين، بل كان له خطه يسير فيه ولايتعدّاه، لا في أيام الانتصار ولا في أيام المِحن، كان يشتغل في البنك (الشركة الجزائرية) الذي هو بنك (وفاء) الآن كرئيس لفرع فاس ثم أسس مع بعض أصدقائه المطاحن الادريسية، وخلال عمله الوظيفي، لم يتخل عن نشاطه الثقافي، وكانت جمعيته تقوم ببعض الدراسات وتقدم بعض المطالب للإقامة العامة في مجال التربية والتعليم، وعرف عند بعض أصدقائه باهتماماته الاقتصادية، ولذلك أرى السعيد حجي رحمه الله يستكتبه في جريدة المغرب عندما أصدر عدداً أو أعداداً تعالج بعض القضايا الاقتصادية. كان معروفاً لدى الجماعة الوطنية بالاعتدال وعدم مواجهة الاستعمار، مثلما هو معروف بالاستقامة والنزاهة الفكرية. وكان له أصدقاء يلتفون حوله، ويشاركونه نشاطه الأدبي والثقافي، فيهم من كان منضماً إلى كتلتنا الوطنية وإلى (الطائفة) أيضاً، مثل محمد الفاسي وج عمر بن عبد الجليل وأحمد بن بوشتى وعبد الكريم بن جلون وفيهم من لم يكن منضماً إلى الكتلة وإن لم يكن ضدها ومنهم السيد أحمد أبا حنيني وأخوه سي مَحمد ابا حنيني والسيد أحمد الحمياني والسيد قاسم بن عبد الجليل وأغلب هؤلاء الأخيرين انخرطوا في حزب الاستقلال لدى تأسيسه.

وعندما قررنا المطالبة بالاستقلال في سنة 1943، ورأينا من الواجب لف جميع الصفوف حول فكرة الاستقلال، وحتى الذين لم يكونوا منخرطين معنا في الحزب، تقرر الاتصال بالأعضاء البارزين في جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس، وجس نبضهم لنكون يداً واحدة في مطلب الاستقلال، وهكذا وقع الاتصال بالسيد مَحمد الزغاري وإخوانه الأخصاء لنعرض عليهم أولا اننا نريد القيام بعمل هام لصالح وطننا في ظروف الحرب، وأن الواجب يفرض علينا أن نلمَّ الصفوف، ونوحد الجهود، لنكون خلف ملكنا الذي نؤمن بأنه يفكر نفس تفكيرنا، ولابد أن يعمل معنا، وهكذا أدرك الزغاري وإخوانه أن واجبهم الوطني يفرض عليهم أن يكونوا معنا حركة وطنية جديدة ترمي إلى المطالبة بالاستقلال وتسمى حزب الاستقلال وهو ما أشارت إليه وثيقة المطالبة بالاستقلال عندما جاء في ديباجتها ان الحزب الوطني وشخصيات حرة التي تألف منها حزب الاستقلال، فالشخصيات الحرة هي أعضاء جمعية كوليج مولاي إدريس وغيرهم من بعض الشخصيات الحرة التي وقعت على وثيقة المطالبة بالاستقلال، كنا نُهيّء للمطالبة بالاستقلال في سرية تامة، وكان السيد مَحمد الزغاري من الشخصيات التي أطلعت على مانهيء له، بل كانت من جملة الذين أعطوا أفكارهم وملاحظاتهم قبل إقرار

الصيغة النهائية لنص الوثيقة، وكان مومنا معنا بأن الاقدام على المطالبة بالاستقلال، يتطلب أول مايتطلب وحدة وطنية متماسكة من طرف كل المخلصين، سواء منهم أعضاء الحزب الوطني أو غيرهم، ولذلك فإنه مع بعض إخواننا تكلفوا بالاتصال بإخواننا في الحركة القومية التي يتزعمها الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، ليطلبوا منهم الانضمام إلى الجماعة الوطنية ككل ليتكون منا جميعا ماسمي بعد ذلك بحزب الاستقلال ولكن الأقدار شاءت أن يتأخر هذا الانضمام، وإن كان وقع التضامن بعد ذلك، لقد كان السيد مَحمد الزعاري من الموقعين علي وثيقة المطالبة بالاستقلال، ومن أعضاء الوفد الذي قدمها للاقامة العامة الفرنسية، حيث استقبلهم الوزير المفوض الفرنسي لدى المقيم، وتسلم منهم نص الوثيقة، لأن المقيم العام نفسه لم يستسغ مطلقاً أن يتسلم بيده وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولذلك أناب عنه وزيره المفوض.

ولدى الأحداث التي وقعت يوم 29 يناير 1994 ومابعدها، أُلقي القبض على السيد مَحمد الزغاري وبغض الاخوان الآخرين : محمد الاغزاوي ومَحمد (فتحا) بن سودة وعبد الكبير بن المهدي الفاسي ومحمد الفاسي وأحمد الحمياني وأحمد ابا حنيني وعبد الوهاب الفاسي وكل هؤلاء من حزب الاستقلال ومن الذين وقعوا الوثيقة، كما كان من المعتقلين في نفس الوقت، مولاي علي العراقي وأحمد بن سودة وج عبد القادر العلج وهم من رجال الحركة القومية، وكل هؤلاء وأولئك سجنوا أولا بسجن برج الشمال بفاس مدة أربعة شهور، ثم التحقوا بنا في سجن العذير قرب الجديدة، وإن كان وضعهم يختلف عن وضعنا، ولقد بقوا بالسجن الأخير المذكور سنة واحدة.

وبعد خروج الزغاري من السجن بقي يشتغل معنا في الحزب كعضو في المجلس الأعلى ولجنة التعليم، ثم عضوا في مجلس شورى المقيم كمنتخب من الغرفة التجارية بفاس، وأثناء وجوده في مجلس الشورى كان يقدم التقارير الانتقادية الهامة للسياسة الاقتصادية المتبعة في المغرب، وكان من جملة المنسحبين منه عندما طرد الجنرال جوان أحد إخواننا الأعضاء، متضامنا معه.

وبعد الاستقلال تولى السيد مَحمد الزغاري وظيفة رئيس الحكومة وشارك في مفاوضات الاستقلال مع فرنسا وإسبانيا، ثم عين وزيراً للدفاع وسفيراً للمغرب بباريس. ثم مديراً للمكتب الشريف للفوسفاط ثم عين وزيراً مكلفا بالتنمية، ثم مديراً لبنك المغرب حيث بقى يزاول مهمامه إلى أن أدركته الوفاة سنة 1969 رحمه الله وأجزل له الثواب.

13) الحاج بوبكر الصبيحي



الحاج بوبكر الصبيحي من أسرة نبيلة معروفة من أُسَر «سلا» تولّى البعض منها مسؤوليات مخزنية منذ أوائل القرن، وهو الحاج الطيب الصبيحي الذي كان يشغل باشوية سلا لدى فرض الحماية على المغرب، وبعد وفاته تولى الباشوية ابنه الحاج محمد وكان فقيها أديبا شاعراً، وبعد وفاته تولى الباشوية أخوه المكي الذي بقى في الباشوية مدة بعد تحقيق الاستقلال.

والحاج بوبكر الصبيحي هو من أبناء عم الباشا الصبيحي، وهو أخو الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي الذي تزعم حركة مقاومة الظهير البربري سنة 1930، وكان من الشخصيات المثقفة ثقافة مزدوجة، ومن الشخصيات اللامعة.

ازداد الحاج بوبكر بمدينة سلا عام 1321 هـ الموافق لسنة 1903 م، وأخذ تعليمه الابتدائي مثل بقية إخوانه على أحد الفقهاء المعلمين وهو الحاج محمد بريطل المشهور بتجويده للقرآن وخطه الجميل، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية العربية الفرنسية أوائل افتتاحها، وكان من أوائل الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية سنة 1918، ثم تابع دراسته الثانوية بكوليج مولاي يوسف، فنال شهادة نهاية الدروس الثانوية سنة 1923 ثم تابع دراسته العليا بمعهد الدروس العليا بالرباط، فنال دبلوم الدراسات العليا في القانون والإدارة والترجمة. وكان معه في الدراسة المرحوم محمد اليزيدي والمرحوم مسعود الشيكر وغيرهما، ومن الذين أخذ عنهم الدراسات العربية والفقهية : الفقيه أقصبي والفقيه أحمد بن عبد النبي والفقيه السايح والفقيه أحمد سكيرج والفقيه المحقق السيد محمد الحجوي الثعالبي والشيخ المحدث أبوشعيب الدكالي.

بعد انتهائه من الدراسة اشتغل موظفاً بإدارة الشؤون الشريفة، ثم انتقل إلى مدينة الدار البيضاء، ككاتب خاص للباشا الطيب المقري، وفي الدار البيضاء عيّن كاتباً للجمعية الخيرية الإسلامية، وكانت تؤدي دوراً اجتماعياً إحسانيا هاماً، وكان رحمه الله مهتماً كثير الاهتمام بها، معتزاً بالاشتغال فيها.

وأثناء اشتغاله بالدار البيضاء، كان يرد الآونة بعد الأخرى إلى سلا لزيارة أهله وأحبابه وعندما صارت تؤسس بعض الجمعيات الأدبية في بعض المدن المغربية كجمعية

قدماء كوليج مولاي يوسف، صار يدعو إلى تكوين جمعية مماثلة لها بسلا، فكان تكوين النادي الأدبي الاسلامي الذي جاء في الرسالة التي وجهها العاملون على تأسيسه وعلى رأسهم الحاج بوبكر الصبيحي مايلي : (وبعد، فإن بعض التلاميذ السلويين ممن حركتهم عواطف الروابط الودادية، والغيرة الأدبية. تاقت نفوسهم إلى تأسيس ناد أدبي الغرض منه بث روح العلم والتعليم، من نشر أفكار علمية، وإلقاء مسامرات أدبية، لهذا تلتمس الجمعية من جنابكم أن تشرفوا مدرسة أبناء الأعيان بسلا يوم الجمعة تاريخ 5 ربيع النبوي 1346 هـ على الساعة الثالثة مساء، ولكم مزيد الشكر والسلام 2 شتنبر 1927)

إن فكرة تأسيس النادي الأدبي الاسلامي كانت من اقتراح الحاج بوبكر الصبيحي، فهو الذي دعا لعقد اجتماع أول، شارك فيه نخبة من شباب سلا وأدبائها وعلمائها وعلى ضوء هذا الاجتماع الأول كان الاجتماع الثاني الذي وجهت الدعوة السالفة إليه وفيه انتخب الحاج بوبكر الصبيحي بالاجماع كاتباً عاماً للنادي، ويلاحظ أن المؤسسين لهذا النادي لم يكونوا كلهم من تلامذة مدرسة أبناء الأعيان، ولذلك وقع الاعتراض من طرف السلطة الاستعمارية على تكوين المجلس الاداري المنتخب، ولكن المجتمعين صمّموا على قبول الجميع رغم اعتراض الادارة.

ولدى انتخاب المجلس الاداري للمرة الثانية سنة 1929 كان من بين المنتخبين سبعة أعضاء موظفون، وإثنان يدرسون بالخارج، وكان الحاصلون منهم على شهادة الدبلوم النهائية ثلاثة أو أربعة.

كان مُقام الحاج بوبكر الصبيحي بالدار البيضاء في تلك الأثناء بالدار البيضاء، ولما استصدر الفرنسيون ظهير 16 ماي 1930، وقاومه أخو المترجم الأستاذ عبد اللطيف أولا، ثم قاومه الشباب المغربي في مختلف المدن المغربية وقرىء اسم الله اللطيف في المساجد احتجاجاً على صدور الظهير الذي كان يدعى بالظهير المشؤوم، تقرر رفع عريضة احتجاجية إلى جلالة محمد الخامس موقع عليها من كل السكان السلويين، وكان من جملة أعضاء الوفد الذي سيرفعها إلى الملك الحاج بوبكر الصبيحي وكان أول الموقعين على العريضة شيخ الجماعة بسلا العلامة الشيخ أحمد الجريري، ولكن الادارة الفرنسية وقفت ضد الوفد، فوجهت العريضة بطريقة أخرى.

توثقت العلاقة بيني وبينه في الثلاثينيات، فكنا نعتبره عضواً عاملا معنا في كتلة العمل الوطني، وإن لم يكن منخرطاً بصفة رسمية. وكان يساهم بعض المساهمة في بعض

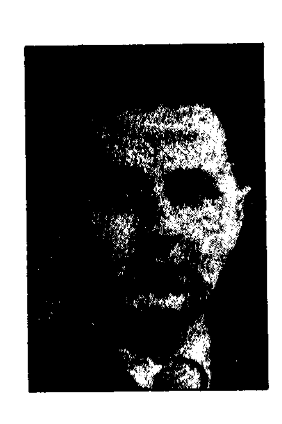
الظروف. وفي سنة 1933 أدى فريضة الحج ومرَّ في طريقه على مصر واتصل بكثير من أعلامها، وتعرف إلى النهضة التي كان إشعاعها الثقافي يعم البلاد العربية بأجمعها.

وخلال عام 1940 انتقل إلى الرباط كموظف بإدارة الشؤون الشريفة من جديد، ثم ارتأى أن يستقيل من تلك الوظيفة ليتولَّى مهنة مدافع (محام) أمام المحاكم المخزنية، وفي هذه الأثناء كنا نتهيّأ للمطالبة بالاستقلال، وأسسنا عدة خلايا وطنية حزبية كان من جملتها خلية (فتح) السرية التي أقسم اليمين ليدخل في زمرة أعضائها، وبانخراطه في (فتْح) دعوناه إلى توقيع وثيقة المطالبة بالاستقلال، فوقع مع الأعضاء الآخرين من فتح، وهم : أبو بكر القادري ـــ عبد الرحيم بوعبيد ـــ قاسم الزهيري، محمد البقالي ـــ الصديق بن العربي ـــ أبو بكر الصبيحي ـــ الطاهر زنيبر.

وإثر الأحداث التي وقعت في 29 يناير 1944 أعفي من الوظيفة التي كان يشتغل فيها كنائب عضو بالمحكمة العليا الشريفة، ونظراً لعلاقته النَّسبيَّة مع الباشا الصبيحي فقد وقع غض الطرف عنه، واكتفى بأن ألزم بالاقامة بمنزل الباشا فترة زمانية محدودة. لقد كان رحمه الله من أخلص الاخوان الذين عرفناهم، متديناً أقصى مايكون التدين، حلو اللسان، صاحب نكتة في أحاديثه، لايمله إخوانه، ولايستغنون عن فكاهاته.

وافاه الأجل المحتوم يوم 10 يوليوز 1971 في حوادث الصخيرات المشهورة رحمه الله وأثابه.

14) محمد الفاطمي الفاسي



الدكتور محمد الفاطمي الفاسي من أسرة علمية كبيرة. أنتجت خلال التاريخ كثيراً من العلماء والشيوخ الأفذاذ، ومن سلالة هذه الشجرة الزعيم محمد علال الفاسي والأستاذ الباحث السيد محمد الفاسي والمؤرخ الرحالة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي.

ازداد الفاطمي الفاسي بمدينة فاس عام 1914 م، ووالده سيدي المهدي الفاسي، كان قاضياً في عدة نواحي منها مدينة مكناس، وكان يهتم الاهتمام الكبير بأولاده، ومنهم السيد الفاطمي هذا، والأستاذة مليكة الفاسية التي وقعت على وثيقة المطالبة بالاستقلال وكانت المرأة المغربية الوحيدة التي

نالت هذه الحظوة، ومنهم كلك الأستاذ عبد الكبير بن المهدي الفاسي الذي وقع بدوره على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فكان أبناء سيدي المهدي جميعهم من الموقعين على المطالبة بالاستقلال، وهي حظوة لم ينلها غيرهم فيما أعلم.

التحق الفاطمي الفاسي بالمدرسة الابتدائية والثانوية بفاس، وعندما حصل على البكلوريا بقسميها الأول والثاني التحق بكلية الطب بفرنسا، فنجح في الحصول على الدكتورة ثم تخصص في الجهاز الهضمي بكلية الطب في الجزائر أوائل الأربعينات، وكنا إذذاك بصدد تحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان من الشباب الوطني المنخرط في الحزب الوطني والمؤهل للتوقيع على الوثيقة، وصادف الحال أنه لدى الشروع في تحرير الوثيقة كان على وشك السفر إلى الجزائر لمناقشة رسالته الطبية المتخصصة في الجهاز الهضمي، ولم يشأ أن يُحرَم من التوقيع على الوثيقة، فأبى إلا أن يوقع على الورقة البيضاء التي ستتحرر فيها الوثيقة، قبل كتابتها نظراً لسفره، وهكذا شاءت الأقدار أن يكون أول موقع عليها قبل أن تكتب.

لا أعلم رغم توقيعه على الوثيقة أن كان له نشاط سياسي بارز في الحزب الوطني أو في حزب الاستقلال، مثل أخيه عبد الكبير وأخته مليكة، ولكن عواطفه الوطنية كانت متجلية، ويكفي أنه وقع على وثيقة الاستقلال في بياض،

عندما أنهى دراسته فتح عيادته بمكناس ثم انتقل إلى فاس وفتح عيادته فيها وهناك بفاس أتيح له أن ينتخب عضوا في المجلس البلدي، فكان يقوم بدوره في الدفاع عن مصالح المدينة ويواجه الفرنسيين الذين كانوا لايهتمون إلا بمصالح جاليتهم، وفي الوقت نفسه أسند له وظيف طبيب ملحق بإدارة الصحة العمومية بمستشفى كوكار.

كانت مدينة فاس في الأربعينات تتقد نشاطاً وحيوية، وكان طلابها ومتخرجوها مضرب الأمثال للشباب المغربي في الحماس، ولما كثر وتضاعف نشاط حزب الاستقلال صارت الادارة الاستعمارية تنصب له الأحابيل فوقعت أحداث دجنبر 1952 التي ملئت السجون والمعتقلات بالوطنيين الأحرار، وفي هذه السنة نفسها سافر الفاطمي الفاسي إلى الدار البيضاء لأداء مهمة وطنية وفي طريق رجوعه وقعت له حادثة سيارة ألزمته الفراش مدة مديدة وانتهت بلقائه ربه في يونيه 1953 إثر إجراء عملية جراحية عليه، فدفن بمكناس رحمه الله رحمة واسعة.

15) إدريس المحمدي



الأستاذ إدريس المحمدي من الشخصيات اللامعة التي تعرفت عليها خلال الأربعينيات عندما تولى تسيير الكشفية الحسنية التي كان لها دور في التأطير والتثقيف والتكوين الكشفي وكانت تضم في صفوفها نخبة هامة من شباب الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال أمثال الدكتور المهدي ابن اعبود والأستاذ العربي حصار والأستاذ عبدالهادي الصبيحي، وغيرهم من مختلف المدن والقرى، وكان له تأثير كبير على تكوينهم وتوجيههم في أوائل الأربعينيات، نظراً لثقافته وقوة شخصيته، وأسلوبه الخاص به في التعامل مع الشباب، حيث كان صاحب نكتة ومَرح، يستعملهما أثناء فترات التكوين، فلا يمل حديثه ولاتستثقل توجيهاته، وكانت الأناشيد الوطنية الحماسية، تلعب دورها في لم شتات الشباب، وتقوية عزيمته، واندفاعه التلقائي لخوض ما يتطلبه منه الواجب الوطني من مهمات.

ازداد المحمدي بفاس سنة 1912 م يوم 30 مارس وفيها تلقى دراسته الابتدائية والثانوية والعالية ولم يلتحق بالتعليم العصري إلا بعد أن قضى وقتاً في الكتاب وغيره، وهكذا لم يحصل على البكلوريا إلا سنة 1935 ولم يحصل على الليسانص في الحقوق إلا سنة 1938 والتحق إثر ذلك بسلك المحامين بمكناس سنة 1941 فكان من المحامين اللامعين، وهناك بدأ يشتغل في الميدان الوطني الجانبي أولا مثل الكشفية الحسنية ثم رئاسة الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي. وأود أن أسجل هنا أن الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي تأسس أول الثلاثينات بالرباط، ومنه نشأت الكشفية الحسنية التي عهد برئاستها الشرفية إلى ولي العهد الأمير مولاي الحسن الذي أطلق عليه إذذاك أميرُ الأطلس، وكان الرئيس الأول للاتحاد الرياضي الرباطي السلاوي هو المرحوم السيد أحمد بن غبريط.

ولدى تفكير الحزب الوطني في المطالبة بالاستقلال، واستحثاث كل الهيآت والجمعيات والشخصيات المخلصة لتأييد فكرة المطالبة بالاستقلال كان الأستاذ إدريس المحمدي من الذين دُعوا للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال ضمن أعضاء جمعية قدماء التلاميذ، فكان من الموقعين الأساسيين ثم صار من أعضاء المجلس الأعلى للحزب ونظراً لمُقامه بمكناس، فقد أصبح يشرف على النشاط الوطني الحزبي هو والأخ المرحوم السيد

محمد بن أحماد الديغوسي سواء داخل مكناس أو ناحيتها مثل آزرو وخنيفرة وغيرهما وكانت اتصالاته مع أعضاء ومتخرجي مدرسة ثانوية آزرو اتصالات وثيقة جداً حيث كانوا يكنون له كل تقدير.

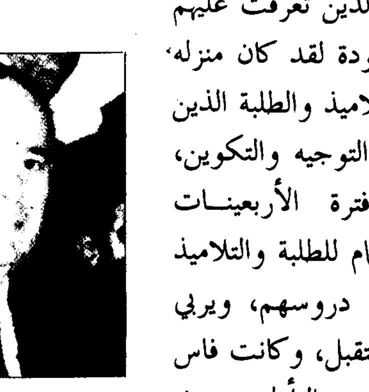
وعندما كنت أزور مكناس أو ناحيتها خلال تكليفي بمهمة المفتشية العامة للحزب كان اتصالي به قوياً ومفيداً جداً، وكان منزله ومكتبه مقصد الوطنيين الذين يردون من الأطلس المتوسط ليزودهم بإرشاداته ويبلغهم تعاليم الحزب.

وفي سنة 1950 عندما كونت الإدارة الفرنسية لجنة إصلاح القضاء، كان من حملة أعضائها وأبدى نشاطاً فيها، وإثر الإضراب الذي عمّ أنحاء المغرب في دجنبر 1952 إثر اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد بتونس ودعوة الحزب إلى الاضراب العام تضامناً مع الحزب، كان تضامن مدينة مكناس بالطبع، فصارت الإدارة تنتقم من الوطنيين الأحرار، وترمي بهم في السجون أو تنفيهم إلى المعتقلات، وكان حظ إدريس المحمدي إبعاده من مكناس إلى الخميسات ثم بوذنيب ثم معتقل اغبالو انكردوس الذي ضم الجمهور الكبير من وطنيي المغرب كله، فبقي رهن الاعتقال إلى سنة 1955 حيث بدأت الأزمة تنفرج، وتحقق الاستقلال بعد ذلك في سنة 1956 وأثناء اعتقاله باغبالوا نكردوس، كان من المسجونين المَرِحين على ماحكى عنهم، وكانت له تعليقاته الخاصة على المجتمع الخاص الذي يعيش فيه، فهو لم يكن مثل الأستاذ الفاسي في انكبابه على المطالعة والبحث والدراسة، ولامثل الأستاذ المختار السوسي الذي يهتم بإلقاء الدروس على المعتقلين وكتابة المذكرات التي صدر البعض منها بعد وفاته، ولامثل المهدي بن بركة الذي يتتبع النشاط. ويلتقط الأخبار، ولكن حياته في الاعتقال كانت مختلفة عن ذلك كله، ولايستطيع الانسان أن يلم الإلمام الكامل بشخصية الأستاذ إدريس المحمدي إلا إذا عاشره وخالطه في كثير من أطوار حياته.

بعد تحقيق الاستقلال وتأسيس أول حكومة، برئاسة مبارك البكاي أسند إليه منصب وزير دولة، ثم عيّن في منصب وزير الداخلية بعد لحسن اليوسي، من تاريخ 27 أكتوبر عام 1956 إلى 26 ماي 1960، وتعيينه في هذا المنصب كان مثار جدل بين جناحين : جناح كان يمثله بلافريج، وجناح كان يمثله عبد الرحيم بوعبيد. وبعد مغادرته وزارة الداخلية التي كان في عدم اتفاق مع وزير العدل إذ ذاك الأستاذ عبد الكريم ابن جلون تولى وزارة الشؤون الخارجية في 26 ماي 1960 إلى يونيه 1961، وعيّن بعد ذلك مديراً عاماً للديوان الملكي في عهد الملك الحسن الثاني، وإثر إصابته بمرض

أجريت عليه عملية جراحية بباريز، التحق بالرفيق الأعلى يوم سابع فبراير 1969، فنقل من باريز إلى مكناس ثم وري التراب رحمه الله وجازاه على ما قدم

16) السيد مَحمد بن سودة



من الوطنيين العاملين النشطاء الذين تعرفت عليهم بفاس السيد مَحمد (فتحا) بن سودة لقد كان منزله القريب من الدُّوح، نادياً يعج بالتلاميذ والطلبة الذين يقصدونه كل عشية تقريباً قصد التوجيه والتكوين، وكان حزب الاستقلال في فترة الأربعينات بالخصوص، أعطى كثيرا من الاهتمام للطلبة والتلاميذ في الأقسام الثانوية، يساعدهم في دروسهم، ويربي فيهم الروح الوطنية، ويعدهم للمستقبل، وكانت فاس تضرب المثل في هذا التكوين والتوجيه والتأطير، حيث كان كوليج مولاي إدريس، كأنه خلية نحل، فالاعتناء بالتلاميذ يبتدىء من أولى الثانوية، ويستمر إلى أقسام البكلوريا، وكانت الأقسام العليا، يشرف عليها طلبة الكليات وبعض أطر الحزب المثقفة، بينما الأقسام السفلى، يشرف على مساعدة التلاميذ فيها وتوجيههم وتكوينهم تلامذة الأقسام العليا، وهكذا دواليك، ومن جملة الذين كنت أعرف أنهم مطوقون بهذا التسيير والتكوين المرحومان : الحسن بنشقرون والعابد العمراني، ومن التلاميذ في الطبقات العليا وهو مكلف بالأقسام التي تحتها الأخ محمد الدويري.

كان السيد مَحمد بن سودة من جملة المكلفين بقطاع التعليم والرياضة من طرف الحزب، وكان بيته من أجل هذا مقصد الطلبة والرياضيين، وكثيراً مازرته في البيت، وبيته يعج بالشباب الحي المتوثب، حيث أسس منهم بعض الجمعيات الرياضية والثقافية وحيث أشرف على البعض منها كإشرافه على جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس والعصبة المغربية لكرة القدم.

كانت أخلاق سي مَحمد بن سودة وتواضعه وحيويته يحببونه إلى الشباب عموماً وكان تنوع البرامج الثقافية من دراسة ومطالعة وغناء أناشيد وتعاط للرياضة البدنية، كل ذلك كان يجعل النشاط غير منقطع.

وأود أن أشير هنا ان التحاق سي محمد بن سودة بكتلة العمل الوطني والحزب الوطني كان في الثلاثينات، و لم تأت سنة 1944 التي تقدم فيها حزب الاستقلال بوثيقة

المطالبة بالاستقلال، حتى كان سي مَحمد مؤهلا ليوقع مع إخوانه بفاس، هذه الوثيقة، وعندما امتدت أيدي الاستعمار لقادة الحزب يوم 29 يناير 1944 وفي طليعتهم الاخوة : عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفلالي وأحمد مكوار كان سي مَحمد بن سودة من الذين قاموا قومتهم، فشاركوا في المظاهرات التي أقيمت بفاس والتي دامت نحو الأسبوعين، فكانت النتيجة أن ألقي عليه القبض ضمن الكثيرين من إخوانه، فكان من الذين اعتقلوا بسجن فاس، ثم نقل إلى سجن العذير قرب الجديدة و لم يفرج عنه إلا أواخر سنة 1945.

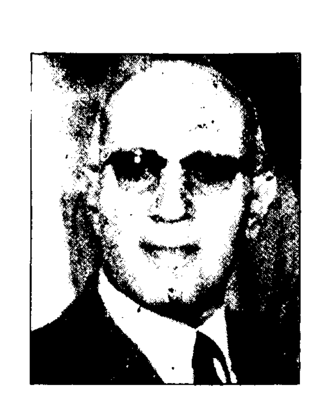
وبعد خروجه من السجن بقي يؤدي رسالته الوطنية كما كان من قبل وأضاف إليها اهتمامه ببعض القضايا الاجتماعية والخيرية كتأسيسه لهيأة الاسعاف التي كانت تهتم بأسر الضحايا والمنكوبين.

وعندما جاءت سنة 1952 واعتقل فيها الآلاف من أعضاء الحزب، كان من جملة المعتقلين فنفي إلى ميسور في الصحراء ولقي من العنت مالاقاه إخوانه ولما جاء الاستقلال، شغل عدة مناصب كان فيها مثال الرجل المسؤول المخلص، ونظراً لخبرته في مجال تكوين وتوجيه الشباب، فلقد عين مندوباً للشبيبة والرياضة بالدار البيضاء، ثم مفتشاً لمخيمات الشباب في المغرب وأشرف على تنظيم الألعاب العربية الأولى بالدار البيضاء.

وفي شهر غشت من سنة 1970 قام برحلة إلى ألمانيا الاتحادية، وبينما هو راكب القطار في ألمانيا إذ أصابته نوبة قلبية حادة بمحطة القطار في الحدود، ففارق الحياة، والتحق بربه راضياً مرضيا، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فنقل إلى الدار البيضاء ودفن بمقبرتها.

لقد كان ازدياد سي مَحمد بن سودة عام 1912 بمدينة فاس، وكانت وفاته سنة 1970 فعاش رحمه الله ثماناً وستين سنة أعطى خلالها الكثير لصالح وطنه.

17) السيد الصدّيق بن العربي



من الشخصيات العصامية التي كونت نفسها بنفسها، الأستاذ الصديق بن العربي قضى فترة من حياته وهو صغير في الدارالبيضاء وفيها انخرط في سلك تلامذة المدرسة الابتدائية العربية الفرنسية، وتابع دراسته للفرنسية عن طريق المراسلة مع مدرسة بفرنسا.

هو من مواليد مدينة «سلا» سنة 1911، وبها تلقى تعليمه الأولي في الكتّاب قبل انتقاله مع والده الذي أسندت له بعض الوظائف الدينية والمدنية بالدار البيضاء، وبعد رجوعه إلى سلا أواخر العشرينات، انكبّ على المطالعة والدرس والكتابة في الصحيفة التي كان يصدرها صديقه المرحوم السعيد حجي والتي كانت تسمى «بالوداد» ومنذ ذلك التاريخ برزت مواهبه الصحفية، ثم لما فُتح باب ظهور الصحافة، صار يكتب في بعض الصحف كجريدة «المغرب» اليومية و«رسالة المغرب» و«المناهل» و«العلَم» وغيرها ولما أصدرتُ مجلة «الايمان» في الستينات، كتب فيها عدة مرات.

وعندما كان بسلا أواخر العشرينات، توثقت عرى الصداقة بينه وبين السعيد حجي فكان عمدة من عُمَد «الجمعية الودادية» التي كانت تشرف على جريدة «الوداد» الخطية وغيرها، وكان في الوقت نفسه، يشرف على القسم الدراسي فيها، وأثناء ذلك نجده يوقع على شهادة دراسية نالها السعيد حجي بعد نجاحه في الامتحان. أوائل الثلاثينيات. توظف بالمطبعة الرسمية، وتعرف على الكثيرين من العاملين فيها ومن جملتهم المرحوم العربي بن بوبكر زنيبر الذي كانت له عواطف وطنية متأججة.

وبعد مغادرته المطبعة الرسمية اشتغل بإدارة المالية (الترتيب) فانتقل مابين المدن الآتية : البيضاء — مراكش — القنيطرة — آسفي — الرباط، وأثناء وجوده بالرباط صار يوثق علاقته من جديد مع إخوانه وأصدقائه في الرباط وسلا وفي سنة 1943 انخرط في خلية «فتح» الوطنية التابعة للحزب الوطني، ومن خلالها دُعي للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فكان من الموقعين السبعة من مدينة سلا، وإثر المظاهرة الصاخبة التي وقعت في سلا بعد إلقاء القبض على بلافريج، والحملة التي قامت بها الادارة الاستعمارية ضد أعضاء الحزب، ألقي عليه القبض بدوره ودخل سجن الرباط

مع الجمهور الغفير من إخوانه في الحزب، وبعد سراحه، اشتغل أحياناً بالتعليم وأحياناً بالصحافة ثم كلف بالاشراف على تسيير مطبعة الأمنية وفي الوقت نفسه كان يحرر بجريدة (العلم) التي ابتدأ صدورها في سبتمبر سنة 1946 وخلال أزمة 1952 و1953 التحق بثانوية النهضة كأستاذ في الأدب العربي والتاريخ وكانت دروسه جد مفيدة، وكان تلاميذه يثنون عليه أحسن ثناء. ثم انتقل سنة 1956 إلى مدارس محمد الخامس كأستاذ أيضاً.

وعندما افتتحت سفارة للمغرب بتونس وعيّن السيد محمد بن العربي العلمي سفيراً فيها عيّن سي الصديق بن العربي كاتباً فيها هو والمرحوم عبد الكريم بن ثابت، ولكن الجو الروتيني الفاقد للإنتاج جعله يتضايق من وجوده في السفارة، فاستقال هو وزميله ابن ثابت ليلتحق بوزارة الشؤون الخارجية، ثم ليستقيل من الوزارة أيضاً ويلتحق كمحرر بجريدة «العلم».

وفي سنة 1958 عيّن محافظاً لخزانة ابن يوسف بمراكش، وفي مراكش طاب له العيش، وفي خزانتها وجد بغيته في المطالعة والبحث ومساعدة الباحثين الراغبين في الاستفادة وزيادة المعرفة.

لقد استقر بمراكش وخزانتها ثلاثين سنة كاملة، كرَع فيها من مناهل المعرفة المختلفة، وكان يلتهم الكتب التهاماً، ويقطف مالذ وطاب منها، وكان طلبة مراكش وأساتذتها يقصدونه في كل الأوقات، لايمدهم بالكتب فحسب، ولكن ليوجههم ويساعدهم في أبحاثهم ودراساتهم، الأمر الذي جعل الألسن تثني عليه أحسن الثناء.

لقد كان الأستاذ الصديق بن العربي من العلماء الباحثين المتواضعين الراضين بالعفاف والكفاف والغنى عن الناس، لم يقف أي موقف فيه شبهة، ولم يتعلّق بأيّ أحد من أجل الحصول على المال أو الجاه أو حب الظهور.

عاش رحمه الله فقيراً ومات فقيراً، كانت بيني وبينه روابط صداقة قديمة ترجع إلى الثلاثينات، ورغم قلة الاتصالات عندما استقر بمراكش، بقي ودنا قوياً، وأخوتنا صادقة، كنت أزوره أحياناً في بيته المتواضع بمراكش عندما عجز عن المشي بسبب مرض أصابه في ركبتيه، فأجده رغم مرضه راضياً مطمئناً بشوشاً مقبلا على مطالعاته، وكتاباته وتلاوته للقرآن كما ذكر لي ذلك أثناء حديث معه. ولاشك أن له كتابات وأبحاثاً متعددة، طبع منها عدة مرات كتيب صغير عنوانه : اعرف بلادك : (المغرب) وفيه يتحدث عن سكان المغرب وقبائله إلخ.

ومنذ أزيد من سبع سنوات أقام له بعض أحبَّائه بمراكش حفلا تكريمياً ألقيت فيه بعض كلمات، وألقيت بدوري كلمة في التعريف به.

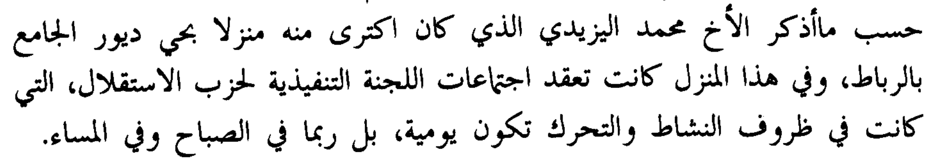
وخلال سنة 1995 التحق بالرفيق الأعلى ليلقى ربَّه راضياً مرضياً قنوعاً مطمئناً وأقام له إخوانه في كل من مراكش وسلا حفلتين تأبينيتن من ألقيت فيهما عدة كلمات وقصائد. رحمه الله رحمة واسعة[6].

18) السيد أحمد بن إدريس بن بوشتى



كان الأستاذ أحمد بن بوشتى من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، وهو من قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس بفاس، ومن الملتحقين بالوظائف العامة منذ أوائل الثلاثينات.

لم تكن لي معرفة كافية، ولااتصال وثيق بالسيد أحمد بن بوشتى، ولكني كنت أسمع عنه كثيراً من الثناء، من طرف بعض الإخوة في قيادة الحزب، ومنهم



حسب مأذكر الأخ محمد اليزيدي الذي كان اكترى منه منزلا بحي ديور الجامع بالرباط، وفي هذا المنزل كانت تعقد اجتماعات اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، التي كانت في ظروف النشاط والتحرك تكون يومية، بل ربما في الصباح وفي المساء.

لقد ازداد سي أحمد بن بوشتى بمدينة مكناس سنة 1909 حسبما وصلتنا من معلومات عنه للحزب، ولقد تابع دراسته الثانوية بكوليج مولاي إدريس بفاس، ثم انتقل إلى الرباط ليلتحق بمعهد الدروس العليا مثل كثير من رفقائه أمثال سي أحمد اباحنيني والأستاذ عبد الكريم بن جلون والمرحوم محمد اليزيدي، ويظهر أن اليزيدي تعرف على ابن بوشتى من خلال معهد الدروس العليا الذي كان يتابع الدروس فيه، وكان ابن بوشتى من جملة الطلبة الملتحقين بنفس المعهد، فحصل على الكفاءة في الحقوق ودبلوم الدراسات الإدارية والقضائية وشهادة الترجمة، وهي نفس الشهادات التي نالها المرحوم ج بوبكر الصبيحي.

---

(6) انظر ما كتبته عنه في الجزء السادس من (رجال عرفتهم).

وبعد نجاحه في معهد الدروس أسندت له عدة وظائف، فعيّن أولا كاتبا بإدارة الأمور الشريفة (لجنة البحث عن إصلاح العدلية الشريفة) من فاتح شتنبر 1931 إلى متم دجنبر 1932، ثم اشتغل بعمل حر كمدافع مقبول متطوع بمكتب أحد المحامين بفاس، ويظهر أن المجال لما فتح أمامه وأمام غيره لتعاطي مهنة المدافع المقبول لدى المحاكم، سجل نفسه فيها، مثل ماوقع للصبيحي أيضاً. ولكنه بعد فترة رجع إلى الوظيف حيث عين نائب عضو بالقسم الجنائي بالمحكمة العليا الشريفة (وهذه المحكمة كانت توجد بدار المخزن وتستأنف إليها كثير من الأحكام التي تصدر من الباشوات والقواد) ولقد حوكمنا أمامها في سنة 1944 إثر الأحداث التي وقعت في سلا في 29 يناير 1944، ومن الذين ترأسوها في بعض الظروف الفقيه السيد العربي الناصري والفقيه بوعشرين

لقد بقي نائب عضو بالمحكمة العليا من سنة 1934 إلى سنة 1942 حيث قدم استقالته، وعاد إلى مهنة مدافع مقبول لدى المحاكم المخزنية.

وخلال فترة الأربعينات ونحن نتهيأ للمطالبة بالاستقلال، اقترح بعض رفقائه وأصحابه أن يكون من جملة الموقعين، فقبل الاقتراح ووقع على الوثيقة وبعد حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956 عيّن على رأس المحكمة الإقليمية بفاس ابتداء من فاتح ماي، ثم بعد إحداث محكمة استينافية بفاس، عيّن رئيس غرفة بها من فاتح يناير 1962 إلى 16 يونيه 1963، ثم عيّنه صاحب الجلالة الحسن الثاني عاملا على إقليم فاس، ثم رجع إلى السلك العدلي فعين مستشاراً بالمجلس الأعلى، ثم عيّن في شتنبر 1970 وزيراً للعدل ثم وزيراً للداخلية في غشت 1971 ثم رجع إلى المجلس الأعلى سنة 1972 وبقي يزاول مهامه إلى أن لحقته المنية في 28 نونبر 1973

والفكرة الثابتة التي أسجلها عليه بهذه المناسبة أن الجميع كان يشهد له بالنزاهة والإستقامة وحب الخير

لقد كان رحمه الله هادىء الطبع، قليل الكلام، بعيداً عن الفضول، ولذلك كان محبوباً من جميع معارفيه، رحمه الله رحمة واسعة.

19) السيد عبد الكريم بن جلون التويمي



تعرفت على الأستاذ عبد الكريم بن جلون في الأربعينيات، فعرفت فيه الاستقامة الفكرية، والوطنية الصادقة، والإدراك الحصيف، والموضوعية في الحديث، والتدين الصحيح. لم يكن من المؤسسين الأولين في الحركة الوطنية، ولم ينتم لحزب الاستقلال إلا قبل الاعلان عنه بقليل، كان من قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس الجادين المستقيمين وكان له مقام عندهم وتقدير، لم يحظ به إلا القليلون.

عندما أصبحنا في الحزب الوطني نفكر في الاستقلال، ونحاول جمع ذوي الفكر الوطني والأحرار الوطنيين على وحدة الرأي حوله، كان في مقدمة من وقع التفكير فيهم الأستاذ عبد الكريم بن جلون، ولعل المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل هو الذي اقترحه ولعله هو الذي أدّى القسَم على يديه لاليدخل الحزب فحسب، ولكن ليكون عضواً في (الطائفة) وهي الجماعة السرية في الحزب، وليطلع على بعض الأسرار التي لم يطلع عليها إلا القليلون، ومنها اتصالات الحزب السرية بمحمد الخامس، والاتفاق معه على طلب الاستقلال. انخرط الأستاذ عبد الكريم بن جلون في الحزب، ووقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان أحد أعضاء الوفود التي قدمتها للمسؤولين، وبعد تنظيم الحزب سنة 1945 كان عضواً في المجلس الأعلى للحزب ثم في سنة 1957 انضم إلى أعضاء اللجنة التنفيذية وانسجم الانسجام الكلي مع قيادة الحزب، وصار يشتغل ويبدي الآراء الجادة المستقيمة خصوصاً في المسائل القانونية.

لدى تقديمنا لوثيقة الاستقلال وتوقيعه عليها كان موظفاً بدار المخزن برتبة قاض في المحكمة العليا، ولدى قيام المظاهرات العارمة بعد إلقاء القبض على بلافريج ووصول المتظاهرين إلى القصر الملكي، وهجومهم على الفقيه معمري الزواوي نائب مدير التشريفات الملكية إثر نطقه بجمل اعتبرها المتظاهرون اتهامات مرفوضة، دعي من طرف المسؤولين في دار المخزن، ليعمل على تخفيف الحدَّة التي بلغت أقصاها، وكاد الأمر يؤدي إلى مالاتحمد عقباه، فعرف بكياسته والتقدير الذي كان يحظى به، كيف يخفف من تلك الحدة، هو والمرحوم الأستاذ عبد الكبير بن حفيظ الفاسي، وأدى الأمر إلى سلامة الفقيه معمري وفكه من قبضة المتظاهرين الذي كاد أن يقضي عليه بسبب هيجان

الجمهور المتظاهر الذي لم يقبل من سي معمر أن يتهم بلافريج بالاتصال بالأجنبي، ولذلك — على مايظهر — لم يلق عليه القبض ولم يسجن هو وعبد الكبير الفاسي وإنما طُردا من الوظيف مثل ما وقع للكثيرين.

كثر اتصالاتي مع سي عبد الكريم بن جلون في نطاق العمل الحزبي أولاً وخلال تأسيسنا للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني الذي اقترحناه رئيساً لها مثل ما اقترح أن أكون الأمين العام لها. زدت معرفة به، وتعاطفاً معه، وتوافقاً في الآراء في القضايا الوطنية ومنها القضية الفلسطينية، فلم يحصل أن أخذت الكلام في يوم من الأيام أثناء الاجتماعات وأبديت بعض الاقتراحات، فلم يوافقني عليها ولم يؤيدني فيها، خصوصاً في موضوع القضية الفلسطينية، وكثيراً ماكنا نعقد اجتماعاتنا في الرباط أو فاس فأطلب منه أن يترأس ويسير الجلسات، ولكنه يكتفي بالافتتاح ثم يسلم إلى الأمر في التسيير.

كان رحمه الله حصيفاً جداً في تعامله، مستقيماً في سلوكه، صادقاً في وطنيته.

لقد ازداد بفاس سنة 1911 وبها درس الدراسة الابتدائية والثانوية، وانتقل إلى الرباط ليلج معهد الدروس العليا ويحصل على الإجازة في الحقوق والآداب، ثم ينخرط في سلك المحاماة كمحام متمرِّن بمكتب الأستاذين : بيكار المشهور وبورجي. ثم في سنة 1944 سجل في سلك المحامين الرسميين، وصار يباشر عمليه كمحام مستقل.

ولدى أحداث وقعت في ناحية الأطلس المتوسط سنة 1951 إثر قيام الشعب ضد القواد الذين أصبحوا يتآمرون على المغرب وعلى العرش المغربي، واحتجاج الحزب الشديد ضد ماكانت تقوم به السلطات الاستعمارية، تعرض للمحاكمة فحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا موقوفة التنفيذ، ومنع إثر مرور الشهرين من مباشرة مهامه في الدفاع في الرباط فنقل إلى فاس.

ولدى أحداث سنة 1952 و1953 بعد اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات عباس، كان من القادة الحزبيين الذين وقع نفيهم إلى املاكو ثم آسول ثم اغبالو نكاردوس، وبقي منفيا عامين كاملين.

وبعد الاستقلال عين وزيراً للعدل في أول حكومة وطنية، ثم تولّى بعد ذلك وزارة التربية الوطنية، وفي كلتى الوزارتين، وخصوصاً في وزارة العدل التي وضع أسس تسييرها وإيجاد الأطر لها، سعى لتكون وزارة عدل بالمعنى الصحيح.

وعندما أسست نقابة المحامين بفاس انتخب أول رئيس لها، وبقي يترأسها إلى سنة 1969 ولما أسست النقابة المذكورة على مستوى المغرب بأجمعه، انتخب رئيساً عدة سنوات، إلى أن توفي وهو المسؤول الأول فيها، وعندما تأسست ودادية المغرب العربي، انتخب رئيساً لها كذلك.

اشتهر الأستاذ عبد الكريم بن جلون في أوساط المحامين المغاربة، بالجدية والاستقامة، وفرض احترامه على جميع من اتصل به منهم، وكان مضرب الأمثال في الدفاع عن الحق، خصوصاً لدى اعتقال الأحرار من الوطنيين في ميادين الفكر والصحافة وحرية الرأي، رحمه الله وجازاه أحسن الجزاء[7].

20) السيد قاسم بن عبد الجليل



السيد قاسم بنعبد الجليل عم المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل وإن كان أصغر منه سناً، تعرفت إليه عن طريق الحاج عمر، وإن كنت لم أخالطه ولم أشاركه في أي اجتماع، لأنه وإن كان من أطيب الناس خلقاً ووطنية، فهو لم يكن قبل حادي عشر يناير 44 من المنخرطين في الحركة الوطنية ولا من العاملين في صفوفها حسب علمي، وكل ماعرفته عنه، كان عن طريق الحاج عمر.

ازداد السيد قاسم بن عبد الجليل بمدينة فاس سنة 1909، فهو يصغر ابن أخيه الحاج عمر بعامين، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بفاس أيضاً، ثم انتقل إلى مدينة الرباط التي كان الفرنسيون أنشأوا فيها مدرسة للمعلمين. وكان يتخرج منها بعض المعلمين في الأقسام الابتدائية بعد أن يكونوا حصلوا على شهادة «البروفي» إثر قضائهم أربع سنوات في التعليم الثانوي، ثم بعد انخراطهم في سلك مدرسة المعلمين يقضون سنتين أو ثلاث سنوات يتلقون فيها دروساً في البيداغوجيا في التعليم وبعض الدروس التكميلية، وكان المتخرجون من هذه المدرسة رغم قلتهم يعتبرون نماذج ممتازة في تلقين الدروس الابتدائية.

وفي سنة 1944 عندما قرر الحزب أن يستقطب العناصر الصالحة للمساهمة العملية

---

(7) راجع ما كتبته عنه في الجزء الأول من (رجال عرفتهم).

في طلب الاستقلال، دعى السيد قاسم للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال فلبّى دون تردد، ولقى جزاءه على التوقيع من طرف الفرنسيين بزجه في سجن برج النور، وفصله عن قطاع التعليم بعد خروجه من السجن، ويظهر أنه تعاطى لبعض الدروس القانونية التي كان مسموحاً بها لرجال التعليم، فاشتغل إثرها مدافعاً أمام المحاكم بفاس والدار البيضاء.

وبعد الاستقلال عيّن وكيلا لجلالة الملك بالمحكمة الابتدائية بالدار البيضاء ثم بمحكمة الاستيناف بالرباط، ويظهر أنه كانت له مؤهلات قانونية جعلت المسؤولين يقبلونه في محكمة الاستيناف بالخصوص، ثم يعينونه مديراً للمدرسة الادارية، حيث بقى يزاول مهامه فيها إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم 7 ماي 1961 تغمده الله برحمته.

لقد كنت ألقاه أحياناً بمنزل الحاج عمر، وألاحظ في وجهه الجدية والصرامة والاستقامة. رحمه الله.

21) السيد أحمد اليزيدي



السيد أحمد اليزيدي بن القائد المعطي، هو شقيق المرحوم محمد اليزيدي عضو قيادة حزب الاستقلال، انخرط في حزب الاستقلال لدى التحضير لوثيقة المطالبة بالاستقلال ووقع على الوثيقة مع الموقعين، ولم يكن له نشاط وطني قبل توقيعه للوثيقة، وكان له دور هام في التعريف بالقضية الوطنية ورجالها لدى بعض الضباط العسكريين الذين كانوا بعيدين عن الحركة الوطنية والذين أصبحوا متعاطفين معها لدى المطالبة بالاستقلال وبعدها.

ازداد بمدينة الرباط سنة 1905 وتلقى تعليمه الابتدائي وبعض الثانوي بكوليج مولاي يوسف، ثم انخرط في سلك تلامذة المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1922 ليتخرج منها برتبة ضابط، ومن المعلوم أن المدرسة العسكرية بمكناس كان يسيرها ضباط فرنسيون، وكانت في الواقع خاضعة للعسكرية الفرنسية، وبسبب ذلك فإن السيد أحمد اليزيدي بعد تخرجه من المدرسة العسكرية صار تابعاً للقيادة العسكرية الفرنسية، ولذلك كانت تنقلاته في تلك الفترة في نطاق العسكرية الفرنسية، وفي هذه الفترة تعرف إلى بعض الأقطار العربية ومنها سوريا.

وأثناء فترة الحرب العالمية الثانية استقال من الجندية واشتغل بالتجارة وكان في تجارته الأولية شريكاً للمرحوم سيدي الحفيان الشرقاوي، وعندما قرر الحزب الاستيلاء على الغرف التجارية والفلاحية، وإخراجها من قبضة وتسيير المتعاونين مع الحماية رشحه في الرباط مثل مارشح غيره في المدن الأخرى لرئاسة غرفة التجارة في الرباط، فانتخب انتخاباً حراً وتولى تسيير الغرفة التجارية بحكنة واستقامة، ولعب دوره كاملا أثناء وجوده في مجلس شورى المقيم، فكان مثل بقية الرؤساء الآخرين يقدم التقارير الهامة لمعارضة مخططات الإدارة الفرنسية في تسيير وتوزيع الميزانية المغربية، وكان مع بعض الأعضاء الآخرين في المجلس والتابعين لسياسة الحزب في معارضة الوجود الفرنسي ومنهم الأستاذ محمد الزغاري والسيد محمد الاغزاوي يقومون بدور هام وخطير ضد سياسة الإقامة العامة في عهد الجنرال جوان، الأمر الذي جعل جوان وكان يترأس بنفسه مجلس شوراه يوقف الاغزاوي أثناء بعض تدخلاته، ويطالبه بمغادرة قاعة المجلس دون حياء أو خجل، ولكنه تلقى صفعة أليمة، عندما رأى أنه ارتكب غلطة سياسية لم يكن ينتظرها، وان كل الأعضاء الوطنيين ومنهم أحمد اليزيدي تضامنوا مع الأغزاوي وانسحبوا من المجلس، ليذهبوا تواً إلى القصر الملكي فيستقبلهم محمد الخامس ويحكوا له ماوقع بالتفصيل طالبين أن يشد أزرهم كما هو موقفه دائماً مع الأحرار الوطنيين.

كانت فترة الأربعينيات بعد تقديم وثيقة الاستقلال، فترة نشاط وتحرك وقفز بالتحرك الوطني من مرحلة المطالبة بالاصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال، ورفع القضية المغربية إلى أنظار المنتظم الدولي، والجامعة العربية التي أنشئت هي نفسها في فترة الأربعينات (1945) وإثر تعيين الجنرال جوان، ثم الجنرال كيوم، مقيمين عامين بالمغرب، كان العراك شديداً وقوياً بين جلالة محمد الخامس وحزب الاستقلال من جهة وبين الاقامة العامة من جهة أخرى، الأمر الذي دفع الإقامة العامة في سنة 1952 وإثر الاضرابات والأحداث التي وقعت إلى إلقاء القبض على قيادة الحزب ثم على قواعده، وسجنهم وتقديمهم إلى المحاكم العسكرية، ونفى بعضهم إلى الصحاري، وكان من جملة المنفيين إلى «مير اللفت» ثم «كلمين» ثم (اغبالو نكاردوس) السيد أحمد اليزيدي حيث قضى في منفاه اثنين وعشرين شهراً .

وبعد الاستقلال تقلب السيد أحمد اليزيدي في عدة وظائف، فعين وزيراً للتجارة والصناعة في أول حكومة تكونت بعد الاستقلال، ثم كاتباً للدولة في الحكومة الثانية ثم عيّن وزيراً للدفاع.

وفي سنة 1958 عاد إلى القطاع الخاص، ليرأس شركة التأمين الملكي، وليهتم بتربية الخيول، ويهتم بأولاده الثلاثة أصلحهم الله ليبقوا مشرفين على تسيير ماكان يهتم بتسييره سواء في مجال التأمين أو تربية الخيول ولقد أصيب بمرض ألزمه الفراش عدة سنوات، ولم يتركه حتى فارق الحياة يوم السبت 17 غشت سنة 1996 رحمه الله رحمة واسعة.

22) السيد عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفهري الفاسي



قد يكون الأستاذ عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي الفهري من خيرة المثقفين ثقافة مزدوجة الذين أنجبتهم البلاد، وبالأخص فيما يتعلق بالمغرب وتاريخه الحديث، وماكتب عنه الباحثون والمؤرخون الفرنسيون، ويتراءى لي أنه زيادة على دراسته في القرويين ومعهد الدروس العليا بالرباط، ومطالعاته المستمرة والمتنوعة، استفاد من والده السيد عبد الحفيظ وثقافته الدينية والتاريخية والاستطلاعات والكتابات والرحلات التي قام بها في مختلف أنحاء المغرب، زيادة على اتصالاته بالكثيرين من المصلحين والعلماء الذين كان لهم دور في سير الأحداث وتتبعها أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

ازداد عبد الكبير بفاس سنة 1900، ويعتبر من أسنِّ الجيل الذي درس معه، أمثال الأستاذ محمد الفاسي والأستاذ الحاج أحمد بناني والأستاذ أحمد اباحنيني.

هو متسلسل من آل الجد المشهورين بالأندلس، ودرس بجامعة القرويين، وثانوية مولاي يوسف بالرباط، ومعهد الدروس العليا بالرباط في الشعبة القانونية والادارية، ولعل دراسته بالمعهد هي التي زاملته مع المرحوم محمد اليزيدي الذي بقى له اتصال به إلى فترة المطالبة بالاستقلال.

بعد إنهائه الدراسة بالمعهد توظف بوزارة الأملاك المخزنية التي كان يشغلها إذذاك الحاج عمر التازي، وكان يشغل هذه الوظيفة قبله الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي ثم بعد ذلك انتقل إلى إدارة الشؤون الشريفة ثم إلى باشوية الدار البيضاء ثم إلى مندوبية مراكش، ومنها انتقل إلى الرباط ليعين عضواً بالمحكمة العليا (محكمة الجنايات) التي فصل منها سنة 1944 عندما كان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وأثناء وجودنا بالسجن إثر أحداث 29 يناير 1944 انتقل إلى مدينة طنجة حيث كان أصهاره آل المنبهي يسكنون فيها، ونظراً لاهتماماته الثقافية، ومعرفته الواسعة بالحضارة الأندلسية، فقد أصدر مجلة ثقافية أسماها (العدوتان) العدوة الأندلسية والعدوة المغربية، وقد اهتمت هاته المجلة كثيراً بالدراسات الأندلسية ولاشك أنه كان يفكر في متابعة إصدارها لولا عجزه المادي عن الإنفاق عليها، فلم يصدر منها إلاّ عدد واحد، آمل أن يوجد بالخزانة العامة للمملكة. وأوائل الثلاثينات عندما أصدر محمد الصالح ميّسة مجلة «المغرب» الثقافية كان من الكتاب الأساسيين فيها، وعندما أصدر المرحوم السعيد حجي «ملحق المغرب الثقافي» كان من الذين يزودونه بالمقالات والدراسات المتنوعة، وكانت كتابته خِلواً من اللغو والتكرار. وإطلاق الكلام على عواهنه، وبقي يمد المجلات الثقافية التي صدرت بأبحاثه ومقالاته، فكتب في رسالة المغرب التي كان يصدرها الحزب بإدارة الفقيه محمد غازي، ثم لما أصدرت مجلة الإيمان» أوائل الستينات كان يزودني ببعض المقالات والدراسات.

كانت خزانته العلمية مليئة بالكتب التاريخية والأدبية، سواء باللغة العربية أو اللغة الفرنسية ويعتبر في نظر الذين خالطوه واتصلوا به من رفقائه من خيرة المطلعين والدارسين المكثرين.

وإذا لم تخني ذاكرتي وأنا أكتب عنه بعيداً عن خزانتي ومراجعي أذكر أنه كان اقترح في مجلة المغرب المذكورة تكوين لجنة للترجمة والنشر، كما اقترح إقامة بناية لضريح لسان الدين ابن الخطيب الذي مات منفياً بناحية مراكش.

وأثناء مُقامه بطنجة، وقعت أحداث 1952 و1953 التي نفى فيها الملك سيدي محمد الخامس، فشعر إذذاك أن مهمته ليست ثقافية فحسب، وأن واجبه وقد قام الشعب جميعه يرفض الإهانة والذلة والانصياع للاستعماريين وأذنابهم، أن يقوم بدوره في المقاومة ورفض مخططات الاستعمار، وهكذا ساهم بجانب المقاومين في تكوين لجنة التنسيق لربط المقاومة في الداخل والخارج، وصار يزود إذاعة طنجة بأخبار المغرب التي ترد عليه من الداخل والخارج، سواء عن طريق ابن عمه عبد الكبير ابن المهدي الفاسي أو عن طريق الزعيم علال الفاسي الذي كان إذذاك يقوم بحملة واسعة من القاهرة ضد الاستعمار الفرنسي، وغداة العملية البطولية التي قام بها الفدائي الفذ علال بن عبد الله ضد السلطان المزعوم الخائن (ابن عرفة) أثناء ذهابه إلى مسجد أهل فاس راكباً فرسه ومحتمياً بالجيش الفرنسي، وارتمائه عليه محاولا طعنه بسكين ثم سقوطه رحمه الله مضرجاً بدمائه شهيداً صادقاً مخلصا. بعد هذه العملية الفذة التي كانت الشرارة الأولى

للمقاومة المسلحة بعد نفي محمد الخامس وتنصيب الخائن ابن عرفة سافر عبد الكبير الفاسي إلى مدريد ثم باريس من أجل تنسيق العمل الفدائي.

وبعد استقلال المغرب، عيّن سفيراً بإيران ثم سفيراً بتركيا التي بقى فيها ست سنوات ثم نقل إلى الأردن سفيراً بعمّان التي بقى فيها بدورها ست سنوات، ولقد زرته بعمان رحمه وهو سفير، فلقيت منه كل الترحاب، واستمعت إلى الثناء عليه من موظفيه ومساعديه وكل من عرفه، ثم وقع نقله إلى وزارة الشؤون الخارجية كسفير ملحق بها، كما عين قبل ذلك موظفاً ساميا بالتشريفات الملكية. وبعد إحالته على التقاعد، استقر بمدينة مراكش، وفيها لقى ربه إثر مرض ألمّ به وذلك خلال سنة 1981، ولقد شاركت في تشييع جنازته ودفنه بأحد الأضرحة المشهورة بمراكش رحمه الله وأجزل له الثواب.

23) الحاج محمد الرفاعي



لا أتذكر أنني تعرفت عليه أو حادثته، وإن كنت عرفت بعض الشخصيات من آل الرفاعي بالرباط، ومنهم المرحوم الأستاذ الوطني الكبير مولاي الطاهر الرفاعي الذي كان معروفاً جداً في الأوساط الثقافية والوطنية، وكان لسِناً وذات صوت عالٍ أثناء حديثه، ومن العناصر المثقفة في الرباط، ولست أدري أكانت رابطة نسبية مع الحاج محمد الرفاعي أم إنما يماثله في الانتماء لسيدي أحمد الرفاعي الولي الصالح والصوفي الشهير دفين القاهرة، ومسجده بالقاهرة مشهور ومقصود.

ازداد الحاج محمد الرفاعي كما قرأت عنه بالرباط عام 1307 هـ الموافق 1886 م وكان من خيرة علماء الرباط فضلا وتقوى ووطنية، تعاطف مع الحركة الوطنية منذ نشأتها، سواء في حال توظيفه، حيث كان موظفاً بوزارة الأحباس وقاضيا بالنيابة ثم عدلا في سماط العدول بالرباط ثم لدى تعيينه إماماً وخطيباً بمسجد باريس، حيث كانت الإمامة بهذا المسجد الذي بنى بهندسة مغربية ويد عاملة مغربية، وكان يسيّره من أعلى قدور بن غبريط الذي كان رئيساً لجمعية أحباس الحرمين الشريفين، أقول : كانت إمامة مسجد باريس تقع بالتناوب بين المغرب والجزائر وتونس، فكل سنة يعين واحد من

هذه الأقطار الثلاثة، وكان قبل تعيين الحاج محمد الرفاعي إماماً لمسجد باريس السيد العربي بنسودة الذي سكن مدة بسلا عندما كان موظفا بدار المخزن.

لما حضرت وثيقة المطالبة بالاستقلال ووقع عليها أعضاء الطائفة وهي الجماعة السرية في الحزب الوطني تقرر أن يضاف للموقعين بعض الشخصيات المرموقة الموثوق بها وبكتمانها، فكان الحاج محمد الرفاعي من هؤلاء الموثوق بهم، ودعي إلى التوقيع، فلم يتردّد، ولما علم الفرنسيون بتوقيعه بعد تقديم الوثيقة، صاروا يراودونه لعله يتراجع عن توقيعه، فأجاب الضابط الفرنسي الذي خاطبه في الأمر قائلا : لا، لن أفعل ولو قطعت يدي.

قيل عنه إنه كتب عدة مقالات في جريدة «الأطلس» بدون توقيع، ولكني شَخصياً لا أعرف عن هذا شيئاً.

انتقل الحاج محمد الرفاعي إلى الرفيق الأعلى سنة 1950 رحمه الله وجازاه.

24) السيد الحاج أحمد بن الطاهر مكوار



لابد لمن يزور مدينة فاس من الوطنيين أن يزور سي أحمد مكوار، فهو من الشخصيات اللامعة القليلة، التي تنبّه وعيها الوطني قبل فرض الحماية، فعايشوا فتنة الثائر بوحمارة وعاشوا الأحداث الدامية التي وقعت بفاس بعد فرض الحماية على المغرب، وهو من الذين سايروا الفكر الوطني وتفتحه، منذ ثورة البطل ابن عبد الكريم إلى مقاومة السياسة البربرية 1930 إلى تكوين كتلة العمل الوطني إلى الحزب الوطني إلى حزب الاستقلال.

وفي كل هذه المراحل كان سي أحمد مكوار ذا حسّ سياسي وطني، زادته تجاربه في الحياة قوة وصلابة.

عرفت سي أحمد مكوار أواخر الثلاثينات، ولكن معرفتي الحقيقية به وبذكائه ووطنيته المختبرة، لم تقع إلا في الأربعينيات وبعد تقديم وثيقة الاستقلال ورجوع الزعيم علال الفاسي من منفاه بالكابون الذي دام تسع سنوات.

كان سي أحمد مكوار من تجار فاس وأعيانها المرموقين الموثوق برزانتهم وحنكتهم،

وحكى لي الأخ الفقيه المطلع السيد الحاج محمد التطواني أنه لما ذهب إلى فاس حوالي عام 1339 هـ ليلتحق بالقرويين، كان من جملة العلماء الذين ياخذ عنهم الدروس الشيخ عبد الحي الكتاني المشهور بعلمه إذ ذاك، وبخيانته بعد ذلك، أنه لدَى اتصاله بعبد الحي وجد أن سي أحمد مكوار كان من معارفه، ومن الذين كان ينظر إليهم عبد الحي بكامل التقدير، أحكي هذه القصة لأدلّل على أن سي أحمد مكوار كان يفرض نفسه وشخصيته حتى على أمثال عبد الحي الكتاني وان كان صار بعد ذلك من أكابر مناوئيه والمحاربين له.

لقد ازداد سي أحمد مكوار حسب ماوجدت مسجلا في بعض التقييدات سنة 1892 أي أنه لدى فرض الحماية على المغرب كان في العشرين من عمره، ولدى أحداث الريف وقيام ابن عبد الكريم ضد الاسبانيين والفرنسيين كان تقريباً في الثلاثين من عمره أي أنه كان في السنّ الذي يميز التمييز الحقيقي بين المفيد والضار، وبين الصالح والطالح، فتحمس لابن عبد الكريم وناصره وناصر المجاهدين الذين بجانبه.

ويقول في بعض ماكتبه عن نفسه أنه تعرف على الزعيم علال الفاسي عام 1928 وتوطدت العلاقة بينهما منذ ذلك التاريخ، ولديَّ تساؤل في موضوع سنِّ الزعيم علال الذي ازداد حسب ماهو مسطر في حياته عام 1910، هل كان سن خمسة عشر عاماً كافية لأن تجعل العلاقة وطيدة بين علال ومكوار وسنهما يبتعد نحواً من عشرين سنة ويغلب على ظني أن سن الزعيم علال ليس كما هو مسجل في بعض كتبه. ولكنه ازداد قبل سنة 1910 كما سبق لي أن وجدته مسجلا في بعض الصحف المصرية القديمة التي كتبت عن حياته مُعرفة به، وتوجد هذه الجريدة في خزانة سي علال نفسه، وإن كنت غفلت عن اسمها. وكيفما كان الأمر، فإن الروابط بين علال ومكوار، كانت وطيدة لدرجة كبيرة لدرجة أنَّ علال عندما كان منفيا بالكابون وبلغه وفاة والده رحمه الله لم يطمئن إلا لصديقه الحاج أحمد مكوار، ويعهد إليه بالاشراف على تركة والده والوصاية على بنته.

قلت سابقاً أن سي أحمد مكوار تنبه وعيه الوطني مبكراً، وأدرك من جملة القلة التي أدركت أنه لانجاة ولاتقدم ولاتحرر، إلا عن طريق المدرسة وطريق التعليم، وهكذا نراه مساهماً مع بعض المخلصين في فاس في تأسيس مدرسة سيدي بناني الحرة عام 1919 وفي تأسيس مدرسة النجاح عام 1920 بنفس المدينة، وفي مساندة المدرسة الناصرية التي كان يديرها في وقت من الأوقات الفقيه محمد غازي رحمه الله.

وإذا كانت فاس قامت قيامتها إثر صدور الظهير البربري 1930 وإثر قيام التجمعات لقراءة اسم الله اللطيف بسلا أولا ثم بالرباط، فإن سي أحمد مكوار كان بدوره من الجماعة التي استنكرت واحتجت ضد السياسة البربرية بل كان ضمن الوفد الذي تقدم بعريضة فاس الاحتجاجية ضد السياسة البربرية إلى صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف والذي كان ترأسه العلامة الفقيه السيد عبد الرحمان بن القرشي رحمه الله.

لقد تقوى ارتباط سي أحمد مكوار بالجماعة الوطنية السريّة الأولى بفاس والتي كان يتزعمها سي علال الفاسي وأقسم اليمين هو بدوره مع تلك الجماعة التي سميت بالطائفة على العمل لصالح المغرب وتحريره من ربقة الاستعمار الأجنبي، ولما قررت الجماعة إصدار مجلة «مغرب» بالفرنسية، بفرنسا كان الذي يزودها بالمعونة المادية هو سي أحمد مكوار الذي كان يعتبر أمين صندوق الجماعة كما كان يساند جريدة (عمل الشعب) بالفرنسية أيضاً والتي كان يشرف عليها السيد محمد بن الحسن الوزاني وأود أن أسجل هنا أن جماعة فاس الوطنية، قبل انفصال الأستاذ ابن الحسن الوزاني عنها، كانت تعتبر نفسها الرأس المدبر، واللجنة المسيرة العليا للحركة الوطنية بالمغرب، وكان من جملة أفرادها المسيرين سي أحمد مكوار، وعند انفصال سي محمد بن الحسن الوزاني عن جماعة فاس التي كانت تسمى بكتلة العمل الوطني وهو الإسم الذي أعطى للوفد الذي تقدم للمسؤولين بمطالب الشعب المغربي والذي كنتُ من أفراده العشرة الذين هم :

1) علال الفاسي
2) محمد بن الحسن الوزاني.
3) الحاج عمر بن عبد الجليل
4) الفقيه محمد غازي
5) عبد العزيز بن إدريس
6) أحمد الشرقاوي
7) المكي الناصري
8) محمد الديوري
9) أبو بكر القادري
10) محمد اليزيدي

أقول بعد انفصال الوزاني عن الكتلة وتأسيسه للحركة القومية بقي سي أحمد مكوار من ركائز الحزب الوطني الأساسيين الثابتين، وإثر الأحداث التي وقعت سنة 1937 في مكناس وفاس وبني يازغة والخميسات كان من جملة المنفيين سي أحمد مكوار حيث

نفي إلى ميدلت وقصر السوق والريش وآسول وبوذنيب ثم ايتزر ولقد قضى في منفاه هذا سبعة وعشرين شهراً ولم يفرج عنه إلا سنة 1940 إثر انهزام فرنسا في الحرب العظمى الثانية.

ولدى تفكير الطائفة في القيام بعمل لصالح المغرب في فترة الحرب العالمية الثانية واتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، كان سي أحمد مكوار من المتحمسين للاستقلال، وفي منزله حررت الصيغة النهائية للوثيقة، وبالقلم الذي لازال أبناؤه محتفظين به، كتبت، وكان من الموقعين الأولين عليها، ومن أعضاء الوفد الذي تقدم بها لجلالة الملك. وعندما قررت الحكومة إنشاء لجنة للمفاوضة في شأن ماتقدم به الحزب من المطالبة بالاستقلال، كان من جملة أعضاء الوفد الحزبي الذي فاوض الوفد الحكومي سي أحمد مكوار. وهذا ماجعل الادارة الفرنسية تلقي عليه القبض يوم 23 يناير 1944 أي قبل أحداث 29 يناير وتودعه في سجن برج الشمال، ثم تنقله إلى سجن الرباط حيث سلم إلى السلطات العسكرية بتهمة اتصاله بألمانيا، وهكذا ذاق من العذاب ألواناً، فربطت رجلاه بالحبال، وقام ثلاثة من الضباط الصغار بضربه وتعذيبه بعد أن جردوه من ثيابه، ثم ألقوا به في بيت مظلم عندما فقد وعيه، ولقد بقي شهوراً لايستطيع المشي على رجله من جراء الضرب والجلد، وكان معاون طبيب يأتي لزنزانته في سجن الرباط كل صباح ليزيل ماانفصل من جلود رجليه، وهو نفس ماوقع للشهيد عبد العزيز بن إدريس الذي رأيته بأم عيني نائماً على ظهره بإحدى الزنزانات في الرباط ورجلاه ممدودتان وهما عبارة عن قطعة من اللحم حمراء، فأشار لي بأصبعه إليهما في غفلة عن الحارس.

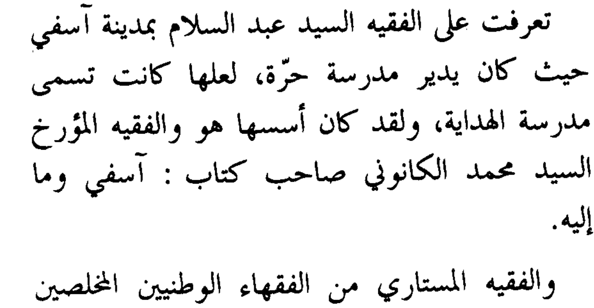
وبعد هذا العذاب الأليم نقل سي أحمد مكوار إلى مدينة مكناس، وقدم إلى المحكمة العسكرية فيها، ولما كان ملف الاتهام فارغاً برأته المحكمة العسكرية من التهمة التي نسب الله وأطلق سراحه، ولكن الادارة الاستعمارية منعته من الانتقال إلى فاس فبقي بمكناس نحواً من سنة كاملة، ثم سمح له بالدخول إلى فاس.

وإثر أحداث 8 دجنبر 1952 نفي أيضاً إلى الصحراء، فقضى بالريش سنة كاملة ثم نقل إلى كولمين، فقضى بها مدة أصيب فيها بمرض، فنقلوه إلى أكادير ثم أفرج عنه في أكتوبر 1954.

وبعد الاستقلال وتكوين المجلس الوطني الاستشاري عيّن عضواً فيه، ثم انتخب في مجلس النواب سنة 1963 وكذلك في الغرفة التجارية والمجلس البلدي بفاس، وإثر مرض أصابه مكث بإحدى العيادات بالدار البيضاء، ثم نقل إلى فاس حيث وافته المنية يوم

12 فبراير 1988 رحمه الله وجازاه على ماقدم لبلاده وأمته(8).

25) السيد عبد السلام المستاري





تعرفت على الفقيه السيد عبد السلام بمدينة آسفي حيث كان يدير مدرسة حرّة، لعلها كانت تسمى مدرسة الهداية، ولقد كان أسسها هو والفقيه المؤرخ السيد محمد الكانوني صاحب كتاب : آسفي وما إليه.

والفقيه المستاري من الفقهاء الوطنيين المخلصين الذين تعرفنا عليهم مع الفقيه السيد إدريس والفقيه الكانوني والذين كان التحق بهم في آسفي الفقيه محمد غازي

كان السيد عبد السلام المستاري من الأوائل الذين تنبّه وعيهم الوطني مثل الفقيه الكانوني والحاج محمد البوعمراني، فقاوموا المستعمرين إثر صدور الظهير البربري، وكان الكانوني والبوعمراني من الذين سجنوا في حركة الظهير المذكور، وبقي المستاري متشبثاً بفكره الوطني في مختلف أطوار حياته، سواء في الثلاثينيات أو الأربعينيات أو الخمسينيات، وكان يعطي الدروس ببعض المساجد التي تلقى فيها دروسه هو، ولما تقوت حركة إنشاء المدارس بالمغرب في الثلاثينيات ومابعدها كان من المؤسسين لمدرسة الهداية مثل الفقيه الهسكوري الذي لعب دوراً هاماً في التعليم الحر، ولعل المدرسة التي أسسها وهي الهداية، هي التي تولى تسييرها فيما بعد الفقيه السيد محمد السرغيني الذي لعب دوراً هاماً في تنظيم صفوف العمال بمدينة آسفي، وإدخالهم إلى صفوف الحزب في فترة الأربعينيات.

كان سي عبد السلام المستاري هادىء للطبع، قويم الأخلاق، ذات سمت حسن ووجه مستبشر.

ازداد رحمه الله سنة 1900، ومدّ الله في عمره فلم يلق ربه إلا سنة 1991 بمدينة مراكش. اشتغل بالتعليم وبالعدالة وتولى القضاء بمراكش بعد الاستقلال.

---

(8) راجع ما كتبه عنه في «رجال عرفتهم» الجزء الرابع.

عندما تحررت وثيقة المطالبة بالاستقلال دعوناه هو والسيد مَحمد بن الخضر للتوقيع عليها. فمثلا مدينة آسفي التي صارت في الأربعينيات بالخصوص تعج بالوطنيين وبالأخص من طبقة العمال الذين كانوا يشتغلون في معامل السَّمك، ولقد كان من جملة المعتقلين إثر المطالبة بالاستقلال، وكان الفرنسيون ينظرون إليه كشخص غير مرغوب فيه، فيضايقونه في جميع تحركاته ولو كانت دينية صرفة، وهكذا تعرض للمحاكمة بسبب احتفاله بعيد المولد النبوي فحكمت عليه المحكمة بشهرين حبساً موقوفاً.

وبعد نفي محمد الخامس رحمه الله، نفي من مدينة مراكش التي كان استقر فيها، وقاسى كثيراً من أنواع العذاب بتهمة اتصاله بالمقاوم الاستقلالي الفذ السيد عبد السلام بناني وبالأستاذ الوطني السيد الصديق الغراس، وكانت التهمة التي وجهت إليه هو والمذكوران محاولة اغتيال السلطان الخائن ابن عرفة، اشتغل بالقضاء مدة في مراكش وآسفي، وتوفي بمراكش سنة 1991، بعدما ترك الذكر الحسن والثناء العاطر رحمه الله.

26) السيد الحفيان الشرقاوي



عرفت سيدي الحفيان الشرقاوي سنة 1933 عندما أقمنا حفلة سياسية بمنزل آل حجي بسلا، بمناسبة مرور سنة على صدور «مغرب» وهي المجلة التي أصدرتها الجماعة الوطنية الأولى بباريز، وكان يرأس تحريرها الحاج أحمد بلافريج، وتصدر باسم المحامي الفرنسي الاشتراكي روبيرجان لونكي. كان الحفل شيقاً وطنياً بكل معنى الكلمة، وشارك زيادة على وطنيي «سلا» إخوة من الرباط وآخرون من فاس، وألقى فيه الخطاب السياسي الرسمي باسم الجماعة المرحوم محمد بن الحسن الوزاني ثم ألقى كل من الحاج عمر بن عبد الجليل وعبد الرحمان الدكالي كلمات ارتجالية.

كان الحاضرون من الرباط جماعة وطنية هامة برئاسة المرحوم محمد اليزيدي، ومنهم عبد اللطيف العتابي وإدريس البنيوري وسيدي الحفيان الشرقاوي وغيرهم. ولازلت أذكر صوت سيدي الحفيان يرتفع بالهتاف قائلا : (نحن مستعدون) إذا مااستمع لفقرة من فقرات الخطباء تحض على العمل الجاد لصالح الوطن والنضال في سبيله.

ثم صرت ألتقي أحياناً مع سيدي الحفيان عندما أزور المرحوم اليزيدي في بيته ببوقرون زنقة سيدي قاسم، وكنت أنجذب لمرحه واندفاعه الوطني أثناء بعض الحفلات الوطنية، وأثناء بعض اللقاءات.

وجاءت سنة 1936 لتنظّم كتلة العمل الوطني أول مؤتمر وطني مصغر بمنزل الوجيه (كما وصف في البلاغ الذي صدر) سيدي الحفيان الشرقاوي بحيّ مارسة تصدر عنه قرارات المطالب المستعجلة التي أيدتها الجماهير المغربية من مختلف المدُن.

ثم جاءت سنة 1937 لينعقد مؤتمر ثان للكتلة بمنزل سيدي الحاج أحمد الشرقاوي، وليصدر عنه الميثاق الوطني الذي قرر قطع أية علاقة مع الادارة الفرنسية مادامت مستمرة في اضطهاد الطبقات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد، ومادامت مُصرة على حرمان الشعب المغربي من حقوقه الشرعية.

وبعد قضائنا سنة كاملة في السجن أكتوبر 1937. أكتوبر 1938 وإطلاق سراحنا أنا والفقيه محمد غازي وسيدي أحمد الشرقاوي اتفقنا على العمل على تنظيم اتصالاتنا باستمرار، نحن أعضاء الطائفة بسلا وأعضاء الطائفة بالرباط، وهكذا عقدنا عدة اجتماعات للمذاكرة في بعث النشاط الوطني من جديد، والسير فيه حسب المستجدات التي جدت، والتطورات التي وقعت، وكان يشارك في اجتماعاتنا ضمن أعضاء الطائفة سيدي الحفيان الشرقاوي.

وجاءت سنة 1944 واتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، فكان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال سيدي الحفيان الشرقاوي

ازداد سيدي الحفيان الشرقاوي بالرباط سنة 1897، فهو يكبر المرحوم محمد اليزيدي وهو صديقه الحميم، ورفيقه في الميدان الوطني، ولعله تعلقه وارتباطه الوثيق بالمرحوم محمد اليزيدي هو الذي كان سبب اشتراكه مع المرحوم أحمد اليزيدي في التجارة، حيث كان متجرهما بطريق تمارة.

وسيدي الحفيان الشرقاوي الذي تعرف عليّ محمد اليزيدي أواخر العشرينات، عندما كان اليزيدي يستقطب بعض الشباب الحي لينظم منهم جوق الرباط للتمثيل، فكان حسب مااستنتجته من نشاط تلك الفترة التاريخية من أوائل الذين رأوا في اليزيدي نعم المثل للرجل الوطني الذي يجب أن تلتف من حوله النخبة الوطنية الصالحة التي كان منها بالاضافة إلى سيدي الحفيان : سيدي المعطي الشرقاوي والسيتل العيساوي ومصطفى بن عبد الله صاحب المطبعة الوطنية التي كانت تطبع بعض الكتب والنشرات

وعبد الرزاق بن احساين والمعطي أبا خاي وعبد الهادي لحلو وعبد اللطيف العتابي وغيرهم كثير.

وعندما تزعم محمد اليزيدي حركة مقاومة الظهير البربري بالرباط كان سيدي الحفيان من المقاومين الأشداء، ومن الموقعين على عريضة الرباط التي قدمها الرباطيون احتجاجاً على السياسة البربرية.

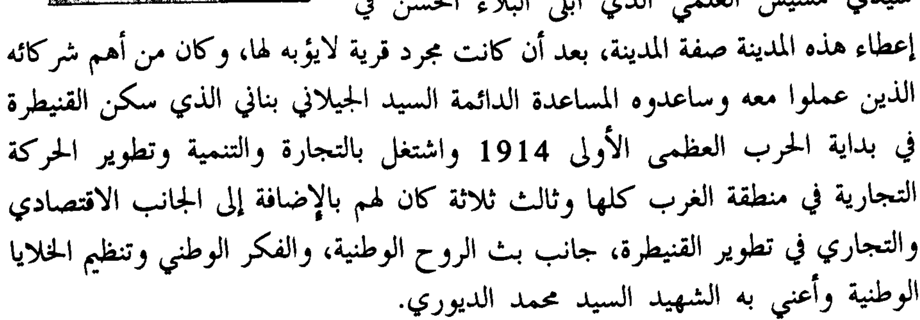
وفي كل أطوار الحركة الوطنية بقى سيدي الحفيان الشرقاوي، متشبثاً بمبدئه، لم يحد عنده ولم يتنكّر له إلى أن لقى ربه سنة 1961 رحمه الله.

27) الجيلاني بناني



لم تكن مدينة القنيطرة مدينة لها شأن يذكر، حتى استقرت بها شخصيات تجارية وحرفية، كانت لها أياد بيضاء على هذه المدينة المكافحة، وتشييدها وتطوير مجتمعها والنهوض بها.

وكان في طليعة من عملوا على رفع مكانتها الاقتصادية، وأنشأوا فيها حركة تجارية الشريف الجليل سيدي مشيش العلمي الذي أبلى البلاء الحسن في



إعطاء هذه المدينة صفة المدينة، بعد أن كانت مجرد قرية لايؤبه لها، وكان من أهم شركائه الذين عملوا معه وساعدوه المساعدة الدائمة السيد الجيلاني بناني الذي سكن القنيطرة في بداية الحرب العظمى الأولى 1914 واشتغل بالتجارة والتنمية وتطوير الحركة التجارية في منطقة الغرب كلها وثالث ثلاثة كان لهم بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي والتجاري في تطوير القنيطرة، جانب بث الروح الوطنية، والفكر الوطني وتنظيم الخلايا الوطنية وأعني به الشهيد السيد محمد الديوري.

أما في ميدان الحِرَفي والعمراني والبنائي وتجديد مدينة القنيطرة بل بنائها من جديد فلابد أن نذكر العمل المبكر والجاد الذي قام به المرحوم الحاج محمد البوعزاوي، فالذين عرفوا القنيطرة قبل أن يسكن فيها ويرفع بناياتها الحاج محمد البوعزاوي، والذين عرفوها بعد سكناه فيها لابد أن يعترف لهذا الجندي المجهول بالجميل.

لقد كان الجيلاني بناني من أوائل الذين أعطوا للتجارة والنماء حقهما، فكان يعمل ليل نهار، لا لينمي ثروته فحسب، ولكن ليفيد بلاده أيضاً.

لقد ازداد السيد الجيلاني بناني بفاس سنة 1898، وعائلة بناني عائلة العلماء والفقهاء، ويكفي أن نذكر منها العلامة بناني شارح الزرقاني على مختصر الشيخ خليل الذي لم تكن تخلو منه مكتبة فقيه في المغرب

ويظهر أن نشاطه الاقتصادي البارز هو الذي جعل الادارة تختاره ليكون ضمن الوفد الذي رافق جلالة محمد الخامس إلى فرنسا في رحلته الاستكشافية.

لقد ترأس سي.الجيلاني بناني الغرفة التجارية بالقنيطرة. كما انتخب في المجلس البلدي وفي مكتب الجمعية الخيرية الاسلامية التي كانت تقوم بدور هام في ميدان الاسعاف.

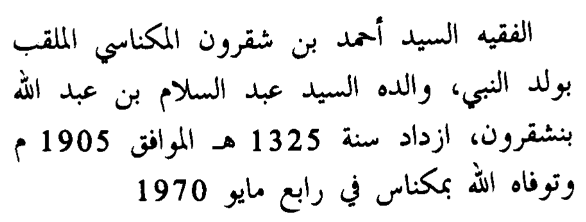
لقد كان ارتباطه قوياً بالمرحوم محمد الديوري وبقية أعضاء الحزب الوطني، وزاد هذا الارتباط وتقوى عندما تصاهر مع المرحوم الحاج أحمد بلافريج، وإثر المظاهرات الصاخبة التي وقعت بالقنيطرة إثر إلقاء القبض على الزعيم علال وصحبة في أكتوبر 1937، ألقي القبض على الجيلاني بناني وابنيه الوطنيين سي مَحمد (فتحا) وسي محمد (رضاً) فقدموا جميعهم إلى المحاكمة، وسجنوا بالسجن المركزي بالقنيطرة ثم نقلوا إلى الصحراء : (الريش) وبعدها إلى سجن عين على أو مومن بسطات في سجن غبيلة بالدار البيضاء، وبعد قضاء المدة التي حكم بها على سي الجيلاني ألزم بالاقامة بسطات ولم يسمح له بالرجوع إلى القنيطرة إلا في أكتوبر سنة 1939.

لقد دُعي سي الجيلاني بناني إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال باعتباره عضوا في الطائفة التي أذكر أن الذي رشحه لها هو المرحوم الحاج أحمد بلافريج.

وان انتماءه الوطني جعله يتعرض لكثير من المضايقات من طرف السلطات الاستعمارية. وعندما كان الحزب قرر فتح جبهة ضد الإقامة العامة من خلال مجلس المقيم العام (مجلس شورى الحكومة) فلقد كان سي الجيلاني بناني من جملة الذين انخرطوا في هذا المجلس ممثلا للغرفة التجارية بالقنيطرة

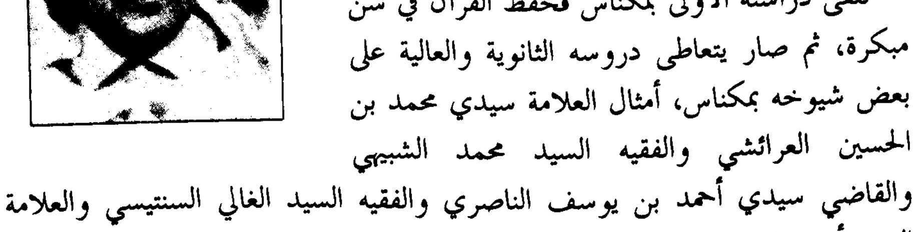
لقد بقي سي الجيلاني وفيا لوطنه وحزبه إلى أن لقي ربه يوم 8 يناير 1979 رحمه الله.

28) السيد أحمد بنشقرون



الفقيه السيد أحمد بن شقرون المكناسي الملقب بولد النبي، والده السيد عبد السلام بن عبد الله بنشقرون، ازداد سنة 1325 هـ الموافق 1905 م وتوفاه الله بمكناس في رابع مايو 1970

تلقى دراسته الأولى بمكناس فحفظ القرآن في سن مبكرة، ثم صار يتعاطى دروسه الثانوية والعالية على بعض شيوخه بمكناس، أمثال العلامة سيدي محمد بن الحسين العرائشي والفقيه السيد محمد الشبيهي



والقاضي سيدي أحمد بن يوسف الناصري والفقيه السيد الغالي السنتيسي والعلامة السيد أحمد البلغيثي. ثم انتقل إلى فاس ليتمم دراسته العالية وذلك سنة 1944 فاتصل برجال الحركة الوطنية ورواد السلفية، وعاد إلى مكناس ليتفرغ لإعطاء الدروس بمساجدها وخصوصاً بمسجدها الأعظم. فكان لدروسه تأثير وصدى أزعج السلطات الاستعمارية.

لقد شارك في الحركة الوطنية منذ نشوئها، فكان من المؤسسين لجماعة إحياء السنة وإماتة البدعة، ومن الذين قاوموا السياسة البربرية الاستعمارية.

تعرفت على الأستاذ أحمد بنشقرون في إحدى المرات كنت فيها بفاس، فحمّلني الاخوان رسالة إليه بمكناس، كانت هي السبب الأول في ربط علاقتي به، ومنذ اللحظة الأولى وجدت فيه بالإضافة إلى علمه ووطنيته روح النكتة وخفة الروح، وأدركت في الحين أن دراسته بفاس أكسبته معرفة بإخواننا رجال الحركة الوطنية الأولين أمثال الزعيم علال الفاسي والشهيد عبد العزيز بن إدريس والمجاهد الهاشمي الفلالي.

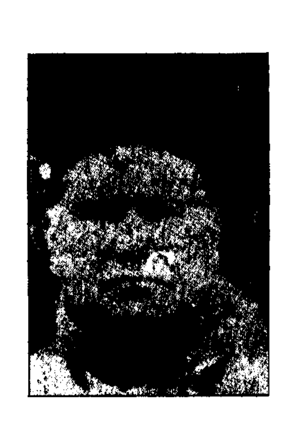
وعندما تقدمنا بمطالب الشعب المغربي سنة 1934 والمطالب المستعجلة سنة 1936 كان مع إخوانه بمكناس في طليعة المؤيدين والمناصرين، فكتبوا العرائض المؤيدة والبرقيات إلى المسؤولين في الخارجية الفرنسية.

وأثناء الانفصال الذي وقع في كتلة العمل الوطني من طرف المرحوم محمد بن الحسن الوزاني بقي كما كان في كتلة العمل الوطني ثم في الحزب الوطني لتحقيق المطالب ثم أخيراً في حزب الاستقلال وفي هذه السنة التي وقع فيها الانفصال وقعت أحداث اغتصاب المعمرين الفرنسيين لماء أبي فكران، فقامت قيامة المكناسيين جميعهم بمن فيهم

الرجال والنساء، ووقعت مظاهرات، سالت فيها الدماء، وسقط الضحايا، وكثُر الشهداء، فكانت انتفاضة شعبية اهتز لها المغرب بأجمعه إذذاك، وانتهت باعتقال كثير من الوطنيين كان منهم السيد أحمد بنشقرون الذي حكم عليه بالسجن لمدة أشهر ثلاثة، وكان لم يمر على زواجه سوى أسبوعين، فاستبدل الزواج في تلك المدة، براحة ضميره في السجن هو وإخوانه الأربعة الذين سجنوا معه.

وعندما تقرر أن نطالب بالاستقلال سنة 1944 كان من جملة الموقعين من مكناس هو والأستاذ إدريس المحمدي ومحمد العيساوي المسطاسي ومحمد بن عزو، وقبل ذلك بسنة واحدة هي سنة 1943 كان تأسيس المعهد الاسلامي المكناسي التابع لجامعة القرويين فعين فيه كاتباً بتاريخ 22 نونبر 1943 ولدى نفي محمد الخامس سنة 1953 والثورة الشعبية التي وقعت في المغرب كله، كان من جملة المعتقلين فبقي في السجن سنتان كاملتان، نفي بعدها من مكناس واستقر بالرباط مدة ثم رجع إلى مكناس إلى أن وافاه الأجل فيها بتاريخ رابع مايو 1970. فدفن بالزاوية التهامية. رحمه الله وأجزل له الثواب.

29) محمد بن الحاج أحمد الديوري



عرفت الشهيد محمد الديوري في الثلاثينيات، وزدت تعرفاً عليه في الأربعينيات، كان يشتغل بالتجارة وكان يعتبر من أعيان المدينة المشهود لهم بالوطنية والشجاعة في المواقف، وعدم المداراة في المبدأ. ومن الوجوه البارزة إذا ماجلس بين التجار، لا لكثرة ماله، ولكن لجرأته ووطنيته. ازداد الديوري في مدينة فاس عام 1314 هـ الموافق لـ 1895 م ودخل الكتاب مثل بقية الابناء ثم انخرط في سلك المدرسة العربية الفرنسية فحصل على الشهادة الابتدائية ثم الثانوية ولم تأت سنة 1918 حتى حصل على وظيفة بالبنك المسمى (كريدي فونصي) ويجب أن أسجل هنا أن الذي كان يتولى إدارة المدرسة الابتدائية التي درس فيها بدرب الهكار، هو المرحو عبد الحق ابن وطّاف الجزائري المعروف كثيراً في الأوساط المغربية بغيرته الوطنية والدينية والذي سبق لي أن قرأت له أو عنه (لست أدري) مقالا في مجلة «المغرب» لمحمد الصالح ميسة الجزائري سنة 34 أو 35. والثناء عليه ووصفه

بالإحسان وإسداء المعروف. أما المدرسة الثانوية التي درس فيها فكان يديرها السيد محمد بن عبورة التلمساني قبل أن يتولى إدارتها بعده (برينو) المشهور بتخطيطاته الاستعمارية في التعليم واهتمامه باللغة الدارجة ومساعدته للادارة الاستعمارية.

ومن الأساتيذ الذين تلقى الدروس عنهم بهذه الثانوية الفقيه السيد محمد اقصبي الذي نقل إلى القصر الملكي ليكون من جملة الأساتيذ الذين تعلّم عنهم جلالة محمد الخامس.

ويلاحظ أن الذين كانوا ينخرطون في سلك المدارس العربية الفرنسية لابد لهم في الوقت نفسه من الانخراط في القرويين لتلقى بعض الدروس فيها وهكذا نرى الشهيد الديوري يتعاطى بعض الدروس على الفقيه ابن كبور بن الحاج، والفقيه السيد محمد الشرقي.

اشتغل الديوري ببنك (كريدي فونصي) نحو ثلاث سنوات من سنة 1917 إلى سنة 1920 ثم انتقل إلى الدار اليضاء ليتعاطى للتجارة، وفي سنة 1922، انتقل إلى القنيطرة بقصد التجارة أيضاً، وفي القنيطرة استقر نهائياً، ولم تحل سنة 1930 التي صدر فيها الظهير البربري حتى انغمر في الحركة الوطنية المقاومة للسياسة الاستعمارية، وقاومها في جميع أطوارها واهتم كامل الاهتمام بالحركة التعليمية، فكان من المؤسسين الأساسيين للتعليم الحر وتقوّى ارتباطه بكتلة العمل الوطني سنة 1934 فكان من العشرة الذين تحملوا مسؤولية تقديم مطالب الشعب المغربي ومن أعضاء الوفد الذي قدمها للإقامة العامة الفرنسية وفي سنة 1937 عندما امتدت أيادي الاستعمار إلى الزعيم علال الفاسي ونفته إلى الكابون ونفت وسجنت الكثرين من الوطنيين، ترأس الديوري مظاهرة ضخمة في القنيطرة شارك فيها كل السكان والأحرار الوطنيين سواء منهم التجار أو الحرفيون أو العمال أو الأساتيد والطلبة، وذلك احتجاجاً على نفي وسجن الوطنيين الأحرار، وتضامناً معهم.

وعلى إثر هذه المظاهرة التي كان لها صدى في المغرب كله والتي سقط فيها ضحايا كثيرون ألقى عليه القبض وهو جمهور كبير من أحرار الحزب الوطني كان من جملتهم الأستاذ بوشتى الجامعي والشريف سيد مشيش العلمي وسي الجيلاني بناني وأبناه مُحمد ومَحمد والصديق المكينسي والمهدي البوعزاوي ومولاي إدريس البوعناني وغيرهم، ولقد نقل الديوري وصحبه إلى الريش في الصحراء الشمالية حيث ذاقوا جميعهم ألواناً من العذاب، ثم بعد قضاء فترة أسابيع من العذاب نقلوا إلى سجن عين عليّ أومومن

قرب سطات فبقوا فيها بعض شهور، ثم نقلوا إلى سجن غبيلة بالدار البيضاء، حيث اجتمعنا معهم داخل جدرانه، فحكوا لنا مالاقوه من العذاب، تقبل الله منهم، وتخليداً لما لاقوه في سجن الريش وعين علي أومومَن سَمَّى الديوري ولَده الثاني عبد المومن، وهو الموجود الآن في فرنسا، وبعد قضاء سنتين كاملتين في السجن أطلق سراحه، ولكنه مُنع من الاستقرار في القنيطرة بل ألزم بالمُقام بالصويرة حيث مكث فيها سبعة أشهر أخرى.

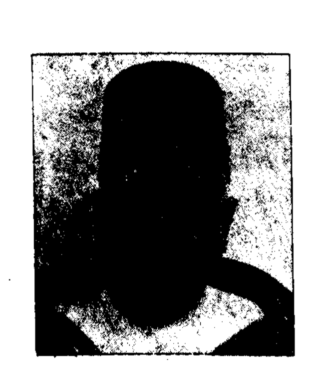
كان محمد الديوري من أعضاء الحزب الوطني الأوفياء، ومن أعضاء الطائفة (الجماعة السرية في الحزب) وكثيراً ماعقدنا اجتماعات للطائفة في منزله بالقنيطرة، وأذكر أن في منزله انتخب المرحوم بلافريج أميناً عاماً للحزب، وعندما قرر الحزب المطالبة بالاستقلال سنة 1944 دعى الديوري للتوقيع على الوثيقة وكان من أعضاء أحد الوفود التي قدمتها للدوائر المختصة، ولدى بناء وتأسيس ثانوية التقدم كان الديوري من الأساسيين لتكوينها، العاملين بجد ونشاط على إنجاحها في أداء مهمتها التربوية والتعليمية، وحتى يضمن سيرها ونجاحها، ربط علاقة وثيقة مع مديرها الحالي الحازم الأستاذ أحمد ابن الحاج السلمي حيث زوجه ابنته الفاضلة التي كانت بدورها تشرف على الحركة النسوية بالقنيطرة. وبالمناسبة أسجل هنا أن عقيلة المرحوم الديوري كانت ازدادت بالسينغال وذاك ما أكسبها إذ ذاك الجنسية الفرنسية، حيث كانت السينغال تابعة للجمهورية الفرنسية، ونظراً لأن قانون الصحافة في المغرب في ظروف الاستعمار كان لايسمح للمغاربة بإصدار صحيفة باللغة الفرنسية للمغاربة، ولايسمح بذلك إلا للفرنسيين، وعندما قرر الحزب الوطني إصدار صحيفة أسبوعية بالفرنسية للتعريف بالقضية الوطنية، وكان القانون لايسمح بذلك وقع الاتفاق مع المرحوم الديوري ليتذاكر مع زوجته المجنسة بالجنسية الفرنسية كي تسمح بأن تصدر الجريدة باسمها، فوافقت رحمها الله وصارت الجريدة تصدر باسمها.

وشاء الله أن تقع كارثة بالقنيطرة حوالي سنة 1946 وذلك بنشوب حريق فظيع في أكواخ كان يسكنها جمهور من المحرومين والفقراء، فتأسست لجنة ملكية لإسعاف المنكوبين كان الديوري من جملة أعضائها. كما كان الحاج محمد البوعزاوي من أوائل الذين قدموا كل إمكانياتهم لإسعاف المنكوبين واستضافة الكثيرين منهم وإسكانهم في جزء من بيته.

وفي سنة 1952 إثر أحداث (فرحات حشاد) وإلقاء القبض على زعماء الحزب، بينما هو في اجتماع بمنزله إذ داهمته القوات الاستعمارية فألقت عليه القبض حيث نقل

إلى معسكر (كان كَارنيي) بالرباط، حيث جمعتني الأقدار به والاتفاق معه على بعض القضايا التي تتعلق بالاضراب الذي وقع في المغرب، وبعد افتراقنا من المعسكر، والرمي بنا في مختلف المناطق والجهات، أُخذ الديوري إلى مكناس، حيث التقى في إدارة الشرطة بإخوانه : أحمد مكوار وإبراهيم الكتاني والمختار السوسي، ثم نُقل إلى قصر السوق في صحراء الجنوب حيث سجن في بيت مظلم هناك، ثم وقع نقله بعد ذلك إلى آيت أورير قرب مراكش، وإثر مرض ألمَّ به نقل رحمه الله إلى مستشفى المامونية بمراكش، فبقي طريح الفراش مدة لم يتلق فيها علاج ولم يهتم به أحد، وبينما هو على تلك الحال، سمع شخصاً ينادي عليه قائلا : لعل الرجل غريب، فأجابه قائلا : أنا من أسرة الديوري رقم هاتف المنزل الذي نسكنه بفاس هو : 34.55، فبلغ هذا إلى ابن أخته وصهره السيد بنسالم لحلو عن طريق رجل حدثه من مراكش، فسارع هذا الصهر إلى مراكش لعله يستطيع الاتصال به، ولكن القدر غالبه ففارق الحياة يوم 29 دجنبر 1953، ولقد حاول أهله وذووه دفنه بالقنيطرة ولكن الاستعماريين رفضوا ذلك، فنقل إلى فاس، ليدفن بمقبرة القباب رحمه الله فلقد كان وفياً لوطنه ودينه وعقيدته، وكان مثال المخلصين الأشداء الذين لاتاخذهم في الله لومة لائم. ولقد أبى بعض المسؤولين في القنيطرة وهو الباشا المرحوم الشريف سيدي عبد الحميد العلوي إن لم تخني الذاكرة أبى إلا أن يطلق اسمه على شارع من أهم الشوارع في القنيطرة، تخليداً لأعماله وتضحياته.

30) السيد الحاج أحمد الشرقاوي



عرفت سيدي أحمد الشرقاوي سنة 1934 عندما قررت الحركة الوطنية تقديم مطالب الشعب المغربي إلى الدوائر المختصة، فكنا نحن الأربعة : أحمد الشرقاوي، محمد غازي، عبد العزيز بن إدريس، أبوبكر القادري، الذين تركّب منا الوفد الذي قدمها لجلالة الملك بالدار البيضاء.

ثم زدت معرفة به بعد ذلك في الاجتماعات التي كانت تعقدها كتلة العمل الوطني، وعندما ألقي القبض على الزعيم علال الفاسي والحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدي وأحمد مكوار سنة 1937 إثر الاجتماع الذي عقده الحزب الوطني بمنزل سيدي أحمد الشرقاوي والذي صدر عنه الميثاق

الوطني الذي قرر قطع العلاقات مع الدوائر المسؤولة الفرنسية إلى أن توقف الاضطهادات التي كانت مسلطة على الشعب في مختلف القطاعات، أقول : إثر إلقاء القبض على الزعماء المذكورين يوم 26 أكتوبر سنة 1937 عقدت اجتماعاً مستعجلا مع بعض المسؤولين في فرع الرباط وذلك في منزل سيدي أحمد الشرقاوي وكان منهم زيادة عن سيدي أحمد الشرقاوي : عبد اللطيف العتابي والمعطي الشرقاوي فوجدت أنهم لا زالوا لم يتخذوا أي قرار للتضامن مع المعتقلين وفي ذلك الاجتماع اتخذنا قرار التضامن المطلق مع المعتقلين الأربعة والقيام بمظاهرات في كل من الرباط وسلا، وإثر هذه المظاهرات وقع القبض علينا ضمن المعتقلين العديدين.

لقد عشت مع سيدي أحمد الشرقاوي في السجن سنة كاملة، كان البعض منها في سجن الرباط والباقي في سجن الدار البيضاء أو العذير القريب من سطات، وخلال هذه السنة في السجن وقبلها زدت معرفة بسيدي أحمد الشرقاوي، فوجدت فيه الرجل الوطني الثابت الصامد الذي لاتزعزعه الأحداث والصدمات مهما كانت، عن مبدئه وعقيدته، وأذكر أنه أصيب بمرض أثناء وجودنا بسجن الدار البيضاء اضطر معه لإجراء عملية جراحية، فأخذوه إلى المستشفى وأجروا عليه تلك العملية، ثم أرجعوه إلى السجن وهو لازال في مرحلة النقاهة، فما تشكى وما تذمَّر، ولكنه بقي ثابت الجنان، قوي الإرادة، حتى مرت مرحلة النقاهة بسلام.

لقد ازداد سيدي أحمد الشرقاوي بمدينة الرباط سنة 1897 فأخذ تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية وصار يتعاطى الدروس العلمية على علماء وقته، ومنهم الفقيه الروندة والعلامة ابن الحُسني والمحدث الشيخ شعيب الدكالي وغيرهم، ثم التحق بالإدارة كموظف بإدارة الضرائب التي بقي فيها عشرين سنة كاملة من سنة 1914 إلى سنة 1934، وخلال هذه الفترات وبعد صدور الظهير البربري كان له اتصال وثيق بالمرحوم محمد اليزيدي الذي ذكر لي أنه كان ملتزماً بأداء مساعدات مالية منتظمة لتسيير الحركة. كما نشط في مجال الدعاية ضد السياسة البربرية، الأمر الذي جعل الإدارة تعتقله وتنفيه إلى مراكش الذي بقي فيها مدة كان يلقي خلالها بعض الدروس بمسجد القصبة. وخلال سنة 1932 أدى فريضة الحج وصادف الحال أن الشيخ عبد الحي الكتاني قام هو بدوره بزيارة إلى مصر في طريقه إلى الحج، وخلال مقامه بمصر صار يقدم نفسه لا كعالم فحسب ولكن كداعية مصلح حامل معه رسائل تزكية من الأمير شكيب أرسلان، فارتاع سيدي أحمد الشرقاوي من نشاط عبد الحي، وخشي أن يلبّس على

الكثيرين من الذين لايعرفونه حق المعرفة خصوصاً وقد حمل معه كما قلت تزكية من الأمير شكيب، فاتصل سيد أحمد الشرقاوي إذذاك بالطلبة المغاربة الموجودين بالقاهرة، وكان من جملتهم الأستاذ محمد عزيمان، ونظم معهم طريق مقاومة، ذلك المشعوذ الذي كان متعاوناً التعاون الوثيق مع الاستعمار.

اشتغل بالتعليم بعد خروجه من الوظيف، فأسس مدرسة حرة بحي العكاري بالرباط الذي كان يسكن فيه، ثم أدار المدرسة الغازية بحومة بوقرون، ثم لدى التفكير في بناء مدرسة ثانوية كبرى للتعليم الحر بالرباط، كان من اللجنة المؤسسة لمدارس محمد الخامس التي أصبح مديراً مسيراً لها طوال عشر سنوات من سنة 1947 إلى سنة 1957 حيث عين مستشاراً ملحقاً بسفارة المغرب في جدة مع السفير الأول الفقيه محمد غازي.

ولدى افتتاح أول برلمان مغربي سنة 1962 انتخب عضواً نائباً عن مدينة الرباط. وفي الأربعينيات عندما كان مشتغلا بالتعليم، عيّن باللجنة العليا التي كونها حزب الاستقلال للإشراف على سير التعليم وإصلاحه، وخصوصاً التعليم الحر كما عين بلجنة التعليم العليا بمندوبية المعارف سنة 1951

لقد كان له نشاط ملحوظ في تكوين الخلايا الوطنية بحي العكاري، ومنها الخلية التي تخرج منها الشهيد الوطني الفذ علال بن عبد الله.

وعندما تقرر أن يطالب حزب الاستقلال بالاستقلال كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال ومن الأعضاء المؤسسين للحزب

وكانت له نشاطات اجتماعية أخرى، فانتخب كاتباً عاماً للجمعية الخيرية الرباطية ومن المؤسسين للميتم الإسلامي

قضى مدة بسجن الرباط والبيضاء والعذير عام 1937 — 1938 ونفي إلى الصحراء إثر حوادث 1952 فكان أولا في فم الحصن (آقا) ومير اللفت وكولمين وقلعة مكونة ثم اغبالو نكردوس، وانتقل إلى عفو الله يوم 22 جوان 1978 رحمه الله وجازاه خيراً[9].

---

(9) راجع ما كتبته عنه في الجزء الأول من (رجال عرفتهم).

31) السيد عبد الجليل القباج



السيد عبد الجليل القباج من الرجال الصادقين في وطنيتهم، الذين اعتنقوا الفكرة الوطنية في مطلع شبابهم، كان مشهوراً بالاستقامة بين إخوانه الذين تعامل معهم، سواء في المجال الثقافي أو المجال السياسي، وكان كتوماً للأسرار، غير مكثر من الكلام الذي لايرى فائدة فيه. لم أتعرف عليه شخصياً معرفة قوية، إلا بعد الأربعينيات عندما أسند إليه حزب الاستقلال مهمة مدير لجريدة «العلم» الغراء، وهذا التعيين في جريدة «العلم» جاء باقتراح من أحد الإخوة البارزين في الحزب، حيث كان يرى في تعيينه على رأس جريدة تكون لسان الحزب ضمانة كافية للسير بها طبق الخطة التي يقررها الحزب في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي.

والأستاذ عبد الجليل القباج من مواليد الرباط في 2 نونبر سنة 1905 الموافق لرابع رمضان عام 1323 هـ. ولقد درس مثل أقرانه أولا في الكتاب القرآني ثم بالمدرسة الابتدائية وثانوية مولاي يوسف، ثم انتقل إلى معهد الدروس العليا بالرباط التي نجح فيها في دبلوم الترجمة، ثم انتقل إلى كلية بوردو بفرنسا التي حصل فيها على شهادة الليسانص في العربية.

بعد رجوعه من فرنسا توظف سنة 1929 بإدارة الشؤون الاسلامية بصفته كاتباً بوزارة الأحباس، ثم سمّي كاتباً في الصدارة العظمى بدار المخزن، وعندما تأسست جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي يوسف ترأسها سنة 1934، كما ترأس النادي الثقافي المغربي.

وعندما قرر الحزب المطالبة بالاستقلال كان من الموقعين على الوثيقة باعتباره من قدماء الوطنيين الذين أقسموا اليمين في «الطائفة» وهي الجناح السري في الحزب، وباعتباره من قدماء تلاميذ اليوسفية. وكانت نتيجة توقيعه على الوثيقة طرده من الوظيفة التي كان يشغلها في دار المخزن مع باقي رفقائه الذين طردوا، مثل عبد الكريم بن جلون وج بوبكر الصبيحي ومسعود الشيكر وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي، وبعد طرده من الوظيفة اشتغل فترة قصيرة بالتجارة قبل أن يكلف بإدارة جريدة «العلم» سنة 1946 التي بقى مكلفاً بها طوال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات إلى أن جاءت أحداث سنة

1952 بعد اغتيال فرحات حشاد النقابي التونسي المعروف، فمُنعت جريدة «العلم» من الصدور، وتعرض سي عبد الجليل لكثير من الاستنطاقات والتهديدات والمضايقات من طرف السلطات الاستعمارية

وبعد انفراج الأزمة، عادت «العلم» للصدور تحت إدارته كما كانت، ثم انتقلت إلى الأستاذ قاسم الزهيري ثم إلى الأستاذ عبد الكريم غلاب الذي لازال يشرف عليها ويتولى إدارتها، وفي فترة الأربعينيات عين بمجلس شورى المقيم، وعندما قرر جلالة الملك محمد الخامس تأسيس مجلس الدستور عيَّنه من جملة أعضائه ثم عاد إلى وزارة الأوقاف وعيّن مفتشاً عاماً بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1972.

وفي فترة الثمانينات أصدر كتيبات بعنوان : (نداء الضمير) وترأس الجمعية الوطنية للإحسان ورعاية الطفل رحمه الله رحمة واسعة.

32) السيد عبد الله الركراكي



لم أخالط السيد عبد الله بن محمد بن الطيب الركراكي إلا قليلا، فلقد عرفته في الخزانة العامة بالرباط كمساعد لمحافظها الذي كان فرنسياً، وكانت وداعته وطيبوبته تحببانه إلى جميع من يزور الخزانة ويريد الاستفادة منها، وعندما كان إخواننا المكلفون بتحرير مطالب الشعب المغربي سنة 1934 يهيؤون المطالب، كان عبد الله الركراكي يمدهم ببعض المراجع الموجودة بالخزانة ليستفيدوا منها، وهكذا أستطيع أن أعترف له بأنه كان من المساهمين، ـــ ولو بصفة غير مباشرة ـــ في تهييء مطالب الشعب المغربي التي تعتبر بحق البرنامج الوطني الأول لآفاق العمل الوطني في المستقبل.

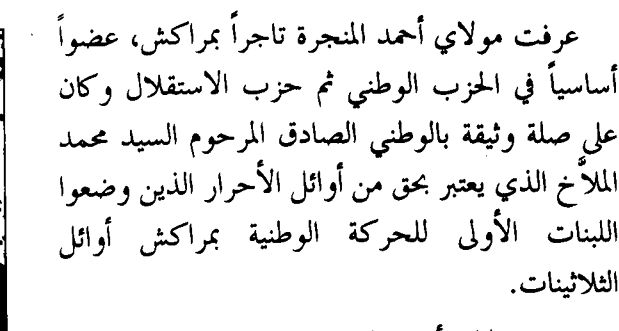
ازداد السيد عبد الله الركراكي بالرباط سنة 1905 أو (1903) ودرس القرآن على الفقيه الوزاني والفقيه السيد المكي بربيش ثم انتقل إلى المدرسة العربية الفرنسية ثم إلى كوليج مولاي يوسف حيث تلقى تعليمه الثانوي، ومن ثانوية مولاي يوسف التحق بالوظيفة العمومية، فعيّن بالخزانة العامة عام 1924 ويظهر أنه لم يتمم دراسته بالثانوية، لأنه التحق بالوظيفة وهو صغير لم يبلغ العشرين من عمره. لقد كان له اتصال

وثيق بإخواننا الذين كانوا تلاميذ بكوليج مولاي يوسف مثل المرحوم محمد اليزيدي وعبد الجليل القباج ومسعود الشيكر ومن هنا كان ارتباطه برجال الحركة الوطنية الأولين، ومن هنا انخرط في سلك أعضاء «الطائفة» وكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944. وبما أن الادارة الفرنسية فوجئت بأن بعض الموقعين على وثيقة الاستقلال لم تكن تعرف عن وطنيتهم واهتماماتهم السياسية وانضمامهم للكتلة الوطنية لا القليل ولا الكثير، فإنها اغتاظت من كل هؤلاء، وقررت معاقبتهم إما بالطرد من الوظيفة، وإمّا بالسجن وكان من حظ السيد عبد الله الركراكي أن يسجن ثلاثة أشهر ثم يطرد من الوظيفة. وهكذا بقي مطروداًمن وظيفته خلال الأربعينيات والخمسينيات إلى أن جاء الاستقلال، فرجع إلى الخزانة العامة كمحافظ أول بعد خروج الفرنسيين منها.

وكان من أعماله المشكورة في الخزانة وضعه لفهرس للكتب المخطوطة الموجودة، بالخزانة العامة، لقد بقي وفياً لوطنيته إلى أن أدركته الوفاة سنة 1978 رحمه الله.

33) أحمد بن الطاهر المنجرة





عرفت مولاي أحمد المنجرة تاجراً بمراكش، عضواً أساسياً في الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال وكان على صلة وثيقة بالوطني الصادق المرحوم السيد محمد الملاّخ الذي يعتبر بحق من أوائل الأحرار الذين وضعوا اللبنات الأولى للحركة الوطنية بمراكش أوائل الثلاثينات.

ازداد مولاي أحمد المنجرة بفاس سنة 1901، وبها أخذ تعليمه الأوّلي في الكتاب والقرويين وفي سن شبابه انتقل إلى مدينة مراكش سنة 1926 مساعداً لأحد التجار الفاسيين الذين كانوا يتعاطون التجارة بمراكش، وفي مراكش ربط عدة علاقات مع إخوانه رجال الحركة الوطنية بمراكش ومنهم محمد الملاّخ وسيدي محمد المختار السوسي وابن داود والسيد السعيد الفاسي عم الزعيم علال الفاسي ثم مع عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن وغيرهم.

ونظراً لدماثة أخلاقه وطيبوبة قلبه، وحبه للخير، وسعيه فيه، فقد أحبَّه الجميع

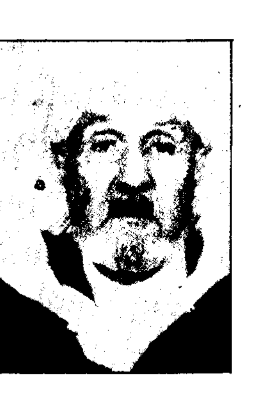
وأصبح بيته من البيوت التي يقصدها الكثيرون من الوطنيين الزائرين لمراكش، كان تعرفي عليه لأول مرة بالمتجر الذي كان فيه بحي السمارين، ثم صرنا نلتقي في كل الاجتماعات التي كان يعقدها الحزب، فلاحظت أنه لايتصنّع ولايتكلف أثناء لقائه معك، فهو وَدود بَشوش طاهر القلب، ومايزيده تقدمه في السن إلاَّ طهارة ونقاء وتحبباً إلى الجميع.

لقد كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ويحكي أنه عندما طلب منه الأستاذ عبد الله إبراهيم هو وسي ابريك الغراس التوقيع على الوثيقة، تردّدا في الأول باعتبار أن سي ابريك كان يدير مدرسة حرة ولربما كان توقيعه على الوثيقة يعرضها للضياع، وأنه بدوره ربما يفقد الحزب بفقدانه بعض المهام التي كان يقوم بها، ولكن الأستاذ عبد الله إبراهيم كان صارماً معهما، فخاطبهما قائلا : أنا أقول لكم : اننا نطالب باستقلال بلادنا وأنتم تقولون المدرسة وهكذا لم يسعهما إلا أن يوقعا على الوثيقة، وينالا شرف التوقيع، ونظرا لأنه كان يشتغل بعمل حرّ، وحيث أن الباشا الكلاوي كان له موقف خاص فيما يتعلق بتعامله مع الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فإنه لم يلحقه أذى بسبب توقيعه.

ولدى الأحداث التي وقعت بمراكش سنة 37 أبعدوه إلى تازناقت حيث بقى هناك 3 أشهر.

وفي الأحداث التي وقعت في المغرب كله بعد اغتيال الزعيم النقابي التونسي من طرف جمعية الوجود الفرنسي ودعوة الحزب إلى الاضراب، كان سيد أحمد المنجرة من جملة الذين وقع نفيهم إلى (تاكنيت) (قلعة مكونة) ثم (اغبالو نكردوس) فبقي مبعداً إلى سنة 1955 حيث أطلق سراحه مع إخوانه الذين كانوا منفيين معه، وبعد الاستقلال عيّن أولا ناظراً للأحباس بمراكش، ثم بعد إعفائه عاد إلى التجارة، وبقي دائما مناضلا شهماً في صفوف حزب الاستقلال حفظه الله ورعاه.

34) الحاج الحسن بوعياد



ترجع معرفتي بالحاج الحسن بوعياد إلى سنة 1933 أو 1934، ففي تلك السنة كان الزعيم علال الفاسي يلقي دروساً في السيرة النبوية بجامع القرويين، وكان لهذه الدروس صدىً عظيماً في مختلف المدن المغربية، وكنا نحن الجماعة الوطنية بسلا أسسنا جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ونظمنا التلاوة القرآنية يومياً بعد صلاة المغرب بالمسجد الأعظم، يحضرها تلامذة المدارس الابتدائية والثانوية، ويشارك فيها جمهور كبير من المواطنين من مختلف الأعمار، فكان المسجد الأعظم يغصّ بالشبان والكهول، وتنظم الصفوف في شكل كان يجذب كل زائر للمسجد يَوَدُّ أن يستمع لآيات كتاب الله تتلى عليه.

وقررنا أن نستدعي الأستاذ علال ليلقي درساً من دروسه في السيرة النبوية بمسجدنا ليستفيد منها ومن توجيهاتها الذين يشاركوننا في التلاوة من التلاميذ والطلبة وغيرهم.

كان الوقت صيفاً، وكنا لدى الصلاة والتلاوة، نخرج لمراح المسجد المتسع الذي كانوا يسمونه (بالسْحَلْ) وحين حضر الوقت المعين للدرس، وصل الأستاذ علال وبرفقته بعض الإخوة كان من جملتهم الحاج الحسن بوعياد، وشاءت الأقدار أن يصاب الأستاذ علال بزكام قويّ في ذلك المساء، لم يستطع بسببه أن يلقي الدرس المنتظر منه، ولم يشأ أن يخيب مسعى إخوانه الذين ظلوا ينتظرون درسه، فرجا من الحاج الحسن بوعياد أن ينوب عنه في إلقاء درس، كان موضوعه إن لم تخني الذاكرة شرح للحديث الشريف : (من رأى منكم مُنْكَراً فليُغيِّرْهُ بِيَده، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسانِه، فإنْ لم يستَطِعْ فبقَلْبِه، وذلك أضعفُ الإيمان) وهكذا استمعنا لدرس بوعياد التوجيهي، الذي ألقاه بحماس ونشاط، وكان له وقع طيِّب.

ولدى التحضير للمطالب المغربية، كان الحاج الحسن يشارك أحياناً في الاجتماع الذي يعقد للمذاكرة فيها، وكانت نكاته ومستملحاته تضفي على الاجتماع كثيراً من الانشراح. وحكى لي المرحوم محمد اليزيدي الذي كانت الاجتماعات تعقد بمنزله، أنه ذات صباح وهم مجتمعون صاح ديك بصوته العليّ سمعه الحاضرون، فنطق الحاج الحسن في حينه قائلا : أنصتوا واسمعوا إن هذا الديك ينادي علينا جميعاً : أنا فداؤكم، أنا فداؤكم فاذبحوني لغدائكم، وضحك الجميع لهذه المستملحة التي جاءت على لسان الحاج الحسن.

ازداد الحاج الحسن بوعياد (بمنشستر) (انكلترا) يوم الأربعاء 8 ربيع 2 1322 هـ الموافق 22 يونيو 1904 ولكنه لم يدم مُقامه هناك إلاّ تسعة أشهر حسبما ذكر ذلك فيما كتبه، ولدى رجوعه مع والده الذي كان يتعاطى التجارة بانكلترا، إلى فاس موطنه الحقيقي، ولدى بلوغه سن الدراسة التحق بالكتاتيب القرآنية، ثم انتقل إلى مدرسة حرة كان أنشأها بعض الغيورين ومنهم العلامة السيد محمد الدخيسي وتسمى مدرسة درب الطويل. ومن الذين كانوا يدرّسون بها الأستاذ السيد محمد بن عبد الرحمان العراقي ثم انتقل بعد إتمام دروسه الأولى، إلى جامع القرويين ليتلقى الدروس على أعلامها، ومنهم العلامة العراقي السالف الذكر والفقيه سيد الحسين العراقي والعلامة محمد بناني والشيخ بوشتى الصنهاجي وغيرهم أمثال العلامة المشهور سيدي أحمد بن المامون البلغيثي الذي تلقى عنه علم الأصول والبلاغة والمنطق والأدب العربي

لقد بدت طلائع الإصلاح في ذلك الظرف، تظهر في القرويين بسبب الدعوة التي قام بها الفقيه سيدي محمد بن العربي العلوي، وبسبب مطالعة بعض الكتب والجرائد والمجلات التي كانت ترد من مصر ومن الشرق العربي عموماً، فصارت تنتشر بعض الأفكار الاصلاحية والسياسية الجديدة ويذكر الحاج الحسن بوعياد فيما كتبه عن حياته أن الحاج المهدي الحبابي كان له دور مهم في بث الوعي، لأنه كان يسافر إلى مصر الآونة بعد الأخرى، ويجلب معه الكتب الجديدة التي تصدرها مطابع مصر وبعض المجلات والنشرات، ويمدّ بها الشباب الذي كان متطلعاً إلى الجديد المفيد، ويذكر أن الحاج المهدي هذا هو الذي شجعه على الذهاب إلى مصر للدراسة فيها وأخذ العلم عن علمائها بالأزهر الشريف أمثال الشيخ محمد أحمد العدوي والشيخ محمد السملوطي والشيخ يوسف الدجوي والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد اللطيف دراز ومن جملة الذين أفادوه أثناء وجوده بالقاهرة الشيخ محمد المصمودي التطواني الذي مهد له الطريق للانتساب إلى الأزهر والسيد محمد الزين الذي كان له ارتباط وثيق بالحاج المهدي الحبابي.

وبمناسبة ذكر الحاج المهدي الحبابي أذكر أنه كانت له مكتبة ظاهر جامع القرويين (بالسبيطرين) وكنت أزوره وأتعامل معه عندما فتحت مكتبة بسلا أسميتها مكتبة المغرب، جعلت القيِّم عليها ابن عمي المرحوم سيدي محمد بن المكي القادري، فكان يمدني بالكتب الجديدة التي ترد عليه ليستفيد منها مثقفوا سلا ومتعلموها، وكان فتح مكتبة المغرب، وترويجها للكتب والمجلات المفيدة مدعاة لنشر الأفكار الاصلاحية، وتعميم الثقافة بين الشباب، في الوقت الذي كانت المدرسة التي كنت متولياً أمرها

وإدارتها وإلقاء الدروس فيها تقوم بدورها في التعليم والتثقيف والتوجيه. كان هذا بالضبط في سنة 1935 ومابعدها.

لقد قضى الحاج الحسن بوعياد فترة بمصر قصد الدراسة، ثم عاد إلى فاس سنة 1348 هـ 1929 م ولم تأت سنة 1930 وهي السنة التي صدر فيها الظهير البربري (16 ماي 1930) والانتفاضة التي وقعت فيها بسبب السياسة الخرقاء التي أرادت الحماية الفرنسية تطبيقها والدور الذي قامت به مدينة فاس إثر ماوقع في سلا والرباط، حتى كان الحاج الحسن بوعياد من أوائل المتحمسين لمقاومة السياسة الاستعمارية، ويذكر فيما كتبه رحمه الله أن والده الحاج العربي بوعياد هو الذي افتتح قراءة اللطيف بصوت عال في رحاب جامع القرويين إلى جانب سيدي حمزة الطاهري.

لقد وعى الحاج الحسن بوعياد مسؤوليته منذ ذلك التاريخ وكان من الجماعة الأولى التي دعا إلى تكوينها الزعيم الشاب علال الفاسي والتي سميت بالطائفة، ويقول الحاج الحسن بوعياد : إن الاجتماع الأول لهذه الجماعة كان بمنزل المرحوم الحاج أحمد مكوار

وأثناء هذا النشاط السياسي الذي تجلى في مقاومة الظهير البربري، قرر الحاج الحسن بوعياد السفر إلى مصر للتعريف بقضية المغرب، وفضح ماتودّ فرنسا تطبيقه بسياستها البربرية، وحيث أنه قضى مدة بمصر أثناء فترة الدراسة، وتعرف على الكثيرين من رجالها وعلمائها ومثقفيها أمثال الأساتذة : أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا والشيخ محمد الخضر حسين التونسي الأصل والشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ محب الدين الخطيب، فإنه استطاع أن يتصل بهؤلاء وغيرهم ليطلب مساندتهم لقضية المغرب، ومناصرتهم لما يبذله المغاربة من رفض قاطع للسياسة الاستعمارية البغيضة، ولقد تعرف من جملة الذين تعرف عليهم في هذه الفترة، على الشيخ حسن البنّا بالاسماعيلة الذي كوّن جماعة الإخوان المسلمين الذين لعبوا دوراً هاماً في بعث الفكر الاسلامي ووضحوا معالم الطريق لمن يريد أن يسلك الدعوة الإصلاحية في الإسلام.

وخلال نشاط الحاج الحسن بوعياد، أصيب بداء السل والعياذ بالله، فرجع إلى المغرب ثم قصد مدينة لوزان في سويسرا بقصد العلاج، وهناك تعرف على الأمير شكيب أرسلان، ثم بعد رجوعه إلى بلاده سنة 1933 أسندت له مسؤولية إدارة مدرسة حرّة، وساهم مع الزعيم علال وأحمد مكوار حركة الاحتجاج على تحويل ماء فاس إلى ضيعات المعمرين.

وفي سنة 1937 إثر الأحداث التي وقعت فيها، سافر إلى الشام ومكث فيها مدة

وكان يتنقل بين مصر والحجاز داعياً إلى مناصرة قضية بلاده، وبعد رجوعه إلى المغرب في فترة الحرب (1940) ولدى وضع وثيقة المطالبة بالاستقلال (1944) كان ضمن الموقعين الأساسيين عليها وكان من أعضاء المجلس الوطني للحزب خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

وبعد حصول المغرب على استقلاله بمدة، فتر نشاطه السياسي، وكانت له بعض الملاحظات على سير الحزب الذي ينتمي إليه، فأسندت إليه مسؤولية إدارة المعهد الاسلامي بالجديدة سنة 1376 هـ (1957) ثم أسندت إليه نظارة أحباس القرويين من سنة 1958 إلى سنة 1978، ثم أحيل على التقاعد، وأثناء فترة تقاعده أصيب بمرض الشلل النصفي الذي ألزمه الفراش وبقي يعاني منه إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 12 ذي القعدة (1410 هـ) الموافق 6 يونيه (1990) م ودفن رحمه الله بروضة العلويين (بالقبب) بجوار أساتذته ومن بينهم سيدي أحمد البلغيتي، وذلك تطبيقاً لوصية كان وصى بها. رحمه الله وجازاه على ماقدم من الصالحات.

35) السيد مبارك الغراس



السيد ابريك بن أحمد الغراس الذي كنا نعرفه بهذا الاسم من خيرة المخلصين بمدينة مراكش. لم يشتغل أساساً في الميدان السياسي، وإنما اشتغل أساساً في المجال التعليمي. عرفناه وطنياً صادقاً محباً للخير واعظاً مرشداً موضحاً معالم الطريق الديني للناس.

ازداد بمدينة مراكش عام 1906 وبعد أن تلقى تعليمه الأوّلي انخرط في سلك طلبة كلية ابن يوسف فدرس على العلامة سيدي أحمد بن المحجوب والعلامة سيدي أحمد العلمي والعلامة المصلح الشيخ شعيب الدكالي وغيرهم، ولما حلّ بمراكش أخونا العلامة الكبير سيدي محمد المختار السوسي أمره بتأسيس مدرسة حرة دعاها أولاً بالمكتب الاسلامي ثم سميت بعد ذلك بمدرسة (الحياة) ومن جملة الذين كانوا يدرسون معه في هذه المدرسة الأستاذان المرحومان : إبراهيم رضى الله الإلغي ومحمد بن عبد الله الروداني وخلال اشتغاله بالتعليم قوى ارتباطه برجال الحزب الوطني أمثال الأستاذ عبد الله إبراهيم والمرحوم عبد القادر حسن، وصار يتعاون معهما في نشر الوعي الوطني وبث الأفكار الوطنية حتى إذا ماجاءت سنة

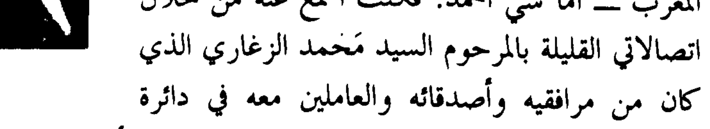
1944 وقرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال، دعاه إخوانه للتوقيع على وثيقة الاستقلال، فتلكّأ قليلاً خشية أن يكون توقيعه سبباً في تعثره في أداء مهمته التعليمية، ولكن صديقه عبد الله إبراهيم كان له موقف حاسم عندما قال له : إن من ينشد تحقيق الاستقلال، لايمكنه أن يبقى عالقاً بأية جزئية إصلاحية مهما كانت إلا العمل على الاستقلال، فما وسعه حينئذ إلا التوقيع على الوثيقة مثل ما فعل إخوانه الصادقون، وانغمر في عمله التعليمي والوطني خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينات فتوجهت إليه أنظار السلطات الاستعمارية، وأصدرت قراراً بنفيه إلى الدار البيضاء يوم 17 غشت 1951 وتولّى أمر مدرسته (الحياة) من بعده صديقه الحميم السيد الحسين بن عبد الله الورزازي وخلال مقامه بالدار البيضاء أسس مدرسة الفتح الإسلامي ومدرسة السعادة بحي الحبوس وعندما أسست مدرسة رياض العروس بمراكش بعد الاستقلال أصبح مديراً لها. كما صار بعد ذلك مديراً بمعهد الفتيات التابع لكلية ابن يوسف، وفي دجنبر 1958 تولى القضاء بالدار البيضاء، ثم انتقل إلى آسفي لنفس المهمة، ثم رجع إلى التعليم بكلية ابن يوسف في سنة 1962 إلى 1972 قبل إحالته على التقاعد.

انتقل إلى عفو الله ومغفرته في غرة رمضان عام 1416 ـــ 22 يناير 1996 رحمه الله.

36) أحمد باحنيني



لم أتعرف إلى المرحوم أحمد باحنيني قبل حادي عشر يناير 1944 مثل ماعرفت أخاه المرحوم الحاج مَحمد باحنيني، فهذا الأخير عرفته كاتباً باحثاً أديباً لامعاً في الثلاثينات، وأنصتت إلى بعض المحاضرات التي كان ألقاها في النادي الأدبي الاسلامي السلوي ـــ ومنها محاضرة عن ابن حزم كنت لخصتها لجريدة المغرب ـــ أما سّي أحمد. فكنت أسمع عنه من خلال اتصالاتي القليلة بالمرحوم السيد مَحمد الزغاري الذي كان من مرافقيه وأصدقائه والعاملين معه في دائرة



جمعية قدماء تلامذة كوليج مولاي إدريس، ولعلي قرأت له مقالا أو بحثاً في جريدة «المغرب» اليومية التي كان يصدرها الصديق المرحوم سعيد حجي خلال الثلاثينيات.



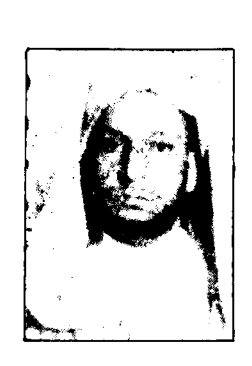
والصورة التي ارتسمت في ذهني عن الرجل أنه من المثقفين النبغاء، ومن البارزين في مجال القانون حيث أنه خلال بداية الأربعينيات كان يتعاطى مهنة المحاماة، وكان يعرف بدقة ملاحظاته، وهدوء طبعه، وقلة كلامه، وحفاظه على وقاره. واقتصاده في الاتصالات مع غيره.

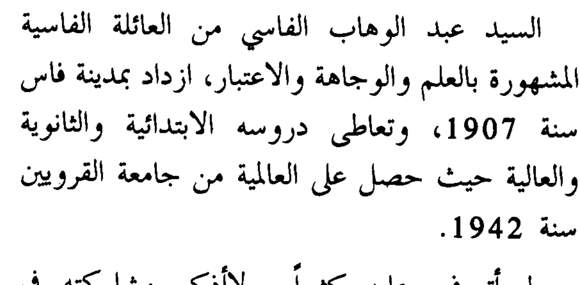
وخلال تحضيرنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال، وبحثنا عن الرجال المثقفين المؤهلين للتوقيع معنا فيها، والقرار الذي اتخذناه في شأن بعض أعضاء جمعية قدماء الإدريسية الذين كان لأخينا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل اتصال بهم، كان اسم سي أحمد باحنيني من أبرز الأسماء التي سمعت الحديث عنها، لامن حيث الثقافة والمؤهلات الشخصية فحسب، ولكن من حيث الرزانة والتعقل والحفاظ على الأسرار، ومن هنا كان تعرفه على جماعتنا وبعض أسرارنا السياسية مرغوباً فيه منّا ومنه على السواء. وهكذا دعي إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولم ير فيه الذين اتصلوا به أي تردّد فكان من الموقعين الأولين، ومن الذين قدموا الوثيقة إلى المفوضية الانجليزية بالرباط هو والمرحوم الحاج أحمد مكوار، وأما صديقه المرحوم السيد مَحمدالزغاري فكان من الذين قدموا الوثيقة إلى الإقامة العامة الفرنسية، وأما الصديق الثاني السيد أحمد الحمياني فكان من الذين رفعوا الوثيقة إلى جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه.

لقد ازداد السيد أحمد باحنيني بمدينة فاس سنة 1909، وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ثم تابع دراسته القانونية في جامعة الجزائر، وفيها حصل على دبلوم الدراسات العليا في الحقوق وفي الاقتصاد السياسي، فاشتغل بالمحاماة من سنة 1940 إلى الخمسينيات، وفي فترة الاستقلال تدرج في عدة مناصب. فعيّن مديراً للأشغال الإدارية سنة 1956 بوزارة الداخلية، ومديراً لديوان صديقه السيد مَحمد الزغاري عندما تولى هذا الوزارة. وأسندت إليه في بعض الفترات مهمة وزير العدل ثم عيّن وزيراً أولا ثم تقلد منصب رئيساً أولا للمجلس الأعلى للقضاء، وفي كل المناصب التي أسندت إليه، كان الرجل المستقيم المشهور بالنزاهة.

اعتقل من جملة المعتقلين إثر المطالبة بالاستقلال سنة 1944، فبقي مدة في سجن برج فاس ثم نقل مع الذين كانوا معه إلى سجن العذير الذي بقوا فيه نحو العام والنصف، ولقي ربه في سنة   رحمه الله وأثابه

37) السيد عبد الوهاب الفاسي الفهري





السيد عبد الوهاب الفاسي من العائلة الفاسية المشهورة بالعلم والوجاهة والاعتبار، ازداد بمدينة فاس سنة 1907، وتعاطى دروسه الابتدائية والثانوية والعالية حيث حصل على العالمية من جامعة القرويين سنة 1942.

لم أتعرف عليه كثيراً، ولاأذكر مشاركته في الاجتماعات التي كنت أشارك فيها سواء بفاس أو بغيرها قبل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإن كنت قرأت في بعض الذين ترجموا له أن مشاركته في الحركة الوطنية كانت مبكرة، وأنه تعرض للاعتقال سنة 1936 لدى مطالبة كتلة العمل الوطني بالحريات العامة وتنفيذ المطالب المستعجلة، وأنه ساهم في المظاهرة التي وقعت بفاس إثر إلقاء القبض على زعماء الحزب الوطني.

بعد تحضير وثيقة الاستقلال في صيغتها النهائية، كان من الضروري كتابتها بخط جميل ونظراً لأن الوطني الغيور، عبد الوهاب الفاسي كان من الموقعين على الوثيقة، فقد طلب منه أن يكتبها بخطه الجميل، وهكذا تناول القلم من المرحوم الحاج أحمد مكوار، التي نسخت الوثيقة في منزله ببطحاء فاس، وكتبها كما هي في أصْلها الحقيقي الموقع عليه من طرف باقي الموقعين و لازال القلم الذي حررت به النسخة الأُصلية محتفظا به لدى السيد الطاهر مكوار ابن المرحوم أحمد مكوار.

وبعد الأحداث التي وقعت بفاس في 30 يناير 1944 إثر إلقاء القبض على من اعتبرتهم السلطات الفرنسية مسؤولين أولين في الحزب عن الأحداث، وبعد اعتقال الكثيرن من الوطنيين كان سيدي عبد الوهاب من جملة المعتقلين حيث أودع سجن فاس أولا ثم نقل مع بعض المعتقلين الآخرين وهم :

1) محمد الأغزاوي
2) محمد بن سودة
3) عبد الكبير بن المهدي الفاسي
4) محمد الفاسي
5) علي العراقي
6) ج عبد القادر العلج

7) أحمد الحمياني

8) أحمد باحنيني

9) أحمد بنسودة

نقلوا جميعاً إلى سجن العذير قرب الجديدة الذي بقوا نحو سنة تقريباً. (أو تزيد قليلا) نظرا لأنه قضى بسجن فاس نحو أربعة أشهر ونصف

وبعد سراحه عاد إلى نشاطه الوطني إلى أن أصيب بمرض ألزمه الفراش فتوفي رحمه الله في خامس أبريل 1950.

38) الحاج محمد البوعمراني



لدى زيارتي الأولى لمدينة آسفي أواسط الثلاثينيات، كان الحاج محمد البوعمراني من أوائل الذين تعرفت عليهم كوطني ملتزم في مدينة آسفي، وكانت له علاقة جد طيبة مع الأخ الفقيه محمد غازي الذي كان إذ ذاك مقيماً بمدينة آسفي كوكيل شرعي بمحكمتها الشرعية، ولعل المهنة التي كان يشتغل فيها — إن لم تخني الذاكرة — بيع الكتب ومايتصل بها في دكان صغير، ولربما كان مع الكتب بعض المواد التجارية الأخرى، وتقوت العلاقة بيني وبينه بعد ذلك، فكان من جملة ماحكى لي ذات مساء وأنا معه ومع الأخ محمد بنيس في مصطاف إفران، حكى لي : انه قبل الثلاثينيات كان له اتصال وثيق هو والفقيه الكانوني صاحب كتاب (آسفي وما إليه) مع الفقيه بولحية الذي كان منفيا بآسفي بعد انهزام البطل محمد بن عبد الكريم الريفي في معركته التحريرية، وكان الفقيه بولَحْية هذا من رفقاء ابن عبد الكريم في حرب التحرير، وكانت الأحاديث التي تجرى معه في منتهى المتعة والفائدة، الأمر الذي كان يدعوهم لزيارته والاستفادة من معلوماته كما حكى لي أنه بعد صدور الظهير البربري 1930 زارهم في مدينة آسفي أخوان من مدينة «سلا» أحدهما هو السعيد حجي والثاني لم أذكره الآن، وطلبا منه ومن رفقائه

الذين كان من جملتهم الفقيه الكانوني المذكور سالفاً أن يقوموا بمناصرة ومساندة إخوانهم الذين قاموا يعارضون السياسة البربرية التي تود فرنسا تطبيقها بالمغرب، وذلك بطلب اسم الله اللطيف في المساجد، وهكذا تصدّى هو أي البوعمراني والفقيه الكانوني للأمر، ودعوا إلى ذكر الله اللطيف واتصلوا ببعض خطباء المساجد ليقوموا بواجبهم، فلبّى واحد منهم ذكر لي اسمه، أما هو والفقيه الكانوني فقد قاموا بواجبهم ورفعوا أصواتهم في أحد المساجد الجمعية باسم الله اللطيف، فكان عقابهما من طرف السلطة إلقاء القبض عليهما مدّة.

أردت بهذا التقديم أن أسجل أن المرحوم البوعمراني كان من السابقين الأولين في الحركة الوطنية المقاومة للمخططات الاستعمارية

ازداد محمد البوعمراني بمدينة آسفي سنة 1906 وتلقى تعليمه الأوّلي بها، وعندما بلغ العشرين من عمره (1926) التحق بالقرويين، وبعد سنة واحدة (1927) رجع إلى آسفي حيث بدأ نشاطه الوطني، فكان من جملة ماقام به تأسيسه لجماعة وطنية سرية مابين 1928 و1930 وإصداره لجريدة خطية، أسماها (الدروس) كما أنشأ جمعية تمثيلية، ويظهر أنه كان يتتبع بعض النشاطات التي قامت في كل من مدن فاس والرباط وسلا سواء في مجال التمثيل أو غيره، فأراد أن يسير على نهجها، ويظهر أنه كان على اتصال بالجمعية الودادية بسلا التي أصدرت من جملة ما أصدرت جريدة «الوداد» الخطية التي كان يديرها المرحوم سعيد حجي أواخر العشرينيات، ولاشك أن زيارة السعيد حجي لآسفي بعد صدور الظهير البربري كانت تابعة لبعض الاتصالات.

لقد ارتبط بكتلة العمل الوطني منذ تكوينها وكان من العمَد الذين تعتمد عليهم في مدينة آسفي. ومن الذين أيدوا مطالب الشعب المغربي (1934) والمطالب المستعجلة (1936) ومن الذين تظاهروا احتجاجاً على نفي الزعيم علال وصحبه سنة 1937.

كان ارتباطه بكتلة العمل الوطني قوياً، ولذلك دعى إلى الانخراط في سلك (الطائفة) وهي الجماعة السرية في الحزب الوطني وحزب الاستقلال.

وعندما تقرر أن يطالب الحزب بالاستقلال، وحُضِّرت وثيقة المطالبة بالاستقلال كان من جملة الموقعين من مدينة آسفي هو والسيد مَحمد بن الخضر والفقيه عبد السلام المستاري.

وأثناء نشاطه في سنة 1937 .ولدى ظروف الحرب العالمية الثانية أبعدته السلطة الاستعمارية من مدينة آسفي، فاستقر بمدينة الدار البيضاء، حيث صار يشتغل بالتجارة

التي بارك الله له فيها فصار من الأغنياء المرموقين، واهتم بالقضية الفلسطينية منذ نشأتها فحاكمته السلطة بغرامة مالية لدعوته إلى الاكتتاب لصالحها.

ولدى الأحداث التي وقعت بالمغرب إثر اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحَت حشاد، سافر إلى مدريد ثم باريس وسويسرا، حيث قام بدور نشيط في ربط الاتصالات مع الوطنيين أعضاء الحزب في الداخل والخارج، وكان قبل وصوله إلى مدريد وباريس مكث مدة بطنجة باتفاق مع اللجنة التنفيذية الموقتة التي كان من أعضائها هو والإخوة عبد الكريم غلاب وعبد الكبير بن المهدي الفاسي ومحمد الدويري، وخلال مقامه في طنجة بلّغ تعاليم الحزب إلى الوطنيين الموجودين هناك والتي من جملتها الانتقال إلى مرحلة المقاومة الجدية بكل الوسائل إذا مسّ شخص جلالة الملك محمد الخامس، وكان الفرنسيون إذذاك يتربصون به الدوائر.

وعندما اتخذ المرحوم الرئيس البكاي موقفه المساند لمحمد الخامس وكان إذذاك قائداً بصفرو، ثم سافر إلى باريس بتنسيق مع المسؤولين في الحزب، كلفه الحزب بملازمة البكاي والتعاون معه في كل المواقف التي كان يتخذها للمطالبة بإرجاع محمد الخامس إلى عرشه.

ولدى تنظيم المقاومة المسلحة واتخاذ المسؤولين في الحزب قرار وجود شخصية تتولى تنظيم شؤونها وتحركاتها من تطوان، تكلف الحاج محمد البوعمراني باستدعاء الدكتور عبد الكريم الخطيب للقيام بهذه المهمة وذلك سنة (1955) فلبى الدعوة وقام بالمهمة أحسن قيام.

وبعد الاستقلال وتكوين المجلس الوطني الاستشاري كان من العشرة الذين مثلوا حزب الاستقلال في المجلس المذكور، وفي سنة 1957 عينه صاحب الجلالة أول عامل على إقليم أكادير فبقي يؤدي مهمته إلى سنة 1960 حيث استقال لظروفه الصحية، ثم رجع إلى الدار البيضاء، حيث صار يباشر تجارته مع شريكه الحاج أحمد بن زاكور رحمه الله. إلى أن أدركته الوفاة يوم فاتح يوليوز عام 1994 رحمه الله وأجزل له الثواب.

39) السيد أحمد بن عثمان بن دلّة الادريسي



عرفت سيدي أحمد بن دلة وطنياً في مدينة القنيطرة. ضمن الجماعة الوطنية التي كانت ملتفة حول الوطني الشهيد السيد محمد الديوري، وعرفته وطنياً صادقاً في مدينة الدار البيضاء، حيث كان تاجراً في الكتان بطريق مديونة في متجر الحاج أحمد القباج، وعرفته وطنياً صادقاً في الاجتماعات التي كان يعقدها الحزب أحياناً كثيرة بمنزله بدرب السلطان، عرفته رحمه الله في السراء، وعرفته في الضراء عندما جمعتنا الأقدار بسجن غبيلة بمدينة الدار البيضاء. وفي كل الظروف والأوقات التي جمعتني بسيدي أحمد بن دلة، وجدت فيه بالإضافة إلى الوطنية الصادقة، الصدق في المعاملة واللقاء بالابتسام، والمحبة غير المصطنعة، وعدم الكلفة في التعامل، والسخاء والكرم العديمي النظير، لايلقاك إلا مبتسماً، ولايحادثك إلا ضاحكاً، عندما تتحدث إليه، تشعر أنه يحدثك بقلبه، قبل أن ينطق لسانه بالكلام. أتت عليه ظروف في تجارته. كان فيها من اليُسر والنماء والربح، مالم يصل إليه غيره، وأتت عليه ظروف بلغ فيها من العسر والضيق ما لا يستطيع تحمله إلا القليلون، وسواء في حال اليسر أو في حال العسر، لاتجده إلا ضاحكاً راضياً، أصيب في آخر حياته بمرض السكري، انتهى به إلى فقدان بصره، فبقي كما هو راضياً بقضاء الله، ضاع له ماله حتى اضطر إلى بيع المنزل الذي بناه ليسكن فيه، فما تذمَّر ولا قلق ولا اشتكى.ولاتغير، ولكنه بقى كما كان يلقاك بالبشر والابتسام. وخصلة أخرى لا أنساها له أبداً هي خصلة السخاء وعدم التعلق بالمال، وقفت أمامه في متجره ذات يوم، وطلبت منه مساندة لمشروع، فما أنهيت كلامي حتى أمدّني بمقدار من المال دون تردّد، وذات يوم كنت أقوم بجمع مساندات للقضية الفلسطينية في الدار البيضاء، صحبة بعض إخواني ومنهم إذذاك الدكتور عبد الكريم الخطيب، وبلغنا أن سيدي أحمد بن دلة مريض لايفارق بيته، وكان بالإضافة إلى مرضه، في حالة من العسر والضيق المالي مالايتحمله إلا الصابرون، فقصدنا بيته قصد عيادته والتعبير عن تعاطفنا معه، وكان قد فقد بصره، فما سمع أننا قد دخلنا عليه حتى استقل قائماً يرحّب بالعناق والابتسام كما هي عادته قبل مرضه، وجلسنا نتحادث معه ومع إخوان آخرين كانوا معه، ونشرب الشاي، ثم أردنا أن نودعه ونغادر البيت، فألحّ علينا بالجلوس بضع دقائق، ونادى على بعض من

كان يلازمه ليحادثه في سرّ، وماهي إلا لحظات حتى ناولنا ظرفاً صغيراً فيه مقدار من المال قائلا : لقد خبرني بعض إخواني الحاضرين، أن مجيئكم للدار البيضاء كان بقصد جمع اكتتاب لصالح فلسطين، وأنا رغم ما تعلمون عني، من الضيق، لا أقبل أن أُحْرَم من المساهمة معكم ولو بمقدار بسيط، فلاترفضوه جزاكم الله كل خير. فأكبرنا فيه هذه الروح الطيبة، وهذا الايمان المتدفق، وغادرنا منزله وكأنه أعطانا ما يملأ الدنيا بحذافيرها.

ازداد سيدي أحمد بن دلَّة الإدريسي بمدينة فاس عام 1909 وانخرط في العمل الوطني في وقت مبكر، أثناء كتلة العمل الوطني، ولربما قبل ذلك حيث رأيت فيما كتب عنه أنه شارك في أحداث استنكار صدور الظهير البربري (1930) وفي فترة شبابه انتقل إلى مدينة القنيطرة قصد تعاطي التجارة، وكان من المبشرين بالفكر الوطني، العاملين على بث الوعي السياسي في مختلف الأوساط، وكان تعاونه مع الاخوة : محمد الديوري ومَحمد بن الجيلاني بناني والصديق المكينسي وغيرهم من المؤسسين الأولين للحركة الوطنية بالقنيطرة، تعاوناً فيه كثير من الصفاء والطهر والاخلاص.

وفي كل مراحل نشاط الحزب الوطني أوائل الثلاثينات كان سيدي أحمد بن دلة من الجنود العاملين، وفي المظاهرة التاريخية التي قامت بها مدينة القنيطرة سنة 1937 عندما نفي الزعيم علال الفاسي واعتقل أعضاء الحزب البارزون، كان سيدي أحمد بن دلة ضمن المتظاهرين وضمن المعتقلين الذين أبلوا البلاء الحسن، فنفي إلى الريش بالصحراء وتحمل فيها من البلاء الشيء الكثير، ثم نقل إلى سجن علي أومومن، قرب سطات، فقضى فيه بضعة شهور، ثم نقل إلى سجن غبيلة بمدينة الدار البيضاء حيث قضى فيه مابقي من المدة التي كان محكوماً عليه بها.

وبعد اتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال كان من الموقعين على الوثيقة مع الاخوة الآخرين في القنيطرة : محمد بن الجيلاني بناني، الجيلاني بناني، محمد الديوري.

وإثر أحداث سنة 1952 التي تجلى فيها حنق الاستعمار الفرنسي على حزب الاستقلال، كان سيدي أحمد بن دلة من جملة المعتقلين، وبعد نفي محمد الخامس، وقيام الشعب المغربي قومته الصادقة التي تجلت في اشتعال المقاومة وهجوم جيش التحرير، تعرض سيد أحمد بن دلة سنة 1954 للتعذيب والتنكيل بسجن خريبكة، فتحمل ذلك بروح المومن وصدق الوطني، حتى جاء نصر الله، فرجع محمد الخامس إلى عرشه وتحقق الاستقلال.

وبعد مرض أصيب به أدركته الوفاة يوم 24 يوليوز 1972 فدفن بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء، رحمه الله وجازاه على ماقدم من معروف.

40) السيد الحسين بن عبد الله الورزازي



لم يسعدني الحظ بالتعرف كثيراً على السيد الحسين الورزازي، ولاأذكر أنني اجتمعت كثيراً معه، ولاأعلم إلا أنه كان من الأعضاء الموثوق بوطنيتهم وصدق إخلاصهم، ولذلك كان من القلائل الذين زكاهم إخواننا في مراكش ليوقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

ازداد السيد الحسين الورزازي بمدينة مراكش سنة (1909) وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي والعالي بها، وكان والده من جملة الذين تلقى عنهم، ثم اشتغل بالتعليم، فصار أولا أستاذاً بمدرسة الحياة التي كان يديرها الأستاذ مبارك الغراس. وعندما كان المرحوم الأستاذ بوشتى الجامعي مديراً للمدرسة الحرة بالقنيطرة، كان سي الحسين من جملة الأساتيذ الذين يعطون الدروس فيها. وبعد الحوادث التي وقعت بالقنيطرة سنة 1937 نفته السلطات الاستعمارية من القنيطرة، فاستقر بمراكش ثم عاد إلى التجارة التي كان يتعاطاها.

ولدى اتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، كان سي الحسين الورزازي من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال ضمن إخوانه : عبد الله إبراهيم، عبد القادر حسن، أحمد المنجرة، مبارك الغراس، وبعد توقيعه وقع اعتقاله فترة زمانية.

ولما قررت السلطات الاستعمارية نفي الأستاذ مبارك الغراس من مراكش سنة 1951 حلّ محلّه في مدرسة الحياة كمدير بالنيابة.

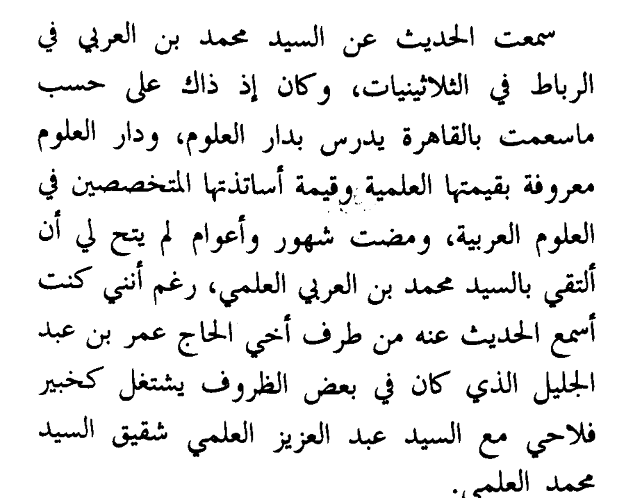
وفي أحداث سنة 1952 كان من جملة المعتقلين، وبعد خروجه من السجن استقر بمدينة الدار البيضاء كأستاذ في بعض المدارس الحرة.

وبعد الاستقلال عيّن قائداً بآيت أورير ثم قائداً في فطواكة لمدة 11 سنة ثم عيّن وكيلا لمداخيل جناح من سوق الجملة بمراكش.

وبتاريخ عاشر نونبر سنة 1983، تعرض لحادثة سير أودت بحياته رحمه الله.

41) السيد محمد بن العربي العلمي





سمعت الحديث عن السيد محمد بن العربي في الرباط في الثلاثينيات، وكان إذ ذاك على حسب ماسمعت بالقاهرة يدرس بدار العلوم، ودار العلوم معروفة بقيمتها العلمية وقيمة أساتذتها المتخصصين في العلوم العربية، ومضت شهور وأعوام لم يتح لي أن ألتقي بالسيد محمد بن العربي العلمي، رغم أنني كنت أسمع الحديث عنه من طرف أخي الحاج عمر بن عبد الجليل الذي كان في بعض الظروف يشتغل كخبير فلاحي مع السيد عبد العزيز العلمي شقيق السيد محمد العلمي.

وعندما كنا نتهيأ لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان السيد محمد العلمي حسب مايبلغني من أعضاء الحركة القومية التابعة للسيد محمد بن الحسن الوزاني، وأنه في بعض الفترات كان موضع ثقته الأولى، ولربما كان يكلفه ببعض المهام، ونظراً لعلاقة الحاج عمر بن عبد الجليل مع السيد عبد العزيز العلمي الذي كان اتجاهه مع الحزب الوطني ثم مع حزب الاستقلال، فإن الحاج عمر كان يلتقي مع سي محمد العلمي في بيت سي عبد العزيز، وهكذا حصل كثير من التجاوب بينه وبين الحاج عمر لدرجة كبيرة الأمر الذي جعله يطمئن إليه كثير الاطمئنان، ولربما كان هذا هو الدافع الأساسي ليقترحه على الحزب من أجل التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهو ماجعل إسم السيد محمد بن العربي العلمي من الموقعين الأولين على الوثيقة. ولست أدري أنه لدى توقيعه على الوثيقة استأذن أصحابه في الحركة القومية أم لا ؟

كان سي محمد العلمي شخصية لامعة متقفة ثقافة عربية عامة، ذا فكر سياسي ذكي، ولعل مكوثه مدة في القاهرة أيام الثلاثينيات التي كانت القاهرة تعج بالنشاطات السياسية المختلفة الاتّجاهات أكسبته تجربة سياسية، جعلته من جهة يتابع الأحداث بنباهة، ومن جهة أخرى يعتد بنفسه كثيراً من الاعتداد، ولعل هذا الاعتداد هو الذي كان يصرفه عن الانخراط في الحزب الوطني الذي كان يقدر رجاله مثل الحاج عمر بن عبد الجليل وعلال الفاسي والفقيه غازي، ولكنه مع ذلك كان يودّ أن تكون له منزلة ومقام ربما كان يخشى أن لايجدهما في الحزب، وهذه كلها مجرد تخمينات لاأريد مطلقاً أن أدعي أنني متيقن منها.

لقد اتصلت مع سي محمد العلمي بعض الاتصالات قبل الاستقلال وبعد الاستقلال، وتحادثت معه أحياناً في قضايا عامة، ولكن معرفتي الحقيقية به كانت عن طريق السماع وفي سنة 1958 كان سي محمد العلمي سفيراً للمغرب بتونس وكنت كُلفت من طرف إخواني في اللجنة السياسية لحزب الاستقلال صحبة الدكتور محمد بناني أن أسافر إلى تونس للاتصال بقادة الحزب الدستوري وفي طليعتهم الرئيس بورقيبة والباهي الأدغم وغيرهم لعرض الاقتراح الذي أقرته اللجنة التنفيذية في اجتماعها بطنجة من أجل عقد مؤتمر تشارك فيه الأحزاب الأربعة : حزب الاستقلال والحزب الدستوري التونسي وجبهة التحرير الجزائرية، لدراسة موضوع وحدة المغرب العربي والذي نتج عنه مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي. ولدى وصولي إلى العاصمة التونسية وجدت بالمطار السيد محمد بن العربي العلمي مع الشخصيات التونسية من القيادة التونسية إذذاك مثل علي البهلوان صالح المقدَّم وعبد الله فرحات وعبد المجيد شاكر وغيرهم يستقبلوننا في المطار أيضاً. وخلال بعض الاجتماعات التي عقدناها إذذاك مع قادة الحزب الدستوري شاركنا سي محمد العلمي وخصوصاً في الجلسة الأخيرة التي أقررنا فيها الموافقة على عقد مؤتمر وحدة المغرب العربي بطنجة ومن خلال المداخلات التي كان يتدخل بها سي محمد العلمي زدت إدراكاً بأنه يتوفر على نضج سياسي هام، وإدراك كبير لما كنا نهدف إليه، وهكذا أتممت معرفتي به وزادتني الأيام المتعاقبة بعد ذلك الاطلاع على كثير من جوانب شخصيته.

لقد ازداد سي محمد بن العربي العلمي بفاس في غشت 1914 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بها (في جامعة القرويين) والتحق بالقاهرة سنة 1935 حيث حصل على شهادة العالمية من جامعة الأزهر (حسبما علمت من بعض الذين ترجموا له) ثم التحق بكلية دار العلوم التي تخرج منها سنة 1940.

وأثناء تلمذته وفي دراسته الثانوية اتصل بالحركة الوطنية على طريق الفقيه محمد غازي فشارك في مقاومة الظهير البربري واعتقل وأبعد إلى مدينة خريبكة.

وأثناء وجوده بالقاهرة اشتغل بالكتابة في الصحافة المصرية مثل الجهاد والبلاغ والأهرام ولدى نفي الزعيم علال سنة 1937 كتب مقالا مطولا عنه في الأهرام، كما كان يكتب بجريدة النذير التي كانت لسان جمعية الاخوان المسلمين. كما نشر بالنذير وثيقة تاريخية للشهيد عبد العزيز بن إدريس حول أساليب القمع بمنافي وسجون (كلميمة) وفي سنة 1941. أسس مدرسة الأمير مولاي الحسن بالدار البيضاء التي دشنها ولي العهد المولى الحسن وكانت من أبرز المدارس في الدار البيضاء.

وبعد الاستقلال عيّن سفيراً للمغرب بتونس من سنة 1956 إلى 1960، ثم عيّن سفيراً في لبنان ثم كاتبا للدولة في وزارة الشؤون الخارجية فسفيراً في طهران فسفيراً في القاهرة وأخيراً سفيراً للمغرب بالمملكة العربية السعودية. كما شارك في عدة مؤتمرات دولية، وأخيراً تعاطى للتجارة الكبرى فكان مع أخيه من التجار اللامعين وإثر مرض ألمَّ به انتقل إلى رحمة الله يوم 23 يناير سنة 1990 بالدار البيضاء ودفن بمقبرة الشهداء. رحمه الله.

42) السيد الطاهر زنيبر



عائلة زنيبر، عائلة كبيرة ممتدة الأطراف في مدينة سلا، وكان فيهم العلماء والأمناء المشهورون بالغيرة والوطنية، ومنهم الوطني الكبير الحاج علي زنيبر الذي قضى مدة طويلة بالقاهرة أيام السلطان المولى عبد العزيز، ومن القاهرة كان يكاتب بعض أصدقائه محذراً من الوقوع في شَرَك فرنسا التي كانت إذذاك تدبر المؤامرات ضد المغرب، ومن القاهرة تقدم بمشروع دستور إلى السلطان عبد العزيز لتنظيم المغرب على أسس جديدة، ومنهم والد المترجم العلامة المفتي السيد أبو بكر بن الطاهر زنيبر الذي كان ذا فكر متطور، وعلم كبير بنهضات الأمم وسر تقدمها زيادة على علمه وفقهه مثل بقية علماء عصره، وكان بالإضافة إلى ذلك من الذين ساهموا المساهمة العملية في الحركة الوطنية ابتداء من انتفاضة عام 1930 ضد السياسة البربرية إلى تقديم وثيقة الاستقلال في حادي عشر يناير 1944، كما كانت له مساهمات متواصلة في الكتابة في الصحف والمجلات المختلفة، وكان له ابنان مثقفان لم يرزق غيرهما، الابن الأكبر هو السيد الطاهر، والابن الثاني هو الدكتور محمد زنيبر.

ازداد السيد الطاهر زنيبر بمدينة سطات حيث أن والده كان قاضياً شرعياً بها وذلك بتاريخ 13 شتنبر 1918 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بسلا والرباط، وواصل دراسته العليا في جامعة بوردو الفرنسية حيث حصل على شهادة الليسانس في الأدب سنة 1941 تعرفت على السيد الطاهر زنيبر أوائل الأربعينيات، وتوثقت العلاقة بيننا عندما انخرط في الحزب الوطني فكان ضمن جماعة (فتح) التي لعبت دوراً هاماً في حركة المطالبة بالاستقلال. ونظراً لثقافته الأدبية الهامة، واستقامة فكره الوطني، وكتمانه

للأسرار الذي يعتبر من الشروط الأساسية للالتحاق بالطائفة، أي الجناح السري في الحزب الوطني، فقد زكيته للالتحاق بالطائفة ضمن الاخوة الذين التحقوا بها من جماعة (فتح) وهكذا عندما حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال كان له شرف التوقيع عليها.

كانت الخلية الوطنية التي التحق بها وهي خلية «فتح» تقوم ببعض الدراسات الهامة، وتناقش الأفكار الأساسية، وتساهم المساهمة العملية في تسيير شؤون فرع حزب الاستقلال بسلا، وأسجل بهذه المناسبة أننا عقدنا اجتماعاً بمنزله بدرب ابن شعبان مساء يوم 29 يناير 1944 لتقييم الأوضاع بعد مظاهرة ذلك اليوم الناجحة، واتخذنا عدة قرارات تتعلق بمستقبل العمل الوطني والاهتمام بشؤون الشهداء الذين سقطوا ضحايا في ذلك اليوم إلى غير ذلك. ونظراً لموقفه الثابت ومساندة والده وأخيه لحركة المطالبة بالاستقلال، ونظراً لأنه شارك مع صديقه الأستاذ مسعود الشيكر في الاحتجاج الشديد اللهجة على القمع الذي وقع على الوطنيين إثر أحداث 29 و30 يناير 1944 فقد ألقى عليه القبض هو ووالده العلامة السيد أبو بكر زنيبر وأخوه السيد محمد وهوجم منزلهم وفتش تفتيشا دقيقاً لعلهم يعثرون فيه على مايجعلونه حجة لمؤاخذتهم ومحاكمتهم ثم نقلوا جميعهم إلى معسكر (القبيبات) بالرباط حيث وقع استنطاقهم من السلطات العسكرية، وبقوا في ذلك المعتقل العسكري مدة ذاقوا فيها من العذاب ألواناً وبالأخص والدهم الأشيب العلامة السيد أبو بكر زنيبر، ثم نقلوا بعد ذلك إلى السجن المدني بالرباط حيث التحقوا بنا، وانتظم شمل الجميع معنا، ودام مُقامهم معنا نحواً من ثلاثة أشهر ثم وقع إطلاق سراحهم.

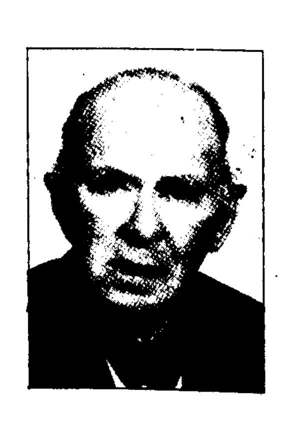
قبل أحداث 29 يناير 1944، كان سي الطاهر زنيبر موظفاً بإدارة الأمور الشريفة، فعزل من منصبه بعد هذه الأحداث، وبقي يعمل في سرية مع إخوانه الذين لم يعتقلوا أو الذين وقع سراحهم بالتتابع، وفي سنة 1946 عندما قررت أنا والمرحوم المهدي بن بركة تكوين فصل دراسي ثانوي لمن ينهون دراستهم الأساسية التي كانت تسمى بالابتدائية، فأسسنا فصلا بالزاوية الغارية بالرباط التي كان يديرها المرحوم سيدي أحمد الشرقاوي، كانت نواته الأولى من بعض تلامذة المدرسة الغازية وبعض تلامذة مدرسة النهضة بسلا، وكان الذي يعطي الدروس في الرياضيات هو المهدي بن بركة نفسه وكان الذي يعطي الدروس في التاريخ والجغرافية هو الطاهر زنيبر، وكان هذا الفصل الذي أنشىء بالزاوية الغازية هو النواة الأولى لمدارس محمد الخامس المفتوحة سنة 1947 وبعد الاستقلال وتكوين وزارة للأوقاف التي تولاها العلامة السيد محمد المختار السوسي عيّن السيد الطاهر زنيبر مديراً لديوانه، وبقي يشغل هذا المنصب إلى أن وافته المنية

بتاريخ رحمه الله فدفن بمقبرة باب معلقة بسلا، لقد ألقيت كلمة تابينية للترحم عليه، والشهادة له على ما قدّم من عمل لصالح وطنه.

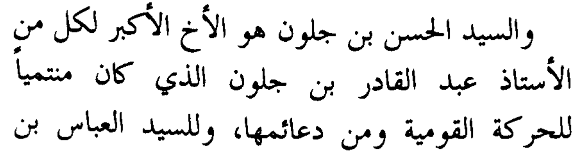
كان له بعض النشاط الأدبي والفنّي فكتب بعض المقالات والأبحاث الأدبية وألقى بعض الأحاديث والمحاضرات في النادي الأدبي الاسلامي السلوي وكان يعزف على العود.

كان لين العريكة، دمث الأخلاق، مؤنساً في الحديث، ضحوكاً مبتسماً، لايملّه عشير. ولا يستثقله رفيق، وترك ذرية صالحة اتسمت كلها بالأخلاق الفاضلة، والغيرة الوطنية : سعد وأمين وتوفيق وعمر وليلى، وكل واحد من أبنائه يؤدي وظيفة في مجال من المجالات. رحمه الله.

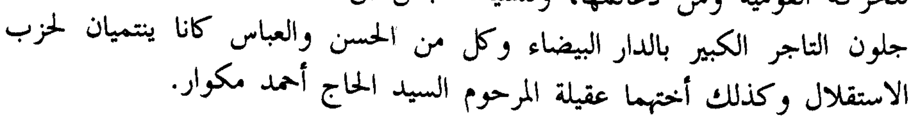
43) الحسن بن جلون



لم أتعرف على السيد الحسن بن جلون إلا في الأربعينيات بعد التوقيع على وثيقة الاستقلال، وهو ينتمي إلى أسرة ابن جلون الملقبة (بالجّبينة) بن جلون، وهي ليست أسرة ابن جلون التويمي التي ينتمي إليها الأستاذ عبد الكريم بن جلون



والسيد الحسن بن جلون هو الأخ الأكبر لكل من الأستاذ عبد القادر بن جلون الذي كان منتمياً للحركة القومية ومن دعائمها، وللسيد العباس بن



جلون التاجر الكبير بالدار البيضاء وكل من الحسن والعباس كانا ينتميان لحزب الاستقلال وكذلك أختهما عقيلة المرحوم السيد الحاج أحمد مكوار.

ازداد الحسن بن جلون يوم تاسع يناير 1901 وتابع دراسته الابتدائية والثانوية بفاس ولعله كان من الأوائل الذين تابعوا دراستهم بالمدارس العربية الفرنسية، هو وأخواه عبد القادر والعباس، حيث أن عبد القادر التحق بعد ذلك بباريس فدرس الحقوق وتعاطى لمهنة المحاماة، قبل الاستقلال وبعد الاستقلال، وتولى وزارة كل من المالية والعدل في فترة الاستقلال، أما العباس فلقد اختار مهنة التجارة فكان من التجار المرموقين المعروفين بنشاطاتهم التجارية في مختلف الميادين.

كان الحسن بن جلون من قدماء المدرسة الإدريسية، ومن مؤسسي جمعية قدماء تلامذة المدرسة الإدريسية التي نشطت في المجالات الأدبية والتمثيلية، كما كان هو وأخوه العباس ضمن البعثة التي توجهت إلى فرنسا في العشرينيات والتي كان من جملة الذين رافقوهم المرحوم محمد اليزيدي، فاتصاله بالتطورات الفكرية والصناعية والتجارية كان مبكراً ولذلك فإنه هو بدوره اختار مهنة التجارة، فواكب تطورها بالمغرب وبفاس بالذات. وانتقل إلى الدار البيضاء، ليساهم في عدة شركات تجارية وصناعية. كما أنه ساهم مساهمة طيبة في الحركات التعليمية، وكان من المؤسسين لمدرسة مولاي الحسن الحرة بالدار البيضاء التي كان يشرف عليها ويديرها السيد محمد بن العربي العلمي.

وعندما حررت وثيقة المطالبة بالاستقلال، ونظراً لما كان معروفاً به من الاستقامة والوطنية والاخلاص فقد دُعي إلى التوقيع عليها، فلم يتردّد، خصوصاً وانه كان من أعضاء (الطائفة) الموثوق بوطنيتهم وكتمانهم للأسرار.

لقد عرفت في السيد الحسن بن جلون صدق الوطنية، والاستقامة الخلقية، وطيبوبة النفس، والسّمت الحَسن، والأناة في الحديث، ولقد كان الفرنسيون يدركون صدق وطنيته ولذلك اغتنموا فرصة نفي محمد الخامس سنة 1953 فعملوا على إبعاده عن المغرب، فانتقل هو وأفراد أسرته إلى سويسرا، ولم يعد للمغرب إلا بعد تحريره واستقلاله، والآن وقد تجاوز سنه التسعين، لازالت روحه الطيبة كما كانت، ووطنيته ثابتة حفظه الله.

44) السيد محمد الأغزاوي



عرفت السيد محمد الغزاوي رجلا عصامياً اعتمد على نفسه في تكوين حركة اقتصادية تجارية نامية، تجلّت في شركة النقل الهامة التي كانت تعرف بشركة الاغزاوي وبغيرها من النشاطات التجارية التي اكتسب منها ثروة هامة كان لها أثرها في الاقتصاد المغربي، كان معروفاً بوطنيته وإخلاصه وبعلاقته بالقصر الملكي بفاس، حيث كان مكلفاً بالقيام ببعض المهمات التي تهم القصر ومن جملتها شراء مايحتاجه المقيمون بالقصر الملكي بفاس من نفقات.

ومن المعروف أن محمداً الخامس رحمه الله قضى فترة طويلة من أيام صباه وشبابه

بقصر فاس، وكان الغزاوي بسبب ماذكرنا يدخل القصر، فكان له اتصال ولربما علاقة صداقة مع محمد الخامس في ذلك العهد، وبقيت بعد اعتلاء محمد الخامس على عرش أسلافه المقدسين.

كانت فاس في الثلاثينيات ثم الأربعينيات تغلي بالنشاطات الثقافية والوطنية، فمنها انتشرت الدعوة إلى السلفية بريادة الفقيه ابن العربي العلوي، ومن القرويين انتشرت الثقافة الاسلامية والدعوة الوطنية الاسلامية، ومنها تخرجت أجيال من العلماء المستنيرين، ومن مميزاتها أن كل الذين يتعاطون للدراسة، سواء الذين يدرسون في الكتاتيب أو الذين يدرسون في المدارس العصرية لابد أن ينجذبوا للقرويين ليتعاطوا بعض الدروس فيها، ويستفيدوا من توجيهات شيوخها وأساتذتها، ولاشك أن السيد محمد الاغزاوي استفاد من بعض شيوح القرويين وفي طليعتهم الفقيه السلفي السيد محمد بن العربي العلوي رغم أن دراسته كانت بكوليج مولاي إدريس حيث ربط علاقات وثيقة مع قدماء تلامذتها أمثال السيد محمد الزغاري والدكتور الفاطمي الفاسي وغيرهما.

كان للسيد محمد الاغزاوي ارتباط وثيق بالسيد محمد الزغاري، كما أن مشاعره الوطنية كانت تربطه برجال الحركة الوطنية وعلى رأسهم الزعيم علال الفاسي ولذلك فإنه عندما قرر الحزب الوطني المطالبة بالاستقلال وحُضِّرت الوثيقة التاريخية التي قدمت لجلالة الملك والدوائر المختصة للمطالبة بالاستقلال دعا الحزب السيد محمد الأغزاوي ليكون ضمن الموقعين على الوثيقة، فكان من الذين وفقهم الله للتوقيع، ولقد اندهش الفرنسيون لتوقيعه فكان من جملة الذين ألقى عليهم القبض، وسيقوا إلى سجن برج النور بفاس ثم نقل بعد مدة إلى سجن العذير القريب من الجديدة، ويذكر السيد محمد الاغزاوي في حديث معه أنه لدى وجوده بسجن العذير، وكان له وللمسجونين معه بعض الامتياز لاحظ أن بعض إخوانه المسجونين في نفس السجن وهم : عبد الرحيم بوعبيد وأبو بكر القادري، وقاسم الزهيري أُرغموا (وهذا تعبيره) على ارتداء بذلة السجناء، فنظم هو ورفقاؤه إضراباً كبيراً مستمراً احتجاجاً على هذا الإجراء إلى أن أذعنت إدارة السجن إلى العدول عنه والسماح لاخوانه بتغيير تلك الملابس والاكتفاء باللباس العادي المدني).

وبعد سراحه من السجن، قررت الادارة الاستعمارية فرض الإقامة الاجبارية عليه مدة بمدينة الجديدة.

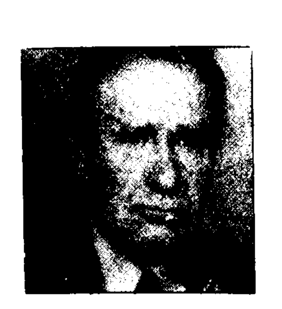
كان السيد محمد الأغزاوي كثير الاهتمام بالحركات الرياضية، ومن أجل ذلك عمل

على إنشاء جمعية رياضية بفاس كانت تسمى جمعية النجاح، وكان لهذه الجمعية نشاط مهم في مجال الرياضة لم يرض عنه الاستعماريون الذين كانوا يتخوفون حتى من النشاط الرياضي.

وفي سنة 1950 عندما اشتدت الأزمة بين حزب الاستقلال من جهة وبين الاقامة العامة الفرنسية من جهة أخرى، وكان للحزب قرار التدخل في مجلس شورى الحكومة الذي كنا نسميه بمجلس المقيم العام حيث كان هو الذي يترأسه، وكان المقصود من المشاركة في هذا المجلس من طرف التجار والفلاحين الاستقلاليين مجابهة السلطات الاستعمارية في قعر دارها، وفضح تصرفاتها ومظالمها، وكان الاغزاوي من جملة هؤلاء التجار الذين خاضوا المعركة ضد السلطات الاستعمارية، فألقى تقريراً فضح فيه بعض الجوانب التي توضح تلاعب الادارة، ولم يطق المقيم العام الجنرال جوان سماع هذا التقرير فمنعه من إتمام إلقائه، وأمر بطرده من المجلس، فقرر كل الوطنيين الحاضرين من بقية الأعضاء التضامن مع الاغزاوي، فانسحبوا هم بدورهم من المجلس وقصدوا جميعهم القصر الملكي حيث استقبلهم جلالة محمد الخامس بما عهد فيه من وطنية وإيمان وإخلاص.

وإثر هذه الحادثة قرر السيد محمد الاغزاوي السفر إلى الخارج فسافر إلى فرنسا ثم أمريكا حيث كان يساند المساندة القوية مايقوم به ممثلوا حزب الاستقلال في أروبا عموما وأميركا بالخصوص، خصوصاً لدى طرح قضية المغرب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبعد حصول المغرب على استقلاله تولى محمد الاغزاوي مسؤولية المدير العام للأمن الوطني ثم عين مديراً عاماً للمكتب الشريف للفوسفاط ثم وزيراً للتجارة ثم سفيراً للمغرب في لندرة ثم سفيراً بباريس، ثم تعاطى لشؤونه التجارية والاقتصادية التي لازال يواصلها رغم كبر سنّه، وفقه الله.

45) السيد عبد الرحيم بوعبيد



عرفت عبد الرحيم بوعبيد تلميذاً وطالباً ومحامياً ووزيراً وزعيماً وطنياً، وكلما زدت به معرفة، زدت له تقديراً كان مثال الوطنية الصادقة، والمهارة السياسية الباهرة. كان واسع الأفق السياسي، مدركاً أعماق الساسة الموجهين للسياسة الدولية، ماهراً في التعامل معهم، محاوراً لبقاً وشديداً في الوقت نفسه، مفكراً بعيد النظر فيما يريد الوصول إليه. عرفته في السراء وفي الضراء، داخل السجن وخارجه، وسواء أكان في الشدة أو الرخاء، فهو قوي في وطنيته، شجاع في أقواله، مبادر في طرح الأفكار، يعرف كيف يقتنص خاطبيه ومفاوضيه فيخاطبهم ويفاوضهم بمنطقهم، ويفرض عليهم أن يعجبُوا بمنطقه وصدق حواره. استفاد كثيراً من مقامه في باريز أيام الدراسة وبعدها، فخالط الأقوام، وتعرف إلى المذهبيات، واستفاد من المفكرين، ومال إلى الاشتراكية النظيفة، دون أن يتخلى عن مقوماته الوطنية التي نشأ في أحضانها، يناور في السياسة، ولكنه يبقى دائماً وطنياً صادقاً، في طبعه شدة، تتجاوز أحياناً الحدّ المقبول، وفي معاشرته صدق وأخوة، ولكن حذار أن تثيره أو تناقشه بحدة، قد يظهر لك أنه متعصب في وطنيته، ولكنه في الواقع بريء من التعصب ومن العجرفة، له اعتداد بآرائه إلى حد التطرف غير المقبول، ولكن الذي يشفع له في هذا الاعتداد أنه لا يأخذ الرأي إلاّ بعد التفكير الطويل، وبعد أن يعتقد أنه الرأي الصائب الذي لا يمكن أن يحيد عنه. استفاد كثيراً من تجاربه السياسية، وقوّم بعض أفكاره وآرائه التي قد لاتكون مقبولة من الجميع، لا أقول إنه لم يخطىء في بعض تصوراته وتنبؤاته، ولكنى أومن أنه كان يراجع نفسه بنفسه، ويصحح بعض الأخطاء التي كانت تحوم حول فكره، ويفرض على نفسه أن يسير في نهج جديد.

ازداد عبد الرحيم بوعبيد بمدينة سلا بتاريخ 23 مارس 1920 وتوفي يوم ثامن يناير 1992، وانخرط في سلك التعليم الابتدائي بمدرسة أبناء الأعيان بسلا ثم تلقى تعليمه الثانوي بكوليج مولاي يوسف، وأثناء الصيف كان يتعاطى دروسه في العربية بالمكتب الاسلامي بالزاوية القادرية التي سمي فيما بعد بمدرسة النهضة، وبعد إنهائه الدروس الثانوية انخرط في سلك مدرسة المعلمين بالرباط، ثم عيّن معلماً بمدرسة اللمطيين بفاس، ثم انتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان بسلا، وفيها انتهى اشتغاله بالتعليم حيث جاءت أحداث

المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 ليترأس مظاهرة 29 يناير بسلا ويلقى عليه القبض ويودع بالسجن ليمكث فيه نحو العشرين شهراً، وبعد سراحه أواخر سنة 1945، سافر إلى فرنسا ليتعاطى دراسة الحقوق وينال شهادة الليسانس في العلوم القانونية.

أواخر الثلاثينيات، وأثناء تعاطيه للتعليم الابتدائي كمعلم بفاس وسلا، انخرط في بعض خلايا الحزب الوطني، وكان وثيق الاتصال بي، سواء عن طريق المراسلة، أو عندما يرجع إلى سلا بمناسبة العطلة الصيفية، وفي فاس كان مكلفاً بتنظيم وتوجيه الطلبة السلويين الذين كانوا يدرسون بالقرويين، وكان في الوقت نفسه يحضر في اجتماعات الخلايا التي كان ينظمها فرع الحزب بفاس. وفي هذه الأثناء بدأت تبرز شخصيته الوطنية كشاب لامع ذي فكر ثاقب، ووطنية متدفقة، وشجاعة في إبداء الرأي، وشخصية تفرض وجودها. وفي سنة 1942 رجع من فاس إلى سلا ليلتحق بمدرسة أبناء الأعيان كمعلم للغة الفرنسية وليلتحق بجماعة «فتح» التابعة للحزب الوطني، والتي كانت تضم نخبة مثقفة من وطنيي سلا، وفي هذه الجماعة الأولى التي أقسم فيها اليمين على الإخلاص لله وللوطن والملك، زادت شخصيته اللامعة بروزاً سواء في دائرة المعلمين الذين كانوا معه في المدرسة، أو أثناء الاجتماعات التي كنا نعقدها معه، أو حتى لدى الشباب الذي كان منخرطاً في سلك النادي الأدبي الإسلامي الذي انتخبناه خليفة لرئيسه.

وجاءت سنة 1943 بظروفها الحربية المعروفة، فصار الحزب الوطني يفكر التفكير الجدي في المطالبة بتغيير الأوضاع في المغرب، أي بالمطالبة بالاستقلال، ولما كان مطلب الاستقلال أمراً ذا أهمية كبرى، وقد تترتب عنه عواقب لايتحملها إلا الصادقون، كان قرارنا في الحزب الوطني أن أول من يجب أن يتحمل مسؤولية المطالبة بالاستقلال هم رجال الطائفة، وهي الجناح السري في الحزب الوطني، وكان من الضروري أن لاتبقى محدودة الأفراد، وأنه لابد من توسيعها حتى تضم إليها بعض الشبان الحزبيين الذين ثبتت وطنيتهم، ووقعت تجربتهم، وتحقق كتمانهم للأسرار، وكان من هؤلاء الشبان عبد الرحيم بوعبيد الذي انخرط في الطائفة، وأدى اليمين للمرة الثانية، فصار عضوا من أعضائها الأشداء من الشباب الموثوق بوطنيته، ومن خلال الطائفة، كان توقيعه لوثيقة المطالبة بالاستقلال.

وعندما ألقى القبض على الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج، قام عبد الرحيم

بدور فعال بالدعوة إلى الإضراب في سلا، فطاف الشوارع والأزقة منادياً بالاحتجاج ضد إلقاء القبض على بلافريج، ومطالباً بالتضامن معه ومع اليزيدي الذي كان ألقي عليه القبض بدوره.

لقد كان أعضاء الحزب جميعهم مهيئين للقيام بالواجب الوطني من إضراب أو غيره، وكان شباب الحزب متحمساً أعظم حماس، مستعداً لكل تضحية في سبيل إعزاز البلاد واسترجاع كرامتها في الحرية والاستقلال، وأبى عبد الرحيم إلا أن يكون أول مترئس للمظاهرة التي قررنا تنظيمها يوم 29 يناير، حيث زارني في منزلي الذي كان هو الملتقى، ومنه تنطلق كل التعليمات، فأذنت له في ترأس المظاهرة الأولى، وهكذا ترأس المظاهرة الأولى التي سقط فيها الشهداء المتعددون واغتيل فيها الشرطي دافيد، الذي كان أول من استعمل سلاحه الناري ضد المتظاهرين الوطنيين. وبعد انتهاء المظاهرة كان عبد الرحيم ضمن المعتقلين الذين تجاوز عددهم الخمسين وبعدما قضى فترة السجن بسجون الرباط والدار البيضاء والعدير، أطلق سراحه، فقرر السفر إلى فرنسا لإتمام دراسته في القانون، فقضى في فرنسا نحواً من أربع سنوات لم يهتم فيها بالدراسة فحسب، ولكنه كان مكلفاً بالإشراف على الطلبة الاستقلاليين، وتوجيههم وتنظيمهم، كما كان مهتماً بالطبقة العاملة في فرنسا يوجهها وينظمها، ويهتم بقضاياها ومشاكلها، وفي الوقت نفسه ربط علاقات قوية مع كثير من الشخصيات الفرنسية، والأحزاب اليسارية، وبالأخص الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان اتصاله ببعض أفراده من الشباب، اتصالاً قوياً استطاع بسببه أن يقوي من شخصيته، ويفرض وجوده، ويثير الإعجاب والتقدير من حكمائهم. كما شهد بذلك الكثيرون منهم.

وفي سنة 1949 رجع من الديار الفرنسية مكتسباً خبرة كبيرة في مجال السياسة، وربط العلاقات، فالتحق تواً باللجنة التنفيذية للحزب كعضو مساعد، واهتم أول ما اهتم به بالطبقة العاملة، وأصدر نشرات في موضوع حرية النقابة، وضرورة تنظيمها، واتصل بالنقابيين الذين كانوا ملتحقين بالنقابة الفرنسية، وصار يبحث عن الآخرين في بعض المدن كآسفي وفاس ومكناس، زيادة على الرباط والدار البيضاء. وعندما قرر الحزب إصدار جريدة (الاستقلال) بالفرنسية، كان هو مديرها ورئيس تحريرها، وكانت الافتتاحيات التي يحررها تثير الاعجاب والتقدير والثناء من كل الذين يقرأونها، وأثناء فترة وجود بعض أعضاء الحزب في مجلس شورى الحكومة (مجلس المقيم) كان عبد الرحيم من اللجنة الأساسية التي تحرر العروض التي كان يلقيها الأعضاء المذكورون

أمام المقيم العام، ورفاقه الاستعماريين، وكانت تثير فيهم كوامن الحقد والبغضاء، بسبب فضحها للسياسة الخرقاء التي يطبقها الفرنسيون في المغرب.

وعندما اشتدت الأزمة بين الحزب والملك من جهة، وبين جوان وكيوم من جهة أخرى ابتداء من أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، كان عبد الرحيم يشرف على جريدة (الاستقلال) وكان مكتبه بجانب مكتبي في إدارة الحزب بشارع تمارة زنقة ديبلوابي، وذات مساء، ولعله يوم خامس أو سادس دجنبر 1952 جاءت الأخبار من تونس باغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد، فهاج عبد الرحيم وثار، وعقدنا نحن جماعة مصغرة من أعضاء اللجنة التنفيذية اجتماعاً مستعجلا، تدارسنا فيه الموضوع وقررنا الاضراب الذي وقع يوم 8 دجنبر 1952، وحررت أنا بخط يدي الرسالة التي وجهت للفروع، للقيام بحركة الإضراب ودفعتها لمولاي مصطفى العلوي الذي كان يشتغل عندنا في الحزب كضارب على الآلة الكاتبة، وبعد إخراج عدة نسخ منها، كلفتُ بعض الإخوة في ذلك المساء نفسه بالسفر إلى الجهات التي عينتها لهم، بحمل الرسالة إلى المسؤولين في بعض الجهات، ومن الذين حملوا تلك الرسائل الأخ محمد البقالي، ومولاي مصطفى العلوي المذكور ولازالا على قيد الحياة حفظهما الله، وصبيحة الغد، عقد اجتماع ثان للجنة التنفيذية بأكثريتها، بمنزل المرحوم اليزيدي لم أشارك فيه أنا لأني بقيت في مركز الحزب أتلقى وأجيب عن الاستفسارات التي كانت ترد علينا من طرف الفروع. وفي هذا الاجتماع الثاني الذي عقدته اللجنة التنفيذية تكلف الأستاذ عبد الله إبراهيم بالسفر إلى الدار البيضاء للإشراف على تنظيم الإضراب من طرف الحركة النقابية.

وبعد الأحداث التي وقعت يوم ثامن ديسمبر 1952 ألقى القبض على عبد الرحيم ضمن بقية أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب، ونفي أولا إلى (تنالت اداي بسوس) ثم نقل إلى سجن الدار البيضاء، حيث أحيل على المحكمة العسكرية بتهمة المس بسلامة الدولة وداخل السجن، زادت شخصيته بروزاً، ونبوغه السياسي تفوقاً، ومسؤوليته السياسية تضاعفاً، فكان يتابع الأحداث بكل عناية خصوصاً بعد بروز حركة المقاومة ويبدي آراءه في ضرورة تنشيطها وتقويتها وكان عمدة من أعمدة حزب الاستقلال في التدبير والتسيير، يشارك في المؤتمرات، ويدافع عن وجهات نظر الحزب في كل القضايا، ويحاور الفرنسيين، ويوجه الطلبة الاستقلاليين، ويُحكم اتصالاته بالطبقة العاملة سواء داخل المغرب وخارجه.

وأثناء وجودنا بسجن القنيطرة بعد أحداث 1952 كانت لي معه عدة حوارات ومساجلات في مواضيع مختلفة أترك الحديث عنها لفرصة أخرى، وبعد خروجه من السجن أواخر سنة 1954. انغمر كل الانغمار في التسيير السياسي للحزب، فكانت له اتصالات متعددة مع الفرنسيين في الداخل والخارج، وفي سنة 1955 عندما بدأت تباشير الاستقلال تظهر، وصرنا نفكر التفكير الجدي في مرحلة الاستقلال الفعلي، ووضع الأسس الصالحة المتينة لبناء مغرب الغد المستقل تقرر أن يعقد الحزب مؤتمرا استثنائياً دام ثلاثة أيام : ثاني وثالث ورابع دجنبر 1955، وشارك فيه نحو من ألف شخص يمثلون أزيد من مائتين وخمسين فرعاً من مختلف أنحاء المغرب، ألقى فيه عبد الرحيم خطاباً ضافياً تحدث فيه عن حزب الاستقلال وأهدافه ومراميه وتضحياته وتضاعف مسؤولياته، وقال فيه : (إن من حقنا أن نؤكد مرفوعي الرؤوس أننا كنا المؤسسين لهذه الحركة، والعاملين على تنويع أشكال الكفاح من أجل تحرير البلاد. لقد قاد حركتنا منذ البداية الزعيم علال الفاسي وبلافريج واليزيدي وعمر بن عبد الجليل، نعم هم الذين تزعموا الحركة عام 1944، وهم الذين يقدمون لنا اليوم الثمار الأولى للكفاح المشترك، الذي واصلوه بدون هوادة ولاوهن، منذ ثلاثين سنة). وعندما تحدث عن التضحية التي قدمها الحزب خلال فترات كفاحه قال : (ففي المدة المتراوحة بين 1950 و1955 بلغ عددنا ثلاثون ألف سجين من أعضاء الحزب، صدرت ضدهم عقوبات من مختلف المحاكم، أو كانوا موضع تدابير إدارية دون صدور أي حكم ضدهم) ثم تحدث عن برنامج الحزب الانتقالي في تلك الفترة في مختلف الميادين : الادارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتحقيق الاستقلال العملي، وقال : (نحن نطالب باستقلال بلادنا مع جميع اختصاصات سيادتنا، سواء فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية، وهذا مبنى قارّ وثابت لبرنامجنا السياسي، ثم ختم خطابه قائلا : (إن مهمتنا صعبة، ومتشعبة، وان الطريق الذي يوصل إلى قمة الاستقلال الوطني لَوَعْر، ولكن لاننسى أبداً أن الاستقلال هو هدفنا الأقصى، فالثورة القائمة الآن، هي ثورة الشعب، ثورة ذلك السواد الأعظم من العمال والعاملات ومن الصناع وصغار التجار، فالتحرير يجب أن يكون مقدمة للتحرر الاقتصادي والاجتماعي للجماهير الكادحة، وهذا هو جوهر رسالتنا).

لقد برز عبد الرحيم في الفترة الأولى للتفكير في بناء الاستقلال، كمخطط لبناء الاستقلال وبالأخص في المجال الاقتصادي والسياسي، حيث سيكون عضواً في اللجنة التي كلفها الحزب بالاتصال مع الرأي العام الفرنسي من جهة، ومع المفاوضين

الفرنسيين لمرحلة الاستقلال من جهة أخرى، وكان هو ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل والمهدي بن بركة، الذين قاموا بالدور الأساسي في مباحثات ايكس ليبان في غشت 1955 التي كانت تلقى معارضة من الزعيم علال الفاسي.

وخلال الشروع في المفاوضات بين فرنسا وإسبانيا لتحقيق الاستقلال كان عبد الرحيم من المفاوضين الأساسيين، وقبل ذلك كان من الوفد الذي سافر إلى انتسيرابي للاتصال بجلالة محمد الخامس في منفاه، للتحادث معه في موضوع رجوعه من المنفى والشروط التي يرى الحزب ضرورة توفرها ومنها شرط رجوع محمد الخامس للشروع في مفاوضات الاستقلال. ولقد تلقيت منه في تلك الفترة بطاقة كتبها لي من انتسيرابي يعبر فيها عن فرحته بلقاء محمد الخامس، ونجاح الوفد الاستقلالي في توحيد الرؤية معه.

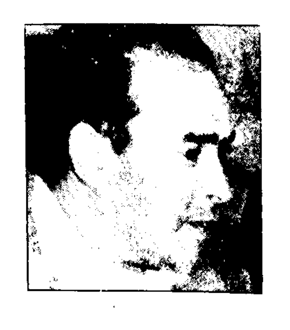
ولدى تأسيس ثاني حكومة في عهد الاستقلال، أسندت لعبد الرحيم مسؤولية وزارة الاقتصاد والمالية بعد أن كان سفيراً أولا للمغرب في باريز، وفي هذه الفترة وضَحَت التوجهات التي كان عبد الرحيم يخطط لها لتحرير الاقتصاد المغربي من تبعية فرنسا، وكانت العروض التي يقدمها في المجلس الوطني الاستشاري من أهم العروض الاقتصادية التي تلقى التأييد من كل الأطراف، وفي فترة من فترات الحكومة التي كونها الحزب برئاسة بلافريج استقال من الحكومة بسبب اختلاف وجهة نظر بينه وبين بلافريج في شأن وزارة الداخلية ومن يتولاّها في موضوع يطول شرحه.

ولدى بروز اختلافات في وجهات النظر داخل قيادة الحزب، وإعلان حركة انفصالية منه تولى أمرها المرحوم المهدي بن بركة وبعض رجال المقاومة وبعض النقابيين ورئيس الحكومة إذ ذاك الأستاذ عبد الله إبراهيم، بقى عبد الرحيم متوقفاً عن تأييده للحركة الانفصالية، وفي الوقت نفسه غير عامل داخل قيادته، وكان مومناً كل الإيمان بأن الانشقاق ضار، وليس في صالح المغرب، وأن وحدة الحزب يجب أن يحافظ عليها، ولكن الأقدار شاءت أن يسير هو نفسه في خطة الانفصال، نظراً لأنه كان كما قال لي في بعض مذاكراته معي : لابد أن يكون في الجانب الذي فيه العمال أي العمال المنضوون إذ ذاك للاتحاد المغربي للشغل.

وفي فترة حكومة عبد الله إبراهيم بقي عبد الرحيم وزيراً للاقتصاد ونائبا للوزير الأول، وبعد إقالتها دخل عبد الرحيم في مرحلة المعارضة، متعاطياً مهنة المحاماة، عضواً أساسياً في الحركة الانفصالية التي سمت نفسها بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وبعد خلافات داخل هذا الاتحاد، أسس عبد الرحيم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وأعلن انفصاله عن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وفي كل الأطوار التي مر فيها عبد الرحيم رحمه الله بقي مناضلاً شهماً، وطنياً صميماً، صديقاً حميماً، مخلصاً لبلاده وملكه إلى أن توفاه الله يوم ثامن يناير 1992 وشيَّع جنازته جمهور غفير جداً من الوطنيين الذين تواردوا من أنحاء المغرب ومن مختلف الاتجاهات السياسية، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط رحمه الله[10].

46) السيد المهدي بن بركة



لا أدعي أنني سأكتب تعريفاً كاملا وافياً بشخصية المهدي بن بركة الذي عرفته عن قرب، أوائل الأربعينيات، ودام اتصالي به، وتعاوني معه في المجال الوطني نحواً من عشرين سنة.

شخصية ذات مميزات متعددة، كله حركة، وكله نشاط، فكر منتج، وطموح لاحد له، ونشاط متعدد الجوانب، ومقدرة على العمل لم يصل إليها إلا أقل القليلين، وذهن ثاقب يدفعه إلى القيام بأعمال متعددة، ووطنية صادقة تفرض عليه أن يكون حاضراً في مختلف الأعمال والنشاطات، خفيف الحركة، فهو موجود يناقش في جلسة من جلسات القيادة السياسية، وهو في الوقت نفسه متأهب ليقفز إلى جلسة أخرى مع الطلبة أو مع جمعية من جمعيات الشباب تركها تنتظره في ركن من أركان بيته ليعطيها التوجيهات والتعليمات التي تنتظرها منه، ثم يمتطي دراجته الصغيرة ليعود إلى تتميم جلساته مع القيادة، وهو حامل قلمه ليسجل القرارات التي تتخذ، ليسهر بنفسه على تطبيقها، وهو كذلك يضع بخط يده مشروع بيان أو تقرير يتعلق بالموضوع الذي وقع تدارسه، ليرفع إلى المسؤولين أو إلى منتظم دولي أو إلى الرأي العام المغربي.

هو متحرك لايقر له قرار، إلا إذا كان يخطب في اجتماع، أو يحاضر في ندوة، أو يجري استجواباً مع صحفي، أو يوجه جماعة من الجماعات، أو يحمل سماعة الهاتف ليخاطب ويعطي التعليمات لفرع من فروع الحزب، أو يتصل بجريدة من الجرائد ليزودها ببعض المعلومات، يشتغل بالليل وبالنهار، بيته مفتوح للجميع، وقد يعقد في وقت واحد، اجتماعاً مع جماعة في غرفة، واجتماعا ثانيا في غرفة أخرى، ولربما يترك

(10) راجع ما كتبته عن عبد الرحيم بوعبيد في الجزء السادس من «رجال عرفتهم».

الجماعتيْن في بيته، ينفذان ماكلفهما به، ثم يخرج إلى الالتقاء بجماعة أخرى في بيت من بيوت إخوانه.

له طاقة على العمل قل نظيرها، وله تتبع للأحداث الداخلية والخارجية في كل الأوقات والظروف، يستفيد من الصحافة والإذاعة، ويكلف الأشخاص بالتقاط الأخبار، ويحملون له القصاصات التي تهم بلاده ليطلع عليها، لايفلت اجتماعاً من الاجتماعات السياسية المهمة، فهو حاضر في اللجنة التنفيذية للحزب، وهو حاضر في اللجنة الإدارية وفي مجلس المفتشين، وفي المجلس الأعلى للحزب، وفي مجلس الفروع وفي لجنة البادية، وحضوره ليس حضوراً رمزياً، ولكنه حضور عملي. كنت أترأس مجلس اجتماع المفتشين لمدارسة القضايا المختلفة التي تهم سير الحزب من مختلف فروعه ومختلف نشاطاته، ونستمع إلى تقاريرهم وملاحظاتهم، وكان المهدي يأخذ الكلمة بدوره ليعقب على الأحداث الدولية والداخلية، ويعطي التوجيهات الضرورية التي تعنّ له، ويناقش ويتابع، وهو حريص كل الحرص على أن يعرف مايجري في ذلك الفرع أو ذاك، ومايقوم به خصوم الحزب من نشاطات أو دعايات في ذلك الفرع أو ذاك، هو قويّ في حواره وفي توجيهاته، صارم كل الصرامة مع من يعاديه أو يخاصمه أو يقف أمامه، أو يعرقل مشروعاً من مشروعاته، يقدر مسؤولياته حق التقدير.

كان للحزب نشرة أسبوعية تقرأ في كل الخلايا الحزبية، وكان المهدي يسهر كل السهر على إخراجها بطريق المكررة (رونيو) في أوقاتها المحددة، وكانت له جماعة من الشبان الاستقلاليين يشرفون على تشغيلها سواء في الكتابة أو الإخراج أو التوزيع، فلايقع تخلف في إصدارها في الأوقات المقررة لها، كانت مهنته الأولى هي الأستاذية في الرياضيات، ولكن هذه الدروس لم تأخذ له من الوقت إلا القليل، فعندما تعاطى للسياسة، تعاطاها بكليته، خصوصاً أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، واشتغاله بالسياسة معناه النشاط الدائم والدائب في مختلف الواجهات، سواء عن طريق التدبير والتخطيط والدراسة في جلسات القيادة، أو عن طريق الكتابة والتحرير في الصحافة، أو عن طريق الاتصال بالصحفيين الأجانب وإعطائهم التصريحات والتوضيحات لبعض المواقف التي يتخذها الحزب، أو عن طريق المحاضرات والنشاطات التي يشارك فيها في الداخل والخارج.

عرف بلاده، ودرس أحوال مجتمعه، وأدواء هذا المجتمع، فطفق يبحث ويفكر، يبحث عن الأدواء، ويفكر في وسائل العلاج، والمهدي في تفكيره رجل عملي، فهو لايرضى بالأفكار المجردة، ولكنه يريد تطبيقها ويعمل على تعميمها ونشرها، أدرك كل

الإدراك، ووعى كل الوعي أن الأمراض التي يعاني منها المجتمع المغربي، ناتجة عن أمرين اثنين، أولهما ناتج عن التخلف في مختلف الميادين فهو يقول : (ان الجمهور عندنا لايزال متأخراً من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ولايزال المستوى العام منحطاً عندنا، لأن التقدم الذي غمر العالم وشمل دول البحر الأبيض المتوسط على الخصوص، لا يزال لم يشملنا بعده، ولم يتوغل بين أظهرنا، فنحن إذاً متخلفون عن الركب). أما الأمر الثاني الذي عاق المجتمع المغربي عن التقدم، فهو الاستعمار، (فمن واجبنا أن نعمل لمحو مخلفات الاستعمار، مثل مانجاهد ونعمل ونكافح بقوة وعمق لمحو مخلفات قرنين من السبات والنوم العميق).

كان المهدي رجلا عملياً، ينظر إلى المستقبل نظرة الفاحص المتتبع للأدواء، العامل على ضمد الجراحات، والعلاج للأمراض، لايرضى ولايستسيغ أن يرى كثيراً من المجتمعات في مختلف القارات تتقدم وتسير بخطى واسعة، وتبقى بلاده في مؤخرة القافلة. كان يدعو إلى التطور السريع، وإلى بناء مجتمع جديد، مبني على (أنقاض مجتمع ماقبل الاستعمار، ومجتمع عهد الاستعمار) مجتمع تتحقق فيه (الرفاهية والسعادة والازدهار الفكري لجميع المواطنين، وأن نجعل من بلادنا قطراً يقوم بدوره الانساني في ميدان التقدم الفكري والعلمي، ودولة تلعب دورها في العالم، ومغرباً يشع بالمعرفة والنور)[11].

وكان يرى أنه لتحقيق النجاح في بناء المجتمع الجديد، يشترط ثلاثة شروط يجب توفرها :

1) التوفر على قيادة حكومية وشعبية مخلصة قوية حكيمة، تفرض احترامها على المواطنين بإخلاصها ونزاهتها وكفاءتها.

2) وضع التصميمات لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والعمل على تنفيذ هذه التصميمات بدقة.

3) مشاركة الشعب في وضع وتنفيذ ومراقبة هذه التصميمات، وذلك بواسطة المؤسسات الديموقراطية، من مجالس قروية وبلدية، ومجلس وطني منتخب[12].

هذه الآراء والتصورات والنظرات التي كتبها المهدي بن بركة وألقاها في حديث

---

(11) نحو بناء مجتمع مغربي جديد للمهدي بن بركة ص 15.

(12) نفس المصدر ص : 26.

أمام مسيري فرع حزب الاستقلال بتطوان بتاريخ 31 يوليوز 1958، لم يكن أي واحد من قادة الحزب، يختلف معه فيها، وفي العمل على تطبيقها، وخلق الأجواء الصالحة لهذا التطبيق، ومن هذه الأجواء تطوير وسائل العمل، وتلقيح مايجب تلقيحه في إدارة التسيير، والاستفادة من الطاقات الجديدة التي برزت في الحزب من الشباب الملتزم الصادق في وطنيته وأخلاقه وتضحيته، وذاك ما أشار إليه عندما قال : (ولكن بناء هذا المجتمع يتطلب إيجاد قيادة قوية، وتصميمات اقتصادية، ومؤسسات ديموقراطية). ثم يقول : (وأعتقد بأن الأداة الجديدة، يمكن أن تكون هي نفس أداة الأمس، ولكن مع تغيير وسائل العمل، لأن معركة اليوم، غير معركة الأمس، فلقد خضنا بالأمس معركة من أجل الاستقلال، ويجب أن نخوض اليوم معركة سلمية من أجل بناء مجتمع جديد). ثم يقول : (ان هذه الأداة لن تكون صالحة إلا بعد إحداث تحرير فيها، لأن حزب الاستقلال الذي صنع الأبطال والمكافحين أثناء معركته مع الاستعمار، يجب أن يصنع الأبطال والمكافحين لخوض المعركة من أجل بناء مجتمع جديد، في مغرب جديد)[13].

أفكار وآراء سليمة، يمكن بل يجب أن تطبق، ولكن على أسس من الحكمة والمهارة والضمان والثقة وحسن الاختيار وربط الحاضر بالماضي لضمان المستقبل، وعدم التنكر لأي قيمة من القيم التي جاهد المهدي وجاهد الجميع معه لضمان بقائها، ومن جملة هذه القيم الحفاظ على الوحدة التي تعتبر الشرط الضروري والأساسي لكل نجاح في البناء، والابتعاد عن الأنانية والغرور. ولكن التطورات التي وقعت، والاستعجال غير المدروس الذي كان يطالب به البعض، والتطلعات التي صارت تبرز للعيان، وبعض الكتابات الطائشة التي صارت تظهر في بعض الصحف، كل ذلك جعل ماكان يطمح إليه المهدي في عمقه، ومايريده إخوانه الذين أسلموا له كثيراً من المسؤوليات في تسيير الحزب، كل ذلك جعل القطار لم يبق سائراً في سكته، والتطور لم يسر في طريقه، فلم يمض على ماكتبه المهدي وألقاه في محاضرته بتطوان نحو تسعة أشهر، حتى تغيرت الأوضاع، ووقع الانفصال وتمزقت الوحدة، وانفرط شمل الإخوة، وكان ماكان مما لست أذكره في هذا الأوان، ولله في خلقه شؤون، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

ازداد المهدي بن بركة بالرباط بتاريخ 1920 وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة باب لعلو، والثانوي بكوليج مولاي يوسف، ثم التحق بجامعة الجزائر ليتابع دراسته في

(13) نفس المصدر ص : 31.

الرياضيات التي كان مجلياً فيها، وبعد نجاحه في الليسانس سنة 1942 رجع إلى بلاده، ليتحمل مسؤوليته في تسيير شؤون الشباب التابع للحزب الوطني، فينتخب رئيساً لجمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف بالرباط، وليعيّن أستاذاً في الرياضيات بليسي كورو الفرنسي، وفي الوقت نفسه يلتحق بالمعهد المولوي بالمشور السعيد الذي كان مخصصاً لسمو ولي العهد وشقيقه مولاي عبد الله وبعض التلاميذ الذين ألحقوا بالمعهد كأستاذ في الرياضيات.

صار اسم المهدي بن بركة على كثير من الألسن كشاب وطني نابغة مثقف، يدير شؤون الشباب المنتمي للحزب الوطني ويعطي الدروس المتعددة في مجالي التكوين والإعداد، وفي سنة 1943 ونحن نتهيأ لاتخاذ قرار المطالبة بالاستقلال، انخرط في (الطائفة) وهي الجماعة السرية في دائرة الحزب، فتعرف عليه الكثيرون من إخوانه الذين لم يسبق أن عرفوه، ولاحظوا فيه هم أيضاً من النشاط والحيوية والذكاء ما أثار إعجابهم وتقديرهم وثقتهم، فكان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال المقدمة في 11 يناير 1944، وترأس الوفد الذي قدمها إلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا يرافقه صديقه الحميم المرحوم عبد الرحيم بوعبيد.

وكبقية الموقعين على الوثيقة، وبعد المظاهرة الصاخبة التي جرت بالرباط إثر إلقاء القبض على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلافريج، وصديقه اليزيدي، ألقي عليه القبض بدوره وأودع سجن الرباط الذي مكث فيه سنة واحدة على ما أظن، فأُطلق سراحه سنة 1945، وصار منذ ذلك الوقت يأخذ مسؤوليته في تسيير شؤون الحزب، فصار يحضر اجتماعات اللجنة التنفيذية كعضو ملحق بها، وصارت تبرز نشاطاته المتعددة في التنظيم والتسيير. ولما سمحت الحماية بإصدار صحيفة «العلَم» وغيرها من الصحف، كان المهدي من اللامعين النشيطين في المجال الصحفي، يكتب ويوجّه ويتابع ويعلق وينتقد، وأثناء الاجتماعات التي كان يعقدها المجلس الأعلى للحزب، كان المهدي من أبرز النشيطين الذين يقترحون ويناقشون وينفذون مايتخذه المجلس من قرارات، ولدى مشاركة بعض الأعضاء المنتمين للحزب من التجار والفلاحين والصناعيين في مجلس شورى المقيم، كان المهدي يهيء التقارير ويشارك في تحرير بعضها لتُلقى أمام المقيم العام، وكلها انتقادات ومحاكمات لتصرفات الحماية الفرنسية في المغرب، وبعد تعيين الجنرال جوان وبعده الجنرال كَيوم مقيما عاما بالمغرب اللذين أتيا بسياسة التهديد والقمع ومحاولة القضاء على الحزب وتوقيف نشاطه المتعدد، كان المهدي من أوائل الذين اعتقلوا، فنفي أولاً إلى قصر السوق واميلشيل، وبقي في الاعتقال إلى أن جاءت أحداث ثامن

ديسمبر 1952 التي كرَّ فيها الاستعمار على الحزب، فألقى القبض على مايقرب من ثلاثين ألف سجين، وقدمت القيادة العليا للحزب إلى المحاكم العسكرية، لتحاكم بتهمة المس بأمن الدولة، ونُفي الكثيرون من أعْضاء الحزب، واستقر بهم المقام، بعد تنقلات عدة في معتقل اغبالو نكردوس، والتحق بهم المهدي في المعتقل نفسه، و لم يطلق سراحه إلاَّ في أكتوبر سنة 1954، عندما بدأت الأزمة تنفرج بيننا وبين الاستعمار، لنشرع في مرحلة تحقيق الاستقلال.

وخلال التمهيدات السياسية التي كانت لتحقيق الاستقلال، ومنها اجتماع إكْس ليبان كان المهدي من أعضاء الوفد الذي تفاوض مع الفرنسيين في اجتماعات إكس ليبان للمفاوضة في تحقيق الاستقلال ورجوع محمد الخامس من منفاه.

وبعد تحقيق الاستقلال والدخول في مرحلة تنظيم البلاد على أسس ديموقراطية جديدة، والاتفاق مع محمد الخامس رحمه الله على إحداث مجلس وطني استشاري، كمرحلة في الدخول في حياة برلمانية ديموقراطية صحيحة، انتخب المهدي بن بركة رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري بتاريخ نونبر 1956، فأظهر من براعة التسيير ما أعطى للمجلس مركزاً هاماً في مراقبة أعمال الحكومة.

وفي سنة 1958 عندما قررت اللجنة التنفيذية ثم اللجنة السياسية الدعوة إلى عقد مؤتمر المغرب العربي في طنجة. كان المهدي بن بركة من الوفد الذي مثل الحزب في هذا المؤتمر، وكان هو الناطق باسمه لدى اللقاء برجال الاعلام من صحافيين وغيرهم.

كان المهدي آلة متحركة دائمة الحركة في حزب الاستقلال، وكان إخوانه في اللجنة التنفيذية مسلمين له القياد في تسيير الكثير من نشاطات الحزب، في دائرة القرارات التي تتخذها اللجنة التنفيذية، ورغماً من أن بعض الخلافات في وجهات النظر صارت تبرز للعيان، كنا نأمل أن نتغلب عليها، خصوصاً بعد القرار الذي اتخذناه لعقد مؤتمر للحزب والفصل في جميع القضايا التي كانت مثار بعض الخلافات في وجهات النظر، وبالفعل تكونت لجنة تحضير للمؤتمر، عيّن فيها أربعة أشخاص، اثنان يمثلان طرفاً، وآخران يمثلان الطرف الآخر، وكان الشرط الأساسي لنجاح الخطة الموضوعة، التزام الجميع بالكف عن الانتقادات، والمحافظة على جو المسالمة، ولكن البعض لم يلتزم و لم يسر في تطبيق ماقرر، فكتبت تهجمات في جريدة الطليعة، كانت السبب في فساد الخطة الموضوعة، فوقع المحذور، وأعقب الاتفاق والوحدة المنشودتين، الانفصال والخلاف، وكان المتزعم الأول البارز لحركة الانفصال مع الأسف الشديد، هو المرحوم المهدي

بن بركة الذي أعلن في اجتماع عام عقده، تكوين الجماعات المستقلة لحزب الاستقلال، ثم تكوين الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وذلك في شتنبر عام 1959. وهناك دخل المغرب في مرحلة جديدة من مراحل الحياة السياسية، لم أكن أنا ولا الكثيرون من إخواني راضين عنها. وخاض المهدي بعد ذلك معارك سياسية داخل المغرب وخارجه، فانتخب رئيساً للجنة السياسية لمنظمة التضامن الإفريقي الأسيوي، وانتخب في مايو 1963 عضواً في البرلمان. وأثناء وجوده بفرنسا سنة 1965 وقع اختطافه من طرف قوى غادرة، فغاب عن الأعين منذ ذلك التاريخ. وقيل إنه اغتيل من طرف تلك القوى الاستعمارية. فرحمه الله رحمة واسعة وجازاه على ما قدم وغفر له، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

47) السيد عبد الله بن عمر الرحماني



لم تتح لي الأقدار أن أتعرف شخصيا على السيد عبد الله بن عمر الرحماني، رغم أنه كان أحد الموقعين الثلاثة الذين تخرجوا من ثانوية آزرو الشهيرة التي كان الاستعماريون الفرنسيون أسسوها لتكون منبعاً للمتخرجين، يسيرون في ركابهم الاستعماري، ويتبنون الأفكار التي ابتدعوها للتفريق بين أبناء الشعب المغربي، وخلق النزعة البربرية العنصرية التي خطط لها ظهير 16 ماي سنة 1930 الذي يرمي إلى التحاكم إلى أعراف ما أنزل الله بها من سلطان، وإلى المحاكم الفرنسية المحضة التي تحكم باسم رئيس جمهورية فرنسا، فتخرج الشعب المغربي من دائرة المحاكم المغربية التي ترجع في أحكامها التشريعية إلى الشرع الاسلامي وإلى جلالة ملك المغرب الذي انتصب على كرسي العرش المغربي ببيعة شرعية إسلامية.

هذا المخطط الجهنمي الذي وضعه الفرنسيون للقضاء على وحدة الشعب المغربي العربي المسلم هو الذي أنشئت تلك الثانوية على أساسه، وهو ماااقتضت إرادة الله أن يخيب مسعاهم في نجاحه، فكان من أوائل الذين قاوموه فئة صالحة مومنة متخرجة من تلك الثانوية، وكان من جملة هذه الفئة ثلاثة شبان وطنيين صادقين منهم السيد عبد الله الرحماني والشريف الوطني السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد الزموري والوطني الصادق المرحوم السيد اعمرو أوبناصر.

هؤلاء الثلاثة، كانوا من السباقين على التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 ومن الذين خيبوا آمال ومخططات الفرنسيين في سياسة التفريق.

ازداد السيد عبد الله الرحماني في قبيلة آيت وريبل، وقبيلة آيتْ وريبل مشهورة بتمسكها بالإسلام، ودفاعها عن حياضه خلال التاريخ ومنها الزعيم الخالد الذكر السيد عبد الحميد الأوربي الذي استقبل المولى إدريس الأكبر عندما حلّ بالمغرب سنة 172 هجرية، فبايعه ليكون على رأس أول دولة إسلامية بالمغرب، وسارت معه قبيلة أوربة (بضم الهمزة) جميعها التي دانت بالاسلام، وحمته من كيد الكائدين، وزيغ الزائغين، ولتقوية الروابط بين القبيلة وبينه، زوجته إحدى بناتها (كنزة) فكانت الذرية الشريفة الادريسية المغربية مختلطة الدم بين العنصر المغربي الأمازيغي وبين العنصر العربي الشريف الذي ورد على المغرب ليقضي على كل فرقة عنصرية، ويجعل الإسلام وحده الذي يطبع الأجيال المغربية التي اعتنقت الاسلام محبة فيه وتعلقاً به واستمساكاً بعروته.

ومن ذكرياتي الخاصة عن قبيلة آيت وريبل أنني عندما كنت مسجوناً بسجن العدير، قرب الجديدة سنة 1937 استمعت من الزنزانة التي كنت مسجوناً فيها إلى أصوات تهدر بتلاوة القرآن جماعةً من زنزانة مجاورة لي، ولما بحثت عن هؤلاء القارئين لكتاب الله قيل لي إنهم جماعة كبيرة من قبيلة آيت وريبل في زمور، اعتقلوا لأنهم احتفلوا بموسم قرآني، وأن على رأسهم شيخ كبير يسمى بسِّي سعيد، ولعلي اجتمعت معه وحادثته بعد تلك الفترة رحمه الله.

كانت ولادة السيد عبد الله الرحماني بمدينة الخميسات القريبة من آيت وريبل سنة 1923 ولما بلغ سن الدراسة أدخله أبوه إلى الكتاب القرآني أولا ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية بالخميسات، ومنها انخرط في سلك تلامذة (كوليج دَازرو) الذي أصبح بعد الاستقلال يدعى بثانوية طارق بن زياد.

ويحكي بعض الذين عرفوا السيد عبد الله الرحماني أنه تأثر بالأفكار الوطنية منذ الثلاثينيات، فكان من المشاركين في مظاهرة الخميسات التي قامت تدعو إلى مقاومة الظهير البربري والاحتكام إلى الشريعة الاسلامية سنة 1937 والتي كان من جملة قائديها الشيخ سي سعيد المذكور سلفاً والشاب السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد والطلبة الذين كانوا يدرسون بالقرويين ومنهم السيد أحمد بوبيَّه.

ولقد لقي الرحماني كل عنت من طرف السلطات الفرنسية، نتيجة روحه الوطنية، فاعتقل ونفي إلى سجن آزرو، وسجن عين اللوح، مدة يسيرة، ثم اعتقل مرة أخرى

بسبب مواقفه الوطنية. واشتغل بالتعليم ففتح مدرسة ابتدائية إسلامية بمدينة إفران سنة 1941 ثم انخرط في سلك الموظفين، فعين مترجماً بإحدى الإدارات، واطلع في وظيفته على ماكان يقاسيه إخوانه من ظلم واضطهاد، الأمر الذي زاده حقداً على الاستعمار والمستعمرين.

وعندما قرر الحزب الوطني تقديم وثيقة الاستقلال، كان من جملة الذين حظوا بشرف التوقيع على الوثيقة وفي سنة 1951 عندما تكالبت السلطات الاستعمارية ضد الحزب والعرش، كان من المتحمسين النشيطين المتحركين، فتخوفت الادارة الفرنسية من نشاطه، فنفته إلى الريش، ثم إلى إيميل شيل، وأخيراً إلى مدينة الطاوس.

وفي عهد الاستقلال عيّن موظفاً ككاتب عام بعمالة الرباط وسلا، ثم رئيساً لديوان وزير الداخلية ثم كاتبا عاماً لإدارة الدفاع ثم مديراً لديوان وزير الفلاحة.

وفي سنة 1965 عين قائداً بسطات ثم باشا لمدينة المحمدية وأدركته الوفاة يوم الجمعة 20 نونبر 1987 وعمره أربع وستون سنة رحمه الله.

48) السيد عبد الكبير بن المهدي الفاسي



السيد عبد الكبير بن المهدي الفاسي من الأسرة الفاسية الفهرية المشهورة بالعلم والتأليف والتصوف ومنها العالم الكبير سيدي عبد القادر الفاسي، ومنها الزعيم المرحوم علال الفاسي.

تعرفت على السيد عبد الكبير الفاسي في الأربعينيّات عندما كنا نحضر للمطالبة بالاستقلال، وكان من الشبان اللامعين المنتمين لحزب الاستقلال والمتحلين بصفات الثبات في الوطنية والمبدأ، ساهم مساهمة قوية في تأطير الشباب داخل الحزب، فكان يعطي الدروس، ويسامر الجماعات ويتنقل بين الرباط والبيضاء وفاس، ومن جملة نشاطاته المتعددة أنه هو الذي حمل وثيقة المطالبة بالاستقلال بعد توقيعها إلى مدينة فاس، لتوزيع النسخ العديدة منها إثر تقديمها مباشرة. وهو الذي كان من المنظمين لمظاهرات فاس التي وقعت بتاريخ 30 يناير 1944 وما بعده إثر إلقاء القبض على الشخصيات البارزة في الحزب يوم 29 يناير 1944.

وإثر المظاهرات التي وقعت بفاس وإلقاء القبض على المآت من الوطنيين، ألقى القبض على عبد الكبير الفاسي بدوره، فسجن أولا بسجن برج النور بفاس، وكان من المقبوضين عليهم معه : محمد الفاسي وعبد الوهاب الفاسي ومَحمد (فتحاً) بن سودة وأحمد الحمياني ومحمد الزغاري ومحمد الاغزاوي وأحمد ابا حنيني وأحمد بن سودة وعلي العراقي وعبد القادر العلج، وبعدما قضوا فترة في سجن برج النور، نقلوا جميعهم إلى سجن العدير الواقع قرب مدينة الجديدة، وهناك كنا نراهم ونحن في السجن في طريقنا للقيام بالأشغال الشاقة المفروضة علينا، كنا نراهم في زنزانة خاصة كبيرة، وكان التعامل معهم يختلف كثيراً عن التعامل معنا، فلم يكلفوا بأشغال شاقة ولو لفترة قصيرة، ولم يضيق عليهم التضييق الخانق الذي كان علينا ولم يلزموا بلباس المحسونين مثل ما ألزمونا : أنا وعبد الرحيم بوعبيد وقاسم الزهيري ومحمد البقالي.

كان عبد الكبير شخصية لامعة في دراسته، حيث كان من القلائل الذين نجحوا في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وكانت له قدرة فائقة في تعلم اللغات، فزيادة على اللغة العربية التي كان يتقنها كان يتكلم الفرنسية والاسبانية والروسية والألمانية وإن كان إتقانه للفرنسية كان أقوى.

أربعة أو خمسة من الشبان الاستقلاليين كان لهم تأثير وعطاء مهم في أوائل الأربعينات، في تقوية مكانة الحزب لدى الشباب بالخصوص :

1) المهدي بن بركة
2) عبد الرحيم بوعبيد
3) عبد الكبير الفاسي
4) الحسن بن شقرون

وإن كانت أدوارهم العملية كانت مختلفة، فعبد الكبير الفاسي برز أكثر مايكون البروز أثناء فترة المقاومة بعد نفي محمد الخامس سنة 1953، فكان يتحرك تحركاً قوياً جداً في مجال التنظيم والتأطير والإمداد والاتصال، فتراه في طنجة وفي مدريد وفي القاهرة وفي تطوان، يتصل بالزعيم علال في القاهرة ليأخذ منه التعليمات، ويتصل ببلافريج في مدريد، ليطلعه على ماجدّ في التنظيم، ويذهب إلى تطوان ليتصل بالمقاومين الأشداء، ويبلغهم ماتلقاه من الزعيم علال ولينسق معهم الجهود التي تبذل لتسيير المقاومة في داخل المغرب في خططها المستقيم.

ومما أسجله في صحيفته أنه كان من أوائل الشباب الذين تنبهوا إلى ضرورة الخروج

من الكفاح السياسي وحْدَه إلى العمل المسلح، ولعل ذلك كان خلال الأربعينيات، كان يتابع الأحداث السياسية بكل حزم، خصوصاً بعد إلقاء القبض على اللجنة التنفيذية في دجنبر 1952 حيث كان من جملة أعضاء اللجنة التنفيذية الموقتة التي صارت تتحمل مسؤولية تسيير الحزب بعد إلقاء القبض علينا والتي كان من جملة أفرادها أيضاً الأستاذ عبد الكريم غلاب والمرحوم مسعود الشيكر ومَحمد الدويري والمرحوم البشير بن العباس، وكان بهذه الصفة يتصل سرياً هو وشقيقته للا مليكة بجلالة محمد الخامس ليطلعه على سير الأحداث والأعمال التي يقوم بها الحزب في الداخل والخارج في ذلك الظرف الدقيق وليأخذ منه التوجيهات التي يرى جلالته أن يعطيها للمسؤولين في الحزب. وعندما رأى أن ساعة الانتقام الفظيع قد دقّت، وأن الفرنسيين قرروا نفي محمد الخامس إلى جهة نائية، دبّر كيف يهرب من الاعتقال ليقوم بواجبه الوطني في الخارج، وهكذا سافر مع زوجته في سيارته إلى طنجة، ومنها صار يتنقل بين طنجة ومدريد والقاهرة، لينسق الأعمال، ويبلغ التعاليم، خصوصاً بعد اشتعال المقاومة في الدار البيضاء وغيرها.

ازداد عبد الكبير الفاسي بفاس في 14 دجنبر 1920 وتلقى دراسته الابتدائية فيها، ثم انتقل إلى الدار البيضاء حيث كان والده السيد المهدي قاضيا شرعيا في نواحيها، وفي الدار البيضاء تلقى التعليم الثانوي حيث نال شهادة البكلوريا في الرياضيات وفي الفلسفة وذلك بليسي ليوطي ثم انتقل إلى الجزائر وباريس لينال دبلوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء. وخلال سنة 1943 رجع إلى المغرب ليعين مدرساً بثانوية مولاي إدريس بالبيضاء ويعطي بعض الدروس بالقرويين بفاس، ثم يعين أستاذاً في الرياضيات أيضاً بليسي ليوطي بالدار البيضاء سنة 1948 بعد خروجه من السجن بمدة.

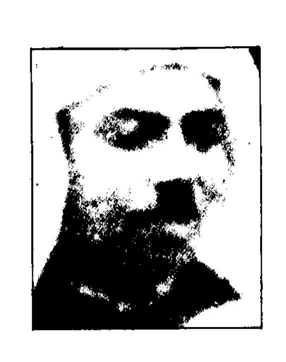
وعندما كنا نتهيأ للمطالبة بالاستقلال كان من الشبان المرموقين الذين اطلعوا على ماقرره الحزب من المطالبة بالاستقلال، ومن الذين التحقوا بالجناح السري في الحزب الذي كان يدعى (بالطائفة) وهكذا كان من الموقعين على وثيقة الاستقلال، وبعد خروجه من السجن سنة 1945 كان يكلف بعدة مهمات سياسية ووطنية من طرف الحزب، وكان نشاطه يتضاعف في مختلف المجالات، سواء قبل الاستقلال أو بعد تحقيق الاستقلال.

ولدى تأسيس الحكومة المغربية في عهد الاستقلال، عيّن مديراً لشؤون الصحراء التي كان مهتماً أعظم اهتمام بتحريرها، فوضع خريطة جغرافية بإرشاد وتوجيه من زعيم الحزب الأستاذ علال الفاسي رسم فيها وبتفصيل وتدقيق الحدود الحقيقية للمغرب سواء

من الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال، ولقد بذل جهداً مضنياً جداً في هذا السبيل. وفي سنة 1958 إلى سنة 1968 عينه صاحب الجلالة سفيراً في الدول الآتية حسب الترتيب : الجمهورية الألمانية، الجمهورية المصرية، الاتحاد السوفيتي، الجمهورية التونسية، ثم انتقل سنة 1968 إلى فيينا بالنامسا كمدير للوكالة النووية، ثم في سنة 1973 عين مديراً منتدبا لشركة كوسيمار.

ومن اهتماماته المتعددة شغفه بالطرب الأندلسي وعزفه على العود والكمان، وتذوقه للفن الرفيع. لقد أصيب في آخر حياته بمرض مُضن للغاية ألزمه البيت مدة طويلة ثم انتقل إلى عفو الله يوم الثلاثاء 18 مارس 1997 فدفن بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء في اليوم الموالي رحمه الله رحمة واسعة، وجازاه على ما قدمه من الصالحات.

49) السيد أحمد الحمياني خَتّات



لم يتح لي أن أخالط كثيراً الأستاذ أحمد الحمياني، فلم ألتق معه كثيراً، ولم أتحدث إليه إلا في مناسبات خاصة، ولكني مع ذلك أستطيع أن أقول : إنني عرفت الكثير عن أحمد الحمياني من خلال بعض أصدقائه وأصدقائي مثل المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل والمرحوم مَحمد الزغاري، ثم من خلال بعض الاتصالات معه، خصوصاً بعد الاستقلال.

ولعل تعرفي إلى أحمد الحمياني لأول مرة، كان سنة 1943 عندما كنا نتهيأ في الحزب الوطني للمطالبة بالاستقلال ونبحث في الوقت نفسه عن كل الكفاءات المخلصة التي يمكن أن تقوي جانبنا في المعركة الجديدة التي سنخوضها ضد الاستعمار، بتخلينا عن فكرة المطالب الاصلاحية داخل نطاق الحماية، إلى المطالبة الصريحة بالاستقلال، معتقدين أنه لايحكّ جلدك مثل ظفرك، وان الاصلاح لايتحقق عملياً إلا في دائرة الاستقلال، وهكذا كنا أثناء اجتماعاتنا في اللجنة التنفيذية للحزب وبالخصوص أثناء اجتماعاتنا في الطائفة (الجناح السري في الحزب) نستعرض الشخصيات التي ستدعى — إن توفرت فيها الشروط — إلى مشاركتنا في التحضير للاستقلال، وفي هذه الظروف بالذات طرق سمعي اسم السيد أحمد الحمياني والسيد أحمد ابا حنيني مضافين إلى السيد عبد الكريم بن جلون الذي كنت عرفت عنه الكثير قبل ذلك، ولعل الذي ذكر أمامي هذه الأسماء هو المرحوم

الحاج عمر ابن عبد الجليل الذي كان له اتصال وثيق بالمذكورين وعن طريقه ــ إن لم تخنى ذاكرتي ــ اطلعوا على بعض أسرار الحزب، ومنها علاقته وارتباطه الوثيق بالملك الصالح سيدي محمد الخامس، لقد اطلع السيد أحمد الحمياني على مايفكر فيه الحزب، وبلغني أنه تحمس للفكرة وقبل بارتياح المشاركة مع إخوانه في تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال نفسها وكان من أوائل الموقعين عليها.

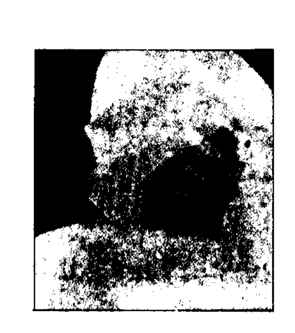
لم يكن السيد أحمد الحمياني عضواً ملتزماً في الحزب الوطني أو في كتلة العمل الوطني ولكنه حسبما علمي كان متجاوباً مع الخط الوطني الذي يسلكه الحزب، خصوصاً أثناء المقاومة التي كان يلقاها من طرف المقيم العام الفرنسي الجنرال نوكيس ابتداء من سنة 1937 كان سي أحمد الحمياني عضواً بارزاً في جمعية قدماء تلامذة ثانوية المولى إدريس بفاس وكان لهذه الجمعية نشاط ملحوظ في الميدان الثقافي والتعليمي بصفة خاصة، وكنا نسمع أنها تتقدم أحياناً ببعض المطالب للدوائر المسؤولة فيما يتعلق بنشر وإصلاح التعليم، ولما جاءت سنة 1944 كان الحمياني من الأعضاء الذين قدموا وثيقة المطالبة بالاستقلال لجلالة محمد الخامس، وكان يترأس الوفد الذي قدمها الأمين العام للحزب المرحوم الأستاذ أحمد بلافريج، وإثر الأحداث التي وقعت بفاس في 30 يناير 1944 ومابعدها كان من جملة المعتقلين السيد أحمد الحمياني فسجن ببرج النور بفاس الذي مكث فيه أربعة أشهر ونصف، ثم وقع نقله ومن كان معه من إخوانه إلى سجن العدير الذي بقي فيه إلى سنة 1945 هـ.

وبعد خروجه من السجن، صار يساهم مع الحزب في بعض النشاطات السياسية التي كان منها سفره مع الحاج عمر بن عبد الجليل وعبد الكريم بن جلون إلى باريس للتعريف بالقضية الوطنية والدفاع عن نظرية الحزب في المطالبة بالاستقلال، فكانت لقاءاته وإخوانه المذكورين مع بعض المسؤولين الفرنسيين لقاءات مثمرة، وضحت الأهداف التي يسعى لها الحزب في مطالبته بالاستقلال.

وبعد تحقيق الاستقلال تولى سي احمد الحمياني عدة مسؤوليات في الدولة، فعيّن وزيراً للداخلية سنة 1956 ورئيساً للمجلس الأعلى للقضاء سنة 1957 ثم عين مديراً عاماً للديوان الملكي سنة 1959؛ وأثناء توليه المديرية العامة للديوان الملكي وقع الانفصال داخل الحزب، وحدثت خلافات في المجلس الوطني الاستشاري أحطنا صاحب الجلالة محمد الخامس بها علماً، فتلقيت منه رسالة كمدير للديوان الملكي يخبرني فيها بأن جلالة الملك أحيط علماً بما وقع في المجلس وأنه أعزه الله يوصي بالاستمساك بالتماسك والوحدة والتعاون.

ازداد سي أحمد الحمياني بفاس في 14 دجنبر سنة 1909 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بها، ثم التحق بمعهد الدروس العليا بالرباط بقسم الدراسات القانونية والادارية، وعين أولا كاتباً بالقصر الملكي ثم كاتباً للضبط بالمحكمة، واشتغل بالمحاماة في بعض مراحل حياته، كما انتخب عضوا بالمجلس البلدي بفاس، وبعدما أحيل على التقاعد، تعاطى للفلاحة، ولازال وفقه الله يتابع باهتمام ونشاط حقله الفلاحي أعانه الله.

50) السيد محمد الفاسي



الأستاذ محمد الفاسي من أسرة بني الجد الفهرية الأندلسية، ووالده السيد عبد الواحد بن عبد الرحمان الفاسي، ازداد بفاس عام 1326 هجرية الموافق 2 شتنبر 1908 ميلادية توفي الوالد المذكور عام 1911 م. وسنُّ محمد الفاسي ثلاث سنوات، فنشأ يتيماً في حضن عمه السيد المهدي الفاسي والد زوجته السيدة مالكة الفاسية التي تزوج بها عام 1935. دخل الكتّاب القرآني مثل بقية أترابه ثم انتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان الابتدائية ثم المدرسة الادريسية الثانوية، وأكمل دراسته العليا بباريز حيث حصل فيها أولا على البكلوريا الفرنسية، ويقول انه هو أول طالب مغربي نال البكلوريا من فرنسا، وفي فرنسا حصل على شهادة الليصانس في الأدب سنة 1932، ثم على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية، وفي سنة 1934 حصل على دبلوم الدراسات العليا، وكان يتهيأ للحصول على الدكتوره في جامعة السوربون بالأطروحة التي حررها في موضوع الرحلة في الأدب العربي، ومن إنتاجه في موضوع الرحلات : الوزير بن عثمان ورحلته. وحقق رحلة العبدري، وكان اسم العبدري هو اسمه الرمزي في الجماعة السرية للحزب الوطني المسماة (بالطائفة) كما نشر الرحلة العياشية والرحلة الناصرية. وأثناء وجوده بفرنسا أيام الدراسة من سنة 1927 إلى سنة 1934 ساهم في تحرير مجلة «مغرب» الفرنسية التي كان يشرف عليها المرحوم بلافريج والمحامي الفرنسي (بيبرجان لونكي) ولدى صدور الظهير البربري سنة 1930 ساهم في النشرة أو الكتيب الذي شرح أبعاد ومقاصد الظهير البربري والذي سمي (عاصفة على المغرب) والذي وقع باسم : مسلم بربري. ولدى عزم طلبة المغرب العربي على تأسيس جمعية تضم شملهم في فرنسا، كان من المؤسسين لجمعية طلبة شمال

إفريقيا المسلمين التي ترأسها ثلاث مرات، مثل ماتولى خلافة الرئاسة مرة واحدة، وخلال توليه رئاسة هذه الجمعية وجّه لي توكيلا عاماً كممثل للجمعية بالمغرب، كما تلقيت منه خطاباً يشكرني فيه مع إخواني وطنيي سلا عندما وجهنا للجمعية رسالة تضامن لدى انعقاد مؤتمر لطلبة شمال إفريقيا كان الفرنسيون منعوا انعقاده بالمغرب، فانعقد بباريس.

لقد عرفت محمد الفاسي سنة 1933 أو 1934، ومنذ ذلك التاريخ بقيت صداقتنا تتوثق كلما زدنا معرفة ببعضنا، واستمرت هذه الصداقة إلى أن لقي ربّه. ولقد كان اتصالي بمحمد الفاسي يدخل في نطاق العلاقات الثقافية والارتباطات الوطنية، وكنت أنصت لمحاضراته التي كان يلقيها في النادي الأدبي الاسلامي السلوي في الموضوعات التاريخية والأدبية كحديثه عن ابن بطوطة وأحاديثه المتعددة عن بعض الشخصيات الأدبية والشاعرية في العصر المرابطي والموحدي مثلا كما كنت أتابع ماكان ينشره في مجلة (المغرب) لمحمد صالح ميسة الجزائري وماكان ينشره في ملحق (المغرب) الثقافي للمرحوم سعيد حجي، وفي هذه الفترة من الثلاثينيات توثقت علاقاتنا إلى حد بعيد، ولدى خروجي من السجن في أكتوبر سنة 1938 توالت اجتماعاتنا في دائرة (الطائفة)، وقرب إعلان الحرب العالمية الثانية قررت الطائفة تكوين لجنة تنفيذية موقتة للحزب الوطني كان سعيد حجي والفقيه غازي والحاج أحمد الشرقاوي وأبو بكر القادري هم أعضاؤها، ومن هذه اللجنة وبقرار جماعي منها تقرر موقف الحزب الوطني المؤيد للحلفاء والمناهض للنازية. وعندما عينه جلالة محمد الخامس أستاذاً بالمعهد المولوي سنة 1941 أصبح مع الأيام يحتل مركزاً عنده، لا باعتباره أستاذاً لولي العهد وشقيقه مولاي عبد الله فحسب، ولكن باعتباره شخصية وطنية لها ارتباط وثيق برجال الحزب الوطني الذي ستوثق علاقاته مع الملك المنعم ليقرر معه المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

لم يكن الكثيرون يعلمون أن محمد الفاسي شخصية سياسية وطنية مسؤولة في الحزب الوطني، وإنما كانوا يعرفون أنه شخصية مثقفة عالمة نشيطة في مجال الكتابة والتدريس ولكن صاحب الجلالة عندما عيّنه مديراً لجامعة القرويين ليدخل عليها بعض التنظيمات العصرية التي كانت في أشد الحاجة إليها، كان يرى فيه كذلك الشخصية الوطنية التي ستقوم ببعض المهام الكبرى السياسية كقضية التحضير للمطالبة بالاستقلال.

لقد لعب الفاسي دوراً هاماً في ربط العلاقات وتوثيقها مع محمد الخامس، وكان الوسيط الثقة التي حقق الله على يده ارتباط الحزب الوطني وحزب الاستقلال بالعرش المغربي والجالس عليه محمد الخامس، وبوريث سره جلالة الحسن الثاني ذلك الارتباط

الذي لم تؤثر فيه ولاتؤثر فيه إن شاء الله أية عواصف كيفما كانت طوال فترة الحماية، وفي السنوات الأولى لفترة الاستقلال، بقي الفاسي يلعب دوره السياسي كعضو في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وعندما تولى أوائل الاستقلال مسؤولية وزارة التربية الوطنية ورئاسة الجامعة المغربية بالرباط ووزارة الثقافة والشباب بقي في الوقت نفسه مسؤولا في اللجنة التنفيذية، و لم يتخل عن هذه المسؤولية إلا في فترة دخول حزب الاستقلال في المعارضة، فهناك بقي اهتمامه منصباً على القضايا الثقافية والفكرية مضافة إلى ماكانت تسند إليه من مهمات في الدولة.

كان الفاسي من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإن لم يظهر اسمه واضحاً في صورة الوثيقة المعلنة، نظراً للمهمة التي كانت مسندة إليه في الاتصال السري بجلالة الملك المنعم حتى لايطلع الفرنسيون على سرية المهمة التي كان يقوم بها، ولكن الفرنسيين بالرغم من ذلك ألقوا عليه القبض ضمن المقبوض عليهم من أصدقائه في فاس أمثال : عبد الكبير بن المهدي الفاسي، ومحمد الأغزاوي، أحمد الحمياني، أحمد بن سودة، علي العراقي، مَحمد بن سودة، عبد الوهاب الفاسي، مَحمد الزغاري، أحمد ابا حنيني، ج عبد القادر العلج. فقضوا في الاعتقال مدة في سجن برج النور بفاس وقضوا فترة أطول منها بسجن العدير. وأسجل هنا أن الفاسي كان ترأس وفداً من علماء القرويين، وقصدوا جميعهم القصر الملكي ليعلنوا تضامن العلماء مع حزب الاستقلال في مطالبته بالاستقلال، وأن الفاسي ألقى كلمة مؤثرة أمام جلالة الملك، أجاب عنها جلالته بقوله : (يسرني أن أرى رجال التعليم بالقرويين يعيشون أحداث البلاد، ويدلون فيها بآرائهم وفتاواهم، ونحن عشنا في بلادنا أحراراً، والتاريخ لابد أن يعيد نفسه). ويجب أن أسجل كذلك أن هذا الوفد من العلماء، كان متركباً من الشيوخ الآتية أسماؤهم :

1) السيد الحسن مزور
2) السيد العربي الحريشي
3) السيد محمد بن عبد الرحمان العراقي
4) السيد عبد الكريم الداودي
5) مولاي أحمد الشبيهي
6) السيد عبد الوهاب الفاسي
7) السيد عبد الله الداودي
8) السيد الحاج أحمد بنشقرون

لم يكن الفاسي أثناء تعاطيه للسياسة يظهر بمظهر الزعيم السياسي، بل كانت تغلب عليه النشاطات الثقافية من كتابات أدبية وتاريخية وتسيير للمؤسسات الثقافية كإدارة جامعة القرويين، وأشير بهذه المناسبة أن بعض الشخصيات الحزبية كانت تعيش تحت الظل، فلم يكن الكثيرون يعلمون شيئاً عن نشاطاتهم السياسية السرية، وذلك أمثال مسعود الشيكر وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي ومحمد الدزيري وغيرهم، ولذلك فإن الادارة الفرنسية فوجئت عندما وجدت بعض الشخصيات موقعة على وثيقة الاستقلال رغم أنها لم تكن تعرف عن نشاطها السياسي أي شيء، وكان الفاسي من جملة هؤلاء.

لقد أخذ النشاط الثقافي للفاسي الحيز الأكبر من وقته، فكانت اهتماماته الثقافية متعددة الأشكال والألوان، فاهتم كما قلت سلفاً بالرحلات في الأدب العربي منذ أن كان طالباً بفرنسا حيث تقدم لامتحان دبلوم الدراسات العليا بكتابة موضوع : (رحلة محمد بن عثمان المكناسي الحجازية) وحقق رحلة العبدري وكتب الكثير عن بعض الأدباء والشعراء في التاريخ المغربي ابتداء من عهد المرابطين واهتم بالملحون، ونسخ الكثير من قصائده ثم طبعها في المعلمة الخاصة بالملحون واهتم بالأدب الشعبي ونشر في كتيب صغير الحجم (رباعيات نساء فاس) وجمع الكثير من الأمثال المغربية يقال إنها بلغت خمسة آلاف مثل، وله كتاب مخطوط عنوانه : (الأمثال المغربية باللغة العامية والمغربية) واهتم بالأدب الأمازيغي وألف فيه كتاباً يدور حول أغاني قبائل الأطلس، ووضع كتاباً في النحو البربري وقاموساً يتعلق بوضع الكلمة البربرية وشرحها باللغة العربية أو الفرنسية إلى غير ذلك من الأبحاث والدراسات التي نامل أن ترى النور، ويخرجها أبناؤه إلى الوجوه.

لقد كان الفاسي نشيطاً في كل هذه المجالات سواء قبل الاستقلال أو بعد الاستقلال وهذا النشاط الثقافي هو الذي رشحه لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وللمجمع العلمي في العراق ولأكاديمية المملكة المغربية وفي المجلس التنفيذي لليونيسكو ولنيله الدكتورة الفخرية من جامعة لاغوس بنجيريا إلى غير ذلك.

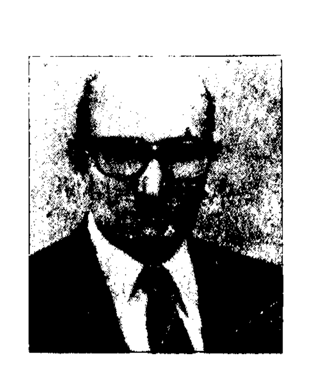
كان الفاسي كثير الأسفار، مشاركاً فعلياً في الكثير من المؤتمرات والاجتماعات الثقافية في كثير من الأقطار الأروبية والأمريكية والأسيوية والافريقية، ولقد ذكر في بعض ماكتبه : (أنه بمناسبة اجتماع المجلس الاداري للجمعية الدولية للجامعات بسيدني (استراليا) سافر من الرباط إلى باريس فبيروت فطهران وكابول وإسلام آباد وكالكوتا ورانكون وفنوم بيّنه وسنغافورة وكوالا لامبور ثم جاكارتا (التي نال منها الدكتورة الفخرية) ثم سيدني ثم رجع بجزر المحيط الهادي : (نوميا، باكوباكو، وهوتولولو، ومن

ثمَّ قصد لوس انجلس ثم نيويورك ثم ريجافيك عاصمة إيسلاندا فباريس فالرباط ودامت هذه الرحلة شهراً كاملا).

والحديث عن الأستاذ الفاسي يطول ويطول، وآمل إن شاء الله أن أكتب عنه كتاباً أتعرض فيه لبعض الجوانب والأعمال التي لم يمكنني أن أتعرض إليها الآن)

توفي في دجنبر 1991، رحم الله الفاسي وأجزل له الثواب[14].

51) السيد قاسم الزهيري



قد يكون قاسم الزهيري من القلائل الذين تعرفت عليهم معرفة أخوة وصداقة منذ الصغر. فلقد عرفته أولا تلميذا من التلاميذ النابهين المتعطشين إلى المعرفة والأدب عندما كان يلتحق بالمكتب الإسلامي بالزاوية القادرية بمناسبة عطلة الصيف، هو وكثير من رفقائه العديدين الذين كانت تربطني بهم رابطة روحية. لم تنفصم عراها طوال السنين والأعوام، وعرفته وهو يتعاطى دروسه في كوليج مولاي يوسف بالرباط، وعرفته وهو يتعاطى الصحافة من صغره، عندما كان يوقع بعض مايكتبه بتوقيع «تلميذ» وعرفته وهو عضو أساسي في جمعية المحافظة على القرآن الكريم ويقوم بمهمة كتابة محاضر جلساتها، وعرفته وهو لازال شاباً في السادسة عشرة من عمره، عندما دخل إلى السجن مع جماعة من إخواننا الذين عبّروا عن فرحتهم بإطلاق سراحي أنا والأخ محمد البقالي في قصة فتحي لفرع المدرسة النهضة التي شرحتها في كتابي : (قصة النهضة) وعرفته وهو عضو نشيط في الحزب الوطني (فرع سلا) وبالأخص في خلية (فتح) التي كانت تضم نخبة مختارة من شباب سلا الوطني، وفي جبهة النهوض التي كان هو والمرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي من خيرة أعضائها، وعرفته وهو عضو نشيط في النادي الأدبي الاسلامي السلوي، وعرفته وهو من أصغر الكتاب في جريدة «المغرب» التي أصدرها المرحوم سعيد حجي أواسط الثلاثينات، وعرفته وهو ملتحق بالطائفة أي الجناح السري الخاص للحزب الوطني ثم في حزب الاستقلال الذي كان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر

(14) راجع ما كتبته عنه في الجزء السادس من (رجال عرفتهم).

يناير 1944 ومن الذين قادوا مظاهرة 29 يناير عامه بجانب المرحوم عبد الرحيم بوعبيد وإخوانه الأشداء، وعرفته في السجن عام 1944 ثم في السجن عام 1952، عندما قضينا في هاتين السجنتين ما يقرب من أربع سنوات، وعرفته رئيساً لتحرير جريدة «العلم» وقبلها رئيساً لتحرير جريدة «المغرب» بعد وفاة مؤسسها السعيد حجي رحمه الله وعرفته كاتباً لامعاً من صغره، يحرر المقالات المتتابعة بقلمه السيال، وروحه الوطنية الصافية، ويحرر بعض التقارير التي يكلفه بتحريرها حزب الاستقلال، ومن جملتها على ما أذكر تقرير هام عن أحداث 1951 التي كان الصراع فيها بيننا وبين الجنرال كيوم على أشده، والذي وجهناه إلى الزعيم علال حيث كان مقيما إذ ذاك بطنجة، فعمد على نشره بأوسع مايمكن، وكان له وقعه وتأثيره الشديد في الأوساط العربية، وكان الزعيم علال قدّم إلى المحاكمة بطنجة من أجل المعلومات التي وردت في ذلك التقرير وعرفته وهو يحضُر معنا في اللجنة التنفيذية ككاتب من الكتاب، ثم كعضو فيها بعد الاستقلال، وفي كل هذه الفترات القديمة والحديثة التي عرفته فيها كان قاسم الزهيري مثال الوطني الصادق في وطنيته، المخلص في عقيدته، المتمسك بعرى أخوته وصداقته، لاينفك عنهما، ولاينفكان عنه.

لقد أعطى العهد على الوفاء والاخلاص لدينه ووطنه فوفى به، ولقد ناضل وتحمل المتاعب والسجون فما تزحزح عن مبادئه وعقيدته.

ازداد قاسم الزهيري سنة 1920، وتابع دراسته بمدرسة أبناء الأعيان، واستفاد الاستفادة الكبرى في دروسه العربية من أستاذه اللامع الشاعر عبد الرحمان حجي، وانتقل إلى المدرسة اليوسفية بالرباط فدرس على أساتذتها اللامعين، ولما حصل على شهادة دبلوم الدراسة الثانوية الذي كان بمنزلة البكلوريا، تابع دراسته بمعهد الدروس العليا بالرباط في مادتي الأدب والتاريخ، ومنذ صغره تركزت فيه الروح الوطنية، فكان من شباب الحزب الوطني النشيطين، ومن أعضاء حزب الاستقلال المسؤولين، ومن الذين وقعوا على وثيقة الاستقلال، وتحملوا المسؤولية سواء في نطاق فرع الحزب بسلا أو في نطاق المجلس الأعلى للحزب أو في نطاق مسؤولية تحرير جريدة العلم الغراء، تعاطى مهنة الصحافة من صغره، وخضع له القلم، فكان يحرر بسهولة مايكتبه من مقالات، واستفاد من مطالعاته في مطلع شبابه، وتأثر بما كان يكتبه فطاحل الكتاب الأدباء في مصر، ومنهم الكاتب الفذ، طه حسين، حيث كان يقلده في فترة من فترات حياته، ولازلت أذكر أنه وهو في مطلع شبابه كتب كلمة في تأبين أحد أصدقائه فقال عنه مقلداً أسلوب طه حسين : (كان يجيء ويجيء، ويعاتب من لايجيء) وفي فترة من

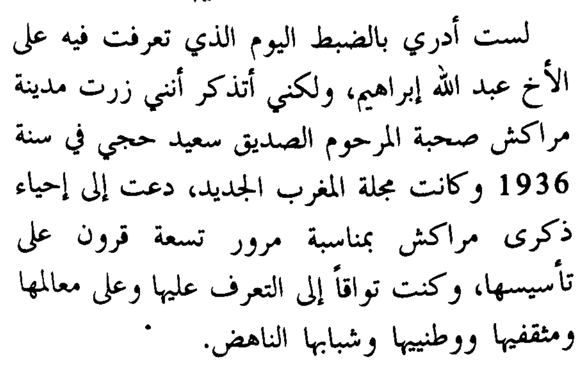
فترات حياته انتقل إلى مدينة الجديدة، فتولى إدارة مدرسة التهذيب التي كان من جملة مؤسسيها الأساسيين المرحوم قاسم العراقي، وأسندت إليه كذلك كتابة فرع الحزب هناك.

وخلال نشاطه الوطني المتتابع تعرض للسجن في سنة 1944 فمكث فيه أزيد من عشرين شهراً، قضاها مع إخوانه : محمد البقالي، أبو بكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد في كل من سجن الرباط والدار البيضاء، والعدير، وفي أحداث سنة 1952 كان من المعتقلين فنفي أولا إلى (أنزى) بالجنوب المغربي ثم نقل إلى سجن الدار البيضاء بعد ماقضى خمسة عشر يوماً بكوميسارية المعارف، وأحيل معنا على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر ضد الأمن الداخلي والخارجي للدولة، ثم وقع نقله مع إخوانه إلى سجن (سنترال) بالقنيطرة، وفي كل هذه الفترات السجنية كان مثال الوطني الثابت على المبدأ، الصّامد أمام الأعداء المتربصين بالمغرب

وبعد الاستقلال عيّن عضوا باللجنة التنفيذية للحزب، وأثناء التحضير للانفصال من قبل بعض أعضاء الحزب، واتخاذ قرار عقد مؤتمر الحزب، وتكوين لجنة تحضيرية تعمل في جو هادىء وجدي لتهييء انعقاد المؤتمر، كان قاسم الزهيري من الأعضاء الأربعة الذين وقع عليهم الاختيار لتحضير المؤتمر، أما الثلاثة الآخرون فهم : محمد منصور والدكتور محمد بناني ومحمد عبد الرزاق ولست متحققاً من هذا الأخير.

في الفترات الأولى للاستقلال، أسندت إليه مهمة مدير عام للاذاعة الوطنية، ثم عينه صاحب الجلالة محمد الخامس، سفيراً للمغرب بالسينغال سنة 1961، ثم عينه جلالة الحسن الثاني مندوباً لدى الأمم المتحدة بيوغوسلافيا بالجزائر فالجامعة العربية، ثم مديراً بجنيف (سويسرا) ثم قائما بمهمة في الديوان الملكي، فوزيراً للتعليم الثانوي والتقني ثم سفيراً في كل من موريطانيا والصين فأميناً عاماً مساعداً لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، وهو من السفراء المغاربة القلائل الذين كتبوا مذكرات عن البلدان التي قاموا بمهمة السفارة فيها، فله كتاب بعنوان (مذكرات ديبلوماسي) عن موريطانيا. وألف كتابين عن جلالة محمد الخامس أولهما تحت عنوان : محمد الخامس الملك البطل، وثانيهما : (مفخرة الدولة العلوية)، كما سبق له أن ترجم كتاب (ذهب سوس) ولازال يتابع نشاطه في الكتابة والبحث والمقالات التي ينشرها في بعض الصحف الوطنية. حفظه الله وأعانه.

52) السيد عبد الله إبراهيم



لست أدري بالضبط اليوم الذي تعرفت فيه على الأخ عبد الله إبراهيم، ولكني أتذكر أنني زرت مدينة مراكش صحبة المرحوم الصديق سعيد حجي في سنة 1936 وكانت مجلة المغرب الجديد، دعت إلى إحياء ذكرى مراكش بمناسبة مرور تسعة قرون على تأسيسها، وكنت تواقاً إلى التعرف عليها وعلى معالمها ومثقفيها ووطنييها وشبابها الناهض.



كان عبد الله إبراهيم من أبرز الشخصيات الشابة المتقدة حماساً وحيوية ونشاطاً في المجالين : الثقافي والوطني، وكان استقباله لنا أنا والمرحوم السعيد حجي ينمّ عن روحه الطيبة، وإخلاصه العميق، وتطلعه لكسب الإخوة والأصدقاء الذين يردون على مراكش ليصبحوا من أصدقائه ورفقائه والمتعاونين معه في مختلف المجالات الأدبية والوطنية. وكان مقامه إذ ذاك في مراكش مقام الرائد للشباب الذين يذكرونه بالثناء والتقدير والإعجاب. وان أنس فلا أنسى أنه طاف معنا وبجانبنا في مراكش، يطلعنا على معالمها التاريخية، ويتحدث إلينا بلهجته المراكشية، وبنكاته المستملحة، مستدلا ببعض الأبيات الشعرية، من شعراء قدامى ومحدثين، ولازلت أذكر كيف كانت زيارتنا لضريح القاضي عياض الذي قيل عنه (لولا عياض ماذُكر المغرب) إلى غير ذلك من الذكريات التي لاينسيها مرور الزمان.

كان اسم عبد الله إبراهيم معروفاً في الأوساط الثقافية والوطنية، وكان بروزه ظاهراً للعيان منذ شبابه المبكر. لقد برزت شخصية عبد الله إبراهيم منذ أن كان طالباً بكلية ابن يوسف حيث نال منها شهادة العالمية، وبرزت شخصيته الوطنية عندما التف الشباب الوطني المراكشي عليه كقائد من قواده، وبرزت شخصيته الثقافية عندما صار يحرر المقالات والأبحاث الأدبية والتاريخية التي كانت تعبر التعبير الحقيقي عن تكوينه الثقافي العام، واعتكافه على المطالعة الجادة الممتعة، وكنت أتابع بعض مايكتبه في الثلاثينات سواء في المغرب الجديد الذي كتب فيه من جملة ماكتب بتاريخ يونيه 1936 بحثاً عن الحركة الصوفية بالمغرب، كان موفقاً فيه غاية التوفيق، ومطلعاً غاية الاطلاع، كما نشر (في ملحق المغرب) للثقافة بحثاً قيما بتاريخ نونبر 1938 عن العرش المغربي من خلال القرون، وبحثاً آخر حول الثقافة المغربية، تساءل فيه عن معنى الثقافة، وماذا تكون

الصفات العامة لها ؟ ومما قرأته له إذ ذاك قصة قصيرة كان عنوانها : (عذراء المرية) إلى غير ذلك من المقالات والأبحاث التي كان يحررها وهو لازال في مطلع الشباب، الأمر الذي جعل الشباب خصوصاً والمثقفين عموماً ينظرون إلى عبد الله إبراهيم كشاب لامع، أنجبته مدينة مراكش ليعطي صورة مشرقة عن الشباب الحي المتوثب.

وتابع مولاي عبد الله إبراهيم دراساته العميقة، وأبت عليه همته أن يكتفي بدراساته العربية، فتعاطى لتعلم اللغة الفرنسية، وماجاءت سنة 1946 بعد أحداث 1944 التي تقدمنا فيها بوثيقة المطالبة بالاستقلال، حتى ذهب إلى باريس ليتابع دراسته الفرنسية بجامعة السوربون، وهناك وجد المجال فسيحاً للزيادة في معلوماته العامة، وليتعمق في الدراسات المذهبية المعاصرة التي برز فيها كمفكر من المفكرين الذين لهم آراؤهم الخاصة، الناتجة عن تأملاتهم وكثرة مطالعاتهم.

واشتغال عبد الله إبراهيم بالدراسات الأدبية والثقافية والتاريخية، لم يمنعه من اهتماماته المتواصلة بقضية وطنه والعمل على تحريره من ربقة الاستعمار، فلقد عرفته منذ الثلاثينات إلى أن ظفر المغرب باستقلاله مناضلا صلباً، ووطنياً مخلصاً في جميع أطوار حياته سواء وهو أحد المسؤولين الأساسيين في مراكش عن فرع الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال. أو عندما انضم إلى إخوانه المسؤولين المركزيين في حزب الاستقلال، ولقد ذاق من المحن والآلام والمتاعب الشيء الكثير.

لقد كان من جملة الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 ومن الذين كافحوا الاستعمار والاقطاع في مراكش التي كانت معقل الاقطاعي الكبير الحاج التهامي الكلاوي باشا مراكش ومقيمها الأسمر، كما كانت تصفه جريدة «الأطلس» وكل الانتفاضات التي وقعت بمراكش سواء في الثلاثينيات والأربعينيات أو الخمسينيات كان عبد الله إبراهيم أبرز القائمين عليها. وأثناء وجوده بفرنسا أواخر الأربعينيات كان له دور هام في الاتصال بالطلبة الاستقلاليين وتكوينهم وتوجيههم، وفي المشاركة الفعلية في المؤتمرات والندوات التي كانت تعقد هناك لفضح ماكان يرتكبه الاستعمار من أعمال ومظالم وانتهاكات وعندما انتظم أول اجتماع لهيأة الأمم المتحدة كان عبد الله إبراهيم ياخذ مكانه بجانب الأعضاء المشاركين من بعض الدول العربية كعضو منهم ليدافع عن قضية بلاده.

ولدى أحداث ثامن ديسمبر 1952 إثر القرار الذي اتخذته اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال في تنظيم الإضراب العام بالمغرب تضامناً مع تونس الشقيقة التي اغتالت جمعية

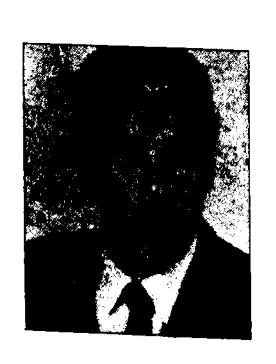
الوجود الفرنسي الزعيم النقابي فرحات حشاد، تكلف عبد الله إبراهيم بالسفر إلى الدار البيضاء لتنظيم الإضراب العام من لدن الطبقة الشغيلة التي كان لها دور هام في مكافحة المخططات الاستعمارية، بتنظيمها لحركة الاضراب العام في مختلف المعامل.

وإثر هذا الاضراب الناجع، كان عبد الله بن إبراهيم من جملة المعتقلين فقضى مدة بكوميسارية الدار البيضاء حيث ذاق من العذاب ألواناً ثم قدم إلى المحكمة العسكرية بتهمة المساس بالأمن العام الداخلي والخارجي.

وبعد إطلاق سراحه هو وإخوانه رجال حزب الاستقلال، وبعد تحقيق الاستقلال عيّن وزيراً للأنباء، ثم عيّن وزيراً أولا بعد استقالة حكومة بلافريج وأثناء توليه مسؤولية الوزارة الأولى وقع انفصال بعض الجماعات من حزب الاستقلال كان على رأسها عبد الله إبراهيم ليكون مع الذين انفصلوا وأسّسوا الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي لازال يترأسه لحد الآن.

يعتبر مولاي عبد الله إبراهيم من القادة الوطنيين الصادقين في وطنيتهم، الثابتين الصامدين في كل ظروف حياتهم، فلم يتزعزع عن كفاحه الوطني مهما كانت الظروف والملابسات، ولازال في معمعة الكفاح يصدع بالرأي الذي يراه صواباً، مهما كان اختلافه مع إخوانه الذين سار معهم وساروا معه. وفقه الله وأثابه.

53) السيد عمر بنشمسي



نشطت الحركة الاستقلالية بمكناس نشاطاً طيباً في أواخر الأربعينيات، وكان تسيير الحركة في يد شخصيتين وطنيتين بذلتا جهداً هاماً في التنشيط والتنظيم، فمن جهة كان المرحوم السيد محمد بن احماد الديغوسي، يقوم بجهد جهيد في تسيير فروع الحزب بمكناس ونواحيها في الأطلس المتوسط، مثل خنيفرة والقباب وغيرهما، ومن جهة أخرى كان المرحوم إدريس المحمدي يقوم بدور هام في تأطير وتنظيم الاتصال مع النخبة المثقفة في مكناس وآزرو وما يتبعهما، وزاد في أهمية نشاطه ترأسه للكشفية الحسنية التي استقطبت في عهده كثيراً من خيرة الشباب الاستقلالي في كثير من المدن المغربية، ومن الشباب الذي كان متصلا

أكبر اتصال بالمحمدي، أذكر شخصيتين كانت لهما علاقة متينة بالمحمدي هما : مولاي المصطفى العلوي ابن العلامة السلفي السيد محمد بن العربي العلوي والسيد عمر بن شمسي الذي سأتحدث عنه هذا الحديث.

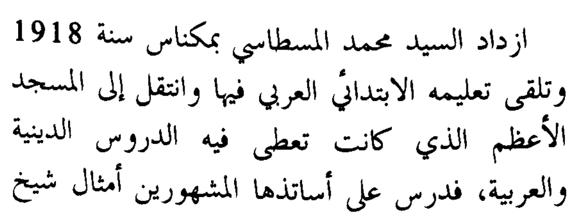
لقد تعرفت على عمر بن شمسي في فترة النشاط الأربعيني، ولعله كان تولّى في تلك الفترة كتابة فرع من فروع الحزب بمكناس، فكان يقوم بدوره الوطني كشاب ملتزم، يقدر مسؤوليته الوطنية أحسن مايكون التقدير، ويقوم بواجبه الوطني، كما يجب أن يؤدّى، وكان تعامله مع إخوانه ورفقائه في الحزب، ومنهم من سبقوه في الانخراط والتكوين كالمرحوم السيد أحمد بنشقرون المكنّى بولد النبي والمرحوم محمد بن احماد الديغوسي ومحمد بن عزو والعيساوي المسطاسي وغيرهم، تعاملاً فيه كثير من الصفاء والأخوة، وكان طبعه الهادىء، وأخلاقه المرضية، ووطنيته الصادقة، كل ذلك كان يحببه إليهم، ويزيدهم تعلقاً به، والاعتماد على وطنيته وغيرته في أداء بعض المهمات الشبابية كتأسيس بعض الخلايا الوطنية والثقافية والرياضية، ولما قرر الحزب المطالبة بالاستقلال، كان عمر بن شمسي من المرشحين للتوقيع على وثيقة حادي عشر يناير 1944 من مكناس، هو والمحمدي وبن عزُّو والمسطاسي وأحمد بن شقرون، وغاب عني لماذا لم يكن من بينهم محمد بن احماد الديغوسي.

لم يكن اتصالي إذ ذاك بعمر بن شمسي قوياً، رغم ماكنت أسمع عنه من ثناء، ولم أتعرف عليه كثيراً إلا بعد الاستقلال عندما أسندت إليه كثير من المهمات في الدولة، خصوصاً بعدما تولى وزارة الداخلية المرحوم إدريس المحمدي الذي عينه عاملا على أقاليم تافيلالت فآسفي فمراكش ثم فاس ثم والياً على ولاية الرباط وسلا. وخلال توليه لهذه الوظائف في كل هذه المدن كان مثال الرجل الوطني المستقيم الحريص على أداء واجبه بهدوء وسكينة ووقار وحزم، فكان الجميع يذكره بكل خير ويثني الثناء العاطر على استقامته ونبل معشره.

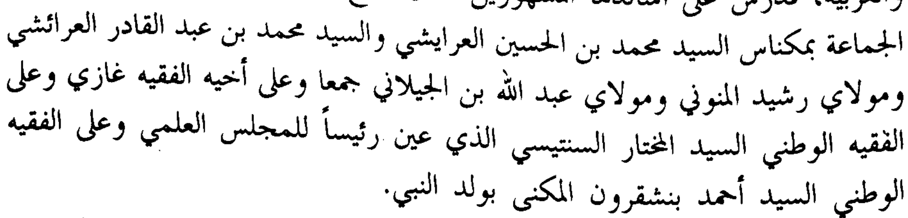
لقد ازداد سي عمر بن شمسي بمكناس يوم 6 يونيو 1917 في أسرة معروفة بالعلم والنبل والأخلاق، وكان والده مكلفاً ببنايات القصور الملكية بمكناس على عهد السلطان عبد العزيز ووالده الحسن الأول، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمكناس والتحق بمعهد الدروس العليا بالرباط. وشارك في الأحداث الوطنية الهامة بمكناس وفي أحداث سنة 1952 ألقى عليه القبض فنفي إلى الرشيدية ثم إلى معتقل اسول واغبالو نكردوس وهو الآن بعد إحالته على التقاعد منكباً على المطالعة والاستفادة وفقه الله وأعانه.

54) السيد محمد العيساوي المسطاسي

السيد محمد المسطاسي، عرفته من بعيد وهو شاب وطني استقلالي متحمس صادق، تأثر كثيراً بأخيه من أمه، أعني الفقيه محمد غازي أحد قادة الحركة الوطنية الأولين فاستفاد من وطنية أخيه وعلمه وتقواه، وسار على نهجه منذ شبابه.



ازداد السيد محمد المسطاسي بمكناس سنة 1918 وتلقى تعليمه الابتدائي العربي فيها وانتقل إلى المسجد الأعظم الذي كانت تعطى فيه الدروس الدينية والعربية، فدرس على أساتذها المشهورين أمثال شيخ الجماعة بمكناس السيد محمد بن الحسين العرايشي والسيد محمد بن عبد القادر العرائشي ومولاي رشيد المنوني ومولاي عبد الله بن الجيلاني جمعا وعلى أخيه الفقيه غازي وعلى الفقيه الوطني السيد المختار السنتيسي الذي عين رئيساً للمجلس العلمي وعلى الفقيه الوطني السيد أحمد بنشقرون المكنى بولد النبي.



وأثناء دراسته انخرط في سلك الطلبة الوطنيين بمكناس، وسنّه لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وعندما انتقل أخوه الفقيه غازي إلى الرباط، انتقل معه، فاغتنمها فرصة للحضور في الدروس التي كان يلقيها العلامة المحدث السيد المدني بن الحسني والعلامة المحدث الكبير الشيخ شعيب الدكالي.

وعندما انتقل الفقيه غازي إلى آسفي ليشتغل فيها كوكيل شرعي انتقل معه، فصار يحضر الدروس التي كان يلقيها الفقيه سي إدريس وتعرف أثناء إقامته بآسفي على الفقيه بولحية أحد رفاق البطل الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وتأثر بشخصيته كثيراً حسبما ماذكر ذلك.

ولدى انشقاق الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني عن كتلة العمل الوطني بقي متشبثاً بأفكاره مع جماعة أخيه الفقيه غازي فكان من شباب الحزب الوطني ثم من شباب حزب الاستقلال.

ويعتبر المسطاسي من الجيل الناشيء الوطني في مكناس بعد الجيل الأول الذي كان من جملة أعضائه السادة : أحمد بنشقرون ومحمد بن احماد الديغوسي ومحمد بن المقدم برادة ومحمد بن عزو.

شارك في مظاهرة مكناس الصاخبة التي وقعت بمكناس سنة 1937 للمطالبة بماء بوفكران، وكان من المشرفين عليها والمنظمين لها، كما شارك في الحركة الكشفية التي تولى رئاستها بعد المطالبة بالاستقلال الأستاذ إدريس المحمدي، وكان له دور في إقامة المهرجانات الدينية والوطنية، بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية وذكرى المولد النبوي وغيرهما.

وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. دُعي المسطاسي إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان سنه إذذاك ستاً وعشرين سنة، فكان من الشباب الوطني السباق إلى تحمل مسؤولية المطالبة بالاستقلال، اشتغل بالتعليم، فكان يعطي دروساً ببعض المدارس الحرة، وكان من جملتها مدرسة التهذيب بالجديدة التي كان يديرها في بعض الظروف الأستاذ قاسم الزهيري، وأواخر الخمسينات عندما قررت السلطات الاستعمارية الانتقام من حزب الاستقلال وأعضائه وأنصاره، ألقى عليه القبض هو وأخوه الوطني الصادق الأستاذ العربي المسطاسي، فسجن بسجن بويزكارن بسوس ثم نقلوه إلى سجن كولميم في باب الصحراء الذي قضى فيه ستة عشر شهراً، ثم إلى قلعة مكونة بالجنوب وأخيرا إلى معتقل اغبالو نكردوس، ولم يطلق سراحه إلا يوم 14 يوليو 1955، وبعد إعلان الاستقلال، وتعيين أخيه الفقيه غازي سفيراً للمغرب بالمملكة العربية السعودية، انتقل معه إلى السفارة ككاتب، ولم يطل مقامه بجدة فرجع إلى المغرب، فدخل إلى سلك القضاء، حيث عمل بالمجلس الأعلى بالرباط، إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1987، حفظه الله وأعانه.

55) السيدة مالكة الفاسية



كان ذلك في الثلاثينيات حيث كنت أقرأ مقالات ممضاة باسم باحثة الحاضرة في ملحق جريدة «المغرب»، وتساءلت مع نفسي من هي هاته المرأة التي ظهرت في الميدان الصحفي وحيدة فريدة، تعّلن للملإ أن ميدان الصحافة لاينبغي أن يكون حكراً على الرجال وحدهم، وأن الدعوة إلى الإصلاح والتطور، ينبغي أن يشترك فيها الرجل والمرأة على السواء. وماهي إلاّ فترة وجيزة حتى علمت أن تلك المرأة الفريدة إذ ذاك هي السيدة مالكة الفاسية زوجة أخينا الأستاذ

محمد الفاسي، وبنت عمه سيدي المهدي وأخت الشاب الناهض عبد الكبير بن المهدي الفاسي، وأنها بدأت كتابتها الصحفية في مجلة «المغرب» الشهرية التي كان يصدرها السيد محمد الصالح ميسة الجزائري، وتوقع مقالاتها فيها بتوقيع «الفتاة» أما التوقيع باسم باحثة الحاضرة، فكان اقتباساً من الكاتبة المصرية المشهورة التي كانت توقع باسم باحثة البادية.

وشاءت الأقدار أن أتعرف على السيدة مالكة الفاسية في بيتها مع زوجها أخونا الأستاذ محمد الفاسي الذي كان يسكن إذذاك قرب مسجد حسان، وكانت بعض اجتماعاتنا السرية تقع في بيته، خصوصاً بعد أن توطدت العلاقة السياسية التعاونية بيننا في الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال وبين الملك المنعم سيدي محمد الخامس نوَّر الله ضريحه، حيث كان الفاسي هو الرسول بيننا وبين محمد الخامس في كثير من الظروف.

كانت السيدة مالكة الفاسية تتقد غيرة وحماساً ووطنية، وكانت العضد الأيمن والمساعد الأوثق لزوجها، وكانت تتتبَّع النشاطات الوطنية، تتبُّع المخلصين الملتزمين، وزاد نشاطها عندما انضمت ــ وكانت المرأة الوحيدة ــ إلى الطائفة وهي الجناح السري في الحزب الوطني.

كانت للامالكة الفاسية موضع ثقة من الحزب، ولذلك خُصَّتْ وحدها دون غيرها من النساء الوطنيات بالالتحاق بالجناح السري للحزب بعدما أقسمت اليمين على المصحف الشريف بكتمان الأسرار الوطنية السياسية، ومنها الاتصال السري والمنظم مع محمد الخامس رحمه الله، ونظراً لمكانتها دعيتْ لتكون ضمن الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وان لم يعلن عن اسمها في حينه نظراً لأنها خلال الأزمة الحادة بيننا وبين الاقامة العامة الفرنسية، واعتقال الكثيرين من قادة الحزب بقيت ضمن المسؤولين الذين يقومون ببعض النشاطات الوطنية، ومنها إسعاف المعتقلين وأسر الشهداء الذين قدموا أنفسهم ضحايا في سبيل الله وتحرير بلادهم. ومنها تبليغ بعض المعلومات لملك البلاد ورمز عزها جلالة محمد الخامس في أوقات الشدة والضيق، ولقد كانت آخر من رآه قبل نفيه بيوم واحد أي عشية يوم 19 غشت 1953.

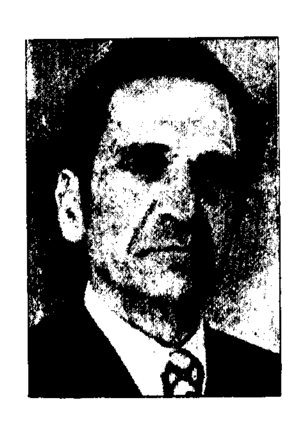
ازدادت السيدة مالكة الفاسية في شهر يونيه 1919 ودرست أولا بدار الفقيهة (كتاب خاص بالفتيات) ثم تابعت دراستها على كثير من الأساتيذ والعلماء من جملتهم العلامة سيدي عبد السلام السرغيني والشهيد الأديب السيد محمد القري وغيرهما ولما اشتدَّ عودها، ونضَج فكرها التحقت بإحدى خلايا الحزب الوطني، وعُهد إليها بتنظيم الحركة النسوية في دائرة الحزب، ولما تولى زوجها الأستاذ محمد الفاسي مديرية جامعة

القرويين اغتنمت بعض الفرص، وكونت وفداً نسائياً تشرف بمقابلة جلالة الملك المعظم طالباً منه أن يعطي أوامره بفتح فرع خاص للطالبات الفاسيات يكون تابعاً للقرويين فأذن نور الله ضريحه بذلك، وفتح فرع دراسي للطالبات تخرج منه بعض العالمات أمثال المرحومة الدكتورة زهور الزرقاء والأستاذة حبيبة البورقادية والأستاذة فطومة قباجة وغيرهن كثيرات.

كان نشاط للامالكة الفاسية متعدد الجوانب فزيادة على نشاطها الوطني السياسي كانت تقوم ببعض النشاطات الاجتماعية والثقافية، وكانت من السابقات اللائي طلبن أن تخوّل المرأة المغربية حق المشَاركة في الانتخابات التي تقع في المغرب، وعينت بظهير شريف ضمن اللجنة المركزية المشرفة على التعاون الوطني وساهمت في إنشاء العصبة المغربية للتربية الأساسية ومحاربة الأمية، واستحقت أن تحرز على وسام من منظمة اليونيسكو، وأسست مع جماعة من الوطنيات جمعية المواساة بالرباط لإيواء البنات اليتيمات ومن هواياتها حسبما حكت عن نفسها تعشقها للطرب الأندلسي وأنها كانت تعزف على العود.

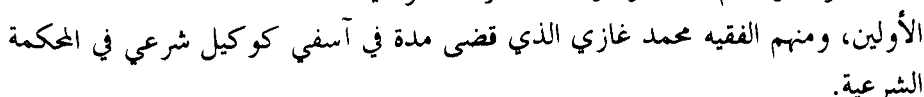
هذه صورة مختصرة عن هذه السيدة الوطنية الفاضلة مالكة الفاسية التي بقيت وفية كل الوفاء لزوجها في حياته وبعد وفاته، وبقيت مخلصة لوطنها وعرش بلادها الذي يتولاه الآن جلالة الحسن الثاني نصره الله ووفقه.

56) السيد مَحمد بلخضير



تعرفت على السيد بلخضير سنة 1943، وكان زميلا للمرحوم أحمد بن اليمني وأصبح صهراً له عندما تزوج ابن اليمني أخت بلخضير.

وكانت ملاحظتي الأولى عندما عرفته أنه شاب هادىء صموت أكثر مايكون الصمت محبباً إلى الإنسان، فهو لايتدخل في فضول، ولايكثر من الكلام غير الضروري ويغلب على طبعه الاستقامة والجدية، ولايباهي أو يفاخر بوطنيته، فهو وطني حر يحب بلاده، ويقدر تمام التقدير رجال الحركة الوطنية



الأولين، ومنهم الفقيه محمد غازي الذي قضى مدة في آسفي كوكيل شرعي في المحكمة الشرعية.

وعندما استقر به المقام في سلا، وعرفت فيه الصفات التي ذكرت، اقترحت على إخواني في جماعة (فتح)، وهي الخلية الأساسية في سلا التي كان يعقد عليها كثير من الآمال، ومن جملة أفرادها الاخوة : محمد البقالي وقاسم الزهيري وعبد الرحيم بوعبيد وأحمد بن اليمني، فقبل الاقتراح وانخرط مَحمد بلخضير معنا في جماعة (فتح) وعندما كنا نتهيأ لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ونبحث عن الأشخاص المؤهلين للتوقيع عليها، اقترحت أن يكون مَحمد بلخضر من جملة الموقعين عن مدينة آسفي، لأنه متوفر على جميع الشروط التي تؤهله لهذا التشريف، خصوصاً وكان الوحيدُ الذي سيوقع من آسفي والذي يسكن عملياً في مدينة آسفي، هو الشيخ عبد السلام المستاري مضافاً إلى الحاج محمد البوعمراني الذي وإن لم يكن ساكنا بآسفي إذ ذاك، فإنه آسفيّ المنبت والمنشأ والتكوين.

وهكذا أضيف إلى الاثنين المذكورين : عبد السلام المستاري والبوعمراني السيد مَحمد بن الخضير، فوقع على الوثيقة بدوره وكان ثالث اثنين من مدينة آسفي الذين وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

ازداد السيد محمد بلخضير في مدينة آسفي سنة 1920 وبها درس دروسه الابتدائية ثم انتقل إلى كوليج مولاي بوسف بالرباط، فانخرط في سلك قسم المعلمين الذي تخرج منه المرحوم ابن اليمني والمرحوم عبد الرحيم بوعبيد، وبعد حصوله على الإجازة في الرياضيات، اشتغل بالتدريس كمعلم في المدرسة الابتدائية مثل ماكان بن اليمني، وبوعبيد ويونس نكروف رحمهم الله جميعاً.

وبعد توقيعه على وثيقة الاستقلال حاولت السلطات الاستعمارية زعزعته عن موقفه الرافض للحماية، ولكنها وجدته رجلا وطنياً صلباً لايمكن أن ينكص على عقبيه، فاستقال من وظيفة التعليم، وتعاطى للعمل الحر كمساعد لوالده الذي كان يشرف على تنظيم المواصلات بين آسفي وغيرها بواسطة الحافلات الكبيرة.

وأثناء تواجده بآسفي انتخب كاتبا لفرع الحزب بآسفي، ثم عين عضوا بالمجلس الأعلى للحزب، وكان له دور في مساندة التعليم الحر بآسفي حيث صار يعطي دروساً في الرياضيات لتلامذة مدرسة الهداية.

وأثناء أزمة سنة 1952 ألقي عليه القبض وسجن بسجن علي أو من مدة ثلاثة أشهر، وبعد نفي محمد الخامس وقيام حركة الاحتجاج ضد هذا النفي الاجرامي ألقى عليه القبض مرة أخرى، وحكم عليه بسنة سجناً قضاها في سجون الصويرة والرباط

وعين علي أومن، وبعد الاستقلال عيّن باشا على مدينة آسفي ليعود بعد ذلك إلى ممارسة أعماله الحرة.

والسيد مَحمد بن الخضر من المولعين بالطرب الأندلسي والمهتمين بجمع أشعاره وأسطواناته وكاسيتاته المسجلة فيها أنغامه وطبوعاته وكثيرا ماكان يقيم في بيته سهرات تشارك فيها الأجواق المغربية الهامة، ومن جملتها جوق الفقيد عبد الكريم الرايس رحمه الله.

ولازال لحد الآن محل الاعتبار والتقدير من إخوانه في الحزب ومن جميع سكان مدينة آسفي، حفظه الله ورعاه.

57) السيد الهاشمي الفيلالي



لم أتعرف على الأستاذ الهاشمي الفلالي إلاَّ في أوائل الثلاثينيات، وإن كان بعض إخواني الذين سبقوني في الحقل الوطني والثقافي تعرفوا عليه أواخر العشرينات، فلقد كان له اتصال بجمعية «الوداد» السرية التي تحدثت عنها في الجزء الأول من مذكراتي، والتي كان من المؤسسين الأساسيين لها، السادة : محمد بن بوبكر اشماعو والسعيد حجي والصديق بن العربي ومصطفى الغربي الرباطي، والتي كان لها نشاط ملحوظ في الميدان الوطني والثقافي والصحفي.

لقد سمعت الحديث عن الأخ الهاشمي أولا من بعض هؤلاء الإخوة الذين ذكرت أسماءهم وبالأخص من المرحوم سعيد حجي الذي كانت له مراسلات متعددة مع الهاشمي الفلالي سواء أثناء وجود السعيد بالمغرب، أو حتى أثناء سفره إلى الشرق العربي. وأثناء اتصالي ببعض الاخوان الوطنيين بفاس مثل الحاج عمر بن عبد الجليل والزعيم علال الفاسي وآخرين كثيرين، كان الهاشمي الفيلالي من البارزين الذين اتصلت بهم وزرتهم في بيتهم، وأذكر أنني زرت ذات مرة الهاشمي الفلالي في بيته فوجدته مفتوحاً على مصراعيه للطلبة، وكتبه جميعها معدّة ليستفيدوا منها، وهو يستقبل الجميع بصدر رحب، وترحاب كبير.

وتقوت الاتصالات بيننا منذ ذلك الحين، وبقيت العلاقات تتوطد، والأخوّة تتقوى وتتزايد إلى حد كتابة هذه السطور.

الزائر الوطني لفاس، لابد أن تطرق سمعه أسماء عمد الحركة الوطنية فيها وفي طليعتهم الزعيم علال الفاسي والزعيم محمد بن الحسن الوزاني والهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن إدريس وبوشتى الجامعي. لقد كان اسم الهاشمي الفيلالي يذكر في محافل كل الوطنيين العاملين المجدين المضحين، فتجد الحديث عنه لدى طلبة القرويين ولدى التجار المتوسطين ولدى الصناع المحترفين، والكل يقول :

ان الهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن إدريس التوأمان الوطنيان، وهبا أنفسهما للوطن والوطنية، وللنضال وللتضحية، ووقعت أحداث وأحداث، وتوالت نشاطات ونشاطات، ولابد أن يكون الهاشمي الفلالي من المساهمين فيها، فإذا ماوقعت مظاهرات أو احتجاجات، فالهاشمي في الصف الأول، وإذا ما امتلأت السجون بالأحرار الوطنيين، فلابد أن يكون الهاشمي من جملتهم، وإذا ماتصفحت الجرائد الوطنية وبالأخص جريدة (الأطلس) التي كان يديرها المرحوم محمد اليزيدي فتجد المقالات المتعددة في المواضيع الوقتية المعبرة عن أماني الوطنيين وحتى في المجال الثقافي الواسع، لابد أن تجد الهاشمي معك فيها، وعندما قررت شركة النشر المغربية طبع كتاب «القرطاس» عهدت بتصحيحه ومقابلة نسخه للهاشمي الفلالي.

لقد كانت له مشاركة هامة في جميع الميادين السياسية والثقافية والصحفية والتربوية، ففي الوقت الذي كان يسلط اهتمامه على تكوين الجماعات الوطنية، والخلايا الحزبية، كان يشرف في مدرسته (النجاح) على تربية الأبناء وتكوينهم وإعدادهم لمعركة الحياة.

عرفت الهاشمي الفيلالي مناضلا وطنياً طوال فترة الكفاح ضد المستعمر، وعرفته في السجن شهماً ثابتاً صامداً، أدرك منذ شبابه الأول أن الاستقلال يوخذ ولايعطى، وأن الطريق الموصلة إليه، هي طريق الكفاح والتضحية في سبيل الله والوطن.

لقد أوذى أقوى إذاية في سجناته المتعددة، فضُرب بالسوط، وعلق من رجليه، وقاسى المحن، فلم يهِنْ ولم يضعُف، وتحمل الأذى بصبر المومنين.

وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال، كان الهاشمي الفلالي من أول الموقعين وفي طليعة الوفود التي قدمت الوثيقة الاستقلالية إلى جلالة الملك محمد الخامس، وأثناء أزمة سنة 1952، أحيل الهاشمي الفلالي على المحكمة العسكرية مع بقية إخوانه المسؤولين في الحزب، وقبل ذلك بكثير أثناء الاحتجاج ضدَّ صدور الظهير البربري 1930 كان الهاشمي من جملة الذين جلدوا على أرجلهم من طرف الباشا بوشتى بن البغدادي وفي سنة 1937 بعد المظاهرة الصاخبة التي وقعت بفاس قاسى الشدائد من

الكومندار (أيار) الذي بسبب قسوته وغلظته وجبروته سقط الشهيد القرّي ضحية تعسفه وقساوته، وفي سنة 1944 ألصق الاستعماريون به تهمة الاتصال بالألمانيين بواسطة الشيخ هلال الذي له معه قصة، تحدثت عنها في الجزء الثاني من المذكرات.

ازداد الأستاذ الهاشمي الفيلالي بمدينة فاس سنة 1912، وبها تلقى تعليمه الابتدائي وغيره، واعتكف على المطالعات المتنوعة، فنمى ثقافته معتمداً على نفسه، واطلع على نهضات الأمم ويقظتها، وتتبع الحركات التحررية في العالم فاكتسب ثقافة سياسية هامة، أفاد منها واستفاد.

وبعد فترة الاستقلال كان هو المسؤول الأول في الحزب في مدينة الدار البيضاء كمفتش للحزب، وعندما تكون المجلس الوطني الاستشاري كان من جملة الأعضاء الذين يمثلون الحزب فيه، وفي سنة 1963 انتخب عضواً برلمانيا عن الدار البيضاء، وفي سنة 1982 عيّن وزيراً للأوقاف والشؤون الاسلامية، ثم أعفي من الوزارة ليلتحق بالديوان الملكي بصفة مستشار.

ولازال الهاشمي الفلالي إلى الآن من المناضلين المتتبعين لنشاط الحزب باعتباره عضواً في مجلس الرئاسة وفي اللجنة التنفيذية حفظه الله ورعاه.

58) السيد محمد البقالي



قد يكون الأخ محمد البقالي من القلائل الذين صاحبتهم منذ الصغر، أي منذ أن كنا جميعاً في مدرسة درب لعلو الحرة، نحفظ القرآن، ونتعاطى الدروس الأولية في الدين واللغة والأدب، وشاءت الأقدار أن نلتقي مرة أخرى في مدرسة أبناء الأعيان حيث كان سبقني إليها، فالتحقت به لأتعاطى دروساً في علم البلاغة على شيخنا زين العابدين ابن اعبوّد، ثم لأتعاطى دروساً في اللّغة الفرنسية، ثم تأكد الارتباط بالأخ محمد البقالي عندما طردني مدير المدرسة المذكورة بسبب أفكاري الوطنية التي صار يتخوف منها، فنتج عن طردي قيام حركة احتجاجية من تلامذة المدرسة كان في طليعة المحتجين الأخ البقالي الذي طرد هو بدوره من المدرسة مع آخرين.

وعند ذاك تطورت العلاقة بيني وبين البقالي من درجة مطلق صداقة إلى تعاون وطني متين، أخذنا فيه العهد على أنفسنا أن نسير في خطّة الكفاح والعمل المشترك لصالح وطننا وأمتنا وأبناء شعبنا.

وهكذا فتحنا مدرسة ــ بقرار مني ــ كان البقالي والحاج أحمد معنينو محمد بن المكي القادري من المُساندين لي والعاملين معي بإخلاص حتى كأننا جسم واحد. بل كنّا والحمد لله يداً واحدة.

لم يكن عملنا مقتصراً على تعليم أبناء وطننا، بل خضنا معاً معركة الكفاح الوطني بجميع مايتطلبه هذا الكفاح من تضحية ودؤوب واستمرار.

وشاءت الأقدار أن يكون البقالي بجانبي ونحن الاثنين نؤخذ إلى سجن الرباط، لنقضي أياماً فيه من أجل إصرارنا على فتح فرع لمدرستنا الحُرَّة نتيجة الاقبال الذي حصل على مدرستنا، ثم جاءت النشاطات الوطنية المختلفة من مطالبة بالإصلاحات والحريات العامة، إلى المطالبة بالاستقلال. ليكون البقالي في طليعة المطالبين والمضحين والمتضامنين.

مسيرة طويلة بيني وبين البقالي، لم أجده فيها إلا مثال الوطني الصادق الذي لايتأخر ولاينكص على عقبيه، مهما كانت الظروف والملابسات، ولاأذكر وقد زادت صداقتي معه على الستين سنة أن خصاماً وقع بيننا، أو خلافاً أفسد علاقاتنا الأخوية المبنية على تقوى من الله ورضوان.

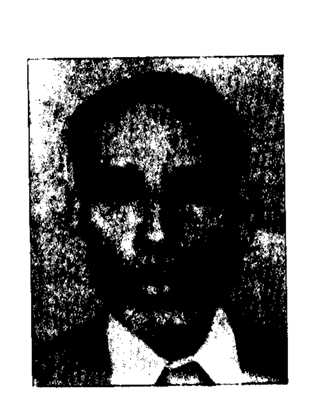
لقد عملنا جميعاً في نطاق كتلة العمل الوطني، وفي نطاق الحزب الوطني، وفي نطاق حزب الاستقلال، وفي نطاق جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وفي نطاق الطائفة، وهي الجناح السري للحزب الوطني، وفي غير ماذكر من الميادين الوطنية والثقافية والدينية، فكان البقالي معي فيها مثال الأخ الوفي الصادق وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال، كان البقالي من جملة الموقعين الأولين دون تردد، وعندما كان الحزب يقرر القيام بحركات احتجاجية أو تضامنية أو اجتماعات في الدور أو في المساجد، يكون البقالي من أوائل الملبين، والمنفذين، سجن لأول مرة في سنة 1936 في قضية المدرسة. ثم سجن في السنة نفسها من أجل المظاهرة التي وقعت في سلا بعد إلقاء القبض على الزعماء الثلاثة : علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي، ثم سجن للمرة الثالثة في سنة 1937 بعد نفي الزعيم علال واعتقال أصحابه في مختلف فروع الحزب، ثم سجن للمرة الرابعة سنة 1944 بعدما شارك مشاركة عملية في قيادة مظاهرة 29

يناير 1944 إثر إلقاء القبض على الزعيم بلافريج، ثم سجن للمرة الخامسة بعد أحداث ديسمبر 1952، ونقل إلى الصحراء فقضى مدة سنتين تقريباً في كل من الطاوس وارفود ثم اغبالو نكردون فحياته أيام الاستعمار كلها تضحية ووفاء لبلاده.

وبعد الاستقلال وتأسيس وزارة التربية الوطنية، عيّن كاتباً خاصا لأخينا الوزير الأستاذ محمد الفاسي، ثم انتقل سنة 1965 إلى ثانوية النجد ليعهد إليه بمهام إدارية، ولما تعيّن الأستاذ محمد الفاسي وزيراً للثقافة دعاه ليكون عضواً في ديوانه الوزاري. كما عينه في مركز التنسيق الوطنية العربية التابعة لليونيسكو. وأحيل على التقاعد سنة 1975، وشارك مشاركة عملية في المسيرة الخضراء التي دعا إليها وسهر على نجاحها مبدع المسيرة الخضراء ومحرر الصحراء جلالة الحسن الثاني نصره الله.

والميزة التي يتميز بها البقالي الوفاء بالعهد، والإخلاص في الصداقة، والثبات على المبدأ، حفظه الله ووفقه.

59) الفقيه السيد محمد الحمداوي



من خيرة الوطنيين الذين تعرفت إليهم في الثلاثينيات الأستاذ محمد الحمداوي وكانت أول رؤية له من بعيد في سجن الرباط سنة 1937 حيث كان من جملة المعتقلين من الدار البيضاء الذين تظاهروا احتجاجاً على إلقاء القبض على قادة الحزب الوطني وفي طليعتهم زعيم التحرير علال الفاسي، وبعد خروجنا من السجن بعدما قضينا فيه سنة كاملة، عرفت من قريب الفقيه الحمداوي، وكانت لي اتصالات به في نطاق العمل الوطني، وأذكر أنني تحادثت معه في مواضيع هامة كانت فيها لديَّ عدة تساؤلات، استفدت منه خلال الحديث معه على كثير من حقائقها.

كان الأستاذ الحمداوي يدير مدرسة النجاح، وكانت أول زيارة لي إليها صحبة ناظر الأحباس بالدار البيضاء الصديق المرحوم عبد الرحمان عواد حيث كانت ابنته الأستاذة مارية من جملة تلامذتها، فصحبته للاطلاع على سير الدراسة بالنسبة للتلميذة المذكورة، وعلى المدرسة بصفة عامة، ولقد أخذت فكرة جد طيبة عن سير المدرسة، وعن نجاح المسيّر لها في أداء مهمته التعليمية والتربوية. وزادت معرفتي به وبالمدرسة عندما قرر

بعض الوطنيين الميسورين وفي طليعتهم المرحوم ابن كيران أن يساعدوا المدرسة ومديرها ويشيدوا لها بناية عصرية صالحة دشنتها الأميرة عائشة بنت محمد الخامس وأطلق عليها معهد الأميرة للاعائشة بذل مدرسة النجاح.

وجاء قرار المطالبة بالاستقلال ليكون الفقيه الحمداوي من جملة الموقعين عن الدار البيضاء مع الأستاذ بوشتى الجامعي والحاج عمر بن عبد الجليل وسيدي أحمد بندلة ومَحمد (فتحاً) بناني ومحمد العلمي، وكلهم كانوا إذذاك في الدار البيضاء.

ولدى قرار الإضراب الذي اتخذه حزب الاستقلال بعد اعتقال الزعيم بلافريج، كان الفقيه الحمداوي من جملة الذين استدعاهم الباشا الطيب المقري، ليقع البحث معهم عن وجود مخرج يتحقق فيه التضامن مع المعتقلين، دون أن تتطور الأحداث إلى مالا تحمد عقباه، فكان قرار الإضراب العام الشامل بالدار البيضاء دون وقوع مظاهرات في الشوارع حسبما تحدثت عنه في مذكراتي عن أحداث الدار البيضاء سنة 1944.

بقي اتصالنا المبدئيُّ بالفقيه الحمداوي وتعاطفه معنا في الحزب، وتعاطفنا معه في نشاطاته الوطنية والعلمية والثقافية، وكان إخواننا في الدار البيضاء يعتبرون الفقيه الحمداوي من الركائز التي ترتكز عليها الحركة الوطنية، ومن المراجع التي يرجع إليها في المهمات، فكان يكتب بجريدة الأطلس الأسبوعية التي كان يشرف عليها المرحوم محمد اليزيدي وتعبر عن رأي الحزب الوطني لتحقيق المطالب كما كان يكتب بجريدة «المغرب» التي كان يديرها المرحوم السعيد حجي، ولما صدرت (مجلة دعوة الحق) من طرف وزارة الأوقاف باقتراح من الزعيم علال الفاسي، وبإشراف فعلي من المرحوم المكي بادو، كان الحمداوي من جملة الذين كتبوا فيها دراسات ومقالات كما كان يكتب بجريدة (الزهرة التونسية).

وإثر الأحداث والاضرابات التي وقعت في المغرب وفي الدار البيضاء في دجنبر 1952 وقع اعتقال الفقيه الحمداوي للمرة الثانية، فنفي إلى آيت شغروشن تم تالسينت، ثم إلى غبالو نكردوس ليلتحق مع إخوانه وخلانه المعتقلين وفي طليعتهم بالنسبة له المرحوم المختار السوسي، فدام اعتقاله سنتين كاملتين، وبعد الاستقلال تولى مهنة القضاء بسطات، ولكن الوظيف من حيث هو، لم يكن يروقه. فتخلى عن القضاء، وانصرف للمطالعة والبحث والكتابة والتأليف، وله كتاب مطبوع في موضوع الفكر الاسلامي يمتاز بدقة البحث، ويعبر عن الآفاق العلمية التي تحلى بها الفقيه الحمداوي.

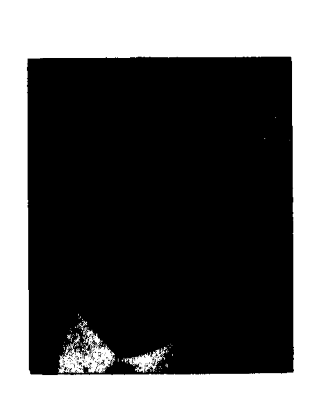
تعددت اتصالاتي بالفقيه الحمداوي عندما كان يزور في سلا أخانا المرحوم الفقيه

المطلع المؤرخ السيد ج محمد التطواني، وكانت المذاكرة معهما تتسم بالعمق والصدق وحسن الإدراك، خصوصاً في مجال الفكر الإسلامي.

وخلال اتصالاتي الأخيرة معه، سواء في الدار البيضاء أو في بيت الأخ علي بركاش أو في غيره، زدت اقتناعاً بأن الرجل يزيد في تطلعاته الروحية العلمية مثل مايزيد تواضعه وزهده في مغريات المظاهر الخداعة الكاذبة.

ازداد الفقيه الحمداوي بزاوية سيدي الحاج التاغي في دائرة ابن أحمد ناحية الدار البيضاء وفيها تلقى تعليمه الأولي ثم انتقل إلى كلية ابن يوسف بمراكش ثم التحق في الأخير بكلية القرويين ليعود متزوداً بثقافة متينة إلى الدار البيضاء ليؤدي رسالته التعليمية الثقافية والوطنية قواه الله وأعانه.

60) السيد عبد الهادي الصقلي



لم يتح لي أن أتعرف على السيد عبد الهادي الصقلي، سواء قبل المطالبة بالاستقلال أو بعد المطالبة بالاستقلال، ولست أدري مقدار اتصاله بأعضاء الحزب بفاس التي نشأ فيها ودرج فيها أيّام شبابه... ولم يسبق للأخوين المرحومين الحاج عمر بن عبد الجليل ومَحمد بن سودة أن حدثاني عنه بعد توقيعه لوثيقة المطالبة بالاستقلال، ولذلك فإن معرفتي به تعتبر ناقصة لأني لاأذكر أنني اتصلت به أو تحدّثت إليه، وكيفما كان الأمر، فإن السيد عبد الهادي الصقلي كان ممن وفقه الله وأسعده بالتوقيع على المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، ويظهر أن معرفة الحاج عمر بن عبد الجليل ومَحمد بن سودة بالسيد عبد الهادي الصقلي وثقتهما في إخلاصه وصدق وطنيته كان الدافع الأساسي لهما ليطلبا منه أن يوقع على الوثيقة.

لقد وقع السيد عبد الهادي الصقلي على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهذا التوقيع جعل الادارة الفرنسية تحقد عليه بدوره، فتعتقله وترمي به في سجن برج النور بفاس، وتوقفه عن العمل، وتنفيه إلى تاوريرت أولا، ثم إلى شيشاوة ثانيا، حيث قضى مدة طويلة بعيداً عن أصله ومواطنيه وإخوانه.

ازداد السيد عبد الهادي الصقلي سنة 1915 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بفاس،

ثم انتقل إلى المدرسة العليا للإدارة بالرباط، حيث حصل على شهادة الكفاءة في الترجمة، ثم عيّن مترجما مدنيا بمحكمة فاس.

وبعد الاستقلال، التحق بسلك القضاء، وذلك في عهد المرحوم عبد الكريم بن جلون الذي كان وزيراً للعدل، ثم انتقل إلى مدينة الجديدة، حيث عيّن وكيلا لجلالة الملك، وفي سنة 1958 عيّن رئيساً للمحكمة الابتدائية بنفس المدينة، ثم نقل إلى الدار البيضاء حيث عين نائباً لرئيس المحكمة، ثم مستشاراً بمحكمة الاستيناف، وما أن جاءت سنة 1975 حتى أحيل على المعاش. جزاه الله خيراً على ما قدم من الصالحات.

61) الحاج عثمان جوريو



هناك بعض الشخصيات الوطنية، لم تلق عليهم الأضواء السياسية، وإن كانت تحركاتهم ونشاطاتهم الثقافية والعلمية والتربوية، تعتبر في المركز الأول من النشاط والعمل السياسي.

ومن هؤلاء الحاج عثمان جوريو الذي يعتبر بحق من دعائم الحركة الوطنية في الرباط سواء في الثلاثينيات عندما كانت الحركة الوطنية تتجلى في نطاق كتلة العمل الوطني ثم في نطاق الحزب الوطني، أو في الأربعينيات والخمسينيات عندما تطور العمل الوطني من حركة المطالبة بالاصلاح إلى المطالبة بالاستقلال.

الكثيرون يعلمون عن الحاج عثمان جوريو أنه من المؤسسين الأولين للتعليم الحر بالرباط سواء أثناء إنشائه للمدرسة الرحمانية، أو تدريسه بمعهد جسّوس، أومساهمته الفعالة في تأسيس مدارس محمد الخامس وتسييرها مع مديرها الأول المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي، لقد كان الحاج عثمان عنصراً نشيطاً في ميدان التعليم، سواء وهو يلقي الدروس ويكوّن الأجيال، أو وهو يدير المدارس بنشاط وحيوية، ودؤوب خلال الفترات الطويلة من حياته حفظه الله ولكن الكثيرين من رجال الحزب يعلمون أيضاً أن الحاج عثمان كان عنصراً متحركاً نشيطاً في مجال التكوين الوطني، سواء في فترة الحزب الوطني أو في فترة حزب الاستقلال، سواء قبل الاستقلال، أو بعد الاستقلال، لقد انخرط في العمل الوطني أوائل الثلاثينيات، وكان من الرواد الأولين الذين تعاونوا مع المرحوم محمد اليزيدي الذي قاد في الرباط معركة الاحتجاج ضد صدور الظهير

البربري الذي كان يهدف إلى تقسيم الشعب المغربي، والتفريق بين عربه وبربره، وتعاون مع المرحوم الحاج أحمد بلافريج خصوصاً أثناء تأسيسه لمعهد جسّوس الحر، وأثناء الأزمات التي تعرض لها هذا المعهد عندما ألقى القبض على مؤسسه بلافريج والرمي به في سجن الرباط ثم نفيه إلى كورسيكا.

كان للحاج عثمان نشاط وطني متميز، عندما كان يجمع التلاميذ ويدربهم على التغني بأناشيد وطنية حماسية، كان البعض منها من نظمه، والبعض الآخر من وضع غيره من الشعراء، وكان له نشاط ملحوظ وهو يحرر العرائض المؤيدة للمطالبة بالاستقلال والتي رفعها علماء الرباط وتجار الرباط والمحترفون في الرباط، وكان للحاج عثمان دوره النشيط عندما كانت تصدر جريدة الأطلس لسان الحزب الوطني، فكان ينشر فيها المقالات والمراسلات، وكان له دوره في التربية والتعليم عندما دعي إلى القصر الملكي ليعطي دروساًخصوصية لصاحبة السمو الملكي الأميرة للانزهة ورفيقاتها في الدراسة. وكان له دوره في الحفلات الوطنية التي كانت تقام في المناسبات الوطنية والدينية، حيث كان يلقي خطباً حماسية تعبر التعبير الصادق عن روحه الوطنية وغيرته الاسلامية.

لم يكن الحاج عثمان جوريو بمعزل عن أي نشاط وطني، ولما حضرت وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان من الموقعين عليها كعالم وأديب وشاعر، وأثناء أزمة دجنبر 1952 عندما قرر حزب الاستقلال، التضامن مع الشعب التونسي الشقيق إثر الاعتداء الذي وقع على الزعيم النقابي فرحات حشاد من طرف جمعية الوجود الفرنسي كان الحاج عثمان من المتضامنين الأولين، فوقع اعتقاله مع المآت من المعتقلين الوطنيين، ونفي إلى كلميم في الصحراء.

ولازلت أذكر وقد ألقى القبض علينا يوم عاشر دجنبر 1952، فجمعونا أولاً بمعسكر (كان كارني) بالرباط، ثم في غسق الليل أخذونا في سيارات عسكرية إلى أكادير، ومنها فرقونا في القرى والسجون المختلفة في سوس وفي الصحراء وكان الحاج عثمان من جملة هؤلاء الذين أخذوهم معنا حيث نفوه أولا إلى كلميم ثم إلى غبالو نكردوس حيث التقى مع كثير من أعضاء الحزب الذين كانوا معتقلين هناك.

لقد أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة بلاده لتتمتع بحريتها وتنعم باستقلالها وتحافظ ومقوماتها الدينية والثقافية والسياسية.

لقد ازداد الحاج عثمان جوريو بمدينة الرباط سنة 1916 وتلقى تعليمه جميعه بالرباط، ودرس على علماء أجلة، وشيوخ كبار، أمثال الشيخ بوشعيب الدكالي والعلامة المدني

بن الحسني والعلامة السائح وغيرهم، ولديه شهادات وإجازات علمية، تشهد بكفاءته في مجال العلم والأدب والشعر.

ولقد تعاطى لإعطاء الدروس في المساجد القرآنية والميتم الإسلامي، زيادة على الدروس التي كان يعطيها بالمدارس الحرة.

والحاج عثمان أديب متفوق، وشاعر ذواق، وفنان مبدع، فهو يقول الشعر، ويعزف على البيان، ويتغنى وينشد مع أبدع المغنين والمنشدين وبالإضافة إلى ذلك فالحاج عثمان يرتل كتاب الله المنزل أحسن ترتيل ويقرأ القرآن ببعض القراءات السبع، ويقول الشعر في كثير من المناسبات كان من المؤسسين لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، ومن الأعضاء العاملين في جمعية شباب النهضة الاسلامية ورابطة علماء المغرب، ورابطة مدير التعليم الحر، ولازال يواصل نشاطه التعليمي والتربوي على رأس إدارة مدارس محمد الخامس بالرباط. حفظه الله وأعانه.

62) السيد مَحمد بن الجيلاني بناني



السيد مَحمد بن الجيلاني بناني كان من العناصر النشيطة في الحزب الوطني ثم في حزب الاستقلال، نشأ نشأة وطنية في مدينة القنيطرة، وكان من الشباب الحي المتوثب منذ صغره يتتبع الأحداث، ويهتم بالقضايا الوطنية وقضايا المقاومة المغربية في الريف وفي غيره، ويقول عن نفسه : انه كان — رغم صغر سنه — يتتبع اندلاع الثورة الريفية نظراً للدور الذي كان يلعبه ميناء القنيطرة في شحن الأسلحة إلى الجبهة الشمالية. ولما كان والده السيد الجيلاني من الدعائم التي تروّج للاقتصاد المغربي في القنيطرة مع الشريف الوطنيْ الجليل سيدي مشيش العلمي، فلقد نمت فيه حاسة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية من تجارة وغيرها، ولذلك نراه عندما ينهي دراسته الابتدائية والثانوية بمدينة القنيطرة يتجه مع والده إلى التجارة بالقنيطرة أولا، ثم ينتقل إلى الدار البيضاء في سنة 1940 ليفتح متجراً بطريق مديونة وليواصل مع إخوانه في الحزب عمله الوطني.

وفي سنة 1943 عندما قرر الحزب تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، دُعي إلى التوقيع على الوثيقة المؤرخة بحادي عشر يناير 1944، فكان ممن هيأت له الأقدار شوف هذا

التوقيع، وكان أهلا له نظراً لأنه كان انخرط في الجناح السري للحزب المسمى بالطائفة أو الزاوية.

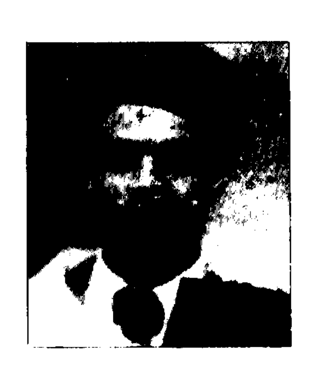
لقد كان مَحمد بناني كما قلت من الشباب الوطني الملتزم منذ صغره، ولذلك نراه أثناء الانتفاضة التاريخية التي انتفضتها مدينة القنيطرة من أكتوبر 1937 إثر نفي المتزعمين للانتفاضة التي سقطت فيها أرواح وشهداء، فكانت النتيجة أن ألقى عليه القبض مثل الكثيرين من إخوانه في القنيطرة، فحكم عليه بسنتين سجناً قضاهما في كل من الريش في الصحراء وفي سجن عين علي أو مومن بناحية سطات وبسجن غبيلة بالدار البيضاء وفي الريش بالخصوص ذاق ألواناًمن العذاب، وكثيراً من المحن.

وفي أزمة عام 1952 عندما دعا الحزب إلى الإضراب العام بمناسبة اغتيال الزعيم النقابي التونسي من طرف الوجود الفرنسي، كان من جملة الذين اعتقلوا، وقدموا إلى المحكمة العسكرية بتهمة المس بالأمن الداخلي والخارجي للبلاد، فقضى مدة بسجن الدار البيضاء، ثم نقل إلى سجن العدير بناحية الجديدة ثم نفي إلى أرفود بالصحراء.

وبعد الاستقلال رجع إلى حركته الاقتصادية. بعدما زاد اختباراً ومعرفة بمختلف الميادين الاقتصادية، فساهم في إنشاء شركة الخطوط الجوية الملكية، وفي إنشاء البنك المغربي للتجارة الخارجية وفي تأسيس شركة التأمين الملكي وفي تكوين الاتحاد العام للصناعة والتجارة، وأصبح من العمد والمراجع التي يرجع إليها الحزب في المجال الاقتصادي، وكان عضوا بالمجلس الوطني لحزب الاستقلال زيادة على مسؤوليته أولا في مدينة الدار البيضاء

ازداد السيد مَحمد بن الجيلاني بناني في 16 ماي 1916 ولقي ربه بتاريخ 25 غشت 1992 رحمه الله وجازاه على ماقدم من الصالحات.

63) السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد الزموري الإدريسي



يعتبر السيد عبد الحميد بن مولاي أحمد الزموري من أوائل الشباب الزموري الذي اعتنق الفكر الوطني وقاوم المخططات الاستعمارية التفريقية

نشأ في مدينة الخميسات التي أصبحت المركز الهام الأساسي للانبعاث الوطني، والتي كان رجال الاستعمار يريدون أن يجعلوا منها مركز انطلاق دعوتهم التفريقية العنصرية

لقد ازداد عبد الحميد سنة 1922 بالخميسات، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم انتقل

إلى مدينة آزرو ليلتحق (بكوليج دازرو) الذي أنشأه الاستعمار الفرنسي ليكون بؤرة للأفكار العنصرية، وليكوّن فيه أبناء إخواننا الأمازيغيين على أساس أفكار عنصرية مقيتة تفريقية، تبعدهم عن مجتمعهم المغربي الأمازيغي العربي المسلم المتشبث بعقيدته القرآنية، ولسانه العربي المبين، فأراد الله سبحانه أن يخيب مسعى الاستعماريين وأذنابهم، وصار يتخرج من ذلك الكوليج أمثال عبد الحميد الزموري الذين كافحوا الأفكار التي أتى بها الاستعمار، وأكدوا ارتباطهم بأجدادهم الأمازيغيين واليعربيين وانتماءهم للسلالة النبوية الطاهرة، عاش عبد الحميد الزموري في الخميسات ليرى بأم عينيه مايدبره الاستعمار لبني وطنه وإخوانه من أنواع المكر، فتحركت فيه عاطفته الوطنية، وشهامته الاسلامية فقاوم وهو صغير السياسة البربرية التي خطط لها ليوطي وستيغ ولوسيان سان، واندفع مع الشباب أمثاله يتظاهر ضد تلك السياسة الماكرة، ويعلن انتماءه الدائم لوطنه الموحد. وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال دعى للتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال هو وبعض إخوانه وعلى رأسهم صديقه ورفيقه الوطني الحر المسلم الصادق سي اعمرو أوبناصر ليمضوا على الوثيقة، فما كان منه إلا أن يلبي، وينال شرف التوقيع على الوثيقة التي رفضت الاستعمار والاحتلال.

وكانت النتيجة المنتظرة من طرف السلطات الاستعمارية، هي طرده من وظيفته في التعليم والحكم عليه بسنتين سجناً.

وبعد سراحه انتقل إلى مدينة الدار البيضاء حيث تعاطى للعمل الحر، فاشتغل رئيساً لشركة أسسها مع مجموعة من إخوانه الوطنيين، وصار في الوقت نفسه يتابع نشاطه الوطني كعضو في المجلس الأعلى لحزب الاستقلال، وعندما جاءت أزمة سنة 1953 بعد نفي محمد الخامس، ألقي عليه القبض، وحكم عليه بسنة سجناً.

وبعد الاستقلال عيّن عاملا على إقليم الدار البيضاء، ثم في سنة 1961 انتقل كعامل على إقليم الرباط، ثم عين مكلفاً بمهمة في الديوان الملكي، ثم في سنة 1965 عين وزيراً للتجارة والصناعة التقليدية، ثم بعد ذلك صار يباشر نشاطه الاقتصادي الحر. أعانه الله.

64) السيد محمد بن عبد الرحمان السعداني



عرفت السيد محمد السعداني من بعيد قبل أن أتصل به، فلقد كنت أسمع عنه خلال الثلاثينيات أنه من شباب الحزب الوطني المتحمسين، وأنه من الذين عُهد إليهم أن يتحملوا تنشيط حركة الحزب إذا ماتعرضت قيادة الحزب بفاس إلى الاعتقال.

وبعد خروجي من السجن في 27 أكتوبر 1938 قصدت مدينة فاس للاتصال مع بعض الاخوان الذين وقع سراحهم هم أيضاً، وفي الوقت نفسه حاولت الاتصال بمحمد عبد الرحمان السعداني الذي كنت موقناً أنه من المسؤولين عن لجنة الاستخبارات في الحزب بفاس، وكانت تذيع بعض النشرات باسم الحزب وتتخذ بعض المواقف السياسية التي كنت رأيت إذ ذاك أنه من الضروري وقد خرج كثير من الوطنيين من الحزب وفيهم الفقيه غازي والحاج أحمد الشرقاوي وغيرهما من الرباط وغيرهم من مدن أخرى، من الضروري أن تتوحّد الآراء، وينتظم العمل بعد بدو بعض الانفراج السياسي، خصوصاً وبوادر الحرب تدق الأبواب. لقد كنت كاتبت الأخ بلافريج بسويسرا فأجابني بأنه من الضروري إعادة تنظيم الحركة على أساس المستجدات التي جدّت، وأن الحاضر ــ حسب تعبيره يرى مالا يراه الغائب. قلت إنني حاولت الاتصال بالأستاذ السعداني ولكني لم أوفّق، ولذلك فقد أخذت طريقي مع بعض إخواني في سلا والرباط والدار البيضاء، وصرنا ننظم شؤون الحزب حسب اجتهاداتنا والظروف المحيطة بنا، سواء منها الظروف الداخلية أو الدولية.

كان للأستاذ السعداني نشاط ملحوظ ومحدود أيضاً في تلك الأثناء، وصرنا نشق طريقنا في العمل الوطني، وإن كنا نشعر بعدم التنسيق مع إخواننا بفاس وتجلى هذا في بعض المواقف التي كادت أن تكون متباينة، مثل الموقف الذي اتخذناه عندما أشيع أن الزعيم علال الفاسي انتقل إلى عفو الله أثناء اعتقاله فاتخذنا الوسائل والامكانيات التي استطعنا الحصول عليها لنستطلع الحقيقة، ولما تأكد لنا أن الاشاعة مكذوبة، وأن الذي أذاعها هو راديو برلين قررنا أن نطمن شعبنا بأن زعيمنا يتمتع بصحة جيدة، وقالوا وأذاعوا أننا نريد أن نهدىء الشعب بتكذيب الخبر المذاع، ولكنا كنا نشعر أننا قمنا بالواجب المفروض علينا.

ومضت أيام وأيام، وأطلق سراح بعض قادة الحزب ومن جملتهم المرحوم عبد العزيز بن إدريس والأخ الهاشمي الفلالي فنظمنا الاتصال معهما ومن خلالهما وحدنا العمل الوطني الذي يقوم به حزبنا أثناء تلك الظروف.

ولدى تحضيرنا لوثيقة المطالبة بالاستقلال دعى محمد بن عبد الرحمان السعداني لتوقيعها مع الذين وقعوها من فاس وغيرها من المدن المغربية، فنال بدوره شرف هذا التوقيع خصوصاً وقد كان دعي إلى الانخراط في سلك الطائفة وهي الجناح السري للحزب الوطني وأدى القسم المفروض عليه من أجل ذلك.

لقد وقع السعداني على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ولما امتدت أيدي الاستعمار إلى بعض قادة الحزب ومنهم الهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن إدريس وبلافريج قامت فاس مثل الرباط وسلا بواجبها في التضامن، فقامت مظاهرات صاخبة ومستمرة أياماً عديدة بفاس، وكان من جملة المؤطرين لهذه المظاهرات الأستاذ محمد السعداني وعبد السلام بن عبد الجليل والطاهر غلاب وعبد الوهاب الفاسي، فألقى القبض على السعداني مع عبد الوهاب الفاسي وسجنا ببرج النور بفاس، ثم بعدما أصيب بمرض نقل إلى الاعتقال بمستشفى سجن مكناس.

وبعد انفراج الأزمة بعد انتهاء الحرب، ارتحل محمد السعداني إلى مصر، وانخرط في جامعتها في الاسكندرية، ثم انتقل إلى بريطانيا وسجل بجامعة كامبريدج لنيل الدكتورة، وكان أول طالب ينال الدكتورة من تلك الجامعة وجاء الاستقلال، وانفتحت الأبواب أمام المغتربين فرجع السعداني إلى المغرب، ثم عيّن في سفارة المغرب بلندن، ورجع بعد ذلك إلى المغرب ليعيّن رئيساً لقسم إفريقيا بوزارة الشؤون الخارجية، وليقوم بواجبه في الاتصالات وربط العلائق مع الأفارقة وغيرهم، وليشارك في بعض المؤتمرات كمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في بلغراد سنة 1961.

وفي سنة 1962 عين سفيراً للمغرب بدولة نيجيريا، ثم بعد ذلك تولى شؤون السفارة في باكستان وفي ماليزيا، ثم عين سفيراً بالخارجية مشرفاً على شؤون البلاد العربية والجامعة العربية، وعاد للمرة الثانية سفيراً بنيجيريا، وفي سنة 1986 أحيل على التقاعد.

وهو الآن منكب على المطالعة والدرس وتتبع الأحداث، بما عهد فيه من ذكاء وانضباط. حفظه الله وأعانه.

65) السيد محمد بن عزو



من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 السيد محمد بن عزو المكناسي. ويعتبر محمد عزو من الوطنيين الأولين الذين ارتكز حولهم النشاط الوطني في مكناس، ابتداء من الثلاثينيات، وكان لاتصالاته مع الفقيه محمد غازي أثر كبير في تكوينه الوطني، وإيمانه بالأفكار الوطنية، سواء أثناء نشاط كتلة العمل الوطني التي تقدمت بمطالب الشعب المغربي سنة 1934 أو لدى تكوين الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال.

لقد عرفت محمد بن عزو لدى اتصالاتي الأولى مع الرواد الأولين بمكناس وفي طليعتهم المرحوم محمد بن احماد الديغوسي الذي شغل أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات مفتشية الحزب بمكناس، والمرحوم الفقيه السيد أحمد بنشقرون الملقب بولد النبي والعيساوي المسطاسي، وكان هؤلاء الأربعة هم عُمَد حزبنا في مكناس وانضاف إليهم المرحوم الأستاذ إدريس المحمدي عندما التحق بصفوف الحزب لدى تكوين حزب الاستقلال وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

في سنة 1937 عندما ثارت مدينة مكناس ثورتها المشهورة ضد مخطط المعمرين الفرنسيين الذي أرادوا أن يتسلطوا على مياه أبي فكران، ليسقوا بها أراضيهم التي اغتصبوها من أصحابها، ويحرموا المدينة منها مع أنها كانت المَعين الأول للمدينة ولمساجدها، قامت قيامة المكناسيين الوطنيين، لتقف ضد المخطط الفرنسي، وتعترض ضد الاغتصاب الذي أراد المعمرون الفرنسيون أن يغتصبوه. وكان محمد بن عزو من القادة الذين احتجوا وتظاهروا ضد هذا المخطط، وكان نصيبه من السجن بسبب ذلك ثلاثة أشهر قضاها بسجن سيدي سعيد بمكناس.

ونظراً لما كان يتمتع به من صدق في الوطنية اقترح الفقيه غازي أن ينخرط في الجناح السري في الحزب الذي كان يدعى بالطائفة، وهكذا كان هو ومحمد بن احماد الديغوسي وأحمد بنشقرون والعيساوي المسطاسي من الذين يطلعون على بعض القرارات التي يتخذها الحزب قبل أن تبرز للعيان ومنها قرار المطالبة بالاستقلال، ثم كان من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

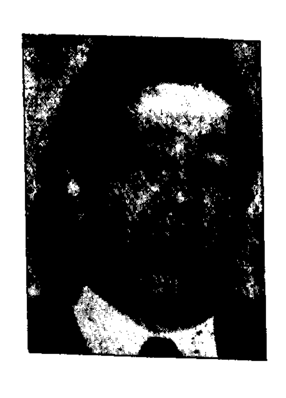
ازداد محمد بن عزو بمدينة مكناس يوم 23 ماي 1909 وكان والده يتعاطى التجارة بمانشيستر بإنجلترا وتلقى تعليمه الأولي بالكتاب القرآني، ثم امتهن التجارة كبائع للأحذية ثم تاجراً في المواشي.

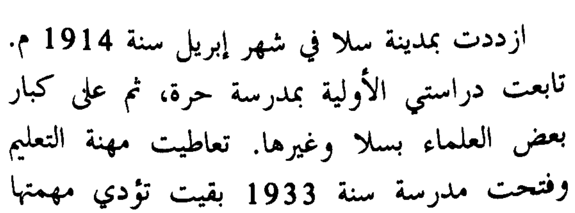
ولم تمنعه تجارته من أن يتابع نشاطه الوطني السياسي فكان كاتباً لفرع الحزب بمكناس من سنة 1944 إلى 1952 ولدى أحداث دجنبر 1952 كان من المعتقلين الذين سجنوا أولا بسجن يوذنيب حيث انضم إلى إخوانه المسجونين الذين منهم إدريس المحمدي ومحمد أبي احماد الديغوسي وبقي في السجن نحواً من ستة أشهر، ثم وقع نقله مع إخوانه إلى معتقل (اغبالو نكردوس) ولم يطلق سراحه إلا في 15 يوليوز 1955

بعد خروجه من السجن تأخر عن نشاطه السياسي، وبقي يتابع الأحداث الوطنية عن بعد، ثم توظف بوزارة الأحباس، قبل أن يحال على التقاعد.

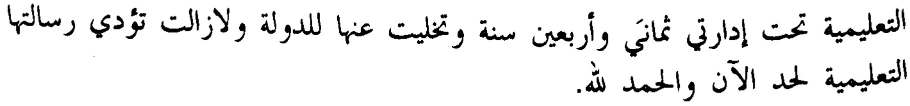
66) أبو بكر القادري

هل من حق صاحب المذكرات أن يترجم لنفسه ؟ سؤال طرحته على نفسي قبل أن أخط هذه الكلمات، وكان جوابي الحاسم أنه لابد من بطاقة تعريف لي حتى لا أغمط حقي ولا أكون من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.





ازددت بمدينة سلا في شهر إبريل سنة 1914 م. تابعت دراستي الأولية بمدرسة حرة، ثم على كبار بعض العلماء بسلا وغيرها. تعاطيت مهنة التعليم وفتحت مدرسة سنة 1933 بقيت تؤدي مهمتها



التعليمية تحت إدارتي ثمانيَ وأربعين سنة وتخليت عنها للدولة ولازالت تؤدي رسالتها التعليمية لحد الآن والحمد لله.

انغمرت في العمل الوطني وأنا في سن السادسة عشرة من عمري، أي سنة 1930. ولدى تقديم مطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934 كنت من العشرة الذين قدموها لجلالة محمد الخامس.

سجنت لأول مرة عام 1936 من أجل فتح مدرسة حرة. ثم سجنت في السنة نفسها من أجل المطالبة بالحريات العامة. ثم سجنت للمرة الثالثة في 27 أكتوبر 1937

بعدما ألقيت خطاباً بالمسجد الأعظم بسلا، تلته مظاهرتان صاخبتان. ودامت هذه السجنة عاماً كاملا.

وبعد توقيعي لوثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944 وما تبعها من مظاهرات، ألقي علي القبض مع إخواني يوم 30 يناير 1944، فتنقلت بين ثلاثة سجون : سجن الرباط، سجن العدير قرب الجديدة، سجن الدار البيضاء. ودامت هذه السجنة نحو العامين.

بعد أحداث ثامن دجنبر 1952 نفيت إلى قرية (تافِينكَولت) بسوس، ثم قدمت إلى المحكمة العسكرية بتهمة الإخلال بالأمن العام الداخلي والخارجي، فمكثت مدة بسجن الدار البيضاء بعد مرحلة التعذيب بكوميسارية الدار البيضاء، ثم نقلت إلى السجن العام بمدينة القنيطرة في انتظار المحاكمة بعد الاستنطاقات التي دامت أياماً، ثم قدر الله أن يخيب مقصد الاستعماريين، فوقع سراحي مع إخواني بعدما مكثنا في السجن نحواً من العامين أيضاً.

بعد الاستقلال بقيت مشتغلا بالتعليم بالإضافة إلى نشاطي داخل حزبي كعضو في اللجنة التنفيذية، ومفتش عام للحزب، ثم عضو في مجلس الرئاسة للحزب.

أنشأت مع بعض إخواني جمعية شباب النهضة الاسلامية وكان لها نشاط ملحوظ ومحمود في الدعوة الاسلامية، وتوضيح معالم الفكر الاسلامي، سواء عن طريق الصحافة وفي طليعتها مجلة (الايمان) التي دام إصدارها تحت إشرافي ست عشر سنة. وكذلك جريدة الرسالة التي دام صدورها نحواً من سبع سنوات.

ساهمت في عدة مؤتمرات إسلامية وسياسية في الداخل والخارج، وكنت عضواً في المجلس التنفيذي لمؤتمر العالم الاسلامي (كراتشي) وفي المؤتمر الاسلامي الافريقي الأسيوي (بباندونغ) (بأندونيسيا) وفي المؤتمر الاسلامي الافريقي (بدكار) وفي المؤتمر الاسلامي بطوكيو (اليابان) سنة 1982 وفي المؤتمر الاسلامي (بسيريلانكا)، وغير ذلك من المؤتمرات ومنها المؤتمر الأول لتأسيس رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة التي كنت أتابع نشاطها عن كثب وأشارك في بعض اجتماعاتها. كنت من المؤسسين الأولين للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطينين وبقيت مشرفاً على تسييرها كأمين عام لها عشرين سنة كاملة.

انتخبت أميناً عاماً مساعداً للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية لدى تأسيسها في بيروت في سنة 1972.

شاركت في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بقبرس التركية وعينت قنصلا شرفياً لدولة قبرص التركية.

عينني صاحب الجلالة محمد الخامس عضواً في المجلس الوطني الاستشاري سنة 1957.

ثم عينني في مجلس الدستور وفي المجلس الأعلى للتربية الوطنية وفي مجلس التخطيط والانعاش (سابقاً).

عينني صاحب الجلالة الحسن الثاني عضوا في مجلس الوصاية.

عينني صاحب الجلالة الحسن الثاني عضواً في أكاديمية المملكة المغربية عام 1981.

نلت جائزة الاستحقاق الفكري من يد صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بقرار من جلالة الملك الحسن الثاني.

كتبت ونشرت عدة مؤلفات في مواضيع مختلفة ومن جملتها هاته المذكرات.

أرجو الله أن يتقبل عملي ويجعله خالصاً لوجهه الكريم[15].

(15) انظر قائمة مؤلفاتي في آخر هذا الكتاب.

مـــلاحــــق

المشروع الأول
لبرنامج حزب الاستقلال

إن حزب الاستقلال المعبر الأمين عن رغائب الشعب المغربي، والرافع لعلم الكفاح في سبيل تحقيقها، والمناضل عن كيان الوطن المادي والروحي، والساعي لبناء الاستقلال الذي حصل عليه المغرب بفضل دماء شهدائه وتضحيات أبنائه تحت القيادة الرشيدة لجلالة العاهل المفدى بطل النضال والتحرير جلالة محمد الخامس نصره الله وأيده، يرى من واجبه في هذا الظرف التاريخي أن يحدد أهدافه للملأ في شكل برنامج موقت ريثما ينعقد المؤتمر في الأسابيع المُقبلة.

وحزب الاستقلال إذ يبرز بهذا البرنامج يؤكد وفاءه للمبادىء الراسخة التي ناضل وما فتىء يناضل في سبيلها، وهي الاخلاص لله والوطن والملك، وتشييد دولة حرة من كل قيد تنهض على قواعد الاسلام، وتتطور في نطاق الحضارة العربية، وترتكز أعمدتها على نظام ملكي دستوري يكون التجاوب فيه تاما بين جلالة الملك وممثلي الأمة. ومن شأن هذا البرنامج أن يمهد الطريق للتحول العظيم الذي سيطرأ على حزب الاستقلال في نظمه ووسائله، ويضمن انسجامه مع التطور الملحوظ في تفكير المواطنين ورغباتهم.

ولهذا، فإن حزب الاستقلال يدعو كافة أعضائه ومناصريه إلى التكتل حول هذا البرنامج، والمساهمة في تحقيقه بحماس وإيمان.

وفيما يلي المبادىء الرئيسية لبرنامج حزب الاستقلال :

في الميدان الوطني

حيث ان الغاية من تأسيس حزب الاستقلال كانت ولاتزال تحرير الوطن من كل سيطرة أجنبية وتدعيم الاستقلال في جميع الميادين، وحيث ان كثيرا من المناطق المغربية ماتزال في قبضة يد الاستعمار الأوربي وإن التحرر الداخلي من رواسب هذا الاستعمار

لم يتم بعد، يرى حزب الاستقلال من الواجب تعبئة كافة القوى الحكومية والشعبية لتحقيق الأهداف الآتية :

1) السعي لتحرير كافة أجزاء الوطن الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية لفرنسا وإسبانيا، وتدخل فيها موريطانيا وإيفني وسبتة ومليلية والمناطق الصحراوية الواقعة على حدود الجزائر.

2) تحقيق جلاء الجيوش الأجنبية بما فيها القوات الفرنسية والاسبانية والأمريكية عن كافة أجزاء الوطن، ووضع حد للقواعد والمؤسسات الأجنبية ذات الصبغة العسكرية أو الاستراتيجية.

3) السعي لتحرير الوطن من رواسب الاستعمار في الميادين العامة.

4) تطبيق مبدأ عدم التبعية في السياسة الخارجية والاقتصاد الوطني، والحرص التام على عدم الدخول في الأحلاف العسكرية أو الميل إلى إحدى الكتل المتنازعة.

5) تمتين الوحدة المغربية في جميع مظاهرها بالقضاء على كل نزعة عنصرية أو دعوة قبلية أو نزاع بين الطبقات.

6) احترام المقدسات الاسلامية والتشبث بالثقافة والحضارة العربية باعتبار المغرب دولة عربية إسلامية. والسعي بكل الوسائل الممكنة لمغربة الادارة وتعريبها، وتطهير الوظائف العامة من الخونة والاقطاعيين والرجعيين وإسنادها إلى ذوي الكفاءة والنزاهة والاخلاص للصالح العام.

في الميدان السياسي

حيث ان من جملة أهداف حزب الاستقلال القضاء على السيطرة الاستعمارية، لا بالنسبة للقطر المغربي فحسب، بل بالنسبة إلى كافة الشعوب التي ترزح لحد الآن تحت نير العبودية، وحيث ان مبادىء الحزب إقامة نظام ديموقراطي يكفل حرية المواطنين وحقوقهم، ويحدد مسؤولياتهم أمام القانون، يؤكد حزب الاستقلال سعيه لبلوغ الأهداف الآتية :

في الداخــل :

1) العمل على إقامة مؤسسات ديموقراطية واقعية مستمدة من تعاليم الاسلام والواقع

المغربي تستند عليها الملكية الدستورية تحت رعاية جلالة الملك محمد الخامس نصره الله وأيده.

2) السعي لكفالة الحقوق والحريات العامة للمواطنين : حق الانتخاب، حريات التعبير والصحافة والتفكير والاجتماع، والتكتل والنقابات. ضمان المساواة في الحقوق والواجبات لجميع المواطنين.

3) العمل على تحويل إدارة البلاد من شكلها الموضوع في عهد الحماية إلى إدارة وطنية بالمعنى الصحيح تراعى فيها حاجات البلاد ومالها من الوسائل، مع الاسراع في مغربة الادارات وتعريبها.

في الخارج :

1) اعتبار كفاح الشعب الجزائري في سبيل استقلاله جزءا من الكفاح الوطني ضد السيطرة الاستعمارية، ومضاعفة تأييد القطر الشقيق بجميع الوسائل إلى أن يتحقق استقلاله.

2) تطبيق مقررات مؤتمر طنجة للأحزاب الوطنية بتحقيق وحدة المغرب العربي الكبير في جميع مظاهرها وتمتين روابط التعاون والتضامن بين حكومات هذه الدول وشعوبها لتصفية رواسب الاستعمار وتحقيق الأهداف المشتركة.

3) تأييد كل حركة ترمي إلى تحرير الأقطار الافريقية من السيطرة الاستعمارية، والتشبث بالفكرة الافريقية.

4) توثيق علاقات التضامن والاخوة مع الدول العربية والاسلامية والتعاون معها في سبيل الصالح العام.

5) مساندة كافة الشعوب المستعبدة التي تكافح في سبيل حريتها واستقلالها.

6) نهج سياسة خارجية نشيطة لها مبادىء ثابتة من شأنها أن تبوىء المغرب مركزا لائقا به في المحافل الدولية وتتيح له السبيل للقيام برسالته في خدمة السلام العالمي. والمساهمة في بناء عالم أفضل يستند على ميثاق هيئة الأمم المتحدة ومقررات باندونغ.

في الميدان الاقتصادي

حيث ان حزب الاستقلال مقتنع بأن الاستقلال السياسي يتوقف قبل كل شيء

وبالذات على التحرر الاقتصادي من القيود الأجنبية. وحيث انه مافتىء يعتبر الاستقلال وسيلة لرفع مستوى معيشة المواطنين وضمان حياة كريمة لجميع الطبقات حتى يكون المغاربة على اختلاف حيثياتهم مواطنين أحرارا في وطن حر، يرى الحزب من واجبه السعي لبلوغ هذه الأهداف :

1) تحرير مرافق الاقتصاد المغربي من كل أنواع السيطرة الاستعمارية.

2) وضع سياسة اقتصادية تقوم على أساس توزيع خيرات البلاد على المواطنين حسب حاجياتهم وخدماتهم طبقا لما تقتضيه العدالة الاجتماعية الاسلامية.

3) وضع خطة ترمي إلى التنمية الاقتصادية لصالح الجماهير الشعبية وتكفل رفع مستواها المادي والفكري.

4) السعي لتأميم المصادر الكبرى للثروة الوطنية كالطاقة والقرض والمعادن إلخ..

5) تطبيق مبدأ الاقتصاد الموجه للقضاء على الفوضى التي تصطبغ بها السياسة الاقتصادية الحاضرة.

6) وضع تصميم عام يهدف إلى تصنيع البلاد بإحداث صناعة ثقيلة وأخرى خفيفة لتحويل المواد الأولية حتى لايبقى المغرب عالة على الخارج.

7) تشجيع روح الابتكار في نفوس المواطنين بكل الوسائل، وتنمية الفكرة التعاونية فيما بينهم بوسائل الاقناع وغيرها من التشجيعات المادية والمساعدات الفنية.

8) حماية الصناعة التقليدية على أساس أنها مصدر قوت آلاف العائلات المغربية بإعانة الصناع على تطوير منتوجاتهم وتحويلها وإيجاد أسواق في الخارج لترويجها، وتشجيع اقتنائها في الداخل.

9) تكوين إطارات مهنية للفلاحين وتلقينهم الوسائل العصرية للفلاحة وتربية المواشي واستغلال أراضي الجماعات.

10) وضع تصميم يهدف إلى الاصلاح الفلاحي على أساس النهوض بالبادية المغربية وإنعاش الحياة بها.

11) وضع برنامج سريع للحد من الخسائر التي تلحق الثروة الوطنية من حين لآخر في ميدان تربية الماشية بسبب الآفات الطبيعية، واتخاذ الوسائل العصرية المفيدة في هذا الباب.

12) فيما يتعلق بالشؤون النقدية، وضع نظام جديد يراعى فيه تحرير النقد المغربي من كل تبعية واحداث أبناك للتأمين والقرض والسعي لضمان توازن ميزان الأداءات.

في الميدان الاجتماعي

كان حزب الاستقلال ولايزال في مقدمة الكفاح من أجل التحرر الاجتماعي، وحماية المواطن المغربي من الاستغلال بجميع مظاهره، وتحريره من قيود العبودية السياسية والاقتصادية كي تتهيأ له جميع الفرص لبلوغ حياة رصينة كريمة.

ولهذا يرى من واجبه أن يؤكد كفاحه لتحقيق الأهداف الآتية :

1) ضمان حق العمل للمواطنين بتيسير الأسباب لهم عن طريق الدولة والمؤسسات الخاصة

2) توفير الحقوق التالية للطبقة الكادحة : العمل، الحماية من البطالة، أجور تتكافأ مع خدماتهم، الراحة، الاستشفاء، التأمين على آفات الشغل.

3) ضمان الحق النقابي لكفالة العمال دون أدنى قيد.

4) اعتبار العامل شريكا في أرباح الأعمال الكبرى.

5) مقاومة العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الطارئة التي تحمل أهل البادية على هجرة قراهم إلى المدن جماعات وأفرادا. وسلوك خطة من شأنها أن تضمن العيش الكريم في البادية بفتح أوراش للعمل، وتزويد القرى بما يلزم من الوسائل العصرية.

6) معالجة مشكلة التفكك العائلي، والعناية بتشبث دعائم الأسرة المغربية.

7) العناية بالمرأة والاهتمام بشؤونها ووضع خطة تهدف إلى ترشيدها ومساهمتها في النهوض بمستوى العائلة والمجتمع.

8) وضع تصميم صحي تكون الغاية منه تحسين حالة المواطنين وضمان صحة المجتمع. وذلك بالاعتناء قبل كل شيء بطرق تغذية المواطنين وإسكانهم.

9) تعميم التعليم وجعله إجباريا في الطور الابتدائي.

10) السعي لتعريب التعليم في جميع مراحله وإشباعه بروح دينية إسلامية.

11) مراجعة أساليب تعليم على أساس اعتبار التهذيب والتدريب على كسب الرزق وتربية النفوس على الأخلاق الفاضلة من أغراض التهذيب الوطني.

12) مقاومة الجمود والرجعية والدعايات الهدامة وبعث وعي إسلامي من شأنه أن يحمي المواطنين والمجتمع من الانحلال الخلقي واستعباد المادية.

13) الاتصال الدائم بالجمهور مع رعاية رغباته وتنظيم أوقات فراغ طبقات الشعب والعناية بالشباب على الخصوص.

قانون خلية «فتح» بسلا

أشرت أثناء حديثي عن التحضير لوثيقة المطالبة بالاستقلال، أن خلية «فتح» بسلا، كانت من الخلايا النشيطة في الحزب الوطني أوائل الأربعينيات، وأن سبعة من أعضائها وقعوا على الوثيقة الأولى المؤرخة بحادي عشر يناير 1944، وهم : أبو بكر القادري — عبد الرحيم بوعبيد — قاسم الزهيري — محمد البقالي — الطاهر زنيبر — ج بوبكر الصبيحي — مَحمد بن الخضر من آسفي.

وإتماماً للفائدة، أنشر ضمن مذكراتي في الحركة الوطنية القانون الأساسي لهذه الفرقة الوطنية، الذي يشرح الأهداف التي كانت تعمل لها هذه الخلية. وهذا القانون مكتوب بخط يدي في ذلك الظرف، وعنه أنقل ما يطلع عليه الجمهَور لأول مرة.

فـرقـة الفـتـح

الغاية وشروط الانخراط

المادة الأولى :

تأسست بسلا في دائرة الحزب الوطني فرقة تسمى فرقة الفتح

المادة الثانية :

للفرقة غايتان : الأولى أنها تعمل من أجل تنظيم الأمَّة في ميدان العلم والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وتساعد على تربية الأمَّة تربية سياسية تتجلَّى في عقيدة وطنية راسخة وعلى تحقيق وحدة البلاد. والثانية أنها تشارك في مقاومة الاستعمار والاستعباد وأعوانهما وتعمل لتحرير الأمَّة وتثبيت حضارة قومية عربية الثقافة في دائرة تعاليم الاسلام.

المادة الثالثة :

تكون هذه الفرقة زيادة على صفتها السياسية مجلس علم وتهذيب فتخصص قسما

وافراً من أوقاتها للمطالعة والدرس ولترقية مستوى أعضائها الفكري تحت إدارة مسامر يعيّن من بين أفرادها كما أنها تكون مكتب استخبارات وجمع المعلومات لخدمة أغراض الحزب الوطني.

المادة الرابعة :

يقوم أعضاؤها بالأعمال المفروضة عليهم أفراداً وجماعات تحت مسؤوليتهم الخاصة.

المادة الخامسة :

يجب على عضو من هذه الفرقة أن يقسم يمين الاخلاص والطاعة الذي هو :

«أُقسم بالله العظيم أمام كتابه الكريم وأتعَهَّدُ بِشَرَفي أنني أُخلِصُ لدِيني ووطني وللحزب الوطني ورجاله وأحفَظُ إلى الأَبد سِرَّ هذه الفرقة التي علمتُ قانونَها وقبلتُه وأنفذُ قراراتِهَا بكلِّ ما استطعت.

المادة السادسة :

لايدخل عضو جديد إلى الفرقة إلاّ إذا رشحه إليها وزكّاه عُضوان على الأقلّ وقبِله فيها تسعة أعشارها وأقسَم يمين الاخلاص والطاعة.

المادة السابعة :

يعين أعضاء الفرقة من بينهم بالتصويت الحرّ مكتبا إدارياً مركبا من رئيس وخليفته وكاتب وأمين.

المادة الثامنة :

يجدّد الانتخاب مرّة في السنة بنفس الطريقة ويجوز إعادة انتخاب أعضاء المكتب المنسحبين.

المادة التاسعة :

إذا انسحب عضو في المكتب الاداري لسبب من الأسباب يعيّن مكانه عضو آخر بانتخاب أعضاء الفرقة.

المادة العاشرة :

رئيس الفرقة هو الذي يكون صلة الوصل بين جماعته وبين رجال الحزب الوطني وإذا عاقه مانع عن ذلك فينوب عنه خليفته ثم الكاتب.

المادة الحادية عشرة :

أمين الفرقة مكلف بجمع الاشتراكات والتبرعات وتوزيعها كما سيذكر في المادة 13.

المادة الثانية عشرة :

قدر الاشتراكات موكول إلى استطاعة كل عضو ولايمكن أن يكون أقلّ من أربعة فرنكات للشهر.

المادة الثالثة عشرة :

يترك الأمين ثلث المتحصل في صندوق الفرقة ويدفع الثلثين في كل شهر للرئيس لكي يسلم ذلك هو بدوره لقابض الحزب.

المادة الرابعة عشرة :

لايجوز للأمين أن ينفق من مال الفرقة إلا بموافقة الرئيس فيما دون عشرين فرنكا وبموافقة المكتب الاداري فيما دون مائة فرنك. أمّا إذا كانت النفقة أكثر من هذا القدر فلابد من موافقة 10 /9 الجمعية وقابض الحزب.

المادة الخامسة عشرة :

تجب على العضو الطاعة المطلقة لأكثرية الهيأة ولمقررات الحزب الوطني

المادة السادسة عشرة :

يجب عليه أن يقبل التحكيم في حالة اختلافه مع عضو آخر وأن ينفذ الحكم.

المادة السابعة عشر :

التحكيم يكون لدى أربعة أفراد من الفرقة يختار كل من المدعي والمدعَى عليه اثنين منهم وتُستأنف أحكامُ هذه اللجنة عند الضرورة لدى ممثلي الحزب الوطني.

حـزب الاستـقـلال

مشروع النظام الأساسي الذي أقره المجلس الأعلى للحزب سنة 1945

المادة الأولى :

تأسس بالمغرب الأقصى حزب سياسي اسمه (حزب الاستقلال).

المادة الثانية :

غايات الحزب هي :

أ) تحقيق استقلال البلاد ووحدتها

ب) تأسيس دستور ديمقراطي وحكومة شعبية في ظل العرش المغربي العلوي

ج) تربية الأمة تربية سياسية ديمقراطية

د) تكوين نهضة اقتصادية تضمن اليسر لسائر أفراد الأمة

هـ) توجيه تطور البلاد الاجتماعي والثقافي نحو حضارة وطنية عربية إسلامية

المادة الثالثة :

وسائل الحزب هي كل الوسائل المشروعة في النظم الديموقراطية.

العضوية في الحزب

المادة الرابعة :

جميع أعضاء الحزب عاملون.

ويشترط في العضو :

أ) أن يكون مغربياً قد بلغ العشرين من عمره على الأقل.

ب) أن يكون من ذوي الصراحة والأخلاق الحميدة والقدرة على العمل.

ج) أن لايكون منخرطا في حزب سياسي آخر.

د) أن يصادق على هذا النظام ويلتزم بالاخلاص لمبادىء الحزب والعمل على تحقيق غاياته والاذعان لمقرراته.

هـ) وأن يقدم طلبا للمجلس الأعلى بواسطة مكتب الفرع مصحوبا بتزكية عضوين من أعضاء الحزب.

هيآت الحزب

الفروع :

المادة الخامسة :

كل مدينة أو قرية اجتمع فيها خمسة أعضاء فما فوق يؤسس فيها فرع للحزب بإذن من المجلس الأعلى.

المادة السادسة :

يؤلف أعضاء الفرع بالانتخاب لمدة سنة مكتبا يدير شؤونه حسب مقررات المجلس الأعلى ويتركب من كاتب وخليفة وأمين وعدد من المستشارين ولايكسب هذا المكتب صبغة نهائية إلا بعد مصادقة المجلس الأعلى.

المؤتمر العام

المادة السابعة :

يتألف المؤتمر العام لمدة سنتين من أعضاء منتخبين من فروع الحزب بنسبة ممثل لكل عشرة أعضاء أو جزء من عشرة يتجاوز أربعة ويحضره أعضاء المجلس الأعلى وممثل لكل مكتب فرع للمشاركة في أعماله. ولايعطى حق التصويت إلا للمنتخبين من طرف الفرع.

المادة الثامنة :

ينعقد المؤتمر — تحت إشراف مكتب منتخب من لدنه مركب من رئيس وخليفته وكاتب وخليفته — في جلسة اعتيادية في شهر مارس من كل سنة كما يمكن انعقاد جلسات غير اعتيادية باقتراح من المجلس الأعلى أو بطلب من ثلثي أعضاء المؤتمر.
والمجلس الأعلى هو الذي يعين اليوم المناسب للاجتماع ومكانه ويخبر أعضاء المؤتمر بذلك خمسة عشر يوما قبل يوم الانعقاد.

المادة التاسعة :

لايعتبر اجتماع المؤتمر قانونيا إلا إذا حضر أكثر من نصف أعضائه فإذا لم يتوفر هذا العدد جدد الاستدعاء لجلسة ثانية وتعتبر مقرراتها إذ ذاك نافذة بأغلبية أصوات الحاضرين.

المادة العاشرة :

لاتعتبر إلا أصوات الحاضرين من الأعضاء المنتخبين وتتخذ جميع القرارات بالأغلبية المطلقة في الدورة الأولى وبالأغلبية النسبية في الدورة الثانية.

المادة الحادية عشرة :

المجلس الأعلى هو الذي يهيىء جدول الأعمال ولكل عضو من أعضاء الحزب أن يبدي آراءه واقتراحاته في تقرير يرفعه للمؤتمر على طريق المجلس الأعلى ثمانية أيام قبل انعقاد المؤتمر.

المادة الثانية عشرة :

يقرر المؤتمر سير الحزب وخطته وميزانيته العامة وينتخب أعضاء المجلس الأعلى كما ينظر في كل مايسنده إليه هذا النظام الأساسي.

المجلس الأعلى :

المادة الثالثة عشرة :

ينتخب المؤتمر العام مجلسا أعلى لايتجاوز عدد أعضائه .... لمدة سنتين ويجوز انتخاب أي عضو من أعضاء المجلس المنسحب كما يجوز انتخاب أي عضو من أعضاء الحزب.

وإذا تخلف عضو من أعضاء المجلس الأعلى لسبب يمنعه من بقائه في المجلس الأعلى فلهذا الأخير أن يعوضه بأحد أعضاء الحزب.

المادة الرابعة عشرة :

إذا تعذر على المجلس القيام بمهمته أو تأخر عن ذلك لسبب من الأسباب يجتمع المؤتمر باستدعاء من مكتبه لانتخاب مجلس آخر.

المادة الخامسة عشرة :

المجلس الأعلى هو الذي يمثل الحزب

— ويدير شؤونه

— ويضع ميزانيته

— ويكون مسؤولا عن تنفيذ مقررات المؤتمر

— ويقوم بكل مايسنده إليه هذا النظام.

المادة السادسة عشرة :

يشكل المجلس الأعلى كتابة عامة من بين أعضائه كما يؤلف لجنا مختصة حسبما يحدده القانون الداخلي للحزب.

المـالـيــة

المادة السابعة عشر :

كل فرع يقرر ميزانيته السنوية من حيث الموارد والمصاريف ويعرضها من أجل الموافقة على المجلس الأعلى.

المادة الثامنة عشرة :

يقرر المجلس الأعلى ميزانية الحزب ويعرضها في آخر السنة على المؤتمر للمصادقة عليها.

المادة التاسعة عشرة :

المداخيل الاعتيادية للحزب هي :

أ) واجب الدخول في الحزب

ب) الاشتراكات الشهرية

والمداخيل الطارئة هي :

أ) التبرعات بأنواعها

ب) المداخيل الناتجة عن نشاط الحزب

المادة العشرون :

يحتفظ كل فرع بمقدار ميزانيته الخاصة ويدفع مازاد على ذلك لصندوق المركز.

تعديل القوانين

المادة الواحدة والعشرون :

النظام الأساسي يعدل بأكثرية ثلثي المؤتمر.

العقوبات

المادة الثانية والعشرون :

كل من خالف قوانين الحزب أو أخل بمبدئه أو قام بعمل يضر بسياسته يحاكم لدى لجنة تحكيمية

المادة الثالثة والعشرون :

تتراوح العقوبات بين الانذار والتوبيخ والتوقيف والرفض.

المادة الرابع والعشرون :

يتحاكم أعضاء المجلس الأعلى أمام لجنة يعينها المؤتمر وتستأنف لديه أحكامها ويتحاكم بقية الأعضاء أمام لجنة محلية وتراجع أحكامها لدى المجلس الأعلى.

حول إصلاحات المقيم العام الفرنسي
«كابريال بيُّو»

ذكرت أثناء تحدثي عن المطالبة بالاستقلال والرد الفرنسي عليها بأن فكرة الاستقلال مرفوضة أساساً، وأن بعض الاصلاحات في دائرة الحماية، يمكن أن ينظر فيها.

وفي هذا المجال فإن الاقامة العامة، اغتنمت وجودنا بالسجن وأذاعت بياناً أعلنت فيه أنها قررت تكوين أربع لجان تنظر في الإصلاحات التي يمكن أن تطبق، معتبرة أن الجو قد صفا لها باعتقال أغلبية المسؤولين في الحزب، ولذلك فإنها ستعمل على تطبيق إصلاحاتها التي رفضت المذاكرة فيها لجنة المفاوضة التي كانت تكونت إثر تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في حادي عشر يناير عام 1944.

وهكذا تكونت هذه اللجان يوم سادس عشر مارس 1944 إثر خطاب ألقاه المقيم العام المذكور، وتقدمت بمشروع إصلاحات اعتبرها من بقوا من المسؤولين في حزبنا خارج السجن، مجرَّد تخدير للأفكار، وتنويم للشعب، وتهدئة للخواطر، وهكذا تصدى لها بالرفض المطلق إخواننا الذين هيأتهم الأقدار ليبقوا حاملين للمشعل، مكافحين عن مصلحة الشعب رافضين لأيِّ إصلاح مُمَوّه، يريد أن يطمس فكرة الاستقلال الذي يطالب بها الشعب تحت قيادة ملكه الهمام ولقد أذاع الحزب إذ ذاك بيانا هاماً ناقش فيه هذه الاصلاحات التي أتى بها مشروع الاقامة العامة موضحاً مواطن التغليط فيها، مؤكداً أن الاصلاح الحقيقي لا يمكن أن يطبق الا في دائرة الاستقلال، ونظراً لأهمية هذه البيان، نثبته بنصه الكامل رغم إشارتنا له في السابق. قال البيان الحزبي الذي حرر يوم 18 شتنبر 1945 وقدم للاقامة العامة من طرف المسؤولين الحزبيين الذين كانوا خارج السجون والمعتقلات :

«وبعد، فإن الطبقة المتنورة في المغرب، لم تعر أدنى التفات لقرار المقيم العام الصادر في 16 مارس سنة 1944، لأنها تعرف عن طريق التجربةأنه لايمكن انتظارشيء مهم من اللجان الرسمية التي هي وسيلة تقليدية لقبر جميع مشروعات الإصلاح الحقيقي.

«ولكن بما أن الاصلاحات نتيجة بحث استمر ستة أشهر، فيجب أن ندرسها وننقدها بكل إخلاص :

العدليــة :

يمثل تنظيم العدلية الشريفة كجزء من الادارة العامة هذين الصفتين المزدوجتين : تبلور نظام عتيق قضي عليه وغير عن شكله، والسكوت أمام المتصرف أو المراقب الذي يتحكم فيه كيف يشاء تحت ستار الرئيس المغربي الصوري الذي يختار عادة من بين الأميين الطماعين الذين لا يقبلون هذه السلطة الوهمية إلا ليجدوا وسيلة لاختلاس محكوميهم.

والسلطة السياسية التي من شأنها أن تقوي مركز الرئيس المغربي وتساعده على العمل، يضحي بها المراقب الفرنسي، مقابل غض هذا المراقب الطرف عنه لقضاء مآربه الشخصية، ويستفحل خضوع هؤلاء الرؤساء بفقدان قانون العقوبات الذي يجعل المراقب يحكم كما يريد.

«ويعتبر كل باشا وكل قائد رئيسا مطلق النفوذ على مرؤوسيه، ومن الطبيعي أن يتحكم كيف يشاء فليس ملزما بالبحث، ولا بدراسة موضوع الملفات، ولا بحق الدفاع، ولا حرية جلب المحامين، وكل ماهو من شأن العدالة يمكن أن يحذف أو يهدم برسالة من الحاكم الفرنسي، أو بدقة تيلفون، وكم يتملص الولاة (برسالة الطابع) مدعين تنفيذ أوامر الحكومة العليا.

فمجموع هذه الحالة هو الذي كان يجب أن تدرسه لجنة العدل لأجل تقرير وسائل تحسينها :

1) تأسست لجنة القانون لتحرير قانون العقوبات، فيجب أن نسجل أنه منذ صدور القرار المقيمي لم تجتمع هذه اللجنة إلا مرة واحدة هي اجتماعها التأسيسي.

2) أما اللجنة الاستشارية للعدل، فقد كلفت بدراسة مسألة فصل السلطات، هذا الفصل الذي يمكننا أن نؤكد وجوده في الشريعة الاسلامية، قبل أن يعرفه المشرعون الأوربيون، على خلاف ما زعمته الاقامة؛ إذ الواقع أن القانون الاسلامي العام يقضي بأن يستمد سلطته من الشريعة مباشرة، ويتمتع بكامل الاستقلال عن السلطة التنفيذية التي لاتتدخل إلا في شأن توليته.

«ولكن اللجنة قد حصرت فصل السلطات في الشؤون المدنية والتجارية، كما قررت الاقتصار في التطبيق على المدن الكبرى، واختصاص الباشا والقائد الجنائي الذي يعتبر أشد فظائع النظام الحاضر بقي كما هو، وهذا التحديد يزيل كل أهمية للاصلاح؛ لأن

القاضي الذي يمكنه أن يفعل بالشخص كل ما يشاء، يمكنه دائما عن طريق هذا الحق أن يتحكم في ذلك أيضا، ولقد قال منتسكيو الكبير : (ليس هنالك حرية إذا لم تفصل قوات الحكم عن قوة التنفيذ والتشريع؛ لأنها إذا انضمت إلى السلطة التشريعية أصبح القاضي مشرعا؛ فإذا انضمت إلى السلطة التنفيذية أصبح القاضي قادرا على الظلم).

فأغراض واضعي الاصلاح المقيمي إذن واضحة، فهم يهتمون بالمحافظة على الوسائل التي تسهل عليهم دوام النظام بطريق القوة، وإجبار الشعب على الطاعة عن سبيل الارهاق، أكثر مما يهتمون بإدخال تحسينات على القضاء المغربي، وعليه فاتقاء التحكم بتحديد سلطة القاضي، وإعطاء هذا الأخير الضمان الكافي من أثر كل ضغط أو اعتداء عليه من طرف السلطة التنفيذية، وحماية الأفراد من سيطرة كل جستابو قادر على أن يسجنهم في كل لحظة أو يسيء إليهم من غير أدنى رقابة إلا التي ترجع إلى الادارة غير المسؤولة ــ كل ذلك يؤدي في ادعائهم، إلى زعزعة أساس النظام والطمأنينة العامة.

«ولكن ماذا يعني إذن إقرار السلطة القضائية المعتز بتنظيمها والموضوعة لأشياء، من بينها فصل السلطات، واستقلال القضاء، والمحافظة على كرامة القضاة، إذا لم تتم حرية الشعب، وينته استغلال الانسان لأخيه الانسان، ويندحر مبدأ الاستعمار ؟! انه من السهل ــ كما قال بعض الصحافيين ــ على الأقوياء أن يقاوموا الضعفاء، وليس كذلك للضعفاء حين يريدون مقاومة الأقوياء، وحينما يضيع سهر المحكومين على مصالحهم ويختل التوازن في صالح القوة لايبقى للشعب أي اختيار إلا بين اثنين : الاستعباد، أو الثورة، لكن غالبا مايكون اختلال التوازن مستفحلا إما بصفة ظاهرة أو مقنعة بمصالح حيوية مزعومة، وهكذا ينشأ المستبدون، وهكذا تحدث الثورات.

الادارة العامة :

«يمكننا أن نلخص التدابير المتعلقة بالادارة العامة فيما يأتي : إعطاء بعض الوظائف للنخبة المغربية ولكي تقبل النخبة هذا العطاء قرر لها التساوي في الأجور عند تساوي الكفاءات.

«ولكن لم يكن من الضروري أن تشكل لجنة كاملة للوصول إلى هذه النتيجة لأن مسألة توظيف النخبة المغربية في الادارة الشريفة المجددة مسألة مفروغ منها بمقتضى ظهير سنة 1938، وأيضا فإن مسألة المساواة في الأجور وضعت على بساط البحث منذ أوائل عهد الحماية، وقدم فيها الذين يهمهم الأمر أنفسهم عدة مطالب ودراسات، وقد هيأ لها اتحاد الموظفين حلا يجدر بالمقيم العام أن يوافق عليه اليوم، لكن لاينبغي

للموظفين المغاربة أن يطمئنوا، لأنه ليس للحل المقرر إلا أهمية محدودة. إذ لايستفيد منه إلا ذووا الاطارات (الكادر) الخاصة الموازية للاطارات الفرنسية مثل التراجمة والكتاب ومتصرفي البوليس وفقهاء الضرائب والأداءات والكتاب المركزيين للحكومة وقضاة المحكمة العليا الشريفة وخلفاء الباشوات إلخ... فالتحيز وعدم المساواة مايزال قائما فيما إذا لم تكن للمغاربة نفس الكفايات التي يقدمها الفرنسيون، مع العلم بأن أغلبية المغاربة غير مختصة، إن لم نقل ليست تقنية لايستطيع الفرنسيون أنفسهم اقتناءها، ولكن ألا يصدر القاضي المغربي أحكاما ؟ ألا يقوم أحد كتاب الصدر الأعظم بوظيفة المحرر ؟! وبعبارة أخرى ألا يستحق المتخرجون من التعليم العربي المحض الاعتبار في بلد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة في جميع الأوقات ؟.

«ومن جهة أخرى أليس من التحكم الابقاء على عدم المساواة فيما يخص التعويضات بالنسبة لهذا الصنف من الموظفين ؟! ألم توضع هذه التعويضات لأجل مساعدة الموظفين في تكاليفهم العائلية أو لتشجيعهم على بناء الأسرة، وذلك بقطع النظر عن كل اعتبار للقيمة المهنية ؟!

«لقد استدلوا بعجز الاطار المغربي، ولكن من هو المسؤول عن ذلك ؟ أليس من المؤلم أن يكون البلد المحمي بعد ثلاثة وثلاثين عاما من الحماية قاصرا عن إعطاء الاطار اللازم لتطوره ؟ وليس من الممكن ادعاء أن الحماية يوم أسست وجدت فراغا كاملا أمامها، وأنها ليس من الممكن أن تملأ ذلك الفراغ في أقرب وقت، فقد قال ليوطي في تقريره للحكومة الفرنسية في 3 ديسمبر سنة 1920 : (لقد وجدنا هنا دولة وشعبا، إنهما حقيقة في أزمة وفوضى، لكن هذه الأزمة حديثة العهد، وهي حكومية أكثر منها اجتماعية، وإذا كان المخزن قد بقي مجرد مظهر، فإنه كان على الأقل قائم الذات،' ويمكن الرجوع إلى الوراء قليلا لنجد منه حكومة فعالة تمثل في العالم دولة بوزرائها الكبار وسفرائها الذين اتصلوا برجال الدولة الأوربية ولايزال البعض منهم حيا إلى الآن، وإذا قطعنا النظر عن المخزن فإننا نجد أمامنا منظمات لاتزال قائمة تختلف بحسب النواحي ولكنها تمثل حقية أشياء موجودة).

«وإذن فالمغرب لم يكن متأخرا كما يريد البعض أن يدعي، بل كان على العكس مستعدا لمسايرة أشكال الحكومات العصرية، وإذا لم يكن قد تطور الآن فذلك لأنه لم يجد أي مساعدة من طرف الحماية، بل ان هذه الحماية قد اتجهت به إلى نظام الحكم المباشر.

وأما فيما يرجع للادارة العامة الحقيقية فقد بقيت تدابير الاقامة العامة معدومة، والحال أنها هي عش الأزمة الحاضرة.

«وقد كان واجبا على اللجنة أن تثبت في هذا الموضوع قيمتها، وتعمل حقيقة شيئا مفيدا، ومهما يكن فإذا كانت النخبة المغربية لاتهتم كثيرا بالوظائف المغربية فذلك لأنها فهمت جيدا انها لاتدعى إلا للقيام بدور ثانوي، كما أنها اقتنعت بأن النظام الذي تطالب بخدمته ليس إلا مجموعة من المؤسسات المبنية على الغموض والمحسوبية، وعدم المسؤولية، والاجحاف، وأن عملها ليس لترشيد الشعب المغربي ولكن لاستعباده.

«ومن المفيد أن ننقل هنا هذا النص الذي يشرح عيوب هذا النظام الأساسي، قال ليوطي في تقريره المذكور :

(جميع التدابير الادارية تصدر باسمه (يعني السلطان) فهو الذي يمضي الظهائر، ولكن ليس له في الواقع أي نفوذ محلي، ولا علاقة له إلا بالمستشار السلطاني الذي يراه يوميا، ولا يأخذ رأيه إلا بصفة شكلية، أما الصدر الأعظم وبقية الورزاء فلا يشاركون في أية مذاكرة تتعلق بالمسائل المهمة التي تدرس بعيدة عنهم في المصالح الفرنسية، وليس هناك اتصال بين رؤساء هذه الادارات وبين الوزراء والمخزن الذي لايتحرك ويكاد ينهمك في سبات لذيذ، ويلاحظ بسهولة أن احتكار الولاة الفرنسيين للسلطة التشريعية حملهم على أن يكونوا هم وحدهم المنفذين لقراراتهم، وقد أدى ذلك إلى مزج السلطات وعدم وجود مسؤولية حكومية بالمرة).

«وقال رونييه فنلاند الناشر المشهور : إن أقل الناس انتباها يدرك أن البلدان تفقد قدرتها إذا كان خمسمائة مليون من ميزانيتها البالغة مليارا من الفرنك يصرف في نفقات الادارة، وثلاثمائة مليون على فائض الديون، تلك هي حالة المغرب !

«فحكومة ذات عشرة آلاف موظف في بلد سكانه ثمانية ملايين،ان ذلك لشيء غريب !

يوجد في المغرب ثلاثة وستون عنوانا لأنواع التعويضات، ومن بينها تعويض التقنية والمحصول، مع أنهما السبب في تأجير الموظفين الذين شأنهم أن يعرفوا ويمارسوا مهنتهم، والامتيازات والعطاءات والصلات هي التي ترفع الأرقام التي تتحملها الميزانية المغربية (ملخص من جريدة صدى باريس).

التعليـم :

«كيف يمكن أن تحل مشكلة التعليم في المستعمرات الفرنسية وبلاد الحماية ؟ لقد أجاب على ذلك الاختصاصيون في السياسة الأهلية بأنه لاينبغي تعميم التعليم بين الأهالي لما في ذلك من الخطر الذي يبعث في نفوسهم آمالا سياسية تقضي يوما على سيطرة المحتل نفسه، لاينبغي نشر التعليم بسخاء كما توزع الكينا، ولكن يلزم أن يقدم ويوضع تحت تصرف المسلمين كجائزة وتشريف تخصص به الأرستقراطية الأهلية، ومن المفهوم عند الأمة الفاتحة أن الشباب المدرسي المختار من بين أبناء الأعيان يلزم أن يعد لملء الوظائف الحكومية أو لإعانة إدارتنا. ذلك ماقاله مؤلف «موجز السياسة الاسلامية» المطبوع بمطبعة بوسار بباريس سنة 1925.

«ان التعليم هنا ليس غاية لذاته، وإنما هو وسيلة للحصول على الفتح المعنوي الذي هو الغاية الكبرى للمدرسة الأهلية. وذلك ما قاله أيضا الكراس الذي نشره المدير العام للتعليم العمومي سنة 1930.

«وجاء في منشور لادارة المعارف (نشرة التعليم رقم 25 في سنة 1920) التعريف الآتي للمدرسة :

المدرسة تكتفي برفع القيمة المعنوية لمقدرة الأهلي المهنية، وهي عامل للثروة والسلم والشغل، أما السياسة بالمعنى الأوربي العصري للكلمة فلا يتفق مع العمل التقدمي الذي نقوم به هنا، وعليه فلا ينبغي أن يذكر لا في ترشيد المواطنين المغاربة ولا في تحرير المرأة.

«إذن فالتعليم في المغرب لم يعتبر إلا من جانب مصلحة الاستعمار الفرنسي، وهذا شيء حقيقي إلى حد أن الادارة في سبيل تقسيم البلاد وعرقلة التقدم الثقافي للمغاربة أظهرت كل خصومتها لشكل المدرسة الموحدة الذي يطبق في سائر العالم، فأصبح المغاربة ملزمين بتقديم (الزبائن) لمختلف أشكال المدارس وهي :

المدرسة الفرنسية العربية.
المدرسة البربرية.
مدرسة أبناء الأعيان.
المدرسة الصناعية.
المدرسة القروية للمناطق العربية.
المدرسة القروية للمناطق البربرية.
المدرسة الاسلامية لبنات الأعيان.

المدرسة الاسلامية للبنات.

«وانه لمن المتيقن ان هذا العزل سيستمر إذا لم يزد تنوعا بمقتضى الاصلاح الذي أعلنه المقيم العام.

«وان عمل الحماية بعد ثلاثة وثلاثين عاما ليتفق مع المبادىء المذكورة سابقا، فقد أنجبت ثلاثة أطباء وستة محامين وستة مهندسين زراعيين، وعليه فلا يمكن أن ننتظر الآن من التعليم الفرنسي الاسلامي المبنى على هذه الأسس أن يصل إلى تكوين الاطار الذي يتوقف عليه المغرب في أمد قصير بمجرد زيادة خفيفة في عدد المدارس.

«وأيضا فإن هذه الزيادة الضئيلة في برنامج الحماية لاتقضي إلا بتأسيس مائتي فصل تشتمل على عشرة آلاف تلميذ كل سنة وذلك لمدة بعض الأعوام، في حين انه يوجد زهاء مليون من الأطفال في السن المدرسي، منهم ثلاثون ألفا فقط منخرطون في المدارس الموجودة.

«فإذا اعتبرنا أن عدد السكان في بلد ما يتضاعف كل خمس وعشرين سنة بمقتضى ناموس معروف فسنجد أنفسنا في المدة المنتظرة إزاء ارتفاع محسوس في عدد الأطفال المهملين.

«ان إدارة الحماية تعتذر أحيانا بفقد الاعتمادات، وأحيانا بظروف الحرب وما أدت إليه من فقد المواد البنائية، ولكن هذه الصعوبات تتغلب عليها الادارة حينما تحتاج لارضاء السكان الأوربيين الذين لايؤدون إلا خمس ميزانية المغرب.

النظام الفلاحي :

«أما فيما يرجع للبرنامج الاقتصادي فقد سكت مشروع الاصلاح المقيمي عن العمال وصناع المدن الذين هم في حالة سيئة، ولكنه يشتمل على بعض الأشياء فيما يرجع للفلاح، نعم ان لجنة النظام الفلاحي قد اضطرت إلى الاعتراف بأن تطور العمال الزراعيين أساس لتطور جميع البلاد، وهذا صحيح خصوصا بالنسبة إلى شعب تكون القرية ستة أعشاره.

«ولكن الوسائل التي قررتها هذه اللجنة لترضية جمهور الفلاحين المغاربة ورفع مستوى حياتهم عديمة القيمة؛ لأنها تقف عند تشكيل مجلس أعلى للنظام الفلاحي، وإنشاء مشروع زراعة إجماعية لما يبلغ ألفي هكتار من الأرض وأخيرا احداث ملك عائلي غير قابل للتفويت.

ان تجاربنا للأساليب الادارية علمتنا أن تأسيس مجلس ما، يعادل تأجيل العمل لأجل غير مسمى، وهكذا ينبغي لفلاحينا أن لاينتظروا نتائج ملموسة ومستعجلة من المجلس الأعلى المذكور الذي لاتتعدى مهمته حدود دراسة المسائل الراجعة إلى وضع ميثاق ينظم أحوال (الخماس).

«وقليل من الناس من يعرف أن مشروع الزراعة الاجماعية سيقع على ألفي هكتار، وذلك شيء ضئيل جدا، وعلى العكس فإن تأسيس ملك عائلي غير قابل للتفويت لو طبق باحتياط لوضع قسما من أبناء القرية في مأمن من البؤس، وأرضي في النهاية جميع الذين طالبوا بهذا الاصلاح منذ عشر سنوات عندما كان الفلاح لم يضيع بعد أغنى تراثه غير المنقول.

«لكن إعطاء الفلاح المغربي قطعة من الأرض ليس كل شيء؛ لأن حالة الفلاح تدعو إلى حلول أكثر جراءة وعمقا، والاصلاحات التي تتطلبها حالة الفلاح الوقتية تتناول بصفة عامة ما يعيد له كرامته الانسانية، ويحسن معيشته المادية وحالته المعنوية بالقضاء على الامتيازات الاقطاعية وضمان اطمئنانه الشخصي وحفظ ماله وحمايته من المرض والبؤس والجهل.

«ان البدو المغاربة الأذكياء لم يحصلوا في مجموعهم على أي تقدم أثناء الثلاث والثلاثين سنة الماضية، و لم يبقوا فقط في الحالة المزرية التي كانوا عليها، بل انهم أصبحوا يكونون جيش الأرقاء المسخر لخدمة الرؤساء المغاربة أو المراقبين الفرنسيين أو المعمرين أو موظفي الجبايات ورجال إدارة المياه والغابات...إلخ.

«والسلطات التي كان يجب أن تحمي الفلاح من جهله ومن عدم احتياطه لم تقم بأداء مهمتها، بل انها شجعت أولئك الذين يستغلونه ويظلمونه، وشاركت بكيفية غير مباشرة — وحتى بكيفية مباشرة — في تصعلكه.

«وأكثر من هذا فإن السلطات حينما رأت أن الفرصة قد أتيحت للفلاح المغربي لكي يسترجع البعض من تراثه المنتزع منه لفائدة الاستعمار عملت بحزم لمنعه من شراء الأملاك التي عرضها الأوربيون للبيع منذ سنة 1941.

«وأيضا فإن الفلاح قد أهمل حتى انه مازال يحرث أرضه بالأساليب العتيقة، ومعنى هذا أن كل إصلاح لايرمي إلى تكوين إطار فني مغربي بقصد تحسين وسائل الفلاحة الأهلية هو إصلاح يؤدي حتما إلى الفشل».

الدفاع عن سيادة الشعب :

وحينما بدأت الحملة الانتخابية لتعيين أعضاء الجمعية الفرنسية قرر القسم الفرنسي لما يسمونه بمجلس شورى الحكومة بالرباط في اجتماعه الختامي المطالبة باشتراك الفرنسيين في هذه الانتخابات ،فرفع المرحوم اليزيدي باسم اللجنة التنفيذية للحزب احتجاجا لجلالة الملك وللاقامة العامة نرى من الفائدة تلخيصه هنا :

«ان حزب الاستقلال المتأثر لادعاءات الجالية الفرنسية أن لها الحق في التمتع بالحقوق السياسية في المغرب.

«بعد أن اعتبر القرار الذي اتخذه القسم الفرنسي لمجلس شورى الحكومة فيما يرجع لهذا المعنى.

«وبعد ان اعتبر كذلك أن مجلس الوزراء الفرنسي اتخذ تدابير لتطبيق هذا القرار وان الاقامة العامة أصدرت كذلك قرارا بهذا المعنى مؤرخا بيوم 4 أغسطس 1945.

«وحيث إن الحق الوحيد الذي يمكن أن يتمتع به الفرنسيون وغيرهم من الأجانب بالمغرب هو الحق الشخصي المعترف به بمقتظى ظهير 19 أغسطس سنة 1915 الراجع للأحوال المدنية.

«وحيث إنه لا يمكن تناسي السيادة المغربية المؤكدة حتى بالمعاهدات القائمة ولاسيما معاهدة الجزيرة.

«وحيث إن المعاهدات المفروضة على المغرب رغم ما غصبته من حقوق ديبلوماسية فقد أبقت المغرب بلادا تتمتع بالحكم الذاتي وتعتبر أقاليمه أجنبية عن الأراضي الفرنسية.

«وحيث إن عديدا من الأحكام الصادرة من المحاكم الفرنسية العليا قد أكدت هذا المعنى وشرحت حتى المقصود من الحماية المفروضة.

«وحيث إن هذه النظرية هي التي تبنني عليها أحكام سياسية وقضائية أهمها بالنسبة للوقت الحاضر أن المؤسسات السياسية الفرنسية لايمكن أن يكون لها محل في المغرب الذي هو بلد أجنبي؛ لأن التمتع بالحقوق السياسية مرتبط تمام الارتباط بجنسية الاقليم، وقد صرح الماريشال ليوطي في خطاب ألقاه بالرباط يوم 24 نوفمبر سنة 1918 بأن الفرنسيين يضيعون وقتهم حين يطالبون بالحقوق السياسية في المغرب وأنه لايمكن أن يحصلوا على أي تمثيل سياسي.

«وحيث إن منح الجالية الفرنسية حق الدخول في انتخابات الجمعية التأسيسية أمر ارتكبته الحكومة الفرنسية خرقالكل التعهدات والالتزامات.

«وحيث إن السكوت على هذا الواقع يعد مشاركة في جريمة اقتطاع الوطن وتجنيسه فإن الحزب :

1) يحتج بكل صراحة ومع اليقين الذي يكسبه الحق الثابت على قرار الحكومة الفرنسية المخالف للمعاهدات والصادر من غير أدنى استشارة للمغاربة.

2) يستنكر حركة المطالبة التي تقوم بها الجالية الفرنسية والتي تعتبر خطرا يهدد الدولة المغربية والشعب المغربي.

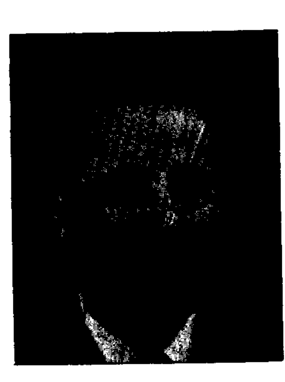
3) يوجه نظر جلالة مولانا الملك للخطر الذي يهدد السيادة المغربية التي يعتبر مولانا حارسها الأمين.

4) يطالب الحكومة الفرنسية بإلغاء التدابير المتخذة في هذا المعنى والتي تذكر من قريب أو بعيد بسياسة التجنيس والادماج».

(الرباط في 18 سبتمبر سنة 1945)

من خلال اطلاع المتتبع للحركة الوطنية الاستقلالية، ورجالاتها الأولين المؤسسين، أنهم ما تخلوا في أي ظرف من الظروف مهما كانت قاسية عن القيام بواجباتهم، في الذود عن حياض المملكة المغربية، والشعب المغربي ومطامحه في الاطلاع الحقيقي، ورفض أي اعتداء على كيانه الوطني وحقوقه الوطنية، وعدم المساس بها من طرف الجالية الفرنسية التي كانت تغتنم كل فرصة ممكنة للاعتداء على السيادة المغربية التي يمثلها جلالة الملك، والحارس الأمين للشخصية المغربية. وإن الاطلاع على رد الاخوان الاستقلاليين وفي طليعتهم المرحوم اليزيدي على اصلاحات المقيم «بيو» وعلى محاولة الجالية الفرنسية مشاركة المغاربة في التمتع بالحقوق السياسية مثل المغاربة يثبت لبعض المتشككين، الذين تساءلوا عن أسباب عدم اعتقال البعض من القادة المذكورين، والذين أجبناهم سالفاً بأن ذلك كان من التدبير الإلاهي الحكيم، ليبقوا حارسين للعرين، ومدافعين عن الكيان المغربي الحر، فجازى الله الصادقين المخلصين، والله من وراء القصد.

شاهد يروي أحداث 29 يناير سنة 1944 بمدينة سلا



يونس نكروف

رأيت أن أنشر ضمن ملحقات المذكرات، مقالا للمرحوم يونس نكراف حول أحداث ومظاهرة 29 يناير 1944 في مدينة «سلا» نظراً لما اتصف به من وصف دقيق للأحداث التي تلظى بلهيبها، واكتوى بنارها وذاق مرارة السجن بسببها.

والمرحوم بكرم الله يونس نكروف، من مواليد مدينة وجدة المكافحة، والتحق بصفوف حزب الاستقلال أوائل الاربعينيات عندما كان معلماً بمدرسة أبناء الاعيان بسلا ولقد تقلب في عدة وظائف بعد الاستقلال من جملتها تعيينه سفيراً لجلالة الملك في بعض الأقطار. ويعتبر من ألمع الكتاب باللغة الفرنسية، وطبعت له عدة كتب في فرنسا، من جملتها كتابُهُ عن معركة الملوك الثلاثة، حصل بسببه على جائزة افريقيا المتوسطية، وعلى جائزة الآداب الناطقة بالفرنسية خارج فرنسا وكتاب آخر اسمه : (صدقة عاطفية) نشرها «آلبان ميشال» بفرنسا أيضاً، وجمع فيه عدة وثائق نادرة، وأبحاث دقيقة داخل خزانات مغربية وفرنسا كما ذكر ذلك أحد الذين كتبوا عنه وهو السيد (جان دوولف) الذي ذكر أيضاً أن له كتاباً مرجعياً آخر (يضع إلى الأبد، وبحجج بليغة، حقيقة التنافس الأمبريالي بين أكبر ملوك العصر : لويس الرابع عشر ومولاي اسماعيل)

لقد قال عنه السيد «جان درلف» المذكور : (بسبب عظيم معرفته التاريخية ومعارف أخرى قيمة ــ شارك في نسج هذا الرباط العربي الأروبي، الذي نحن في أمس الحاجة إليه بعضنا البعض).

ويونس نكروف رحمه الله كما عرفته، كان شاباً لامعاً، قويّ العاطفة، صادق الوطنية، ذا مقدرة على التبليغ في اعطاء دروسه يحبّب إليه تلاميذه بكل ما يستطيع، وكل التلاميذ الذين درسوا عليه، بقوا يلهجون بذكره، والثناء عليه.

لقد أبت زوجته الفاضلة السيدة فريدة نكروف، الا أن تزودني بمقاله الذي أنشره الآن مع استفادتي من مقال للسيد (جان دوولف) كما زودتني بصورته الشخصية فلها الشكر الجزيل.

يسرني أن أنشر هنا مقالا ضافياً كان حرره المرحوم الأستاذ يونس نكروف لجريدة «صحراء المغرب» عن أحداث ومظاهرة 29 يناير 1944 في مدينة سلا، والتي شارك هو بنفسه فيها ويتحدث فيه بإسهاب عما لاحظه ورآه وقاساه في اليوم المذكور قال نكروف : فاتحاً مقاله بما يلي :

«... إلى الأبد، إلى الأبد، لن ينمحي من ذاكرتنا ذلك اليوم الذي به بدأت وستستمر بعزم ونشاط معركتنا الوطنية...»

بمجرد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 حدث في الأيام التالية له، حماس عظيم، لايصدق، سواء في المدن أو البوادي المغربية.

بمجرد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 حدث في الأيام التالية له، حماس عظيم، لايصدق، سواء في المدن أو البوادي المغربية.

كنت آنذاك معلما بمدرسة أبناء الأعيان بسلا حيث عينت بقسم المتوسط الثاني الابتدائي (CM2).

مدة أسبوعين لم أنقطع أنا وتلاميذي عن طبع نص الوثيقة بالرونيو. هؤلاء الأطفال الأعزاء، أطفال 11 سنة إلى 13 سنة، قاموا بتوزيع الوثيقة بالمئات بالآلاف داخل المدينة، وكانوا يجيئوني بأصداء هذا التوزيع وبردود الفعل الحماسية، وكذلك بردود فعل السلطات الفرنسية وجرس الخطر في المساجد والأسواق والدور، سؤال واحد يتردد بإلحاح، كيف سيكون رد فعل السلطات الفرنسية ؟

بخصوص ناقوس الخطر، دارت في المدينة أنباء مقبولة وغير واضحة، هي أنه سجلت تحركات لفرق فرنسية عسكرية، الفرقة العسكرية الثانية DB صعدت من إفريقيا متجهة لمحاربة الألمان قد تكون أرسلت وحداتها حول أهم المدن المغربية وبالحقيقة الدقيقة فإن القصر الملكي أحيط بهذه الوحدات وتزعم أنها جاءت لحماية جلالة الملك.

وأخيرا وصلنا هذا الخبر، وهو أنه ألقي القبض، أو سيلقى القبض على زعماء الحزب. يوم 27 يناير هذا الاحتمال بالقبض على الزعماء أصبح تهديدا حقيقيا، الانفعال والغليان بسلا وصل إلى أقصاه ! سيدي بوبكر القادري خبرنا بما جريات الوضع الرهيب في الرباط وفاس، إنه يحتفظ بهدوئه ويستعد، ويهيئنا لما هو أفظع.

مساندة جلالة الملك :
وفرحة وغليان

يوم 28 يناير قررنا أنه إذا ألقي القبض على زعمائنا، تنظم مظاهرات شعبية، ونتجه إلى الرباط ونجهر بمساندتنا لجلالة الملك والزعماء وكذلك مساندتنا التامة لوثيقة الاستقلال.

وكانت طريقة اللطيف إبان الظهير البربري المشؤوم لعام 1930 قد نظمت مرة أخرى، وصودق عليها، وأنشئت لجن، فعينت داخل لجنة الاسعاف التي يجب أن تسعف بالمال الأسر لأولئك القتلى المحتملين بيينا أو المقبوض عليهم.

وجاءني الأمر بأن لاأغادر منزلي حتى لايقبض علي، وحتى أقوم بدور الإسعاف. ورغم أنني غير راض لعدم مشاركتي في المظاهرة، فإنني أذعنت للأمر، النظام يحكم (di،cipline oblige) يوم 29 يناير منذ الصباح كانت مدينة سلا في غليان، الأمن العسكري للحد ،ة، ألقي القبض على السادة أحمد بلافريج محمد اليزيدي، أحمد مكوار... الإنفعال قوي، القرار أتخذ، المظاهرة الشعبية «اللطيف» سينطلق من الجامع الأعظم بسلا بمجرد الانتهاء من أداء صلاة الظهر.

رجال، نساء، أطفال، كلهم تحولوا إلى ناطقين متطوعين وذهبوا داخل أزقة المدينة لينشروا خير اعتقال الزعماء ويحثوا الناس على الاستنكار، ويحرضوهم على المقاومة، وبالتالي ليطلبوا من كل واحد أن يحضر إلى الجامع الأعظم لأداء صلاة الظهر.

وبالفعل حين أشارت الساعة إلى الثانية عشرة تقاطرت أفواج المؤمنين على المسجد، وملئت أنحاؤه وساحته، ورويدا رويدا تعدت الساحة إلى حوالي الأزقة.

في مثل هذا الجو، نسيت عهدي بالبقاء في البيت، وتأثرت بهذه الأفواج فاندفعت إلى الأمام، فوجدت نفسي داخل المسجد بين أصدقائي، بين المؤمنين.

بعد ذلك يسمع صوت المؤذن الرهيب الذي تقشعر له الجلود، وأدى إلى خشوع

كبير، كان الصمت تاما، وبدأت الصلاة (إنا لله وإنا إليه راجعون) لقد عشنا لحظة الأبدية، لم نرجع منها إلا على صوت الامام وهو يقول : السلام عليكم ورحمة الله !..

المظاهرة

لقد انتهت الصلاة، وفي الحين صاح صوت رنان، مستعطف وحزين :

يالطيف الطف بنا يالطيف !

يالطيف الطف بنا يالطيف !

وبعده أصوات أخرى، ثم أخرى منسجمة وبصدى مؤثر :

يالطيف الطف بنا يالطيف !

وارتفع النداء وتسارع ووصل إلى خارج المسجد فتلقفته الحشود ووصل صداه إلى المدينة كلها ولن يوقفه أي شيء بعد.

لكن ومنذ البداية وفي نسق مع اللطيف ارتسمت حركة وسط المؤمنين نعم. فعند الخروج من المسجد تكون حشد كيف ؟ من ؟ ربما لن نعرف ذلك أبدا وعلى كل حال وغريزيا وجد على رأس الحشد أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد، والشاب ابن اعبود... ثم وطنيون آخرون معروفون واتجه هذا الحشد إلى أزقة المدينة، ومنها إلى باب الخباز، وتكاثف من هنا وهناك شباب ونساء وشيوخ، والكل يهتف باللطيف وتعالت الأصوات، وقوى اللطيف وارتفعت الأيدي مهددة وأصبح الحشد طوفاناً وتحول إلى ثورة.

بداية المأساة

على محاذاة سوق الخضر بدأت المأساة التي تحولت إلى كارثة مفجعة : هناك تكون حبل من الفرق العسكرية من الجانبين، بدعوى أنه سيوقف الحشد، ويبعثر المتظاهرين، شرطة فرنسية، جنود فرنسيون وسينغاليون من فرقة 2 DB بسلاحهم في أيديهم، يطلقون الرصاص في الهواء وباتجاه المتظاهرين. من سقط ؟ وكم هم الذين سقطوا لعلنا لن نعرف هذا أبدا ؟

وكانت الطامة، واختلطت الأمور، وعرفنا بعد ذلك بكثير أن ضابطا فرنسيا قد طعن داخل المظاهرة واسمه دافيد.

في تلك اللحظة لم يهتم أحد منا لا بالموتى، ولا بالجرحى، ولابدافيد، فالمتظاهرون تخطوا هذه الحبال العسكرية والأمنية وامتدوا إلى باب الخباز

لم نعد نسمع اللطيف، وإنما كلمات وأوامر أخرى هي : يحيى الملك ! يحيى المغرب ! إلى المشور

وبحماس اتجه الجمع نحو القوارب (لم تكن قنطرة الحسن الثاني موجودة) وفي نيته تخطي نهر أبي رقراق، في اتجاه القصر الملكي، لاظهار مساندته لسيدي محمد بن يوسف وليطلب منه التوسط لاطلاق سراح زعمائنا.

هناك كانت الأبواب مقفولة بأسلاك الحديد، ووراءها اصطفت عدة صفوف من الجنود الفرنسيين والسينغاليين برشاشاتهم.

وفي مكان وراء هذا كان (كُوصْطُودْوَى) المراقب المدني (وُدوتَسَنْطي) الكومسير الحكومي والمكي الصبيحي الخليفة، وآخرون رسميون.

هناك ! ومن جديد رغم الأسلاك والحواجز، كانت الفجيعة والدم ! لقد أطلقوا الرصاص في الهواء وكذلك وسط المتظاهرين صيحات، أصوات الألم والغضب كل شيء تحول إلى فوضى كل شيء اختلط.

كنت مدفوعا، فأصبحت مُندفعاً. وعلى الحواجز صحت بصوتي : إنها مظاهرة سلمية نريد أن نمرّ، نريد أن نذهب إلى القصر الملكي ! الجواب :مستحيل ! اذهبوا إلى حال سبيلكم، عودوا إلى منازلكم، في نفس الوقت ومن ورائي نفذ الصبر، وديست الجموع وعلت الأصوات : يحيى الملك ! يحيى المغرب !

ونحن في المقدمة أمام الحواجز لازلنا مصرين على الذهاب إلى القصر، إلى الرباط.

واستمرت المناقشة مع السلطات الاستعمارية، تتخللها أصوات غاضبة، واستمرت إلى درجة الأبدية. ثم أصوات الأسلحة تستعد ورصاص يرمي وسط الحشد... ومر الوقت فإذا هو الغروب وفي وسط ظلمة الليل عدنا إلى البيوت

ونحن لانحس بالتعب ولابالجوع ولابالعطش. وحمل الموتى والجرحى، كل واحد دخل بيته.

إســدال الستــار

وأسدل ستار الليل على مدينة سلا وعلى اليوم المشهود.

لم تنم سلا هذه الليلة. إنه الظلام الشديد. لقد قطع الفرنسيون التيار الكهربائيُ على المدينة.

وخلال الليلة قامت الفرق الفرنسية بالتجول في أزقة المدينة، وتسلقت السطوح واحْتلتها، كانت أضواؤهم في أيديهم. تلتقي، وسمعت طلقات نارية خشنة متبوعة برصاصات الرشاشات، من قتل هذه الليلة ؟ وكم كانوا ؟ لانعرف ذلك وربما لن نعرفه بالمرة !!

وفي اليوم التالي بزغت الشمس على سلا الخالية : الأسواق، الحوانيت المدارس بقيت مغلقة، لم تسمع إلا أصوات الفرق العسكرية تجوب الأزقة، انها O.B 2 وامتلأت السطوح بالسنغاليين الجنود، وأسلحتهم بأيديهم والأصابع على الزناد

وأنسل وسط هذه الدوريات العسكرية طفل في 12 من عمره انه حسن الحلو، تلميذي في المدرسة حوالي 9 صباحا يخبرني بأن الفرنسيين بدأوا يلقون القبض على زعماء مظاهرة البارحة.

وبالفعل فبمجرد ذهابه، طرق باب منزلي مخزني رفقة جندي فرنسي وآخر طابور.

وصرخ : إنك مطلوب من طرف الخليفة. ودفعوني حتى وجدت نفسي داخل قاعة المكي الصبيحي، لم يكن هو موجودا، ولكن كان هناك كثيرون من المناضلين لاأذكرهم كلهم وفيهم : بوبكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد، الطاهر زنيبر، القاضي زنيبر ولده والشاب أحمد بنعبود، وعبد السلام النجار إلخ... هل كنا في قلق على مصيرنا ؟ هل تأثرنا برؤية الجنود والأسلحة ؟ ليس ذلك على الحقيقة، وإنما نظر بعضنا إلى بعض والابتسامة على الشفاه وكأننا نقول ليكن مايكون، فنحن لانبالي ! لقد كنا صامتين، لقد كان بيننا الخونة الذين كانوا يترصدون كلما تنا خفية ويدلون بها إلى مصالح الاستعلامات الفرنسية.

الصف الهندي

وفي الساعة الواحدة كانت القاعة ملئي بحوالي 80 «مستدعى» وأوقفونا واحداً وراء الآخر fileindienne في الزنقة، أثناء خروجنا همسوا في اذنى «كن في الصف الأول فإنك تتقن الفرنسية» وهكذا وجدت نفسي على رأس الصف، في «الدرجة الأولى !» واحاطونا بجنود فرنسيين وسينغاليين برشاشاتهم، ووجهونا وجهة المراقبة المدنية، على كل حال هذا ما اعتقدناه، لكن الحقيقة أن الأمور اخذت مجرى آخر، فبمجرد خروجنا ابواب باب الخباز بدأت المأساة. أما مسرح هذه المأساة، فهي ساحة سيدي بوحاجة، في ذلك الوقت كانت خالية من كل بناء.

وسط الساحة، اصطف اثنان من الحبال البشرية، من الجنود الفرنسيين والسنغاليين بأسلحتهم، وعلى رأسهم ضباطهم وحولهم على بعد 50 مترا، حاجز حديدي مسند بجنود، وفي شكل نصف دائري داخله الأوروبيون الذين يسكنون بسلا، جاءوا ليشاهدوا هذا المشهد الذي بدأ منذ وصولنا إلى الساحة.

في البداية وقبل كل شيء وبقوة بدأت الصفعات، والضربات والضرب بالأرجل وأعقاب السلاح، أوقفونا واحدا وراء الآخر، مقابلين لسور المدينة. وكما قلت كنت على رأس الصف : «أقبل أنت ! قال الضابط.

واتجهت نحوه إلى وسط الساحة.

انزع ساعتك ! اخلع ثيابك !»

ونفذت الأمر، ساعتي، معطفي، ملابسي، أخذها من يدي وبحث فيها ثم رماها على غطاء عسكري كان بالأرض، عن يميني رمى بأوراقي وبطاقاتي، وعن جهتي الأخرى، نقود، خاتم، ساعة، قلم (وجاءتنا الأخبار بعد ذلك بأن هذه الأشياء اخذتها مصالح الاستعلامات الفرنسية وضباط غنيمة حرب ! وخلعت كل ملابسي إلاَّ من «السليب» وجاءني الأمر الوقح «اخلع أيها النذل ! Canaille وخلعت «السليب» وحفظاً على عرضي وغريزيا قعدت ووضعت يداي بين ركبتاي، وبمجرد قعودي جاءني ضابط وضربني بقوة برجله على دبري، فأسقطني على وجهي، وضحك الجنود. وسخر الأوربيون الذين يشاهدون المشهد وسمعت : نعم تريدون الاستقلال ؟!»

وثارت في نفسي مشاعر الثورة فقمت مستقيما على قدماي عاريا لا أبالي، كان الجو باردا، لم أشعر به، وكان اهتمامي باللحظة التي أنا فيها، وفي اللحظة التي تليها. «اقبل بيكا صرخ الضابط، وخرج سينغالي في الصف وسلاحه على كتفه وحضر امامنا.

«فيكس ! دومي طور...!»

واستدار السينغالي : «الى الأمام، تقدم !»

وابتعد السينغالي على نحو 60 متر. «فيكس ! دومي طور ! يمين امْلإ السلاح !

وملء السلاح ! وصوب السينغالي سلاحه نحوي في اللحظة، وبدون خوف لم أتمن إلا أن أموت مسلما ! فقلت : سيدي ! سيدي ! من فضلك دقيقتان أو ثلاث، أريد أن أقرأ القرآن قبل أن أموت» !

واجابتني ضحكات كبيرة عظيمة، وكأنه يضرب على فخديه من شدة الضحك،

ثم هدأ الضابط وقال : «امبسيل» ! «أمبسيل» انك لا تستحق ولو رصاصة تقتلك ! وبغلظة تحول إلى أصدقائي الذين اصطفوا وصرخ : «انتم هنالك لا يتحرك أحد منكم أو اطرح هذا قتيلا ! أن لا تساوي نفسي رصاصة فرنسية فإني أشكر الله على ذلك، وأدركت ان هذا العمل نحوي كأنه في نفس الوقت محاولة ردع أصدقائي من الهرب.

وبالفعل نودي على الجميع وأمرهم الضابط بنزع ثيابهم إلى درجة العرى، ولقوا نفس مالقيت، إلا أنهم ارتدوا ثيابهم بسرعة، ووقفوا أمام المراقبة المدنية.

80 مناضلا فتشت ثيابهم ! هذا يتطلب وقتا، ولايمر دون العنف، وبعضهم صبر على مالقى بأباء مثل عبد السلام النجار وبوعبيد و... آخرون. لكن الظالمين تعبوا من التفتيش ... هذ العمل الذي ملوه، أخيراً سمحوا لي بأخذ ثيابي فلبستها بفرح، مسر ... لاني من عضات البرد ووقفت على رأس الخط.

في ذلك الحين بدأ الظلام ... ستاره، عند ذلك أقبلت ... ساحنات عسكرية... وبضرب... في كل مكان وكيفما اتفق اركبونا في الشا... نات، وفي كل شاحنة قفز بعض الجنود المسلحين لمراقبتنا وهكذا اتجهت الشاحنات إلى الرباط متبوعة ببعض سيارات «جيب».

الوجهة : السجن

الوجهة : سجن لعلو، حين وصلنا أخذونا خلال الممرات ذوات الأضواء الباهتة وفرقونا في عدة زنزانات (cellules) كنت في زنزانة مع 5 من أصدقائي، وهي عبارة عن ممر قياسه متران على 3 أمتار، وكانت أرضه من الأسمنت، وفي ركن من أركانه ثقب أريد له أنه يكون مرحاضا WC وعلى الأرض 6 حصائر بالية، مقطعة هي للسجناء أفرشة وبدون غطاء. كنا لاندري ماهو مصيرنا وماذا سنعاني في السجن، مترقبين لبرد شديد في هذا الفصل من السنة (يناير) ونحن مضطرون لقضاء حاجاتنا أمام الآخرين.

لكن لنستمر نحن 6 في هذه الزنزانة الصغيرة : بوبكر القادري، عبد الرحيم بوعبيد، أحمد بليمني، قاسم الزهيري، الصديق بلعربي، وعبد ربه.

وأقفل الباب علينا، وأطفىء الضوء، لكن من خلال فتحة فوق الباب انبعث ضوء خافت، مكننا من أن نآخذ حصائرنا ونبتعد عن الثقب الذي تنبعث منه رائحة كريهة. وخلال وقت غير مضبوط كانت تعليقاتنا عن اليوم تنتهي بأن نقول : «سوف نرى»

ماهو مصيرنا ! ثم بعد وقت طويل تحدثنا بدقة متناهية، هذا الحدث الذي عشناه. ومن شدة التعب والجوع والعطش، بلغنا الإنهاك، وتلاشت أصواتنا الواحد تلو الآخر، وغلبنا النوم أخيراً وبدأت حياتنا في السجن...

لم يحاكمونا لكنا مررنا أمام مستشار الحكومة دوسنطيس، وخليفة الباشا وحكم على بعضنا بعشرة أشهر سجنا والآخرون بسنتين، داخل الزنزانة همس سي بوبكر القادري في آذاننا :

انصتوا !

وبالفعل سمعنا ضجة تقترب، تتوضح. انه الشاب السلوي أحمد بنعبود الذي كان يجر سلاسله ويتلقى ضربات بقبضة السلاح، ويسحب إلى مصيره. مصيره عرفه، وعلم أننا بجواره في الزنزانة فنادى بمصيره وصرخ : «سيدي بوبكر ! سيدي عبد الرحمان ! انهم ذاهبون بي ليرموني بالرصاص، لكن لاتخافوا علي ولاتحزنوا ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! يحيى الملك، يحيى الإسلام..» بعدها أصبح صوته الحماسي مجرد ذكرى في ذاكرتنا.

وبعد ؟ قرر الفرنسيون قراراً : لقد التقينا في قاعة كبيرة 80 فرداً، بما في ذلك الشيخ القاضي زنيبر، وتعانقنا مسرورين بتلاقينا.

وفي هذه القاعة محكوم عليهم حكما عاما، لصوص، ومجرمون حكم عليهم مرتان بالسجن مرتان بالسجن المؤبد.

وهكذا ارتسمت حركة بطريقة غريزية : لقد تركنا السجناء الآخرون ناخذ أماكن من الحائط نحن الاستقلاليين بعيدا عن الرائحة الكريهة للثقب.

وبدون مشاورة، أخذ كل واحد منا 8 إلى 10 أفراد وبدأنا نعلمهم العربية بالنسبة لبعضنا والفرنسية بالنسبة للبعض الآخر، والحساب ثالثا. ورويدا رويدا بسبب الاتصال بنا وبسبب الدروس أصبحت شرذمة المجرمين وطنيين متحمسين لدرجة أن بعضهم اشتهر عند نفي سيدي محمد بن يوسف بين 1953 و 1955.

ويوم الأربعاء يسمح لنا بالحصول على سلّةِ الأطعمة، أو الأواني المملوءة بأطعمة أهالينا، لدرجة أنه أصبح كل يوم أربعاء نشاط السوق السوداء. ويوم الخميس كان كثير من السجناء يتلقون علباً للسجائر، وكانت أثمانها جد منخفضة، والذين كانت لهم موهبة في الأعمال يشترون السجائر بثمن بخس، ثم يبيعونها غالية الثمن من يوم السبت إلى يوم الأربعاء.

وذات يوم أربعاء نودي علي إلى «البارْلْوَار» وفي الأول لم أر أحداً ثم نظرت فرأيت صبيا صغيرا يقترب مني.

«أستاذ أنا تلميذك حسن لحلو، هل تعلم أن زوجة والدي تضربني ! ليس لدي مال. لم آتك إلا بشيء قليل..»

وأخرج من السلة براداً للشاي وخبزاً مطلياً بالزبدة وتأثرت وسالت دموعي، وبقيت ذكرى هذا الحدث في ذاكرتي أثراً وعرفانا.

لم تخنا الحيلة والمهارة، والخيال، لصنع أدوات ضرورية، واختراع ألعاب تاخذ الوقت، تشغلنا من 6 مساءً إلى 6 صباحا تزودنا بالزيت لنضيء القاعة للسهر ولنلعب، كنا نجمع عظام الأطعمة التي تصلنا يوم الأربعاء ونصنع الأمشاط (مشطات) ونلعب الضامة (dames) والشطرنج، ومصابيح بفتيل زيتي. ليس ماهو أسهل من هذا. أحدنا كان يعمل خادما عند «كارلوتي» (الحارس ــ الرئيس) وكان يذهب إلى مخزن كارلوتي ويسرق الزيت، وقبلها كان يشرب الماء الكثير، ثم الزيت، وعند عودته كان يضع أصبعه داخل حنجرته ويتقيأ الزيت، وكنا عند ذاك نترك الزيت إلى درجة الاستقرار ونأخذها بملعقة صاحب هذا العمل، اكتشف وهو يسرق الزيت «فحصل» على 6 أشهر من السجن زائدة !

البق كان ضمن برامجنا :

غدا على الساعة 10 ليلا سوف نحيي ونكافأ السجين الذي ربى أكبر بقة وجدها !»

وهكذا وفي الغد يأتي صاحب أكبر بقية ببقته، فنكافئه ونحتفل به بكل سرور.

كنا كذلك ننظم سباق البق. كنا نضع البق في خط واحد، للإقلاع كان هذا عملا صعبا : فإما أن البق لايتحرك، وإما رجع عن خط الاقلاع. وأكثر من هذا وأشدهم إثارة للضحك هو حين تتقدم البقة مقياس سنتيم واحد، ثم يتخلى عن السباق ويأسف صاحبها ! ومن حسن الحظ كان اثنان أو ثلاث بقات تتقدم بشجاعة.

ملاحظة :

المقال مترجم عن الفرنسية.

يونس نكروف
كاتب وديبلوماسي
من جريدة (صحراء المغرب) الصادرة بتاريخ 29 يناير 1989

الشهيد عبد العزيز بوطالب يختار الشهادة ويرفض منَّ الطبيب الفرنسي



تعرض الاستاذ عبد الهادي بوطالب في كتابه : ذكريات وشهادات ووجوه، إلى استشهاد المرحوم بكرم الله الشهيد عبد العزيز بوطالب بعد مشاركته في مظاهرات فاس التي سقط فيها عدة شهداء، قدموا أنفسهم فداء لتحرير بلادهم وانعتاقها من قبضة الاستعمار، ولقد جاء فيما كتبه الاستاذ بوطالب مايلي بالحرف : ... (حضر يوم مظاهرة فاس إلى بيت والدته، مبيّتاً في نفسه وداعها، والتحق بالمتظاهرين في حيّ الشماعين، في الوقت الذي كانت فيه المعركة على أشدها، بين الشعب الأعزل، وجلاديه، فأخذ يحُضُّ على الثبات، ورفعه المتظاهرون على الأعناق، وهو يهيب بالصمود، فلم تفلته رصاصة صوّبها إليه جندي مرتزق، لكنها لم تقض عليه في التوّ، بل ظل تحت النزيف يموت على بطء، ثم نقل إلى المستشفى العمومي في حالة استعجال كان يتأرجح فيها بين الموت والحياة، تحدث الممرضون أنه جاءه طبيب فرنسي، وفي يده قارورة دم، وأبى عليه خُبْثُه إلى أن يقول له : إنك ممّن طلبوا الاستقلال عن فرنسا، وأرادوا أن يهرقوا دمهم، ويزهقوا روحهم من أجل هذا المطلب الطوباوِي، وفرنسا ستكون رحيمة بك، غافرة لك ذنب عقوقك لها، فالدم الذي سأحقنك به هو دمٌ فرنسي، وستتمكّن بفضله من أن تعيش، لتبقى تتذكر أنك مدين لفرنسا بالحياة.

كان المريض المثخن في جراحه، يُحسن الفرنسية، فقد كان أحد قدماء تلامذة مولاي ادريس الثانوية، فازداد ألماً لوقاحة هذا الطبيب «المتمدّن» وتهالك على نفسه ليرُدَّ عليه : «مادمت تمُنُّ عليّ بالحياة، فدعْني أموت شريفاً، فأعرض الطبيب عنه غاضباً، وقال : فليكن ما تريد، وكان ما أراد الله، فمات عبد العزيز بوطالب، فوق فراشه شهيداً بعد لحظة من أنصراف الطبيب) انتهى ما كتبه الاستاذ عبد الهادي بوطالب.

وهكذا ندرك مقدار إنسانية بعض الأطباء الفرنسيين الذي يعتبر الطبيب المذكور نموذجاً منهم مثل ما رأينا طبيباً فرنسياً آخر حاملا في يده بندقية في مظاهرة سلا يوم 29 يناير 1944 يصوبها للمتظاهرين المطالبين باستقلال بلادهم وتحريرها، عكس طبيب فرنسي آخر في سلا أيضاً يسمى الدكتور لوبلان كان مثال الطبيب الانساني الوديع الذي قام بواجبه الإنساني في تلك المظاهرة وبعدها.

وحتى أعطى لمحة ولو موجزة عن حياة الشهيد عبد العزيز بوطالب أثبت هنا نص رسالة وردت على من ابنه الطبيب في جراحة العيون الدكتور محمد بوطالب حفظه الله، قال الدكتور محمد بوطالب :

نص الرسالة

صديقي الأجل المحترم

لقد تفضلتَ وطلبتَ مني بواسطة كريمتكم المصونة صورة لوالدي رحمه الله فتَجِدُونها طيه مع لمحةٍ عن حَياته.

فهو عبد العزيز بن الحسن بن عبد الحفيظ بن الغالي بوطالب، ازداد بفاس سنة 1896. وبعد الكُتَّاب تَمدرس حيناً من الزمن بالقرويين. وفي 1911 رافق جدته من أمه وهو لازال فتى إلى الديار المقدسة فاستغرقت الرحلة ما يقرب من سنة زَاروا أثناءها مِصر والقُدس ودمشق ثُم اسطانبول، ولعب هذا السفر دوراً أساسياً في توجيه حياته وتوسيع آفاقها ــ لقد رَأى ما كان ينتظر المغرب من شماتة وقساوة الاستعمار، فشهد مُعانة المصريين مع الانجليز، وانتفاضة الحجاز وفلسطين والشام، للتخلص من العُثمانيين وكان يُؤرخُ في يوميته كل ما كان يَلفتُ نظره ويَستَغْرِيه، فراقته الصحافة التي مارسها لأول مرة في حياته الشابة وراقته النهضة الفكرية، فتربت فيه مَحبة القراءة والاستطلاع وصاحبتُه مُنذ ذلك الوقت، الصحف والمجلات والقَصص والروايات كان يملأ أمسياتِه بتلاوتها وتفسيرها للزوجة والأنجالْ والاقارب.

وعند الاياب من الرحلة اضطرو للاقامة في وهران مدة شهر، لأن الجيشَ الفرنسي كان يغزو الشاوية ــ فآمن بحتمية المُقاومة ومن ضمنها التسلح بالعلم والمعرفة، وعند وصوله إلى فاس قَام بتسجيل نفسه في أول مدرسة أسَّستها الحماية في المدينة فنزَلَ الخبرُ على والده كصاعقة وظنَّه تعاطفاً وتحالفاً مع المُغتصب فانزل به من أشدَ العِقاب ما استغرق تضميده وعلاجه عدة اسابيع ــ ولم يَنَل ذلك من عزيمة ومُثابرة الشاب

فاعاد الكرة حتى قسم الشهادة الابتدائية وفي العشرينات، والصورة تمثله في هاته الحقبة من حياته، اشتغل بالتجارة في ميدان النسيج واستَغلَّ علاقته مع ايطالية فقام بزيارةٍ لها زادَته من التفتُح على الخارج، ولاكن غرقت باخرة غير مُؤمنة وبَين بضائعها مستورداته من جِنْوة. ثُم انقلب إلى الطباعة بشراكة الحاج ادريس بوعياد ولاكن اعمال المطِيبْعة كما كان يُسميها بن البغدادي لم تَرُق الباشا وأسياده فسُوّط وسُجن في 1933 ثم في 1937.

بعد ذلك فتح مكتبة وفيها صفحت امرأة فرنسية حاقدة وجه الزعيم علال الفاسي رحمه الله. ثم فتح مدرسة للبنات ونَجح في مباراة مكنتهُ من الانخراط في سلك المدافعين لدى المحاكم الشرعية حتى استشهد في 9 فبراير 1944 بعد إصابته برصاص الجيش الفرنسي أثناء مضاهرات يناير.

رحمة الله عليه وعلى كل من ذاق مَرارة الاحتلال وشغَفَ مُقاومته

اغتنم فرصة هاته الدردشة لأشكركم على كل تضحياتكم وكل أعمالكم في الماضي والحاضر جزاكم الله وسدَّد خُطاكم ومدد في عمركم وأعانكم على الاعتناء بمَاضينا القريب الذي لم ينل بغاية الأسف، رَغم غزارة أحداثه وخصبها، إلا القليل من لدن مُبدعينا وفَنانينا المحاصرين. مع تقديري.

(محمد بوطالب)

* * *

تقرير سرّي إلى المراقب المدني الفرنسي من رئيس المصالح البلدية الفرنسي في مدينة القنيطرة

بعد صدور الجزء الأول من مذكراتي في الحركة الوطنية، وردت عليّ رسالة من السيد يملح بن مشيش العلمي، مع صورة من تقرير سري، كان بعثه رئيس المصالح البلدية الفرنسي، إلى المراقب المدني الفرنسي بالقنيطرة.

ونظراً لما في التقرير المذكور من معلومات تتعلق برجال الحركة الوطنية ونشاطها، وفي طليعة الجميع فقيد العروبة والاسلام جلالة الملك محمد الخامس نور الله ضريحه.

رأيت من الفائدة إلحاق الرسالة التي وصلتني من السيد يملح، مع صورة التقرير الفرنسي المذكور إلى قسم الملحقات :

إلى الشريف والمجاهد الكبير
الأخ العزيز أبو بكر القادري
شارع المسيرة الخضراء بطانة سلا

سلام تام بوجود مولانا الإمام

وبعد، يشرفني في بداية هذه الرسالة أن أؤكد لكم عن محبتي الكبيرة لشخصكم الكريم، وأعبر عن عظيم تقديري لما بذلتموه من تضحيات، وقدمتم من أعمال وخدمات، من أجل تحرير ونهضة وطننا العزيز، فهنيئا لكم، لقد بشر الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم أن لهم الجنة.

يسعدني أن أغتنم هذه المناسبة لاشير إليكم أنني قرأت بكل عناية الجزء الأول من كتابكم القيم (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940) وتأثرت كثيرا بمحتوى الفقرات الرقيقة الطيبة التي تناولتم فيها الحديث عن والدي المرحوم سيدي امشيش العلمي، الذي جمعكم به سجن «غبيلة» بالدار البيضاء إيه يا دار الفخار، ومقر المخلصين، قد هبطناك شبابا، لا يهابون المنون...

سيدي أبو بكر القادري،

إن كتابكم الثمين هذا يشكل مصدراً للاعتزاز بالنسبة للجيل الذي كافح ضد الاستعمار، ومما لا شك فيه أنه يوقد شعلة الوطنية في كل قرائه من الجيل الجديد.

في الختام، يسرني أن أبعث إليكم الوثيقة المصحوبة طيه التي تكشف عن النضال السري لبعض الوطنيين لمدينة القنيطرة.

من المعلوم أن مدينة القنيطرة شاركت بكيفية قوية، في حركة تحرير البلاد، وقامت بعدة أعمال للمقاومة، منها أول عمل فدائي على الصعيد الوطني تجلى في زياغة القطار عن السكة الحديدية، والمظاهرات الكبيرة أمام الزاوية التيجانية سنة 1937، وكثيرا من الأعمال الأخرى غير معروفة لدى المواطنين، كم سيسعد سكانها بأن يلقى الضوء عليها، وكم يسعدني أن أشاركم في ذلك إذا ما وافقتم على ذلك.

تقبلوا، سيدي الأخ العزيز، فائق احترامي وتقديري

والسلام

إمضاء : يملح بن امشيش العلمي

LE CHEF DES SERVICES MUNICIPAUX, LE CONTROLEUR CIVIL, CHEF DU TERRITOIRE DE

PORT-LYAUTEY
Renseignements non contrôlés

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance que ABDELHAQ BEL BACHIR, représentant du parti de l'ISTIQLAL, au cours des cérémonies de la Fête du Trône au Palais du Sultan à Rabat, aurait fait ce lundi 22 Novembre 1948 le compte-rendu suivant aux membres de son parti :

«Dans la journée des tracts contre le Sultan ont été diffusés à Rabat par ses adversaires qui ont l'appui des autorités françaises.

a, dans ses entretiens avec les leaders des partis politiques et les notables des délégations, mis l'accent sur le fait qu'il avait obtenu des Autorités Françaises que le jour de la Fête du Trône soit férié, avec fermeture des services publics.

Il a demandé que la population soit encouragée à pavois aux couleurs marocaines et à chanter l'hymne National moghrabin, à l'occasion des fêtes du Trońe.

Il a invité la population et notamment les classes aisées à faire un gros effort pour réunir les sommes nécessaires à la diffusion de l'enseignement et à la préparation des élites qui assureront la libération du pays.

Il a cité en exemple une personnalité de Casablanca qui aurait versé 70 millions de francs et une autres de Fès qui aurait versé 30 millions.

- La Princesse LALLA AICHA aurait reçu des dons (diadème. et autres bijoux) de Prot-Lyautey, Fès, Casablanca, Marrakech, Mogador.

- Le Comité de la Libération moghrebine du Caire a envoyeé un télégramme de félicitations à S.M. signé d'ABDELKRIM et son frère, ALLAL El FASSI, ABDELKHALEQ TORRES.»

Le 23 Nonvembre 1948, des membres du Parti. de l'ISTIQLAL se sont rendus à Rabat pour entendre les allocutions que devaient prononcer la Princesse LALLA AICHA et le Princes MOULAY EL HASSANE.

Ce sont : DIOURY, M'LAH M'CHICHE, DAOUDI FATMI, ABDELKHALEQ, BEN BACHIR, SI EL HADJ MOHAMED TAZI, SI HADJ TAZI, SI JILALI BENANI.

Le Parti songe à faire un gros effort de propagunde pour accroître les ressources financières du parti. Il s'assigne comme objectif un budget en recettes de 20 millions par on. Il songe à obtenir des devises étrangères, notamment espagnoles, qui lui permettraient, le cas échéant, d'acheter des armes de l'étranger.

(ســـري)
رئيس المصالح البلدية
إلى السيد المراقب المدني رئيس المنطقة

بور ليوطى

معلومات غير مراقبة

يشرفني ان انهي إلى علمكم ان عبد الحق بلبشر ــ ممثل حزب الاستقلال ــ وخلال حفلات عيد العرش التي اقيمت بالرباط قد أدلى بالتقرير التالي نهار هذا اليوم الاثنين 22 نومبر 1948، الى اعضاء حزبه :

«خلال النهار وزعت منشورات ضد السلطان في الرباط وذلك من طرف مناوئيه، والذين تساندهم السلطات الفرنسية وأكد جلالة الملك خلال محادثاته مع زعماء الأحزاب السياسية وأعيان الوفود بانه حصل على موافقة السلطات الفرنسية حتى يكون يوم عيد العرش يوم عطلة، تقفل فيه أبواب المصالح العمومية. وطلب كذلك أن يشجّع السكان على نشر الاعلام المغربية وانشاد النشيد الوطني المغربي بمناسبة عيد العرش ودعا السكان، وعلى الخصوص الطبقات الميسورة الى بذل جهدها من اجل جمع المبالغ الضرورية لينشر التعليم واعداد النخبة التي ستتولى تحرير البلاد. واعطى مثالاً على هذا البذل في شخصية من الدارالبيضاء دفعت 70 مليونا من الفرنك واخرى من فاس دفعت 30 مليونا. ومن جهة أخرى حصلت الأميرة للا عائشة على هبات من بور ليوطى وفاس والدارالبيضاء ومراكش (حُلّي) وارسلت لجنة التحرير المغاربية من القاهرة تلغراف تهنئة إلى جلالة الملك وقعها عبد الكريم واخوه وعلال الفاسي وعبد الخالق الطريس.».

وذهب اعضاء من حزب الاستقلال يوم 23 نومبر 1948 الى الرباط للاستماع إلى (خطاب) أو خُطب كانت ستلقيها الأميرة للا عائشة والامير مولاي الحسن. وهم : الديوري ــ ملاَح مشيش، داودى فاطمى، عبد الحق بلبشير، سي ج محمد التازي، سي ج تازى، سي جيلالي بناني.

ويحث الحزب على بذل مجهود دعائيٍّ، من اجل زيادته الموارد المالية لديه. ويهدف إلى الوصول إلى ميزانية مداخيل تقدر ب 20 مليونا في السنة. وينوي كذلك الحصول على عملات أجنبية وعلى الخصوص عملة اسبانية تمكنه عند الحاجة من شراء اسلحة من الخارج.

توقيع سوابطور

شـــهـــيـــد

سبق لي أن كتبت عن الشهيد الشاب أحمد بن عبود. هذه الكلمة، ونشرت في قالب قصة تحت عنوان (شهيد) في جريدة «العلم» بتاريخ 11 يناير 1969م.

وأثبت هنا نص هذه القصة التي تعرف بالشهيد أحمد بن عبود لصلتها الوثيقة بالفترة والحدث اللذين أكتب عنهما في هذه الفصول من الجزء الثاني من مذكراتي.

عرفته طالبا يتقد غيرة وحماسا، نشأ في أسرة متدينة فاضلة، وتعشق الحرية والكرامة من صباه، وأتت أحداث «الاستقلال» لتمتحن الشاب المغربي المؤمن، ومقدار اندفاعه وتضحيته في تأييد مطلبه الحق الذي تظافرت الأمة بأجمعها لتأييده، والنضال في سبيله وإراقة الدماء الزكية الطاهرة رجاء تحقيقه.

وامتدت يد الاستعمار الأثيمة لقادة الأمة الأوفياء، وزعمائها المخلصين، فسجنت ونفت، وأصدرت الأحكام القاسية على الأبرياء، وعم الإرهاب جميع المدن والقرى، وتحكمت السلطات العسكرية في الرقاب، تفعل ماتريد، وتبطش بمن تشاء.

ولم يستطع الشاب الثائر أن يرى أمته تداس كرامتها بالأقدام، وقادته يساقون إلى السجون مكبلين بالقيود، وموثقين بالأغلال، فاندفع كالأسد الثائر، يقاوم المستعمر الغاشم بكل مايملك من جهد، ويخطب في مجتمعات الشباب هذا وهناك، يدعو لمقاومة الغاشمين المعتدين المستهترين بكرامة هذا الشعب الأمين، ولايترك تلك المجتمعات الشابة إلا ليطوف بالأسواق، داعيا إلى الإضراب، مناديا بالتمادي في التضامن والنضال، إلى أن ينتصر الحق، وتعلو كلمة الأمة، ويندحر الاستعمار وأعوان الاستعمار.

كان آخر يوم رأيته فيه، وأنا في طريقي إلى الاعتقال يوم الثلاثين من يناير سنة 1944 حين طلب مني أن أدله على مايجب عليه أن يقوم به في تلك الآونة القاسية، التي كانت تمر بها حياة الأمة المناضلة في سبيل كرامتها وشرفها وعزتها.

انقطعت عني أخباره في الأسابيع الأولى من الاعتقال، إلى أن كانت ليلة البلاء،

ونحن في غيابات السجون تحيط بسجننا في الرباط فيالق من الجنود، ويضيق علينا الخناق حتى لانسمع إلا قعقعة السلاح، وأحذية الحراس الحديدية تذهب وتجيء فوق سطح السجن الذي يخيم عليه الهول، وتحرسه عين الرقباء العتاة، ومضى هزيع من الليل، ونحن في زنزانتنا ننتظر تصرفات الأقدار، ولانكاد نتكلم مع رفقائنا إلا همسا، وأخذتنا سنة من نوم، فإذا أنا أسمع صوتا من بعيد ينادي، واندفعت إلى باب الزنزانة ألصق أذني بشقوقها لعلي أستمع إلى صاحب الصوت، فأتعرف إلى مايريد أن يقول، وسمعته يقول : سيدي بوبكر، سيدي بوبكر، لاتخف علي، لاتخف علي، كن مطمئنا. كان الصوت بعيدا، ولذلك لم أستطع أن أتعرف إلى صاحبه في الحال، ولكني حاولت ماوسعني الجهد أن أزيد في الانصات، لعلي أستطيع التعرف عليه، فإذا هو ينطلق مرة أخرى، وإذا هو ينادي : أنا أحمد ابن اعبود، سيدي بوبكر — سيدي بوبكر، لاتخف علي.

ورجعت إلى مكاني أفكر وأقدر، ترى ماذا يقصد هذا الشاب من قوله، وماهي قصته ؟ ولماذا يريد أن يطمئنني، وطال الليل وطال، وزاد في طوله مايحيط بالسجن من هول، وما يعتور السجين من تصورات وتخيلات، وَبت أنتظر طلوع الفجر، وإشراقة الشمس، على أحر من الجمر. صارت الساعة ساعات، وأمست الليلة ليالي، وطال الانتظار، لاشك أن هناك حدثا أشد من الهول الذي نحن فيه، فماذا حصل ياترى ؟ ولماذا يكرر الشاب ابن اعبود قولته لاتخف علي، أما أن يكون سجينا مع المسجونين، فذاك ماكان ينتظره وينتظره غيره من الشبان المخلصين، فما كان للاستعماريين وقد أخذ منهم الحنق مبلغه بعد تقديم وثيقة الاستقلال، وتضامن الأمة معها، ما كان لهم أن يتركوا شابا مثل «ابن عبود» دون أن يعتقلوه ويقدموه للمحاكمة مثل مافعلوا مع غيره من الأحرار.

ولكن الأمر أشد من ذلك على مايظهر، فماذا وقع بالذات ؟ بقيت الخواطر تتوالى، والهواجس تتهافت، ولم ينفع إلا الانتظار، وانكشاف ماسارت فيه الأحداث، والتسليم لقدر الله.

وأصبح الصباح على أصوات المفاتيح تفتح أبواب الزنزانات، والمساجين ينظفون البيوت تحت الرقابة الشديدة، ونحن نريد أن نستنشق الأخبار، ونتعرف إلى الأحداث، ولو من ملامح الحراس، ولكن هيهات، الكل مقطب الجبين، مكفهر الوجه، تخيم عليه علامات اليأس والقنوط، واستسلمت لقدر الله، محاولا أن أنسى أو أتناسى ماحدث بالليل، وماهي إلا بضع دقائق، حتى انفتحت نافذة صغيرة في أعلى باب الزنزانة، وأطل منها رجل عليه مهابة، وتزين وجهه لحية سوداء قال الرجل وهو يدير وجهه نحو اليمين

واليسار، خشية أن ترقبه العيون : أين سيدي بوبكر القادري فوقفت أجيبه قال : إن صاحبكم الشاب المؤمن احمد بن اعبود نفذ فيه حكم القضاء، فلقد أخذوه في هذا الصباح (وكان يوم عيد المولد النبوي) لينفذوا فيه حكم الإعدام وتغرغرت عينا الرجل بالدموع، ثم تابع حديثه، لقد طلبوا مني أن ألازمه كمرشد وواعظ، بعدما صدر عليه الحكم بالإعدام، والله ما رأيت شابا أصلب منه عوداً، ولا أثبت منه جنانا، لقد كان سعيدا بالشهادة التي كتبت له، مرتاح الضمير، لأنه سيبذل نفسه في سبيل أمّته وتحريرها، لقد كان يدعو ويبالغ في الدعاء كي يتقبل الله منه، ولقد كان سعيدا كل السعادة، عندما علم أنكم متمتعون بصحتكم الجيدة، ولقد كان قرير العين، لأنه كان متيقنا أن الشعلة ستبقى متقدة مادمتم حارسين لها، أوفياء للمبادىء التي وهبتم أنفسكم لها، لقد تحدث لي بأشياء كثيرة عن جماعتكم، وعبر لي عن اطمئنانه وثقته بأن الله سيكون عنه راضيا إذا ماقدم نفسه ضحية في سبيل الله وفي سبيل المبادىء التي وهبتم أنفسكم لها.

وأحس المتكلم أن هناك وقع أقدام مقبلة من بعيد، فأقفل النافذة بسرعة، وتركنا في خشوع أمام إيمان وتفاني هذا الشاب الشهيد.

ومضت الأيام وتلتها الشهور، وجميع الألسنة تتحدث عن الشهيد ابن عبود، عن إيمانه، عن تضحيته، عن وفائه، عن ثباته، عن مثاليته، يتحدث عنه جميع السجناء بمنتهى التقدير والاعزاز، ويتحدثون عنه خارج السجن بغاية الاكبار والاعظام، وقال القدر قولته : إن أمة يتقدم للاستشهاد فيها أمثال أحمد ابن اعبود، لابد أن تتحقق لها الأماني، ولابد أن يقترب منها يوم الخلاص.

توالت الأحداث تتتابع، وانغمرنا مرة أخرى بعد سراحنا في بذل الجهد الجهيد، لتحقيق ما قدم الشهداء أنفسهم ضحايا في سبيله، وهو العمل على تحرير البلاد، وانعتاقها من أيدي المستعمرين البغاة.

وذات ليلة بينا كنت أتجاذب الذكريات والأحاديث مع صديق عزيز، كان من حسن حظ حركتنا، أن خصومنا لم يستطيعوا أن يتصيدوه، ولم يكن في وسعهم أن يوقعوه في الشبكة، قال لي ذلك الصديق : لقد مرت علينا أيام سوداء وأنتم في السجون فلقد قيل عنك وعن بعض رفقائك أنكم معرضون لأحكام الاعدام ولقد كدنا نيأس من تلاقينا واجتماعنا كما نحن نجتمع اليوم ولكن الله جلت قدرته، هو الذي يتولى الدفاع عن المومنين والحمد لله الذي نصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

قال الراوي ولقد بلغنا أن الادارة الاستعمارية وأذنابها وأعوانها كانوا يريدون بكم كل سوء، ولعلهم كانوا يلزمون كثيرا من السجناء أن يلقوا جميع التبعات عليكم، ويريدون أن يحيكوا مؤامرة يستطيعون أن يتوصلوا بها لأخذ رؤوسكم ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ورجعت بذاكرتي لما حكاه لي الصديق، فإذا أنا أتذكر تلك الليلة الليلاء ونحن في سجن الرباط والشهيد أحمد ابن اعبود ينادي علي من أعماق زنزانته ياأبا بكر ياأبا بكر ! لاتخف علي، كن مطمئنا رحم الله الشهيد ابن اعبود وخلد ذكره في الصالحات جزاء على ماقدم من تضحية في سبيل الله وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق : ﴿ولاَتَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رِبِّهِمْ يُرزَقُونَ فَرِحِينَ بمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُم يَحْزَنُونَ﴾

سورة آل عمران الآية : 170

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

حضرة صاحب الجلالة ملك المغرب المعظم سيدي محمد بن السلطان المقدس مولانا يوسف أدام الله عزه وعلاه

أما بعد فإن الموقعين أسفله أعيان الدار البيضاء من شرفاء وتجار [illegible]

يعلنون [illegible] وثيقة الاستقلال [illegible]

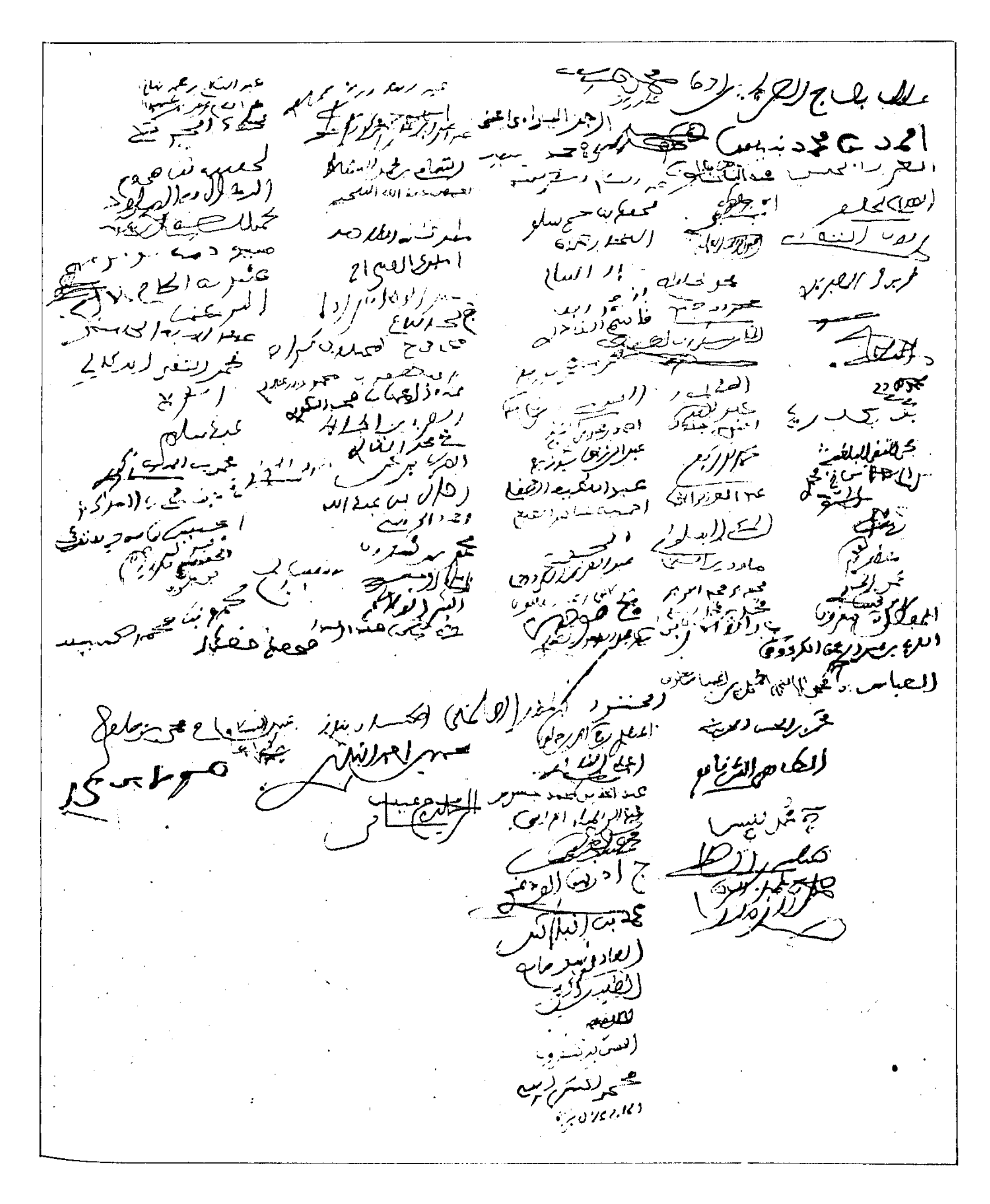
الاستقلال [illegible] بأن جلالتكم [illegible] المغرب من ربقة الاستعمار والنهوض به إلى المستوى

اللائق به [illegible] نهضة شاملة [illegible] جميع [illegible] المخلصين [illegible]

[illegible] والسلام في 4 محرم الحرام فاتح عام 1363

[illegible]

عريضة تأييدية من سكان الدارالبيضاء لوثيقة المطالبة بالاستقلال



تابع توقيعات عريضة الدارالبيضاء

الحمد لله وحده

يا صاحب الجلالة [illegible]

ان الشعب المغربي يعلق على جلالتكم كل الآمال لتحقيق رغباته الشرعية التي يتوقف عليها مستقبل البلاد.

وان تجار سلا واعيانها يتقدمون لجلالتكم الكريمة [illegible] تمام الموافقة [illegible] مع حزب الاستقلال [illegible] ومستقبل الامة ويتقدمون لجلالتكم بهذه المناسبة [illegible]

[illegible]

حرر بسلا يوم [illegible] 1944

مسودة عريضة التجار والأعيان بسلا بخط الأخ المرحوم الصدّيق بلعربي

الحمد لله وحده

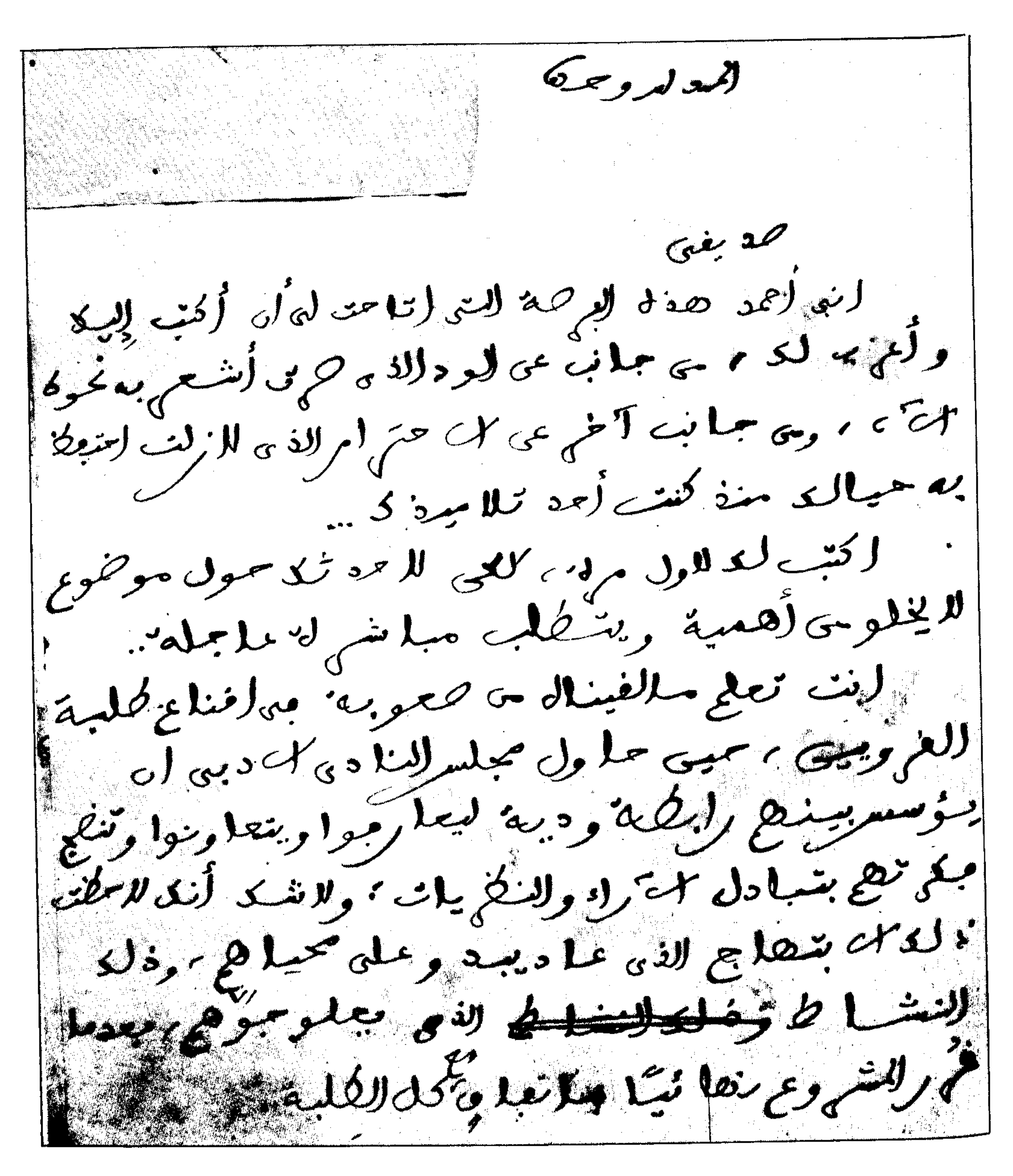
الى صاحب الجلالة [illegible] المغرب [illegible] سيدي محمد بن يوسف

ايد الله [illegible]

يا [illegible]

يتقدم الى [illegible] بكل احترام واجلال اشراف سلا
[illegible] [illegible] وحسوسيين وجديديين ومنا كبير ...
صابر [illegible] بهذه العريضة [illegible] على توقيعها تهم بمطلبهم قضا منهم
التام معر [illegible] الله بستقلال [illegible] هاله المقدا امور الى جلالتكم
من المطالب [illegible] رابع [illegible] الى ربع [illegible] البلاد و
انتشالها من [illegible] الاستعمار [illegible] . وانهم واثقون تمام الثقة
من نصرتكم لهذه الحركة المباركة شأن جلالتكم في كل ما يرجع لخدمة المغربية
وصالحها. ونشفع هذا التضامن بولائنا واخلاصنا الكامل لجلالتكم
وتفانينا في خدمة عرشنا المجيد الذى نعتز به ونعول عليه بعد
الله في انقاذ وطننا المجيد حقق الله آمال وسدد خطاكم
وحرسكم بعناية الكريمة . وعلى كامل الطاعة والولاء ...

مسودة العريضة التي قدمها أشراف سلا وهي بخط الأخ الأستاذ قاسم الزهيري.



الحمد لله وحده

صديقي

إنني أحمد هذه الفرصة التي أتاحت لي أن أكتب إليك
وأعبر لك من جانب عن الود الذي صرت أشعر به نحوك
الآن، ومن جانب آخر عن الاحترام الذي لازلت احتفظ
به حيالك منذ كنت أحد تلاميذك...

أكتب لك لأول مرة، لكن لأحدثك حول موضوع
لا يخلو من أهمية ويتطلب مباشرة المعالجة..

أنت تعلم ما ألفيناه من صعوبة في إقناع طلبة
القرويين، حين حاول مجلس النادي الأدبي أن
يؤسس بينهم رابطة ودية ليتعارفوا ويتعاونوا وتنتعش
ملكاتهم بتبادل الآراء والنظريات، ولاشك أنك لاحظت
ذلك الابتهاج الذي عاد يبدو على محياهم، وذلك
النشاط [illegible] الذي يعلو وجوههم بعدما
ظهر المشروع نهائيا [illegible] وتكتل الطلبة.

رسالة من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف بخط يده في عام 1940

إنني أخشى رغم هذا كله، أن تخمد جذوة نشاطهم
وتتبدد عزائمهم، بعد مرور أيام، لأن من طبع
شبابنا - كما أمكنني أن ألاحظه - أن يبدي كل نشاط
وحماس قبل تأسيس مشروع أو تحقيق فكرة، ولكن
بعد ذلك لا يظهر إلا مللا وفتورا، ويركن إلى
الخمول واليأس لأسباب تافهة في غالب الأحيان.
لهذا رأيت من الواجب أن تبادر أنت لأنك أقرب إلى
فهم طباعهم، بأن تجتمع بهم على الأقل مرة أو مرتين
قبل إيابهم إلى مدارسهم، وتشرح عوامل [illegible] وقاعدة أي
شكل برنامج تسير عليه هذه الرابطة، حتى يعرفوا
بكل وضوح الغرض الذي ترمي إليه، لأن بعضهم ألفى
لا يزال يجهل هذا. أما أنا فإنني أذكرهم فيما سيشتغلون
به حين يعودون لدراستهم -
المهم من هذا كله، علاج تلك النفوس المتألمة
من شبابنا بالتشجيع والمقاومة بكل الوسائل، لأن
من الملل واليأس أعظم خطر على الشباب، خصوصا على شبابنا
الذي لا يستطيع أن يتطور بطبيعته منذ دهور -

عبد الرحيم بوعبيد

[illegible] ربيع الأول 1360

تتمة رسالة عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف

مارس [illegible] ربيع الثاني 1360/

صديقي العزيز

لاشك أنك متعطش لمعرفة ما راج خلال اجتماعنا الأخير
وأي رأي يبدو لي [illegible] وقد اجتمعت [illegible]
أو ما أبداه [illegible] باعتبار [illegible] أني عند انتهاء الجلسة خرجت مسرورا
راضيا، وتبين [illegible] كان معلقي أمل على نجاح هذه
الرابطة، إن استمرت على هذا السير. وأشد ما كان ابتهاجي
لما رأيت [illegible] يتكلم [illegible] ويتجلى من كلامه [illegible] وإن اعتبر إلا أحيانا
[illegible] إخلاص ورغبة؛ ولشد ما كان سروري لما
لاحظت أن البعض [illegible] كونه لم يتكلم إلا قليلا، [illegible] همة
ورغبة أيضا

ليست المبالغة في الكلام من طبعي، كما يمكن أن تظنه؛ يكفي
أني أصف لك حقيقة الواقع.

أخبرتك في رسالتي السابقة، بأني اتخذت أهم ما سيشتغل به
طلبتنا، لما يعودون إلى دراستهم - وبالأصل، لما اجتمعت بهم أخيرا [illegible]

رسالة أخرى من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف في عام 1940

عليه بعض الاقتراحات، بما دونت الاقبال من جميع الاعضاء. لا
أريد ان اتكلم لك كثيرا عن هذا ما دام لم يظهر نتيجة، لذا اكتفي
بالحديث عن شيء منه.

حاولت ان أجعل، بقدر الامكان، لكل اجتماع فوائد ملموسة، يخرج بها [illegible] الاعضاء، حتى اذا عادوا الى منازلهم واطلعوا على [illegible] سؤال عما جنوه من ثمرات خلال هذا الاجتماع، يكون الجواب تلك الفوائد الملموسة. [illegible] منا على درس أجهل شيء لدينا، [illegible] الاجتماعات [illegible] بوجودنا، بما ان [illegible] ان أجهل شيء لدينا هو تاريخ بلادنا. وصمم الجميع على تحقيق هذا الاقتراح. وفي برنامجي الحيي ان سنبدأ بدرس عصر كله أهمية، وهو العصر الذي قبل مجيء الادريسيين. ومما يدل لك على رغبتهم في العمل، وشعورهم بهذا النقصان، أن هذا المشروع دخل في طور التنفيذ، رغم قرب الامتحانات، وقرب [?] العمل، تماما [illegible].

والبعث نظري هنا، أن كل فرد متبوع بنقص [?] حديث حول هذا الموضوع، وان هذه [illegible] مسلسلة، بحيث يبني الثاني على حديث سابقه الى انتهاء العصر. ثم نستأنف درس العصر الذي يليه.
ومما قررناه أيضا، ان نكتب رسالة للنادي الادبي، نطلب منه [illegible]

تتمة رسالة عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف

بصفتنا تحت عطفه، أن يتوسط بيننا [illegible] وإدارة المعارف [illegible]
حول أداء نصف الثمن من السيارات، وهذه ميزة يتمتع بها
أبناء المدارس الحديثة، كما لا يخفى، بما أظن أن النادي يرجع
بالخيبة وراء هذا السعي. وكم يكون ذلك مشجعا لهذه الرابطة
المبتدئة، أيضا، ولجميع الطلبة أن اسم النادي الأدبي عند
النجاح. وعلى كل حال، فهذه مهمة من مهماته، يجب أن يعطيها
حقها من الوقت، ويستطيع بعض أفراد المجلس [illegible] بمهارتهم
تارة وحماستهم تارة أخرى أن يصنعوا [illegible] الفوز هذا [illegible]
وإذ ذاك يمكننا أن نشهد بأن النادي الأدبي [illegible] سلامة السلوك،
سعى وراء أمر صالح وحققه؛ لأني [illegible] إلى [illegible] إبراهيم يشعر
خطة سابقيه، يعني، كثرة الكلام، وقلة العمل.

عبد الرحيم

- سلام مني لجميع الإخوان خصوصا عبد الرحمان، وقاسم
- والسيد [illegible] الدريفي، أحمد بن اليماني، ومحمد الحجار،
سلامنا وودادنا.

الصفحة الأخيرة من رسالة عبد الرحيم بوعبيد إلى المؤلف

باريس 8 ابريل 1947

أخي ابا بكر

اني والله اشعر بشوق شديد اليكم والى
جميع الاخوان التي تربطني بهم الرابطة المقدسة
التي هي قبل كل الروابط. وان والله هذا
الشوق ليشتد ويتضاعف كلما جاءتنا الاخبار
تبشر بفتوح جديدة في بلدنا العزيز. حتى
انه ليخيل الي اني رجل غير محظوظ اذ كلما
تغيبت عن سلا الا وتمر فيها ايام تاريخيه
ما كان اسعدني لو وجدت فيها او في مكان
اقعد فيه وامتع السمع والبصر بما لا تنساه
الذاكرة. واني اغتنم هذه الفرصة لأهنئكم
بالمدرسة الجديدة التي فتحتم وبالظروف
الخاصة العظيمة التي اكتنفت هذا
التدشين. فقد صارت هذه المدرسة مضرب
الامثال بيننا هنا وحكى لنا من شاهدوا
حفلة التدشين انهم ما شهدوا قط
منظرا [illegible] احسن ولا اروع مما رأوا ذلك
اليوم. فهنيئا لكم كل هذا
ولعلني اذكركم بالتاريخ الغد. فربما
انتم ولكن منهمكون في مشاريع اخرى
وقد تكونون انجزتم البعض منها واني لا
اعجب من هذا واذا عجبت فمن
عكسه. وعلى كل، فلتكونوا على يقين اننا

رسالة من المرحوم الدكتور محمد زنير إلى المؤلف في عام 1947

وراء البحار. ولا تعتقدوا لحظة ان باريس و
ما تحويه من المسليات والمشاغل ستنسينا
يوما عنكم او ستجعلنا نعيش في محيطنا الماضي.
كلا، اننا كلما زدنا يوما في هذا البلد الا وشعرنا
ان المغرب يستعجلنا ويطالبنا بحقوقه علينا
نطلب الله ان نكون نعم الملبين
وتعلم ايها الاخ العزيز اننا نذكرك كثيرا
مع اخواننا عبد الرحيم وعبد الرحمن و
غيرهما ونجدد الساعات التي قضيناها معك
لازالت بارزة في ذاكرتي اننا بين ملايين الساعات
التي مرت من حياتنا. وتعلم كذلك ان اكثر
ما يعجبني فيك هي صراحتك واقدامك على
قول الحقيقة من غير مصانعة وهذا شأن الاخ
النصوح الذي يدل الانسان على عيوبه ويبين
له مواطن الداء. وما احوجني الى اخ كهذا.
فلا تعتقد ايها الاخ، انك ان قسوت علي في بعض
الاحيان وانت محق انني لم احبك وبقي من ذلك
في نفسي اثر غير صالح. كلا اني نزهت عن نفسي
كل عناصر الانانية الزائفة، واني اعتبر من الواجب
على كل وطني بل اول واجب على الوطني هو ان
يخرج من جلدته انه نبتته ~~[illegible]~~
~~[illegible]~~ فلا ينبغي له ان يشترط على
من يعملون معه او على المجتمع بأسره ان يصفقوا له
على كل ما يفعل وان لا يوجهوا له لا لوما ولا عتابا
ولا نقدا، والا فكيف يمكن لاي واحد ان يثبت في
وطنيته او ان يظل محافظا على عقيدة
ان البعض منا يمسي في غالب الاحوال اننا
في موقف تضحية وان اسهل تضحية واهمها

تتمة رسالة د. محمد زنيبر إلى المؤلف

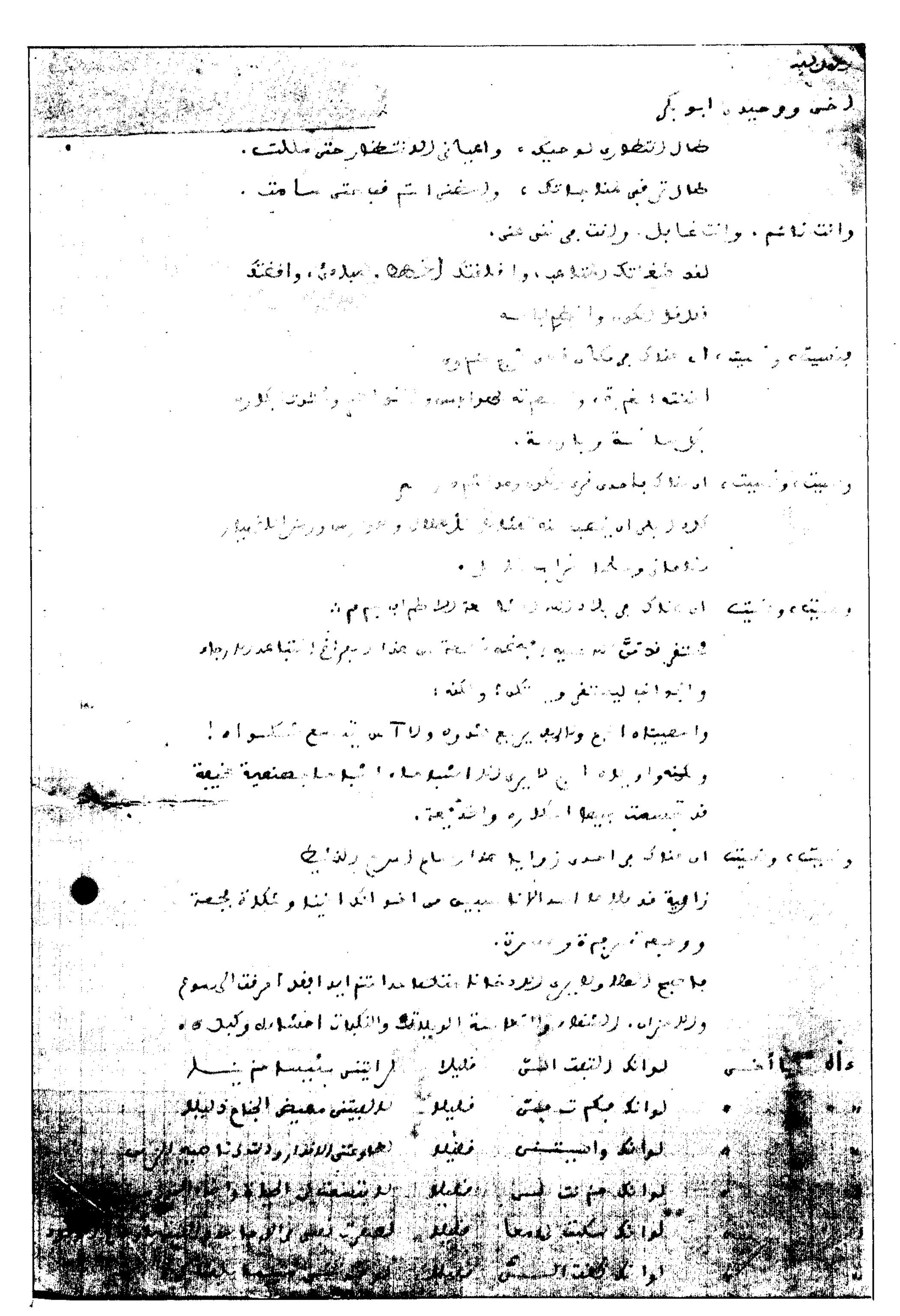
في ان نخرج من عالم الزهو والخيلاء والغرور بالنفس
فهي تضحية بسيطة لا تطلب الا تغيير وجهة نظر
وتبديل فكرة ولكن ما اصعبها على من لا يؤمنون
بها.... وعلى كل حال اني اوفى لعهدك من السموأل
واني انتظر منك النقد السديد المصلح اكثر
مما انتظر المدح المعسول. كما اني انتظر منك
التشجيع. وهنا تطبيقا للمبدأ الذي بيننا اوجه
لك لوما اخويا على اهمال الكتابة الينا سواء
منك شخصيا او من احد اخواننا فنحن لا نريد
ان نقرأ اخبار سلا في "العلم" بل نريد هامش
ينابيعها الخافية وسبلها الخافية حتى
نستطيع ان نبين من لم يكاتبنا في الحق ويساهم
في الباطل ان سلا لا زال فيها شباب ناهض وروح
وثابة وعقل مبتكر متحرك.
اما نحن فاننا كذلك جاهدون في الميدانين
ميدان العلم والعمل ولا نطلب الا شيئا واحدا
وهو ان يتسع وقتنا ليشمل اكثر ما يمكن من
المعلومات والمعمولات. وقد تم والله الاتحاد
بيننا نحن السلاويين. ولست بحاجة الى ان
اصف لك كل واحد بالتفصيل. فانتم كما تعلمون
ان لم ينتقلوا من حسن الى احسن فعبد الرحيم
كما عهدته من ايمان واخلاص ورزانة ودهاء
وحزم، وعبد الرحمن ما تعرفه من طيبة ومرح
ونشاط الخ....

الصفحة الثالثة من رسالة د. زنيبر إلى المؤلف

وقدم علينا في هذه الايام مؤتمر طلبة العرب بباريس
الذي كان سنويا عقده بالمغرب ومنع. وقد ساهمنا
فيه منا همة فعالة ولقد اظهر المغاربة فيه تفوقا
يلوح لكل ذي عينين. ويمكنني ان اقول لك من غير
غرور انني كنت فيه بالكثير من الواجب. وكانت
اعمال اللجان اشق الاعمال كما كان يدور فيها
من مناقشات في بعض الاحيان مضنية ولاسباب
تافهة. ولكننا على كل حال خرجنا ناجحا او
خرجت افكارنا ناجحا. ولا شك ان اعلم
اخبركم بتاتا قبله اذ وجهت له رسالة تلغرافية؛
انما ينبغي لنا ان نوجه اللوم للمغرب لعدم
مبالاته بالمؤتمر فلم يرسل ولو برقية واحدة
بينما وصلت عشرات البرقيات من تونس
والجزائر وحتى من عبد الرحمن عزام وقد
اساء الناس الاعراب في هذه الظاهرة
اما مقررات المؤتمر فانها كانت على جانب
عظيم من الاهمية اذ وضعت اعمال المستعمرين
في الميزان وخرجت بنتيجة واحدة وهي
الاستقلال. ووجهت معظم مقرراتها
للجامعة العربية والدول العرب ليقوموا بتنفيذها
وربما وجهنا لكم نسخا من اعمال
المؤتمر عند ما يتم طبعها

هذا ما جاد به القلم في هذه اللحظة من البال
فعسى ان اكون قد قمت ببعض من واجب الاخوة
والذكرى. واطلب منك ان تسلم على سائر الاخوان
كالفقيه التطواني والحاج ابن الفقيه ومحمد
البقالي وغيرهم واذا امرتني باسماء في الحال عرفت
على هذا الكتاب بدونك وذلك. والسلام
المخلص: محمد زنيبر

الصفحة الأخيرة من رسالة د. زنيبر إلى المؤلف



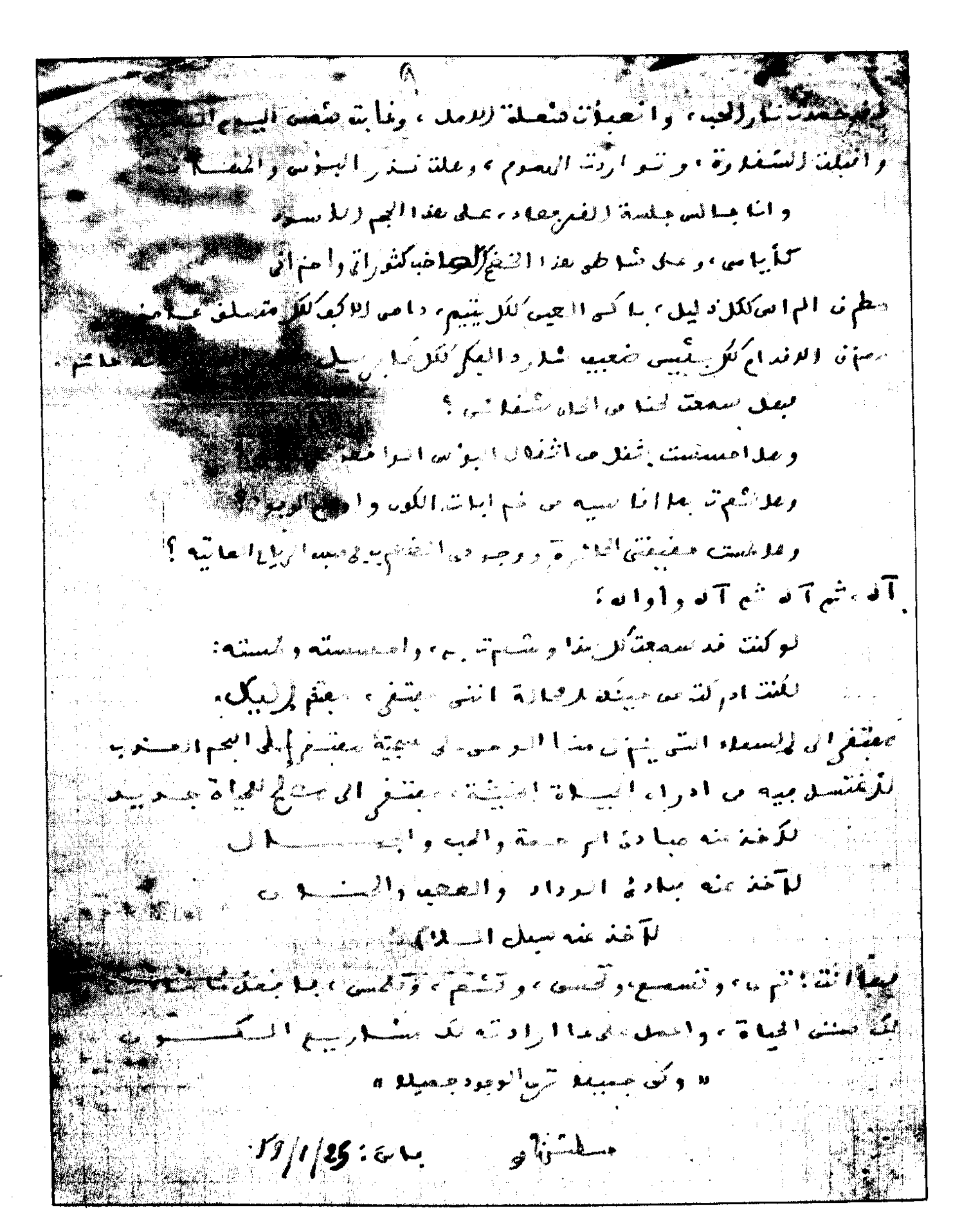
أخي ووحيدي أبو بكر

طال انتظاري لوحيدي، وأعياني الانتظار حتى مللت.

طال ترقبي لمكاتباتك، واستغرقت فيه حتى سئمت.

وأنت نائم، وأنت غافل، وأنت في شغل شاغل.

رسالة من المرحوم الحسين الشرقاوي إلى المؤلف في عام 1359هـ.



لقد خمدت نار الحب، وانطفأت شعلة الأمل، وغابت شمس اليوم [illegible]
وأظلمت السعادة، وتواردت الهموم، وعلت نذر البؤس والشقاء [illegible]
وأنا جالس جلسة القرفصاء، على هذا [illegible]
كأيامي، وعلى شاطئ هذا النهر الصاخب كثوراتي وأحزاني
[illegible] الناس لكل ذليل، باكي العين لكل يتيم، دامي الأكباد لكل متسلق [illegible]
[illegible] الاندماج لكل بائس ضعيف شارد الفكر لكل [illegible]
فهل سمعت لهذا من أنات شقائي؟
وهل أحسست بثقل من أثقال البؤس [illegible]
وهل شممت [illegible] من [illegible] الكون و[illegible] الوجود؟
وهل لمست حقيقتي الثائرة ووجودي [illegible] العاتية؟
آه، ثم آه، ثم آه وأواه!
لو كنت قد سمعت كل هذا وشممته، وأحسسته ولمسته:
لكنت أدركت من حينك [illegible] أنني [illegible] إليك.
[illegible] إلى السماء التي [illegible] هذا الوجود [illegible] إلى النجم [illegible]
لأغتسل فيه من أدران الحياة [illegible] إلى [illegible] الحياة جديد
لآخذ منه مبادئ الرحمة والحب والجمال
لآخذ عنه مبادئ الوداد والعطف والسلوى
لآخذ عنه سبيل السلام
فيا أنت: [illegible] وتسمع، وتحس، وتشم، وتلمس، بل [illegible]
لك معنى الحياة، وأسمى ما أرادته لك مشاريع التكوين
«وكن جميلا ترى الوجود جميلا»

[illegible] بتاريخ: 25/1/[illegible]

تتمة رسالة حسين الشرقاوي إلى المؤلف

الحمد لله وحده

عزيزي [illegible]

حاولت أن أجيبك على كتابك في الوقت الذي أتيت فيه على آخر
سطر منه فلم أجد من القدرة النفسية والاستعدادات الطبيعية ما
أترجم فيه عن مكنونات نفسي وعن خلجات قلبي من [illegible] الأخير
الذي عالجت مشكلاته وأظهرت بوضوح وجلاء معضلاته. ولا أدري
ما العوامل [illegible] التي كانت تملأ ذهني دون حل الألم وغموض،
[illegible] حتى مشكلاتنا [illegible] وأرشدنا [illegible]؟

لشد ما [illegible] على تساؤلي منذ [illegible]؟
ولشد ما [illegible]؟ و[illegible] أن
نبحث عن الحكم والمال والعلاقات [illegible] التي تربط الأفراد بمجموعة
مادية؟

إنك مخلص، وعن الحكم [illegible] ....
[illegible] تحليل العلاقات [illegible] اليوم. [illegible] على الارتباطات
التي [illegible] شبيبتنا سواء [illegible] المثقف [illegible]
[illegible]؟
كيف لا [illegible] رأيك [illegible]
[illegible]

رسالة من المرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف في عام 1948

أن تنقشع عليها غيوم تجعلها بيضاء؟ كيف لا أعتز برأيك وأنا الشاعر أن تبقى روحي
آمنة من البيروقراطية والاضمحلال.

أتسمح متحمساً على تلك الأيام الذهبية بعد ما [illegible] اللحن ومتلألئة
من جديد تلك الجواهر التي يمتد ويتحرر العقد المنتثر ليملأ الفضاء بضيائه
ويشع من البحور [illegible] على القارب [illegible] إحساساً
وتهتز كمراكب للأمواج والصمود والحنين [illegible] للفلسفة
والنبل والصدق والإخلاص؟

أتسمح مختلياً وشوقاً لما [illegible] الذكريات أيدي الشبيبات ومعاوله
نعيش [illegible] بعوالم الله وما نياته وأجوائه ونحلق على عالم الأحلام الصادقة
التي تنيل السعادة بالروحية التي تحول الإنسان دون التعالي عن الدنايا
والتعلق بأذيال الفضيلة؟

أرجوك بدافع الحب أن لا تتوانى في إتمام أعمالك عن صميم الموضوع فقد
انتقلت من الهالة العلائقية التي [illegible] والتي تجمعنا بأخواني الكتيبة بالحديث
عن نفسه وخواطرها وما يدل غليلها من شكوك وأشجان متسائلاً لكم عن جانب
من جوانب نفسه دون التعرض للمشكلة العامة التي خطرها أدمى و[illegible]
أشدّ وأدهى.

عساك أنت تسمح لفكرك أن يجول في عالم الأمس [illegible] كل [illegible]
صالح للكلام على الجميع فقد كنت زمان ميعة الصبا والشباب أعيش في
نشوة الإيمان وشدة تعلق بالطبيعة بحيث غلبت حب الإخوان [illegible]
بالحدائق والحدائق بلا حين أو كدت أنسى [illegible]
[illegible] والأضواء النيرة.
[illegible]

تتمة رسالة عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف

بل هنالك في عالم الحياة خطر أشد من هذا التناقض المرّ الذي
يعذّب صاحبه بألوان العذاب والشقاء.

صدقني يا روحي! عنوان حياة كمهموم كان يملأه قلبه ابتسامة
بالسعد وبالمستقبل ويبحث أخلاقه للأخوات الأوفياء ينقلب مع
مرّ الزمان يتلذذ استبطاء آماله ويحسدها كخيبة الشتاء
الذي الأمطار وقليل روائح تحولت العبد النبيلة هدى من
زعلته ما هذه أيام الماضي الجميل ــ

صدقني هذا الشاب وتراتيبه الأنجم الوضاءة وقربه الفجر الساطع
وحلم الملك واشتد رجاؤه من ربه وإذا بالنجوم تتوارى وإذا الفجر ينكسف
والشمس ينكسف

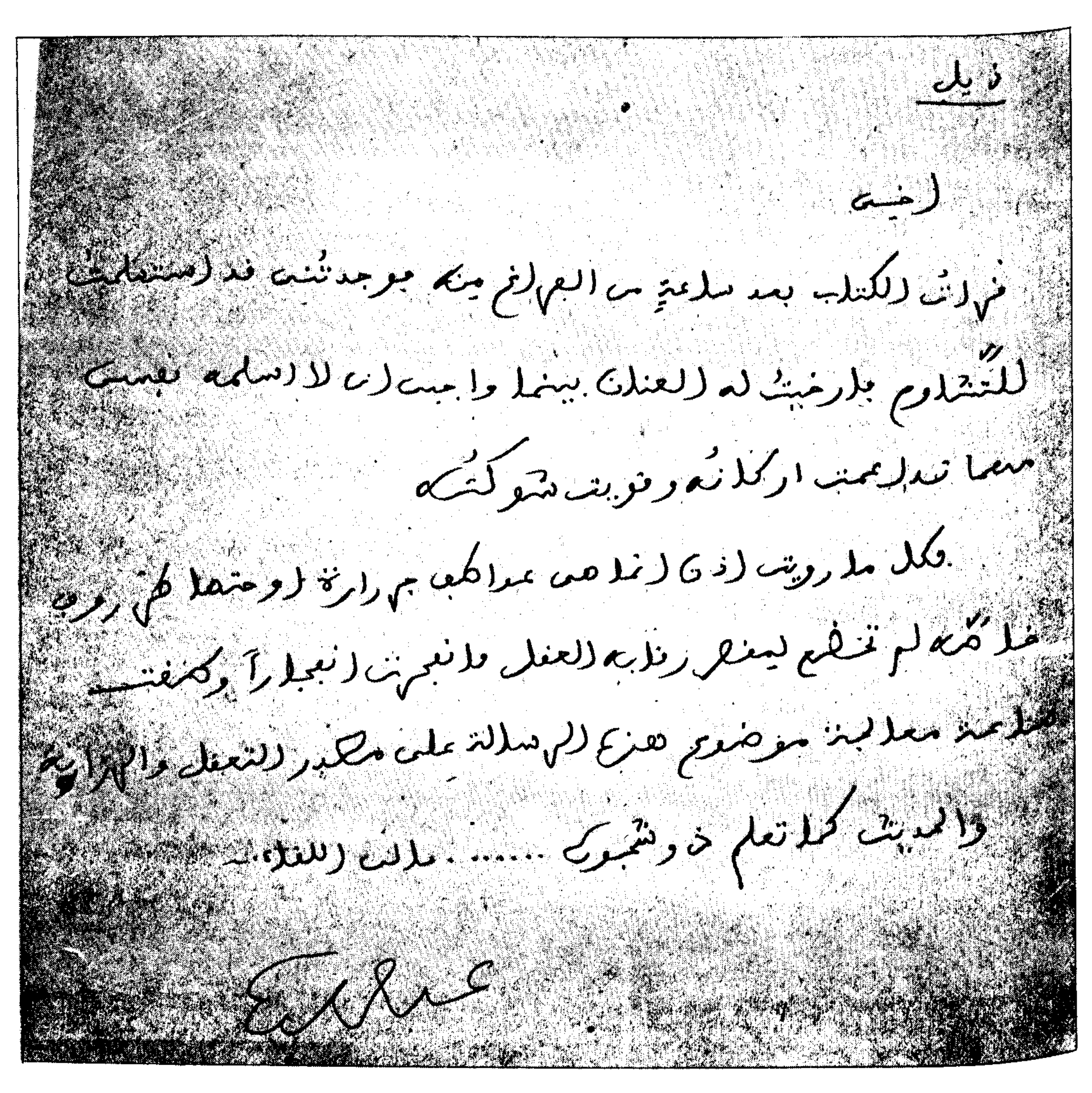
صدقني يا روحي عنوان ذكرى ذلك الشاب الذي حاولت أن ترجع بعد،
هل شككت من جوانب ذوي بسلا رشيقة بقدر أم قسى القلب تذهب منه
ملاك سعد نسيم كبريائه لم ... يتلاقى بين أحضان التشاؤم
المتدهرة يقاسمك أنت أيضاً نوائب الزمان ودواهيه!

أرجوك أن لا تؤاخذني بلغة كان واجباً علي أن أهذه من حضرتك
وأن أرجع بك إلى تعبير التفاؤل ولكن نصحك بالاطمئنان والهدوء،
~~فلذا ... كان ... بجبر الانجبار~~
فهل أنت ترى أنك من جديد لم أوف أمانة الأخوة والصداقة ...... ودمتم
للأيام ......

أخوك عبد ...

في ١٥ سبتمبر 1958

الصفحة الأخيرة من رسالة عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف



ذيل

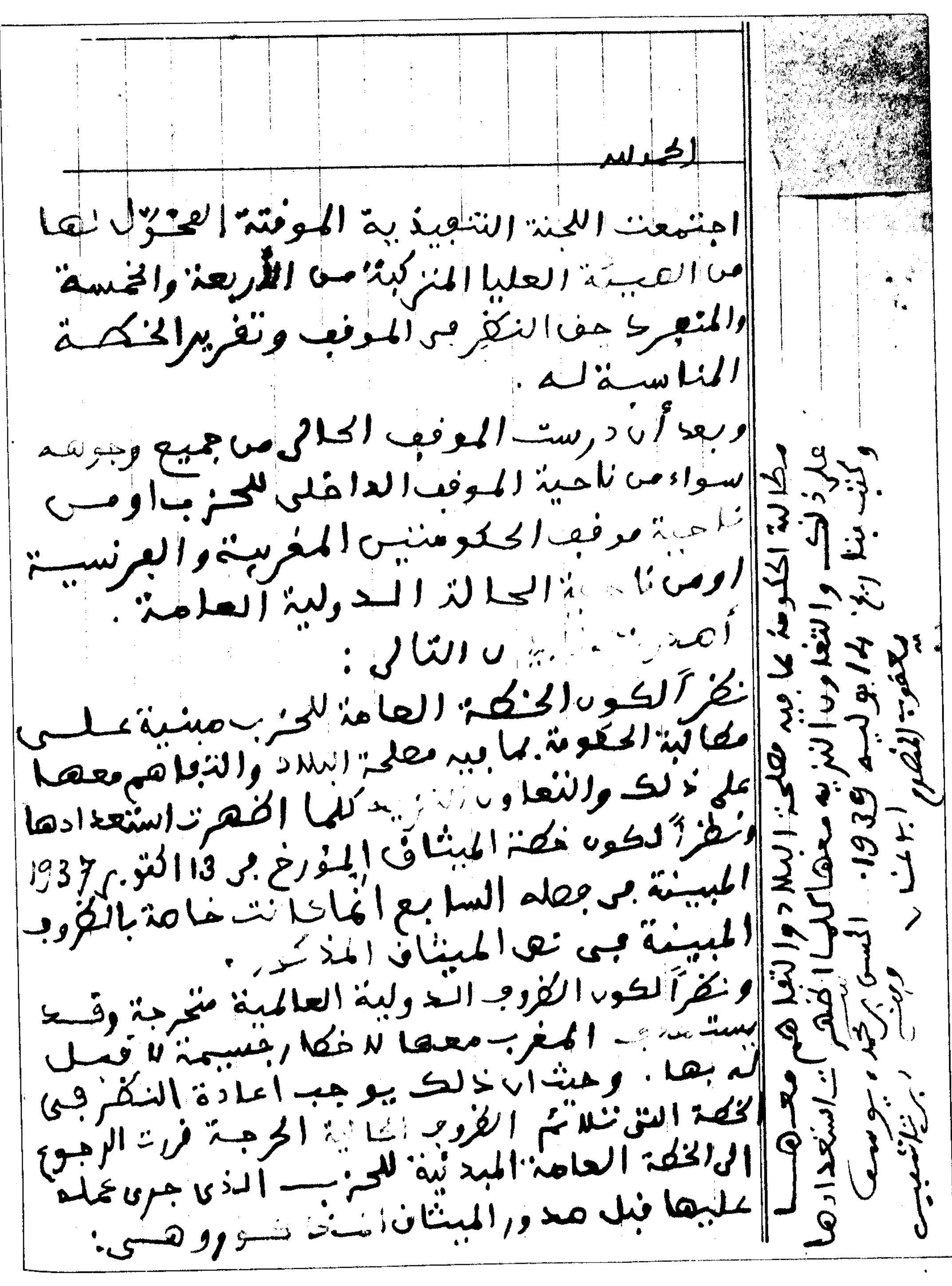
أخي

فهذا الكتاب بعد سلامتي من الهلاك منه فوجدتني قد استسلمت
للتشاؤم بلا رغبة له العنان بينما واجب ان لا أسلمه نفسي
مهما تداعت أركانه وقويت شوكته

فكل ما رويت إذن إنما هي عواطف جارفة أو حتى [illegible]
غلامة لم تخضع لسيطرة رقابة العقل فانفجرت انفجاراً وكانت
لازمة معالجة موضوع هذه الرسالة على صعيد التعقل والدراية
والحديث كما تعلم ذو شجون ...... ملك اللقاء

عبد

رسالة أخرى من عبد الرحمان بن عبد النبي إلى المؤلف



الحمد لله

اجتمعت اللجنة التنفيذية الموقتة المخولة لها
من الهيئة العليا المتركبة من الأربعة والخمسة
والمنهرح حق النظر في الموقف وتقرير الخطة
المناسبة له.
وبعد أن درست الموقف الحالي من جميع وجوهه
سواء من ناحية الموقف الداخلي للحزب او من
ناحية موقف الحكومتين المغربية والفرنسية
او من ناحية الحالة الدولية العامة.
أصدرت [illegible] التالي:
نظراً لكون الخطة العامة للحزب مبنية على
مطالبة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها
على ذلك والتعاون [illegible] كلما ظهرت استعدادها
ونظراً لكون خطة الميثاق المؤرخ في 13 اكتوبر 1937
المبينة في فصله السابع انما كانت خاصة بالظروف
المبينة في نص الميثاق المذكور.
ونظراً لكون الظروف الدولية العالمية متحرجة وقد
[illegible] المغرب معها لاخطار جسيمة لا قبل
له بها. وحيث ان ذلك يوجب اعادة النظر في
الخطة التي تلائم الظروف الحالية الحرجة قرر الرجوع
الى الخطة العامة المبدئية للحزب الذي جرى عمله
عليها قبل صدور الميثاق المذكور وهي:

مطالبة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها
على ذلك والتعاون النزيه معها كلما ظهرت استعدادها
وكتب بفاس 14 يوليه 1939.

وثيقة بخط يد المؤلف حول الموقف الذي اتخذه الحزب الوطني لدى إعلان الحرب العالمية الثانية في عام 1939

ذكرى يوم ١٦ مايو

بسم الله . ولا حول ولا قوة الا بالله

اذكروا فاجعة الاسلام فى المغرب أيها المغاربة المسلمون

غداً يوم ١٦ مايو فى مثله من السنة الماضية فجعت هذه الامة الاسلامية بظهير مشئوم وضعت به فرنسا أول حجر فى أساس تخليد الاستعمار المغربى والقضاء على العروبة والاسلام . لقد كنا أمة واحدة يجمعها دين الاسلام وتربطها الوطنية المغربية وعداوة الكافرين . فأرادت فرنسا أن تفرقنا الى عدوين يتناحران : (١) قسم يسمح له بشىء من بقايا الاسلام ثم يقضى عليه مع مرور الايام . (٢) وقسم يحال بينه و بين الدين ولغة الدين ليدمج فى العائلة الفرنسية خادما مستعبداً ، ويدخل كنيسة الكاثوليك خاضعاً متعبداً . فلا يلبث أن يصبح معولا تهدم به فرنسا ما بقى من آثار الاسلام والعروبة ولا تلبث بلادنا أن تعود مسرحا تمثل فيه رواية أجدادنا فى الاندلس التى أصبحت جهنم الكاثوليكية بعد ما كانت فردوس الاسلام

أيها المغاربة المسلمون ـ لقد قدمتم من الضحايا بعض ما تستطيعون ورفعتم صوتكم باستنكار العدوان على دينكم ووحدتكم فآزركم فى مشارق الارض ومغاربها اخوانكم المؤمنون واحتجوا على فرنسا ضد عدوانها بكل ما يستطيعون وهم لا يزالون ينتظرون منكم أن تدخلوا المعركة الفاصلة فينصركم الله على أعدائكم ويثبت قدم الاسلام فى بلادكم « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » . و« قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين »

أيها المغاربة المسلمون ـ نحن الآن أمام حرب صليبية تهدد كياننا وتخرب أوطاننا وتمكن قدم الاستعمار فى بلادنا . فواجب على كل من فى قلبه ذرة من الايمان أن يجهز نفسه جندياً من جنود الاسلام وأن يدخل المعركة لمقاومة هذه الحرب الطاحنة . فالتاجر فى متجره والصانع فى مصنعه والعالم فى مدرسته والشيخ فى زاويته يجب عليهم أن يوجهوا جهودهم ضد هذا التيار الجارف وأن يستخدموا ما منحهم الله من مواهب ومعارف فى سبيل نصرة الدين

المنشورات التي كان يوزعها الحزب الوطني بمناسبة ذكرى 16 ماي 1930 (ذكرى الظهير البربري).

وانها للمسلمين ومقاومة أعداء الإسلام المعاندين، وأن يكون سعيهم وجهادهم مستمراً فى سبيل اضعاف الاعداء الذين أتوا لاستلاب أموالنا وأراضينا وافقارنا وجاءوا لقتل عقائدنا وشريعتنا. فقوموا أيها المسلمون بنشر المبادى الاسلامية وأثيروا فى النفوس العاطفة الدينية. و « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

أيها المغاربة المسلمون - غداً يوم ١٦ مايو - يوم الفاجعة الكبرى فى تاريخ المغرب الاسلامى فواجب أن لاننسى هذا اليوم الاكبر. وواجب ان نخصصه بخصائص يحفظها أبناؤنا فيرثها عنهم أحفادنا ما دام فى المغرب عرق ينبض من عروق الاسلام

يجب :-

(١) - أن تعتبروا يوم ١٦ مايو يوم حزن وحداد عام هوجمت فيه العروبة والاسلام

(٢) - أن تصبحوا فى هذا اليوم صائمين توبة الى الله ورجاء فى معونته

(٣) - أن تبذلوا من أموالكم الطيبة صدقات تكون لكم زلفى عند الله وتجلب لكم دعاء الخير من اخوانكم الفقراء فالصدقة تدفع البلاء

(٤) - أن تشتغلوا فى هذا اليوم بذكر اسم الله تعالى « اللطيف » بدياركم وغدوكم ورواحكم « اذكروا الله قياما وقعوداً وعلى جنوبكم »

(٥) - أن تقنتوا فى صلاة الصبح من هذا اليوم بهذه الصيغة : « اللهم يالطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادر ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر وحل بيننا وبين أصحاب هذه الظهائر. اللهم ان القوم أرادوا الكيد بديننا وتفريق وحدتنا. اللهم فرد كيدهم فى نحورهم وفرق وحدتهم. اللهم ارزقنا الثبات فى جهادهم ووفقنا للوسائل الجدية فى مقاومتهم يالطيف بعباده انك على كل شىء قدير ». فقد كان ﷺ يقنت فى الصلاة بالدعاء على أعدائه الكافرين. ولكم فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة

هذه هى أقل الاعمال التى يجب أن يقوم بها كل مغربى مسلم فى هذا اليوم العصيب. واذكروا دائما أيها المسلمون أن الظهير فى بدايتها، وانها لم تنته بعد فامضوا فى مقاومة الصليب وحكومة الصليب طول حياتكم وبثوا هذه العقيدة فى نفوس أبنائكم وبناتكم ونسائكم وحشمكم حتى يكونوا جميعاً حراساً على تراث الاسلام فى بلادكم الى قيام الساعة « ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم... واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

الصفحة الثانية من منشور الحزب الوطني بمناسبة ذكرى 16 مايو.

قالوا عن الجزء الأول من :
مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية

الأستاذ عبد الكريم غلاب :

وأعتقد أن راوي «مذكراتي في الحركة الوطنية» سلِم من هوى النفس، لأنه يتمتع بالاستقامة الفكرية، ولذلك فهي مذكرات وسيرة ذاتية، بقدر ما هي تاريخ صحيح للحركة الوطنية، يمكن أن يعتمده القارئون والدارسون، وسيبقى مرجعاً للأجيال التي يجب أن تتعرف على جزء من تاريخ هذه البلاد.

مستشار جلالة الملك الأستاذ أحمد بن سودة :

«يسرني ويشرفني أن أكون أول من يبلغكم أن أمير المؤمنين صاحب الجلالة نصره الله وأبقاه، قد اطلع على الجزء الأول من كتابكم القيم، (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) وقرأه باهتمام، يؤكد مقام كاتبه في نفس جلالته، وبمجرد انتهاء جلالته حفظه الله من قراءته، طلبني لحضرته، وشرّفني بأمره المولوي المطاع، بأن أتصل بكم، وأبلغكم تنويهه الكبير، بسفركم القيّم، وإشادته الطيبة بالجهد العلمي الذي بُذل فيه، واعجابه بنزاهتكم في تناول الأحداث والشخصيات، وبالدقة والموضوعية العلمية التي التزمتموها فيه.

وقال جلالته أعزه الله بالحرف : (لأول مرة، أطلع على مؤلّف يتحدث عن الحركة الوطنية، بكل نزاهة وموضوعية، وأمرني أن أبلغكم رضاه وإعجابه، فجميع الذين كتبوا قبلكم في الموضوع، لم ينصفوا خصومهم، وسيطرت «الأنا» على تآليفهم، الأمر الذي أفقدهم المصداقية والموضوعية».

الدكتور سعيد بنسعيد العلوي :

فالحق أن مذكرات الأستاذ المجاهد تأتي في مجموعها شهادات تنبض بالحيوية والحياة، وتدل على هذا الذي نعتناه بالالتقاء الخصب، بين العمل السياسي من أجل التحرر السياسي، والعمل الآخر، الذي كان في حقيقته أكثر مشقة وصعوبة واتصالا، أي ذاك

الذي كان من أجل تحرير الأذهان من ربقة التقليد والخرافة والشعوذة وتخليص الفكر من قيود الجمود والتقليد. الحق كذلك أن الذين عرفوا أبا بكر القادري عن قرب، أو اطلعوا قراءة أو رواية شفوية على ما كتبه عنه معاصروه من أبناء الحركة الوطنية وقادتها، يقررون أن الرجل كان في حياته وسلوكه تجسيداً لهذه الصلة بين العمل السياسي، والعمل الفكري المذهبي.

شيء آخر لا أملك السكوت عنه وأنا أنتقي للقارىء العربي نتفاً من مذكرات القارىء، هو أن الكتاب في الجزء الأول الصادر منه حتى الآن، يكشف عن نوع من البراعة الفنية في المزاوجة بين الشهادة المدعمة بالوثيقة، المؤيدة بالصورة والحجة،....

لا غرو أن مذكرات القادري في الحركة الوطنية المغربية، ليست إثراء للمكتبة المغربية المعاصرة فحسب (وما أحوجنا إلى معرفة ما دوّنه رجال تلك الحركة، وما في حوزتهم من شهادات) ولكنه إسهام في تطوير معرفتنا بالفكر العربي الإسلامي السياسي المعاصر عامة).

الأستاذ محمد عواد مستشار جلالة الملك :

... وإني لأشد على يدكم بحرارة، وأهنئكم على هذا الإنجاز الكبير، أحر تهنئة وأصدقها، سائلا الله تبارك وتعالى، أن يمدّكم بعونه وقوته وتوفيقه، حتى تتمموا بقية المجلدات التي ستتلوه، والتي لاشك ستكون مثله، غنية بتفاصيل الأحداث الوطنية الكبيرة والصغيرة، هذه الأحداث التي تمثل النسيج الدقيق لتاريخ بلدنا في هذا القرن الهائل الذي انتقلت فيه الانسانية بأسرها إلى عالم السرعة والفضاء، وبنى فيه المغرب جسره إلى حضارة القرن الواحد والعشرين، بقيادة عاهله العظيم، الحسن الثاني حفظه الله.

الأستاذ قاسم الزهيري :

... وإذا كان المؤلف يؤكد في المقدمة والخاتمة، أن كتابه ليس تاريخاً للحركة الوطنية المغربية ككل، و«لكنه تسجيل لبعض الأحداث الهامة التي عشتها أو شاركت فيها من قريب ومن بعيد» على حد قوله، فإن هذا الكتاب جاء شاهدا على فترة من أبرز فترات الحركة الوطنية، ومن موقع يعتبر أحد أهم مواقعها وعلى يد رجل واكبها منذ البداية، ناهيكم بتناول الكتاب، السنوات العشر الأولى لميلاد الحركة الوطنية، وما تمخضت عنهما من أحداث جسام، شارك فيها المؤلف عملاً وتضحية، ثم تنظيراً واسهاماً في صياغة القرار، وأخيراً ريادة وقيادة.

الأستاذ عبد الجبار السحيمي

... نقول بمناسبة صدور الجزء الأول من كتاب «مذكراتي في الحركة الوطنية» ليس هذا غير الجزء الأول، من سلسلة أجزاء تكريم الرجل الذي توحَّدت حول تقديره وإكباره، النوايا والمشاعر، ليحفظه الله، وليحفظ في وطننا، خصال البرور للمجاهدين الذي خاضوا الجهاد الصعب، وفتحوا الطريق، وأناروا للأمة السبيل.

الأستاذ أبو مروان سفير دولة فلسطين بالمغرب :

... وحسبنا هنا في هذه المناسبة الخاصة التي بادرت لها جريدة «العلم» الغراء مشكورة، أن نلقي بعض الأضواء على جوانب هذه الشخصية الغنية المشعة، كلّ من زاويته، وبحسب معرفته وتخصصه، وعلى قدر ما أفاءت عليه وعلى محيطه من ضياء، ويكفيه أن طالبي الشهادة والاعتراف بفضله، أكثر من أن تحتضنهم قاعة محدودة، أو نهار قصير من الزمن، رجل قادته فطرته السليمة، ومناخه العلمي، إلى حب المعرفة والعلم، ودفعه علمه إلى الاضطلاع بالمسؤولية في خصوصيتها وعموميتها على مستوى الأسرة والمدينة والوطن، والأمة بأجمعها، أبو بكر القادري الذي ارتبط اسمه بلقب المجاهد منذ شبابه المبكر، سجلت ذاكرته بوعي محيط، أحداث بلده المغرب، وأحداث أمته، فوعى الصراع العربي الصهيوني في بدايته، واستوعب الخطر المدلهم على المسجد الأقصى منذ ثورة البراق التي تمت عام 1929 وسجّل وقوف الفلسطينيين إلى جانب قضيته العادلة، أيام الظهير البربري، وتنظيمهم للمؤتمر الاسلامي في القدس عام 1930، ثم مزج جهاده مع إخوته من أجل استقلال المغرب، يوم اندلعت الثورة العربية في فلسطين، في أواسط الثلاثينيات، مع جهاده وجهادهم من أجل صيانة أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

الأستاذ محمد علال سيناصر وزير الشؤون الثقافية (مستشار جلالة الملك حالياً) :

وإنني أحيي في الأخ أبي بكر، كفاحه المشرف والمعروف من أجل تحرير البلاد من ربقة الحماية والاستعمار، أحيي بكل إعجاب نضاله المستمر والمتواصل عبر الكلمة، ومن خلال الصحيفة، والكتاب، مرشداً وموجهاً ومؤرخاً، ينهج ذلك النهج الخيّر السديد، الذي يرى في السلفية، جمع حسن التقليد، وجميل التجديد.

الأستاذ أحمد مهابة المستشار الإعلامي بسفارة جمهورية مصر العربية سابقاً

... لقد أخذت أتصفح (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) عازماً على التفرغ

له في وقت يقل فيه الانشغال، ويهدأ البال، لكن صفحات الكتاب شدتني، وتأثرت بالغ التأثر بصدق الرواية، وأمانة المؤرخ، حين تحدثتم عن مصر وعلمائها ومثقفيها من الكفاح المغربي ضد الظهير البربري، وكان أقل ما توصف به أمانتكم ومشاعركم، كلمات قالها لكم رئيس تحرير مجلة (الاسلام) رداً على خطابكم له، دفاعاً عن الشيخ رشيد رضا رحمه الله الذي يقول لكم فيها : «تلقينا بيد السرور والأريحية رسالتكم الخالدة، التي توجت بها أعناقنا ببعض ماوهبكم الله من علم ونبل وخلق ودين إلى آخر الرسالة، التي عبرت أحسن تعبير عن عمق ودفء مشاعرنا نحوكم، كواحد من الأعلام المضيئة في تاريخ الكفاح المغربي والعربي والإسلامي.

الدكتور عباس الجراري :

والحق، أن هذه المذكرات، تقدم معرفة دقيقة بماجريات الحركة الوطنية على امتداد عشر سنين، وزادها دقة أنها اعتمدت إيراد الوثائق والصور، وأنها تبرز دور مؤلفها في هذه الحركة، وتعتبر بتحقيقها لهذين الهدفين، نموذجاً للكتابة في هذا المضمار الصعب، سواء من حيث هي لقطات تسجل للتاريخ، أم من حيث هي ملامح لشخصية مؤلفها المجاهد.

الدكتور محمد حجي :

إن مادة الكتاب شيقة جذابة في حد ذاتها، متنوعة متشابكة بقدر ما هي متباينة، يغلب عليها الطابع السياسي، لكن القضايا الدينية والاجتماعية كثيرا ما تطفو على السطح، وتستأثر بعشرات الصفحات، وتبقى الميزة البارزة لمذكراتي في الحركة الوطنية، هي المصداقية والموضوعية.

الدكتورة نجاة المريني :

لقد أولى الأستاذ القادري مسألة تعليم الفتاة عناية كبيرة، وبذل في سبيل ذلك جهداً أكبر، بخلق مدرسة عربية وطنية، تهدف إلى تعليم الفتاة، كما هو الشأن بالنسبة للفتى، وتمزق بذلك خرافة التمييز بين الرجل والمرأة في التعليم، وتخرق الصمت الذي كان مطبقاً في المسألة، فاستنارت الأفكار، وأضيئت السُّبُل.

الدكتور المرحوم بكرم الله عبد الرحمان القادري :

... سأركز هذه المداخلة، على ثلاثة موضوعات تضمنها كتاب الأستاذ أبي بكر القادري

(1) الحفاظ على الوحدة العقائدية للمغرب، من خلال محاربة دعاة الظهير البربري. (2) الكفاح من أجل الحريات العامة، عن طريق تقديم مطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934. (3) إفشال مخططات اللوبي الفرنسي المتألف من كبار المعمرين والصناع والتجار والتي كانت تهدف إلى التفرد بممارسة السيادة عن طريق الاعتراف بحق التقرير لمجلس شورى الاقامة العامة وتكريس «لابارتايد» في المغرب ذي التاريخ المجيد، بإبعاد السكان الأصليين عن ممارسة السيادة في بلادهم.

الأستاذ محمد العربي المساري :

من خلال استقراء الوقائع التي يتعرض لها كتاب (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من سنة 1930 إلى 1940) يمكن أن نتبيّن خطاً واضحاً يربط مختلف فقرات سلسلة التحركات التي قامت بها الحركة الوطنية في شتى الاتجاهات، يوشي بأن هناك منطلقاً عاماً حكم تلك التحركات وأعطاها طابعاً ثابتاً ما فتىء يلازمها حتى الآن، ومن خلال تتبع هذا الخط، نجد بسهولة أن تلك التحركات، ادّت إلى ميلاد شرعية جديدة، ذات مبادرات، تنتظم في اتجاه مبيت، انتهى إلى إفراز مشروع مجتمعي جديد.

الأستاذ أحمد زياد :

... وجدت في مذكرات الأخ المجاهد، ما أيقظ في ذاكرتي الكثير من المواقف والوقائع، والعديد من الشخصيات التي كنت سمعت عنها، أو عرفتها معرفة شخصية عن قرب. وباتصال مستمر، ومن غير شك، ودون ما مجاملة، فإن الأخ الأستاذ أبا بكر قد وفق كل التوفيق في الاحاطة بكل الظروف والملابسات التي سبقت أو واكبت ذلك الحدث الذي يُعد بمثابة البذرة الأولى لميلاد حركة وطنية مؤطرة في مستوى ما يتطلبه الحدث، الذي هو صدور الظهير البربري في شهر مايو من سنة 1930.

الدكتور المرحوم بكرم الله السيد محمد زنيبر :

... والواقع أننا عندما نتصفح كتابه المشتمل على أزيد من 500 صفحة، ندرك أنه عالج أهم المراحل والموضوعات التي تدخل في تاريخ الحركة الوطنية، وأتى فيها بمعلومات وتقويمات جديدة، نذكر على سبيل المثال الصفحات التي خصصها للحديث عن الظهير البربري، أو عن الحركة السلفية، أو عن بعض الشخصيات الذين قاموا بأدوار مهمة في تلك البدايات (عبد اللطيف الصبيحي مثلا) أو عن الحركة المسرحية الأولى بالمغرب، أو عن بعض الأندية الأدبية، أو عن الحياة في السجن، بالاضافة إلى

القضايا الأساسية التي طرحت على الحركة في مسارها الضيق الملىء بالاهتزازات، مثل تحرير مطالب الشعب المغربي، والمطالب المستعجلة، والصحافة الوطنية، والاتصال بالحركة اليسارية.

الدكتور أحمد فطري :

... منذ أولى الصفحات إلى آخرها، آلى الأستاذ أبو بكر على نفسه، الاَّ يحيد عن سبيل الحقيقة التاريخية والموضوعية المطلقة، في كل ما يكتب ويسجل من أحداث ووقائع عن مسيرة الحركة الوطنية المغربية خلال العقد الرابع من هذا القرن...

وإذا ما تتبعنا المؤلف، فإننا نجده بالفعل، قد ظل ملتزماً بالحقيقة والموضوعية على امتداد صفحات مؤلفه من بدايتها إلى نهايتها.

الأستاذ الصادقي العماري :

... يمكن توزيع الأحداث والوقائع في مذكرات أبي بكر القادري إلى ما يأتي :

— ما استمده من المصادر التاريخية وهو خارج عن الفترة المحدّدة أي ما قبل 1930.

— ما كان طرفاً فيه بوجه من الوجوه، فهو شاهد.

— ما كان معاصراً له من أحداث دون أن يكون مشاركاً فيها.

وهذه الأحداث جميعها إما داخلية أو خارجية

الدكتور محمد عابد الجابري :

... إن كتابه الأخير، ليس مجرد ذكريات، بل هو سجل حيّ، لجانب من نضال الشعب المغربي، من أجل حريته وكرامته واستقلاله، إنه سجل تأبى وقائعه إلا أن تنطق بما يُحرج حاضرنا، هذا الحاضر الذي أصبح فيه تهميش الذاكرة الوطنية، استراتيجية يكرسها النظام العالمي الجديد من جميع أقطار الدنيا، مبشراً بنهاية التاريخ حتى لا يبقى هناك للمستقبل، إلا مستقبل التبعية التي يفرضها على العقول والوجدان والأذواق، فضلا عن السياسة والاقتصاد.

الدكتور محمد فاروق النبهان :

... وسوف يكون هذا الكتاب، من الوثائق الهامة التي تجسد كفاح شعب، وجهاد أمة، في سبيل الكرامة والحرية، وقد أعجبت كل الإعجاب، بمنهجه العلمي الرصين، ودقته في عرض الأحداث والوقائع، بأسلوب علمي مُدعّم بالوثائق والصور.

الدكتور عبد الحق المريني :

إن مؤلفكم يعد بحقّ، شهادة لها وزنها وثقلها، على أحداث خطيرة، احتضنها عصر بكامله، ولا غرابة في ذلك، فإن مؤرخها شاهد عدل، ساهم بجهاده وقلمه، مساهمة فعالة، في كل المراحل التي مرّت منها الحركة الوطنية المغربية، والتي انبثق منها عهد جديد، عهد الحرية والكرامة والاستقلال.

الدكتور عبد القادر العافية :

... ومما زادني به إعجاباً، لهجته الصادقة، ووطنية مؤلفه المتميزة، وإيمانه العميق بالله، مما جعلني أعيش مع الكتاب، وكأنني أشاهد فلماً، أخشى أن يقطع عليّ أحدٌ تسلسل أحداثه، والانغماس في قصصه وحكاياته، والكتاب غنيّ بالوثائق النفيسة، والحقائق الناصعة، والبيانات الناطقة.

الأستاذ محمد بن أحمد اشماعو :

... وإن أردتم الوقوف على دلائل أكثر عن هذا القلب الكبير، وهذا الضمير الحي، فاقرأوا مقدمة الكتاب، لتروا كيف يُرجع رائد كبير، الفضل لأهله، ذاكراً باعتزاز الأفذاذ القادة الملهمين الذين اتصل بهم أو اتصلوا به، واحداً واحداً، ودعوه — لمزايا رأوها فيه — إلى أن يدخل في زمرتهم، فدخل، وصمّم على مصاحبتهم المكلفة، بلا تراجع وتولى تمهيد الطريق، ودعوة الأخيار الأبرار، فاستجابوا للنداء العالي، نداء الله والوطن.



كلمة أخيرة

لم أكن أتوقع عندما شرعت في كتابة الصفحات الأولى من الجزء الثاني لمذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، أن القلم سيقف بي في سنة 1945، بل على العكس من ذلك كنت أتوقع أن أصل إلى أواخر الأربعينيات على الأقل، ولكن رجوعي إلى الثلاثينيات، للأتوسّع في بعض المواضيع والأحداث، فأعطى فيها بعض التفاصيل التي لم يمكن لي أن أقوم بها في الجزء الأول، واقتناعي بضرورة إلقاء الأضواء عليها، جعلني أؤخر الحديث والذكريات بعد سنة 1945، إلى الجزء الثالث بحول الله، إن مدَّ الله في الأجل.

لقد رجعت في هذا الجزء الثاني من مذكراتي إلى فترة أوائل الحرب العالمية الثانية لألقي بعض الأضواء على ما وقع فيها من أحداث في بلادنا، وأتوسع في شرح الظروف والملابسات التي كانت تدفع إلى اتخاذ بعض المواقف، ولأعطي صورة واضحة إن لم تكن كاملة، عن مواقف كل الشرائح المغربية، سواء منها الموظفون الكبار، أمثال رجال المخزن والعلماء أو التجار، أو المسؤولون في الحركة الوطنية، على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم، ولأشرح بالحجج والوثائق الدوافع الحقيقية التي كانت تدفع أصحاب كل اتجاه سياسي إلى ما اتخذوه من مواقف، ولأبيّن أن الخطة التي سلكها المغرب، ابتداء من ملكه إلى رجال الحركة الوطنية الصادقين، إلى بعض الشخصيات البارزة في الدولة، كانت هي الخطة الرشيدة التي أتت أكلها، وانتهت بما انتهت إليه في آخر المطاف من صواب.

لقد شطَّ القلم ببعض أصحاب المذكرات والذكريات، فصاروا يصفون المواقف وأصحابها ببعض الصفات التي ليست من الصواب في شيء، وعلّق آخرون فيما كتبوه في ذكرياتهم ومذكراتهم بعبارات إن لم يكن فيها اتهام بالخروج عن الجادة بالقطع، فهي تشعر بالتشكك في وطنيتهم وصدقهم وإخلاصهم.

والواقع أن الذي يحزّ في النفس هو أن بعض المنتمين للحركة الوطنية رغم مكانة بعضهم نظراً لدوافع لست أدري بواعثها، يعطون لأنفسهم الحق في إصدار الأحكام على الغير، دون مراقبة صارمة من ضمائرهم التي كان يجب عليهم أن يرجعوا إليها، قبل إصدار تلك الأحكام.

إنني أومن بأن أفكار الباحثين الوطنيين قد تختلف، وليس في ذلك من ضرر، ولكنني أومن أيضاً أن اختلاف الآراء لا ينبغي أن يوصل إلى اللمز والطعن وسوء الظن، وحتى إذا ما رأى كاتب أن يصحح بعض الأخطاء التي قد يقع فيها غيره، فينبغي أن تكون بالتعابير اللائقة، والاحترام الضروري في تعامله مع الآخرين.

إن الوطنية الحقيقية شرف، والوطني الحقيقي لابد أن يكون شريفاً نقيّ القلب طاهر اللسان، وإذا كانت الوطنية تُخْدم بالسياسة، فالسياسة الوطنية لابد لها من أخلاق، وإذا انتفت الأخلاق من السياسة الوطنية، فاحكم عليها بالاضمحلال. الوطنية شرف، وشرفها في أخلاقها ونزاهتها، فإذا انحرفت عن الأخلاق والنزاهة الفكرية، فلا تبقى وطنية حقيقية، ومغربية صميمة، وإسلامية المبدأ والمعاد.

إن ما تمتاز به الوطنية المغربية، هو سلامة منبتها، وطهارة جذورها، ولا يقبل بحال من الأحوال، أن نتنكر لمنبتها وجذورها، لأنّ طهارة المنبت والأصل، جعلها تستولي على قلوب أفراد الشعب المغربي، فينصاع لها الشعب ويسير في ركابها، ويهتدى بهديها. ولقد زاد الوطنية المغربية شرفاً وقدراً، أن هيأ الله لها في بداية تكوينها، ملكاً أعطى العهد للوفاء، فوفّى به في كل ظروف حياته، وأعطى للوطنية وزنها الكامل، وسار في حياته ونشاطاته وأعماله وتحركاته، يخدمها بصدق وإيمان، متحملا كل الأتعاب والمحن، وفي طليعتهما النفي والإبعاد والمقاساة والمعاناة، فما ضعف وما استكان رحمه الله وجازاه أعظم الجزاء.

ومن أجل الاعتراف بالجميل لهذا الملك الصالح الفذ، رأيت أن اكتب عنه بعض الصفحات الراجعة لأعماله وتوجهاته في الثلاثينيات والأربعينيات، لأنني اعتبرت أن إغفال ذكره ببعض التركيز في مذكراتي، يعتبر هضماً لحقه، ونكراناً لجميله، وجميلُه رحمه الله ورضى عنه لا يمكن أن ينسى أبداً.

وقد يتساءل بعض الباحثين عن الأسباب والدواعي التي جعلتني أتوسع وأعيد الكلام، حول ما سبق الحديث عنه في الجزء الأول في شأن ما سمى بلجنة الحركة المغربية الموقتة، والتي أسسها أصحابها في أواخر سنة 1937 أثناء الهجمة الشرسة التي

هجمها المقيم العام الفرنسي الجنرال نوكيس على الوطنية المغربية، وعمله على سحقها والقضاء عليها، وذلك كان لسببين اثنين : (1) أولهما أنني استطعت الحصول على محاضر الجلسات التي كان يسجل فيها مؤسسو تلك اللجنة ما كان يروج فيها بكل وضوح، ويوقعوا عليها بثلاثتهم، و(2) ثانيهما أن الكثيرين من الباحثين لا يستطيعون الحصول على الحقائق الكاملة لعمل اللجنة المذكورة وأفكارها وتوجهاتها، إلا إذا اطلعوا على محاضر جلساتها التي تزيل كل التباس، وتعطى كل ذي حق حقه. من الذين كونوها، وعملوا في دائرتها. في تلك الفترة الخاصة التي عانت فيها الوطنية المغربية والوطنيون المغاربة ما عانياه من محن وآلام.

ومادمت تحدثت عن فترة الحرب، والموقف الذي وقفه الشعب المغربي بقيادة الملك الفذ سيدي محمد الخامس نوَّر الله ضريحه، فلأشر هنا ولأسجل، أن وقفتنا ونحن نتقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال، كان لها أثرها العظيم، ونتائجها المباركة، بفضل تجاوب هذا الملك العظيم، مع الأحرار الصادقين من رعيته، ومساندتهم في مطلبهم الأساسي الذي هو الاستقلال، المساندة القوية التي كان لها الأثر الكبير، لا على الفرنسيين فحسب، ولكن على الناكصين على الأعقاب، والمتخلفين على الركب.. الذين قال الله في حقهم : ﴿فإنْ كَانَ لَكُم فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ وإنْ كان لِلكافِرِينَ نصِيبٌ قالُوا : أَلم نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ من المُومِنين﴾.

لقد ارتأيْتُ وأنا أسجل الأحداث والوقائع التي عشتها لدَى مطالبتنا بالاستقلال في حادي عشر يناير 1944، أن لا يبقى فضل المطالبة بالاستقلال خاصاً بفرد دون فرد من الموقعين على الوثيقة، بل لابد أن يعترف للجميع بالفضل والريادة وشق الطريق الحقيقية للكرامة والحرية، ولذلك رأيت من واجبي — وقد عرفت الكثيرين منهم — أن أعرّف بكل واحد، حسب معرفتي التي كانت مستوفاة لدى البعض، وناقصة لدى البعض الآخر، ولذلك فقد جاءت هذه التعريفات مستفيضة عن البعض، وغير كاملة عن البعض الآخر، ولا يعنى ذلك أنني نقصت من قدرهم، ولكني أتيت بما حفظته ذاكرتي عن بعض الاخوان الذين شاركتهم وشاركوني العمل الوطني التحريري، والذين أتيح لي أن أصاحبهم وألازمهم الشهور والأعوام الطوال، بعكس الذين لم يتح لي أن أعاشرهم الوقت الطويل في العمل الوطني المتنوع، فاكتفيت بما عرفته عنهم مع اعترافي بالتقصير في حقهم، ولقد عملت جهدي أن أعرف ببعض الإخوان الموقعين الذين اختلفت معهم أو اختلفوا معي، أثناء فترة بناء الاستقلال، غير ناقص من قدرهم، بل

اعترف بأني لم أنس ما قاموا به وما بذلوه في فترة عملنا لتحقيق الاستقلال، مؤكداً بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عمَلا، ولكن اختلاف الرؤية، وتعدد المناهج والمقاصد، يجعلان الإنسان دائماً يرجع إلى الحقيقة الأولية التي دفعته للسير في المنهاج الوطني، وأعطى العهد على الوفاء لها، دون زيغ أو انحراف. والتجديد في الأفكار وطرق العمل ضروريان لكل بناء، ولكن الالتزام بالثوابت والأصول، وبالأخص التي ترجع إلى العقيدة، لا يمكن مطلقاً الانحراف عنها مهما كانت الصداقات والأعمال المشتركة.

وبعد، فهذا هو الجزء الثاني من (**مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية**) قد انتهيت من كتابته، أرجو أن يلقى من القبول والرضى ما لقيه الجزء الأول، فيستفيد منه الباحثون والمؤرخون والأجيال الصاعدة على وجه الخصوص التي لابد لها من معرفة ما قام به وناضل من أجله الأجيال التي سبقتها بالايمان، لتستفيد مما قام به السابقون، وتستمر في المسيرة البنائية التحريرية، لاستكمال ما يتطلبه الوطن من تقدم ورفاهية وعدالة وحرية ووحدة، سائلاً الباري عزت قدرته أن يهدينا جميعاً سواء السبيل، ويشرح صدرنا للحق والخير. (ربّ اشرَحْ لِي صَدْرِي، ويسِّرْ لِي أمْري، واحْلُلْ عقدة من لساني يفقهوا قولي).

أبو بكر القادري

الفهرس

كتب صدرت للمؤلف

1. تراجم وأحاديث عن شخصيات :

1) محمد حصار : ترجمته وإنتاجه وما قيل عنه.

2) سعيد حجي : حياته ونشاطه الثقافي والسياسي جزآن.

3) رجال عرفتهم :

جزء أول : زعماء وعلماء ومفكرون.

4) رجال عرفتهم :

جزء ثاني : المفتي الشيخ أحمد الجريري.

5) رجال عرفتهم :

جزء ثالث : شخصية الحاج عمر بن عبد الجليل.

6) رجال عرفتهم :

جزء رابع : زعماء سياسيون وعلماء مصلحون ومجاهدون شرفاء.

7) رجال عرفتهم :

جزء خامس : الحاج أحمد بلافريج السياسي المحنك.

8) رجال عرفتهم :

جزء سادس : زعماء وعلماء ومصلحون.

9) محمد الخامس : ملامح من حياته، وصور من جهاده.

رحـــــلات :

1) مشاهدات في الولايات المتحدة الأمريكية.

2) ستة أيام في اليابان.

3) مذكرات افريقية وأسيوية.

4) في سبيل وحدة إسلامية.

5) جولات في رحاب النبوة.

3. حول المجتمع الاسلامي :

1) في سبيل بعث إسلامي.

2) في سبيل وعي إسلامي.

3) في سبيل مجتمع إسلامي.

4) أحاديث إسلامية في شهر القرآن.

4. قضايا التعليم :

1) التعليم الأولى في الإسلام.

2) قصة النهضة.

5. مشاكل اجتماعية :

1) الخمر آفة خطيرة على المجتمع.

2) دفاعاً عن المرأة المسلمة.

6. في التشريع الاسلامي :

1) مبادىء وأصول في التشريع الاسلامي.

2) السنة المصدر الثاني للتشريع.

7. حول الرسالة الاسلامية :

1) رسالة الرسول محمد ﷺ رسالة عالمية خالدة.

8. حول القضية الفلسطينية :

1) المغرب والقضية الفلسطينية :

9. حول الحركة الوطنية :

1) مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية (جزءان).

10. أعلام المغرب الحديث :

1) القائد عبد الله بنسعيد.



الإيداع القانوني رقم 1993/124
ردمك 9981-9902-5-6



هذا الكتاب

... وهاهو الجزء الثاني من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) يصدر ليغطّي أحداث الجزء الأول من الأربعينيّات، وليستكمل تغطية جوانب من أحداث الثلاثينيات ظلت في حاجة إلى تسليط الضوء عليها بالقدر الكافي.

وبصدور هذا الجزء، يكون المؤلف قد سجّل فيما يزيد عن ألف ومائة وخمسين صفحة، شهادته على عصر حافل بالكفاح والصراع والمواجهة، انخرط فيه الأستاذ المجاهد أبو بكر القادري، وعاشه بكل زخمه، وزحمته، وصخبه، وتدافعه، لم يعشه شاهداً على هذه الأحداث فحسب، ولكنه عاشه صانعاً لأحداثه مع إخوانه في قيادة الحركة الوطنية، وعاش بعض هذه الأحداث، متابعاً، ومراقباً، ومتأملاً، ومتدبراً، ومستغرقاً في استخلاص العبرة والدرس، للتزود منها بزادٍ من قوة الإيمان، وبمضاء العزيمة، وبشدة البأس، وبالجسارة في المواجهة، وبالشجاعة في الكفاح.

لقد استوفى الجزء الثاني من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية)، الحديث عن أكبر حدث عرفه المغرب في الأربعينيات، وكان له أقوى الأثر في تاريخ المغرب المعاصر، ألا وهو تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، وإلى الإقامة العامة الفرنسية، وإلى ممثلي الحلفاء في الرباط. وجاء حديث المؤلف عن هذا الحدث الهام، دقيقاً، جامعاً، شاملاً، صريحاً، مستوفياً لشروط التسجيل الأمين لوقائع العصر، وتميّز هذا الجزء أيضاً بكتابة المؤلف عن المناضلين الستة والستين الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال، فقد كتب المؤلف تراجم مركزة، مفيدة، ومشوقة، وجديدة تماماً، للخمسة والستين وطنياً، وكتب أيضاً عن نفسه في اقتضاب. وهؤلاء هم الموقعون على هذه الوثيقة التاريخية.

وهذه هي المرة الأولى التي يكتب فيها بهذه الدقة والشمول والتركيز، أحد الموقعين على العريضة، عن إخوانه ورفاقه في الكفاح.

وهذا الجزء من (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية)، هو رحلة مشوّقة إلى مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات، تعود بالذاكرة الوطنية إلى أحداث، ومعارك، ومواجهات، ومصادمات، تشكّل جزءاً هامّاً من التاريخ المغربي المعاصر، وقد توفّق المؤلف المجاهد أبو بكر القادري، في الكشف عن خباياها، وتبيان غاياتها، وتصحيح وقائعها، والتدقيق في المرويات عنها. وقد أتى المؤلف في هذا الجزء بما لم يأت به غيرُه ممن كتب عن هذه المرحلة، وممن سجّل شهادته، ودوّن ذكرياته عنها. ومن ثم فإن هذا الكتاب لا غنى عنه للباحث في تاريخ المغرب المعاصر، بل في تاريخ المغرب العربي بصفة عامة.

70 درهما